

# تَفْسِير الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

لِالْعَالَمَةِ أَبِي الْحَسَنِ عَلَىٰ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ  
عَلَمِ الْمُتَّقِينَ السَّخَاوِيِّ الْمَصْرُوِيِّ الشَّافِعِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ

(ت ٦٤٢)

تحقيق وتعليق

الدكتور  
موسى على موسى مسعود  
الدكتور  
أنور محمد عبد الله الفقها من  
دار العلوم - جامعة القاهرة  
دار العلوم - جامعة المنية

جزءان



دار النشر للجامعات

## بطاقة فهرسة

### فهرسة أثداء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ١١٦٣ - ١٢٤٥ م  
تفسير القرآن العظيم / لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد  
علم الدين السخاوي المصري الشافعي؛ تحقيق وتعليق موسى علي  
موسى مسعود، أشرف محمد عبد الله القصاص. - ط١ - القاهرة:  
دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.  
٩٧٧ ٣١٦ ٢٨٠ تدمك X  
١ - القرآن - تفسير  
أ - مسعود، موسى علي موسى (محقق وتعليق).  
ب - القصاص، أشرف محمد عبد الله (محقق وتعليق).  
ج - العنوان  
٢٢٧

تاریخ الإصدار: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٩ م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ١٦٧٥٧ / ٢٠٠٨ م

الترقيم الدولي: X - ٢٨٠ - ٣١٦ - ٩٧٧ ISBN:

الكتود: ٢/٢٠٠

تحذير: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب  
بأي شكل من الأشكال أو بآية وسيلة من الوسائل  
(المعروف منها حتى الآن أو ما يستجد مستقبلاً)  
سواء بالتصوير أو بالتسجيل على أشرطة أو  
أقراص أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن  
كتابي من الناشر.

## دار النشر الجامعات



ص.ب. (١٣٠) محمد فريد (القاهرة ١١٥١٨)

ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤

E-mail: darannshr@link.net

تَفْسِير  
الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة النمل [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسْ تِلْكَ إِيَّاكَ الْمُرْئَانَ وَكِتَابٌ مِّيقَنٌ ① هُدَىٰ وَشَرِىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيَقْتُلُونَ الْرَّكَوْةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ بِعَمَلِهِمْ يَعْمَلُونَ ④ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ⑤ وَلَنَكَ لَنَلَقِي الْفَرْعَانَ كَمْ مِنْ دُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ ⑥ إِذَا قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي مَانَسْتُ نَارًا سَاتِكُمْ مِّنْهَا بِخَيْرٍ أَوْ إِنَّكُمْ بِشَهَابٍ فَبَسِّ لَعْلَكُمْ تَصْطَلُونَ ⑦ ﴾

﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى آيات السورة . والكتاب المبين : اللوح . وإباتته : أنه مبين فيه كل شيء . أو السورة ، أو القرآن ، وإباتهما : أنهما بینا ما اشتلا على عليه من الأحكام والحكم وإضافة الآيات إلى القرآن تعظيم ؛ فإن الإضافة إلى العظيم تعظمه ، ونکر الكتاب المبين ؛ ليكون أفحى له ؛ كقوله : «عَنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدِرٍ»<sup>(١)</sup> وإذا أريد به القرآن فهو من عطف الصفات بعضها على بعض ؛ كقولك : هذا فعل السخي والجود والكريم ، والتقدير : آيات القرآن ، وأي كتاب مبين ، والمعطوف بالواو تارة يكون تقديم أحد الأمرين على الآخر لزينة ظاهرة ؛ ك قوله : «شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُوا الْعِلْمِ»<sup>(٢)</sup> وتارة لا مزية فيه ؛ ك قوله : «وَقُولُوا حَظَةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا»<sup>(٣)</sup> «وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا وَقُولُوا حَظَةٌ»<sup>(٤)</sup>

﴿ هُدَىٰ وَشَرِىٰ ﴾ إما نصب على الحال ، أي : هاديًا ومشرًا . وإما رفع على إضمار هو أو على البدل من " الآيات " أو على أن يكون خبرا بعد خبر .

وقوله : «وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ» يجوز أن يكون من تمام الصلة عنده ، ويكون جملة اعتراضية ؛ كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ، وتكريير " هم " يقوى هذا المعنى .

نسب الله التزيين إليه بقوله : «رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ» وإلى الشيطان بقوله : «وَزَيْنَ لَهُمْ

(١) سورة القمر، الآية (٥٥).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٦١).

(٤) سورة البقرة ، الآية (٥٨).

**الشَّيْطَنُ** ﴿١﴾ إِلَّا أَنَّ الْإِضَافَةَ إِلَى اللَّهِ حَقِيقَةٌ وَإِلَى الشَّيْطَانِ مَجازٌ . **﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾** القتل والأسر يوم بدر . **﴿كَلَّفَ الْفَرْعَانَ﴾** لتواته من عند أيٍّ حكيم عليم ، وهو معنى تنكيرهما .

**﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾** اذكر إذ قال موسى لأهله . قيل : لم يكن معه سوى زوجته ، فأتبع ذلك بورود الخطاب بلفظ الجمع في قوله : **﴿أَمْكَثُوا﴾** <sup>(٢)</sup> .

**﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُوْرِكَ مَنْ فِي الْأَنَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿لَمْ يُوسَّعْ إِلَّاهٌ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** <sup>(٩)</sup> **﴿وَلَئِنْ عَصَاكُ فَلَمَّا رَأَهَا تَهْتَزُ كَائِنًا جَانِبَ مُدْبِراً وَمَنْ يَعْقِبَ يَمْوَسِي لَا تَخَفَّ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَّيِ الْمَرْسَلُونَ﴾** <sup>(١٠)</sup> **﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنَتَهُ بَعْدَ سُوءِ فَلَيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** <sup>(١١)</sup> **﴿وَادْجُلْ بَدْكَ فِي جَنِيكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءِ مِنْ عَيْرِ سُوْطِي تَسْعِ مَائِيَتِي إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ إِنْهُمْ كَافُؤُ فَوْمَا فَسِيقَنَ﴾** <sup>(١٢)</sup>

الشهاب : الشعلة . والقبس : النار المقوسة . ومن قرأ **﴿بِشَهَابٍ قَبْسٍ﴾** بالإضافة <sup>(٣)</sup> لأن الشهاب يكون قبساً وغير قبس ، ومن نون الشهاب جعل القبس بدلاً أو صفة .

**﴿سَاتِكُ﴾** <sup>(٤)</sup> (١٦٢ / ١) جزم فيه بحصول القبس . وفي طه قال **﴿الْعَلَيْ﴾** <sup>(٤)</sup> فجعله مترجياً لذلك ؛ لأن المهم بالأمر إذا ظن حصوله يقول : سأفعل كذا ، وسأصنع كذا . وأتى بلفظة " أو " ؛ لأنه بنى الأمر على حصول أحد الأمرين ؛ النار وهداية الطريق . ولقد وجدهما معاً ، وحصل له عز الدنيا وعز الآخرة . " أن " في قوله : **﴿أَنْ بُوْرِكَ﴾** مفسرة ؛ لأن النداء فيه معنى القول . ولا يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة ؛ لأنه لابد فيه من " قد " ولا يجوز إضمارها ؛ لأن فيها فائدة تذهب بمحفظتها ، ومن البركة في تلك البقعة

**﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾** إرسال موسى نبياً ، وكلام الله تعالى له ، وظهور المعجزة . ورب خير يظهر في بعض البقاع فينشر الله بركته في أقاصيها وأدانيها . وقيل : المراد بالبارك : موسى والملائكة الحاضرون ، وإنما نودي بذلك بشارة لموسى بأنه يقع أمر عظيم وبركة شاملة ،

(١) سورة النمل ، الآية (٢٤) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٩) .

(٣)قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر " بشهاب قبس " وقرأ الباقون " بشهاب قبس " . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٥٥) ، تفسير القرطبي (١٣ / ١٥٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٦٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٢٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٧٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٣٧) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٣٧) .

(٤) سورة طه ، الآية (١٠) .

وكذلك قوله : ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفيه تعجب موسى - عليه السلام - من عظم البركة التي تنتشر من هذه البقعة . اهاء في " إنه " ضمير الشأن . ﴿أَنَّا لَهُ﴾ وتفسير للشأن ، ويكون المراد : إن مناديك ومخاطبك أنا الله العزيز الحكيم . وعطف قوله : ﴿وَأَنِّي عَصَاكَ﴾ على ﴿بُورَكَ﴾ لأنه نودي بهما جميعا . قوله عز وجل : ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء من غير الجنس ، أي : ولكن من ظلم نفسه منهم في وقوع شيء مما يجوز على الأنبياء ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿بَدَلَ حَسْنَاتِهِ﴾ أي : توبة ﴿بَعْدَ سُوءِ﴾ بعد معصية .

﴿فِي تَسْعَ آيَاتٍ﴾ أي : اذهب في تسع آيات ، ويجوز أن يكون المعنى : وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات ، أي : في جملة تسع آيات وعدادهن ، وهي العصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم والجراد والجذب في البوادي والطوفان والطمسة وانفلاق البحر والنقchan في مزارعهم فتكون إحدى عشرة ؛ إلا أن الجذب قد ينazuF في كونه آية .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا إِنَّا نَهَيُّهُمْ قَالُوا هَذَا سِحرٌ مُّرِيبٌ ﴿١٢﴾ وَجَاهُوْنَ بِهَا وَاسْتَيقَنُتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ طُلْمَانًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذْقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَنَّا نَهَيُّ دَاؤُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاؤُدَ وَقَالَ يَتَائِيَهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطَقَ الْطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾

المبصرة : الظاهرة البينة ، وجعل إبصار أهلها بها كأنه إبصارها ، ويجوز أن يراد أنها سبب في استبصار كل من رآها أو ( ١٦٢ / ب ) في استبصار فرعون وجندوه ، وأن كلمة الحق تهدي ، وكلمة الباطل تضل ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَكُوْلَةً إِلَّا رُبِّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارَه﴾<sup>(١)</sup>

الواو في " واستيقنتها " واو الحال ، و " قد " بعدها مضمرة . والعلو : الكبر والترفع عمما جاء به موسى ، كقوله : ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> وفائدة ذكر الأنفس ، والعدول عن قوله : ﴿وَاسْتَيقَنُتْهُمْ﴾ للدلالة على أنهم قد رسخ ذلك في قلوبهم واستقر في بواطفهم .  
( علما ) أي : نوعا من العلوم . وقيل : أراد تعظيمه ، أي : علما سنيا .

قوله : ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ ي يريد من لم يؤت علمـا ، أو لم يؤت مثل علمـها . وفيه دليل على

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٠٢ ) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ( ٤٦ ) .

شرف العلم ، وتقديم حملته وأهله ، ويجب عليهم شكر الله تعالى على ما وهبهم من العلم ، ويجب على من وهب العلم أن يعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم غيرهم وقد قال عمر : " كل الناس أفقه من عمر " <sup>(١)</sup> هضما لنفسه .

**﴿وَرِثَ سُتَيْمَنُ﴾** : من أبيه، ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه. وكانوا تسعه عشر، وكان داود أكثر تعبيداً ، وسليمان أقضى وأشكر لنعمه الله . **﴿وَقَالَ يَكِيَّا أَنَّا شَهِرَ أَنْعَمَةَ اللَّهِ وَإِظْهَارَهَا﴾** <sup>(٢)</sup> وأماماً بِعَمَّةِ رَبِّكَ فَحَدَثَ <sup>(٣)</sup> وطلب من الناس تصديقهم بهذه العجزة بعد النظر فيها . **﴿وَمَنْطَقَ﴾** كل ما يصوّر به من المفرد والمولف المفید وغير المفید ، وقد ترجم يعقوب <sup>(٤)</sup> كتابه بـ " إصلاح المنطق " وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم . والذى

(١) تقدم تخرّجيه في تفسير سورة النساء ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الضحي ، الآية (١١) .

(٣) هو شيخ العربية أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكري البغدادي التحوي المؤدب مؤلف كتاب إصلاح المنطق، دين خير، حجة في العربية ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني وطائفته ، روى عنه أبو عكرمة الضبي وأحمد بن فرح المفسر وجاءه ، وكان أبوه مؤدياً فتعلم يعقوب وبرع في النحو واللغة وأدب أولاد الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ثم ارتفع مهله وأدب ولد المتوكل ، وله من التصانيف نحوًا من عشرين كتاباً . ولابن السكري شعر جيد . ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنه المعتر والمؤيد فقال لابن السكري: من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فقال: بل قنبر . فأمر الأتراك فدارساً بطنه فمات بعد يوم وقيل: حل ميتاً في بساط .. قال ثعلب : أجمعوا أنه لم يكن أحد بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكري ، وكان المتوكل قد أرمه تأديباً ولده المعتر فلما حضر قال له ابن السكري: بم تحب أن تبدأ قال: بالانصراف . قال فأقام . قال المعتر: فانا أخف منك . وبادر ، فعثر ، فسقط ، وخجل فقال يعقوب :

يموت الفتى من عشرة بلسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل

فعشرته بالقول تذهب رأسه وعشترته بالرجل تبرا على مهل

قيل : كتاب إصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وكتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب . قلت - أي: الذهبي . إصلاح المنطق كتاب نفيس مشكور في اللغة . مات ابن السكري سنة أربعين وأربعين ومائتين . تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤ / ٢٧٣) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦ / ١٩) .

(٤) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ١٠٨) : " إصلاح المنطق من الكتب المختصرة الممتعة في الأدب ولذلك تلاعب الأدباء بأنواع من التصرفات فيه ؛ فشرحه أبو العباس أحمد بن محمد المريسي المتوفى في حدود سنة ستين وأربعين ، وزاد ألفاظاً في الغريب ، وأبو منصور محمد بن أحمد الهروي المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة ، وشرح أبياته أبو محمد يوسف بن الحسن بن السيرافي التحوي المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وربه الشيخ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ست عشرة وستمائة على الحروف ، وهذبه أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفى سنة اثنين =

علمه سليمان من منطق الطير ما يعرف به مقاصدها . ﴿وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد : تفتنه في العلوم ، وهو قوله في بلقيس : ﴿وَأُوتِتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ . ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ أَفْضَلُ الْمُبْشِرِينَ﴾ شكر لم يقصد به المباهاة ، وهو قوله عليه السلام : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " <sup>(١)</sup> .

قوله : ﴿عِلْمَنَا﴾ و﴿وَأُوتِنَا﴾ بنون العظمة ، وليس حقيقة بالتعظيم ؛ لأنَّه أراد نفسه وأباه ولأنَّ الملك يراد من صفاتَه أن يكون له هيئة حسنة ، وكلام جزل لتقوى بذلك حرمته وتندَّذ كلمته ، وقد أمر رسول الله ﷺ بحبس أبي سفيان حتى تمرَّ عليه الكتاب <sup>(٢)</sup> .

﴿وَحَسْرَ لِسْلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُؤْرَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ التَّمَلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا الْتَّمَلُ أَدْخُلُوهُمْ سَكِّنَتَكُمْ لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سَلَيْمَنٌ وَجُنُودُهُ وَهُنَّ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

روي أنَّ معسكيه كان مائة فرسخ في مائة ، خمسة وعشرون للإنس <sup>(٣)</sup> / <sup>(٤)</sup> (١٦٣) وخمسة

= وأربعين وأربعين ، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزى المتوفى سنة اثنين وخمسين وسبعين التهذيب ، وعلى تهذيب الخطيب رد لأبي محمد بن عبد الله أحمد المعروف بابن الخشاب النحوى المتوفى سنة سبع وستين وخمسين ، وعلى الأصل رد لأبي نعيم علي بن حزبة البصري النحوى المتوفى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، ولهذه أيضاً أبو المكارم علي بن محمد النحوى المتوفى سنة إحدى وستين وخمسين ، وناصر الدين عبد السيد المطرزى المتوفى سنة عشرة وستمائة ، وعون الدين يحيى بن محمد ابن هيبة الوزير .

(١) رواه أحمد في المسند (٣ / ٢) ، والترمذى رقم (٣١٤٨) ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٨) ، عن أبي سعيد الخدري . وصححه الشيخ الألبانى في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٧١) .

(٢) روى البخاري في صحيحه في المغازى ، في غزوة الفتح رقم (٣٩٤٤) من حديث هشام بن عمرو عن أبيه قال : " لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح بلغ ذلك فريشا ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسرون حتى أتوا مَرَّ الظهران ، فرأهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : احبس أبا سفيان عند حطم الخيل ؛ حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتبة على أبي سفيان فمررت كتبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : غفار . فقال : ما لي ولغفار . ثم مرت جهينة ، فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم ، فقال مثل ذلك ، ومررت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتبة لم ير مثلها قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، ثم جاءت كتبة ، وهي أقل الكتاب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبي ﷺ مع الزبير ... " الحديث بطوله .

وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للجن ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثة منكوبة ، وبعمادة سرية ، ونسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم <sup>(١)</sup> فرسخاً في فرسخ ، وكان يوضع منبره في وسط البساط ، وهو من ذهب - فيجلس الناس حوله ، والجن حول الناس ، وتظلل الطير بأجنحتها ؛ حتى لا تقع عليه الشمس ، وترفع ريح الصبا ذلك البساط ، فيقطعوا بالغداة مسيرة شهر ، وفي العشي مسيرة شهر ، وكان يأمر الريح العاصف برفعه ، ويأمر الريح اللينة وهي الرخاء فتسيره ، فأوحى الله إليه: أني زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا حلت الريح ذلك إلى سمعك . فحكي أنه مر بحراث فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً . فألقته الريح في أذنه فنزل ومشي إلى الحرات ، وقال: إنما مشيت إليك لثلا تمني ما لا تقدر عليه ، ثم قال: لتبسيحة واحدة يقبلها الله خيراً مما أوتي آل داود .

**﴿يُوَزَّعُونَ﴾** يحبس أولهم حتى يلحقهم آخرهم ؛ لأن اجتماعهم أهيب وأوقع في النفوس .

**﴿وَادِ الْنَّمَلِ﴾** بالشام وهو كثير النمل .

قرىء **﴿النَّمَل﴾** بضم الميم وهي لغة ، وكذلك **النَّمْلَة** <sup>(٢)</sup> ، **إِنَّا عُدَيْ** **﴿أَتَوْا﴾** بـ **﴿عَلَى﴾** لأن إيتاهم الوادي كان من فوق ، أو لأنه يراد قطع الوادي وبلغ آخره ، يقال: أتى على الشيء . إذا أكمله ، وكان سليمان قد أراد أن ينزل عند منقطع الوادي ، وإنما داموا فوق البساط لا يتآذى به النمل ولا غيره من الحيوانات .

ويحكي أن قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال: سلوا عمّا شئتم . وكان أبو حنيفة غلاماً فقال: سلوه عن نملة سليمان ؟ أكانت ذكرًا أم أنثى ؟ فأفخم قتادة ؛ فقال أبو

(١) الإبريسم: الحرير ، وهو مغرب ، وفيه ثلاث لغات ، قال ابن السكikt: هو الإبريسم بكسر المهمزة والراء وفتح السين وقال: ليس في كلام العرب إفعيل مثل إهليج وإبريسم ، وهو ينصرف ، وكذلك إن سميت به على جهة التلقيب انصرف في المعرفة والتكرة ؛ لأن العرب أعربيه في نكرته ، وأدخلت عليه الألف واللام وأجرته مجرى ما أصل بناته لهم . ينظر: لسان العرب (برسم) .

(٢) قرأ الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمان " النمل " و " نملة " بضم الميم وفتح النون ، وقرأ سليمان التيمي بضمتين فيهما وهي لغات في الواحد والجمع . وتنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٦١ / ٧) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٠٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٥٥) ، النشر لابن الجزر (٢ / ٣٣٨) .

حنيفة كانت أثني ؛ لقوله تعالى : ﴿فَأَتَتْ نَمَلَةً﴾ ولم يقل : قال نملة ، لأن النملة مثل الحمامات والشاة في وقوعها على الذكر والأثني ، فيميز بينهما بعلامة يقول : حمامات ذكر وحمامات أثني <sup>(١)</sup> ولما وصف النملة بالقول أجراها مгерاه في قوله : ﴿مَسَكِنَتُكُمْ﴾ و ﴿لَا يَحْطِمُنَّكُمْ﴾ وهو كقوله (١٦٣ / ب) ﴿رَأَيْتُمُ لِي سَيِّدِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> يريد الشمس والقمر .

وقوله : ﴿لَا يَحْطِمُنَّكُمْ﴾ يجوز أن يكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهاية .

﴿لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ﴾ والمراد جنوده ، أو المجموع ؛ كقولك [ من الرجز ] :

عجبت من نفسي ومن إشفاقها<sup>(٣)</sup>

﴿فَبَسَمَ ضَاحِكًا﴾ أخذ في الضحك ؛ لأنه تجاوز حد التبسم متنتها إلى الضحك وهذا هو الضحك النبوى ، وأما ما روى " أنه بِالْجَنَاحِ ضحك حتى بدت نواجذه " <sup>(٤)</sup> فهو مبالغة في ضحك النبوة ، وإنما ضحك سليمان من قولها كاشفة لعذر سليمان بقولها : ﴿وَهُنَّ لَا يَشْعُرونَ﴾ يعني : أنهم لو شعرووا لم يفعلوا ، وسروراً بما وبه الله تعالى من إطلاعه على كلام بصوت خفي من نملة حتى وعاه سليمان وعرفه .

﴿فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعِي أَنَّ أَشْكُرْ نَعْمَتَكَ الَّتِي نَعْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدِيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِيلًا حَارَضَنِي وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّلِيلِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الظَّيرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ ﴿٢٠﴾ لَا أَعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُمْ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَنِي مُبِينًا ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِطْ بِهِ وَجَثَثُكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِيَّ بَقِينَ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِّكُهُمْ وَأَوْتَتِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْنَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

ولا جرم دعا ربّه فقال : ﴿رَبِّ أَوْزِعِي﴾ ومعنى ﴿أَوْزِعِي﴾ اجعلني أزع شكر نعمتك

(١) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٣ / ٣٥٦) ، والسمين الحلبي في الدر المصنون (٥ / ٣٠٢).

(٢) سورة يوسف ، الآية (٤).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور ، الآية (٤٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨١٨، ٤٨١٩، ٧٤١٤، ٧٤١٥)، ومسلم رقم (٣٠٩، ٣٠٨).

والترمذني رقم (٣٢٣٨)، وأحمد في المسند (١ / ٤٢٩، ٤٥٧)، عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأكفه وأجعله مرتبطاً؛ حتى لا أزال شاكراً لك، وأدرج ذكر والديه؛ لأن النعمة على الولد نعمة على الوالد؛ خصوصاً النعم الدينية. وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء؛ فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت؛ لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن. قوله: ﴿وَأَذْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الظَّلِيلِينَ﴾ أي: واجعلني من أهل الجنة

(أم) هي المنقطعة. نظر سليمان إلى مكان المهدد فلم يره فقال: ﴿كَمَا لَأَرَى﴾ على تقدير أن المهدد حاضر وسليمان لا يراه بل كان غائباً. وروي أن سليمان نزل بصنعاء فرأى أرضاً مخصبة فنزل بعسركه يستريح فطار المهدد حين نزل سليمان فلقي هدهداً آخر فتواصفاً ملك صاحبيهما وفي ذلك الوقت تفقد سليمان المهدد فلم يره. وقيل: نزلت الشمس على سليمان فرأى موضع المهدد حالياً؛ فقال: ﴿لَا عِذْشَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَهُ أَوْ لِيَأْتِيَقِ سُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ أي: ليكون أحد هذه الأمور الثلاثة، فطلب العقاب، وقال: ائتي بالمهدد، فتوجه لطريقه، فلما أدركه قصد إليه فقال له المهدد: أسألك بالذي أقدرك عليّ وأضعفني إلّا تركني. فقال له العقاب: إن سليمان قال كذا وكذا، فرجع مع العقاب إلى سليمان، فلما رأى المهدد سليمان أرخي جناحيه دلّاً بين يدي سليمان (١٦٤) فقال له: أين كنت عن موقفك؟ فقال: ﴿أَحَاطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِبْهِ﴾ من خبر بلقيس ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئِ بَيْنَ يَقِينٍ﴾ الآيات.

والمرأة بلقيس بنت شراحيل، وكان عرشها قوائمه من ذهب، وكان مكللاً بالجواهر المختلفة. فإن قلت: كيف وصف المهدد عرش بلقيس بالعظم، وقد رأى ملك سليمان وعظمته؟ قلت: استصغر بلقيس عن أن تملك مثله؛ فعظم بالنسبة إليها، ويجوز إلا يكون سليمان مثله، وإن عظمت ملكته في كل شيء كما يكون بعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك. وقوله: ﴿وَأُوْتَتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من كل شيء يحتاج إليه الملك؛ لأنه عطف على الملك خاصة، وقول سليمان: ﴿وَأُوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من النبوة والحكمة والمعجزة؛ لأنه عطف على قوله: ﴿عُلِّمْنَا مِنْ طَرِيقَ الظَّبَرِ﴾ إلى آخر الآية. وألم الله المهدد وعلمه أن بلقيس وقومها لا يهتدون، وأن الشيطان زين لهم ذلك كما ألم جميع الحيوانات مصالحها.

﴿اللَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَثَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴽ٥٥﴾  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴽ٥٦﴾ قَالَ سَنَنُرُ أَصَدَقَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴽ٥٧﴾

اذهَبْ تِكْتَنِي هَذَا فَالْقِلَةُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَوْا إِنَّ الَّتِي إِلَيْكَ كَتَبْ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾

**﴿الآيَسَجُدُوا﴾** أي : لأن ، ويجوز أن تكون " لا " زائدة ، وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وجميع ما خباء الله عز وجل من غيبه ، قوله : **﴿الآيَسَجُدُوا﴾** من كلام الهدى . وقيل : من كلام الله تعالى . وقرأ الكسائي " ألا " مخففا<sup>(١)</sup> يا اسجدوا " أي : يا قوم اسجدوا ، وسجدة التلاوة مطلق به في القراءتين جميعاً ؛ لأن الطلب إما بأمر أو بناء على فاعله أو ذم لتأركه ، وإحدى القراءتين أمر ، والثانية ذم لمن تركه ، وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوح إليه<sup>(٢)</sup> . ووصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إلى ملكتها ووصف عرش الله تعالى بالعظم بالنسبة إلى جميع المخلوقات . قوله : **﴿أَصَدَقَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾** أبلغ من أن يقول : ألم كذبت ؟ لأنه أراد الانحراف في سلك الكاذبين . **﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾** تنح عنهم إلى مكان قريب توارى فيه ؛ ليكون ما يقولون بسمع منك ، وهذه معجزة عظيمة ، حيث صار الهدى يفهم كلام بني آدم ويؤديه إلى سليمان . **﴿فَالْقِلَةُ إِلَيْهِمْ﴾** باجمع ، وإنما القاء على بلقيس ؛ لأنه قال : **﴿وَجَدَهَا وَقَوْمَهَا﴾** أي : الله إلى القوم الذين هذا شأنهم . **﴿كَرِيمٌ﴾** مضمونه حسن . وقيل : مختوم . وفي الحديث : " كرم الكتاب ختمه "<sup>(٣)</sup> .

(١) قرأ بها الكسائي وأبو جعفر ورويس ، وقرأ باقي العشرة " ألا يسجدوا " بتشديد اللام . قال الكسائي : ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر . وعلى هذه القراءة تكون " ألا " حرف تبيه واستفتاح ، وما بعدها حرف نداء ، و " اسجدوا " فعل أمر ، وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا ( ألا يا اسجدوا ) ولكن الصحابة - رضي الله عنهم - أسقطوا ألف من " يا " وهمة الوصل من " اسجدوا " ووصلوا الياء بسين " اسجدوا " فصارت صورة الخط : " ألا يسجدوا " .

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦٨ / ٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٠ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٢٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١٤٥ / ٣ ) ، النشر لابن الجوزي ( ٢ / ٣٣٧ ) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ١١٥ ) وعبارته : ومن قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ بالتشديد فليس موضع سجدة . وفي الأصل " غير مرجوح " والمثبت كما في الكشاف وهو الأنسب .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ( ٣٨٧٢ ) عن ابن عباس ، وذكره الهيثمي في مجمع الروايات = ( ١٠٢ / ٨ ) ونسبة للطبراني وقال : وفيه محمد بن مروان السدي وهو متزوك . وذكره العجلوني في =

أو لأنه من ملك كريم . وقرأ ابن عباس " أَلَا تَغْلُو عَلَيْ " بالغين المعجمة<sup>(١)</sup> وكانت كتب الأنبياء جلاً وجيبة ، وكتاب رسول الله (١٦٤ / ب) مختصر أيضاً . قيل : ألقاه عليها وهي مستلقية على ظهرها ، وقد غلقت الأبواب عليها . وقيل : ألقاه إليها بحضور من جنود ملكتها فرفف عليها بأجنحته حتى رفع الناس رؤوسهم فرأوه فألقاه حيئذ إليهم .

**﴿إِنَّهُ مِنْ سَلَيْمَنَ وَلَنَّهُ يَسِيرُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾** **﴿۲۰﴾** قَالَتْ يَتَأْمِيْهَا الْمَلُوْقُ أَفْتُوْنِي فِي أَمْرِي مَا كَسْتُ قَاطِعَةً أَنْكَحَتِي تَشَدُّدُونِ

**﴿۲۱﴾** قَالَتْ إِنَّ الْمَلُوْقَ إِذَا دَخَلُوا فَرِيزَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةً أَهْلَهَا وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرْنِي مَاذَا تَأْمِيْنِ

**﴿۲۲﴾** قَالَتْ إِنَّ الْمَلُوْقَ إِذَا دَخَلُوا فَرِيزَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةً أَهْلَهَا أَذْلَلَةً وَكَذَّلَكَ يَفْعَلُوْنِ

**﴿۲۳﴾** وَلَنِي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظَرَهُمْ بِمَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ

**﴿۲۴﴾** فَلَمَّا جَاءَهُمْ سَلَيْمَانَ قَالَ أَتَمْدُوْنِ بِعَالَى فَمَا أَتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَنَاكُمْ بَلْ أَتَعْرَهُ بِهَدِيَّتِكُمْ نَفَرُوْنَ

**﴿۲۵﴾** أَتَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِسْهُمْ بِمَنْوِدٍ لَا يَقْلَلُ لَهُمْ بِهَا وَنُخْرِجُهُمْ مِّنْهَا أَذْلَلَةً وَهُمْ صَغِيْرُوْنَ

**﴿۲۶﴾** وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِيْنَ

﴿وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِيْنَ﴾ منقادين أو مؤمنين .

الفتوى : الجواب في الحادثة ، واستعطفت جندها بقولها : «ما كنست قاطعة أمر» . «أولوا قوّة» في أجسادنا ، وقوة بالات الحرب . والباس : النجدة والبلاء في الحرب . «وكل ذلك يفعلون» من كلام الله تعالى ؛ تصدقوا لها ، أو من كلام بلقيس ؛ لأنها نشأت في الملك القديم ؛ فسمعت ورأت .

﴿مُرْسَلَةٌ﴾ رسلاً «بِهَدِيَّةٍ» فأرسلت خيلاً وجواري وغلماناً ولبناً من الذهب والفضة وغير ذلك<sup>(٢)</sup> ؛ فأمر سليمان فأحضر إليه طوائف الجن وأولادهم ، وجلس سليمان على سريره وجنوده على يمينه ، وطوائف الجن صفوفاً كثيرة على يساره والطير يظلله ، وقال

= كشف الخفا (٢ / ١٦٠) رقم (١٩٢٣) ونسبة للقضاعي وقال : يسند فيه متروك .

(١) قرأ بها ابن عباس - رضي الله عنهم - وأشهب العقيلي وابن السميق ، وهي من الغلو وهو مجاوزة الحد

ونظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧٢) ، تفسير القرطي (١٣ / ١٩٣) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ١٣٧) ، الكشاف للزخشري (٣ / ١٤٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٣٩) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ١٩٦)

(٢) نسبة السيوطي في الدر المثور (٦ / ٣٥٧) لابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهم .

للرسول : ارجع إليهم ، فعاد الرسول إليها وأخبرها ، فقالت : هونبيٌّ وما لنا به طاقة ، فشخصت إليه ومعها اثنا عشر ألفاً . الهدية : اسم المُهَدَى ؛ كالعطية اسم المُعْطَى فيضاف إلى المُهَدَى والمُهَدَى إليه في قوله في قوله : هذه هدية فلان .

قوله : ﴿فَمَاءَاتِنَّاهُ اللَّهُ﴾ أي : من الملك والجاه والدين وطاعة الجن والإنس وتسخير الطير والوحش شيء لا يحتاج إلى الزيادة عليه . ﴿خَيْرٌ مَمَاءَاتِنَّكُمْ بِلَأَسْرِهِدَتِكُنْفَرَحُونَ﴾ بما يهدي إليكم فرح افتخار . ويجوز أن يكون المراد : بل أنتم بهديتكم هذه التي أتيتم بها تفرحون بربها إليكم . ﴿أَتَرْجِعُ﴾ خطاب للرسول ، وقيل : للهدهد محملاً كتاباً آخر . ويروى أنها أمرت عند تجهيزها للقدوم على سليمان فجعل عرশها في آخر سبعة أبيات ووكلت به حرساً يحفظونه . قيل : إن سليمان بلغه استيقظها بحفظ العرش فأراد أن يبين لها ما وله الله من التمكين والقدرة . وقيل : أراد أن يجعل ذلك عنواناً لقهره وقوة سلطنته .

﴿قَالَ يَتَأَبَّلُهَا الْمَلَوْأُ أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴽ٢٨﴾ قَالَ عَفَرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا أَءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَلِيَفِ عَلَيْهِ لَقَوْيٌ أَمِينٌ ﴽ٢٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَبِ أَنَا أَءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقْرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْبَلْوَنِ إِشْكَرْ أَمَّا كُفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّ غَنِّيٌّ كَرِيمٌ ﴽ٣٠﴾ قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرَ أَنْهِنَّ دَيَّ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴽ٣١﴾

قوله : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا﴾ الآية ؛ قال قتادة : يجوز عرশها قبل أن تسلم لأنها إذا أسلمت حرم عليهأخذ شيء من مالها قهراً<sup>(١)</sup> . ﴿قَالَ عَفَرِيتٌ﴾ العفر والعفرية والعفارية (١/١٦٥) القوي من الرجال ، الذي يعفر أقرانه ، ومن الشياطين الخبيث المارد ، وقالوا : كان اسمه ذكران .

﴿لَقَوْيٌ﴾ على حمله <sup>(أَمِينٌ)</sup> على ما حواه من الجواهر . الَّذِي <sup>(عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَبِ)</sup> ملك أيد الله به سليمان . وقيل : آصف بن برخيا كاتب سليمان . وقيل : هو سليمان ؛ كأنه استبطأ العفريت ؛ فقال : أنا أحضره في أقل ما ذكرت . وقيل : هو رجل كان يعرف اسم الله الأعظم ، وهو : يا حي يا قيوم . وقيل : يا إلهنا وإله كل شيء إله واحداً لا إله إلا

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٦ / ٣٥٩) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن

أنت . و " آتيك " في الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل .

الطرف : تحريك الأجناف عند النظر . جعل مكان المنظور إليه ، والمعنى: أنك ترسل طرفك إلى شيء قبل أن ترده بأبصرت العرش . فبرز العرش عند سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفة ، ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة الجيء به ؛ كما تقول لصاحبك : افعل ذلك في لحظة . **﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** أي : تعود منافع الشكر له .

وقيل : الشكر صيد النعمة المفقودة . وقيل : النعمة الموجودة .

**﴿غَنِيٌّ﴾** عن الشكر ، كريم : بالإنعم على من يشكر ؛ تلقى سليمان النعمة بالشكر ؛ كعادة الأنبياء قبله . **﴿نَكَرُوا لِهَا عَرْشَهَا﴾** أي : أجعلوه متذمراً متغيراً فلا تعرفه ، قالوا : وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره ، وأعلاه أسفله .

قرئ **﴿نَظَرٌ﴾** بالجزم على الجواب ، وبالرفع على الاستئناف <sup>(١)</sup> **﴿أَنْهَدَى﴾** لمعرفته ، أو للجواب الصواب ، أو للإيمان لسليمان إذا رأت تلك المعجزة .

**﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَذَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَاهَهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قِبْلَهَا وَكَانَ مُسْلِمِينَ ﴾**<sup>(٤٢)</sup> **﴿وَصَدَّهَا مَا**  
**كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَفَرِينَ ﴾**<sup>(٤٣)</sup> **﴿قِيلَ لَهَا دَخْلُ الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجْجَةً وَكَذَفَتْ عَنْ**  
**سَاقِيَهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ**  
**الْعَلَمِينَ ﴾**<sup>(٤٤)</sup>

**﴿أَهَذَكَذَا﴾** ثلات كلمات : ها للتتبیه ، والكاف للتتشییه ، وذا اسم إشارة ، ولم يقل : أهذا عرشك ؟ لئلا يكون تلقينا ؛ فلم تقطع في أمر العرش بشيء ؛ كأنها قالت : قوي الشبه ، وترددت في الجواب . **﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ﴾** من كلام سليمان وملئه ، قالوا لها حين أجبت بهذا الجواب : أصابت ، وعلمت اللفظ المخلص فأئست به ، وقال الحاضرون - سليمان وجنوده - : أوتينا العلم بالله تعالى وقدرته ، وتواتر آياته ، ولم نزل على دين الإسلام ، شكرأ الله على تفضيلهم عليها . **﴿وَصَدَّهَا﴾** هي عن دين الإسلام أنها من أولاد الكفار ، نشأت على ذلك . ويجوز أن يكون قوله : **﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ﴾** من كلام بلقيس (١٦٥ / ب) موصولاً بقولها : **﴿كَاهَهُ هُو﴾** ، والمعنى : وأوتينا العلم بالله وقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة ، يعني : ما تبيئت من الآيات عند وفده المنذر ، ودخلنا في

(١) فرأى الجمهور من القراء " نظر " وقرأ أبو حية " نظر " . وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٧٨) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ١٤١) ، الكشاف للزخشري (٣ / ١٤٩) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ١٩٩) .

الإسلام ، وصدها ضلالها عن اتباع سليمان . وقيل : صدّها عمّا كانت تعبد فحذف حرف الجر ، وقرئ **﴿إِنَّهَا﴾** بفتح الممزة <sup>(١)</sup> أي : لأنها .

الصرح : القصر . وقيل : صحن الدار . وأمر سليمان قبل قدولها أن يُتَحَدَّ قصرًّا شديد الصفاء من زجاجِ أملسٍ وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دوابَّ البحر - السمك - ووضع سريره في صدره . وقيل : إن الجن خافوا أن يتزوجها سليمان فتأتي بولٍ يملكون بعد سليمان ، فقالوا [له]<sup>(٢)</sup> : إن في عقلها شيئاً ، وهي شعر الساقين ، ورجلها كحافر حمار فاختبر عقلها بالعرش فقالت : كأنه هو ، واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجلها ؛ فكشفت عنهما ؛ فإذا هي أحسن الناس فاتخذوا النورة <sup>(٣)</sup> . وتزوجها سليمان ، وأقرها على ملكها ، وأمر الجن فبنوا لها سيلحون <sup>(٤)</sup> وعمدان ، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ، وولدت له ، وقيل : بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن ، وأمر زوجة أمير جن اليمن أن يطيعه ؛ فبني له المصنع ، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان .

**﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾** تريد : بكفرها فيما تقدم ، وقيل : حسبت أن سليمان يغرقها في اللجة ، فقالت : ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان .

**﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ شَمُودٍ أَخَاهُمْ صَبَلِحًا أَنْ أَعْبُدُوَا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِي قَبَائِنِ يَخْتَصِمُونَ ﴾**<sup>(٥)</sup> قال يَعْقُومُ لِمَرْسَتَعِجْلُونَ بِالسَّيْعَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا سَتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ <sup>(٦)</sup> قالُوا أَطَيْرَنَا يَكَ وَيَمَنَ مَعَكَ قَالَ طَهِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ <sup>(٧)</sup> وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعْةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ <sup>(٨)</sup> قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَبَيْسَتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَقَوْنَ لَوْلَيْهِ مَا

(١) قرأ بها سعيد بن جبير وابن أبي عبلة . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٧٩) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٠٨) ، فتح القدير للشوکاني (٤ / ١٤١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٠) .

(٢) في الأصل : **«لها»** والمثبت هو الصحيح .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (١٩ / ١٦٩) والنورة : من الحجر الذى يحرق ، ويسمى منه الحبر ، ويحلق به شعر العانة . وفي الوسيط : هي أخلاط من أملاح الكلسيوم والباريوم تستعمل لإزالة الشعر .  
ينظر : لسان العرب (نور) ، المعجم الوسيط (نور) .

(٤) سيلحون - بفتح أوله وسكون ثانية وفتح لامه ثم حاء مهملة وواو ساكنة ونون - وقد يعرب إعراب جمع السلامه فيقال : هذه سيلحون ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين ، ومنهم من يجعله اسمًا واحدًا يعربه إعراب ما لا ينصرف فيقول : هذه سيلحين ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين . وهي موضع باليمن قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القدسية . ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ٢٩٨) .

شَهِدْنَا مَاهِلَكَ أَهْلِهِ، وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٦﴾

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كل فريق : الحق معي . ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾ العقوبة ، و﴿الْحَسَنَةِ﴾ التوبة . وإنما قال : ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْعَسْنَةِ﴾ وإنما يكون ذلك إذا كانوا متوقعين . وتنازعوا في القبلية لأنهم كانوا يعتقدون بجهلهم أن التوبة تنفعهم عند نزول العذاب فبقوا على ضلالتهم ، وخطبوا بنحو ذلك .

﴿أَنَّا لَا سَتَغْفِرُونَ﴾ هلاً ، كانت العرب إذا أرادوا سفراً أو الدخول في أمرٍ نَفَرُوا طائراً من وكره ، فإن مر على جهة اليمين تيمّن به ، وإن مر على جهة الشمال تشاءم به ، وفي الحديث : " أقرروا الطير في وكناتها ؛ فإنها لا تجلب ضرراً ولا نفعاً " <sup>(١)</sup> فقيل فيه : طير فلان ، وتمّن ، ومنه قوله : ﴿أَطَّيَرَنَا إِلَيْكَ وَمَيْنَ مَعَكَ فَالْأَطْيَرُ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup> أي : هو أ / ١٦٦ ) الفعل لما ينفعكم ويضركم . ﴿نَفَتَنُونَ﴾ أي : تعذبون أو تختبرون .

الرهط : من الثلاثة إلى العشرة . أو من السبعة إلى العשרה ، والنفر : من الثلاثة إلى التسعة . قوله : ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي : إن شأنهم الفساد الحمض ؛ كما ترى [ بعض المفسدين ] <sup>(٣)</sup> لا يفعل فعلًا فيه شيء من صلاح . قوله : ﴿تَقَاسَمُوا﴾ يجوز أن يكون أمراً ، وأن يكون خبراً في محل الحال و " قد " مقدرة . وقرئ " ليبيته " بالياء وعلى هذا لا يكون إلا خبراً ، وقرئ " ليبيته " بالباء و " لنبيته " <sup>(٤)</sup> بالنون .

(١) رواه أحمد في المسند (٦ / ٣٨١) ، وأبو داود رقم (٢٨٣٥) ، وابن حبان رقم (٦١٢٦) ، والحاكم في المستدرك (٤ / ٢٣٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٣١١) وصححه ابن حبان والحاكم . والوكلات : موضع عش الطائر ووكره . وقيل : موقع الطير حيثما وقعت .

ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥ / ٢٢٢) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٤٧)

(٣) زيادة من الكشاف (٣ / ٣٧٢) مناسبة للسياق وليست في الأصل .

(٤) قرأ " ليبيته " - بالياء - مجاهد وابن وثاب والأعمش ، وقرأ " لنبيته " - بالباء - حمزه والكسائي وخلف ، وقرأ بقية العشرة " لنبيته " . وتنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٨٤) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٣٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣١٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٢) ، النشر لابن

الجزري (٢ / ٣٣٨)

وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون أمراً وخبراً . والبيات : الهجوم على العدو ليلاً . وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات ، فقال : ليس من دين الملوك استراق الظفر.

قرئ **«مَهْلِكَ»** بضم الميم من " أهلك " و **«مَهْلِكَ»** من هلك <sup>(١)</sup> .

**﴿وَمَكَرُوا مَكَرًا وَمَكَرْنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٠﴾** فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ **٥١﴾** فَتَلَكَ بُيُوتُهُمْ حَاوِيَةً يِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ **٥٢﴾** وَأَبْيَحْنَا لَهُنَّا إِمَانُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُنَّ **٥٣﴾** وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُوكُنَّ فَلَدِيشَةً وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ **٥٤﴾** أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَجَهَلُونَ **٥٥﴾** فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ الْوَطَرَ مِنْ قَرْيَاتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ **٥٦﴾** فَأَبْيَحْنَاهُمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَّا أَمْرَأَتَهُمْ قَدْرَنَاهَا مِنَ الْغَنِيَّاتِ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ **٥٧﴾**

**﴿مَكَرِهِمْ﴾** تدبرهم كيف يقتلون صالحًا ومن معه . ومكر الله : إهلاكم من حيث لا يشعرون . **﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾** من قرأ بكسر المهمزة فهو استئناف ، ومن فتحها <sup>(٢)</sup> جاز أن يكون خبراً لـ " كان " . أي : كان عاقبهم التدمير . وقيل : اللام مقدرة ، أي : لأننا دمناهم ، أو بدلاً من العاقبة . روي أن قوماً من أبناء أشراف قوم صالح قالوا: إن صالحًا يزعم أنه يفرغ من هلاكتنا في ثلاثة أيام ، فنحن نسبق إلى قتيله وقتل جماعته قبل الأيام الثلاثة ، فأخذوا أسلحتهم ودخلوا إلى مغارة في طريق صالح إلى مسجده يتظلون صالحًا ليقتلوه إذا مر بهم ، فأرسل الله صخرة عظيمة سدت باب الغار ، فهلكوا فيه ولم يعلم لهم أحد خبراً . قرئ

(١) قرأ جهور القراء " مُهْلِكَ " وقرأ عاصم في رواية حفص عنه " مَهْلِكَ " وفي رواية شعبة عنه " مَهْلِكَ " .

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٤) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٣١) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٢) ، الشر لابن الجزري (٢ / ٣١١) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر " إنا دمناهم " بالكسر ، وقرأ بقية العشرة " أَنَا دمَنَاهُمْ " بالفتح . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٦) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٧٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٣٢) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٣) ، الشر لابن الجزري (٢ / ٣٨٣) .

﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالرفع ، والنصب أحسن<sup>(١)</sup>.

﴿يَنْتَهُرُونَ﴾ ينتزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل لكونه من القاذورات ويغيظنا إنكارهم . وعن ابن عباس : هو استهزاء<sup>(٢)</sup>. ﴿فَدَرَنَّهَا﴾ قدرنا كونها من الغابرين ، والتقدير واقع على الغبور في المعنى .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلِّمْ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَهُ اللَّهُ خَيْرًا مَا يُشْرِكُونَ ٥٥﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ أَسْمَاءَ مَاءٍ فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْسِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدَلُونَ ٦٠﴾

أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيه وقدرته وحكمته وإنعامه ، وأن يستفتح بمحمه ، والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده ، وفيه تعليم حسن وتنبيه على أدب جميل ويعث على التبرك بذلك ، ولقد توارث الخطباء والعلماء والوعاظ كابرًا عن كابر فبدأوا بحمد الله وثروا بالصلاحة على نبيه وعلى أوليائه وعلى الأنبياء وأمام كل علم مفاد ، وقبل كل عظة وتذكرة . (١٦٦/ ب) وتبعهم المترسلون في كتابة مهماتهم . وقيل : هو متصل بما قبله ، وأمر بالتحميد على إهلاك الظالمين ؛ كقوله تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَارُ أَقْوَمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقيل : الخطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك قومه ، ويسلم على كل مصطفى من عباده .

معلوم أنه لا خير فيما أشركوه به حتى يوازن بينه وبين خالق الموجودات كلها ، وإنما ذلك للتبكيت والاستهزاء بهم ؛ لأنهم آثروا عبادة أصنامهم على عبادة الله ، وإنما يكون الإيثار لمقتضاه ، وسبب ساق إليه ؛ كما قال فرعون : ﴿أَمْ أَنْخَرِي مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ

(١) فرأى جهور القراء " جواب " بالنصب ، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش والحسن " جواب " بالضم .  
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٢١) ،  
فتح القدير للشوكتاني (٤ / ١٤٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٣) ، مجمع البيان للطبرسي (٧ / ٢٢٧) ، المختسب لابن جني (٢ / ١٤١) .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (١ / ٢٠) ونسبة السيوطي في الدر المثور (٣ / ٤٩٦) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد وليس عن ابن عباس .  
(٣) سورة الأنعام ، الآية (٤٥) .

وَلَا يَكُادُ يُبْيِنُ<sup>(١)</sup> . مع علمه أنه ليس لموسى أنهاز تجري من تحته ، ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي خلقها لعباده ، ثم قال : «هَلْ مِنْ شَرِّ كَيْمَ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ» [الروم : ٤٠] وروي أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأها : " بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم " <sup>(٢)</sup> .

فإن قلتَ : ما الفرق بين " أَمْ " و " أَمْ " في قوله : «أَمَّا يُشْرِكُونَ» و «أَمْنَ خَلَقَ» ؟

قلتُ : الأولى متصلة ؛ لأن معناها : أيهما خير ؟ وهذه منقطعة بمعنى : بل . والهمزة لما قال : أما يشركون ، قال : بل أمن خلق السماوات والأرض خير . وقرئ " أمن " بالتحفيف <sup>(٣)</sup> ووجهه أن يجعل " من " بدلاً من اسم الله ؛ كأنه قال : أمن خلق السماوات والأرض خير أما يشركون . وإنما التفت عن الغيبة إلى الخطاب في قوله : «فَأَنْبَتَنَا بِهِ» لأن إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطعوم والروائح مع كونها تسقى بماء واحد أدل على القدرة ، ولهذا خص هذا النوع بقوله : «مَا كَانَ لِكُوَمْ أَنْ تُنْتَشِرَ شَجَرَهَا» ومعنى «مَا كَانَ لِكُوَمْ» ما يتبعي وما يتاتي ؛ كقوله : «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْخَذَ مِنْ وَلَدِهِ» <sup>(٤)</sup> ومعنى «مَا كَانَ» في هذين الموضعين الاستحالة عقلاً ، وقد تأتي للمنع شرعاً ؛ «وَمَا كَانَ لِتَيْ أَنْ يَعْلَمَ» <sup>(٥)</sup> «مَا كَانَ لِالْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمَرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ» <sup>(٦)</sup> «مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشَرِّكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» <sup>(٧)</sup> . والحقيقة : البستان عليه حائط من الإدحاق وهو الإحاطة ، وكذلك لا يسمى حائطاً إلا إذا حوط . «ذَاتَ بَهْجَةٍ» كقولك : النساء ذهبت . والبهجة : الحسن ؛ لأن الناظر يتنهج به . «أَوْلَهُ مَعَ اللَّهِ» أغير الله يصلح أن يتخذ معه شريكاً .

(١) سورة الزخرف ، الآية (٥٢) .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٢١ / ١٣) مرفوعاً ، ونسبه السيوطي في الدر المشور (٦ / ٣٧٠) لعبد ابن حيدعن قتادة .

(٣) فرأبها الأعمش . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٨٩) ، الدر المصور للسمين الحلبي

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٤٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٥) ، مختصر

ال Shawad لابن خالويه (ص : ١١٠) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ٢٠٦) .

(٥) سورة مريم ، الآية (٣٥) .

(٦) سورة آل عمران ، الآية (١٦١) .

(٧) سورة التوبه ، الآية (١٧) .

(٨) سورة يوسف ، الآية (٣٨) .

وَقَرِئَ ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>. بمعنى : أتدعون أو تشركون ، ولك أن تتحقق الهمزتين وتتوسط بينهما مدة ، وتخرج الثانية بين بين . ( يعدلون ) ( ١٦٧ ) به غيره ، أو يعدلون عن طريق الحق .

﴿أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْلَاهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رُوسَهُ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكَثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ أَمْ يُجْبِيْتُ الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيُكَشِّفُ السُّوَءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلْفَكَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَّكَرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ يَهْدِيْكُمْ فِي طَلْمَاتِ الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾

﴿أَمْ جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمْ خَلَقَ﴾ ﴿قَرَارًا﴾ . دحاما وسوها للاستقرار عليه . ﴿حَاجِزًا﴾ كقوله : ﴿بَرِّيَّا﴾<sup>(٢)</sup> الضرورة : الحالة الموجة إلى اللجوء والاضطرار افتعال منها ، والفاعل والمفعول منه مضطرب ، والمضطرب هاهنا : الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجوء والتضرع إلى الله . وقيل : المذنب إذا استغفر .

فإن قلت : كم من مضطرب يدعو فلا يستجاب له ! قلت : الإجابة لها شرط ، وهو ألا يكون في المدعوه مفسدة ، فإذا فقد الشرط فقدت الإجابة ، ولذلك لم يجب كل مضطرب ، والمضطرب : اسم جنس يقع على الواحد وعلى الكثير .

﴿خَلْفَكَاءَ الْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها وذلك توارثهم سكنها ، والتصريف فيها فرئا بعد قرن ، أو أراد بالخلافة الملك والسلطان . ﴿مَا﴾ مزيدة في قوله : ﴿قَلِيلًا مَا نَذَّكَرُونَ﴾ أي : تذكرون تذكرة قليلا ، والمعنى : نفي التذكرة . والقلة تستعمل في معنى النفي . ﴿يَهْدِيْكُمْ﴾ بالنجوم في السماء ، والعلامات في الأرض . وقال : ﴿ثُمَّ بَيْعِدُهُ﴾ وهم ينكرون الإعادة ، لأنهم مقررون بالنشأة الأولى أنها من عند الله ، والنشأة الثانية تلزمهم ، ولازم القول قول فهم كالمررين بها . ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالنطرو ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بالنبات إن ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن مع الله إلهًا فأين دليلكم عليه ؟

﴿أَمْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ بَيْعِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَا تُؤْتُ بِرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبَعَّثُونَ ﴿٦٥﴾

(١) تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢٣ ) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ( ٥٣ ) .

قوله : ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن الله ليس فيهما ، وكان حقه أن يتتصب ، وهذا على لغة بني تميم ؛ حيث يقولون : ما في الدار أحد إلا حمار ، يريدون : ما في الدار إلا حمار ؟ كأن أحدا لم يكن ، ويقولون : ما أتاني زيد إلا عمرو ، وما أعاشه إخوانكم إلا إخوانه ، وإنما عدل إلى اللغة التيمية دون الحجازية ليصير الكلام في تقدير : إن كان الله في السماوات والأرض فهم يعلمون الغيب ، لكنه ليس كذلك ؛ فلا يعلمون الغيب ؛ كقول الشاعر [ من الطويل ] :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفَهُمْ  
يَهِنَ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَابِ<sup>(١)</sup>

يعني : إن كنت تعدد فلول السيف من قراع الكتائب عيما .

كذلك قوله [ من الرجز ] :

وَبِلْدَةٌ لَنِسْأَةٌ يَهَا أَنِيسُ  
إِلَى الْيَعْسَافِيرِ وَإِلَى الْعَسِيسِ<sup>(٢)</sup>

أي : إن كنت تعدد اليعافير والعيس أنيسا فتلك البلدة بها أنيس . فإن قلت : هلا زعمت أن الله من في السماوات والأرض كما يقول المتكلمون : الله في كل مكان ، على معنى أن علمه في الأماكن كلها ؟ فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على لغة بني تميم ؟ قلت : يأتي ذلك أن كونه في السماوات والأرض مجاز ، وكونه فيهن حقيقة ، وإرادته المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز ممتنع ، على أن قوله : من في السماوات والأرض ، وجعلك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية ، والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته ؛ ألا ترى كيف قال - عليه السلام - ملئ قال : ومن يعصهما فقد غوى - : " بئس خطيب القوم أنت " <sup>(٣)</sup> . وقيل : نزلت في الكفار حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت مجيء الساعة . ﴿أَيَّانَ﴾ يعني متى ، ولو سمي به لكان فعلا من آن يئن ، ولكن مصروفًا ؛ لأن النون أصلية . وقرئ " إيان " بكسر المهمزة <sup>(٤)</sup> .

(١) تقدم تخرجه في تفسير سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٢) البيت لجران العود ، ينظر في : التصریح بضمون التوضیح للشیخ خالد الأزهري (١ / ٣٥٣) ، خزانة الأدب للبغدادی (١٠ / ١٥) ، الدرر اللوامع للشنقاطی (٣ / ١٦٢) ، دیوان جران العود (ص : ٩٧) ، شرح أبيات سبويه للسرایق (٢ / ١٤٠) ، شرح المفصل لابن يعيش (٢ / ١١٧) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٨٧٠) ، وأبو داود في سنته رقم (١٠٩٩) ، وأحمد في مسنده (٤ / ٢٥٦ ، ٣٧٩) ، والحاکم في المستدرک (١ / ٢٨٩) ، والبیهقی في السنن الكبرى (١ / ٨٦) عن عدی بن حاتم .

(٤) قرأ بها السلمی . تنظر في : البحر المحيط لأبی حیان (٧ / ٩٢) ، الدر المصنون للسمین الحلی =

﴿بِلِ ادْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرْبَا وَءَابَاؤُنَا أَيْنَا لَمْحَرِجُونَ ﴾٦٧ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا تَحْنُونَ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلٍ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيلُرُ الْأَوَّلِينَ ﴾٦٨ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَقَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾٦٩ وَلَا تَحْرَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾٧٠ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾٧١﴾

وَمَعْنَى (أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ) تكامل ، وَتَدَارَكَ : تتابع واستحكם ومعناه : أن النظر قد أدى إلى أن قيام الساعة من جملة الحكمة ، وأنه حق لا ريب فيه وهم في شك من ذلك . (عَمُونَ) عن إدراكه ، ي يريد : الكفار ونسبهم إلى السماوات والأرض ؛ لأن من كان في أحد شيئاً فهو فيهما ؛ كما يقول : بنو فلان ، قالوا وفعلوا ، (وَإِذْ قَنَلْتُمْ نَفْسًا) <sup>(١)</sup> والقاتل عدد قليل ، ومعنى الكلام أنه نفي لعلمهم واستهزاء بهم ؛ كما يقول للجاهل : ما أعلمك ؟ تستهزئ به ، يعني أنهم قد علموا الدليل الدال على وجوب قيام الساعة ، فما أحجهلهم ؟ حيث أنكروا الطريق الدال عليها.

وفي (أَدْرَكَ) و(أَدْرَكَ) معنى آخر وهو أن يكون معنى فيني ؛ يقال : أدركت الشمرة إذا تناهت لأنها عند ذلك ت عدم ، وقد قال الحسن : إن معناه اضمحل <sup>(٢)</sup> ، ويقال : تدارك بنو فلان ، إذا تابعوا في الهلاك <sup>(٣)</sup> في الآخرة أي : في شأنها ، ومعنى (بِلْ) وتكرارها : الانتقال من أمر إلى أمر ، لا إبطال الأول .

فإن قلت : قدم في هذه الآية (هَذَا) على (نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا) وفي آية أخرى قدم (نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا) على (هَذَا) <sup>(٤)</sup> ؟ قلت : العرب تقدم ما هم بيشهه أعني ؟

﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ الضيق والضيق معنى ، ويجوز أن يكون الضيق معنى الضيق ، وقد يكون الضيق مخففاً من ضيق .

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفًا لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْعَحُولُونَ ﴾٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَا كُنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾٧٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴾٧٤ وَمَا مِنْ غَائِبٍ فِي السَّمَاءِ

= (٥ / ٣٢٤) ، فتح القدير للشوكتاني (٤ / ١٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٥٦) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٤٢).

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ / ٢٩١٤) ، ونسبه له السيوطي في الدر المثور (٦ / ٣٧٥).

(٣) في قوله تعالى : (لَقَدْ وَعَدْنَا تَحْنُونَ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ) سورة المؤمنون ، الآية (٨٣).

وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَعْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بِنَهْمٍ بِحُكْمِهِ، وَهُوَ أَعْزَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾

﴿رَدْفَ لَكُمْ﴾ ردف : يتعدى بنفسه ، ولا يجوز دخول اللام على المفعول المتأخر من فعل متعد ، وزيدت اللام في ﴿لَكُمْ﴾ كزيادة الباء ، كما في قوله : ﴿وَلَا تَنْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ (١) وقد يعود بـ " من " (١٦٨ / ١٠) كقول الشاعر [ من الطويل ] :

فَلَمَّا رَدَفْنَا مِنْ عَمِيرٍ وَصَاحِبِهِ تَوَلَّوْا سِرَاعًا وَالْمَنِيَّةُ تُعْنِقُ

أو ضمن ﴿رَدْفَ﴾ معنى فعل يتعدى باللام ؛ نحو : دنا . من عادة الملوك إذا اطلاعوا على نصيحة عبد لهم قالوا : يكون الخير ، وطب نفسها فيطمئن إلى ذلك وينزله منزلة الوعد الصريح ، وكذلك جرت عادة ملك الملوك وهو الله عز وجل ، يرد بـ " عسى " و " لعل " وليسنا من التصريح في شيء . الفضل والفضلة والإفضال معناه : وإن ربك لذو فضل على عباده بتأخير العقوبة . يقال : كنت الشيء وأكنته . ﴿وَمَانِ غَائِبَةً﴾ وكذلك خافية أي : ما من قضية ، والناء فيما للمبالغة ؛ كالعلامة والنسابة ؛ كالناء في الذبيحة والتطيحة ، المعنى : ما من شيء شديد الغيبة والخفاء إلا وهو معلوم عند الله .

لما بعث عيسى - عليه السلام - اختلفت الملل فيه ، فاتبعه قوم وكذبه آخرون ، وقدفه وأمه آخرون ، فأنزل القرآن بيان ما هو الحق في ذلك . ﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن القرآن هدى ورحمة لمن آمن منهم أو من غيرهم . قوله : ﴿يَقْضِي بِنَهْمٍ بِحُكْمِهِ﴾ أي : بعدهه ؛ لأنه لا يحكم إلا بالعدل ؛ فيسمى المحكوم به حكمًا مع أنه لا يجوز أن يقال : ضرب زيد بضربه ، ولا قتل بقتله ؛ لأن المعنى فيهما واحد ؛ بخلاف قوله : ﴿يَقْضِي بِحُكْمِهِ﴾ .

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَىَ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىَ الْحَقِيقَ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُشْعِي الْمَوْقَدَ وَلَا تُشْعِي الْأَصْمَ الدَّعَاءِ إِذَا وَلَوْا مَذْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنَّ بِهِدِيَ الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُشْعِي إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِيَقِينِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ثُكْلَمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْيَنَتِنَا لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تَخْشَى مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّنَ يُكَذِّبُ بِيَقِينِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَقَّ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِيَقِينِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا كُنْتُ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾

(١) سورة البقرة ، الآية (١٩٥) .

(٢) ينظر البيت في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٢٩٥) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٨١) ، وردفنا : دنونا . وتعنق : تسرع .

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الثابت ، وفيه بيان أن صاحب الحق عليه أن يتوكّل على الله ؛ لأنّه عمل الأمر بالتوكل بـ ﴿إِذَا﴾ الدالة على التعليل .

وقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُشْعِيْ المَوْقَ﴾ علل ترك اتباعهم بأنّهم مختوم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فجعلهم موتى وصُمّاً ؛ لأن إنذاره كُم لا يحصل لهم به نفع ؛ لكن رسول الله ﷺ يؤدّي به ما وجب عليه من البلاغ ، والأعمى إذا ولّ عنك هارباً كان بعيداً من فهم ما تقوله ؛ فلذلك قال : ﴿إِذَا وَلَوْا مُدَبِّرِينَ﴾ . ﴿إِنْ شَسِيْعُ﴾ أي : ما يجدي إلا من آمن بآيات الله وهو منقاد إلى ما يؤمر به . سمي مؤدي القول ومعناه قوله قوله : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعقاب . ﴿أَخْرِجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾ دابة الأرض هي : الجحاسة لا يدركها طالب (١٦٨ / ب) ولا يفوتها هارب . ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْتِيْنَا لَأَيُّوْقُنُونَ﴾ أي : بخروجي لأنّها من آيات الله ؛ فهذا من كلامها . وعن السُّدِّي : تكلّمهم ببطلان الأديان كلّها سوى دين الإسلام . وقيل : معها خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام ، تنكت المؤمن في وجهه فيستنير وجهه حتى يصير كالكوكب الدرّي ، وتنكت وجه الكافر فيسود وجهه<sup>(١)</sup> . وقيل : إنّها تخرج من الصفا . وقرئ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بالتحقيق<sup>(٢)</sup> أي : تجرّحهم ، وكذلك من قرأ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بالتشديد<sup>(٣)</sup> يجوز أن تكون متابعة في ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ؛ كما تقول : تجرّحهم وتجريّهم .

قوله: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِيَقِنَتِيْ وَلَرَجَحْتُمْ بِهَا عِلْمًا أَمَّا مَا كُنْتُ تَعْمَلُونَ﴾ تبكيت بلّيغ ، جعل فيه صدر الكلام هو المقصود ، وهو قوله : ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِيَقِنَتِيْ وَلَرَجَحْتُمْ بِهَا عِلْمًا﴾ وجعل بقية الكلام تشبيهاً بكلام المغضب الذي يقول لوكيله الخائن : أنت كنت تأكل مالي ، أمّا ماذا كنت تصنع ؟ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوْنَ﴾ أي : القول ، وهو العذاب .

﴿أَمْرَرُوا أَنَا جَعَلْنَا أَيْلَلَ لِسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبَصِّرًا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآتَيْتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

(١) رواه الترمذى رقم (٣١٨٧) ، والطبرى في تفسيره (٢٠ / ١٥) وقال الترمذى : حسن غريب .

(٢) وهي قراءة ابن عباس وابن جعفر ومجاهد وأبي زرعة والحدّري . تنظر في : الإمام للعكبرى

(١٧٥ / ٢) ، البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٠) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٢٨) ، الدر المصور

للسمين الحلّي (٥ / ٣٢٨) ، فتح القدير للشوكتانى (٤ / ١٥٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٠) ،

المحتسب لابن جي (٢ / ١٤٤) ، معانى القرآن للفراء (٢ / ٣٠٠) .

(٣) قرأ بها جمهور القراء . تنظر في المراجع السابقة .

وَيَوْمَ يُنَفَّخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَهٌ دَخِيرٌ<sup>(١)</sup>  
وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَمِيرٌ بِمَا  
تَفْعَلُونَ<sup>(٢)</sup>

قوله : «وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا» أي : يبصر به ؛ كقوله : «وَإِنَّا نَأْمُوذُ النَّافَّةَ مُبْصِرَةً»<sup>(١)</sup> وإنما  
قال : «فَنَزَعَ» بلفظ الماضي ؛ لأن أحوال القيامة تأتي في كتاب الله بالماضي ؛ إشارة إلى  
تحقيق ما قرن به . «وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَاعَقَ»<sup>(٢)</sup> «وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَصْحَابَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup> «وَنَادَى أَصْحَابَ  
الْأَعْرَافِ»<sup>(٤)</sup> «وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ»<sup>(٥)</sup> وغير ذلك . قوله : «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» قيل : هم  
جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرايل<sup>(٦)</sup> . وقيل : هم الشهداء<sup>(٧)</sup> . وقيل : الحور وخزنة  
النار وحملة العرش<sup>(٨)</sup> . وعن جابر : منهم موسى ؛ لأنَّه جزي بصعنته في الطور<sup>(٩)</sup> .

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٩).

(٢) سورة الزمر ، الآية (٦٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآيات (٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠).

(٤) رواه الطبرى في تفسيره (٢٤ / ٢٩) مرفوعا عن النبي ﷺ وعن السدى . وفيه : "ملك الموت" بدل  
"عزرايل" . والثابت في الأحاديث ذكر ملك الموت بغير تسمية ، أما تسميته في بعض الكتب فقال  
الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣ / ٤٥٨) في تفسير قوله تعالى في سورة السجدة : «فَلَمْ يَوْقُنْ مَلِكُ  
الْمَوْتِ» : "الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المبادر وقد سمي  
في بعض الآثار عزرايل وهو المشهور قاله قادة وغير واحد" .

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب "الإماع بالأربعين المتباينة السمعان" (١٠٨ / ١) : "تسمية ملك  
الموت عزرايل اشتهر ذلك بين الناس وقد راجعت مهمات القرآن لأبي القاسم السهيلي فلم أجده ذلك  
فيه ثم راجعت تفسير القرطبي فوجدته ذكر أن اسم ملك الموت عزرايل ولم ينسبه لقاتل ولا ذكر فيه  
أثرا ، ثم راجعت تفسير الثعلبي فوجدت في ذلك فوجدت في كتاب العظمة لأبي الشيخ ، ثم نقل الحافظ عن أبي الشيخ  
الكتلي ، ثم تتبع الآثار في ذلك فوجدت في كتاب العظمة لأبي الشيخ ، ثم ضعيف ورجال هذا  
بسنده حديث وفيه أن اسم ملك الموت عزرايل ، ثم قال الحافظ ابن حجر : "ضعيف ورجال هذا  
السدن يوثقون ولكن أشعث شيخ عنبرة هو ابن جابر الحراني وهو تابعي صغير والحديث معرض . وقال  
السيوطى في شرحه لسن النسائي (٤ / ١١٨) : "لم يرد تسميته في حديث مرفوع وورد عن وهب بن  
منبه أن اسمه عزرايل رواه أبو الشيخ في العظمة" .

(٥) رواه الطبرى في تفسيره (٢٤ / ٣٠) مرفوعا ، وعن سعيد بن جير .

(٦) نسبة السيوطى في الدر المنشور (٧ / ٢٥١) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه .

(٧) نسبة السيوطى في الدر المنشور (٧ / ٢٥١) لابن المنذر عن جابر رضي الله عنه .

الداخرون : الصاغرون . **﴿جَاءَمَدَةً﴾** أي : واقفة في مكانها ، يقال : جمد في مكانه إذا لم يتحرك ، **﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾** مراً حيثاً ؛ كما تمر السحاب وكذلك الأجرام العظام المتراكمة العدد ؛ قال الشاعر [ من الطويل ] :

**بِأَزْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَهْمَمْ  
وُقُوفُ الْحَاجِ وَالرَّكَابُ تَهْلِكُ**

**﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾** من المصادر الموجدة ، ومثله : **﴿صَبْغَةَ اللَّهِ﴾**<sup>(٢)</sup> و**﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾**<sup>(٣)</sup> و**﴿كَتَبَ اللَّهِ﴾**<sup>(٤)</sup> . وهذا المصدر يقصد به المبالغة ، وهذا أتبع كل واحد منها بما يقويه ، **﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**<sup>(٥)</sup> . **﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً﴾**<sup>(٦)</sup> . **﴿وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفِي الْمِيعَادَ﴾**<sup>(٧)</sup> .

**﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ، خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ مَا يَمْنُونَ﴾**<sup>(٨)</sup> **وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ**  
**فِي الْأَنَارِ هَلْ تُجْزَوُنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**<sup>(٩)</sup> **إِنَّمَا أَمْرُتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّكَ هَذِهِ الْبَلْدَةُ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**<sup>(١٠)</sup> **وَأَنْ أَتُلُّ الْقَرْبَانَ فَمَنْ أَهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا آنَاءِنَّمِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾**<sup>(١١)</sup> **وَقُلْ لِلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدِكُمْ إِيَّاهُ فَنَعْرُوْهُنَا وَمَارِيَكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**<sup>(١٢)</sup>

قوله : **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ، خَيْرٌ مِنْهَا﴾** يريد الإضعاف ، وقوله : **﴿خَيْرٌ﴾** ليس من أفعال التفضيل في شيء ؛ إذ لا شيء أفضل من لا إله إلا الله قال النبي ﷺ : " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلني : لا إله إلا الله وحده لا شريك له " <sup>(٨)</sup> .

(١) البيت للنابغة الجعدي ، ينظر في : تفسير الطبرى ( ٢٠ / ٢١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٨٧ ) ، لسان العرب لابن منظور ( صرد ) والأرعن : الجبل العالى . والطود : الجبل العظيم . و حاج : اسم جمع واحدة حاجة والركاب : المطي . وتهلك : تسرع ، والمعنى : حاربنا العدو بجيش عظيم ، تظنهم وافقين حاجة لكثتهم ، وال الحال أن ركبهم تسرع السير .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٨ ) .

(٣) سورة الرعد ، الآية ( ٣١ ) .

(٤) سورة النساء ، الآية ( ٢٤ ) .

(٥) سورة النمل ، الآية ( ٨٨ ) .

(٦) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٨ ) .

(٧) سورة الرعد ، الآية ( ٣١ ) .

(٨) رواه أحد في المسند ( ٢ / ٢١٠ ) ، والترمذى رقم ( ٣٥٨٥ ) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وصححه الشيخ الألبانى في السلسلة الصحيحة رقم ( ١٥٠٣ ) .

والمراد : فله خير يتجدد منها ؛ لأن العمل ينقطع والجزاء يدوم . وقرئ **﴿يَوْمَذِ﴾** بالفتح مع الإضافة إلى غير المتمكن ؛ كقوله : **﴿إِنَّهُ لَحُقُوقٌ مَّا أَنْكُمْ تَنْطَلِعُونَ﴾**<sup>(١)</sup> . وقرئ منصوبًا مع تنوين **﴿فَرَعَ﴾**<sup>(٢)</sup> والفرق بين الفزعين أن الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع من رعب وهيبة وإن كان آمنًا في حصول الضرر؛ كما يدخل الداخل على الملك بصدر ملوء هيبة . وأما الثاني فللخوف من العذاب ، ونكر (الفزع) على قراءة من قرأ **﴿يَوْمَذِ﴾** وتلوين **﴿فَرَعَ﴾** لأن المراد نوع واحد من الفزع ، وهو خوف العقاب لا الخوف عند استشعار أمر عظيم ؛ فإن البشرية تقتصيه ولا يخلو منه أحد ، ويحتمل أن يريد نوعًا شديداً من الفزع فيكون للتعظيم . **﴿أَمَّا مُؤْمِنُونَ﴾** أمن يتعدى بنفسه تارة ؛ كقوله : **﴿أَفَأَمْنُوا مَكْرَهَ اللَّهِ﴾**<sup>(٣)</sup> ويتعذر بحريف الجر تارة أخرى ، تقول : أمنت من زيد .

وقيل : **﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾** الإشراك . يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة ؛ فكأنه قال : **﴿فَكَبُرُوا فِيهَا﴾** ؛ كقوله : **﴿فَكَبَرُوكُبُرُوا فِيهِمْ وَالْفَارُونَ﴾**<sup>(٤)</sup> . ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إذنًا بأنهم يكتبون على وجوههم ؛ قال الله تعالى : **﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي الْتَّارِىَّةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾**<sup>(٥)</sup> . ويجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب **﴿يَاضْمَارَ الْقَوْلِ﴾** . أمر رسوله أن يقول : **﴿إِنَّمَا أَمْرَتُ﴾** يعني : أن الله أمر نبيه أن يعبده ويعوده ، وأنثى على نفسه بأنه رب مكة وجعل ملكه لسائر الموجودات بعًا لملكه ملكة . **﴿وَأَمْرَتُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** الثابتين على الإيمان . **﴿وَأَنَّ أَتَلُوا الْقُرْآنَ﴾** يجوز أن يريد : وأن أقرأ القرآن ، ويجوز أن يريد : وأن أتبع ما في القرآن من الأمر والنهي من قوله : **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا لَهَا﴾**<sup>(٦)</sup> . أي : تبعها ، و**﴿الْبَلْدَة﴾** مكة الذي حرم

(١) سورة الذاريات ، الآية (٢٣) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر (من فرع يومئذ) بالإضافة وعدم تنوين وفتح ميم " يومئذ " . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (فزع يومئذ) بالإضافة وكسر ميم وتلوين " يومئذ " . وقرأ عاصم ومحزنة والكسائي (من فزع يومئذ) بالتنوين وفتح ميم " يومئذ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٢) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٤٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٧٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٤٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٢) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٠) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٩٩) .

(٤) سورة الشعراء ، الآية (٩٤) .

(٥) سورة القمر ، الآية (٤٨) .

(٦) سورة الشمس ، الآية (٢) .

صيدها وقطع شجرها واحتلاء خلاها .

وقرئ " التي حرمتها " <sup>(١)</sup> ﴿سَرِيعُكُمْ إِذَا نَاهَىٰهُ﴾ وهو ما حلّ بهم يوم بدر من القتل والأسر، وما حلّ بهم قبل ذلك من القحط والدخان (١٦٩ / ب) .

وقيل : هو كقوله : ﴿سَرِيعُهُمْ إِذَا نَاهَىٰهُ﴾ <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) فرأها ابن عباس وابن مسعود . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٢) ، تفسير القرطبي (١٣ / ٢٤١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٣٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ١٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٣) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٤ / ٢٢٢) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٥٣) .

## سورة القصص [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّمَ ① تِلْكَ أَيَّتُ الْكِتَبِ الْبَيْنِ ② نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ  
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ③ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ  
يُذَيْحُ أَبْشَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِيهِ شَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ④ وَنَرِيدُ أَنْ نَعْنَى عَلَى الَّذِينَ  
أَسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمْ الْوَرَثِينَ ⑤ وَنُمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي  
فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجُنُودَهُمْ مَا كَانُوا يَحْدُرُونَ ⑥ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُورًا مُّؤْمِنَةً أَنْ أَرْضُعِيهِ  
فَإِذَا حَفَّتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْرِفْ ⑦ إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاءُوكُمْ مِنْ  
الْمُرْسَلِينَ ⑧﴾

﴿مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ أي: نتلوا عليك بعض نبأ موسى وفرعون. «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» لم سبق في علمتنا أنه مؤمن «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» طغى فيها ، وعني بالأرض أرض مملكته ، وجاوز الحد . «شَيْعًا» فرقاً يشيرونه على ما يريد ، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته ويسخرهم في البنيان وغيره ومن لم يستعمله ضرب عليه خراجاً. أو فرقاً مختلفة قد أغري بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط ، وبنو إسرائيل هم المستضعفون ، وسبب ذبحه الأبناء أن كاهناً قال له : سيولد في هذا العام مولود يكون هلاكك وزوال ملكك على يده ؛ فأمر بذبح الأبناء واستبقاء المولودات .

﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ حال من الضمير في جعل . «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» وذلك لأن الكاهن إن صدق لم يعن الحذر ، وإن كذب فلا معنى للذبح ؛ فكان القتل فساداً .

﴿وَنَرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية ، ويجوز أن يكون حالاً من «يَسْتَضْعِفُ» أي: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نعن عليهم . «أَيْمَةً» مقدمين في الدين والدنيا . وقيل: ملوكاً .

﴿الْوَرَثِينَ﴾ يرثون فرعون وقومه وأموالهم . «الْيَمِّ» البحر . وقيل: نيل مصر . قوله: «فَإِذَا حَفَّتِ عَلَيْهِ» أي: من أمر الذباхين فاسكني إلى وعد الله بنجاته .

وقوله ثانياً: «وَلَا تَخَافِ» أي: لا تخافي عليه الغرق ، أو من الذباхين ، أو أن يقع في يد

بعض العيون . والفرق بين الحزن والخوف أن الخوف غُم يلحق الإنسان متوقع ، والحزن غم يلحق الواقع ، وهو فراقه وإلقاؤه في البحر ، ويروى أنه ذُبح في طلب موسى سبعون ألفاً ، وكانت بعض القوابل من جملة عيون فرعون ، وكانت مصادفية لأم موسى؛ فقالت لها أم موسى : لتنفعني محبتكاليوم. فلما وضعته ظهر معه نور بين عينيه، فعظم في قلبها وأحبته فلم تنم على الولد ، فلما خرجت دخل الذباخون، فأخذت ابنها من الدهش<sup>(١)</sup> فالقتة في النار والتلوّن مشتعلة فيه ، ولا تدري ما تصنع ، فلما خرج الذباخون لم تدر أين ولدها ، فسمعت بكاءه في النار ، فوجده قد صار عليه بردًا وسلامًا ، فلما ألح فرعون في قتل الولدان (أ/١٧٠) أوحى الله إليها أن تلقيه في اليم . وروي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من برد يطلبي بالقارب من داخله .

**﴿فَالْقَاطِهُءَاءَلِفَرْعَوْنَلِيَكُونَلَهُمْعَدُواوَحَزْنًا إِنَّفِرْعَوْنَوَهَمَنَوَجَهْوَهُمَا  
كَانُواخَدْطِعِينَ ٨﴾** وَقَالَتِ امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِتِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ  
تَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩﴾

قوله: **﴿لِيَكُونَلَهُمْعَدُوا﴾** " ليكون " منصوب بلام كي التي للتعليق ، في مثل قوله: ضربت بني للتآديب ، ولكن التعلييل - ها هنا - مجاز؛ لأن التقاطه لم يكن ليكون لهم عدوا؛ فإن الالتقاط لا يتبع العداوة ، ولكن لما كانت العداوة قرينة لهذا الفعل استعير له التعلييل كما يستعار لفظ الأسد للشجاع . وقرئ " وَحَزْنًا " <sup>(٢)</sup> وهم لغتان ؛ كالعدم والعدم .

**﴿كَانُواخَادْطِعِينَ﴾** فليس خطؤهم في تربية موسى ببدع أو كانوا مجرمين خاطئين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم .

فلما وقع التابوت في أيديهم عاجلوا فتحه فلم يستطيعوا فدنت آسية امرأة فرعون فعالجهته ففتحته فرأته بين عينيه نورًا هالها عظمها فاحبته محبة شديدة ، وكان موسى عليه السلام لا

(١) الدهش : ذهاب العقل من الذهل والوله . وقيل : من الفزع وفحوه ، ودهش الرجل بالكسر دهشا: تغير . ينظر : لسان العرب (دهش) .

(٢) قرأ بها حزة والكسائي وخلف ، وقرأ بقية العشرة " وَحَزْنًا " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٥) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٧٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٣٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٩٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٦٦) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤١).

يراه أحد إلا أحبه ، وقد قال الله تعالى في حقه : ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَجْبَةً﴾<sup>(١)</sup> وكانت لفرعون ابنة برصاء ، قالت له الكهنة : إن هذا المرض لا يزول إلا بشيء يحيي من قبل البحر شبيه بالإنسان ، لعا به شفاؤها ؛ فأخذ من ريقه ولطخوا ذلك البرص فبرئ .

وقيل : لما نظرت إلى وجه موسى برأت فقالوا : إن هذه لسمة مباركة فأحبوه ، وهم فرعون بقتله فمنعته آسية واستو هبته منه . قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من آل فرعون ، والتقدير : فاللقطه آل فرعون وهم لا يشعرون أنه المولود الذي يكون هلاكهم على يديه . قوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ﴾ إلى قوله : ﴿خَطِيعِينَ﴾ جملة معترضة .

﴿وَأَصْبَحَ قَوَادُ أُمَّةٍ مُؤْسَوٍ فَرِيقًا إِنْ كَادَتْ لَنْبَدِي يَهُ، لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ، قُصْبِيهِ فَبَصَرَتْ يَهُ، عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ<sup>(١١)</sup> وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَاتَ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ لَذَّاصُحُونَ<sup>(١٢)</sup> فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ، كَيْ نَفَرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْرَكَ وَلَتَعْلَمَ أَنْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْتَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(١٣)</sup> وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى إِلَيْتِهِ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ بَعْرِي الْمُحْسِنِينَ<sup>(١٤)</sup> وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا افْوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَأَسْعَثَهُ اللَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ، عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَرَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَيْنَهُ<sup>(١٥)</sup> قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُنْيَانٌ<sup>(١٦)</sup>

﴿فَرِيقًا﴾ صفرًا من العقل لشدة ما دهمها من وقوع موسى في يد فرعون . ﴿لَنْبَدِي يَهُ﴾ لتصرّح به . ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بإلهام الصبر ؛ كما يربط على الشيء المتقلب .

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بالوعد ، وهو قوله : ﴿إِنَّا رَدْدُهُ إِلَيْكَ﴾ ويجوز : وأصبح فقادها فارغاً من الهم حين سمعت أن فرعون أحبه وتبناه . ﴿كَادَتْ﴾ تبدي بأنه ولدها لسرورها بما سمعت ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواثقين بوعيد الله .

﴿قُصْبِيهِ﴾ قصي أثره ، وتبعي خبره . وقرئ " فبصَرَتْ " (١٧٠ / ب) وهما

(١) سورة طه ، الآية (٣٩)

(٢) قرأ " فبصَرَتْ " بكسر الصاد عيسى بن عمر ، وقرأ " فبصَرَتْ " بفتح الصاد ، وقرأ الجمهور " فبصَرَتْ " بضم الصاد . تنظر القراءات في : البحر الخيط لأبي حيان (١٠٧ / ٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٣٤) ، فتح القدير للشوكانى (٤ / ١٦١) ، الكشاف للزخشري (٣ / ١٥٩) .

لغتان ، بمعنى علمت . و **﴿عَنْ جُنْبِ﴾** أي : عن جانب ؛ يقال : قعد على جنبه وإلى جنبه ، أي : نظرت إليه مزوررة ؛ حتى لا يحسروا أنها أخته . التحرير استعارة للمنع وذلك أن الله تعالى منعه قبول المرضاع ، فلم يقبل ثدي امرأة حتى جاءت أمه ووجد ريحها ارتفاع حتى امتلاً جنبها . **﴿الْمَرَاضِع﴾** جمع مرضعة . وقيل : جمع مرضع ، وهو موضع الرضاع من قبل قصها أثره .

روي أنها لما قالت : **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** قال هامان : إنها لتعرفه ، فقالت : إنما أردت وهم للملك ناصحون ، والنصح : خلاص العمل من شوائب الفساد فجاءت أخته بأمه فوجدت موسى على يد فرعون يبكي ، ويطلب الرضاع ؛ فدفعه إليها وأجرى عليها رزقاً وذهبت به إلى بيتها وأنجزت الله وعده في قوله : **﴿إِنَّا رَأَدْوُهُ إِلَيْكُ﴾** فعند ذلك استقرَّ عندها أنه سيكون مرسلًا في قوله : **﴿فَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**<sup>(١)</sup> وجاز لها أن تأخذ ما أعطاه فرعون لأنَّه مال حربي مباح **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أنه حق فيرتابون ، وفيه تسميع لأم موسى حيث لحقها الجزع حين وقع ولدتها في يد فرعون .

**﴿وَأَسْتَوَى﴾** واعتدل ، وبلغ الأشد : أربعون سنة وهي التي يبعث فيها الأنبياء . **﴿حُكْمًا﴾** السنة ، و **﴿وَعِلْمًا﴾** التوراة . وقيل : معناه : آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلاً يستجهل فيه . **﴿الْمَدِينَة﴾** مصر . وقيل : ريف من ضياع مصر و " حين غفلتهم " : ما بين العشرين . وقيل : وقت القائلة . وقيل : يوم عيدهم وهو مشتغلون بلهوهم فيه . وقيل : لما استحكم عقله شرع يتحدث في إبطال المذاهب الفاسدة فهو عن ذلك . **﴿شِيكِيه﴾** من شاعره على دينه منبني إسرائيل . **﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾** من مخالفيه من القبط ، وكان يسخر الإسرائيلي بحمل الخطيب إلى مطبخ فرعون . والوكز : الدفع بأطراف الأصابع . وقيل : بجميع الكف ، وجعل قتل الكافر **﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ﴾** لأنه وقع من غير إذن فيه .

**﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي طَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (١٦) **﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ طَهِيرًا لِلْمُجْرَمِينَ﴾** (١٧) **﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَرْقَبُ فَإِذَا الَّذِي أَسْتَصْرَهُ إِلَيْهِمْ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغُوَّثٌ مِّنْ﴾** (١٨) **﴿فَلَمَّا أَنَّ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَمْوِسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ**

تُكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ١١) وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِلَيْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ١٢) فَرَجَعَ مِنْهَا خَلِيفًا يَرْتَقِبُ قَالَ رَبِّيْتُ بَعْضِيْنَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٣) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّتُ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّكِيلِ ١٤) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَوْرُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتِينَ تَذُوَّدَانِ قَالَ مَا حَطَبُكُمَا قَالَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الْرِّعَاةُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ١٥) فَسَقَى لَهُمَا ثَمَّ تَوَلَّ إِلَى الْأَطْلَلِ فَقَالَ رَبِّيْتُ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ١٦)

قوله : «بِمَا آنْعَمْتَ عَلَيَّ» يجوز أن يكون قسمًا؛ أقسم بما أنعم الله عليه . «فَلَنْ أَكُونْ ظَهِيرًا» ويجوز أن يكون استعطافاً؛ كأنه قال : رب اعصمني بما أنعمت عليٌّ من المغفرة ؛ فلن أكون إن تعصمني - ظهيراً للمجرمين ، وأراد بظاهرة المجرمين : إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته (١٧١/١) وتکثیر سواده ، وكان عند فرعون كالولد ، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم كما أدت نصرة الإسرائيли إلى القتل . وقيل : معناه : بما آنْعَمْتَ عَلَيَّ من القوة فلن أستعملها إلاً في مظاهرة أولئك . «يَرْتَقِبُ» المکروه ، وهو طلب القوْد<sup>(١)</sup> منه ، أو يترقب الأخبار وما يقال عنه .

«إِلَّا ذَيْ هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا» القبطي ، لأنه ليس على دينهما . والجبار : الذي يقتل ويضرب عند الغضب . وقيل : المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله . ولما قال هذا وصل آل فرعون وهموا بقتله . قيل : الرجل : مؤمن آل فرعون ، وكان ابن عم فرعون .

«يَسْعَى» يجوز أن يكون ارتفاعه وصفاً لرجل وانتسابه حالاً منه ؛ لأنه قد تخصص بأن وصف من قوله : «مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ». «تِلْقَاءَ مَدِينَ» قصدها ونحوها ، ومدين : قرية شعيب عليه السلام ، سميت بذلك ؛ لأن مدين بن إبراهيم نزلها ولم تكن في سلطان فرعون، بينما وبين مصر ثمانية أيام ، وخرج وهو لا يدرى كيف الطريق ، بل وثق بربه وهدايته فقال : «عَسَى رَبِّتُ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّكِيلِ» أي : وسط الطريق . وقيل : حماه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين . «مَاءَ مَدِينَ» الماء الذي يستقون منه ، وكان بثراً . ووروده : الوصول إليه . «وَجَدَ عَلَيْهِ» وجد فوق شفирه ومستقاه . «أُمَّةً» جماعة كثيرة العدد من الناس من أناس مختلفين . «مِنْ دُونِهِمْ» من مكان أسلف من مكانهم . والذود :

(١) تقدم معنى القوْد في تفسير سورة الشعرا ، الآية (١٤) .

الطرد والدفع ، وكان على الماء من هو أقوى منها ؛ فلا يتمكنا من السقي . ﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الْعَكَاءُ ﴾ أي : حتى يذهب . ﴿ كَبِيرٌ ﴾ كبير السن لا يقدر على السقي . ﴿ فَسَقَنَ لَهُمَا ﴾ سقي عنهم لأجلهما . وقيل : إن الرعاة كانوا يضعون حجراً على البئر لا يقله إلا سبعة . وقيل : عشرة . وقيل : أربعون . وقيل : مائة فأقله موسى وحده ، وساغ لشعب عليه السلام أن يستعمل ابنته في سقي الماشي ، وذلك لا يليق برفعة قدرهن ؛ لأن العوائد في ذلك مختلفة . ﴿ إِنَّ ﴾ لأي شيء أزلته إلى من قليل أو كثير لفقير ، وإنما عدي ﴿ فَقِيرٌ ﴾ باللام ؛ لأنه ضمن معنى سائل وطالب . قيل : ذكر ذلك وخضرة البقل ترى في بطنه من المزال ، ما سأله إلا أكله (١٧١/ ب) ويحمل أن يريد : إنني فقير من الدنيا ، غني بما أتيتني من النجاة من الظالمين ومن العلم والحكمة ، وكان الظل ظل شجرة .

﴿ فَهَاءَتْهُ إِحْدَى لَهُمَا تَمَشِّي عَلَى أَسْتَهِيَّاً قَالَتْ إِنِّي بِدَعْوَكَ لِيَجْزِيَكَ أَخْرَى مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ تَبْجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ ٢٥ ﴾ قَالَتْ إِحْدَى لَهُمَا يَتَأَبَّتْ أَسْتَهِيَّاً إِنِّي خَيْرٌ مِنْ أَسْتَهِيَّاً الْأَمِينِ ﴿ ٢٦ ﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْجَحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَذِيَّنَ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَّاجَ فَإِنْ أَتَمْمَتْ عَشَرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَى عَلَيْكَ سَتَجْدِفَتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنَ وَيْنَكَ أَيْمَانَ الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُذْوَنَ عَلَى وَاللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿ ٢٨ ﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ إِنْسَنَ مِنْ جَانِبِ الظُّرُورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ أَنْكُثُوا إِنِّي عَانَتْ نَارًا لَعْنِي مَا تَكُونُ مِنْهَا بَغْيًا أَوْ حَذْوَرَةً مِنْ الْتَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ فَلَمَّا أَتَهَا تُودِيَ مِنْ شَطِّي الْوَادِ الْأَيْنَ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَنْمُوسَعَ إِذْتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَأَنَّهُ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نَهَرَ كَاهِنًا جَاهَ وَلَنْ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَنْمُوسَعَ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿ ٣١ ﴾ أَسْكُنْ يَدَكَ فِي جَيْلِكَ تَخْرُجْ يَعْصَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوَّعَ وَاصْبِرْ إِنِّي لَكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنَكَ بِهِنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِيْنِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿ ٣٢ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُتِلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَلَا خَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ ٣٣ ﴾ وَأَخِي هَكْرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِ لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رَدَاءً يُصَدِّقُهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ ٣٤ ﴾ قَالَ سَنَشِدُ عَصْدَكَ يَا خَيْكَ وَتَجَعَّلُ لَكُمَا سُلْطَنَا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمَا بِنَاءِنَا أَنْتَمَا وَمِنْ أَنْبَكُمَا الْغَلَبُونَ ﴿ ٣٥ ﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بَيَانِنَا بَيَانِنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهِنَانِ فِي مَابَانِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿ ٣٦ ﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّ أَعْلَمْ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَيْقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يَقْلِعُ الظَّالِمُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةِ مَا عِلْمْتُ لَكُمْ مِنِّي إِلَّا عَيْرٍ فَأَوْقَدْتِي يَنْهَمَنُ عَلَى الظَّلَّمِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعْكَى أَطْلَعُ إِلَيْكُوكَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٢٨﴾

﴿عَلَى أَسْتِحْيَا﴾ أي : مستحبية متاخرة <sup>(١)</sup> قد استترت بكم درعها ، وإنما ماشي موسى ابنة شعيب ؛ لأن هذه الحالة يقطع فيها بالأمن من الفتنة ، نبُّيُّ كريم وابنته نبِيٌّ .

وقوله : ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾ لم يقبله موسى على أنه أجرة ؛ بل ضيافة وكرامة لما علم أنه من أولاد إبراهيم ، ومثله من يكرم ويختلف بأمره .

وقولها : ﴿إِنَّ خَرَّ مِنْ أَسْتَشَحَرَتِ الْقَوَاعِدَ الْأَمِينَ﴾ كلام حكيم جامع لا مزيد عليه ؛ لأنه إذا حصل في وكيلك الأمانة والكافية فقد تفرغ بالك من جهته . قوله عز وجل : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةِ مَا عِلْمْتُ لَكُمْ مِنِّي عَيْرٍ﴾ قصد بنفي علمه باليه غيره نفي وجود معناه : ما لكم من إله غيري ؛ كقوله تعالى عن ذاته المقدسة : ﴿قُلْ أَتَنْبَئُونَ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ <sup>(٢)</sup> ، لأن العلم تابع للمعلوم يتعلق به على ما هو عليه ، ويجوز أن يكون المراد أن إلهًا آخر غير معلوم عنده ، ولكنه مظعون كما قال في آخر الآية : ﴿وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَذَّابِينَ﴾ ولو لم يكن المخدول ظاناً كالبيتين ، بل عالماً بصحة قول موسى عليه السلام ؛ لقول موسى له : ﴿قَالَ لَقَدْ عِلْمَتَ مَا أَنْزَلَ رَبُّكَ تَهْوِلَةً إِلَارَبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارَرَ﴾ <sup>(٣)</sup> لما تكلف ذلك البيان العظيم ولا تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى ، وإن كان جاهلاً مفروط الجهل به وبصفاته ؛ حيث حسب أنه في مكان ، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته ، وليت شعري أكان يضحك على أهل بلاده ويسخر منهم ، أم كان هو بهذه الصفات ؟ فإن صح ما يروى من عود الشابة <sup>(٤)</sup> إليه ملطخة بالدم فتهكم به بالفعل ؛ كما جاء التهكم بالقول في آيات كثيرة ، ويجوز أن يفسر

(١) الحفر بالتحريك : شدة الحياة ، وخفرت المرأة خفراً وخفارة ، فهي خفرة على الفعل ومتاخرة ، وتحفَرَتْ : اشتد حياوتها . ينظر : لسان العرب ( خفر ) .

(٢) سورة يوونس ، الآية ( ١٨ ) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ١٠٢ ) .

(٤) الشابة بضم النون وتشديد الشين المعجمة وموحدة وبناء التأنيث ودونها : السهم . لسان العرب ( نشب ) .

الظن على القول الأول باليقين ، ويكون بناء الصرح مناقضة لما أدعاه من العلم واليقين ، وإنما قال : «فَأَوْقِدَ لِي يَنْهَمَنْ» ولم يقل : اطبغ لي الأجر ؛ لشدة اهتمامه بناء الصرح ومناداة هامان الوزير بالأمر بالطبح ، ودخول حرف النداء في وسط الكلام دليل التعظم والتجلب . وعن عمر : أنه حين سافر إلى الشام ورأى (١٧٢) القصور المتخذة بالأجر قال : " ما علمت أن أحداً بنى بالأجر غير فرعون " <sup>(١)</sup> . والطلوع والإطلاع يعني الصعود . والاستكبار بالحق إنما هو الله - عز وجل - فهو المتكبر على الحقيقة .

وعن رسول الله ﷺ فيما حكى عن ربه - عز وجل - : " الكربلاء ردائی والعظمة إزاری ، فمن نازعني واحداً منها ألقیته في النار " <sup>(٢)</sup> .

**﴿وَاسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنْهُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَلَّوْا أَهْمَمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ٢٩﴾**  
**﴿فَأَخْذَنَاهُ وَجُنْهُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَةُ الظَّالِمِينَ ٣٠﴾**

«يُرْجَعُونَ» بالضم والفتح <sup>(٣)</sup> . قوله : «فَأَخْذَنَاهُ وَجُنْهُودَهُ، فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ» من الكلام الفخم الدال على العظمة ؛ شبيههم مع كثريتهم بمحضيات أخذهن آخذة في كفه فطر رحهن في البحر ، ومثله قوله - تعالى - : «وَحَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجَاهَلُ فَذَكَارَهُ وَجِهَةَ» <sup>(٤)</sup> . «وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ» <sup>(٥)</sup> وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لا قدراته ، وإن كل مقدر وإن عظم وجل فهو حقير بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى .

**﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُصَرِّفُونَ ٣١﴾**  
**﴿وَأَتَبْعَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَغَسْكَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ٣٢﴾**

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥ / ٢٤٤) ونسبة عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم بنحوه .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢ / ٤١٤ ، ٣٧٦ ، ٢٤٨) ، وأبو داود رقم (٤٠٩٠) ، وابن ماجه رقم (٤١٧٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه ابن ماجه رقم (٤١٧٥) ، وابن حبان رقم (٥٦٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهم .

(٣) قرأ بفتح الباء والبناء للملعون " يُرْجِعُونَ " نافع حزة والكسائي ، وقرأ الباقون " يُرْجَعُونَ " بالضم والبناء للمجهول . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٣) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٩٤) .

(٤) سورة الحاقة ، الآية (١٤) .

(٥) سورة الزمر ، الآية (٦٧) .

الْكِتَبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ الْأُولَى بِصَارِبٍ لِلنَّاسِ وَهَذِي وَرَحْمَةٌ لِعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبَةِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَيْنَا مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّهِيدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكُنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَنَطَّاولُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَاوِيَّاً فَإِنَّ أَهْلَ مَدِينَتِنَا تَنَلُّو عَلَيْهِمْ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الظُّرُورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكُنْ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ لِشَذِيرٍ فَوَمَامًا أَتَاهُمْ مِنْ شَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لِعَاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَتَيْهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّيَعْ مَابَيْكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَاتَلُوا لَوْلَا أُوقِقَ مِثْلَ مَا أُوقِقَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوقِقَ مُوسَى إِنْ قَبْلُ فَالْأُوْسَخَرَانَ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَا بِكُلِّ كُفُرُونَا ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل : **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾** أي: دعوناهم بهذه السمة ؟ كقوله تعالى : **﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّهُمْ﴾**<sup>(١)</sup> . لم يصيروهم إنسانا ، بل : وصفوهم بذلك .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمةُ لَا يُنَصَّرُونَ﴾ كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الحق . (من المقطوعان) من المطرودين . البصيرة : نور القلب ؛ كما أن التبصر نور العين ؛ سماها بصائر؛ لأنها سبب في الاهتداء بكشف الغطاء عن الحقائق . ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنهم لو عملوا بها لوصلوا إلى نيل الرحمة . يجوز أن يكون المراد : ترجي موسى هدایتهم ؛ كقوله : ﴿لَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْفَى﴾ (٢) . ﴿الْفَرِيقَ﴾ المكان الواقع في شق الغرب ، وهو موضع خطاب الله لموسى ، وقوله عز وجل : ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي : خاطبناه بالأمر والنهي ، وثواب المطيع وعقاب العاصي ، والمعنى بقوله : ﴿وَلَذِكْرًا أَنْشَأْنَا﴾ الاستدراك ، أي : أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهده . ﴿فُرُونًا﴾ كثيرة ﴿فَنَطَّاولُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إلى القرن الذي أنت فيه ، واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك ، فذكر سبب الوحي الذي هو طول الفترة ودلل به على المسبب ، وإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكيين بعده ، ودلل (١٧٢/ب) هذا الكلام على أنبعثة الرسل حق ، ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل من كسب الأيدي وإن كان من أعمال القلوب ، والمعنى : ولو لا كراهة أن تصيبهم مصيبة فيقولوا : ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَا رَسُولًا فَتَنَعَّمَ مَا يَنْتَلِكُ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فبعث الرسل لقطع المعاذير ؟

(١) سورة الزخرف ، الآية (١٩).

(٢) سورة طه ، الآية (٤٤).

لقوله ﴿وَمَا كَانَ مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَّثَ رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup>. ﴿فَلَمَّا﴾ جاءتهم الرسل تعنتوا واقتربوا على الرسل بعد ظهور معجزاتهم أن يؤتى كل رسول مثل ما جاء به موسى ؟ فأنكر الله ذلك عليهم بقوله : ﴿أَوْلَئِمْ يَكُفِرُونَ بِإِيمَانَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ﴾ وقالوا في حق موسى وهارون : ﴿سَحَرَانٌ تَظَاهِرَا وَقَالُوا إِنَّا يَكُلُّ﴾ واحدٍ منهمما ﴿كَفَرُونَ﴾ . وقيل : قالوا : في محمد وموسى - صلى الله عليهما وسلم . وقيل : في التوراة والقرآن ﴿سَحَرَانٌ تَظَاهِرَا﴾ .

**﴿فَلَمْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَيْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٦١﴾** فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ أَتَيْهُ اللَّهُ بِهِ هُدًى مِّنْ بَعْدِ الْهُدَىٰ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِيْنَ ٦٢﴾ وَلَقَدْ وَصَّلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ٦٣﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ٦٤﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَالْأَوْلَاءُ أَمْتَأْلِيْهِمْ إِنَّهُ الْحَقُّ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِيْنَ ٦٥﴾ أَوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَءَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَرُوا وَنَالُوا الْحَسَنَةَ وَمَنْ أَرَقَنَهُمْ يُنْفِقُونَ ٦٦﴾ وَإِذَا سَمِعُوا الْغَرُورُ أَغْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَاكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا يَنْتَغِي الْجَاهِلِيْنَ ٦٧﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَخْبَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَدِّدِيْنَ ٦٨﴾

هذا الشرط في قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقوله المدل لصحة قوله ؛ كما يقوله الصانع لمن عمل له عملاً : إن كنت قد عملت لك فاعطني حقي . فإن قلت : ما الفرق بين الاستجابة في الآية ، وبينها في قول الشاعر [ من الطويل ] :

وَدَاعَ دُعَانًا مَّنْ يُحِبُّ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِهْ عِنْدَ ذَاكَ مُحِبٍ<sup>(٢)</sup>

حيث عدى في الآية باللام ، وفي قول الشاعر بغير لام ؟ قلت : إذا عدى باللام فالمراد

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٥ ) .

(٢) البيت من بحر الطويل ، لكعب بن سعد الغنوبي .

ينظر في الأصمعيات ( ص ٩٦ ) ، تاج العروس ( جوب ) ، جهرة أشعار العرب ص ( ١٣٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٤٣٦ / ١٠ ) ، لسان العرب ( جوب ).

ويرى الشرط الثاني منه : ..... فلم يستجب عند النداء محب .  
قال البغدادي في " خزانة الأدب " : والمعنى : رب داع دعا : هل من أحد يمنع المستمنحين ؟ فلم يحبه أحد . ومعنى الندى : الغاية ، وبعد ذهاب الصوت ، والجود . كما في " الصلاح " .

استجابة المدعو ، فيكون معنى قوله : ﴿فَمَرْسَتِ حِبْوَالَّكَ﴾ ، أي : لم يستجيبوا لأجلك ، وإذا عدى الفعل بنفسه ، كما في قول الشاعر: فلم يستجبه - جاز دخول اللام وحذفها ، يقول : استجاب الله دعاءك ، ولا يكاد يقال : استجاب الله لك دعاءك .

فإن قلت : فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ها هنا ؟ قلت : قوله : ﴿فَأَنُؤْبِكُنْ﴾ استدعاء للإجابة . ﴿يَغْرِيْهُدَى﴾ في موضع الحال ﴿وَلَقَدْ وَصَلَّاهُمْ أَلْقَوْلَ﴾ أي : أزلناه متواصلاً ؛ وعداً ووعيداً وعبرًا . (ليتفكروا) قيل : نزلت في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل ؛ اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من الشام ، والضمير في ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ للقرآن . ﴿مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ وكل من اتبع نبياً فهو مسلم . ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصرهم على إيزاء الكفار ، أو بشوتهم على دين الحق . ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ الطاعة . ﴿السَّيِّئَةِ﴾ (١٧٣) (٢) المعصية المتقدمة . ﴿سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام مشاركة . ﴿لَا يَنْثَنِي الْجَهَلُّونَ﴾ لا زرید مخالطتهم وصحبتهم . ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَّتِ﴾ لا تقدر على أن تدخل في الإسلام من طبع على قلبها . قال الزجاج<sup>(١)</sup> : أجمع المسلمين على أنها نزلت في أبي طالب ، وذلك أن أبو طالب لما حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ : " يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاجٍ لك بها عند الله " فقال : أما والله إنني لأعلم أنك صادق ولو لا أن تعيرني نساء قريش لأنفرت بها عينك ؟ فقال له بعض من حضر : أنت على دين آبائك ، فكان آخر ما قاله هو على ملة الأشياخ<sup>(٢)</sup> .

﴿وَقَالُوا إِنَّنَيْعَ الْهَدَىٰ مَعَكُمْ تُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا إِمَّا يَجْعَلُ إِلَيْهِ شَرَاثٌ كُلُّ شَيْءٍ رَزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكُنْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةِ بَطَرَتِ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّاكَ مَسِكِنُهُمْ لَمْ يَشْكُنْ مِنْ بَعْدِهِ أَلَّا قَلِيلًا وَكُنْتَأَعْنُنَ الْوَرَثَيْنَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبِّكَ مِنْهُكَ الْقَرِيْدَ حَقَّ يَبْعَثُ فِي أَمْهَارَ شُوَّلَا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ إِيمَانًا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقَرِيْدِ إِلَّا وَأَهْلُهَا أَظْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوْتِنُمُ مِنْ شَيْءٍ وَفَمَتَعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَرَيْنَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَلَّا تَعْقُلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَنَّ وَعْدَهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَقِيهِ كَمَّ مَعْنَتُهُ مَتَعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيْمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

وقالت الكفار للنبي ﷺ : إنا نخاف إن اتبناك أن تخطفنا العرب . فأجاب الله تعالى وقال: قد مكنت لخدمة البيت ﴿حَرَمًا إِمَّا نَ﴾ وهم كفار فإذا ضموا إلى ذلك الإيمان كانوا

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ١٤٩) ، وفيه : أجمع المفسرون .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٦٠ ، ٣٨٨٤ ، ٤٦٧٥) ، ومسلم رقم (٢٤٢٥) ، وأحمد (٤٣٣ / ٥) .

أولى أن يحفظوا . وسخر لهم في واد غير ذي زرع أن جلب إلى مكة أنواع الثمرات .

وقوله : **﴿ثَرَثَرَتْ كُلِّ شَنِيءٍ﴾** أي : أكثرها ؛ فإن بعضها لا يتيسر نقله إليها .

وقوله : **﴿رَزَقًا﴾** إن جعلته مصدرًا انتصب بأنه مفعول له ، وإن جعلته اسم المزروع ، كان مفعولاً به معمولاً لـ **﴿يُجْعَى﴾** . **﴿مَعِيشَتَهَا﴾** منصوب بمحذف حرف الجر ، أي : بطرت في معيشتها ، أو : بتقدير حذف الزمان ، أي : بطرت في زمن معيشتها . أو ضمن "بطرت" معنى : كفرت وغمست . بطر النعمة هو ألا يُرعى حق الله فيها . **﴿وَالْأَقْلَيلُ﴾** من السُّكُنِي ، أي : لا يسكنها إلا المسافر ، ومارُ الطريق يقضي فيها وطره ثم يرحل . **﴿وَكُنَّا هَنَّ الْوَرِثَتِينَ﴾** لتلك المساكن ، قال الشاعر [ من الكامل ] :

**شَخَّلَفُ الْأَكْارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِنْئَا وَيَدْرُكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبَعَّ** <sup>(١)</sup>

**﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ﴾** في القرية التي هي أم لما سواها . **﴿رَسُولاً﴾** لإلزام الحاجة وقطع المعاذير وقيل : المراد بأم القرى : مكة ؛ فإن الأرض دحيت من تحتها . **﴿لَقِيه﴾** أي : يلقاه ؛ كقوله تعالى : **﴿وَلَنَّهُمْ ضَرَّةٌ وَّمُشْرِكُونَ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَيْنًا﴾** <sup>(٣)</sup> .

**﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾** الذين أحضروا للنار ، ولا تكاد تجد في القرآن لفظ المحضر إلا ومعناه : المحضر للعذاب **﴿وَلَوْلَا نَفَمَهُ رَقِيَّ لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿فَإِنَّهُمْ لَمْحَضَرُونَ﴾** <sup>(٥)</sup> قيل : نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل <sup>(٦)</sup> . وقيل : في علي وحمزة <sup>(٧)</sup> . (٣ / ١٧٣) ب ) وقيل : في عمارة ابن ياسر والوليد بن المغيرة <sup>(٨)</sup> . والفاء في قوله : **﴿أَفَنَّ وَعَدَنَهُ﴾** معناها : أبعد هذا البيان

(١) البيت للمتنبي، ينظر في : الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٢٤)، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١ / ٧١٢)، الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن البرجاني (٢٤٦)، وفيات الأعيان لابن خلkan (١٢٣٧) ، والبيت الذي قبله :

أين الذي المرمان من بنائه ما قرمه ما يومه ما المصعد

(٢) سورة الإنسان ، الآية (١١).

(٣) سورة مريم ، الآية (٥٩).

(٤) سورة الصافات ، الآية (٥٧).

(٥) سورة الصافات ، الآية (١٢٧).

(٦) رواه الطبرى في تفسيره (٢٠ / ٩٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٤٣١).

(٧) رواه الطبرى في تفسيره (٢٠ / ٩٧).

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٢٥).

البيان نسوي بين رتب المؤمنين والكافرين .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ٦٥ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقُولُ رَبَّنَا هَذِهِ لَوْلَاءٌ  
الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَسْتُهُمْ كَمَا عَوَيْنَا تَبَرَّأَنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا يَأْتِيَا يَعْبُدُونَ ٦٦ وَقَلِيلٌ أَذْعُوا شُرَكَاءَ كُلِّ  
فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَحِبُّو لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ٦٧ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَرْتُمْ  
الْمُرْسَلِينَ ٦٨ فَعَمِّيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَبْيَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ ٦٩ فَأَمَّا مَنْ نَابَ وَأَمَنَ وَعَلِمَ  
صَدِيقًا فَسَيَّنَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ٧٠ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ  
لَهُمْ أَخْيَرٌ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ٧١ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا  
يُعْلَمُونَ ٧٢ وَهُوَ اللَّهُ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ  
رُشْحَعُونَ ٧٣

قوله : «أَيْنَ شُرَكَاءِ» على زعمكم ، ومفعوله (ترَعُّمُونَ) مخدوفان ، أي : الذين تزعمونهم شركاء . (الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقُولُ ) أي : الشياطين ، أو أئمة الكفر الداعون إلى النار . «هَتُؤْكَ» مبتدأ ، و (الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ) خبره . ومعنى الكلام : أنا لم تُكِرِّهِ الذين أغويناهم ؛ فلا فرق حينئذٍ بين غيّهم وغيّنا ، فقال الله تعالى - حكاية عن إيليس في جهنم - : (وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُمْ فَأَسْتَجِبُ لَتُّرْتَبَتْ لِي ) (١) .

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣١).

(٣) سورة فاطر ، الآية (٣٤).

(٤) سورة الزمر ، الآية (٧٤).

﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَثْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضَيَاءً أَفَلَا سَمَعُونَ﴾ **٦٧** ﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾ **٦٨** وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ أَثْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْنَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ **٦٩** وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شَرَكَاءِ الدِّينِ كُنْتُمْ تَزَعَّمُونَ **٧٠** وَرَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بِرَهْنَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُفَرِّرُونَ **٧١** إِنَّ قَرْوَنَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِي فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَإِيمَنَتْهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ فَقَاتِهِ لَنَسُوا بِالْعَصْبَةِ أُولَئِكُو الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَقْرَخْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ **٧٢** وَأَتَعْتَقْ فِيمَا أَتَيَكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَنْبِغِي أَفْسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ **٧٣** قَالَ إِنَّمَا أُوتِنَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عَنِيَّ أَوْ أَنَّمِ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُ فُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمِيعًا وَلَا يُشَكِّلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ **٧٤**

﴿أَرَيْتُمْ﴾ معناه : أخبروني من يقدر على هذا ؟ والسرمد : الدائم المتصل ، مأخذ من السرد وهو المتابعة . كان قارون حسن الصورة ، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ، ولكنه نافق وقال : إذا كانت النبوة لموسى والخبورة لهارون فما لي ؟ «**فَبَغَى عَلَيْهِمْ**» من البغي وهو الظلم . قيل : ملكه فرعون على بني إسرائيل . وقيل : إنه خاطب موسى فقال له : إذا كانت النبوة لك والخبورة لأخيك فما لي ؟ فقال له موسى : هذا من أمر الله ، وليس لي فيه صنع . فقال : والله لا أصدقك حتى تأتي بآية . فجمع موسى عصي الصلحاء والأبرار وربطها وجعلها في قبة كان الوحي ينزل على موسى ، فيها فأصبحت عصا موسى وحدها عليها ورق أحضر ، وليس على عصي غيره شيء ، فقال قارون : ما هذا بأعجب مما تأتي به من السحر . **﴿لَا تَقْرَخْ﴾** ؛ كقوله : **﴿وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا أَنْتُمْ كُمْ﴾**<sup>(١)</sup> قال الشاعر(١٧٤ / ١) [من الوافر] :

أَشَدُ الْعَمَّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ  
يَقْنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَرْتِحَالًا<sup>(٢)</sup>

﴿فِيمَا أَتَيَكَ اللَّهُ﴾ من الغنى والثروة والسعادة . **﴿الْدَّارُ الْآخِرَةَ﴾** بأن تفعل فيه أفعال

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٣).

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي ، ينظر في : تفسير البيضاوي (٤ / ٣٠٣) ، روح المعاني للألوسي (١ /

٢٠٥) و (٢٠ / ١١٢) ، فيض القدير للمناوي (٣ / ١٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٣٠) .

ويروى : ..... تيقن عنه صاحبه انتقالا

الخير من أصناف الواجب والمندوب . ﴿وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ﴾ وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك . ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله . ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وقيل : أحسن شكرك وطاعتكم الله ، كما أحسن الله إليك . والفساد في الأرض : الظلم والبغى . قيل : القائل موسى عليه السلام . قوله : ﴿وَابْتَغِ﴾ قرئ ﴿وَابْتَغَ﴾ (١) قوله : ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِكَ﴾ أي : على بصر بالتجارة . وقيل : علم الله موسى علم الكيمياء ؛ فعلم يوشع بن نون ثلاثة ، وكالب بن يوفنا ثلاثة ، وقارون ثلاثة ، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهباً وفضة . قوله : ﴿أَوْلَئِكُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يجوز أن يكون نفياً لعلمه بذلك ، ويجوز أن يكون إثباتاً ؛ لأنَّه قد علم ذلك من التوراة ومن صحف إبراهيم وموسى ، وسمعه من نقلة الأخبار ، يعني : فمع علمه بذلك كيف يعصي الله ويخالف ، وعلى الأول يكون قد نفي عنه العلم بذلك لما تعظم بالعلم ، وزعم أنَّ الذي هو فيه من العلم عنده ، فقيل له : لا علم عندك . ﴿وَلَا يُشَتَّلُّ عَنْ دُنْوِيهِمُ الْمُجْرُمُونَ﴾ أي : لا يحتاج في العلم إلى سؤال واستعلام .

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَيْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوذِقَ فَقَرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَيْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ أَمَرَ وَعَمِلَ صَلِحًا وَلَا يُلْقَهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٧٧﴾ فَسَقَنَا إِلَيْهِ وَبِدَارَهُ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فَتَنَ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ كُلُّ اللَّهِ يَسِّطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنَّ مَنْ أَنْهَا لَهُنَا لَهُ خَسْفٌ بِنَا وَيَكَانُ لَهُ لَا يُقْلِحُ الْكُفَّارُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فِي زِينَتِهِ﴾ قيل خرج على بغلة شبهاء عليه الأرجوان (٢) وعليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف على زيه . وقيل : في تسعين ألفاً عليهم المصفرات . ومن الغبطة قوله تعالى : ﴿يَيْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوذِقَ فَقَرُونُ﴾ ومن الحسد قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمَنُوا مَا فَضَلَ اللَّهُ بِهِ﴾

(١) ذكرها الأخفش كما في : تفسير الألوسي (٢٠ / ١١٢) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ١٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ١٩١).

(٢) الأرجوان : الشياطين . والأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة . قال أبو عبيد : الأرجوان : الشديد الحمرة لا يقال لغير الحمرة أرجوان ، وقال غيره : أرجوان معرب أصله أرغوان بالفارسية فأعرب قاله : وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون وكل لون يشبهه فهو أرجوان . ينظر : لسان العرب (رجا) .

بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ »<sup>(١)</sup>. والحظ : البخت والدُّوْلَة . قوله : « وَلَكُمْ » أصله الدُّعَاء بالوَبِيل ، ثم استعمل في الرُّدُعِ والزُّجُر ، وإنما يكون ذلك للإفراط في الاعتماد على ما لا ينْبَغِي . قوله : « وَلَا يُلْقَنُهَا » الضمير فيها يرجع إلى الكلمة التي قالها أهل العلم أو الحسنة أو للسيرة . « الْكَبِيرُونَ » على الطاعات وعن المعاشي وعن الشدائِد . « مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ » من المتقدين من موسى ، أو : من المخلصين من عذاب الله .

قوله : « إِلَّا أَنْتَنِ » لا يراد به اليوم الذي قبل يومك ، وإنما (١٧٤ / ب) المراد الإخبار عن مدة ماضية قريبة . « مَكَانَةً » منزلته .

" وي " مفصولة عن " كأن " وهي كلمة تنبئه على الخطأ ، وهو مذهب الخليل وسيبوبيه ، وعند الكوفيين أن ( ويـك ) بمعنى ( ويـلك ) ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى ( ويـ ) كقول عنترة [ من الكامل ] :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأْ سُقْمَهَا قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيُكَّبَّرُ أَقْدِيمُ<sup>(٢)</sup>

و " أنه " بمعنى لأنـه ، ومن الناس من يقف على " ويـ " ويبتدئ " كأنـه " ، ومنهم من يقف على " ويـك " <sup>(٣)</sup> .

وقريء ( لولا مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا )<sup>(٤)</sup> . وقرئ ( لخَسَفَ بَنَا )<sup>(٥)</sup> يعني : الله عز وجل .

وعن عمر بن عبد العزيز : أنه كان يكرر هذه الآية حتى قبض<sup>(٦)</sup> . وعن علي عليه السلام : " إن

(١) سورة النساء ، الآية ( ٣٢ ) .

(٢) ينظر البيت في : الجنى الداني للمرادي ( ص : ٣٥٣ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٦ / ٤٠٦ ) ، ديوان عنترة ( ص : ٢١٩ ) ، شرح الأشموني ( ٢ / ٤٨٦ ) ، شرح شواهد المغني ( ص : ٤٨١ ) ، شرح المفصل ( ٤ / ٧٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ١٦ / ١ ) ، وبلا نسبة في مغني الليب ( ص : ٣٦٩ ) .

(٣) ينظر تفصيل ذلك في : البيان في غريب القرآن لابن الأباري ( ٢ / ٢٣٧ ) ، التبيان للعكاري ( ٢ / ١٨٠ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٥٤ ) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ١٥٦ ) .

(٤) قرأ بها الأعمش . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٣١٩ ) ، الكشاف للزنخشري ( ٣ / ١٩٣ ) .

(٥) قرأ بها حفص عن عاصم ويعقوب ، وقرأ بقية العشرة " لخَسَفَ " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٣٥ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٣١٩ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٥٥ ) ، السبعية لابن مجاهد ( ص : ٤٩٥ ) ، الكشاف للزنخشري ( ٣ / ١٩٣ ) .

(٦) رواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد ( ١ / ٣١٠ - ٣٠٩ ) قال : " أخبرنا جرير بن حازم قال =

الرجل ليحب أن يكون شراك نعله حسناً فيدخل في هذه الآية<sup>(١)</sup>.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِعْنَاهُمَا لَأَيْرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ لِلْمُنْقَنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وزعم قوم أن قوله : «لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا» لما صنع فرعون في قوله تعالى : «وَإِنْ فِرْعَوْنَ عَالَىٰ فِي الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>. وأن المراد بالفساد ما صنعه قارون لقول قوله له : «وَلَا تَبْغِي الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ» ولا دليل على التخصيص ، واللفظ عام لكل من علا وأفسد .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِمُكْرَهٍ إِلَيْهِ بِالشَّيْءَةِ فَلَا يُجْزَى اللَّذِينَ عَمِلُوا الصَّيْقَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا بِعَمَلِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِرَازِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٥)</sup> وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتْبَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُنَّ ظَهِيرًا لِلْكُفَّارِ﴾<sup>(٦)</sup> وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ مَا يَتَّبِعُ اللَّهُ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتِ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٧)</sup> وَلَا تَنْدُعْ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ رُتْجَاهُونَ﴾<sup>(٨)</sup>

وضع ﴿الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّيْقَاتِ﴾ موضع المضر. وهو بابٌ من أبواب البلاغة .

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبلیغه والعمل بما فيه ، يعني : إن الذي حملك صعوبة التکلیف . «لِرَازِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ» نکرة للتعظیم ، أي : معاد وأیٌّ معاد ؛ قيل: المراد به مکة ، أي : وعده برده إليها يوم الفتح ظاهراً عليها متصرفاً على أعدائه ، والسوره

= حدثی مغیرة بن حکیم قال: قالت لی فاطمة: «كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار. قالت: فقلت له يوماً يا أمیر المؤمنین، لا أخرج عنك عسى أن تغنى شيئاً فإنك لم تتم. قالت: فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذي هو فيه. قالت: فجعلت اسمعه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بِعْنَاهُمَا لَأَيْرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَقِبَةُ لِلْمُنْقَنِينَ﴾ يرددھا مراراً ثم أطرق فلبت طويلاً لا أسمع له صوتاً فقلت لوصیف له كان يخدمه: وبحک انظر. فلما دخل صالح، قالت: فدخلت عليه فوجده ميتاً قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عینه . ورواه أبو نعیم في حلیة الأولیاء ( ٥ / ٣٣٥ ) بهذا السیاق .

(١) رواه الطبری في تفسیره ( ٢٠ / ١٢٢ ) ونسبة السیوطی في الدر المشور ( ٦ / ٤٤٤ ) لابن أبي شيبة وابن جریر وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه . قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ( ١ / ١٢٢ ) : في إسناده نظر .

(٢) سورة القصص ، الآیة ( ٢٤ ) .

مكية ، وأصحاب النبي ﷺ مستضعفون ، فوعده وأتاهم بالنصر والغلبة<sup>(١)</sup>.

وقيل : نزلت عليه بالجحفة ، فنزل جبريل وقال : أتحب مكة ؟ قال : نعم ؛ فقال : إن الله سيعطيك إياها ، وتلها عليه : ﴿الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. ﴿Bَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ﴾ بعد وقت نزولها . و "إذ" يضاف إليه أسماء الزمان ؛ كقولك : حينئذ و ساعيئذ .  
 ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا إيه ، والوجه يعبر به عن الذات .

\* \* \*

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٠ / ١٢٥) ، ونبه السيوطى في الدر المثور (٦ / ٤٤٥) لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقى في الدلائل من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٣٦) .

## سورة العنكبوت [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِمَّا كَا وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُوْنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَنْ جَهَدَ فَإِنَّمَا يُجْهَدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَنَلِمِينَ ۝ وَالَّذِينَ مَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَالِدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَهَدَ الَّذِي لَشَرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمْ مَا إِلَّا مَرْجِعُكُمْ فَإِنِّي شُكُرٌ بِمَا كُنْتُ تَعْمَلُونَ ۝

الحسبان : لا يجوز أن يتعلق بالمفردات لكن يتعلق بعضها بالجمل ، والجملة هنا هي قوله : « أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِمَّا كَا وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ ». وليس الأمر كما حسبوه ( ١ / ١٧٥ ) بل لابد من الامتحان بالأمر والنهي والوعيد . قوله : « فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ » بالامتحان « الَّذِينَ صَدَقُوا » في الإيمان . « وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ » فيه . فإن قلت : كيف وهو عالم بذلك فيما لم ينزل ؟ قلت : لم ينزل علمه معذوما ولا يعلمه موجودا إلا إذا وجد ، والمعنى : وليتميز الصادق منهم من الكاذب . وقيل : ليرى . وقيل : ليعلم العلم الذي يتعلق به الشواب والعقاب ، وأنه تعالى لا يثيب ولا يعاقب إلا على ما وجد .

وقرئ « فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ » ( ١ ) أي : ليطليعن المؤمنين على بواتねهم بعلامة يعرفون بها من بياض وجوه المؤمنين ، وسوداد وجوه الكافرين ، وزرقة عيونهم . « أَنْ يَسْبِقُونَا » أن يفوتونا ، وهم لم يعتقدوا أنهم يعجزون الله ، لكن فعلهم فعل من يظن ذلك ، ومنه : « وَلَا يَحْسَبُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبُّوا إِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ » ( ٢ ) « لِقَاءَ اللَّهِ » مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وابتداء الشرح في المحازاة . « يَرْتُمُوا » يؤمل أو يخاف . « فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ » وهو الموت « لَآتٍ » لا محالة .

( ١ ) قرأها علي بن أبي طالب وجعفر ، وقراءة الجمهور " وليعلمون "

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٤٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٩٦ ) ، مجمع البيان

للطبرسي ( ٨ / ٢٧١ ) ، الحتسبي لابن جني ( ٢ / ١٥٩ ).

( ٢ ) سورة الأنفال ، الآية ( ٩ ) .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ①﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِنَّمَا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَئِنَّ اللَّهَ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَلَمَينَ ⑩﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ⑪﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْعُوا سَيِّلَانًا وَلَنَحِيلُ خَطَبِكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطَبِكُمْ مَنْ شَاءَ إِنَّهُمْ لَكَذِيلُونَ ⑫﴾ .

قوله : «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» إما أن يكون في قوم من المسلمين سيئاتهم مُكفرة بالحسنات ، وإما قوم من المشركين آمنوا فمعاشرهم تكفر بالإسلام .

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ يعني عهدهنا . «حُسْنَا» أي : أمراً ذا حسن ، أو جعل الوصية الحسنة ؛ مبالغة . ويجوز أن يكون حسناً مفعولاً بفعل مضمر ، أي : أوصل إليهما حسناً ؛ كما تقول : ضرباً . إذا أمرت شخصاً بالضرب . قيل : نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وامتناع أمّه أن يُظلّها سقف حتى يكفر بمحمد<sup>(١)</sup> . وقيل : في عياش بن أبي ربيعة ، خدعاً أخوه ، وقالاً : ارجع إلى أمك ؛ فإنها في شدة لفراقك ، فرجع معهما قاصداً مكة ؛ فربطاه ، وضربه كلُّ واحدٍ منها مائة سوط ، ورجعاً به إلى أمّه ؛ فقالت : لا يزال في عذاب حتى يرجع عن دينه<sup>(٢)</sup> . «فِي الصَّالِحِينَ» في زمرتهم ، ووصف الصلاح من أتم الأوصاف ، قال في إبراهيم : «وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»<sup>(٣)</sup> .

وقال يوسف : «تَوَفَّى مُسْلِمًا وَالْحِقْنَى بِالصَّالِحِينَ»<sup>(٤)</sup> أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ؛ كقوله : «وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...» الآية<sup>(٥)</sup> .

قوله عز وجل : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِنَّمَا»<sup>(٦)</sup> / ب) فإذا آذاه المشركون أطاعهم برجوعه إلى الشرك وهو المراد بقوله : «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ

(١) رواه مسلم رقم (٤٤٣٢) ، والترمذني رقم (٣١١٣) ، والطبراني في تفسيره (٢٠ / ١٣١) .

(٢) نسبة الزيلعي في تخريج الأحاديث والأثار التي في الكشاف (٣ / ٤٢) للبزار في مسنده ولابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٣٠) .

(٤) سورة يوسف ، الآية (١٠١) .

(٥) سورة النساء ، الآية (٦٩) .

سلقوكم بالسنة حداد وطلبوها الشركة في المغانم ؛ فأكذبهم الله - تعالى - بأنه هو العالم بما في صدور هؤلاء ، وبما في صدور جميع العالمين ثم هدد هؤلاء الكفار بقوله : «**وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْتَنُوا**» أي : ليجازينهم . قوله : «**وَلَنَحْمِلَنَّ خَطَايَاكُمْ**» أمرروا أنفسهم بحمل خطاياهم ، أي : تتبعوا سبيلنا ولنتحمل خططاكم ونرى بعض [ المتسدين بالإسلام من يستن بأولئك ، فإذا رأى صاحبه متربدا ]<sup>(١)</sup> في الإقدام على أمر عظيم ، فيقول له صاحبه : افعل هذا وإن شئت في عنقي . فربما اغتر به<sup>(٢)</sup> .

ويروى : أن أبا جعفر المنصور طلب منه رجل حوائج فلما قضاها له قال : يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى ، وهي الشفاعة لي في الآخرة . فقال له عمرو بن عبيد<sup>(٣)</sup> : يا أمير المؤمنين لا تغتر بهؤلاء ؛ فإنهم قطاع الطريق في المأمن . وسماهم كاذبين ؛ إما لأنهم أشبهوا الكاذبين في مخالفة أقواهم لأفعالهم ، وإما لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكافر .

**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْتَعْنَ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ**<sup>(٤)</sup> **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَتْ إِلَيْهِ الْأَخْتِيَارُ عَامًا فَلَمَّا دَرَأَهُمُ الظُّوفَافُ وَهُمْ طَلَمُونَ**<sup>(٥)</sup> **فَابْجَسْتَهُ وَاصْبَحَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَلَمِينَ**<sup>(٦)</sup> **وَلَيَرْهِمَ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُو اللَّهَ وَأَنْقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**<sup>(٧)</sup> **إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوْثَانَا وَنَحْلَقُونَ إِنْ كَانَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَعْلَمُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُو اللَّهَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**<sup>(٨)</sup> **وَلَمْ يُكَذِّبُهُ أَفَقَدَ كَذَبَ أَمْمًا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ**<sup>(٩)</sup> **أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبَدِّي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**<sup>(١٠)</sup> **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّسَاءَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**<sup>(١١)</sup> **يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحُمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ شَفَوْنَ**<sup>(١٢)</sup> **وَمَا أَنْشَمْتُ مُعَجِّزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**<sup>(١٣)</sup>

(١) ما بين المعقوفين بياض في الأصل ، وأثبتناه من الكشاف ( ٣ / ٤٤٤ ) .

(٢) ذكره الرمخشي في الكشاف ( ٣ / ٤٤٤ ) .

(٣) هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة في عصره ومفتهاها وأحد الزهاد المشهورين له رسائل وخطب وكتب منها : التفسير والرد على القدرية . توفي سنة ١٤٤ هـ . تنظر ترجمته في : البداية والنهاية ( ١٠ / ٧٨ ) ، تاريخ بغداد ( ١٦٦ / ١٢ ) ، وفيات الأعيان

قوله : ﴿أَنْقَالُهُمْ وَأَنْقَالًا﴾ هي الضلال الذي حملوا عليه أصدادهم فيجتمع عليهم إثم الضلال والإضلal .

﴿وَلَيَسْتَغْنَ﴾ سؤال تقرير ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْرُونَ﴾ أي : يختلفون من الأكاذيب والأباطيل . ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا...﴾<sup>(١)</sup> . قيل : كان عمر نوح ألفاً وخمسين سنة ، أربعون قبل النبوة وستون بعد الطوفان ، وفي قومه تسعمائة وخمسون وقوله : ﴿أَلْفَ سَنَةٍ لِلْأَخْسِينَ﴾ ولم يقل : تسعمائة وخمسين ؟ لأنه لو قال مثل ما قلت لتطرق إليه المجاز ، وأيضاً فذكر عقد ألف أهيب وأدل على الكثرة . فإن قلت : فلم جاء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام ؟

قلت : لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد مما يجهه السمع . و﴿الْطَّوْفَاتُ﴾ ما أحاط وأطاف بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما ، والضمير في ﴿وَجَعَنَهَا﴾ للسفينة أو للقصة ، ونصب ﴿وَإِنَّهِمْ﴾ بإضمار اذكر ، وأبدل عنه " إذ " بدل الاشتمال . ﴿وَتَخْلُقُونَ إِنْكَارًا﴾ هو تسميتهم الأصنام آلهة . ونكر الرزق الأول ، وعرف الرزق الثاني ؛ لأنه أراد : لا يقدرون على شيء ؛ فاطلبوا الرزق كله من الله الذي لا رزاق إلا هو .

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ﴾ سبقكم غيركم بتذكير الأنبياء ، فهلوكوا .

وهذه الآيات (١/١٧٦) إلى قوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ يجوز أن تكون من كلام إبراهيم صلوات الله عليه ، وأن تكون آيات معتبرة في شأن رسول الله ﷺ وقوريش ، بين أول قصة إبراهيم وآخرها ، وإذا كانت من كلام إبراهيم فوجه مجئها معتبرة أن المراد بها تسلية رسول الله ﷺ على ما كان يلقاه من الكفر .

وقوله : ﴿شَرَّيْدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبَدِّئ﴾ ؛ لأنها ليست معلومة للمخاطب ، وصلة ﴿الَّذِينَ﴾ لا بد من العلم بها . قوله عز وجل : ﴿وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كتم فيها . وقيل : ولا من في السماء بمعجزين ؛ كقول حسان [من الوافر] :

أَمْنٌ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ      وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر الكشاف (٤٤٤/٣) .

(٢) ينظر في : تذكرة النحو لأبي حيان (ص : ٧٠) ، الدرر اللوامع على همم الهوامع لأحمد الأمين الشنقيطي (٥ / ١٨٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٥) ، ديوان حسان بن ثابت (ص : ٧٦) ، معنى الليب لابن هشام (ص : ٦٢٥) ، همم الهوامع للسيوطى (١ / ٨٨) .

أو: لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم حكمه . وقيل : «وَمَا  
أَنْشَأْتُكُمْ بِعِجْزِنَتِكُمْ» لو تغلغلتم في أعماق الأرض أو علوم في القصور المشيدة .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعِيَادَتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أَفْلَتِكَ بِيَسُورٍ مِنْ رَحْمَنِي وَأَفْلَتِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾  
 ٤٢ ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمٍ إِلَّا أَنْ قَاتَلُوهُ أَوْ حَرَقُوهُ فَأَنْجَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٤٣ وَقَالَ إِنَّمَا أَخْدَثُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ تَنَاهُمْ مَوْدَةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي كَا شَدَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَا وَرَبُّكُمْ أَنَّا رُزَّاقُكُمْ أَنَّا رُزَّاقُكُمْ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ٤٤ ﴿

أي : في الآخرة ؛ لقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ الْمَسَاعِيدُ بِمَنْ أَمْجَدُونَ﴾ (١) .

لا يجوز للمسلم أن ييأس من رحمة الله وروحه . قرئ **﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾** بالنصب والرفع <sup>(٢)</sup> . وروى : أنه لم يُنفع بالنار يوم القيمة إبراهيم فيها ؛ لذهب حرقها .

فريء **﴿مَوَدَّةَ بَيْنَكُم﴾** بنصب المودة<sup>(٣)</sup>. ليكون ذلك سبباً لتوادكم ومحبتكم ، أو اخذاً عنهم مودة ؛ لقوله تعالى : **﴿وَمِنْ أَنَّا سِرِّ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَعْتَبَ**

وَقَرِئَ بِالرُّفْعِ (٥) خَبَرًا لَّهُ إِنَّ عَلَى أَنَّ مَا مُوصَلَةً، وَقَرِئَ بِنَصْبٍ (بَيْنَكُمْ\*)  
مَعَ الْإِضَافَةِ (٦) كَفَولَهُ: «لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ» (٧). بفتح (بَيْنَكُمْ\*) وَهُوَ فَاعِلٌ. «ثَمَّ يَوْمَ  
الْقِتَمَةِ» تَكُونُ تِلْكَ الْمُودَّةُ بِغَضَّا وَلِعْنَةً. «وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَاصِرِينَ» كَمَا زَعَمْتُ أَنَّهُمْ

(١) سورة الروم ، الآية (١٢).

(٢) تقدم تخریج القراءة عند تفسیر سورة النمل ، الآية (٥٦).

(٣)قرأ بها عاصم في رواية حفص عنه ، ومحنة وروح . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٤٨) ،  
الحجۃ لابن خالویہ (ص: ٢٧٩) ، الحجۃ لأبی زرعة (ص: ٥٥٠) ، الدر المصور للسمین الحلی  
(٥ / ٣٦٤) ، السبعۃ لابن مجاهد (ص: ٤٩٩) ، الكشاف للزمخشیری (٣ / ٢٠٣) ، التشریف لابن  
البخاری (٢ / ٣٤٣) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٦٥) .

(٥) فرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس . تنظر المراجع السابقة .

(٦) قال السمين الحلبي في الدر المصور للسمين الحلبي (٣٦٤ / ٥) : نقلت عن عاصم .

<sup>(٧)</sup> سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

شفعاؤكم عند الله .

﴿فَقَامَ لِهِ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾٢٦﴿وَهَبَنَا اللَّهُ إِسْحَاقَ وَعَقْوَبَ وَجَعَلَنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَإِبَيْتَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الْصَّابِرُّونَ ﴾٢٧﴿وَلُوطًا إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمَيْنَ ﴾٢٨﴿إِيَّاكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَاتَلُوا أَئْتَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾٢٩﴿قَالَ رَبِّي أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾٣٠﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسْلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرِيبَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾٣١﴾

كان لوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تؤثر في إحراقه ، وقال إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من لوثي وهي من ضياع الكوفة إلى حرقان ثم منها إلى فلسطين . ﴿إِلَى رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربى بالهجرة إليه ، وكان معه سارة زوجته ولوط ابن أخيه في هجرته . ﴿أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ الثناء الحسن ، والصلة عليه إلى يوم القيمة .

فإن قلت : ولم يذكر إسماعيل عليه السلام ؟ وذكر إسحاق وذريته ؟ ! قلت : ذكر إسماعيل في قوله : (١٧٦ / ب) ﴿وَجَعَلَنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ والمراد بالكتاب جنس الكتاب فيدخل فيه التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

﴿وَلُوطًا﴾ معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أو على ما عطف عليه . والفاحشة : الفعلة البالغة القبح . وقطع السبيل : هو فعل قطاع الطريق . وقيل : هو الإتيان في غير المأني ؛ فإنه ليس محل حرث ، ولا بذر . والمنكر : هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق . والدفعة بالأصابع ، ومضغ العلك والسواك بين الناس ، والسباب والفحش في المزاح .

وعن عائشة رضي الله عنها : " كانوا يتضارطون " <sup>(١)</sup> . وقيل : السخرية ممن يبر بهم . وقيل : المجاهرة في ناديهما بذلك العمل . وكل معصية فإظهارها أقبح من ستراها ، وكانوا يحملون الناس على الفاحشة التي يعلمونها طوعاً وكرهاً . أراد لوط عليه السلام أن يؤكّد السؤال في هلّاك قومه فوصفهم بالفساد ، والفساد تُستحق العقوبة بسيبه .

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٠ / ١٤٥) ، ونسبة السبويطى في الدر المشور (٦ / ٤٦١) للبخارى في تاريخه ولابن جرير وابن المنذر وابن مردوه عن عائشة رضي الله عنها .

﴿بِالْبَشَرَى﴾ بالولد ، والنافلة وهو إسحاق ويعقوب ، وأضاف ﴿مُهْلِكُوًا﴾ إلى أهل القرية إضافة تخفيف لا تعريف ، والقرية سدوم ، وهي التي يقال فيها : أجور من قاضي سدوم<sup>(١)</sup> .

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا فَالْوَاحِدُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَتَنْجِيَّنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَهُ كَانَتْ مِنَ الْفَدِيرِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا آتَنَا جَاهَةَ رُسْلَنَا لُوطًا سَوْءَ بِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ دَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِوْكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَكَ كَانَتْ مِنَ الْفَدِيرِينَ ﴿٢٣﴾ إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا إِيَّاهُ بَيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ فَكَدَبُوهُ فَلَأَخْذَتْهُمُ الْرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٢٧﴾ وَعَادَا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَرَّ لَكُمْ مِنْ مَسَكِينِهِمْ وَرَبَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْنَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَنْوَنَ وَقَنْعَوْنَ وَهَمْنَنَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكَبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَيِّقِينَ ﴿٢٩﴾ فَكُلُّا أَخْذَنَا يَدِنِيهِ فِيمَنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَهُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾ مِثْلُ الَّذِينَ أَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمْثُلُ الْعَنَكَبُوتِ أَنْجَدْتَ يَيْتَا وَلَيْنَ أَوْهَنَ الْبَيْوَتَ لَيْتَ الْعَنَكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَوْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ وَلِكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهُمْ إِلَّا الْعَكِيلُونَ ﴿٣٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾

(١) سدوم : فعول من السدم وهو الندم مع غم . قال أبو منصور : مدينة من مداين قوم لوط كان قاضيها يقال له : سدوم . وقال أبو حاتم في كتاب المزال والمفسد : إنما هو سدوم بالذال المعجمة . قال : والدال خطأ . قال الأزهري : وهو الصحيح وهو أعمجي . وقال الشاعر :

كذلك قوم لوط حين أضحوا كمحض في سدومهم ريم

وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضي إلا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال : أجور من قاضي سدوم .

ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ٢٠٠) ، معجم ما استجم لأبي عبيد البكري (٧٢٩ / ٣).

**﴿وَاتَّكَ فِيهَا لُوطًا﴾** اعتراف على الملائكة ، حيث قالوا : **﴿إِنَّا مُهَلِّكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾** ، أي : فيها من لا يستحق العقوبة ، فأجابته : **﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾** ووعدهم نجاة لوط وأهله ، ثم جددت الملائكة استحقاق الوعيد على قوم لوط ؛ فقالوا : **﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجَارًا﴾** أي : عذاباً **﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾** . قوله عز وجل : **﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا﴾** مثل مضروب بقصير اليد لو أمدتها ليأخذ شيئاً لم تصل . ومثل القوي بطويل إذا مدد يده إلى شيء وصل إليه . الرجز والرجس : العذاب ؛ من قوله : ارتجم وارتجم : إذا اضطرب . **﴿مِنْهَا﴾** أي : من القرية . **﴿أَئِكَةٌ يَنْكِثُونَ﴾** آثار هلاكهم . قوله : **﴿الْقَوْمُ﴾** يتعلق بـ **﴿تَرَكَنَا﴾** أو بـ **﴿يَنْكِثُ﴾** **﴿وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾** أي : افعلنوا ما تستحقون به النجاة من العذاب . وقيل : هو من الرجاء ؛ بمعنى الخوف .

**﴿الرَّحْفَةُ﴾** الزلزلة الشديدة ، وعن الضحاك : صيحة جبريل عليه السلام ؛ لأن القلوب رجفت لها<sup>(١)</sup> . **﴿فِي دَارِهِمْ﴾** في بلدهم (١٧٧) وأرضهم . **﴿جَنِينَ﴾** باركين على الركب .

قوله : **﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾** منصوب بياضمار : أهلتنا ؛ لأن قوله : **﴿فَأَخَذَنَاهُمُ الْرَّحْفَةُ﴾** يدل عليه . **﴿وَقَدْ تَبَرَّ لَكُمْ﴾** ذلك من هلاك مساكنهم **﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرْتَ مَطَرَ السَّوْءِ﴾** الآية<sup>(٢)</sup> . **﴿وَكَانُوا مُسْبِّحِينَ﴾** عقلاً قادرین على النظر في مصالح دینهم ؛ فأهملوا ذلك . وقيل : كانوا متثبتين أن العذاب نازل بهم ؛ لأن ذلك قد بين على السننة الرسل ، ولكنهم جروا حتى هلكوا **﴿سَيِّفِكَ﴾** فائتين ، أدركهم أمر الله فلم يفوتوه .

الحاصل لقوم لوط : وهو ريح عاصف فيها حصباء . وقيل : ملك كان يرميهم . والصيحة لمدين وثمود ، والخشف لقارون ، والغرق لقوم نوح وفرعون . الغرض تشبيه ما اخندوه مثلاً ومعتمداً في دينهم ، وتولوه من دينه بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ولذلك قال : **﴿وَلَمَّا أَوْهَنَ الْبَيْوتَ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾** . فإن قلت : كل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت ؟ قلت : معناه : **﴿لَوْكَانُوا يَتَّلَمُوكَ﴾** أن

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره (٤ / ٣١٦) ، والشوكاني في فتح القدير (٤ / ٢٠٢) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤٠) .

هذا مثلهم إذا شابه دينهم نسج العنكبوت ثبت أن دينهم أوهن الأديان ، وهذا زائد على ضرب المثل بالعنكبوت ؛ لأنه لم يجعل ما اخندوه من عبادة أولئك شائعاً.

﴿أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيَّكَ مِنَ الْكِتَبِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾٤٥﴾ وَلَا يُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَبِ إِلَّا بِالْتِقَىٰ هِيَ أَحَسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا إِنَّمَا يَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّهُمَا فِي إِلَهٍ كُمْ وَحْدَهُ وَمَنْ يَعْنِي لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ هَوْلَأَهُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَحْمِدُ بِتَائِبَتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾٤٧﴾

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ فإن قلت : كم من مصل لم تنهه صلاته ؟

قلت : الصلاة التي تنهى هي التي يدخل فيها خاشعاً مستحضرًا أنه بين يدي ربه سائلًا منه التوفيق والهدایة . روي: أن رجلاً كان يصلى مع النبي ﷺ ولا يدع شيئاً من المعاصي إلا ركبها ، فوصف حاله للنبي ﷺ فقال : ستهاتك صلاته ، فلم يمض إلا يسير حتى تاب وأصلح وترك ما كان يرتكبه من المعصية <sup>(١)</sup> . وأراد بـ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ﴾ الصلاة ؛ يريد أنها أفضل أعمال البر .

وعن ابن عباس : ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته <sup>(٢)</sup> .

﴿بِالْتِقَىٰ هِيَ أَحَسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن . ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إِلَّا الذين آذوا رسول الله ﷺ . وقيل : إِلَّا الذين دعوا الله ولدًا وشريكًا . وعن قتادة : منسوحة بآية السيف <sup>(٣)</sup> .

(١) رواه أحمد في المسند (٤٤٧ / ٢) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٥٦٠) ، والبزار (٧٢٠) - كشف الأستار عن ونسبه له الهيثمي في جمجم الزوايد (٢٦١ / ٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال الهيثمي : ورجالة رجال الصحيح .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (١٥٦ / ٢٠) ، وأبو السعود في تفسيره (٤٢ / ٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المثور (٤٦٦ / ٦) للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥ / ٢٨١) ونسبه لابن جرير وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

وعن النبي ﷺ : " ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقونهم ولا تكذبواهم ﴿وَقُولُواْ إِمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَإِنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ الآية فإن كان باطلًا (١٧٧/ ب) لم تصدقونهم وإن كان حقًا لم تكذبواهم "(١). ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنَّرَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي : مصدقاً لسائر الكتب السالفة تحقيقاً لقوله : ﴿إِمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَإِنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾

﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه . ﴿وَمَنْ هُنُّ لَهُمْ﴾ أهل مكة . ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَحْدُثُ بِغَايَتِنَا﴾ مع ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ المتغلبون في الكفر . وقيل : هم كعب بن الأشرف وأصحابه .

﴿وَمَا كُنْتَ نَسْأُلُ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ كِتَابٍ وَلَا نَخْطُطُهُ، بِمَا يَسِّنُكَ إِذَا لَأْرَاتَ الْمُبْطَلُونَ ﴽ٤٨﴾ بَلْ هُوَ أَيْنَتُ بَيْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواُ الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُمُ بِغَايَتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴽ٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي مِنْ رَبِّهِ، قُلْ إِنَّمَا أَلَيْنَتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴽ٥٠﴾ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ مُتَلَّاً عَلَيْهِمْ إِنْكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذَكَرَى لِقَوْمٍ يُوْمَئِرُونَ ﴽ٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا أَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَسِيرُونَ ﴽ٥٢﴾ وَسَتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجْلُ مُسَمَّى لِجَاهَهُ الْعَذَابِ وَلِيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴽ٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَيَأْ جَهَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ ﴽ٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشِنُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴽ٥٥﴾

قوله : ﴿وَمَا كُنْتَ نَسْأُلُ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ كِتَابٍ﴾ لأنه لو كان قالوا : وجد هذه القصص التي [ يقصها ] مذكورة في كتب الأولين فارتباوا أو شكوا . ﴿بَلْ هُوَ أَيْنَتُ بَيْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواُ الْعِلْمَ﴾ كما جاء في بعض الآثار : " أناجيل أمتى في صدورهم " (٢) :

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي﴾ نقترحها ؟ فأجابهم الله بقوله : ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ الآية . والقرآن معجزة باقية على وجه الدهر . ﴿وَلِيَأْتِيَنَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ كلفت الإنذار ولست آتي من المعجزات إلا بما أنزل عليّ ، ولست أقترح على الله آيات معينات ؟

(١) رواه أحمد ( ٤ / ١٣٦ ) ، وأبو داود رقم ( ٣٦٤٤ ) ، وابن حبان رقم ( ٦٢٥٧ ) ، والبغوي في شرح السنة ( ١ / ٢١٨ ) رقم ( ١٢٤ ، ١٢٥ ) ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ( ٩٣٩٦ ) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المشور ( ٥ / ٢٨٣ - ٢٨٤ ) ونسبة للدارمي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

إنما أنا نذير أبلغ ما أمرت بإبلاغه . وروي أن ناساً أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتبوا فيه شيئاً منقولاً عن اليهود في التوراة ؛ فقال عليه السلام : " كفى بقوم حماقة أن يتركوا ما جاء به نبيهم ويسألوا عما لم يأت به نبيهم " <sup>(١)</sup> . **﴿كَفَ إِلَّا هُنَّ بَيْنِ يَدَيْنِ رَبِّكُمْ شَهِيدًا﴾** أني قد بلغتكم ما أرسلت **﴿إِلَيْكُمْ﴾** ، وأنذرتم ، وأنكم قابلتموني بالجحود والتکذیب .

**﴿لَجَاءُهُمُ الْعَذَابُ﴾** أي عاجلاً ، والمراد بالأجل : الآخرة ؛ لأن الله تعالى وعد نبيه ﷺ ألا يعذب قومه ولا يستأصلهم ، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيمة .

وقيل : الأجل : يوم بدر . وقيل : وقت فنائهم بأجاهم . **﴿الْمُجِيْطَة﴾** أي : ستحيط بهم . **﴿يَوْمَ يَغْشَيْهِمُ الْعَذَابُ﴾** . وقيل : هي محیطة بهم في الدنيا ؛ لأن الأعمال التي توجها محیطة بهم . **﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي جزاؤه . والمعنى : أن الإنسان إذا لم يتھیا له في بلد إصلاح شأنه في دینه ولا من يعيشه عليه فلیرحل عنها إلى حيث يتیسر له . وقال الزمخشري : جربنا وجرب الأولون منا فلم نر ما هو أجمع للخاطر وأعون على التقوی من المجاورة مجرم الله <sup>(٢)</sup> .

**﴿يَعْبَادُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضَى وَسِعَةً فَإِنَّنِي فَأَعْبُدُونَ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ لَمْ يَنْتَهِتْ تُرْجَعُونَ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئُنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ عَرْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلَدِينَ فِيهَا نَعَمْ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَنْوَكُونَ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿وَكَانُوا مِنْ دَائِبَةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِلَيْكُمْ وَهُوَ أَسْمَاعُ الْعَلِيمِ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنْ يُؤْفِكُونَ﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿الَّهُ يَسْمُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَهْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يُكْلِلُ شَيْءَ عَلِيمٌ﴾** <sup>(٩)</sup> **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنْ سَمَاءَ مَاءَ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ﴾** <sup>(١٠)</sup> **﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَلَيْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَهُمُ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** <sup>(١١)</sup>

وعن النبي ﷺ : " من فرّ بدينه من أرض إلى أرض ، وإن كان قدر شبر <sup>(١)</sup> <sup>(١٢)</sup> وجبت له الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد <sup>(٢)</sup> . وقيل : نزلت في المستضعفين من

(١) رواه الطبری في تفسیره ( ٢١ / ٧ ) ، ونسبة السیوطی في الدر المشور ( ٦ / ٤٧١ ) للدارمی وأبی داود في مراسیله وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم عن یحیی بن جعدة رضی الله عنه .

(٢) ينظر : الكشاف ( ٣ / ٤٦ ) .

(٣) ذکرہ الزیلیعی في تحریج احادیث الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٥١ ) تفسیر سورۃ النساء ، ( ٣ / ٥٠ ) تفسیر سورۃ العنكبوت ، ونسبة للشعلي في تفسیره . وقال : مرسل .

المؤمنين ؛ كانوا بمكة لا يتمكنون من إقامة شعائر دينهم فدلم الله على الهجرة . والتقدير في الآية : وإياي اعبدوا فاعبدون . ومعنى الغاء في ﴿فَأَعْبُدُونَ﴾ جواب شرط مقدر ؛ المعنى : إن لم يتيسر لكم القيام بوظائف الدين في أرض فأخلصوا الله العبادة في غيرها . المعنى : أنها تحس بالموت إحساس الذائق . ﴿لَنْبُوَّتُهُم﴾ لنزلتهم ، وقرئ ﴿لَنْبُوَّتُهُم﴾<sup>(١)</sup> والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين ، وإلى العرف إجراؤه مجرى لنزلتهم ولشونهم ، وتقدير المجرور في قوله : ﴿وَعَلَىٰ رِزْقِهِمْ يَنْوَكُونَ﴾ يدل على الاختصاص . الدابة : اسم لكل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل .

قيل : كان المسلمون إذا أمروا بالهجرة قالوا : كيف نذهب إلى بلد ليس لنا فيه رزق ولا معيشة ؟ فنزلت ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها عن حمله . ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُم﴾ .

وقيل : لا تحمل رزقها ، أي : لا تدخل شيئاً لغد . قوله : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُم﴾ يريد : أهل مكة .

﴿يُنْوِكُونَ﴾ يصرفون عن التوحيد . قدر الرزق وقوته : إذا ضيقه ، يتحمل أن يراد : ويقدر له : يجمع له بين التوسعة والتقيير ، وأن يكون المراد شخصين في وقتين . ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَعْبٌ﴾ كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون . ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُمْ﴾ الدائمة . والحيوان : مصدر وهذا الوزن الحركة والاضطراب ؛ كالنزوان والغليان والضربان ؛ فهو أبلغ من أن يقول : هي الحياة .

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَحَثُوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ<sup>(٢)</sup> لِكَفَرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ وَلَيَسْتَمِعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ<sup>(٣)</sup> أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا إِيمَانًا وَيَسْخَطُونَ<sup>(٤)</sup> النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَإِلْبَطِيلُ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ<sup>(٥)</sup> وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَنَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِالْعَقْلِ لَمَّا جَاءَهُ<sup>(٦)</sup> الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مُثْوَى لِلْكَافِرِينَ<sup>(٧)</sup> وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِي سَبِيلِنَا<sup>(٨)</sup> لَهُدِينَهُمْ سُبْلَنَا وَلَمَّا آتَنَا اللَّهُ لَعَمَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٩)</sup>

(١) قرأ بها حزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقون "لنبوتهم" . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٥٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٤) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٦٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٠٢) ، الكشاف للزمخشري (٢١٠ / ٣) ، الشتر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٤) .

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ﴾ الفاء في قوله : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا﴾ أي : هم على ما هم عليه من دعوى الشرك فإذا دهمهم أمر عظيم التجأوا إلى الله وحده ، وسماهم ﴿الْمُنَاصِيَنَ﴾ تهكمًا بهم .

اللام في ﴿لِكَفَرُوا﴾ ، و﴿وَلِتَمْتَعُوا﴾ يجوز أن تكون لام كي ، وأن تكون لام الأمر للتهديد . وجاء قوله : ﴿وَلِتَمْتَعُوا﴾ إذانا بفساد ذلك الإخلاص الذي أخلصوه في الشدة . كانت العرب حول مكة يغير بعضهم على بعض ، ويأكل القوي منهم الضعيف ، وكان أهل الحرث آمنين في رحلتي الشتاء والصيف ؟ فذكرهم الله تعالى هذه النعمة .

قوله : ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي : كذبوا به لما جاءهم ، ولم يتثبتوا ؛ بل بادروا إلى التكذيب .

﴿جَهَدُوا فِينَا﴾ أي : بالصبر على قتال الكفار وأذاهم . قوله : ﴿فِينَا﴾ أي : في طاعتنا .

قوله : ﴿لَنَهَدِيهِنَّمُ﴾ لزيارتهم هداية إلى سبل الخير . وعن أبي سليمان الداراني <sup>(١)</sup> : والذين جاهدوا فيما عملوا لنهارتهم إلى ما لم يعملوا <sup>(٢)</sup> . وقيل : إن الذي (١٧٨ / ب) يُشاهد فيما من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما علمنا . ﴿لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لناصرهم ومعينهم .

\* \* \*

(١) هو الإمام زاهر العصر عبد الرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان الداراني من أهل داريا وهي ضيعة إلى جنوب دمشق كان أحد عباد الله الصالحين ومن الزهاد المتبعدين ، ورد بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل : سنة خمس ومائتين .

تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠ / ٢٤٨) ، حلية الأولياء لأبي نعيم (٩ / ٢٥٤) ،

سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ١٨٢) .

(٢) ذكره الرمخري في الكشاف (٣ / ٤٦٥) .

## تفسير سورة الروم [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿الَّمَّا ﴿١﴾ غَلَبَتِ الْرُّومُ ﴾٢﴾

كان المسلمون بحكمة يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، وأهل فارس مجوس يعبدون النار؛ فجاء الخبر أن الروم تواقعوا هم والكافر فعليت الروم وانتصرت فارس ، فغير الكفار المؤمنين ؛ هؤلاء الكفار من أهل الروم إخوانكم وقد ظهرنا عليهم ، ولاظهرنا الله عليكم ، فقال أبو بكر للسائل : والله لتغلب الروم فارس ؛ فقال له أبي بن خلف : ناجبني<sup>(١)</sup> على ذلك - أي : راهئي - فناحبه على ذلك ، وأن على كل من غالب بعد ثلاث سنين عشر قلاص<sup>(٢)</sup> فبلغ أبو بكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : " زُدْ فِي الرَّهْنِ وَزِدْ فِي الْمُدَّةِ ؛ فَإِنَّ الْبَضْعَ يَكُونُ تِسْعَ سِنِينَ "<sup>(٣)</sup> فراهن على مائة قلوص وعلى مائة من الإبل ، يكون ذلك على من غالب منها ، فعلبت الروم فارس يوم الحديبية . - وقيل : يوم بدر - وأخذ أبو بكر - رضي الله عنه - القلاص من تركة أبي بن خلف ، وجاء به إلى النبي ﷺ فقال : تصدق به ، وكان ذلك بعد تحريم القمار<sup>(٤)</sup>.

والغلب والغلب مصدران ، والذى في الآية يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل وإلى المفعول ؛ بناء على القراءتين ؛ فمن قرأ : **﴿غَلَبَتِ الْرُّومُ﴾** فهو مضاف إلى الفاعل ، ومن قرأ بضم الغين<sup>(٥)</sup> فهو مضاف إلى المفعول ، وهذا الخلاف مثل الخلاف في قوله :

(١) ناجبني : من المناحبة وهي المخاطرة والراهنة . ينظر : لسان العرب ( نحب ) .

(٢) القلاص : جمع القلوص : وهي أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثني فإذا أنتف هي ناقة ، والععود : أول ما يركب من ذكور الإبل إلى أن يثنى فهو جمل ، وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصا ، وقد تسمى قلوصا ساعة توضع ، والجمع من كل ذلك : قلاص وقلاص وقلاص وقلسان جمع الجمع وحالها القلاص . ينظر : لسان العرب ( قلص ) .

(٣) رواه الترمذى رقم ( ٣١٩١ ) ، والطبرى في تفسيره ( ١٧ / ٢١ ) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور ( ٥ / ٢٩٠ ) لابن أبي حاتم والبيهقي . وضعفه الشيخ الألبانى في ضعيف الترمذى رقم ( ٦٢٤ ) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المثور ( ٦ / ٤٧٩ ) ونسبة لأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر .

(٥) قرأ جهور القراء **ـ غَلَبَتِ** بالبناء لما لم يسم فاعله وقرأ على بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري =

﴿وَهُوَ مُحَمَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. واحتج أبو حنيفة ومحمد بقصة أبي بكر مع أبي بن خلف على أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلم والكافر<sup>(٢)</sup>.

﴿فِي أَذْنَ الْأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي يَصْبَعِ سَيِّدِنَا لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُرَّعُهُنَّ ﴿٦﴾ أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ الشَّمَوْتُ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَجِلِّ مُسَمَّىٰ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُلْقَىٰ رَبِّهِمْ لِكَفَرِهِنَّ ﴿٧﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَّارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبِيَنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمُهُمْ وَلَكِنَ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾

و القراءة **﴿مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ﴾** على الجر<sup>(٣)</sup> من غير تقدير مضاف إليه؛ كأنه قيل : قبلًا وبعدها؛ بمعنى : أولاً وأخرًا.

ويوم تغلب الروم على فارس **﴿يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾**. قوله : **﴿لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ﴾** أبدل " يعلمون " من **﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾** ليعلمك أن علمهم كلام.

= ويعاوية بن قرة وابن عمر وأهل الشام " غلبت " بالبناء للمعلوم .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٣٧١ / ٥) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ٢١٤) ، الكشاف للزخشري (٣ / ١٩٧) ، معاني القرآن للأخفش (٤٣٧ / ٢) ، معاني القرآن للفراء (٣١٩ / ٢).

(١) سورة البقرة ، الآية (٨٥).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (١٤ / ٥٦ ، ٥٧) ، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي (٧ / ٣٨ ، ٣٩) ط . دار الفكر - بيروت .

(٣) حكاها الفراء وغلهه النحاس ، وحكى الكسائي " من قبل ومن بعد " ، وقراءة عامة القراء " من قبل ومن بعد " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٢) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٣٧١ / ٥) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ٢١٤) ، الكشاف للزخشري (٣ / ٢١٤) ، معاني القرآن للفراء (٣٢٠ / ٢) .

قوله عز وجل : «أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ» يجوز أن تكون " في " ظرفية ، والتقدير: أو لم يجحدوا أو يحدثوا التفكير في قلوبهم ؛ كما تقول : أجعل هذا في نفسك . وأن يكون محلاً للتفكير ، وهو ظاهر . و«مَا حَالَّقَ» معمول للقول (١٧٩/١) المقدر؛ تقديره : فيقول ما خلق ... الآية . وقيل : لا تحتاج إلى إضمار " فيقولوا " لأن السياق يدل على القول .

«إِلَّا بِالْحَقِّ» مصحوبة بالحكمة وبالتأجيل إلى أجل معلوم ، وهو النسخة الأولى .

«وَاتَّارُوا الْأَرْضَ» حرثوها ، ومنه قوله : «لَاذُولٌ شَيْرُ الْأَرْضَ»<sup>(١)</sup>. «وَعَمَرُوهَا» قريش كما عمرها من كان قبلهم ، وليس في أرض قريش موضع حرث إلا يسيرا ؛ لأنها جبال وأودية . وقوله : «وَعَمَرُوهَا» تهكم بهم وبحرثهم .

﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيقَةً الَّذِينَ أَسْوَى أَسْوَى أَنْ كَذَبُوا يَقِنَتِ اللَّهَ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهِنُونَ ١١﴾  
 ﴿يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِدُّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ١٢﴾  
 ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ١٣﴾  
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ مِنْ شَرِكَاهُمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِمْ كُفَّارٍ ١٤﴾  
 ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُوَمِّدُ يَنْفَرُونَ ١٥﴾  
 ﴿فَآمَّا الَّذِينَ إِيمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُخْبَرُونَ ١٦﴾  
 ﴿الْأَسْوَى﴾ تأنيث الأسوأ ، وهو الأفضل ؛ كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، والمعنى أنهم عوقيبا في الدنيا بالتكذيب فدمروا و«أَنْ كَذَبُوا» معنى : لأن كذبوا ؛ أي : دُمِّروا لأجل التكذيب ، ويجوز أن يكون " أن " يعني أي ؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول ؛ نحو : نادي وكتب وما أشبه ذلك . ويجوز أن يكون «الْأَسْوَى» مصدر أساءوا ؛ أي : افترقوا السiect ، و«أَنْ كَذَبُوا» عطف بيان ، وخبر كان محذوف ؛ كما يحذف جواب ( لما ) و ( لو ) ؛ إرادة الإبهام .

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ أي : إلى دار جزائه . الإblas : أن تبقى ساكتا مت Hwyرا لا تهتدى إلى طريق الجواب بالحق ، ومنه : الناقة المblas : التي لا ترغو . وقيل : يبلس - بفتح اللام - من : أبلسه ، إذا أسكنه ، وكانوا في الآخرة مبلسين ، وتنكر الأصنام عبادتهم لها ، ومنه قوله تعالى : «تَبَرَّأَنَا إِلَيْكُمْ مَا كَانُوا إِلَيْنَا يَعْبُدُونَ»<sup>(٢)</sup> فيبلس الكفار حينئذ . وقيل : كانوا في الدنيا مبلسين بشركهم والضمير في قوله : «يَنْفَرُونَ» للMuslimين والكافرين

(١) سورة البقرة ، الآية (٧١).

(٢) سورة القصص ، الآية (٦٣).

معاً؛ بدليل السياق . وقيل : أراد بالتفرق : أن الأبرار في عليين ، والفجار أسفل السافلين . وعن قتادة : فرقة لا اجتماع بعدهما<sup>(١)</sup> . «فِي رَوْضَةٍ» من رياض الجنة ، وتنكيرها للتعظيم . «يُحَبِّرُونَ» يسرون ، يقال : حبره ، إذا سرَّه سرورا يظهر عليه أثره وتهلل له وجهه ، ثم اختلفت هذه الأقاويل لاختلاف وجوه المسرة . فقيل : يكرمون . وقيل : ينعمون . وقيل : التيجان على رؤوسهم . وعن وكيع : السمع في الجنة<sup>(٢)</sup> .

وفي الآثار: أن رجلاً سأله النبي ﷺ أن في الجنة سماع؟ قال : "نعم؛ إن في الجنة أجراساً (١٧٩/ب) من فضة ، فإذا أراد ولد الله السماع هبت ريح من تحت العرش فتصوت تلك الأجراس تصويناً لو سمعه أهل الدنيا لما توا طرباً"<sup>(٣)</sup> .

﴿وَآمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِيَوْمَنَا وَلَقَائِي الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْضَرُونَ ١٦﴾  
 ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُرُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧﴾  
 ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيَّاً ١٨﴾  
 ﴿وَحِينَ تُظَهَّرُونَ ١٩﴾

﴿مُخْضَرُونَ﴾ في العذاب لا يغيرون عنه ، وقلما يجيء لفظ المحضر في القرآن إلا لعقوبة ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْضَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> . «وَلَوْلَا يَعْمَلُ رِبُّكَ لَكُثُرَ مِنَ الْمُخْضَرِينَ»<sup>(٥)</sup> . لما ذكر الوعيد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعيد ، وينجي من الوعيد فقال : «فَسُبْحَنَ اللَّهُ» الآيات ، قيل : المراد بالتسبيح : ظاهره ، وهو قوله : سبحان الله وسائل الأذكار . وقيل : الصلاة . وسئل ابن عباس : هل تجد في القرآن الصلوات الخمس؟ فقال : نعم؛ وتلا هذه الآية : «تُمْسُرُونَ» صلاة المغرب والعشاء و«تُصْبِحُونَ» صلاة الصبح ، «وَعَشِيَّاً» صلاة العصر «وَحِينَ تُظَهَّرُونَ» صلاة الظهر<sup>(٦)</sup> .

(١) ذكره السيوطي في الدر المنشور (٦ / ٤٨٥) ونسبة عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبرى في التفسير (١٠ / ١٧٢) .

(٣) ذكره الرمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧١) بهذا السياق ، وذكر السيوطي في الدر المنشور (٦ / ٤٨٦) نحو ذلك .

(٤) سورة الروم ، الآية (١٦) .

(٥) سورة الصافات ، الآية (٥٧) .

(٦) رواه الطبرى في تفسيره (٣ / ١٠٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنشور (٦ / ٤٨٨) ونسبة =

وقوله : «**وَعَيْشًا**» متصل بقوله : «**وَجِينَ تُصِحُّونَ**» ، وقوله : «**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي أَسْمَوَاتِ الْأَرْضِ**» اعتراض بينهما ، ومعناه إن على المميزين من أهل السماوات والأرض أن يحمدوه . وروي عن الحسن أنه قال : هذه الآية مدنية ؟ لأنه كان يقول : إن الصلوات الخمس فرضت بالمدينة ، وكان الواجب في مكة في كل صلاة أن تصلى ركعتين . والقول الأكثر أن الخمس فرضت بمكة <sup>(١)</sup> .

وعن عائشة - رضي الله عنها - : " فرضت الصلاة ركعتين ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أقرت صلاة السفر ، وزيد في الحضر " <sup>(٢)</sup> . وعن رسول الله ﷺ : " من سره أن يقال له بالقفيز الأولي فليقل : «**فَسَبَّحَنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَجِينَ تُصِحُّونَ**» إلى قوله : «**وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ**» أدرك ما فاته من يومه ، ومن قالها حين يسمى أدرك ما فاته من ليلته " <sup>(٣)</sup> .

وقرئ «**جِينَ تُمْسُونَ وَجِينَ تُصِحُّونَ**» <sup>(٤)</sup> والمعنى : تمسون فيه ، وتصبحون فيه ؛ كقوله : «**يَوْمًا لَا تَجِزِّي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**» <sup>(٥)</sup> . بمعنى : فيه .

**«يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيَّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ** <sup>(٦)</sup>  
**وَمَنْ ءَايَنَتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْشَأْتُمْ بَشَرًا تَنَثَّرُونَ** <sup>(٧)</sup> وَمَنْ ءَايَنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ

= عبد الرزاق والفراء والمقداد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن أبي رزين رضي الله عنه قال: جاء نافع بن الأزرق إلى ابن عباس رضي الله عنهما ... فذكره .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧٢) بهذا السياق ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١ / ٣٥٩) عن الحسن في باب أول فرض الصلاة بنيو ذلك .

(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٠ ، ١٠٩٠ ، ١١٩٨) ، ومسلم رقم (٦٨٥) ، وأبو داود رقم (١١٩٨) ، وأحمد في المسند (٦ / ٢٧٢ ، ٢٧٤) ، والنسائي (١ / ٢٢٥) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٧٣٦) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) ذكره الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧) ، ونسبة للشعبي في تفسيره عن أنس ، وفي سنته بشير بن الحسين وهو ساقط .

(٤)قرأ بها عكرمة ، تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧٣) ، فتح القدير للشوكتاني (٤ / ٢١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٦) مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٢٩٧) ، المحتسب لابن جنبي (٢ / ١٦٣) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٤٨) .

أَنفُسْكُمْ أَرْوَاجًا لِتَشْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿٢١﴾

﴿الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة . ﴿الْبَيْتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ البيضة من الطائر وإحياء الأرض إخراج النبات فيها . وقيل : المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ أي : مثل (١٨٠ / ١) ذلك الإخراج تخرجون من القبور.

﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق أصلكم ، وهو أبوكم آدم ، وإذا للمفاجأة : ثم فاجأكم وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض وتبثرون فيها . ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي : من جنسكم ؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم ؛ وذلك لما يحصل عند اتحاد الجنس من الأنس والحبة ، وعند اختلاف الجنس بخلاف ذلك .

وعن الحسن : المودة كنایة عن الجماع ، والرحمة عن الولد<sup>(١)</sup> ؛ لقوله : ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ رَزَكَرِيَّا﴾<sup>(٢)</sup> ثم ذكر قصة الولد له . يقال : سكن إليه واطمأن إليه . وقيل : إن المودة والرحمة بين الزوجين من جهة الله عز وجل ، وأن التبغاض من الشيطان ؛ لكن نسبته إلى الله حقيقة ، وإلى الشيطان مجازاً خلافاً للزمخشري<sup>(٣)</sup> .

﴿وَمِنْ أَيْنِهِ خَلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ لِلْأَنْسَى كُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِلْعَلَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ أَيْنِهِ مَنَّاكُمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَأَيْنَقَاوْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ أَيْنِهِ بُرِيَّكُمُ الْبَرَقُ خَوْفًا وَطَمَعاً وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَخِيًّا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْزِهِمَا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ أَيْنِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دُعَوةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

الألسنة : اللغات أو أجناس النطق وصفاته . ومن بداع آياته سبحانه وتعالى أن جعل هذه الصفات مختلفة ؛ فلا تكاد تسمع شخصين يتكلمان فيشبه صوت أحدهما صوت

(١) ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠ / ١٣٩) ، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٥ / ٢٥٣) ، والزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧٣) ، والشوكتاني في فتح القدير (٤ / ٢١٩).

(٢) سورة مرريم ، الآية (٢) .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٧٣) : " وقيل : إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان " .

الآخر، أو شكله ، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ؛ ولا خلاف ذلك وقع التعارف ؟ فإنك لو رأيت توأمين متشابهين لا يتميز عنك أحدهما عن الآخر إلا بجهد ؛ فعند ذلك تعرف نعمة الله تعالى في الاختلاف ، وفي ذلك آية بينة ؛ حيث ولدوا من أب واحد وأم واحدة ، وفرعوا من أصل فرد ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون ومتفاوتون . **﴿لِلْعَالَمِينَ﴾** قرئ بفتح اللام وكسرها<sup>(١)</sup> . ويشهد للكسر قوله تعالى : **﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾**<sup>(٢)</sup> . **﴿وَمِنْ أَيْنِهِ مَنَامُكُمْ بِإِلَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاوُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾** بالنهار ، إلا أنه فصل بين الفريقين الأولين بالفريقين الآخرين لأنهما زمانان والزمان الواقع فيه كالشيء الواحد ، ويجوز أن يراد : منامكم في الزمانين ، وابتغاوكم فيما ، والأول هو الظاهر ؛ لتكرره في القرآن . قوله : **﴿بُرِيِّكُمْ﴾** فيه وجهان : أحدهما : إضمار " أن " ، أي : ومن آياته أن يربكم . والثاني : إنزال الفعل منزلة المصدر ؛ كقولهم في المثل : تسمع بالمعيدي لا أن تراه<sup>(٣)</sup> . وقال الشاعر [ من الوافر ] :

وقالوا ما تشاء ؟ فقلت ألمو إلى الإباح آخر ذي أثير<sup>(٤)</sup>

**﴿خَوْفًا﴾** من الصاعقة أو من الأخلاف . **﴿وَطَمَعًا﴾** في الغيث . وقيل : خوفاً للمسافر (١٨٠ / ب) وطماعاً للحاضر ، وهو منصوبان على المفعول له . وحق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا كذلك ؟ وفيه وجهان : أحدهما : أن المفعولين فاعلان في المعنى ؛ لأنهم راؤون وطامعون ؛ فصار التقدير: بجعلكم رائين خوفاً وطماعاً . والثاني : أن يكون على تقدير حذف المضاف أي : إرادة خوف وإرادة طمع ؛

(١)قرأ عاصم في رواية حفص عنه **﴿لِلْعَالَمِينَ﴾** بالكسر وقرأ بقية القراء " للعالَمِين " بالفتح . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٧) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٨٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٥٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧٤) ، السبعة لابن عجاد (ص: ٥٠٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٨) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٤) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٤٣) .

(٣) ينظر المثل في : جهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١ / ٢١٥) ، مجمع الأمثال للميداني (١ / ٨٦) ، المستقصي من أمثال العرب للزمخشري (١ / ٣٧٠) .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، ينظر في : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص: ٥٣٦) ، الخصائص لابن جني (٤٣٣ / ٢) ، الدرر اللوامع (١ / ٧٥) ، ديوان عروة بن الورد (ص: ٥٧) ، شرح المفصل لابن يعيش

(٩٥ / ٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٧٤) ، لسان العرب (سر) ، معجم البلدان (٣ / ٢١٨) .

فحذف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويجوز أن يكونا حالين ؛ أي : خائفين وطامعين «أن تَقُومَ» تقديره : قيام السماء ، أي : بغير عمد .

«يَأْمُرُهُ» بقوله : كونا قائمتين . وقوله : «تَخْرُجُونَ» بمنزلة قوله : «بِرِّيكُمْ» في إيقاع الجملة موقع المفرد ؛ التقدير : ومن آياته أن تقوم السماء ثم تخرون إذا دعاكم الملك : يا أهل القبور اخرجوا . والمراد سرعة وجود ذلك بلا توقف ؛ كما يجاب الداعي المطاع ، وعطف هذا بـ (ثم) دليل على عظمة هذا الخروج . وقوله : «مِنَ الْأَرْضِ» مكان المدعو لا الداعي ، هو متعلق بـ «دَعَاكُمْ» لا بقوله : «دَعَوْهُ» . وفي المثل : إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل<sup>(١)</sup> . و«إِذَا» الأولى للشرط والثانية للمفاجأة . وقرئ «تَخْرُجُونَ» بضم التاء وفتحها<sup>(٢)</sup> .

«وَلَهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهُ لَهُ، فَتَنِينُونَ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ الَّذِي يَبْدُو الْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَيْنَهُ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٤)</sup>

«فَتَنِينُونَ» منقادون لوجود أفعاله فيهم . «وَهُوَ أَهْوَنُ عَيْنَهُ» عندكم ؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء كان أهون عليه من إنشائها .

الإعادة مؤنة ، وعبر عنها بـ «هُوَ» ؛ لأن لها مصدرًا آخر مذكور ، وهو العود ، وقدم المعول في قوله «هُوَ عَلَى هَيْنَ»<sup>(٥)</sup> ، لأن المراد اختصاص الله تعالى بذلك ، وه هنا المراد : الإخبار بأن ذلك على الله هيئ .

قوله : «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» يعني الوصف العظيم الذي ليس لأحد مثله . وعن مجاهد : المثل الأعلى قول : لا إله إلا الله .

«ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ مِنْ أَيْمَنِكُمْ مِنْ شَرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ تَحَافُوْنَهُمْ كَجِيفَتِكُمْ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْأَيَّاتَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(٦)</sup> بِلْ أَتَيْعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا هُمْ مِنْ

(١) ينظر المثل في : روح المعاني للألوسي (٢١ / ٣٥) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٧٦) .

(٢) قرأ حزوة والكسائي وخلف وابن ذكوان «تَخْرُجُونَ» ، وقرأ الباقيون «تُخْرَجُونَ» .

تظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ١٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٠) .

(٣) سورة مریم ، الآية (٢١) .

نَّصِّرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَسِيقًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمَرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ \* مُنْبِينَ إِلَيْهِ وَأَنْفُوهُ وَأَقْبَلُوا الْأَصْلَوَةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَيُرْجُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا إِلَيْهِ مُنْبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقْهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِكَفَرُوا بِمَا أَنْتُمْ نَهَى فَتَمَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنَّا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَبَّرُ بِمَا كَانُوا يَهِيءُ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

و«من» الأولى للابتداء ، والثانية للتبعيض ، والثالثة زائدة ، ومعنى الآية : هل ترضون أن ماليككم المساوين لكم في البشرية والعقل والتميز أن يشاركونكم فيما وهبكم الله من الجاه والمالي ، وتخافوهم كما تخافون من غيرهم ؛ كذلك كل من عبد من دون الله لا يساوكم أيها الأحرار الملائكة ، ولا تخافوهم كخيفتكم من أمثالكم . «الَّذِينَ ظَلَمُوا» أشرکوا ؛ كقوله تعالى : «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» <sup>(١)</sup> «يُغَيِّرُ عِلْمَهُ» فإن العالم إذا ركب هواه ربما رد عليه علمه وكفه ، وأما الجاهل فإنه يخبط عشواء (١/١٨١) لا يدرى طريق الصواب . «فَأَقِمْ وَجْهَكَ» فقوم وجهك له من غير الخراف ولا ميل ، و«حَسِيقًا» حال من المأمور أو من الدين . «فَطَرَتَ اللَّهُ» الزموا فطرة الله ، أو: عليكم فطرة الله . والفتراة : الخلقة ، والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوحيد والاعتقادات الصحيحة ، لو لا أن آباءهم لقتوهم الضلال ، حتى لو ثرکوا لما اختاروا عليه دينا آخر ، ومن كفر منهم فبلغوا الشياطين ، وفي الحديث الصحيح أيضًا : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه » <sup>(٢)</sup> .

ووحد الخطاب في قوله : «فَأَقِمْ» وجده في قوله : «مُنْبِينَ» لأن الخطاب للرسول ﷺ خطاب لأمتة ؛ كقوله - عز وجل - : «يَتَآمَّهُ الَّذِي إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ» <sup>(٣)</sup> . «الَّذِينَ»

(١) سورة لقمان ، الآية (١٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٣٥٨) ، ومسلم رقم (٢٦٥٨) ، وأبو داود رقم (٤٧١٤) ، والترمذى رقم (٢١٣٨) ، والنمساني (٤ / ٥٨) ، وابن حبان رقم (١٢٨ ، ١٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الطلاق ، الآية (١) .

بدل من المشركين . ﴿فَرَفَوْا دِينَهُم﴾ ترکوا دین الإسلام ، وقرئ . ﴿فَرَفَوْا دِينَهُم﴾ <sup>(١)</sup> . أي : جعلوه أديانا مختلفة . ﴿وَكَانُوا يُشَيِّعُونَ﴾ فرقاً ، كل فرقة تشایع إمامها الذي أصلها . ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبة مسرور بباطله يحسبه حقاً ، ويجوز أن يقطع الكلام عند قوله : ﴿شَيْعَا﴾ وتبتدئ من قوله : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ . الضر : الشدة ، والرحمة : الخلاص من الشدائيد ، واللام في ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ لام العاقبة <sup>(٢)</sup> فتمتّعوا . نظير قوله : ﴿أَعْمَلُوا مَا شَتَّمُ﴾ <sup>(٣)</sup> ﴿سُلْطَنًا﴾ أي : كتاباً . ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ويخبر بحقائق الأمور ؛ كقوله : ﴿هَذَا كَيْنَاتِي يَبْطِئُ﴾ . يعني : فالقرآن شاهد بكذبهم و " ما " في قوله : ﴿بِمَا كَانُوا﴾ مصدرية ؛ أي : بكونهم ، ويحتمل أن يكون قوله : ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَنَاتٍ﴾ أي : ذا سلطان ، وهو ملك معه برهان بذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون .

﴿٣٦﴾ وَإِذَا أَذْفَنَ النَّاسَ رَحْمَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصْبِهِمْ سَيِّئَةً يَمَا قَدَّمَتْ أَلْدِيرِيمْ إِذَا هُمْ يَقْطَعُونَ  
أَوْتَمْ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِذَنَ فِي ذَلِكَ لَا يَنْتَهِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَثَاتَ ذَا الْفَرْقَى  
حَقَّهُهُ وَالْمُسْكِينُ وَابْنُ الْسَّيْلِ ذَلِكَ خَيْرُ الْلَّاهِيْنِ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ  
وَمَا ءاَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْبَرِّيْوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيْوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءاَيْتُمْ مِنْ رَكْوَقَ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ  
فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ بَيْسَكَمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ هَلْ مِنْ  
شَرِّ كَيْكَمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ شَبَّهَنَهُ وَتَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وَإِذَا أَذْقَنَ النَّاسَ رَحْمَةً﴾ أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة . ﴿فَرُحِوا بِهَا﴾ فرح أشر وبطر . ﴿أَوْتَمْ بِرَوْا﴾ هؤلاء أن الله هو القابض والباست والرازق ، فيما لهم لا يرجعون إليه ويتوبروا ! حق ذي القربي : صلة الرحم ، وحق المiskin وابن السبيل : نصيبيهما من الصدقة المسماة لهما ، وقد احتاج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على وجوب نفقة سائر المحارم<sup>(٤)</sup> . ولما ذكر الله تعالى أفعال المتقين أتبعهم بذكر ما (١٨١ / ب) يتقرب به إليه ، والنهي عن الriba

(١) قرأ حزنة والكسائي "فارقوا" وقرأ الباقيون "فرقوا". تنظر في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (ص: ٣٤٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٧٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٢)، مجمع البيان للطرسى (٨ / ٣٠٤)، النشر (٢ / ٢٦٦).

(٢) سورة فصلت، الآية (٤٠).

( ۲۹ ) ملک و ملکه (۳)

(١) سورة الحجّ، آية (٢٠):

(٤) ينظر : المبسوط للسرخسي (١٤ / ٥٦ ، ٥٧ ) ، شرح فتح القدير لـ محمد بن عبد الواحد (٧ / ٣٨ ، ٣٩ ) .

وكل ما يباعد من رحمته .

﴿تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ذاته، أو: رحمته وجانبه ، أو: يقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى<sup>(١)</sup> . ﴿لَرَبِّهِمْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ ليزيد وينمئ . ﴿فَلَا يَرْثُوا﴾ فلا يزداد عند الله .

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ﴾ ذروا الإضعاف ، ونظير المضعف : المقوى والموسر لذى القوة واليسار . وقيل : نزلت في ثيف ، وكانوا يربون . وقيل : المراد : أن يهب الرجلُ الرجلَ ، أو يهدى إليه ليغوضه أكثر مما وهب أو أهدى .

وقوله : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعَفُونَ﴾ التفات حسن ، وهو أنه تعالى خاطب بقوله : «وما هانَتُمْ» ثم عدل إلى أن أخبر ملائكته بفضل درجة هؤلاء المضعفين ، أي : الكاملين في الإضعاف .

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ ، وخبره : ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ . ﴿مَنْ لِمَنْ شَرَكَكُمْ﴾ الذين اخْذَنُوهُمْ آلهة هُنَّ ﴿مِنْ شَرَكَكُمْ مَنْ يَقْعُلُ مِنْ ذَلِكُمْ مَنْ شَاءَ﴾ ثم نزه نفسه عن ذلك ؛ فقال : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ التقدير: عما يشركون به . قوله : ﴿مِنْ شَرَكَكُمْ﴾ ﴿مِنْ ذَلِكُمْ مَنْ شَاءَ﴾ من الأولى والثالثة زائدتان ، وجعل الزمخشري الثانية كذلك والظاهر أنها للتبعيض<sup>(٢)</sup> .

﴿ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتِ أَيْدِي النَّاسِ لِذِيَّقَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشَرِّكُونَ<sup>(٤)</sup> فَإِنَّمَا وَجَهَكُمْ لِلَّذِينَ أَقْبَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْ يَأْتِيَّكُمْ يَوْمًا لَا مَرَدَ لَهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُوَمِّدُ يَصْدَّعُونَ<sup>(٥)</sup> مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَإِنَّهُمْ يَمْهُدُونَ<sup>(٦)</sup> لِيَعْزِزَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكُفَّارِينَ<sup>(٧)</sup>

﴿ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالجدب والقطط ، ووقوع الموتان في الناس<sup>(٨)</sup> وقلة الريع

(١) هذه الآية من آيات الصفات التي سبق التعليق عليها غير مرأة .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٤٨٣) : ومن الأولى والثانية والثالثة ؛ كل واحدة منها مستقلة بتأكيد ؛ لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم .

(٣) قال أهل اللغة : " الموتان بفتح الميم والواو هو الموتاء ؛ قال الأزهري في شرح الفاظ المختصر : يقال للأرض التي ليس لها مالك ولا بها ماء ولا عمارة ولا ينتفع بها إلا أن يجري إليها ماء و تستتبط فيها عين أو تحرر فيها بئر: موات و ميتة وموتان. بفتح الميم والواو وكل شيء من متع الأرض لا روح فيه فهو =

من الزراعات وغير ذلك ، وقالوا: إذا انقطع عميت دواب البحر .

وعن عكرمة : العرب تسمى المدينة بحراً<sup>(١)</sup> . وعن قتادة : كان ذلك قبلبعث ؛ فلما بعث رسول الله ﷺ رجع راجعون عن الضلال والظلم<sup>(٢)</sup> . ويجوز أن يراد ظهر الفساد بكثرة العاصي . قوله: «لِيُذَيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» كقوله: «وَمَا أَصْبَحَكُمْ مِنْ مُصْبِبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُرْ وَيَعْقُوْعَانْ كَثِيرٌ»<sup>(٣)</sup> .

لما ذكر فساد البر والبحر عقبه بأن الكفار يرون آثار الملوكين ولا يتغطون بهم .

قوله: «مِنَ اللَّهِ» يجوز أن يرجع إلى قوله: «أَنْ يَأْفَى» أي : يأتي من الله عقوبة ما فعلوا ، ويجوز أن يتعلق بـ «لَا مَرَدَ» أي : لا يرده أحد من الله ولا ينقذه منه .

«يَصَدَّعُونَ» يتفرقون . «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» وباله مخصوص به . «فَلَا نَفْسٍ مِمَّا يَمْهُدُونَ» كما يهد للصبي موضع نومه في توطنه . و «لِيَحْرَى» متعلق بـ «يَمْهُدُونَ» ؛ تعليل له .

«وَمِنْ إِيمَانِهِ» أن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُشَرِّطٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ . وَلِتَجْرِيَ الْفَلَكُ بِأَمْرِهِ . وَلِتَنْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . وَلَكُمْ شَكُورُونَ<sup>(٤)</sup> . ولقد أَرْسَلَنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمٍ فَجَاءُوهُمْ بِالْإِيمَانِ فَانْفَقُنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا<sup>(٥)</sup> . وَكَانَ حَفًَّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٦)</sup> . اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُشَرِّقُ سَحَابًا فَيُسْطِعُهُ الْسَّمَاءَ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَائِهِ<sup>(٧)</sup> . إِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشُونَ<sup>(٨)</sup> . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ، لَمْ يُلْسِنُ<sup>(٩)</sup> . فَانظُرْ إِلَيْهِ أَثْرَ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يَتَّسِعُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهِ<sup>(١٠)</sup> . إِنَّ ذَلِكَ لَمْحُ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَفْعٍ قَلِيلٌ<sup>(١١)</sup> . وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِبِّاً فَرَأَوْهُ مُضْفَرًا لَظَلَوْا مِنْ بَعْدِهِ، يَكْفُرُونَ<sup>(١٢)</sup> . فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَ وَلَا تُسْمِعُ الْحَسْنَةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ زَادَ مُدْرِينَ<sup>(١٣)</sup> . وَمَا أَنْتَ بِهَدِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِمَا يَأْتِينَا

= موتان ، ويقال : فلان يتبع الموتان . فاما ما كان ذا روح فهو الحيوان ، وأرض ميته : إذا بيس ويبس نباتها ، فإذا سقاها الماء صارت حية بما يخرج من نباتها ، ورجل موتان الفؤاد : إذا كان غير ذكي ولا فهم يعني بإسكان الواو ، ووقع في المال موتان وموات يعني بضم الميم فيهما وهو الموت الذريع . ينظر : تهذيب الأسماء للنووري (٣ / ٣٢٢ - ٣٢٣).

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٤٩ / ٢١) ، والقرطى في تفسيره (٤١ / ١٤) .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٤٩ / ٢١) .

(٣) سورة الشورى ، الآية (٣٠) .

فَهُم مُسْلِمُونَ ٥٣ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفِ فُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ فُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسَدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْشُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَيَتَّمَمُ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ يَوْمَ الْبَعْثَ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثَ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمُوْمَعَذَرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ حَسِنُهُمْ بِيَأْيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتَ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الظَّالِمِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْفَكُونَ ٦٠﴾

﴿من فضليه﴾ من عطائه : «رسيل الریاح» وهي الجنوب والشمال (١٨٢) والصبا، وهي رياح الرحمة ، وأما الدبور فريح العذاب ، أرسل الله تعالى رياح الرحمة لأمور منها: البشرة بالغيث ، وإذاقة الرحمة ، وحصول الخصب ، وجريان الفلك في البحر.

قوله : «من رحمتيه» يجوز أن يتعلق بقوله : «مبشرت» لأن البشرة نوع من إذاقة الرحمة، وأن يتعلق بمحذوف ، التقدير: «وليدرهم من رحمتيه» أرسلها .

قوله : «وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» رفع من شأن المؤمنين ، وأن الله تعالى ضمن لهم حصول النصر في العاقبة ، وتكرير «من قبله» للدلالة على تعظيم ما منحهم به ، وهذا التكرير كقوله : «آتَيْنَا فِي الْأَنْتَارِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا» (١) .

﴿خَلَقَكُم مِنْ ضَعْفٍ﴾ يعني: أن أصل ما بني عليه أصل نشأتكم الضعف . وقيل: من ضعف النطفة ؛ كقوله : «من ماء مهين» (٢). ﴿السَّاعَةُ﴾ القيامة ؛ سميت بذلك لأنها تقع في آخر ساعات الدنيا ، أو لأنها تقع سريعاً ؛ لقوله : «لَا تَأْتِكُمُ الْأَبْغَثَةُ» (٣). وصارت الساعة علماً للبعث ؛ كالنجم للثريا . «ما لِيَشُوا» أي: في القبور ، أو في الدنيا ، أو ما بين النفختين . «في كتب الله» في اللوح المحفوظ ، أو في علم الله وقضاءه «يُسْتَعْتَبُونَ» يستعرضون ، وحقيقةه : أعتبرته ، أزلت عنبه .

(١) سورة الحشر ، الآية (١٧).

(٢) سورة السجدة ، الآية (٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٨٧).

قوله : ﴿فَمَا هُم مِنْ قُبْلِ عَذَّرَهُمْ وَإِعْتَابَهُمْ .﴾ أي : من كل قصة غريبة الشأن كالمثل السائر . ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بنصرتك وإعلاء دينك حق لا بد من حصوله . ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَنْكِلُفُ اللَّهُ أَلِيمُ عَادَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا يَسْتَخْفَنَكَ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالآخرة .

\* \* \*

---

(١) سورة الزمر ، الآية ( ٢٠ ) .

### سورة لقمان عليه السلام [ مكية ]

سورة لقمان عليه السلام [ مكية ]

﴿الَّتِي ﴿١﴾ تِلْكَ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْكَيْمَرُ ﴿٢﴾ هُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقْيمُونَ الْأَصْلَوَةَ وَيُؤْتُونَ الْزَكُوْةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقَوْنَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿الْكَيْمَرُ﴾ ذي الحكمة ، أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي ، ويجوز أن يكون الحكيم قائله ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب المضمر المتصل منفصلا .

﴿هُدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ نصب على الحال ، والعامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة . وقرئ بالرفع <sup>(١)</sup> على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ ممحوف .

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يعملون الحسنات الآتي ذكرها من إقامة (١٨٢ / ب) الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإيقان بالأخرة . وحكي عن الأصولي أنه سئل عن الألمعي ؟ فلم يزد على إنشاد البيت وهو [ من المنسج ] :

الألمعي الذي يريك من الأمر  
كأن قد رأى وقد سمعا <sup>(٢)</sup>

والذين يعملون جميع الخصال الحسنة ، ثم خص منها هذه الثلاثة تشريفا لها على ما سواها . اللهو : كل باطل ألهى عن الخير ، وعما يعني .

(١) قرأ حزوة " ورحمة " بالرفع ، وقرأ الباقيون بالنصب . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (١٨٣ / ٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٣) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٩) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٦) .

(٢) البيت لأوس بن حجر ، ينظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٦) ، العين للخليل (٢ / ١٥٦) ، غريب الحديث لابن قبية (١، ٣١٢) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ٣٣١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٨٩) ، لسان العرب (لمع) . وفي الجميع : الألمعي الذي يظن بك الظن .....

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرَى لَهُ الْحَدِيثُ لِيُضْلِلَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُرُواً<sup>١</sup>  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

و﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ باطله ؛ نحو السمر بالأساطير والتحدث بالمضاحيك وفضول الكلام وعلم الغناء والموسيقى<sup>(١)</sup>. وقيل : نزلت في النضر بن الحارث ، وكان يتجر إلى فارس ويشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول : أنا أحدثكم بهذه الأحاديث وهي أحسن مما جاء به محمد . وقيل : كان يشتري الجواري المغنيات ، وإذا أحسن برجل يريد الدخول في الإسلام ذهب به إلى منزله ؛ فيطعمه ويسقيه ويسمعه غناء جاريته ، ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه محمد ؛ تقاتل حتى تموت<sup>(٢)</sup>. ويجوز أن تكون الإضافة للبيان ؛ كقولك : علم نحو ، وثوب حز . ويجوز أن تكون للتبعيض ، أي : يتخذ من اللهو بعضه ، وهو هو الحديث.

(١) قال ابن جرير الطبرى في تفسيره (٢١ / ٦٣) : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسوله ؛ لأن الله تعالى عم بقوله : ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ ولم يخصص بعضاً دون بعضاً ، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك " .

وقال ابن حزم في المثل (٩ / ٥٥) : " ولو أن امراً اشتري مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتجذبه هزواً لكان كافراً فهذا هو الذي ذم الله تعالى ، وما ذم قط - عز وجل - من اشتري له الحديث ليتلهمي به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ، وكذلك من اشتغل عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن أو بقراءة السنن أو بحديث يتحدث به أو ينظر في ماله ، أو بغناء أو بغير ذلك فهو فاسق عاصٍ لله تعالى ، ومن لم يضيع شيئاً من الفرائض اشتغالاً بما ذكرنا فهو محسن " . ثم قال ابن حزم بعد كلام طويل وإيراده لكل ما ورد من الأحاديث والأقوال في الغناء ملخصاً رأيه فيه : " إن رسول الله - ﷺ - قال : " إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرٍ ما نوى " فمن نوى باستعمال الغناء عوناً على معصية الله تعالى ؛ فهو فاسق ، كذلك كل شيءٍ غير الغناء ، ومن نوى به ترويع نفسه؛ لقوى بذلك على طاعة الله - عز وجل - وينشط نفسه بذلك على البر؛ فهو مطين محسن ، وفعله هذا من الحق ، ومن لم ينحو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه؛ كخروج الإنسان إلى بستانه متزهاً ، وفعوده على باب داره متفرجاً ، وصباة ثوبه ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله " .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٤).

﴿يَشْتَرِئُ﴾ يجوز أن يكون حقيقة ؛ لأن النصر اشتري الجواري والكتب ، وأن يكون مجازاً ؛ كما في قوله : ﴿أَشْرَوْا الْكُفَّارَ بِالْإِلَيْتِنَ﴾ <sup>(١)</sup>.

وعن قنادة : اشتراوه هو استحبابه وإياتاره على ما سواه <sup>(٢)</sup>. ﴿وَسَيِّلَ اللَّهُ﴾ دين الإسلام أو القرآن . من قرأ **لِيُضْلِلَ** <sup>(٣)</sup> كان معناه من أضل فهو ضال بإضلاله . وقوله : **لِيُغَيِّرَ عَلَيْهِ** لأنه بإياتاره الضلال على المدى من أجهل الناس .

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَنْ مُسْتَكِنْ كِيرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَقَرَا فَبِشِّرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتُ الْأَنْعَمِ

﴿خَلِيلِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًا وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ

﴿خَالِقُ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوِنَهَا وَالْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ رَوَسِيَّ أَنَّ تَمِيدَكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

﴿هَذَا خَالِقُ اللَّهِ فَأَرُوفُ مَا ذَا خَالِقُ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بِلَ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

﴿وَلَقَدْ أَنْتُنَا لُقْنَ الْحُكْمَةَ أَنْ أَشْكُرُ اللَّهَ وَمَنْ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِ الْحَمْدِ

﴿وَلَذِكْرِ الْقَمْنَ لِأَبْنِيهِ وَهُوَ بِعَظَمَهُ يَبْيَنُ لَا شَرِيكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِيكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

﴿وَوَصَّيْنَا أَلِاسْنَ بِوَلَدِيهِ حَلَّتْهُ أُمُّهُ وَهَنَّا عَلَى وَهْنِ وَفَصَلَهُ فِي عَامِينِ أَنَّ أَشْكُرُ لِي وَلِوَالِدِيكَ إِلَى الْمَصِيرِ

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفُهُمَا وَأَتَيْعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿وَلَنْ مُسْتَكِنْ كِيرًا﴾ لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأساً ؛ يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمع وهو سامع **كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَقَرَا** أي : ثقلاً ، ولا وقر فيهما . **كَانَ** الثانية : حال من الأولى ، والضمير في **كَانَ** ضمير الشأن . **وَعَدَ اللَّهُ حَقًا** مصدران مؤكدان ، الأول مؤكد لنفسه ، والثاني لغيره ؛ لأن قوله : **لَهُمْ جَنَّتُ الْأَنْعَمِ** كالوعد . **الْعَزِيزُ** الغالب .

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٧٧).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢١ / ٦١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٥٠٤) ونسبة ابن أبي حاتم .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو **لِيُضْلِلَ** وقرأ الباقيون **لِيُضْلِلَ** . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٣) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٣٠) بجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣١٢) ، النشر لابن الجوزي (٢٩٩ / ٢) .

قوله عز وجل : «**حَكَّاَ اللَّهُوَّتِ**» أي : هو وحده خلق هذه المخلوقات العظيمة ، فكيف بالفلكم ؟ ثم أضرب عن ذلك إلى تبكيتهم بتورطهم في ضلال لا يقدرون على التخلص منه . «**وَلَذَا قَالَ لَقْمَانَ لِأَبِيهِ**» هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أیوب . وقيل : كان من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام (١٨٣/١) وأخذ عنه العلم ، وكان يفتى قبل مبعث داود ، فلما بعث قطع الفتوى ؛ فقيل له في ذلك . فقال : ألا أكتفي إذا كفيت ؟ وأكثر الأقويل أنه كان حكيمًا لا نبياً<sup>(١)</sup>. وقيل : كان أسود خياطًا . وقيل : كان نجارًا . وقيل : راعيًّا . وقيل : كان يحتطب لموالاه كل يوم حزمه .

«**غَنِيٌّ**» عن الشكر «**حَمِيدٌ**» يحب أن يحمد . «**وَهَنَاكَ عَلَىٰ وَهُنَّ**» أي : حلته تهن وهنا على وهن ؟ كقولك : رجع عودًا على بدء ، وهو منصوب على الحال . وقيل : ضعفًا متزايدًا ؛ لأن العمل متى طالت مدة ازداد ثقله . «**فِي الَّذِي نَا مَعْرُوفًا**» بالأدب والإحسان حسناً بخلق جليل ، وحلم وبر وصلة ، وما يقتضيه الكرم والمروءة .

«**سَيِّلَ مَنْ أَنَابَ**» هم المؤمنون ، ولما ذكر الله تعالى الوالدين وما لقيا من التعب في التربية بدأ بالأم ؛ لأنها تلقى من المشاق ما لا يلقاه الأب أولاً ثم ذكرت وحدتها بعد ذلك . فإن قلت : ما معنى توقيت الفصال بعامين ؟ قلت : الأغلب على حال الولد أنه حينشد يقوى على الطعام . وعن أبي حنيفة رحمه الله : أن مدة الرضاع ثلاثون شهرا ؛ فإن أرضعت بعد ذلك لم يفد تحريرًا<sup>(٢)</sup>.

(١) قال السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥١٢ - ٥١١) : « وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه قال : خير الله تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة ، فاختار الحكمة على النبوة ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح ينطق بها ، فقيل له : كيف اختارت الحكمة على النبوة وقد خيرتك ربك ؟ فقال : لو أنه أرسل إلي بالنبوة عزمه لرجوت فيها الفوز منه ولكنني أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي . وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أنه سُئل : أكان لقمان عليه السلام نبياً ؟ قال : لا ، لم يوح إليه ، وكان رجلا صالحا . وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث رضي الله تعالى عنه قال : كانت حكمة لقمان عليه السلام نبوة . وأخرج ابن حجر عن مجاهد رضي الله تعالى عنه قال : كان لقمان عليه السلام رجلا صالحا ولم يكن نبيا . وأخرج ابن حجر وابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله تعالى عنه قال : كان لقمان عليه السلام نبيا .

(٢) ينظر : بداية المبتدى للمرغيناني (١ / ٦٦) ، الدر المختار لابن عابدين (٣ / ٢١٠) ، لسان الحكام للإبراهيم بن أبي اليمين الحنفي (١ / ٣٢٣).

﴿يَنْهَى إِنَّمَا إِنْ تُكْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ  
يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ﴾<sup>(١)</sup>

قرئ ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالنصب والرفع<sup>(١)</sup>. فمن نصب كان الضمير للحبة الواحدة ، ومن رفع فعلى اسم كان أو على أن كان تامة ، و﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ اسمها . ﴿فَتَكُنْ فِي﴾ أقصى المخلوقات وأخلفها . ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يوم القيمة ؛ إنه على كل شيء قدير . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ﴾ يتعلق علمه بكل معلوم وإن لطف ودق . وعن قيادة : ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿حَيْرٌ﴾ يستقرها ومستودعها<sup>(٢)</sup>. وإنما أنت المثقال لإضافته إلى الحبة ؛ كقوله [من الطويل] : ..... كما شرقت صدر القناة من الدم<sup>(٣)</sup>.

وروي أن ابن لقمان قال له : أرأيت الحبة تكون في مقل البحر ، أي : في مغاصه ، أعلمها الله ؟ قال : إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة ؛ لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء . وقيل : هي الصخرة التي تحت الأرض ، وهي سجين يكتب فيها أعمال الكفار . وقرئ ﴿فَتَكُنْ﴾<sup>(٤)</sup> بكسر الكاف من : وكن الطائر يكن : إذا استقر في وكتنه ؛ قال أمرؤ القيس [من الطويل] :

(٥) ..... وقد أغتنى والطير في وكتناتها

(١) قرأ نافع وأبو جعفر " مثقال " بالرفع ، وقرأ الآباءون " مثقال " بالفتح . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٥) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٢٣) ، الشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٤).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢١ / ٧٢) ، وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٢٢) ونسبه لابن أبي حاتم .

(٣) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدره : وتشرق بالقول الذي أذعنه ..... ينظر في : الأزهية في الحروف للهروي (ص : ٢٣٨) ، الأشباه والنظائر للسيوطى (٥ / ٢٥٥) ، خزانة الأدب للبغدادي (٥ / ١٠٦) ، ديوان الأعشى (ص : ١٧٣) ، الكتاب لسيوطى (١ / ٢٥) ، لسان العرب (شرق) ، والشاهد فيه : اكتساب المضاف " صدر " التائث من المضاف إليه " القناة " ولذلك أنت الفعل " شرق " وذلك جائز إذا صع حذف وكان بعضأ أو كبعض .

(٤) قرأ بها عبد الكرييم الجحدري . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٧) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٨) ، فتح القدير للشوكتاني (٤ / ٢٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٣) .

(٥) هذا صدر بيت ، وعجزه : ..... يمنجرد قيد الأول وابد هيكل =

وهي مقره ليلا ، والأول أظهر ؛ أن المراد أي حبة كانت في أي صخرة كانت من السماوات والأرض .

﴿يَسْأَلُنَّ أَقِيمَ الظَّلَوَةَ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِيمَ الْأَمْوَارِ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا تُشْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَقْسِمْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَحُورٍ ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ (١٨٣ / ب) مطلق في الأمر بكل صبر . وقيل : المراد واصبر على ما أصابك من إيداء من نهيه عن المنكر .

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ ما عزمه الله من الأمور ، أي : قطع به ، ومنه قوله - عليه السلام - : " لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل " <sup>(١)</sup>. قوله - عليه السلام - : " إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يجب أن يؤخذ بعذاته " <sup>(٢)</sup>. قوله : " عزمه من عزمات ربنا " <sup>(٣)</sup>.

ومنه : عزمات الملوك ، وهو أن تقول للشخص : عزمت عليك لتفعلن وحقيقة أنه من تسمية المفعول بال المصدر ، أي : من معزومات الأمور ، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الفاعل؛ كقوله تعالى : ﴿مِنْ عَزِيمِ الْأَمْوَارِ﴾ <sup>(٤)</sup>. وصدق القتال ، وهذا تعظيم لما ذكر من هذه العبادات ، وأنها أمر مقطوع به لا محيد عنه . ﴿وَلَا تُشْعِرْ خَدَّكَ﴾ ولا تصغر <sup>(٥)</sup> ؛ تقول : عالى

= ينظر في : خزانة الأدب (٣ / ١٥٦)، ديوان امرئ القيس (ص : ١٩)، شرح المفصل (٢ / ٦٦).

(١) رواه أحمد (٦ / ٢٨٧)، وأبو داود رقم (٢٤٥٤)، والترمذى رقم (٧٣٠)، والنمسائى (٤ / ١٩٧)، وابن ماجه رقم (١٧٠٠)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (١٩٣٣)، عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها . وصححه الشيخ الألبانى في إرواء الغليل رقم (٩١٤).

(٢) رواه أحمد (٢ / ١٠٨)، وابن حبان رقم (٣٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ١٤٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما . وصححه الألبانى في الإرواء رقم (٥٦٤).

(٣) رواه أبو داود رقم (١٣٤٤)، والنمسائى رقم (٢٤٠١)، وأحد رقم (١٩١٦٥) وذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتدين بشرح إحياء علوم الدين (٤ / ٨٨)، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٤٢٦٥).

(٤) سورة محمد ، الآية (٢١).

(٥)قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم " ولا تصغر " بغير ألف ، وقرأ الباقيون " ولا تصصغر " بالف . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٨٢)، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٨٨)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥١٣)، الكشاف للزنخشري (٣ / ٤٩٧).

البناء وأعلاه بمعنى ، والصرع والصيد : هو ميل العنق ، وأصله داء يصيب الإبل ، فتميل أعناقها ، والمعنى : أقبل على الناس بوجهك تواضعًا ، ولا توهم شق وجهك كما يفعل المتكبرون .

﴿وَلَا تَقْسِنُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أراد : ولا تمش تمرح مرحًا ، أي : أوقع المصدر موقع الحال يعني مارحًا ؛ كقولك : جاء زيد ركضا ، أي : راكضا ، ويجوز أن يريد المفعول من أجله ؛ أي : لا تمش في الأرض لأجل المرح ، ومنه قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالذِّينَ حَرَجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ بَطَرًا﴾<sup>(١)</sup>

﴿وَأَقْصِدُ فِي مَشِيكَ وَأَعْصُضُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمَرِ﴾<sup>(٢)</sup> الْفَرَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَحَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ، ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدُى وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ<sup>(٣)</sup>

﴿وَأَقْصِدُ فِي مَشِيكَ﴾ أي : ليكن مشيك متوسطاً بين الإسراع والوثوب ومشي المتماوتين. وقول عائشة في عمر : " كان إذا مشى أسرع "<sup>(٤)</sup> تعني : سرعة مرتفعة عن مشي المتماوتين .

يقال : شيء نكر تنكره النفوس ، ومنه : ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أي : أحقرها بالإنكار . والحمار مثل من يرفع صوته فوق الحاجة ، ولفظ الحمار مستنكر حتى عدوا من جملة الآداب لا يذكر لفظ الحمار في مجلس فيه أكابر الناس ، ويكونون عنه بطويل الأذنين . ومنه لفظ الكلب لما ضرب به المثل في الكفار قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِإِيمَانِنَا﴾<sup>(٥)</sup> وقال في التمثيل بالحمار : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُتِّلُوا الْتَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلُ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يَنْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِإِيمَانِنَا اللَّهُ﴾<sup>(٦)</sup> . وقوله : ﴿فَمَا لَمْ تَمْعَنْ أَنْتَكَرْهُ مُعْرِضِينَ﴾<sup>(٧)</sup> كَانُوكُمْ حُمُرٌ مُشَتَّنِفَرَةٌ<sup>(٨)</sup>

(١) سورة الأنفال ، الآية (٤٧).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والأثار (٣ / ٧٦) وقال : غريب . وفي النهاية لابن الأثير عن عائشة قالت : " كان عمر إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع " .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٧٦).

(٤) سورة الجمعة ، الآية (٥).

(٥) سورة المدثر ، الآية (٥٠).

وتمثيل رافعي الأصوات بالحمير وأمرهم بخفض الصوت ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ونقل الكلام عن التشبيه إلى الاستعارة إنكار بلية عليهم . وأفرد الصوت ؛ لأن المراد أن كل واحد من هذا الجنس ، وصوته منكر وليس المراد أن أصواتها إذا اجتمعت تشبه بشيء مجتمع . «مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» من الشمس والقمر والنجوم والسحاب (١٨٤ / ١) «وَغَيْرُ ذَلِكَ وَمَا فِي الْأَرْضِ» البحار والمعادن وما لا يخفى .

«وَأَسْبَغَ» قرئ بالصاد<sup>(١)</sup> وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والكاف ؛ تقول في سلغ : صلخ ، وفي سقر : صقر ، وفي سالغ : صالح<sup>(٢)</sup> . فإن قلت : ما النعمة ؟

قلت : كل نفع قصد به الإحسان . والله تعالى خلق العالم كله نعمة ؛ لأنه إما حيوان وإما غير حيوان ، فأما الحيوان فالنعمة عليه بالإيجاد ، ونفع الروح ، ولأنه لو لا ذلك لما تهيأ منه الانتفاع بنعمة فهو نعمة ، وما ليس بحيوان نعمة على الحيوان وقد أكثر الناس في معنى الظاهرة والباطنة ؛ فقيل : الظاهرة : ما ترى العين ، والباطنة : ما تعلم بالاستدلال .

وقيل : الظاهرة : أعمال الجوارح ، والباطنة : أعمال القلوب . وعن الحسن : الظاهرة : الإسلام ، والباطنة : الستر<sup>(٣)</sup> . وعن الضحاك : حسن الصورة ، وامتداد القامة ، وتسوية الأعضاء ، والباطنة : المعرفة<sup>(٤)</sup> . روي أن موسى عليه السلام قال : "إلهي دلني على أخفى نعمة أنعمت بها على عبادك ، فقال : أخفى نعمتي عليهم النفس"<sup>(٥)</sup> . وروي : أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس<sup>(٦)</sup> .

(١) قرأ جهور القراء " وأسبغ " بالسين ، وقرأ ابن عباس وبخي بن عمارة " وأصبح " بالصاد . تنظر القراءات في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٠) ، فتح القيدير للشوكاني (٤ / ٢٤١) ، الكشاف للزخشي (٣ / ٢١٤) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣١٨) ، المحتسب لابن جنبي (٢ / ١٦٨).

(٢) يقال : سلغت الشاة والبقرة تسلغ سلугا وهي سالغ : تم سمنها . وقال الأصممي : هي بالصاد لا غير ، وغنم سلغ كصلخ ، وسلغت البقرة والشاة تسلغ سلугا إذا أسقطت السن التي خلف السديس فهي سالغ ، وصلغت فهي صالح الأنثى بغير هاء وذلك في السنة السادسة . ينظر : لسان العرب (سلغ).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٢٥).

(٤) رواه الطبرى (٢١ / ٧٨) ، وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٢٥).

(٥) ذكره الزخشي في الكشاف (٣ / ٤٩٩).

(٦) ذكره الزيلعى في تخريج أحاديث الكشاف (٣ / ٧٧) وقال : غريب جداً .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَلْوَأُوا بَلْ نَتَّيْعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَابَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ الشَّيْطَنُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوفِ الْوَقِيقِ وَإِلَى اللَّهِ عِنْقَبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٢﴾﴾

أتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهם إلى عذاب السعير ، أي : في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب . وقرأ علي بن أبي طالب ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ﴾<sup>(١)</sup> بالتشديد ، يقال : سلم أمره إلى الله وأسلمه ، وقد عداه هنا بـ " إلى " وعده باللام في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> لأن المراد عندما تعدى باللام أنه جعل وجهه أي : ذاته خالصة لله ، وأما تعديته بـ " إلى " فكقولك : سلمت المال إلى زيد . ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوفِ الْوَقِيقِ﴾ من باب التمثيل . جعل من أراد الدخول في أمر فهيا له سبيلا قوياً شبيها بالعروفة المستوثقة منها ، فمن استمسك به سلم . ﴿وَإِلَى اللَّهِ عِنْقَبَةُ الْأُمُورِ﴾ كقوله : ﴿وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْرُنَكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنَتَّشِّهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُعَيْنُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِظٍ ﴿١٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فُلَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿نُعَيْنُهُمْ﴾ زماناً قليلاً بدنياهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِظٍ﴾ الغلظ حقيقة في الأجسام ، مجاز في المعاني . ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ﴾ إلزمهم على إقرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله . ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك إلزمهم على إقرارهم . ﴿الْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين ﴿الْحَمِيدُ﴾ الذي يجب حمده في السموات والأرض .

(١) وقرأ بها أيضاً السلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٩٠ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٠ ) ، فتح القدير للشوكتاني ( ٤ / ٢٤٢ ) ، الكشاف للزخري ( ٣ / ٢١٥ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٣٢٩ ) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ٣٠ ) .

(٣) سورة هود ، الآية ( ١٢٣ ) .

قرئ ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُه﴾ بالنصب عطفاً على اسم "إن" والرفع<sup>(١)</sup> عطفاً على (١٨٤) اسم "إن" ومعهماها. ﴿وَلَقَ﴾ ثبت أن الأشجار أقلام، وثبت أن البحر مدد بسبعة أجر أو على الابتداء، والواو واو الحال، بمعنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر مدوّداً، المعنى: ولو أن الشجر أقلام، والبحر مدد بسبعة أجر، وكتب بهن كلام الله لما نفدت الكلمات. فإن قيل: كيف جاز أن يكون قوله ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُه﴾ حالاً ولا ضمير فيه يعود إلى صاحب الحال؟ قلت: هو كقوله [من الطويل]:

وقد أغتندي والطير في وكناتها<sup>(٢)</sup>

وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، ويجوز أن يكون المعنى: وبجرها والضمير للأرض؛ فإن قلت: لم أفرد قوله: ﴿شَجَرَة﴾ ولم يقل: من الشجر؟ قلت: لأن المراد إذا استقرت شجرة بعد شجرة لم توجد إلا مبرية أقلاماً. فإن قلت: لم جمع الكلمات جمع قلة، والمراد هنا الكثرة؟ قلت: معناه: أن كلماته لا تفي بها كتبة ذلك، فكيف بكلمة واحدة؟!

وقيل: إن اليهود قالوا: أُوتينا التوراة وفيها علم كل شيء. فأجيبوا بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. وقيل: قال المشركون: إن هذا الذي يأتي به محمد كلام سينفذ، وأنه يتقوله فنزلت. وقيل: إن اليهود علّموا المشركين أن يقولوا للمؤمنين: أُوتينا التوراة وفيها علم كل شيء<sup>(٣)</sup>.

﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنْسٍ وَجَدَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴽ٦٨﴾ أَلَرْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ أَلَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي أَلَيْلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي إِلَى أَجْلٍ مُسْمَىٰ وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيِيرٌ ﴽ٦٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَمُ الْكَيْرٌ﴾

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب "والبحر" وقرأ الباقون "والبحر". تنظر القراءات في: البحر الخيط لأبي حيان (٧ / ١٩١)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٨٦)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٦٦)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥١٣)، الكشاف للزمخشري (٣٤٧ / ٣)، التفسير لابن الجزري (٢ / ٢). (٢) تقدم تخرجه في تفسير سورة البقرة، الآية (١٤٤).

(٣) رواه الطبراني في تفسيره (٢١ / ٨٢)، وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٢٦ - ٥٢٧).

**﴿لَا إِكْنَافٌ وَجِدَةٌ﴾** أي : إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ، وهو يحاسب زيداً في وقت محاسبته لعمرو ، ويبعث زيداً في وقت بعثه لعمرو . **﴿يُولِّجُ الْأَيْلَلِ فِي النَّهَارِ﴾** هو قوله : **﴿يَعْشِي أَيْلَلَ النَّهَارَ﴾**<sup>(١)</sup> . وقيل : ما نقص من أحدهما زيد في الآخر . والأجل المسمى : يوم القيمة ؛ لأنه لا ينقطع جريهما إلى ضد ذلك . وقوله : **﴿أَجَلٌ مُسَمٌّ﴾** تقويت . وقوله : **﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَمٌّ﴾** انتهاء للغاية .

﴿ذَلِكَ﴾ الذي يوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان الله هو ﴿الْحَقُّ﴾ وأن إلهًا غيره باطل.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَمُ الْكَيْرُ﴾ عن أن يشرك به شيئاً . قرئ ﴿الْفَلَك﴾ بضم اللام<sup>(٢)</sup> وكل فعل يجوز فيه فعل ؛ كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض ، وبنعمات الله - بسكون العين - وزن فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ، والبخار<sup>(٣)</sup> ﴿يَعْمَلُ اللَّهُ﴾ بإحسانه ورحمته . يكثر الموج ويترافق فصيير كالظلل ، والظلة : كل ما أطللك من سحاب أو جبل أو غيرهما . ﴿فَيَنْهِمُ مُقْنَصِدُ﴾ المقتصد : المتوسط في الإخلاص ، يعني : (١/١٨٥) أن ذلك الخوف حين كان في البحر لا يعود إلى الخائف . والمقتصد : قليل نادر . وقيل : مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه في البحر . والختر : أشد الغدر ، ومنه المثل : إنك لا تند لنا شرراً من غدر إلا مددنا لك باغاً من ختر<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الأعراف ، الآية (٥٤).

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصور (٣٩١ / ٥)قرأ بها موسى بن الزبير .

(٣) ينظر المثل في : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٠٣) ، لسان العرب (ختر) قال ابن منظور في اللسان :  
الختر: الغدر، ختر يختر فهو خاتر وختار للعبارة . والختر: الفساد يكون ذلك في الغدر وغيره ، يقال :  
ختره الشراب إذا فسد بنفسه وتركه مسترخيا ، والختر كالخدر ، وهو ما يأخذ عند شرب دواء أو سم  
حيث ، يضعف ويسكر .

﴿ يَتَبَاهَا النَّاسُ أَنْقُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجِزُّ وَالْدُّعَ عنَ الْلَّدِيْهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنَ الْلَّدِيْهِ شَيْئًا إِنَّكُمْ وَعَدَ اللَّهَ حَقًّا فَلَا تَغْرِيَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِيَكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ ٢٣ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزَلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِمَايَ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ ﴾ ٢٤ ﴾

﴿ لَا يَجِزُّ ﴾ عنه ، لا يقضى عنه شيئاً ، ومنه قوله في جذعة ابن نيار : " تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك " <sup>(١)</sup> . والغرور : الشيطان . وقيل : الدنيا . وقيل : تمنيكم في المعصية المغفرة بغير توبة . وقيل : هو ذكرك لحسناتك ، ونسيانك لسيئاتك غرة . وقرئ بضم الغين <sup>(٢)</sup> وهو مصدر غر غرورا ؛ فإنه جعل الغرور غارا . قوله : ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ ﴾ أكد نفي الإجزاء عن الوالد للولد ؛ لأن أكثر الصحابة أسلموا وآباؤهم على الكفر فأكده نفي الانتفاع بشفاعتهم في الآخرة . روى أن أعرابيا سأله النبي ﷺ عن هذه الخمس ؛ فأنزل الله هذه الآية <sup>(٣)</sup> . وعن ابن عباس : " من ادعى معرفة هذه الخمس فقد كذب ، إياكم والكهانة ؛ فإن الكهانة تدعوا إلى الشرك ، والشرك أهله في النار " <sup>(٤)</sup> .

وروي أن المنصور أهله معرفة ما بقي من عمره ، وكان يدعوه أن يعلم بذلك عقب كل صلاة ، فرأى في المنام كفرا خرجت من البحر بخمسة أصابع ، فسأل العلماء عن تعبيرها فقال قوم : خمس سنين . وقيل : خمسة أشهر . وقيل : غير ذلك ، حتى قال أبو حنيفة : إن

(١) رواه البخاري رقم (٥١٣٠) ، وأبو داود رقم (٢٤١٩) ، الترمذى رقم (١٤٢٨) ، وابن ماجه رقم (٣١٤٥) ، وأحمد رقم (١٤٣٩٩) ، وابن نيار ، اسمه هانئ واسم جده عمرو بن عبيد ، من حلفاء الأنصار ، وشهد العقبة ويدرا والمشاهد وعاش حتى سنة ٤٢ وقيل : ٤٥ هـ . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري .

(٢) قرأ بها سماك بن حرب وأبو حيوة وابن السميق . وقراءة الجمهور " الغرور " بفتح الغين . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (١٩٤ / ٧) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٨١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٢) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ٢٤٥) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٧٢) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٣ / ٣٢٦) ونسبة لابن مردوه عن أبي أمامة وسلمة بن الأكوع . وروى أحمد في المسند (٢٢٠٤٦) نحوه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٠٥) .

هذه الخمس استأثر الله بعلمها ؛ فليس لأحد سبيل إلى معرفتها<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث : " خمس لا يعلمهن إلا الله ، وتلا الآية " <sup>(٢)</sup>.

وجعل العلم والدرایة للنفس ؛ لما في الدرایة من معنى الحيل .

\* \* \*

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٠٥ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٤٠٤ ) ، ومسلم رقم ( ١٠ - ١١ ) ، وهو جزء من حديث جبريل المشهور .

## سورة السجدة [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿الَّتِي ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهَدُونَ ﴾٣﴾ اللَّهُ أَلَّا ذِي خَلْقٍ إِلَّا سَمَوَاتٍ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا مَا فِي سَيَّةٍ أَيَّامٌ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلَيْلٍ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾٤﴾**

﴿الَّتِي﴾ على أنها اسم للسورة مبتدأ ، و﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ خبره ، وإن جعلته تعديدا للحرروف ارتفع ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بأنه خبر مبتدأ مخدوف ، أو: هو مبتدأ خبره ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ والوجه أن يرتفع ﴿الَّتِي﴾ بالابتداء ، وخبره: ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ جملة معرضة ، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى مضمون الجملة ، أي : في كونه مُنزلا من رب العالمين . أثبتت أولا أنه منزل من رب العالمين ، وأنه لا ريب فيه ولا شك ، ثم انتقل إلى تقييعهم على ما يعتقدونه من أنه مفترى .

فإن قلت : نفى أن يكون مرتابا فيه ، وأثبتت ما هو أشد من ذلك ؟ أن يكون مفترى ؟

قلت : إنما نفى الريب لأن القرآن معجزة الرسول ﷺ وإذا (١٨٥ / ب) انتفى الريب عن المعجزة صحة الإسلام ، ولا شيء أفعى من صحته ، وأما قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَهُ﴾ فهو إما قول متتجاهل يعلم أن الأمر بخلاف ذلك ، أو معاند مكابر لا غيره يقوله ؛ فكان الأول أهون . ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ؟ كقوله : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١) .

فإن قلت : فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة ؟ قلت : أما معرفة الله تعالى ووحدانيته وعلمه وقدرته فهو ثابت بأدلة العقل ، وأما ما سوى ذلك فلا .

﴿لَعَلَّهُمْ يَهَدُونَ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن يكون على ترجية النبي ﷺ ؛ كما كان قوله : ﴿فَقُولَا لَهُ فَوْلَانِي﴾ (٢) على ترجية موسى وهارون . والثاني : أن يستعار الترجي للإرادة ؛ أي : إرادة أن تهتدوا ، وهو بعيد ؛ لأنه لو أراد أن يهتدوا لاهتدوا .

(١) سورة يس ، الآية (٦) .

(٢) سورة طه ، الآية (٤٤) .

فَيَلْ : إِن " لَا " فِي قُولَه : ﴿ وَلَا شَفِيعٌ زَائِدَةٌ ، وَلِيْسَ كَذَلِكَ ؟ فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ : مَا لَكَ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَشَفِيعٍ . اتَّفَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ ، إِنَّا إِذَا وَجَدْ الشَّفِيعَ دُونَ الْوَلِيِّ أَوْ بِالْعَكْسِ لَمْ يَنَاقِضْ ذَلِكَ . أَيْ : فَبَطْلُ فَكْرَكُمُ الصَّحِيحِ فَلَا تَذَكَّرُونَ ، أَيْ : مِنْ قَدْرِ عَلَى خَلْقِ الْأَعْلَى أَعْظَمُ وَهُوَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَهُوَ عَلَى مَا سَوَاهُمَا أَقْدَرٌ ; ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ الْأَنْسَابِ ﴾ (١) . ﴿ إِنَّمَا أَشْدَدُ خَلْقَهُ أُمُّ الْنَّمَاءِ ﴾ الْآيَاتُ (٢) .

﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةً إِمَّا  
تَعْدُونَ﴾

﴿الأَمْرُ﴾ المأمور به من الطاعات ، ينزله مدبّراً من السماء إلى الأرض ، ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة ؛ لقلة عمال الله المخلصين ، وقلة الأعمال الصاعدة ؛ لأنّه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ، دل عليه قوله على أثره : ﴿فَلِإِلَّا مَا شَكُورٌ﴾ أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الدنيا وهو ألف سنة ؛ كما قال : ﴿وَلِكُلِّ يَوْمٍ عَنْدَ رَبِّكَ كَافِي سَنَةٌ وَمَعَانِيدُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> . **﴿فَمَرَّ** يَعْرُجُ إِلَيْهِ

﴿أَيْ﴾ يصير إليه ، ويثبت عنده ، ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ، ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر - أيضاً - ليوم آخر وهلم جراً إلى أن تقوم الساعة . وقيل : ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل ، وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة ؛ لأن المسافة في الصعود والتزول مقدار ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسة ستة ، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل (١٨٦) عليه السلام ؛ لأنّه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد . وقيل : يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ، ثم يرجع إليه ذلك الأمر كلّه ليحكم فيه **﴿فَيَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ الْفَ سَنَةً﴾** وهو يوم القيمة ، وقال في موضع آخر **﴿خَمْسِينَ الْفَ سَنَةً﴾** <sup>(٤)</sup> . فعن ابن عباس : هذه سنون لا أدرى ما هي <sup>(٥)</sup> . وقيل : **﴿خَمْسِينَ الْفَ سَنَةً﴾** تقدير عروج الملائكة من العرش إلى الأرض وعكسه مسافة يقطعها الراكب المجد في خمسين ألف سنة ،

(١) سورة غافر ، الآية (٥٧).

٢٧ الآية ، النازعات سورة ( ٢ ) .

(٣) سورة الحج ، الآية (٤٧) .

(٤) سورة المعارض ، الآية (٤) .

(٥) رواه الطبرى، فى التفسير (٢٩ / ٧٢)، ونسمه السبوطى، فى الدر المنشور (٦ / ٥٣٧ - ٥٣٨) =

من العرش إلى الأرض وعكسه مسافة يقطعها الراكب المجد في خمسين ألف سنة ، وقوله -  
ها هنا - : **﴿أَلْفَ سَنَة﴾** هو لدنة العروج من سماء الدنيا إلى الأرض أو عكسه . وقيل :  
اختلاف القول في ذلك اليوم بوجب ظنونا مختلفة ؛ فبعض من اشتد عليه الهول يقدره  
بخمسين ألف سنة ، وبعض من كان أنقص عذاباً يقدره بـألف سنة .

**﴿ذَلِكَ عَذَابُ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ① الَّذِي أَحَسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَيَدْأَبُّ خَلْقَهُ إِلَيْهِ أَنْسَنِ مِنْ طِينٍ ⑦ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلْطَانَةِ مِنْ مَاءِ مَهِينٍ ⑧ شَرَسَوْنَةٌ وَنَفَخَ فِي مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ⑨﴾**

**﴿أَحَسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾** أي : حسنة ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما  
اقتضته الحكمة ، وجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن ؛ كقوله : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾**<sup>(١)</sup> . وقيل : علم كيف يخلقه ؛ من قوله : قيمة المرء ما يحسن  
وقرئ **﴿خَلْقَهُ﴾**<sup>(٢)</sup> على البدل من **﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾** أي : أحسن كل شيء وخلقه ؛ على  
الوصف لـ "شيء" . سميت الذريعة نسلا ؛ لأنها تنسل من الإنسان ، أي : تخرج من  
صلبه **﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾** من مني مستقدر تكره أن تراه على ثوبك أو بدنك .

= عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأباري في المصاحف والحاكم  
وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة - رضي الله تعالى عنه - قال : "دخلت على ابن عباس أنا وعبد  
الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - قال فيروز : يا ابن عباس ، قوله : **﴿يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُنْسِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَة﴾** فكان ابن عباس - رضي الله تعالى  
عنهم - اتهمه فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألك لتخبرني . فقال ابن  
عباس - رضي الله عنهما - : مما يؤمن ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب  
الله ما لا أعلم . فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب - رضي الله عنه - فسألته عنها  
إنسان فلم يخبر ، ولم يدر ، فقلت : ألا أخبرك بما أحضرت من ابن عباس ؟ قال : بلني فأخبرته ، فقال  
للسائل : هذا ابن عباس - رضي الله عنهما - أبى أن يقول فيها وهو أعلم مني .

(١) سورة التين ، الآية (٤).

(٢)قرأ نافع وعاصم وحزة والكسائي وخلف " خلقه " وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر  
ويعقوب " خلقه " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٩٩) ، الحجة لابن خالويه  
(ص : ٢٨٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٦٧) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٥) ، السبعة  
لابن مجاهد (ص : ٥١٦) ، الكشاف لل ZX الشري (٣ / ٢٤١) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٧) .

قال : ونفح فيه من الشيء الذي اختص بمعرفته .

على أنه مخلوق عظيم لا يعلم قدره ؛ كقوله : ﴿ وَسَأَلُوكُمْ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾ الآية <sup>(٢)</sup> . كأنه

«سَوْلُه» قومه ؛ كقوله : ﴿ فِي أَحَسَنِ تَقْوِيرٍ ﴾ <sup>(١)</sup> . ودل بياضافته الروح إلى ذاته الشريفة

﴿ وَقَالُوا إِذَا دَلَّنَا فِي الْأَرْضِ أَعْنَا لِفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِفَاءِ رَبِّهِمْ كَفَرُونَ ۚ ۱۰ ۚ قُلْ يُوْقِنُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم تُرْجَعُونَ ۱۱ ۚ وَلَوْ تَرَى إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبِّنَا أَبْصَرَنَا وَسَمِعَنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَنْلَحًا إِنَّا مُؤْفِنُونَ ۱۲ ۚ وَلَوْ شِئْنَا لَا نَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدِّنَهَا وَلَا كُنَّ حَقَّ الْقُولُ مَنْ لَا مَلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ ۱۳ ۚ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِفَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيْنَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَلِيلِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۱۴ ۚ ۱۴﴾

﴿وَقَالُوا﴾ أضاف القول إلى جميعهم ، والقاتل أبو بن خلف ؛ رضاهم بقوله .

﴿صَلَّنَا﴾ صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا تميز منه ؛ كما يضل الماء في اللبن ، أي : غبنا في الأرض بالدفن فيها ، وقرئ بكسر اللام ، وقرئ ﴿صَلَّنَا﴾<sup>(٣)</sup> بالصاد المهملة ؛ أي : أنتت أجسادنا تحت الأرض ، وانتصب الظرف في ﴿أَءَذَا صَلَّنَا﴾ بما دل عليه ﴿أَئَ الْفَيْ حَقِيقَ جَدِيدٍ﴾ وهو : نبعث ، أو : يجدد خلقنا.

**﴿يُلْقَاءُهُمْ﴾** هو الوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وما بعده ، فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أشد منه وهو كفرهم بالعاقبة لا بالإنشاء وحده ، ألا ترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع إلى (١٨٦/ب) الله عز وجل . **﴿يُنَوِّقُكُمْ﴾** هو من استيفاء الحق ، يقال : وفيت فلائاً حقه. إذا أعطيته له كاملاً . **﴿أَلَّذِي وَكَلَّ بِكُمْ﴾** بقبض أرواحكم . وقيل : إن الأرض بين يدي ملك الموت يقبض منها ما يشاء .

(١) سورة التنز ، الآية (٤).

(٢) سودة الاصناف ، الآية (٨٥).

معه أعونان من الملائكة ؛ لقوله تعالى : ﴿تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقيل : ملك الموت تعرفه الأرواح فتجبيه ، ثم يأمر أعوناته بقبضها .

﴿وَلَوْتَرَى﴾ يحتمل أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون تمنياً ، أي : وليت تراهم . والثاني : أن تكون شرطية وجوابها محدوف ؛ تقديره : لرأيت أمراً فظيعاً ، أو : لرأيت أسوأ حال ، ويجوز أن يخاطب غير معين ؛ كما تقول : فلان لشيم ؛ إن أكرمنه أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا تزيد به مخاطباً معيناً ، وكأنك قلت : إن أكرم وإن أحسن إليه ، والمعنى في قوله عز وجل ﴿بِمَا فَسِطْتُمْ﴾ الترك والإهمال ، أي : لم تعملوا للقاء هذا اليوم . ﴿إِنَّا سَيَنَّكُمْ﴾ تركاكم ، أي : جازيناكم على نسيانكم ﴿فَمَنْ أَعْنَدَنَا عَلَيْكُمْ فَأَعْنَدُوا عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> وقيل : هو يعني الترك . ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ العذاب المخلد بسبب أعمالكم القبيحة .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِتَائِبَتِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكَّرُوا إِلَيْهَا خَرُوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكِبُرُونَ﴾<sup>(١٥)</sup> ﴿نَتَجَافَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمَمَّا رَزَقَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(١٦)</sup> ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنٌ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٧)</sup>

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِتَائِبَتِنَا الَّذِينَ إِذَا دُكَّرُوا إِلَيْهَا﴾ بادروا بوضع جيامهم على الأرض ؛ مسارعة إلى الطاعة ، وشكراً على ما رزقوا من الإسلام .

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وسبحوا الله تعالى حامدين غير مستكبرين كما يفعل المنافقون من إظهار الطاعة . ﴿نَتَجَافَ﴾ ترفع وتتنحى عن المضاجع ، أي : عن الفرش ومواضع النوم ، وفي الحديث : " أن مناديا ينادي يوم القيمة يسمع الخلائق كلهم : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت تتجافي جنوبهم عن المضاجع . فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى في البأساء والضراء . فيقومون وهم قليل ، فيدخلون جيئاً إلى الجنة ، ثم يحاسب سائر الناس " <sup>(٣)</sup> .

وقيل : كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة

(١) سورة الأنعام ، الآية (٦٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩٤) .

(٣) نسبة السيوطي في الدر المثور (٥ / ٣٣٨) للبيهقي في شعب الإيمان ، عن ربيعة الجرشي .

العشاء الآخرة ؛ فنزلت فيهم<sup>(١)</sup>. وقيل : هم الذين يصلون صلاة العشاء ولا ينامون عنها .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل - يقول الله - تعالى - :

" أعددت لعبادِي الصالِحينَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطْرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . أَقْرَؤُوا إِن شَتَّمْ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسًا مَا تَحْكِمُ لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنٍ »<sup>(٢)</sup> . وَعَنِ الْحَسْنِ : أَخْفَى الْقَوْمَ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَادْخُرُوهُمْ هُمْ ، فَأَخْفَى اللَّهُ تَعَالَى هُمْ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ ، وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ<sup>(٣)</sup> . وَقَرَئَ « مَا أَخْفَى » بِسَكُونِ الْيَاءِ ؛ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَ مَضَارِعًا ، وَبِفَتْحِهَا عَلَى الْبَنَاءِ<sup>(٤)</sup> . وَقَرْبُ الْعَيْنِ : سَكُونُهَا ؛ فَلَا تَمْتَدُ لِطَلْبِ مَا لَيْسَ لَهَا ، مِنْ قِرَبِ الْمَكَانِ أَيْ : اسْتَقْرِبْهُ . وَقِيلَ : مِنْ قَرْتِ الْعَيْنِ : دَمَعَتْ دَمْعًا بَارَدًا ، وَهُوَ دَمْعُ السَّرُورِ .

﴿ أَفَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّتُ الْمَأْوَى نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِمَّا كَوَافُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَنَاهُمْ أَنَّا نَرَأِيَوْنَاهُمْ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيُدُوهُمْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذَاقِنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْقَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْرَبِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنَ الَّذِي يَنْهَا لَهُمْ فَوْرَأَهُمْ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَنْتَنَا مُوسَى الْكِتَابَ ذَكَرَ بِشَائِبِ رَبِّهِ ، فَوْرَأَهُمْ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَنْتَنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ يَأْمُرُنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِشَائِبِنَا يُوَقِّنُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَهْدِي هُنْ كَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَقْسَمُهُمْ أَفَلَا يَعْصِرُونَ ﴿٢٨﴾

(١) رواه الطبرى في التفسير (٢١ / ١٠٠ ) ، وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٤٦ ) .

(٢) رواه البخارى رقم (٣٢٤٤) ، وابن ماجه رقم (٤٧٧٩) ، ومسلم رقم (٢٨٢٤) ، وأحد فى المسند (٢ / ٤٦٦) ، والترمذى رقم (٣١٩٧) ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٨) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٢١ / ١٠٦) عن الحسن بلفظ : " أخفوا عملاً في الدنيا فأشابهم الله بأعمالهم " .

(٤) قرأ حزة ويعقوب " ما أخفى " وقرأ الباقون " أخفى " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٢٠٢ / ٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٦٩) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥١٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤٣) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٧) .

ودمعة الحزن حارة ﴿أَفَنَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ كلامها على لفظ "من" ، وهو للإفراد ، و﴿لَا يَسْتَوْنَ﴾ حمل على المعنى في الجمع . ﴿جَنَّتُ الْمَأْوَى﴾ مذكورة في سورة النجم <sup>(١)</sup> تاوي إليها أرواح الشهداء . النزل : دار الضيافة . ﴿الْعَذَابُ الْأَدْنَى﴾ من القتل والأسر يوم بدر ، وما امتحنا به من القحط سبع سنين . وعن مجاهد : عذاب القبر و﴿الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾ عذاب الآخرة <sup>(٢)</sup> . روي أنه وقع كلام بين علي والوليد بن عقبة بن أبي معيط ؛ فقال له الوليد : اسكت ؛ فإنك صبي ، وأنا أملأ منك حشوا في الكتبة ؛ فقال له علي رضي الله عنه : اسكت فإنك فاسق ؛ فنزلت : ﴿أَفَنَ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآيات <sup>(٣)</sup> .

قوله : ﴿فَمَأْغَرَّنَنَّا عَنْهَا﴾ أى بـ " ثم " للاستبعاد ، والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وهدايتها إلى سواء السبيل الفوز بالسعادة بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك : وجدت مثل هذه الفرصة ثم لم تتهزها .

﴿الْكِتَبَ﴾ للجنس ، والضمير في ﴿لِقَائِيهِ﴾ لموسى ؛ أي : من لقاء موسى التوراة ، ويجوز أن يكون من لقاء الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ <sup>(٤)</sup> وقد ذكر . ﴿يَقْصُلُ﴾ يميز الحق من الباطل ، أو يحكم ، وأهل اليمن يسمون القاضي الفتصل . وربما سموه فضيلا ؛ فعيلا بمعنى فاعل .

﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾ يبين لهم كثرة إهلاكتنا ، ﴿كَمْ أَهْلَكَنَا﴾ في موضع المفعول ، ولا يكون فاعلاً؛ لا تقول : لقيني كم رجل . ﴿الْجُرْزُ﴾ الأرض التي جرز نباتها ، أي : قطع بمحصاد أو رعي أو بأفة سماوية . وقيل : الغليظة . ﴿فَتُحْرِجُوهُ﴾ أي : بالماء في كل من الزرع . ﴿أَفْنَمُهُمْ﴾ من عصفه و﴿أَفْسُهُمْ﴾ من حبه .

﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُثُرْمُ صَدِيقِنَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمُ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنَظَّرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاتَّنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنَتَّظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

(١) الآية (١٥).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢١ / ١١٠).

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٢١ / ١٠٧) ، ونسبة السيوطي في الدر المشور (٦ / ٥٥٣) لأبي الفرج الأصفهانى في كتاب الأغانى والواحدى وابن عدى وابن مردوخ والخطيب وابن عساكر .

(٤) سورة يونس ، الآية (٩٤).

﴿الْفَتْحُ﴾ النصر أو الفضل بالحكومة؛ لقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا﴾<sup>(١)</sup>. وكان المسلمين واثقين بما وعدهم الله تعالى به من النصر ويشيعونه بينهم؛ فيقول الكفار: (١٨٧ ب) ﴿مَتَّ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمُونَ كَفَرُوا بِإِيمَانِهِمْ﴾ وهذا يدل على أنه يوم القيمة، فإنه في يوم بدر لو آمن منهم أحد قيل . ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل : نسخت باية السيف . وقيل : الإعراض عن السفيه ليس بمنسوخ ؛ فهي حكمة<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُوكَ﴾ أي : هم بصدق أن تلقاهم الملائكة يوم القيمة ، فيغلبون أعقابهم بالسلسل ﴿يُتَحَبُّونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿فِي الْحَمِيرِ ثُمَّ فِي الْأَنَارِ يُسْجَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿أَجَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَذَابِهِ وَنَقْمَتِهِ وَأَدْرَجَ خَطَايَانَا فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ﴾ .

\* \* \*

(١) سورة الأعراف ، الآية (٨٩).

(٢) ينظر : جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي (١ / ٣٠٨).

(٣) سورة غافر ، الآية (٧١ - ٧٢).

## سورة الأحزاب [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا يَاهَا الَّتِي أَتَى اللَّهَ وَلَا تُطِعُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا ﴾ ١  
 وَأَتَيْعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَمِيرًا ٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ٣ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّتِي  
 تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتُكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ يَا فَوْهَكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ  
 الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّكِيلَ ٤﴾

﴿يَا يَاهَا الَّتِي أَتَى اللَّهَ﴾ أي : دُم على التقوى . « ولا تُطِعُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ » فيما يدعونك إليه . روي أنهم قالوا له : إن العرب لا تحتمل القهر فاعبد آلهتنا سنة ، ونبعد إلهك سنة ؟ فتركت <sup>(١)</sup> . كان رجل من العرب فصريح اللسان يقال له أبو عمرو ، وكان يقول : إن لي قلبين أعقل بكل منهما كما يعقل محمد ؛ فأنزل الله تعالى ذكره « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ » <sup>(٢)</sup> . ومثل ذلك بمثاليين ؛ أن تكون المرأة أم الرجل وهي زوجته ، وجعل الدعي نسيبا ؛ فكما لا يجتمع هذان الأمران لا يجتمع أن يكون للرجل قلبان . « ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ يَا فَوْهَكُمْ » وكل قول لا يعده دليل يعبر الله تعالى عنه بأنه قول بالفم ، وإن كانت الأقوال كلها بالفم ، أي : لا يواطئ عليها القلب . قوله : « فِي جَوْفِهِ » زيادة تصوير للأمر كأنك تشاهده ، ومنه قوله تعالى : « وَلَا طَهِيرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ » <sup>(٣)</sup> . قوله : « فِي هَاهَا الْأَنْعَمَ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » <sup>(٤)</sup> .

وقد اشتقت لفظ الظهار من قوله : أنت على كظهر أمي . وكذلك تألف الرجل إذا قال : أهـ . وإنما عدي " ظاهر " بـ " من " ، وكان الظهار طلاقا في الجاهلية تجتنب فيه المرأة المظاهر منها ؛ لأنه ضمن " ظاهر " معنى " تباعد " فعدي تعديته .

(١) رواه الواحدي في أسباب التزول (ص : ٣٦٤ رقم ٦٨٨).

(٢) رواه الطبرى في التفسير (٢١ / ١١٨) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٦١) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٣٨).

(٤) سورة الحج ، الآية (٤٦).

﴿أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّ لَمْ تَعْلَمُوا إِبَاءَهُمْ فَإِخْوَنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَى كُمْ وَلَيْسَ عَيْتَكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنَّ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَجُهُمْ أَمْهَنُهُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعَصْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقْرَأُوا إِلَيْنِي أُولَئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

وقيل: كانت العرب إذا رأوا من رجل جمالا وسيرة حسنة ضمه رجل منهم إلى نفسه وتبناه ، جعله ابنه وأعطيه أحداً أولاده ، ثم نسخ ذلك بقصة زيد بن حارثة ، ونزل فيه : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِنَّ لَمْ تَعْلَمُوا﴾ لهم أباً فهم إخوانكم في الدين ، تصفه بالأخوة ، ولا تصفه بالبنوة .

﴿وَلَكِنَّ مَا تَعْمَدَتْ﴾ في موضع خفض ، عطفاً بلفظة " لكن " على " ما " في قوله : ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾ ويجوز أن (١٨٨) يكون محله الرفع على الابتداء ، والخبر محنوف تقديره : ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح . وقوله : ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾ يريده به تسميتها الدعي ابناً قبل التحرير أو بعده على سبيل الإكرام للشخص ، ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ به في مسألة الدعي وغيره . فإن قلت : ما حكم التبني ؟ قلت : إذا استلحق صبياً في سن تحتمل أن يكون ولداً له ثبت النسب والميراث ، وإن كان عبداً عتق مع ثبوت النسب ، وإن كان لا يولد مثله لم يثبت النسب ، ولكنه يعتق عند أبيه حنيفة ، ولا يعتق عند صاحبيه . وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبة بالتبني ، وإن كان عبداً عتق<sup>(٢)</sup> .

قوله : ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ تجب طاعته عليهم في المنشط والمكره ، وتقديمه أو أمره على مصالح أنفسهم ، حتى قال بعض أصحاب الشافعي : يجوز له - عليه السلام - أن يأخذ الماء من العطشان ، وإن لم يكن الرسول ﷺ مضطراً ، ويجب أن يبذلوا نفوسهم له<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه الطبرى فى التفسير (٢١ / ١١٩).

(٢) ينظر: المهدية شرح البداية للمرغينانى (٢ / ٥٢ ، ٥١) ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين بن إبراهيم (٢ / ٢٥٠).

(٣) ينظر: روضة الطالبين للإمام النووي (٧ / ٨) ، وكذا مذهب الحنابلة ، ينظر: الإنصاف للمرداوى (٨ / ٤١ ، ٤٢) ، كشف القناع للبهوتى (٥ / ٢٧).

ويجوز أن يكون المراد : النبي أولى بالمؤمنين بشفقته عليهم والسعى في مصالحهم ، وأرأف بهم وأرحم ؛ لقوله تعالى : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> .

وعن النبي ﷺ أنه قال : " ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ؟ اقرؤوا ما شتم : ﴿الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> . وفي قراءة ابن مسعود : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم " <sup>(٣)</sup> . وقال مجاهد : كل نبي أبو أمته <sup>(٤)</sup> . صار المؤمنون إخوة بذلك ؛ لأن النبي ﷺ أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم . واعلم أن هذه النسبة لا تتفرع تفرع الأنساب ؛ فلا يقال معاوية خال المؤمنين ، وما أشبه ذلك من الأنساب ، واختلفوا في نساء النبي ﷺ هل هن أمهات لنساء المؤمنين ؟ على وجهين . **﴿وَأَزْوَاجُهُمْ أَمْهَاتُهُمْ﴾** في بعض الأحكام ؛ وهي تحريم نكاحهن بقوله تعالى : **﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾**<sup>(٥)</sup> . واحترامهن ، وهن فيما وراء ذلك منزلة الأجنبيات . وقول عائشة رضي الله عنها : " لسنا أمهات النساء "<sup>(٦)</sup> تزيد به أن تحريم زوجات النبي ﷺ إنما يظهر في الرجال ؛ لأن المرأة بالنسبة إلى المرأة لا توصف بمحل ولا حرمة . وقد تزوج عثمان ابنتي رسول الله ﷺ وتزوج علي فاطمة ، ولم يقل لأحد منهم إنه تزوج اخته من أبيه . وكان المسلمون في ابتداء الإسلام يتوارثون بالخلف والنصرة والهجرة ، ثم نسخ ذلك بقوله : **﴿وَأَرْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾**<sup>(٧)</sup> (١٨٨ / ب) .

**﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** عني : اللوح المحفوظ ، أو : فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية ، أو آية المواريث ، أو : فيما فرض ؛ كقوله : **﴿كِتَابٌ أَنْتَ عَلَيْكُمْ﴾**<sup>(٨)</sup> . **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾** يجوز أن يكون بياناً لأولي الأرحام ، أي : الأقرباء من المؤمنين والهاجرين ،

(١) سورة التوبة ، الآية (١٢٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٢٣٩٩) ، ومسلم رقم (١٦١٩) ، والترمذى رقم (١٠٧٠) ، والنمسائي (٤/٤٦) ، وابن ماجه رقم (٢٤١٥) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تقدم ترجيحها في تفسير سورة هود ، الآية (٧٨) .

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره (١ / ١٣١) ط . دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٣ م.

(٥) سورة الأحزاب ، الآية (٥٣) .

(٦) ذكره بهذا اللفظ الرمخشري في الكشاف (٣ / ٥٢٣) ، وذكر السيوطي في الدر المشور (٦ / ٥٦٧) ونسبة لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سنته عن عائشة : " أن امرأة قالت لها : يا أمي . فقالت : أنا أم رجالكم ، ولست أم نسائكم " .

(٧) سورة النساء ، الآية (٢٤) .

أي : بعضهم أولى بأن يرث البعض من الأجانب ، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية ، أي : أولى بالميراث ، أي : أولى من المؤمنين بحق الولاية في الدين ، ومن المهاجرين بحق الهجرة .

فإن قلت : مم استثنى قوله : ﴿لَا أَنْ تَفْعَلُوا﴾ ؟ قلت : من أعم العام في معنى النفع والإحسان ؛ كما تقول : القريب أولى من الأجنبي بالتركة إلا أن يوصى له ، والمراد بفعل المعروف الوصية ؛ لأنه " لا وصية للوارث " <sup>(١)</sup>. وعدى ﴿تَفْعَلُوا﴾ بـ " إلى " لأنه في معنى تسدوا ، والمراد بالأولياء : المؤمنون والمهاجرون ، الولاية في الدين .

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الآيتين جميماً ، وتفسير الكتاب ما مرّ آنفًا ، والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكره من الأحكام .

﴿وَلَذِكْنَا مِنَ الَّذِينَ يُشَفَّهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْرَمٍ وَلَذِكْنَا مِنْهُمْ يُشَفَّهُمْ غَلِظًا﴾ 

وادركت حين أخذنا من النبئين جميعاً ميشاقهم بتبلیغ الرسالة والدعاء للدين القيم **﴿وَمِنْكَ﴾ خصوصاً **﴿وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْرَمٍ﴾**** وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة عن الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ، ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَالْوَالَّبِنَ﴾** <sup>(٢)</sup> بصدقهم في عهدهم وشهادتهم فتشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم ، وأنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه .

أو : ليسأل المصدقة الأنبياء عن تصدقهم ؛ لأن من قال لصادق : صدّق . كان صادقاً في قوله، أو : ليسأل الأنبياء : ما الذي أجابتهم به أنتم ؟ وفائدة سؤال الرسل تبكيت أنتم المكذبين . وقدم رسول الله ﷺ وذكر بعده مشايخ الأنبياء ؛ أما نوح فلأنه الأب الأصغر، والخلق كلهم أولاده ، وأما إبراهيم ؛ فلأنه أبو هذه الأمة ؛ قال الله تعالى : **﴿وَلَمَّا أَيْكُمْ إِنْزَهِيمَ﴾** <sup>(٣)</sup> . وأما موسى وعيسى ؛ فلأنهما صاحبا الكتابين والشريعتين ؛ لأن هذا الذكر

(١) هذا جزء من حديث أبي أمامة في خطبة الوداع ، رواه أحمد في المسند ( ٥ / ٢٦٧ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٨٧٠ ) ، والترمذني رقم ( ٦٧٠ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٥٠٧ ) ، وحسنه الترمذني ، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء رقم ( ١٦٣٥ ، ١٦٥٥ ).

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧٢ ) .

(٣) سورة الحج ، الآية ( ٧٨ ) .

إنما هو للتشريف ، وقدم الأشرف فالأشرف . فإن قلت : فقد جرى تقديم نوح مع أنه ليس بأفضل من محمد ﷺ في قوله : «شَرَعْ لَكُم مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِّي بِهِ نُوحاً»<sup>(١)</sup> .

قلت : سياق تلك (١٨٩) الآية مختلف لهذا السياق ؛ لأنهم اتبعوا الدين الحق ؛ لقوله تعالى : «شَرَعْ لَكُم مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِّي بِهِ نُوحاً» ثم قال : «أَنْ أَعِيَّنُوا الَّذِينَ وَلَا نَتَرَفَّهُ فِيهِ»<sup>(٢)</sup> فكأنه قال : شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوحًا في العهد القديم ، وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث ، وبعث عليه من توسطهما من الأنبياء والمشاهير . قوله : «وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّثْقَالًا غَلِيلًا» ليس المراد منهأخذ ميثاقا آخر ؛ بل هوهو ، والتقدير : وأخذنا منهم بأخذ العهد ميثاقا غليظا .

**﴿لَيَسْتَ أَصَدِيقَنَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعْدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٨٦﴾ يَتَأْمِنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٍ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَحْمُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ إِمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٨٧﴾**

قوله : «وَأَعْدَ لِلْكَافِرِينَ» معطوف على قوله : «وَإِذْ أَخَذْنَا» ، والتقدير : وإذاخذنا من النبيين ميثاقهم ، وأعدنا للكافرين عذابا أليمـا . «أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» يوم الأحزاب وهو يوم الخندق . «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٍ» وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا ؛ قال ﷺ : «نصرت بالصبا ، وأهلقت عاد بالدبور»<sup>(٣)</sup> . «وَحْمُودًا لَمْ تَرَوْهَا» وهم الملائكة ، وكانوا ألفاً بعث الله عليهم ريحـاً باردة في ليلة شاتـة ، فاشتد عليهم البرد ، وسفـت عليهم الريح التراب في وجوهـم ، وأمر الملائكة فاقتـلتـوا الأوتـاد ، وقطـعتـوا الأطـنـاب<sup>(٤)</sup> وأطفـلتـ النـيران ، وأكـفـأتـ الـقدـور ، وماجـتـ<sup>(٥)</sup> الـخيـلـ بعضـهاـ فيـ بـعـضـ ، وقـذـفـ اللهـ فيـ قـلـوبـهـ الرـعـبـ ،

(١) سورة الشورى ، الآية (١٣) .

(٢) سورة الشورى ، الآية (١٣) .

(٣) رواه البخاري رقم (١٠٣٥ ، ٣٢٥٠ ، ٣٣٤٣) ، ومسلم رقم (٩٠٠) ، وأحمد في المسند (١/٣٢٤) ، وابن حبان رقم (٦٤٢١) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) الأطـنـابـ : ما يـشدـ بهـ الـبـيـتـ مـنـ الـحـبـالـ بـيـنـ الـأـرـضـ وـالـطـرـائـقـ (ـابـنـ سـيـدـهـ) . الطـنـبـ: حـبـلـ طـوـبـلـ يـشـدـ بـهـ الـبـيـتـ وـالـسـرـادـقـ بـيـنـ الـأـرـضـ وـالـطـرـائـقـ، وـقـيلـ: هـوـ الـوـتـدـ وـالـجـمـعـ أـطـنـابـ وـطـنـبـةـ . يـنـظـرـ: لـسـانـ الـعـربـ (ـطـنـبـ) .

(٥) مـاجـ الـبـحـرـ مـوجـ مـوجـاـ وـمـوجـاـ وـمـوجـاـ وـمـوجـ اـضـطـرـيـتـ أـمـواـجـهـ وـمـوجـ كـلـ شـيـءـ وـمـوجـانـهـ اـضـطـرـابـهـ وـمـاجـ الـنـاسـ دـخـلـ بـعـضـهـمـ فـيـ بـعـضـ . يـنـظـرـ: لـسـانـ الـعـربـ (ـمـوجـ) .

وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم ، فقال طليحة بن خويلد : أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا<sup>(١)</sup> فانهزموا من غير قتال ، وانهزم الأحزاب ، وحين سمع رسول الله ﷺ بقدومهم وإقبالهم حفر الخندق ، وأشار عليه بذلك سلمان الفارسي ، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب معسكرهم والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء ، فرفعوا الآطام<sup>(٢)</sup> واستند الخوف ، وظن المؤمنون كل ظن ، ونجم<sup>(٣)</sup> التفاق من المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير<sup>(٤)</sup> : كان محمد يعذنا كنوز كسرى وقيصر وأخذنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ، وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش<sup>(٥)</sup> وهي كنانة وأهل تهامة وقادتهم أبو سفيان ، وخرجت غطfan في ألف ومن تابعهم من أهل نجد ، وقادتهم عيينة بن حصن (١٨٩ / ب) وعامر بن الطفيلي في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا بالنبل والحجارة ، حتى أنزل الله النصر<sup>(٦)</sup>.

**﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا زَاغَتْ أَبْصَرُ وَلَمْ يَلْغَتْ أَلْقُوبُ الْخَنَاجِرَ﴾**

(١) النجا : السرعة في السير وقد نجا نجاءً ممدود ، وهو ينجو في السرعة نجاء وهو ناج سريع ونجوت نجاء أي أسرعت وسبقت وقالوا: النجاء النجاء والنجا النجا فدمدا وقصروا . ينظر : لسان العرب (نجا).

(٢) الأطم : حصن مبني بحجارة وقيل: هو كل بيت مربع مسطح . وقيل: الأطم مثل الأجسم ينحف ويتنقل والجمع القليل آطم وآجام . ينظر : لسان العرب (أطم).

(٣) نجم الشيء : ظهر وطلع وبابه دخل يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلعت . ينظر : لسان العرب (نجم).

(٤) هو معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنباري الأوسي ، ذكر فيمن شهد العقبة . وقيل إنه كان منافقا ، وإنه الذي قال يوم أحد : (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا) وقيل : إنه تاب وقد ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرًا . تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (١٤٢٩ / ٣)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦ / ١٧٥).

(٥) الأحابيش : أحياه انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ؛ سموا بذلك لاسودادهم ، فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قبل تجمعها صار التحبش في الكلام كالتجمیع . وبحشی : جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشا وتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضاح نهار وما أرسى حبشي مكانه فسموا أحابيش قريش باسم الجبل . ينظر : لسان العرب (حبش).

(٦) رواه الطبری في التفسیر (٢١ / ١٣٠ - ١٣١) ، ونسبة له الزیلعي في تخريج الأحادیث والآثار التي في الكشاف (٣ / ٩٩) وزاد نسبته لابن هشام في السیرة النبویة .

وَنَظُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ أَبْتُلَ الْمُؤْمِنُونَ وَلِزُلُوا زِلَّا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفَثُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَاتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَأَهَّلُ يَنْرُبُ لَا  
مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوهُ وَسَتَعْذِذُنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّمَا يُوَتَّنَا عُورَةٌ وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا  
فِرَارًا ﴿١٣﴾

﴿مِنْ فَوْقَكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل نجد وهم غطfan ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أسفل الوادي قريش ؟ تحربوا وقالوا : سنكون جلة واحدة ؛ حتى نستأصل محمدًا .

﴿وَإِذْ رَأَغَتِ الْأَبْصَرُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة . وقيل : عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلى عدوها من شدة الخوف . الحنجرة : رأس الغلosome <sup>(١)</sup> وهي متى الحلق . وإذا زاد الهم أو الخوف أو البلاء ارتفع القلب إلى الحنجرة ، ويجوز أن يكون تمثيلا للهول ، وإن لم يبلغ الحاجزحقيقة . ﴿وَنَظُونَ﴾ يشمل الظان المخلص والمشكك ، فيقول الظانون بالحق : الله يتilli عباده بما يشاء ، ويقول الشاكون : لو تيقنا الحق لانتصرنا وما انهزمنا . والوعود التي سبقت من النبي ﷺ ما كانت إلا غرورا بالنصر .

﴿الظُّنُونَا﴾ و﴿الرَّسُولَا﴾ و﴿السَّبِيلَا﴾ قرئت بالحاق ألف في الوصل ؛ إجراءا له مجرى الوقف <sup>(٢)</sup> ؛ كقوله [ من الوافر ] :

أَقْلَلَ اللَّهُمَّ عَازِلَ وَالعَيَابَا

(١) الغلosome : رأس الحلق ، وهو الموضع الثاني في الحلق والجمع : الغلاصم . وقيل : الغلosome : اللحم الذي بين الرأس والعنق . وقيل : متصل الحلق بالحلق . ينظر : لسان العرب ( غلصم ) .

(٢) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم وأبي جعفر " الظانون " بثبات الألف وصلا ووقفا . وقرأ أبو عمرو وجزء ويعقوب " الظانون " بمد الألف وصلا ووقفا ، وأثبتتها وقفها وحذفها وصلا عاصم في رواية حفص عنه والكسائي وابن كثير وخلف .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢١٧ / ٧ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٧٣ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٠٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥١٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٣٤٧ / ٢ ) .

(٣) البيت جرير ينظر في : خزانة الأدب ( ١ / ٦٩ ) ، الخصائص لابن جني ( ٣ / ٦٩ ) ، الدرر اللوامع ( ٥ / ١٧٦ ) ، ديوان جرير ( ص : ٨١٣ ) ، شرح أبيات سيبويه ( ٢ / ٣٤٩ ) ، شرح الأشموني ( ٢ / ٢١ ) ، همع الهوامع ( ٢ / ٨٠ ) .

والمعنى : أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج .

﴿ظَلَّابِقَةُ مِنْهُمْ﴾ معتب بن قشير ، وأوس بن قبطي . وقيل : عبد الله بن أبي وأصحابه ، و﴿يَرِبَّ﴾ اسم المدينة . وقيل : أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لَا مَقْامَ لَكُمْ﴾ لا قرار لكم . ﴿فَأَرْجِعُوْا إِلَى بَيْوَتِكُمْ﴾ أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ .

وقيل : المراد بـ " ارجعوا " أن يرجعوا إلى دينهم الأول ، ويسلموا حمدًا وإلا فليس هذا المكان مكان حرب ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُوَتَّنَاعِرُوهُ﴾ أي : ليست بمحصنة ، والعدو متمكن منها وهم كاذبون ، بل كانت بيوتهم محصنة ؛ كذبهم الله وبين أن ليس قصدتهم بذلك إلا الفرار .

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُيُّلُوا الْفِتْنَةَ لَا تُوَهَا وَمَا تَبَثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ ١٤  
 كافُوا عَهْدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلٍ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْتُوْلًا ١٥  
 قُلْ لَئِنْ يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَّتُمْ بِكُمُ الْمَوْتُ أَوْ الْفَتْلِيْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦  
 قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَعْدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا يَأْلُوْلَأَنْصِرُهُمْ ١٧﴾

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ المدينة . وقيل : بيوتهم ، تقول : دخلت على فلان داره ﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها . ﴿ثُمَّ سُيُّلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الرجوع إلى دينهم ، ومن قرأ ﴿لَا تُوَهَا﴾ بالقصر ، أي : لجاءوها ، ومن قرأ بالمد<sup>(١)</sup> فمعناه : لأعطوها ﴿وَمَا تَبَثُوا بِهَا﴾ أي بإعطاء الكلمة الكفر . قيل : ما تلبثوا بها ؛ أي : بالمدينة ، فإذا خالفوا (١٩٠/١) الأمر وأعطوا الكفر غضب الله عليهم فابتلوا وأخرجوا من ديارهم ؛ وذلك لقتلهم الإسلام وبغضهم لأهله ، وكان رسول الله ﷺ قد عاهد الأنصار ليلة العقبة أن يمنعوه مما يعنون منه نساءهم وأولادهم . وقيل : هم قوم اتفقت غيتيهم عن بدر ؛ فقالوا : فاتنا مغنم بدر وثوابها ، والله لنأشهدنا الله موقفا مع الرسول ﷺ قبلن الجندي في القتال ؛ فلما جاءت وقعة أحد انهزموا ، وعبد الله يقوله : ﴿وَلَقَدْ كَافُوا عَهْدُوا﴾ الآية ﴿مَسْتُوْلًا﴾ مطلوبها حتى يوفى به . ﴿لَئِنْ يَنْفَعُكُمُ الْفِرَارُ﴾ مما لا بد لكم من نزوله بكم ، وإن منعكم الفرار ومنعتم بالبقاء لم

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر " لآتوها " وقرأ الباقيون " لآتوها " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢١٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٧٤) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٠٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٤) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٨) .

يكن زمن تمعنكم إلا قليلاً . وروي أن بعض بنى مروان من بحائط مائل فأسرع في الذهاب ؛ فقيل له : «وَلَذَا أَتَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» فقال : ذلك القليل أطلب .

فإن قيل : كيف ذكر العصمة وإذا حصلت العصمة انتفى السوء ؟ قلت : حمل الثاني على الأول ؛ لما في العصمة من معنى المعن . وقيل : المراد : أن يعصمكم من السوء إن أردتم رحمة .

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْوَقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَالِيلُنَّ لَا يَخْرُجُنَّهُمْ هُلْمَ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>١٨</sup> أَشَحَّةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفَ رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنُورُ أَعْيُنَهُمْ كَالَّذِي يُعْشِنَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا دَهَبَ الْحَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسَّنَةِ حَدَادٍ أَشَحَّةَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا<sup>١٩</sup> يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ يَوْمًا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُورُكَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَبْيَاكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَنَلُوا إِلَّا قَلِيلًا<sup>٢٠</sup> لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشَوَّهُ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوَ اللَّهَ وَآتَيْهِمُ الْأَخْرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَبِيرًا<sup>٢١</sup>﴾

﴿الْمُعْوَقِينَ﴾ الذين كانوا يبطون الناس عن القتال ، ويلقون في مسامع المسلمين : إن إخوانكم من الغزا قتلوا ، فتعالوا نجتمع ونكن حزباً واحداً .

و﴿هُلْمٌ﴾ بمعنى تعال ، وأهل الحجاز لا يثنونه ولا يجمعونه ؛ يقولون للرجل وللرجلين وللرجال : هلم وغيرهم يقول : هلمي وهلما وهلمن .

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زماناً قليلاً . **﴿أَشَحَّةَ عَلَيْكُمْ﴾** في وقت الحرب بخلا بكم ، خشية أن يصيبكم مكروه . **﴿يَنْظُرُونَ﴾** إليكم في تلك الحالة ؛ كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرة الموت وحدراً وخوراً . **﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفَ﴾** وحيزت الغنائم ووقعت القسمة جاءوا يطلبون نصيبهم منها بالسنة حداد وقالوا : وفرروا قسمنا منها . قوله : **﴿أَشَحَّةَ﴾** حال ، وإنما ذكر الإحباط في أعمال المنافقين مع أن أعمالهم محطة من أصلها ؛ لدفع وهم من يظن أن المنافق لإظهار دين الإسلام قد يتخيّل له نصيب من الأجر لما أظهره من إيمانه ؛ فقطع مطامعهم بذلك . فإن قيل : ما معنى قوله : **﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾** وكل شيء يسير عليه ؟ فجوابه أن الرجل الصالح (١٩٠/ب) حقيق إلا يناله مكروه ؛ فإن وقع ذلك فهو على مخالفته الدليل . وجاء في الحديث عن الله تعالى أنه قال : " ما ترددت في شيء تردد في قبض روح

عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ”<sup>(١)</sup>.

﴿ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَدْهُبُوا ﴾ لم ينهزوا وقد انهزموا وانصرفوا عن الخندق راجعين إلى المدينة ؛ لما نزل بهم من الخوف الشديد . ﴿ وَلَن يَأْتَ الْأَحْزَابُ ﴾ كرها ثانية يتمنوا ؛ لخوفهم مما مُنوا به ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ ﴾ خارجون إلى البدو . ﴿ يَسْتَوْنَ عَنْ أَبْنَائِكُمْ ﴾ من كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم . ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيهِمْ ﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال : ﴿ مَا فَنَّلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا بعلة رباء وسمعة .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً ﴾ في ثباته مع انهزامكم حتى كسرت رباعيته ، وشج وجهه قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً ﴾ فيه وجهان : أحدهما: أن الرسول نفسه أسوة ، أي : يقتدى به ؛ كما تقول : في البيضة عشرون مثلا ؛ أي: هي في نفسها هذا المبلغ . والثاني : أن فيه خصلة حقها أن يتأسى بها .

قوله : ﴿ لَئِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ﴾ بدل من قول : " لكم " بإعادة الجار ؛ كقوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ بِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> . ﴿ يَرْجُوا اللَّهَ ﴾ قيل : يخافه . وقيل : يأمله . وقيل: الأمران ﴿ وَذَرَ اللَّهَ كِبِيرًا ﴾

﴿ وَلَمَّا رَأَهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسَلِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup> مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فِيهِمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُهُ وَمَنْ هُمْ مَنْ يَنْتَظِرُهُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدِيلًا ﴾ <sup>(٤)</sup> لِيَجزِي اللَّهُ الصَّدِيقِينَ بِصَدِيقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ <sup>(٥)</sup>

وكان رسول الله ﷺ قد قال لأصحابه : " يأنتم الأحزاب لتسع أو عشر ، يعني : لتسع ليال أو عشر ، فلما جاءوا في العدد الذي ذكره رسول الله ﷺ ﴿ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ <sup>(٦)</sup> رؤية ذلك ﴿ لَا إِيمَانًا ﴾ بالله ﴿ وَسَلِيمًا ﴾

(١) هذا جزء من الحديث القديسي المشهور الذي أوله : " من عادى لي ولئا فقد آذنته بالحرب ... ". الحديث .

رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٠٢) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٧) عن أبي هريرة

- رضي الله عنه - عن النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٧٥) .

(٣) ذكره الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف (٣ / ١٠٠) عن ابن عباس ، ولم يعلق عليه .

لقضائه . و «هَذَا» إشارة إلى الخطب .

نذر جماعة من الصحابة أنهم إن حضروا مع رسول الله ﷺ أن يقاتلوا حتى يقتلوا منهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وغيرهم «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ» يعني : حمزة ومصعبا . «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» يعني : عثمان وطلحة . وفي الحديث : "من أحب أن (١٩١) ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة " (١). وقضاء النحب : الموت فإنه إذا مات انقطع النذر ولم يبق وفاء بالشرط ؛ فعبر عن انقضاء حكم النذر بوفائه ، يقال : صدق وعده إذا صدق . وقولهم : صدقني أخوك وكذبني ، أي : قال لك الصدق والكذب ، وأما قولهم : صدقني سن بكره (٢) ؛ فالمراد : صدقني في سن بكره [ بطرح الجار ] (٣) وإيصال الفعل ، فلا يخلو قوله : «صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ» إما أن يكون مثل " صدقني في سن بكره " أو يجعل المعاهد عليه مصدرًا ؛ كقولك : صدقني الحديث ؛ لأنهم قالوا للمعاهد عليه : ستفني بك وهم وافون به ، فقد صدقوه ، فلو كانوا ناكثين لکذبوا ولكان مكذوبا . «وَمَا بَدَلُوا» العهد ، وما غيروه لا المستشهد ولا من يتضرر الشهادة .

ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ﷺ حتى شلت يده ؛ فقال ﷺ : " أوجب طلحة " (٤) أي : وجبت له الجنة ، وفيه تعريض من بدل من أهل النفاق ، ومرض القلوب ، وجعل المنافقين لأنهم قصدوا عاقبةسوء ، وأرادوها بتبدلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم ؛ لأن كلا الفريقين مسوق إلى ما قضى له من ثواب أو عقاب .

«وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيظَتِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٥) وَأَنْزَلَ اللَّهُ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّارِصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةَ

(١) رواه الترمذى رقم (٣٧٣٩) ، وابن ماجه رقم (١٢٥) ، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (١٢٥) بمجموع طرقه .

(٢) هذا مثل يضرب للصادق فى خبره ويقوله الإنسان على نفسه وإن كان ضارا له وأصله : أن رجلا ساوم رجلا فى بكر ليشتريه فسأل صاحبه عن سنه ، فأخبره بالحق فقال المشتري : صدقني سن بكره . ينظر : النهاية فى غريب الأثر لابن الأثير (٢ / ٤١٣) .

(٣) زيادة من الكشاف للزمخشري (٣٣٢) وليست بالأصل وهي مناسبة للسباق .

(٤) رواه الترمذى فى الجامع الصحيح (٤ / ٥ ، ٢٠١ / ٦٤٣) وقال : حسن صحيح غريب ، وحسنه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢ / ٦٢٨) عن الزبير بن العوام رضى الله عنه .

فِيهَا نَقْتُلُوكَ وَنَأْسِرُوكَ فِيهَا ﴿٣﴾

الباء في قوله : «**يُغَيِّظُهُمْ**» مثلها في قوله : «**تَبْتُ بِالدُّخْنِ**» <sup>(١)</sup> «**لَمْ يَنْلُوا خَيْرًا**» وهذا حالان متادلفان ، أو متداخلان ، ويجوز أن تكون الثانية بيانا للأولى واستئنافا . «**وَكَفَى اللَّهُ أَمْرَؤَيْنِ الْقِتَالَ**» بالرياح والملائكة «**وَأَنْزَلَ اللَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**» من حضورهم . والصيغة : ما تُحْصِنَ به ، يقال لقرن الثور والظبي : صيغة ، ولخلب الديك صيغة . روي أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم ، جاء جبريل على فرسه الحيزوم ، والغبار على وجه فرسه وعلى سرجها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : من متابعة قريش ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه الفرس وسرجه ، فقال : يا رسول الله ، إن الملائكة لم تضع السلاح ، وإن الله يأمرك بالمسير إلىبني قريطة وإن الله (١٩١ / ب) داقهم دق البيض على الصفا وأنهم لك طعمة ، فاذن في الناس أن من كان ساماً مطيناً فلا يصلين العصر إلا في بنى قريطة . فما صلی كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء لقول رسول الله ﷺ ذلك <sup>(٢)</sup> فحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جدهم الحصار؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : "تنزلون على حكمي ؟ فأبوا ، فقال : على حكم سعد بن معاذ ؟ فرضوا به ، فقال سعد بن معاذ : حكمت بقتل مقاتلتهم ، وسي ذاريهم ونسائهم ؟ فكبر النبي ﷺ وقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة " أي : سبع سماوات ، وخندق رسول الله ﷺ خندقاً وقدهم فضرب أعناقهم وهو ثمايأة إلى تسعمائة <sup>(٣)</sup> . وقيل : كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير .

وقرئ **«الرُّغْبَ»** بسكون العين وضمها <sup>(٤)</sup> . روي أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم

(١) سورة المؤمنون ، الآية (٢٠) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤١١٩) ، ومسلم رقم (١٧٧٠) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٢٢) ، ومسلم رقم (١٧٦٩) .

(٤) قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم ونافع وابن كثیر : "الرُّغْبَ" ، وقرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب : "الرُّغْبَ" . تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (ص : ٣٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٧) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٢١٦) .

للمهاجرين دون الأنصار ؛ فقال الأنصار في ذلك ، فقال : أسلم في منازلكم . فقالوا : ألا تخمس كما حمست يوم بدر . فقال : إنما جعلت هذه طعمة لي دون الناس . فقالوا : رضينا بما صنع الله ورسوله <sup>(١)</sup> .

**﴿وَأَرْضُكُمْ أَرْضُهُمْ وَدِيَرُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْغُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَوِيرًا ﴾** <sup>(٢)</sup>

**﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْغُوهَا﴾** قيل : فارس والروم <sup>(٣)</sup> . وقيل : مكة <sup>(٤)</sup> . وقيل : خير <sup>(٥)</sup> . وقيل : كل أرض لم تفتح إلى يوم القيمة <sup>(٦)</sup> ، ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم <sup>(٧)</sup> .

**﴿يَكَائِنُوا إِنَّمَا أَنْتَ قُلْ لِإِرْؤَكَ إِنْ كُنْتَ شَرِيكَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَنَعَالِيَتَكَ أَمْ تَعْكِنَ  
وَأَسْرِحَكَ سَرَاحًا جِبِيلًا ﴾** <sup>(٨)</sup>

أراد نساء النبي ﷺ شيئاً من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغييرن، فعم ذلك رسول الله ﷺ ، فنزلت ، فبدأ بعائشة وخيرها - وكانت أحبهن إليه - وقرأ عليها القرآن ، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرأى الفرح في وجه رسول الله ﷺ ، ثم اختار جميعهن اختيارها ، فشكر الله لهن ذلك ؛ فأنزل : **﴿لَا يَحِلُّ لِلَّهِ أَنْ يَسْأَمَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** الآية <sup>(٩)</sup> . وحكم التخيير في الطلاق إذا قال لها : اختياري . فقالت : اخترت نفسى . أو قال : اختياري نفسك.

(١) رواه البخاري رقم (٢٩١٤) ، ومسلم رقم (١١٩٦) .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (٢١ / ١٥٥) عن الحسن .

(٣) نسبة السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٩٢) لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) رواه الطبراني في تفسيره (٢١ / ١٥٥) عن يزيد بن رومان .

(٥) نسبة السيوطي في الدر المثور (٦ / ٥٩٢) للفراءبي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة .

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٣٤) قال الطبراني في تفسيره (٢١ / ١٥٥) : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريطة وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يطغوا عليها يومئذ ولم تكن مكة ولا خير ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كان وطبوه يومئذ ثم وطوا ذلك بعد وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل في قوله : **﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْغُوهَا﴾** لأنه - تعالى ذكره - لم يخصص من ذلك بعضاً دون بعض " .

(٧) رواه البخاري رقم (٤٧٨٥) ، ومسلم رقم (١٤٧٥) .

فقالت : اخترت . لابد من ذكر النفس في قول المخِير أو في قول المُخَيَّر ، وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه ، واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض ، واعتبر الشافعي اختيارها على الفور ، وهي عنده طلقة (١/١٩٢) رجعية ، وهو مذهب عمر وابن مسعود . وعن الحسن وقتادة والزهري : أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره . وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار<sup>(١)</sup> .

ومن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ، فلم يعد ذلك طلاقا " وفي رواية : " أفكان طلاقا ؟ " <sup>(٢)</sup> . وعن علي - رضي الله عنه - : إن اختارت نفسها فهي طلقة واحدة بائنة ، وإن اختارت زوجها فطلقة واحدة رجعية . وفي رواية عنه : إن اختارت زوجها فليس بشيء <sup>(٣)</sup> .

أصل " تعال " أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستقل ، ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكانة . ومعنى **﴿فَتَعَالَى﴾** أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين ، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن ؛ كما تقول : أقبل يخاصمي ، وأقبل يهددني .

**﴿أَمْتَعَكُنَ﴾** أعطكن متعة الطلاق ، فإن قلت : ما حكم المتعة ؟ قلت : المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد فرض تستحقها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه ، وأما سائر المطلقات فمتعتها مستحبة <sup>(٤)</sup> . وعن الزهري : مما متعتان إحداهما : يقضي بها السلطان؛ وهي من طلق قبل ما يفرض ويدخل بها . والثانية : حق على المتدين ، من طلق بعد ما يفرض ويدخل بها . وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة ، فقال : متعها إن كنت من المتدين ولم يجبره . وعن سعيد بن جبير : حق مفروض . وعن الحسن : لكل مطلقة متعة إلا المخلعة والملاعنة <sup>(٥)</sup> . والمتعة : درع وخمار وملحفة على حسب الطاقة والسرعة والاقتدار ، إلا

(١) ينظر : بداية المبتدى للمرغيناني (١ / ٧٢) ، المبسوط للسرخسي (٦ / ١٠١) ، الأم للإمام الشافعي (٥ / ٢٥٥) ، المذهب للشيرازي (٢ / ٨٢) .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢٦٢ ، ٥٢٦٣) ، ومسلم رقم (١٤٧٧) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٣٥) .

(٤) ينظر : الاستذكار لابن عبد البر (٦ / ١٢٢) ، إعانة الطالبين لأبي بكر البكري (٣ / ٣٥٦) ، بداية المجتهد لابن رشد (٢ / ٧٣) .

(٥) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٣٥) .

أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك ؛ فيجب لها الأقل منها ولا ينقص عن خمسة دراهم عند أبي حنيفة ؛ لأن أقل المهر عنده عشرة ؛ فنصف المهر خمسة<sup>(١)</sup>. فإن قلت : ما وجه من قرأ : «أَمْتَعْكُنْ وَأَسْرِحْكُنْ» بالرفع<sup>(٢)</sup> ؟

قلت : وجهه الاستئناف . والسراج الجميل : طلاق السنة .

﴿وَلَنْ كُنْتَ تُرْدَنَ رَبِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>  
 ﴿يَنْسَاءَ النِّسَاءِ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَلِحًا ثُنُثِيَّاهَا أَجْرُهَا مَرَّيَنْ وَأَعْتَدَنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا<sup>(٥)</sup>﴾

﴿مِنْكُنَّ﴾ للتبيين لا للتبسيط .

﴿وَفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ الظاهرة القبح ، وهي الكبيرة ، والمراد : كل ما اقترف من الكبائر ، وقيل : هو عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه . وقيل : الزنا . والله عاصم رسوله ﷺ من ذلك كما مر في حديث الإفك ، وإنما ضوعف عذابهن ؛ لأن ما قبح من سائر النساء كان منهن أشد قبحاً (١٩٢/ب) لأن زيادة قبح المعصية يتبع زيادة الفضل والمرتبة ، وليس لأحد من النساء من الفضل مثل فضل نساء النبي ﷺ ولا على واحدة منهن من نعم الله ما عليهم ، وأجلها ترويجهن النبي ﷺ ، وذم العاصي العالم أشد من ذم الجاهل ؛ ولذلك فضل حد الأحرار [ على حد العبيد ]<sup>(٦)</sup> حتى إن أبو حنيفة وأصحابه لا يوجبون الرجم على الكافر<sup>(٧)</sup> . «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» إعلام بأن

(١) ينظر : شرح فتح القدير لحمد بن عبد الواحد السيواسي (٣ / ٣٢٧) ، فتاوى السعدي (١ / ٢٩٥).

(٢) قرأ جهور القراء "أمتُعْكُنْ وَأسْرِحْكُنْ" بالجزم ، وقرأ حميد الخزار "أمتُعْكُنْ وَأسْرِحْكُنْ" بالرفع على الاستئناف . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٢٧) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٧٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤١٢ / ٤) ، فتح القدير للشوكتاني (٤ / ٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٣٤) .

(٣) زيادة من الكشاف (٣ / ٥٣٦).

(٤) ينظر : أحکام القرآن للجصاص (٥ / ٩٨) ، بدائع الصنائع للكاساني (٧ / ٣٨) قال الجصاص : "واختلف الفقهاء في الذميين هل يحدان إذا زنيا؛ فقال أصحابنا والشافعي: يحدان، إلا أنهما لا يرجحان عندنا، وعند الشافعي يرجحان إذا كانا محصنين . وقال مالك: لا يحد الذميين إذا زنيا . قال أبو بكر: =

ترويجهن ليس بمعنى عنهن من الله شيئاً، بل هو سبب في زيادة الحد ، فكان ذلك داعياً إلى تشديد الأمر عليهم غير صارف عنه . والقتون : الطاعة ، وإنما ضعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله ﷺ بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وبوقرهن على عبادة الله عز وجل .

**﴿يَنِسَاءَ الَّتِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْقَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ فَوْلَامَ عَرْوَفًا﴾** (٣٣)

**﴿كَأَحَدٍ﴾** أصله : وحد ، وهو الواحد ، ثم وضع في التفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه . ومعنى قوله : **﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾** أي : ليست واحدة منهن كواحدة من النساء ، أي: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ، أي : إذا تقتصي أمة النساء جماعة لم توجد منها جماعة واحدة تعادلken في الفضل والسابقة ، ومثله قوله عز وجل : **﴿وَالَّذِينَ أَمْنَأْتَهُنَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَلَمْ يُفَرِّقُوهُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾** (١) يزيد : بين جماعة واحدة منهم تسوية منهم بينهم في أنهم على الحق المبين .

**﴿إِنْ أَنْقَيْتَنَّ﴾** إن أردتن التقوى ، وإن كنت متقيات . **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾** فلا تخبن

= وظاهر قوله تعالى : **﴿الَّزَانِيَةُ وَالرَّازِقُ فَاجْلِدُو كُلَّهُ وَجَرِيْهُنَّ هَمَانَةً جَلَدَهُ﴾** يوجب الحد على الذميين ، ويبدل عليه حديث زيد بن خالد وأبي هريرة عن النبي ﷺ : إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها " قوله ﷺ : أقيموا الحدود على ما ملكت أهانكم " ولم يفرق بين الذمي والمسلم ، وأيضاً فإن النبي ﷺ رجم اليهودين . فلا يخلو ذلك من أن يكون حكم التوراة أو حكمًا مبتدأً من النبي ﷺ ، فإن كان رجهمما حكم التوراة؛ فقد صار شريعة للنبي ﷺ لأن ما كان من شرائع الأنبياء المتقدمين مبقى إلى وقت النبي ﷺ فهو شريعة لنبينا ﷺ ما لم ينسخ ، وإن كان رجهمما على أنه حكم مبتدأً من النبي ﷺ؛ فهو ثابت إذ لم يرد ما يوجب نسخه . وال الصحيح عندنا أنه رجهمما على أنه شريعة مبتدأً من النبي ﷺ لا على تبقية حكم التوراة ، والدليل عليه أن حد الزانيين في أول الإسلام كان الحبس والأدي ، المحسن وغير المحسن فيه سواء ، فدل ذلك على أن الرجم الذي أوجبه الله في التوراة قد كان منسوحاً فإن قيل : فإن النبي ﷺ رجم اليهودين ، وأنت لا ترجهمما فقد خالفت الخبر الذي احتججت له في إثبات حد الزنا على الذميين . قيل له : استدلانا من خبر رجم اليهودين على ما ذكرنا صحيح؛ وذلك لأنه لما ثبت أنه رجهمما صح أنهما في حكم المسلمين في إيجاب الحدود عليهمما ، وإنما رجهمما النبي ﷺ لأنه لم يكن من شرط الرجم الإحسان ، فلما شرط الإحسان فيه وقال النبي ﷺ : من أشرك بالله فليس بمحسن . صار حدhemما الجلد " . انتهى من أحكام القرآن .

بقولك خاصعاً ؛ أي : مثل كلام المربيات والمومسات <sup>(١)</sup>. **﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ﴾** أي : ريبة وفجور . **﴿وَلَا مَعْرُوفًا﴾** بعيداً من طمع المريب بمحنة وخسونة من غير تخفيث أو قوله خشنا مع كونه خينا .

**﴿وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبِعَنَ تَرَ�ُّعَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْمَنَ الْصَّلَاةَ وَمَاتَتِنَ الْزَّكُوَةَ وَأَطْعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الْجِنَاحَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطْهِرُكُمْ نَطَاهِيرًا ﴾** **﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يَتَلَقَّنَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ أَيْدِيَ اللَّهِ وَالْمُحَمَّدَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا ﴾** **﴿٢٣﴾** **﴿٢٤﴾**

وقرئ **﴿وَقَرَنَ﴾** بفتح القاف <sup>(٢)</sup> من قوله وقاراً ومن قرٌ يقرُّ، حذفت الراء الأولى من رائي " اقررن " ونقلت حركتها إلى القاف ؟ كما قيل : ظلن .

و**«الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»** هي القديمة التي يقال لها: الجاهلية الجهلاء . وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم ، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ وتتشيي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقيل : ما بين آدم ونوح . وقيل : ما بين إدريس ونوح . وقيل : زمن داود وسليمان ، والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم .

ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر ، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق ، والمراد : لا تحدثن في الإسلام (١٩٣ / ١) جاهلية تشبهن فيها بجاهلية الكفر . وأمرهن أمراً خاصاً بالصلة والزكاة ، ثم جاء به عاماً في جميع الطاعات ؛ لأن هاتين الطاعتين - البدنية والمالية - هما أصل سائر الطاعات ، والصواب في قوله : جاء بالأمر عاماً لجميع الطاعات . أنه مطلق ولا عموم في المطلقات ، والصلة والزكاة أصلان لسائر الطاعات؛ من اعنى بهما اعنى بسائر العبادات ، وإنما خاطبتهن بالأمر وحدهن ؛ ليكون احترازهن عن الوقوع في

(١) الموسمات : جمع الموسمة وهي الفاجرة ، وتجمع على ميماس أيضاً وموامس . وامرأة موسم وموسمة : فاجرة زانية تميل لمريدها ، وربما سميته إماء الخدمة موسمات ، والموسمات : الفواجر مجاهرة .

ينظر : لسان العرب (ومن) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣ / ٣٧٣).

(٢) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر " وَقَرَنَ " بالفتح ، وقرأ الباقيون " وَقِرَنَ " بالكسر .

تنظر القراءات في : البحر الحبيط (٧ / ٢٣٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٧٧) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤١٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢١) - (ص : ٥٢٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٠) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٨) .

المائم أم ، ولি�تصونن عنها . واستعار للذنب الرجس وللتقوى الطهر؛ لأن عرض المترف للمعاصي يتلوث بها ويتensus كما يتلوث بذنه بالأرجاس ، وأما الحسنات فالعرض منها نقى مصون ؛ كالثوب الظاهر . وفي هذه الاستعارة تنفير للعصاة من اقتراف الذنب . و «أهـلـ الـبـيـت» نصب على النداء أو على المدح ، وفيه دليل على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته ، ثم ذكر أن بيتهن مهابط الوحي ، وأمرهن ألا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع لأمرین : أحدهما : الإعجاز بفصاحته ، والثاني : تعليم علوم الشريعة . «إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَيْرًا» علم ما يصلحكم في دينكم ، وأنزل عليكم كتاباً يهديكم إلى سبيل الرشاد ، أو علم من يصلح لنبوته من لا يصلح ، واصطفى من اختاره لذلك .

**﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقَاتِ وَالصَّدِيرِينَ وَالصَّدِيرَاتِ وَالخَشِيعِينَ وَالخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّتِيمِينَ وَالصَّتِيمَاتِ وَالْمَحْفُظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفَظَاتِ وَالذَّكَرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكَرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٥)**

وروي أن نساء النبي ﷺ قلن : " يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير، وما فينا خير نذكر به ؟ فنزلت **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾** ونزل **﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ مَنْ كُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾** (١) . وروي: أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المسلمين كذلك ؟ فنزلت (٢) . والمسلم : الداخل في السلم بعد الحرب ؛ المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

والمؤمن : المصدق بالله ورسوله ، وبما يجب أن يصدق به . والقانت : القائم بالطاعة الدائم عليها . والصادق : الذي يصدق في نيته وقوله وعمله . والصابر : الذي يصبر على عباس نحوه .

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٩٥) وذكر ذلك الزيلعي في تخريج الكشاف ( ٣ / ١٠٧ ) وال蔓اوي في الفتح السماوي تخريج أحاديث البيضاوي ( ٣ / ٩٣٤ ) وقال : رواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس نحوه .

(٢) روى الترمذى رقم ( ٣٢١١ ) عن أم عطية الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** الآية . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه . وصححه الشيخ الألبانى في صحيح الترمذى رقم ( ٢٥٦٥ ) .

الطاعات وعن المعاصي وعن الشدائيد . والخاشع : المتواضع لله بقلبه وجوارحه . وقيل : الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله . والتصدق : الذي يزكي ماله ولا يخل بالتوافق . وقيل : من تصدق (١٩٣/ب) في أسبوع بدرهم فهو من التصدقين ، ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين .

**﴿وَالذَّكِيرَاتُ اللَّهُ كَثِيرًا﴾** من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو بلسانه أو بهما ، وقراءة القرآن والاستغلال بالعلم من الذكر . وقال رسول الله ﷺ : " من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا كتابا من الذاكرين الله كثيرا والذاكريات " <sup>(١)</sup> . والمعنى : والحافظاته والذاكرته ، فمحذف لأن السياق يدل عليه . فإن قلت : فأي فرق بين العطفين ؟ أعني : عطف الإناث على الذكور ، وعطف الزوجين على الزوجين ؟

قلت : الأول نحو قوله : **﴿ثَبَّتْ وَبَكَارًا﴾** <sup>(٢)</sup> . في أنهما جنسان مختلفان ، فإذا اشتراكا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العاطف الثاني فهو من عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فكان معناه : إن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات **﴿أَعْدَ اللَّهُ لَمْ**  
**﴿مَغْفِرَةً﴾**

**﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ لَهُمْ الْحِرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ**  
**اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْرِكَ**  
**عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَتَقَّ اللَّهَ وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَللَّهُ مُبِدِيهٌ وَتَخْشَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ**  
**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا زَوْجَكَهَا لَكِنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرجٌ فِي أَنْزَفْتَ أَدْعِيَاهُمْ إِذَا  
قَضَوْهُمْ هُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾**

ولما خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاها زيد بن حارثة فأبكت وأبكي أخوها ؛ فلما نزلت رضيا ؛ فأنكحها رسول الله ﷺ وساق إليها مهرها ستين درهما وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مدعاً من طعام وثلاثين

(١) رواه أبو داود رقم (١٣٠٩ ، ١٤٥١) ، وابن ماجه رقم (١٣٣٥) ، وابن حبان رقم (٢٥٦٨)  
والحاكم في المستدرك (١ / ٣١٦) ، وصححه ابن حبان والحاكم . وصححه الألباني في صحيح الجامع  
رقم (٣٣٣) .

(٢) سورة التحرير ، الآية (٥) .

صاعاً من تمر<sup>(١)</sup>. وقيل : هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال : "قد قبلت". وزوجها زيد بن حارثة فسخطت وأخوها ، وقالت: ما أردت إلا رسول الله ﷺ فزوجني عبده<sup>(٢)</sup>.

والمعنى : وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين ﴿إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا كَوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾<sup>(٣)</sup> يعني : الاختيار ، وحقهم أن يجعلوا إرادتهم واختيارهم تبعاً لرأيه واختياره ، وجمع الضمير في قوله : ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ حلاً على المعنى في جريان ذكر المؤمن والمؤمنة . والخير ﴿لِلَّذِي أَتَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَنَعْمَتْ عَلَيْهِ﴾ بالمعنى هو زيد بن حارثة . ﴿أَمْسَكَ عَلَيْكَ رَوْجَكَ﴾ يعني: زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله ﷺ كان قد تزوج خديجة وذكر لها أنه رأى في السوق غلاماً حسناً يباع ، وهو زيد بن حارثة ، فاشترته خديجة بمالها ، وهبته للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه وكان أبوه (١٩٤/١) يطوف عليه البلاد حتى وجده عند عرب .

أَحَيٌّ فِي زَجَّ أَمْ أَتَى دُوَّهَ الْأَجَلُ أَغَالَكَ بَعْدِي السَّهَلَ أَمْ غَالَكَ الْجَبَلَ فَحَسِيْ من الدُّنْيَا رَجُوعَكَ لِي أَمْلَ وَتَعْرُضَ ذَكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفْلَ فِي طَوْلِ مَا حَزَنَيْ عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ وَلَا أَسَامَ النَّطْوَافَ أَوْ تَسَامَ الْإِبَلَ فَكُلُّ اْمَرَئٍ فَانِ إِنْ غَرَّهُ أَمْلَ	بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَذِرِ مَا فَعَلْ فَوَاللهِ مَا أَذِرِي وَلَأَنِي لَسَائِلَ فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى الدَّهَرِ أُوبَةٌ تَذَكَّرِنِي الشَّمْسُ عِنْدَ طَلُوعِهَا وَإِنْ هَبَتِ الْأَرْوَاحُ هَيْجَنْ ذَكْرَهُ سَأَعْمَلُ نَصَ العِيشِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا حَيَاَتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مُنْتَيِي
--	--

(١) رواه الطبرى (٢٢ / ١١).

(٢) رواه الطبرى (٢٢ / ١٢) وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٦١٠) ونسبة لابن أبي حاتم .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو " تكون " بالباء ، وقرأ عاصم ومحزنة والكسائي " يكون " بالباء . تنظر في : الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤١٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٤٠) .

فقام حارثة وهو أبو زيد فقال : يا نبی الله إني قد أنضیت<sup>(١)</sup> الرقاب في طلب هذا الغلام ، ولو رأیتَ أمّه وما صنعت ب نفسها لأدركت الرحمة ؛ فعن علینا بهذا الولد ؛ فأنت أهل للمعروف . فقال النبي ﷺ : هذا الغلام واقف ، فإن اختار أن يذهب معك سلمته إليك ، وإن اختارني فلا يسعني أن أقصي شخصاً يحب قربى ؛ فدعا رسول الله ﷺ زيداً ، فقال له : أختيارني أم تختار أباك وأمك ؟ فقال : والله لا أختار عليك يا رسول الله أحداً أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ بيد زيد ووقف على ملاً قريش وقال : اشهدوا أن هذا ابني يرثني وأرثه . ولم يزل يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله : « مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ » الآية<sup>(٢)</sup> ، فحرم الله التبني . ثم إن زيداً خطب زينب ، فأجيب فرأى رسول الله ﷺ أن زوجه زينب ، فزوجه إليها ، فغضبت هي وأخوها وقالا : زوجنا عبده ، ما أردنا إلا هو ! وزوج رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ﷺ بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية بنت<sup>(٣)</sup> - وأمها أميمة بنت عبد المطلب - وأصدقها عشرة دنانير ، وستين درهماً ، وخماراً ، وملحفة ، وذرعاً ، وخمسين مدياً من طعام ، وعشرة أداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من ستة أو فوقها ، ثم وقع بينهما<sup>(٤)</sup> فجاء زيد إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أريد طلاق زينب . فقال له النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله . أي : اتق الله ولا تفارق زوجك من غير ذنب ، وكان الله قد أوحى إلى نبيه أن زينب ستتصير زوجة له ، فتعجب الله عليه حيث (١٩٤/ب) يقول له : أمسك عليك زوجك . وهو يعلم أنها ستتصير زوجته ، ولا يتأنى ذلك مع أمره بإمساكها ، ولكن جعل الله هذه الواقعه سبباً لثبت حكم شرعى وهو أن زوجة الابن المتبنى لا تكون بمنزلة زوجة ابن الصلب ؛ بل هي حلال للمتبني ، وقد صرح بذلك في هذه السورة بقوله : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا زَوْجَتَكُمْ لَيْكَنْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعَيَّا بِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَكُمْ ». وقال في سورة النساء : « وَلَحَلَّتِ الْأَبْنَائِكُمُ الْأَذْنَانِ مِنْ أَصْلَدِكُمْ ». <sup>(٤)</sup> يحترز به من زوجة الابن الداعي . فإن قيل : هل ترك الأمر بالعتب على قوله : « أَسْيَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ». وهلا عותب على أمر يكثر فيه القالة إذا فعله ؟ وهلأ

(١) أنسى فلان بعيه أي : هزله وتنضاه أيضاً . والنضو : الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .  
ينظر : لسان العرب (نضو) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٢٣٦) وفيه آخر بيت " ف يأتي أو تأتي علي منيي " ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٥ / ٣٤٨ - ٣٤٩) لابن مردوه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) ما بين المعقوفين من عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (٤٦ / ٣) .

(٤) الآية (١٢٣) .

صين مقام النبي ﷺ عن ذلك ؟ قلتُ: كم من شيء فيه هجنة لكن ليس فيه في الشرع ما يكره ، ومنه ما في هذه الآية ؛ فإن الله ألقى في قلب زيد بغض زينب حتى يقضى ما علمه من رجوعها إلى رسول الله ﷺ فعادت إليه بعد صريح موافق لقواعد الشرع .

وقيل في قوله : «وَنَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَّهُ مُبْدِيهِ» إنه محبه لزينب . وقيل : العلم بأنها ستصير زوجة له ، وإظهار هذا الأخير فيه هجنة ؛ وهو أن يقول لمن استشاره في أمر زوجته: طلقها ، فأنا أتزوجها لا سيما وقد اقترن بذلك جواز حل زوجة المتبنى ، وهي فائدة جليلة . وأيضاً فإن الصحابة كانوا إذا عرفا من رجل صالح رغبة في الزوجية نزل له عن إحدى زوجتيه ، فزوجه بها ، وكذلك كان في أول الإسلام حتى ورد المنع من ذلك فإن قلتَ: الواو في قوله : «وَنَخْفِي فِي نَفْسِكَ» «وَنَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ» ما هي ؟ قلتَ: واو الحال ، أي : تقول لزيد : أمسك عليك زوجك خفيا في نفسك إرادة ألا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقاً في ذلك بأن تخشى الله ، والله أحق أن تخشاه . إذا بلغ الرجل حاجته على يسرٍ بغير عسر - قيل قد قضى وطره ، والمعنى: فلما فارق زيد زوجته ، وقد قضى منها حاجته وطلقها وانقضت العدة زوجناها . «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ» الذي يريد أن يفعله «مَقْعُولاً» لا محالة . «فَرَضَ اللَّهُ» قسم وأوجب ؛ من قوله : فرض لفلان كذا .

«مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ، شَرَّفَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا» <sup>(٢٨)</sup> **الَّذِينَ يُلْعَنُونَ** رسالتَ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهُ وَكَانَ بِاللهِ حَسِيبًا <sup>(٢٩)</sup> مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**

«شَرَّفَ اللَّهُ» اسم موضوع للمصدر ؛ كقوفهم: [تربا وجندلا] <sup>(١)</sup> أكدده بقوله : «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ» (١٩٥/١) يعني: قد سن الله مثل ذلك في الأنبياء الماضيين ، وقد كان لداود مائة زوجة وثلاثمائة سرية ، ولسلامان ثلاثمائة زوجة وألف سرية . «فِي الَّذِينَ خَلَوْا» مضوا . «قَدَرًا مَقْدُورًا» قضاء مقصياً وحكم ما مبتوتا .

«وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهُ» تعریض بعد التصریح . في قوله : «وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ» . «حَسِيبًا» کافياً للمخلوق ، أو: محاسبًا على الصغيرة والكبيرة فتجب خشيته . «وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ» وكل نبی فهو أبو أمته ؛ في معنی التعظیم والاحترام لا في معنی المیراث

(١) بیاض بالأصل ، والمثبت من الكشاف (٣ / ٥٤٣).

ووجوب النفقة . ﴿ وَحَاتَمَ الْتَّيْنَ ﴾ الرجال الذين يصلحون للنبوة ، وقد قال رسول الله ﷺ في ابنه إبراهيم : " لو عاش لكان نبياً " <sup>(١)</sup> ولا يكوننبياً ؛ لقوله : ﴿ وَحَاتَمَ الْتَّيْنَ ﴾ .

فإن قلت : أولاده الذكور الذين ماتوا : الطاهر والطيب وإبراهيم عاشوا في حياته زماناً، فهل كانوا أنبياء في ذلك الزمن ؟ قلت : خرجت نبوتهم بدللين : أحدهما : قوله : ﴿ مَنْ رِجَالُكُمْ ﴾ يريد البالغين ، فإن أولاد النبي ﷺ لم يبلغ أحد منهم مبلغ الرجال . والثاني : إضافتهم بقوله : ﴿ مَنْ رِجَالُكُمْ ﴾ وهؤلاء لم يكونوا من رجال أحد غير النبي ﷺ .

فإن قيل : أما كان الحسن والحسين أبناء له ؟ قلت : بلى ، ولكن لم يكونا رجلين حيثما ، وهما - أيضاً - من رجالهم ، وقرئ ﴿ وَلَكُنَّ رَسُولًا ﴾ بالنصب عطفاً على قوله : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ ﴾ ، ﴿ وَلَكُنَّ ﴾ كان ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ وبالرفع على قوله : ولكن هو رسول الله <sup>(٢)</sup> . وقرئ ﴿ وَحَاتَمَ ﴾ بالفتح بمعنى الطابع ، وبالكسر <sup>(٣)</sup> بمعنى فاعل الطبع فإن قلت : فسينزل عيسى بعد النبي ﷺ . قلت : يبعث مقرراً للدين النبي ﷺ . وفي الحديث الصحيح : " كيف بكم إذا نزل عيسى ابن مرريم وإمامكم منكم " <sup>(٤)</sup>

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ١٥١١ ) قال البوصيري في مصباح الزجاجة ( ١ / ٤٩٣ ) : وإنستاده ضعيف لضعف إبراهيم بن عثمان . وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم ( ٢٢٠ ) .

(٢) قرأ جهور القراء " رسول " بالفتح ، وقرأ ابن أبي عبدة " رسول " بالرفع . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٣٦ ) ، الدر المصنون للسمين ( ٥ / ٤١٩ ) ، فتح القدير للشوکانی ( ٤ / ٢٨٥ ) ، الكشاف للزخشري ( ٣ / ٣٦٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٨١ ) .

(٣) قرأ جهور القراء " وخاتم " بالكسير ، وقرأ عاصم وحده " وخاتم " بالفتح . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٣٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ١٩٦ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤١٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢٢ ) ، فتح القدير للشوکانی ( ٤ / ٢٨٥ ) ، الكشاف للزخشري ( ٣ / ٣٦٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٨١ ) .

(٤) رواه أحد في المسند ( ٢ / ٢٧٢ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ٤٥٩١ ) قال المناوي في فيض القدير : " أي الخليفة من قريش على ما وجب واطرد ، أو إمامكم في الصلاة رجل منكم كما في صحيح مسلم " يقال له: صل بنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء ؛ تكرمة هذه الأمة " . وقال الطبي : معنى الحديث : أي يؤمكم عيسى حال كونكم في دينكم وصحح المولى التفتازاني أنه يؤمهم ويقتدي به المهدى ، لأنه أفضل ، فإمامته أولى ، وفي روایة بدل " إمامكم منك " و " يؤمكم منكم " ومعناه يحكم بشريعة الإسلام ، وهذا استفهام عن حال من يكونون أحياء عند نزول عيسى كيف يكون سرورهم بلقاء هذا النبي الكريم وكيف يكون فخر هذه الأمة

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيِّحُوهُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أثروا عليه بأنواع الثناء من تسبيح وتقديس وتحميد ومجيد ، وغير ذلك مما هو أهله ، وأكثروا من ذلك . قال النبي ﷺ : " ذكر الله على فم كل مسلم " (١) وعن قتادة : هو قول الرجل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (٢) . قوله : ﴿اذْكُرُوا﴾ و ﴿وَسَيِّحُوهُ﴾ كلاماً موجهاً إلى قوله : ﴿بَكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهذه كلمات يقوهن البر والفاجر والجنب والخائن ، والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه بإعادة ذكره لتشريفه ؛ كما في قوله : ﴿وَمَكَبِّرَكُمْ وَرُسُلِهِ وَجِنِّيهِ وَمِكَنَلَ﴾ (٣) لأن معناه تزييه ذاته عما لا يليق بجلاله (١٩٥ / ب) ويدل على تعظيم التسبيح ما هو دال على تنزهه الباري عن جميع ما لا يليق بجلاله ، ومثاله أن تصف عبدك باجتناب الفواحش وترك الخيانة ، وتقدم هذا الوصف على صومه وصلاته .

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُحرِّكُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ إِلَيْكُمْ مِنَ الرَّحِيمِ ﴿٤٤﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَأَيُّهَا النَّيْمَةُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرِّاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَشَرِّيَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلت : ﴿الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُم﴾ إن فسرته بالرحمة لم يحسن في حق الملائكة ؟

= ويعنى روح الله يصلي وراء إمامهم، وذلك لا يلزم انفصال عيسى من الرسالة؛ لأن جميع الرسل بعثوا بالدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل والنهي عما خالف ذلك من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعي فيه صلاح من خوطب به، فإذا نزل المتقدم في أيام المتأخر، نزل به على وقفة، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : "لو كان موسى حيًّا لما وسعه إلا ابتعي" تبيهًا على أن اتباعه لا ينافي الإيمان به بل يوجهه .

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣ / ١١٥) وقال : غريب بهذا اللفظ ، وروى البيهقي والدارقطني من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سأله رجل رسول الله ﷺ : "الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى . قال : اسم الله على فم كل مسلم " . وقال الزيلعي (٣ / ١١٦) ورواه ابن عدي في الكامل وأعلمه برواية بن سالم الغفاري ، وكذلك ابن القطان في كتابه وقال : إنه ضعيف جدًا . وقال الشيخ الألباني في السلسلةضعيفة رقم (٢٧٧٤) : موضوع .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٤٥) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٩٨) .

قلتُ : لما كانت الملائكة دعوتهم مستجابة ؛ فإذا سألا الرحمة فكأنهم فعلوها ونظيره حياك الله ، أي : أحياك ، وحيتك بمعنى : دعوت لك بأن يحييك الله ، وكذلك قوله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ بمعنى : سلوا الله له الرحمة .

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فيه دليل على أن المراد بالصلاحة الرحمة ، وروي أنه لما نزل ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ قال أبو بكر : يا رسول الله ، ما خصك الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه : فنزلت (١) .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَقُولُنَّهُ سَلَّمَ﴾ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول ، أي : تحييهم الملائكة حين يلقونهم سلام . وقيل : هو سلام ملك الموت وأعوانه عند قبض الروح . وقيل : سلام الملائكة عند الخروج من القبور . وقيل : هو عند دخول الجنة ؛ لقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢) . والأجر الكريم : الجنة . ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا﴾ أي : شاهدًا على من بعث إليهم ، وعلى تصديقهم وتكذيبهم بمعنى أنه مقبول عند الله قوله قولك عليهم و لهم . فإن قيل : الشاهد إنما يسمى شاهدًا عند تحمل الشهادة أو أدائها ، ووقت الإرسال ليس وقتًا للتحمُّل ولا للأداء ؟ قلتُ : تسميته شاهدًا حال مقدرة ؛ كقولك : جاءني زيد وعلى يده صقر صائدًا به غدًا . فإن قيل : قد فهم من إرساله أنه مأذون له في الدعوة فما فائدة قوله : ﴿بِإِذْنِنِهِ﴾ ؟ قلتُ : الإذن المراد به تيسير الأمر وتسهيله ، ومن ذلك قوله في البخيل : إنه غير مأذون له في الإنفاق . أي : لا يتيسر عليه ذلك ولا يسهل .

﴿وَسَرَاجًا مَنِيرًا﴾ جلا الله به ظلمات الشرك ، ونور به قلوب المؤمنين . وقيل : ذا سراج . أي : وصاحب سراج منير ، وهو القرآن ، ويجوز أن يراد : وأعد له فضلا على سائر الأمم ، وذلك الفضل من جهة الله ؛ فإنه آتاهم ما فضلوا به .

﴿وَلَا تُطِعُ الْكُفَّارِينَ وَالْمُنَفِّقِينَ وَدَعْ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٤﴾  
يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكْحَتُهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوُهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْدُونَهَا فَمِنْ عَوْهُنَّ وَسَرِحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١٥﴾﴾

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور ( ٥ / ٣٨٩ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) سورة الرعد ، الآية ( ٢٣ ) .

﴿وَلَا يُطِيعُ الْكَفَرِينَ﴾ أي : دم على امتناعك من قبول رأيهم . ﴿وَدَعَ أَذَنَهُمْ﴾ يحمل إضافة المصدر للفاعل وللمفعول ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾ مفهوماً إليه الأمور .

النکاح : الوطء ، واستعمل في العقد ؛ لأنه سبب موصل إليه ؛ كما سموا الخمر إثماً ؛ لأنه موصل (١٩٦/١) إلى الإثم ، وقال الراجز :

يَا عَارِضًا يَخْتَالُ فِي أَثْوَابِهِ أَسْنَمَةُ الْأَبَالَ فِي سَحَابَهِ<sup>(١)</sup>

ولم يرد النکاح في كتاب الله تعالى إلا بمعنى العقد ؛ لأنه تصريح ، ومن آداب القرآن الکنایة عن الوطء بالمسيس والدخول والغشيان وال المباشرة والإيتان والقربان .

فإن قيل : قوله : ﴿إِذَا نَكْحَمُ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية ، وحكم الزوجة الكتابية حكم المسلمة ؛ فما وجه تخصيص المؤمنات بالذكر ؟ قلت :فائدة ذكر المؤمنات الإشعار بأن حق المسلم أن يترفع عن نکاح الكافرة ، ولا يجتمع ولی الله وعدو الله تحت لحاف واحد ، والذي في سورۃ المائدۃ ﴿وَلَا خَصَّنَتْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> لبيان الجواز ، وهذه لبيان الأفضل . فإن قلت : ما فائدة " ثم " في قوله : ﴿لَمْ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ؟

قلت : ذكر ذلك دفعاً لوهם من يتوجه أن من طالت مدة فراقها من الزوج لا عدة عليها بخلاف من قصرت مدتھا ، فإن قلت : ما حكم الخلوة ؟ قلت : الخلوة موجبة لجمیع المهر عند أبي حنيفة وأصحابه والشافعی لا يرى ذلك<sup>(٣)</sup> .

﴿تَعْنِدُونَهَا﴾ تستوفون عددها ، وعند الشافعی لا عدة على من لم يدخل بها<sup>(٤)</sup> وقرئ ﴿تَعْنِدُونَهَا﴾<sup>(٥)</sup> بالتحفیف ، أي : تعتدون فيها ، كقوله [ من الطویل ] :

(١) ينظر في : البحر المحيط لأبی حیان (٧/٤١٦) ، الدر المصنون للسمین الحلی (٦/٦) ، غریب الحديث للخطابی (١/٧١٤) ، الفائق في غریب الحديث للزمخشیری (٢/٢٧٩) ، الكشاف له (٣/٥٤٨) ویروى الشطر الأول : أقبل في المستن من رباه ..... في وصف غیث الآية (٤) .

(٢) ينظر : البحر الرائق لزین بن إبراهیم (٣/١٦٦) ، بدائع الصنائع للكاسانی (٢/٢٩٤) ، فتاوى السعیدی (١/٣٠١) ، معنی المحتاج للخطبی الشیرینی (٣/٢٢٥) ، المغنی لابن قدامة (٦/٧٢٤) .

(٤) ينظر : معنی المحتاج للخطبی الشیرینی (٣/٣٨٤) .

(٥) قرأ بها ابن کثیر في رواية ابن أبي بزّة عنه ، وقراءة الجمهور " تعندونها " بالتشدید .

تظر في : البحر المحيط لأبی حیان (٧/٢٤٠) ، الدر المصنون للسمین الحلی (٥/٤٢٠) ، السبعۃ =

(١) ..... و يوماً شهدناه سليماً و عامراً

المراد بالاعتداء مثله في قوله : «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْنَدُوا» <sup>(٢)</sup> والمتعة من شرحها في أئمَّةِ السُّورَةِ <sup>(٣)</sup>. «سَرَّا حَاجِيلًا» من غير ضرار ولا منع واجب . «أُجُورُهُنَّ» مهورهن ، وإيتاؤها : إما تسليمها عاجلاً ، أو ذكرها في العقد . فإن قلت : ما فائدة التقييد بقوله : «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» ؟ قلت : واللاتي هاجرن معك ، قد اختار الله له شرط الأفضل كغيرهما مما خص به ، فإن تسمية المهر في العقد أولى من تركها ، وسوق المهر إليها عاجلاً خير من تركه وتأجيله ، وكان التعجيل عادة السلف ، وما لا يعرف بينهم سواه ، وكذلك الجارية إذا حيزت من المغانم كانت أحل مما يُشتري من الأسواق وكذلك المرأة المهاجرة أفضل من التي لم تهاجر مع النبي ﷺ .

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : " خطبني رسول الله ﷺ فاعتذررت إليه فعذرني ، فأنزل الله هذه الآية «الَّتِي هَاجَرَنَّ مَعَكُمْ» قالت : فلم أحل له ؛ لأنني لم أهاجر" <sup>(٤)</sup>.

«يَكَانُوا إِنَّمَا أَحَلَّنَا لَكُمْ أَرْوَاحَكُمُ الْقِيمَاتِ أَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكْتَ يَمْسِكُ بِمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَبَنَاتِ عَمَّتِكُمْ وَبَنَاتِ عَمَّتِكُمْ وَبَنَاتِ خَالِكُمْ وَبَنَاتِ خَالِكُمْ الَّتِي هَاجَرَنَّ مَعَكُمْ وَأَمْلَأْتُ مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَرِكُهَا خَالِصَةً لَكُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ

= ابن مجاهد (ص : ٥٢٢) ، فتح القيدير للشوكاني (٤ / ٢٩٠) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤١) قال ابن مجاهد : " وقال لي قبل : كان ابن أبي بزه قد وهم في " تعتدونها " فكان يخففها فقال لي القواس : صير إلى أبي الحسن فقل له : ما هذه القراءة التي قرأتها ، لا نعرفها ؟ ! فصرت إليه فقال : رجعت عنها . قال : وقد غلط أيساً في ثلاثة مواضع ؛ هذه أحدها «وَمَا هُوَ بِيَمِّيْتِ» [إبراهيم : ١٧] «وَإِذَا آتَيْتُمْ عُطْلَتَ (١)» [التكوير].

(١) هذا صدر بيت لرجل من بني عامر ، وعجزه : ..... قليل سوى الطعن النهان نوافله .  
ينظر في : الدرر اللوامع (٣ / ٩٦) ، شرح المفصل (٢ / ٤٦) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر (٣٨ / ١) ، خزانة الأدب (٧ / ١٨١) ، معنى الليب (٢ / ٥٠٣) ، المقتضب للمبرد (٣ / ١٠٥) .  
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٣١) .

(٣) في تفسير الآية (٢٨) .  
(٤) رواه الترمذى رقم (٣٢١٤) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٢٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٥٤) ، وحسنه الترمذى ، وضعفه الشيخ الألبانى في ضعيف الترمذى رقم (٦٣٠) .

عِلْمَنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاحِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ لِكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَاجَةٌ  
وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

قوله : «وَأَمْرَةٌ» أي : وأحللنا لك امرأة «مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ» قرئ بفتح "أن" (١٩٦ / ب) وكسرها<sup>(١)</sup> فالكسر على الشرطية ، والفتح على أنه مصدر إن أراد هو، قيد في اعتبار الشرط الأول . وفي الكتاب العزيز مواضع آخر اعتراض فيها بدخول الشرط على الشرط ؛ كقوله - تعالى - : «وَلَا يَنْقُعُ كُوئٌ نَصْبِيَ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لِكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيْكُمْ»<sup>(٢)</sup> وعند إمام الحرمين<sup>(٣)</sup> : إذا اجتمع الشرطان وقع المشروط . وعند صاحب المذهب<sup>(٤)</sup> : إن قدم الشرط الأول على الثاني لم يقع شيء ، وإن قدم الثاني على الأول وقع . وقوله : «وَأَمْرَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ» شرط في حل الموهبة أن يريد أن يستنكحها ، فلا تعمل الهبة إلا بعد تحقق شرطها وهو إرادة أن يستنكحها ، فإن قلت : لم يدل عن الخطاب في قوله : «إِنْ أَحْلَلْنَا لَكَ» إلى الغيبة في قوله: «إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ» ولم يقل : لك ، ثم رجع إلى الخطاب ؟ قلت : للإيدان بأن ذلك من خواص النبي ﷺ وقد خص رسول الله ﷺ بمعنى الهبة . وقال الماوردي : اختلط العلماء فيما خص به رسول الله ﷺ على ثلاثة مذاهب : أحدها : أن الذي خص به انعقاد نكاحه بلفظ الهبة . والثاني : أن الخاصية أنه لا يجب المهر في هذا العقد . والثالث : إذا وقع مفوضاً لم يجب فيه المهر لا في العقد ولا في الدخول<sup>(٥)</sup>. «خَالِصَةٌ» مصدر مؤكد على وزن الفاعلة ؟ كالعقوبة والعافية

(١) قرأ جهور القراء "إن وهبت" بالكسر ، وقرأ أبي والحسن وعيسي بن عمر "أن" بالفتح . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٤٢) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٠٩) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤٢١) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٩٢) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٤٢) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٨٢) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣٦٣) .

(٢) سورة هود ، الآية (٣٤) .

(٣) تقدمت ترجمته في سورة الأعراف ، الآية (١٠٦) .

(٤) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي الفيروزآبادي منسوب إلى فيروزآباد بفتح القاء ، وهي بلدة من بلاد فارس وهو الإمام الحمق المتقن المدقق ذو الفنون من العلوم ، الزاهد العابد الورع . وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلاميذه وأصحابه وصنف في الأصول والفرع والخلاف والجدل . توفي ببغداد سنة اثنين وسبعين وأربعين .  
ينظر : تهذيب الأسماء للنووي (٢ / ٤٦٥) .

(٥) ينظر : تفسير النكوت والعيون للماوردي (٣ / ٣٣٣) ونسب هذه الأقوال لأنس بن مالك - رضي الله عنه - وقتادة وسعيد بن المسيب وللإمام الشافعي رحمهم الله تعالى .

والكافر والخائنة ؛ خالصاً بمعنى خلوصاً . ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ جملة معرضة ﴿ لِكُلِّيَا تَكُونَ عَلَيْكَ حَقٌّ ﴾ .

واعلم أن رسول الله ﷺ لما أمر بتخيير نسائه فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فشكر الله هن ذلك وجازاهن بأن حرم على النبي ﷺ خلافهن وحرم عليه أن يستبدل بهن غيرهن ، فقال : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِنَّ أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾<sup>(١)</sup> ثم اختلف في أن هذا التحرير هل زال أو بقي ؟ فعن الشافعي رضي الله عنه : " ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النسوة التي حرمن عليه " واحتج بقوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّتِي أَنْأَيْنَا لَهُنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ الآية . وقال أبو حنيفة رحمه الله : كن محمرات عليه إلى حين وفاته ، واحتج ( ١٩٧ / ١ ) بأن ذلك كان مكافأة هن على اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة<sup>(٢)</sup> .

﴿ تُرْحَىٰ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوَىٰ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَنْجَيْتَ مِنْ عَزِيزَاتٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْقَنَ أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا يَحْزُنَكَ وَرِضَايَتِكَ بِمَا عَلَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِنَّ أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكْتَ يَمِينَكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾

قوله : ﴿ ذَلِكَ أَدْقَنَ أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنَهُنَّ ﴾ وذلك أنهن إذا رأين رسول الله ﷺ يعدل في القسمة مع أنه مباح له ألا يقسم علم من ذلك محنته لجميعهن ، وأنه لا يؤثر واحدة على أخرى فرفع النزاع والشقاق . و " من " في قوله : ﴿ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ مزيدة في النفي . وتحريم جميع الأزواج أن يبدل بهن غيرهن . وقيل في قوله : ﴿ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ ﴾ هو كون الرجل ينزل عن زوجته لصديقه أو صاحبه ، ثم نسخ ذلك . وقيل : المراد بقوله : ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ هي أسماء بنت عميس<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه أحمد غي المستند ( ٦ / ٤١ ، ٤١ / ٢٠١ ) ، والترمذى رقم ( ٣٢١٦ ) ، والنسائي ( ٦ / ٥٦ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٦٣٦٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٤٣٧ ) ، عن عائشة رضي الله عنها .

وقال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى رقم ( ١٥٦٨ ) .

(٢) ينظر : الأم للشافعى ( ٥ / ١٤٠ ) ، بداع الصنائع للكاسانى ( ٦ / ١٢٨ ) ، تفسير القرطبي ( ٢٢٩ / ١٤ ) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٥٤ ) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا مَيْوَتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظَرِينَ إِنَّهُ وَلَكُنَّ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا إِنَّمَا طَعَامُكُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَغْنِيْنَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِنُ لِلَّتِي فَيَسْتَحِيْ، مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيْ، مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَنَّا مَفْسَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَلْوِيْكُمْ وَقَلْوِيْهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوْا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَأْ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيْمًا ﴾٥٣﴾

﴿لَا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ وما بعدها في معنى الظرف ، أي: لا تدخلوا إلا في وقت الإذن  
 «غير ناظرين» حال من «لَا دَخْلُوا» أي: إلا في معنى الإذن أو حال الإذن . وقيل :  
 «إنَّهُ» أكله ؛ لأنَّ المراد : غير ناظرين الأكل ولا وقته . روي: أنَّ رسولَ الله ﷺ أ ولم  
 على زينب بتمر وسوق وشاة فلما استوى الطعام بعث يطلب الناس فكانوا يأتون أفواجا ،  
 يذهب قوم ويأتي قوم ، ورسولَ الله ﷺ يقول : ادعوا الناس . فقال : يا رسولَ الله : لقد  
 دعوت حتى لا أجده من أدعيوه ، فقال رسولَ الله ﷺ : ارفعوا طعامكم ، وخرج وخرج  
 معه الناس ، ثم رجع النبي ﷺ إلى بيته فوجد ثلاثة يتحدثون في منزله ، وكان النبي ﷺ  
 شديد الحياة ، فخرج فلما رأه النفر الثلاثة خارجا استحبوا وخرجوا ، وأنزل الله تعالى :  
 «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا مَيْوَتَ النَّبِيِّ» الآية<sup>(١)</sup>.

﴿فَيَسْتَحِيْ، مِنْكُمْ﴾ أي: من إخراجكم . «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيْ، مِنَ الْحَقِّ» لا يمتنع من قوله  
 وفعله ، وقرئ «يَسْتَحِيْ» بباء واحدة<sup>(٢)</sup>.

الضمير في قوله : «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ» عائد على نساء النبي ﷺ ولم يجر لهن ذكر ، لكن  
 السياق يدل عليهن . روي: أنَّ عمرَ كان حريصاً على الحجاب وكان يود أن ينزل فيه<sup>(٣)</sup>.  
 وروي: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يأكل ثمرةً مع جماعة ، فوَقَعَتْ يدُ رجلٍ منهم على يد عائشة

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٤٢٨) ، وأحد في المسند (٣ / ١٦٣) ، والترمذني رقم (٢٣١٨)  
 والنسائي (٦ / ١٣٦) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٤١٧) ، عن أنس رضي الله عنه .

(٢) قرأ جهور القراء «يسْتَحِي» ببائين ، وقرأ ابن كثير في رواية عنه «يَسْتَحِي» بباء واحدة ، وهي لغة  
 تميم . تنظر في : إنْحَافِ فضلاء البذر للبنـا (١ / ٣٨٢) ، البحـر المحيـط لأبي حيـان (١ / ١٢١) ، تفسـير  
 القرطيـيـ (١ / ٢٤٢) ، الدر المـصـون لـلسـمـينـ الـخـليـ (١ / ١٦٢) ، الكـشـاف لـلـخـنـشـريـ (١ / ٥٥) ،  
 مختـصرـ الشـواذـ لـابـنـ خـالـوـيـ (صـ ١٢) ، معـانـيـ القـرـنـ لـلـأـخـفـشـ (١ / ٢١٤) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥ / ٤٠٢) ، ونسبة لابن أبي حاتم وابن مردوه عن ابن عباس .

فكرة ذلك رسول الله ﷺ فنزلت آية الحجاب<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْدِوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ (١٩٧ / ب) أي: ولا يأتي لكم إيماء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعده ، وفيه تعطيب لقلب رسول الله ﷺ فإنه إذا قيل للإنسان: قاتل وملك هذا العبد ، فإنك إذا مت لا يملك أحد بعده - طابت نفسه بالزوجة المختومة المصونة إذا قيل له : إنها لا تستبدل بعده كان أطيب لنفسه وأقر لعينه .

ولما نزلت ﴿فَتَكُلُّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ﴾ الآباء والأبناء أو نحن غنمنا من أقاربنا ؟ فنزلت ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾<sup>(٢)</sup> أي: لا إثم عليهم في ترك الاحتياط من الآباء والأبناء ، وترك ذكر العم والأخال ؛ لأن العم أب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِلَهَ أَبَابِكُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾<sup>(٣)</sup> وإسحاق عم ، والخالة بمنزلة الأم في الحضانة ، وقوله : ﴿وَأَقْتَنَنَ اللَّهَ﴾ انتقال من الغيبة إلى التكلم ، وفيه دليل على اهتمام واعتناء بهذه الإباحة .

﴿إِنْ تُبْدِوْ أَشْيَاءً أَوْ تُخْفِيْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُنُّ شَيْءًا عَلَيْهَا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي أَبَابِيَّهُنَّ وَلَا أَبْنَاءِيَّهُنَّ وَلَا إِخْوَنَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَنَهُنَّ وَلَا دُسَائِيَّهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَقْنَنَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكِيَّكُتُهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَكَاهُهَا الَّذِينَ أَمْتَنُوا صَلَوةً عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

قوله : ﴿صَلُوةً عَلَيْهِ﴾ معناه : إن الله يأمركم ويأمر ملائكته أن تسألوا للنبي ﷺ الرحمة ، وتحب الصلاة على رسول الله ﷺ ؛ لقوله : ﴿صَلُوا﴾ وهو أمر ، والأمر يقتضي الوجوب واختلف في وقت الوجوب ؛ فقيل : تحب كلما ذكر ، وفي الحديث : " من ذكرت عنده ولم يصل على فدخل النار فأبعده الله " <sup>(٤)</sup>.

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٥ / ٤٠٢) لابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولابن أبي حاتم وابن مردويه بحسب صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٥٧) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٣٣) .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٤٠٩) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب رقم (٢٤٩٩) ونسبة ابن خزيمة وابن حبان . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥) وهو جزء من حديث أوله : " أتاني جبريل فقال : يا محمد ، من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قبل أمين . فقلت : أmino . قال : يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله ، =

ومنهم من قال : في كل مجلس مرة ، وإن تكرر ذكره ؛ كما قيل في آية السجدة ، وأنه متى أعاد قراءة الآية التي فيها سجدة سجد ثانية ، وكذلك تشميست العاطس يتكرر بتكرر العطاس ، وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ، ومنهم من أوجبها في العمر مرة واحدة ، وكذلك في إظهار الشهادتين ، والأحسن وجوبها عند ذكره ؛ للأخبار . والصلوة بمعنى الرحمة ، والقياس أن تجوز الصلاة على كل مسلم ؛ لقوله : «**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَتَكُمْ سَكِّنٌ لَهُمْ**»<sup>(١)</sup> . وقوله **عَلَيْهِمْ** : " اللهم صل على آل أبي أوفى " <sup>(٢)</sup> .

ولكن للعلماء تفصيل في ذلك ، وهو أن ذلك يجوز تبعاً ولا يجوز استقلالاً ، وهو أن تقول : اللهم صل على آل محمد ، فلا يجوز ذلك ؛ لأن هذه الألفاظ صارت شعاراً مخصوصة بجهات ؛ فيقال : الله عز وجل ، ولا يقال : محمد عز وجل ، وإن كان محمد عزيزاً جليلاً ، ولا يقال : عمر بن الخطاب صلى الله عليه ، ومعناه : رحمه الله ، ولو دعا له بالرحمة لم يمتنع ؛ ولأن إفراده للصلاحة يوم الرفض إذا صلى على علي وحده <sup>(٣)</sup> .

= قل: آمين. فقلت: آمين . قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين ، فقلت: آمين " .

(١) سورة التوبة ، الآية (١٠٣) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٤٩٧) ، ومسلم رقم (١٠٧٨) ، وأبو داود رقم (١٥٩٠) ، والنمسائي (٣١ / ٥) ، وابن ماجه رقم (١٧٩٦) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٣٤٥) عن عبد الله بن أبي أوفى .

(٣) قيل في سبب تسمية الشيعة بالرافضة لرفضهم إمامية أبي بكر وعمر . وقيل: لأنهم طالبوا زيد بن علي بالبرء من خالف علياً في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة .

قال الإمام ابن الجوزي في كتابه " تلبيس إيليس " (١ / ٣١) : " انقسمت الرافضةاثنتي عشرة فرقة ؛ العلوية قالوا: إن الرسالة كانت إلى علي وإن جبريل أخطأ . والأمرية قالوا: إن علياً شريك محمد في أمره . والشيعة قالوا: إن علياً رضي الله عنه وصي رسول الله **عَلَيْهِمْ** ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمباهنة غيره . والإسحاقية قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيمة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي . والناووسية قالوا: إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر . والإمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله . واليزيدية قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهם وفاجرهم . والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره . والمتاسخة قالوا: إن الأرواح تتناهى فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئاً دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه . والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا ويتقمون من أعدائهم . واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم =

وفي الحديث : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم " <sup>(١)</sup> .

= والمتربيصة تشبهوا بزي النساء ونصبوا في كل عصر رجلاً ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة فإذا مات نصباً رجلاً آخر " . ثم قال في ( ١١٩ / ١ ) : " وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أباً بكر وعمر كانوا كافرين وقال بعضهم : ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ . ومنهم من يقول بالتبرئ من غير علي " .

ونقل عن ابن عقيل قوله : الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا ، وإنما ثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نطق بيده وعقله فإذا قال قائل : إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى فإن الاعتقادات الصحيحة سيماء في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهلهم وذرיהם ، فإذا قالت الرافضة : إن القوم استحلوا هذا بعده . خابت آمالنا في الشرع ؛ لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم ، فإذا كان هذا مخصوصاً لهم بعد موته خبنا في المنقول وزالت ثقتنا فيما عوّلنا عليه من اتباع ذوي العقول ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله ، فطاحت الاعتقادات ، وضفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات ، فهذا من أعظم الحزن على الشريعة .

ثم قال ابن الجوزي : " وغلوا الرافضة في حب علي رضي الله عنه حلمهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . ومقابع الرافضة أكثر من أن تحصى وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعات لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة " .

وقد وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى في كتابه اقتضاء الضراط المستقيم خالفة أصحاب الجحيم حيث قال ( ص : ٣٩١ ) : " إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركاً؛ فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه؛ فيعطيونها عن الجمعة والجماعات، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها " . كما قال في ( ص : ٤٣٩ ) : " الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صريح " .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ( ١ / ١٦ ) : " وهم مجتمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتفيق، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقبة أن يقول: إنه ليس بإمام. وأيطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن علياً رضوان الله عليه كان مصرياً في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيءٍ من أمور الدين ، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا: ليس بجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته " .

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣٦ ) وقال: غريب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَدْ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِمَّا﴾ (٥٧)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (١٩٨) أي : يخالفن ما أمرا به ، ويعبر عن المخالفه بالإيذاء ، ويجوز أن يكون التقدير : يؤذنون أولياء الله ورسوله ، ولو قال قائل : جعل الإيذاء لله مجاز ؛ لأنه لا يستطيعه أحد ، وجعله للرسول ﷺ حقيقة لإمكانه ، فجمع في اللفظ الواحد بين الحقيقة والمجاز وأنه لا يجوز.

وقيل : هو قول اليهود : يد الله مغلولة غلت أيديهم ، وقوفهم ثالث ثلاثة ، وقوفهم : الملائكة بنات الله ، والأصنام شركاؤهم . وقيل : قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته . وفي الحديث عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : "سبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، وآذاني ولم يكن له ذلك ؛ فأما شتمه إباهي قوله : إنني اخزت ولدًا . وأنا أحد صمد ، وأما أذاه لي فقوله : إن الله لن يعيذني كما بدأني " (١) .

وقيل : قوفهم في النبي ﷺ : كاهن وساحر وجنون . وقيل : كسر رباعيته ، وشج جبينه يوم أحد . وقيل : طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حبي بن أخطب . و [أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات] (٢) لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا ، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا أَكَتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَّا وَلَمَّا  
مُبَيَّنًا﴾ (٥٨) يَكَانُهَا أَنَّهُمْ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَائِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُذَنِّينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِهِنَّ ذَلِكَ  
أَدَقَّ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥٩)

ومعنى ﴿بِغَيْرِ مَا أَكَتَسَبُوا﴾ بغير جنابة واستحقاق . وقيل : نزلت في ناس من المنافقين يؤذنون علياً رضي الله عنه ويسمعونه . وقيل : في الذين أفكوا على عائشة .

وقيل : في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات . وعن الفضيل : لا يحل لك أن تؤذني كلبا ولا خنزيرا بغير حق ، فكيف بالمؤمنين؟ (٣) . وكان ابن عون لا يكرري حواناته لأهل الذمة ؟ لما فيه من الروعة عند استحقاق الأجرة (٤) .

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٤١٣ / ٥) ، ونسبة لابن أبي حاتم عن قنادة .

(٢) بدل ما بين المعقوفين في الأصل : وقيل : إيذاء الله : ورسوله المؤمنين والمؤمنات . والمثبت من الكشاف (٣ / ٥٥٩) وهو الأنسب للسياق .

(٣) ذكره الرمخشري في الكشاف (٣ / ٥٥٩) .

(٤) ينظر السابق .

الجلباب : ثوب فوق الخمار ودون الرداء ، تدبر المرأة على رأسها ، ويبقى منه ما ترسله على صدرها . وعن ابن عباس : الرداء الذي يستر من أعلى البدن إلى أسفله ، وقيل : الملحفة وكل ما يؤتزر به من كساء وغيره ؛ قال أبو زيد : [ من الواقر ] :

مجلبٌ من سواد الليل جلباباً<sup>(١)</sup>

ومعنى : **﴿يَدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾** يرخيون ويفطين وجهن وجوهن وأعطافهن ، يقال إذا تقلص الإزار عن وجه المرأة : أدني ثوبك على وجهك ؛ وذلك أن النساء كن على عادتهن في الجاهلية مبتدلات ؛ تبرز المرأة في درع وخمار ولا فصل بين الحرة والأمة ، وكان الفتيان وأهل ١٩٨ ب) الشطارة يتبعون النساء إذا خرجن بالليل ، وإذا قضين حوائجهن في النخيل والغيطان والخربات يتبعون الإماماء ، وربما يتبعون الحرائر بعلة الأمة ؛ يقولون : حسبناها أمة ؛ فأمر الحرائر أن يتميزن عن هيئة الإماماء بما يعرفن به . **﴿ذَلِكَ أَدْفَقَ﴾** أقرب وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرضن لهن ولا يلقين ما يكرهن . فإن قلت : ما معنى " من " في قوله : **﴿مِنْ جَلَّيْهِنَّ﴾** ؟ قلنا : المراد أن تستر بعض الجلباب ما يخرجها عند حد ملابس الإماماء . وقيل : أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع ؛ حتى تميز عن الأمة . وقال الكسائي : يتقنعن بخلافهن مضمومة إليهن ، أراد بالانضمام معنى الإناء<sup>(٢)</sup> . **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾** لا سلف منهن من التفريط قبل النهي .

**﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَتَغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجْمَعُوا رُونَكَ فِيهَا إِلَّا فَلِيَّا ٦٠﴾** ملعونين أيمناً تيقنوا أحذوا وقتلوا تقليلاً<sup>(٣)</sup>

**﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات . وقيل : هم الزناة وأهل الفجور ؛ من قوله عز وجل : **﴿فَيَطْعَمُ اللَّهُ فِي قَيْلِهِ مَرَضٌ﴾** .<sup>(٤)</sup>

**﴿وَالْمُرْجَفُونَ﴾** قوم كانوا يقولون عن سرايا رسول الله ﷺ أنهم قتلوا وأسرموا ؛ فيكسرؤن بذلك قلوب المؤمنين ، يقال : أرجف بكذا إذا أخبر به من غير تحقيق ، والمعنى : لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن فجورهم ، والمرجفون عما يقولون

(١) ينظر في : العين للخليل ( ٦ / ١٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٦٠ ) ، لسان العرب ( جلب ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٦٠ ) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٢ ) .

من أخبار السوء - لنأمرنك أن تفعل بهم ما يسوقهم ، ثم نضطرهم إلى الخروج من المدينة؛ لأن بقاءهم فيها ضرر على أهلها.

﴿الْأَقْلِيلَا﴾ إلا زمانا قليلا بقدر ما يتهموا لهم التجهز والخروج . ﴿مَلَوْنِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال معًا ؛ كما مر في قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَاءِ غَيْرِ نَظَرِيْنَ إِنَّهُ﴾ ولا يجوز أن يكون معمولاً لقوله : ﴿أَخْذُوا﴾ لأن ما بعد الكلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها . وقيل : ﴿قَلِيلًا﴾ هو منصوب على الحال بمعنى : لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء .

وقوله : ﴿لَا يُجَاهِدُونَكُم﴾ معطوف على قوله : ﴿لَغَرِيْبَكَ بِهِم﴾ لأنه يجوز أن يجاب به القسم . ألا ترى إلى صحة قوله : لئن لم يتمروا لا يجاورونك ؟ فإن قلت : لو كانت الفاء مكان " ثم " لحصل مراد التعقيب والتسبيب (١/١٩٩) قلت : لم يجعل الثاني مسبباً عن الأول ، بل عطف عليه ، وليس التعقيب والسبب ه هنا مرادين وإنما عطف بـ " ثم " للتراخي المعنوي ، وقد سبق ذكره مراراً ؛ لأن الجلاء عن الأوطان أعظم عليهم وأطم ؛ قال الله - تعالى :

﴿سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾ يَسْتَأْكِلُ النَّاسُ عَنِ الْسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْكُفَّارِ وَأَعْدَهُمْ سَعِيرًا ٦٤﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا لَا يَحْدُونَ وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا ٦٥﴾ يَوْمَ تُقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي الْأَرْضِ يَقُولُونَ يَأْتَيْنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ ٦٦﴾ وَقَاتُلُوا رَبِّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبرَاءَ نَا فَأَضْلَلُنَا أَسْبِيلًا ٦٧﴾ رَبِّنَا إِنَّهُمْ ضَعِيفُونَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعِنْمَةَ لَعَنَّا كَيْرًا ٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أَذَّوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيمًا ٦٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا أَتَقْوَاهُ اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَبُوكُمْ فِي الدُّنْيَا ٧٢﴾ فَاكْتُفِي لَهُمْ بِالْجَلَاءِ عَنِ القُتْلَ .

﴿سَنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد ؛ أي : سن الله ذلك سنة في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا

(١) سورة الحشر، الآية (٣) .

حيثما ثقفا . وعن مقاتل : يعني كما قتل أهل بدر<sup>(١)</sup> . وكان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استهزاء ، واليهود يسألونه امتحانا ؛ لأن الله تعالى عَمِّى ذكرها في الكتب المنزلة ؛ فلا أحد يطلع عليها ، ثم بين أنها قريبة الواقع ؛ تهديداً للمستعجلين ، وإسكاتاً للممتحنين . قوله : «فَرِبِّا» أي : شيئاً قريباً أو زماناً قريباً ، أو يعبر عن أحواها وهيأتها ، وطرحهم في النار منكوسين مقلوبين وخصت الوجه بالذكر لأنها أكرم شيء على الإنسان ، ويحوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة .

**﴿كَالَّذِينَ إَذْوَا مُوسَى﴾** قيل : نزلت في الذين تكلموا في تزويج رسول الله - ﷺ - بزينة بنت جحش<sup>(٢)</sup> . **﴿إَذْوَا مُوسَى﴾** ما رتبه قارون مع المؤمسة أنها تقذفه بنفسها . وقيل : اتهامهم إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هارون هناك ، فحملته الملائكة وطافت به عليهم حتى رأوه غير مقتول . وقيل : أحيا الله هارون فأخبرهم ببراءة موسى<sup>(٣)</sup> . وقيل : قدفوه بعيب في جسده وأدراة<sup>(٤)</sup> فأطلعهم الله عز وجل على أنه بريء منه<sup>(٥)</sup> **﴿وَجَهًا﴾** ذا جاه ومتزلة عنده ؛ فلذلك كان يحيط عنه التهم ويدفع عنه الأذى . وقوله : **﴿وَمَمَاقَلُوا﴾** إما أن تكون " ما " مصدرية أو موصولة ، وأيهما كان فكيف تصبح البراءة منه ؟ فنقول : المراد بالقول مؤداء ومضمونه هو الأمر الغيب ، ألا ترى أنهم سمو السبيبة بالقالة ، والقالة بمعنى القول . **﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾** أي : يقصد فيه الحق والعدل ؛ يقال : سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد ، والمعنى : راقبوا الله عز وجل في حفظ المستكم ، وسداد قولكم ، فإذا فلتم بذلك حصل لكم الفوز العظيم ، وهو صلاح الأعمال ، ومغفرة الذنوب ونهاهم عن التعريض للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين (١٩٩ / ب) وعن إيذاء رسول الله ﷺ والمؤمنين ، ثم أمر بحفظ اللسان

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٦١).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٣٤١) ونسبة للنقاش ، والزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٦٣).

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٢٢ / ٥١).

(٤) الأدراة : بالضم نفحة في الخصية يقال : رجل آدر بين الأدر - بفتح الممزة والدال - الذي يصبه فتنق في إحدى الخصيتين . وقيل : الأدراة الخصية والخصية الأدراة : العظيمة من غير فتق . ولا يقال امرأة أدراء إما لأنه لم يسمع ، وإما أن يكون لاختلاف الخلقة . ينظر : لسان العرب (أدر) .

(٥) رواه الطبرى في تفسيره (٢٢ / ٥٢).

وتحrir القول قبل أن يبلغ من الفم .

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْتُ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقَنَا مِنْهَا وَحَلَّهَا إِلَيْنَا إِنَّهُ كَانَ ظَلَّوْمًا جَهُولًا ﴾<sup>(١)</sup> ٦٧ ﴿لِعِدَّبَ اللَّهُ الْمُنَفِّقِينَ وَالْمُنَفَّقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله : «إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ» وهي التكاليف من الأمر والنهي ، وفيه وجهان : أحدهما : أن هذه الأجرام العظيمة ، وهي السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله -عز وعلا- انقياد مثلها ، وهو مما يأتي من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التي يراد من مثلها ؛ حيث لم تتنزع عن مشيئته وإرادته إيجاداً وتكونينا وتسوية على هيئات مختلفة ؛ كما قال الله عز وجل : «فَالَّتَّى آتَيْنَا طَائِبَيْنَ»<sup>(١)</sup> وأما الطاعة فإنها لازمة الوجود ، وعرضها على الجبال وإياها وإشفاقها مجاز ، وإنما حمل على المجاز ؛ لاستحالة قبول هذه الأجرام لما تخاطب به وعدم فهمها له ، ولا يخاطب ما لا يعقل ، والمعنى بحمل الأمانة : أنه من استودع شيئاً فآبأه في يده ، ولم يؤده إلى صاحبه يبقى حاملاً لها محاسبًا عليها ، ولو أداه سقط عنه حملها ولم يبق حاملاً لها ، فالإنسان احتمل الأمانة ، ولم يقم بها فبقي حاملاً لها ، ولو أداه لم يبق حاملاً لها ، ومن أمثلهم : تقلدتها طرق الحمامنة ، أي : بقيت في عنقه كما يبقى طرق الحمامنة لا يفارقها . والثاني : حملها على ظاهرها وأنها حلت محل من لو خطوب بذلك لأجاب بهذا الجواب ؛ كما قال :

امْتَلَأَ الْحَرْوُضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا رُوَيْدًا قَذْمَلْأَتْ بَطْنِي<sup>(٢)</sup>

والقرآن قد نزل بلسان العرب وهذه أساليبهم . وأما قوله : «لِعِدَّبَ اللَّهُ» فهي لام العاقبة والصيرورة ؛ كقوله تعالى : «فَالْقَطَّهُ مَاءُ الْقَرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّوْا وَحَزَّنَا»<sup>(٣)</sup> . ولم يتقطوه لذلك ؛ بل صارت العاقبة إليه ، والله أعلم .

(١) سورة فصلت ، الآية (١١).

(٢) ينظر البيت في : التوفيق على مهمات التعريف للمناري (ص : ٥٩٤) ، الصحاح للجوهري (قطن) ، العين للخليل (باب القاف مع الطاء) ، لسان العرب (قول) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٨) .

## تفسير سبا [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَفِيرُ﴾ ①  
 يَعْلَمُ مَا يَلْجُعُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْنُجُ فِيهَا وَهُوَ الْحَرِيصُ  
 الْغَافِرُ ② وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّ لَتَأْتِنَّكُمْ عَلَيْهِ الْغَيْبُ لَا يَعْزِزُكُمْ عَنْهُ  
 مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ  
 ③ لِتَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْمَغْفُرَةُ وَرَزْقُكَ رَبِيعٌ  
 وَالَّذِينَ سَعَوْفَ فِي أَيَّالِنَا مُعَذَّبِينَ أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مِّنْ رَبِّكِ الْعَلِيِّ ④ وَبِرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ  
 الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكِ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْمُعَزِّيزِ الْحَمِيدِ ⑤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُلْ  
 نَدْلُوكُمْ عَلَى رَجْلِي بِتِسْتَكُمْ إِذَا مُزْفَقُكُمْ كُلُّ مُزْفَقٍ إِلَيْكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ ⑥ أَفَرَأَيْتُ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ  
 حَيْثَةً ⑦ بِلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَأَصْلَلُ الْبَعِيدَ ⑧﴾

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كله من الله ، فيجب شكر ذلك علينا . تقول : الحمد لله الذي كسانی زید وحملني عمرو ، أي : الله الحمد على ذلك . ﴿يَلْجُعُ فِي الْأَرْضِ﴾ من النبات والقطر ؛ لقوله : ﴿فَسَلَّكَهُ يَنْتَعِي فِي الْأَرْضِ﴾ <sup>(١)</sup> ومن الكنوز والدفائن والأموات .

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشجر والنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والثلج والبرد والصاعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات . ﴿وَمَا يَعْنُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد ، وهو مع ذلك المستمر الرحمة لعباده ، الغافر لمصرهم ( ٢٠٠ / ١ ) عن شكر هذه النعم . قوله : ﴿لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ﴾ إنكار واستهزاء ؛ كقولهم : ﴿مَقَ هَذَا الْوَعْدُ﴾ <sup>(٢)</sup> . قوله عز وجل : ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّ﴾ أكَدَ تحقق الساعة بالقسم بالرب ، ثم وصف نفسه بالإحاطة بجميع المخلوقات ، ومتى كان المقسم عظيماً كان المقسم عليه كذلك . قوله عز وجل : ﴿إِلَّا  
 فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي : إلا مكتوبًا ، والرزق الكريم : الجنة .

فإن قيل : المنكرون للبعث معتقدون أنه لا يكون ، فقسمه لا يرجع بهم إلى الحق ؟

(١) سورة الزمر ، الآية ( ٢١ ) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٤٨ ) .

قلنا : إنما يتوجه السؤال إذا لم يقرن به ما تقوم به الحجة عليه ؛ لقوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَمَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّدِيقَاتِ﴾ فإن الجزاء من جملة العدل ، وإيصال كل ذي حق إلى حقه . ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ مقدار أصغر غلة ، وقرئ ﴿وَلَا أَضَعُرُ﴾ ﴿وَلَا أَكْبَرُ﴾ بالرفع فيهما على الابتداء ، وبالنصب على نفي الجنس<sup>(١)</sup> .

قوله عز وجل : ﴿وَرَبِّي﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً مستأنفاً ، أو منصوباً على العطف لـ " يجزي " . قال بعض كفار قريش لبعض : ﴿هَلْ تَدْكُمُ عَلَى رَبِّي﴾ يعني النبي ﷺ يخبركم أنكم إذا مزقتم كل تمزيق ، وصرتم رفاتاً تنشرون خلقاً جديداً ، ثم قسم الأمر في ذلك بين أن يكون مفترياً على الله ، أو به جنون يغشاه فیداوى منه ، والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دل عليه قوله : ﴿لَا تَكُمُ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي : تبعثون ، ولا تعمل فيه ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأن ما بعد إن " لا يعمل فيما قبلها ، وقد سبق نظيره في سورة النمل .

فإن قلت : ﴿جَدِيدٍ﴾ يعني فاعل أو مفعول ؟ قلت : هو عند البصريين يعني فاعل (جد) فهو محدود ، ومنه جداد التخل ، وهو قطع ثمرها ، وسقطت همسة الوصل في قوله : ﴿أَفَقَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ ولم تسقط في قوله :

﴿أَسْخَرُ﴾<sup>(٢)</sup> و﴿مَالَلَّهُ أَذْنَكُم﴾<sup>(٣)</sup> لأن مسألة السحر لو سقطت المدة لالتبس الاستفهام بالخبر ، بخلاف ﴿أَفَقَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ ؛ فإن الهمزة لو ظهرت وكانت مكسورة . قوله : ﴿وَالْأَضَلُّ الْبَعِيدُ﴾ مجاز ؛ لأن البعد حقيقة في الأماكن ، وقد نسب البعد -ها هنا- إلى الضلال ، وإنما البعيد هو الضلال ؛ قد أبعد عن الطريق فعوده إليها مبطئ مع بعدها .

﴿أَفَلَمْ يَرُوا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ إِنْ تَشَأْ خَسِيفٌ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تُسْقَطُ عَلَيْهِمْ كَسَافٌ مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّثِنِّبٍ ⑩﴾ ولقد اثنينا بأوادٍ منا فَضْلًا يَنْجِيَ الْأَوْيَى مَعَهُ وَالْطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْمَحْدِيدُ ⑪﴾ آنِ أَعْمَلُ سَيِّفَتِ وَقَدَرَتِ فِي السَّرِدِ

(١)قرأ الجمهور " ولا أصغر من ذلك ولا أكبر " بالرفع ، وقرأ قتادة والأعمش بالنصب .

تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٢٥٨) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٦٠) ، الدر المصنون للسمين الحلي (٥ / ٤٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٩) .

(٢)سورة يونس ، الآية (٨١) .

(٣)سورة يونس ، الآية (٥٩) .

وَاعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا نَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسَلِيمَنَ الْرِّيحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْنَانَ الْهَمَّ عَيْنَ الْقَطْرِيٰ وَمَنْ أَكْحِنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَلْذِنَ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾

﴿إن في ذلك﴾ إن في النظر في آيات (٢٠٠/ب) السماوات والأرض . ﴿لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ وهو الرابع إلى ربه سبحانه وتعالى المطبع له . قوله : ﴿يَنْجِيَال﴾ إما أن يكون بدلا من ﴿فَضْلًا﴾ وإما من ﴿أَئِنَّا﴾ وقوله : ﴿يَنْجِيَال﴾ [بتقدير: قولنا يا جبال] أو: قلنا: يا جبال . وقرئ: (أويبي) وأويبي من التأويب، والأوب أي: رجعي معه التسبيح أو ارجعني معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه<sup>(١)</sup> ومعنى تسبيح الجبال: أن الله يخلق فيها تسبيحاً كما خلق الكلام في الشجرة .

فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: ﴿وَلَقَدْ أَئَيْنَا دَارِدَ مِنَ الْفَضْلَ﴾ تسبيح الجبال؟ قلت: الفرق بينهما أن الذي في الآية دال على عظمة الله وكربيائه؛ حيث جعلت الجبال مُنْزَلَة العقلاة الذين يُنَادَوْنَ وَيُخَاطَبُونَ . ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ جعلناه ليئا كالطين والعجين يصرفه بيده كيف يشاء . وقيل: إن داود عليه السلام كان قوياً، فكان الحديد في يده كالعجبين في يد غيره ﴿وَقَدْرَ فِي الْتَّرَدِ﴾ أي: لا تجعل الحلق ضيقه فتفصم ، ولا واسعة فتفقلن ، والسرد: نسج الدروع ﴿وَاعْمَلُوا﴾ الضمير لداود ولأهلة .

﴿وَلِسَلِيمَنَ الْرِّيحَ﴾ منصوب بـ ﴿سَخْرَنَا﴾ المضمر؛ فمن قرأ "الرياح" بالرفع أو "الريح" فهو مبتدأ خبره ﴿وَلِسَلِيمَنَ﴾ ومن نصب فهو مفعول بـ "سخرنا"<sup>(٢)</sup>.

﴿غُدُوْهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغدة مسيرة شهر ، وبالعشي مثل ذلك . ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ النحاس وكان قد أذيب له ينبع من تحت الأرض كما ينبع الماء . ﴿يَلْذِنَ رَبِّهِ﴾ بتتسخيره . ﴿وَمَنْ يَزْغُ﴾ يمل عن أمرنا له بطاعة سليمان . ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ هو عذاب الآخرة . وقيل: كان معه

(١) الكشاف (١٠١٦/١).

(٢) قرأ جهور القراء "الريح" بالنصب ، وقرأ شعبة عن عاصم "الريح" بالرفع ، وقرأ أبو جعفر "الرياح" بالنصب . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٢٦٤ / ٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٩٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٨٣)، الدر المصور للسمين الحلبي (٤٣٤ / ٥)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٢)، النشر لابن الجزيري (٢ / ٣٤٩).

ملك بيده سوط من نار إذا عصى الجنى ضربه به من حيث لا يراه الجنى .

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَرِّبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتِيْ أَعْمَلُوا إَلَّا دَاؤُدَ شَكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ <sup>(١٢)</sup>

الخاريب : المساكن والمنازل الشريفة . وقيل : هي المساجد . والتماثيل : الصور من الملائكة والنبيين والصالحين ؟ كان يعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوها ، وإنما أمر سليمان عليه السلام بعمل الصور وهي حرام في شرعنا ؛ لأنه كان مباحاً في شرعهم ، ويجوز أن يراد أنهم كانوا يعملون تماثيل الأشجار وما لا روح فيه . وروي : أنهم عملوا له أسددين في أسفل كرسيه ونسرين في أعلىه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما ، وإذا قعد أظلله النسران بأجنحتهما .

والجوابي : الحياض الكبار، قال [ من الطويل ] :

﴿رُؤُخُ عَلَى آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةَ كَجَابَيَةَ الشِّيخِ الْعَرَاقِيِّ تَفَهَّقَ﴾ <sup>(١)</sup>

لأن الماء يُجبى ( ٢٠١ / ١ ) إليها ، أي : يجمع ، جعل الفعل إليها مجازاً وهي من الصفات الغالبة ؛ كالدابة ، وقيل : كانت الجفنة يجلس عليها ألف رجل .

﴿رَاسِيَتِيْ﴾ ثابتات . ﴿أَعْمَلُوا إَلَّا دَاؤُدَ شَكْرًا﴾ فيه دليل على أن الشكر يكون قولاً وفعلاً . ﴿شَكْرًا﴾ مفعول لقوله : ﴿أَعْمَلُوا﴾ أو حال ، أو مصدر ؟ كأنه قال : اشکروا شکراً .

﴿الشَّكُورُ﴾ المتوفّر على الشكر ، الباذل وسعه فيه . وقيل : يشكّر على الشكر ، أو يرى أنه عجز عن الشكر ، والعجز عن درك الإدراك إدراك ، وعن داود أنه جزءاً ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلّي . وسمع عمر رجلاً يقول : " اللهم اجعلني من ذلك القليل ، فقال عمر : كل الناس أفقه

(١) البيت للأعشى ، ينظر في : غريب الحديث لابن سلام ( ١ / ١٠٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٧٢ ) ، لسان العرب لابن منظور ( حلق ، جبى ) وقال ابن منظور في لسان العرب ( جبى ) : " خص العراقي بلهله بالياه ، لأنه حضري فإذا وجدتها ملأ جايته وأعدها ولم يدر متى يجد المياه وأما البدوي فهو عالم بالمياه فهو لا يالي إلا يجدها ، ويروى : كجابية المسيح ، وهو الماء الجاري " . وتفهق : تملئ حتى تكاد تتدفق .

منك يا عمر <sup>(١)</sup>.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّنَا عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَبَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَاتِهِ فَلَمَّا خَرَّ  
تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيَشْوَافُونَ الْعَذَابَ الْمُهِينَ ﴾١٦﴾

﴿دَبَّةُ الْأَرْضِ﴾ الدويبة التي تكون في الكبت . والمنسأة : العصاة ؛ لأنها بها يطرد ويؤخر ، وقرئ بفتح الميم <sup>(٢)</sup> . ومنسأته على مفعلة ، ومنسأته من طرف عصاه .

﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر ، و "أن" مع صلتها بدل اشتتمال من ﴿الْجِنُّ﴾ كقولك : تبين زيد جهله . والظهور له ، أي : ظهر أن الجن ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيَشْوَافُونَ الْعَذَابَ الْمُهِينَ﴾ أو علم الجن كلهم علما بيّنا بعد التباس الأمر على عامتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب ، أو علم من ادعى علم الغيب من جهتهم ، وأنهم لا يعلمون الغيب ، وإن كانوا عالمين بتخييل ذلك بمحالهم . وقرئ ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ على البناء للمفعول <sup>(٣)</sup> .

روي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في بيت المقدس المدد الطوال ، فلما دنا أجله لم يصبح يوما إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقتها الله ، فيسألها : لأي شيء بنت؟ فتقول: لكذا ، حتى أصبح ذات يوم ورأى الخروبة <sup>(٤)</sup> فسألها ، فقالت : بنت لخراب هذا المسجد ، فقال : ما كان الله ليخربي وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكي . فنزعها وغرسها في حائط له ، وقال : اللهم عَمْ على الجن موتي ، حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب ؛ لأنهم كانوا يستردون السمع ، ويوهمون الإنس أنهم يعلمون الغيب ، وقال ملك الموت :

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥ / ٤٣١) ونسبة ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم التيمي عن رجل عن عمر ~~حَفَظَهُ~~.

(٢)قرأ الجمهور من القراءة "منسأته" وقرأ ابن ذكوان "منسأته" بهمزة ساكنة ، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر "منسأته" بالف مخضدة بدون همزة . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٦٧) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٧٩) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٩٣) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٨٤) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٣٦) ، السبعية لابن مجاهد (ص: ٥٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٣) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٤٩) .

(٣) قرأ بها ابن عباس ورويس ويعقوب . تنظر في : تفسير القرطبي (١٤ / ٢٧٩) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٣٧) ، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣١٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٥٤) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٣٨٠) ، المحتسب لابن جي (٢ / ١٨٦) .

(٤) الخروبة : شجرة الخروب شجر مثمر من الفصيلة القرنية، ثماره قرون توكل وتعلفها الماشية . المعجم الوسيط: مادة (خرب).

إذا أمرت بي فأعلمني . فقال : أمرت بك ، وقد بقي من عمرك ساعة . فدعا الشياطين، فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له بباب، فقام يصلي (٢٠١ / ب) متكتئاً على عصاه ، فقبض روحه وهو متكتئ عليها ، وكانت الشياطين تجتمع على محاربه أينما صلى ، فلم يكن الشيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق ، فمرّ به شيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع ، فإذا سليمان خرّ ميتاً ففتحوا عليه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة<sup>(١)</sup> فأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً منها، فحسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه ويخسبونه حيّاً، فرأيهم الناس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب سنة .

وروي: أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمّ فوصى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه ، فلما بقي من عمره سنة سأله الله أن يعمي عليهم موته؛ حتى يفرغوا، ولبيطل دعواهم علم الغيب<sup>(٢)</sup> .

وروي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسرها، فلم يجسر أحد أن يدنو منه ، وكان عمر سليمان ثلاثة وأربعين سنة، وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، وبقي في ملكه أربعين سنة، وابتداً بناء بيت المقدس لأربع مضمون من ملكه<sup>(٣)</sup> .

**﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَلٍ فِي مَسْكَنِهِمْ إِيمَانٌ جَنَّاتٌ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَائِلٌ كُلُّهُمْ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَآشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَةٌ طَيْبَةٌ وَرَبُّ عَفْوٌ﴾** ١٥

**﴿كُلُّهُمْ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾** إما حكاية لما قال لهم الأنبياء ، وإما قيل بلسان الحال ، أو هم أحقاء بأنني قائل لهم ذلك ، ولما قال : كلوا من رزق ربكم واشكروا له ؛ ذكر سبب اقتضاء الشكر ، وهو قوله : **﴿بَلَدَةٌ طَيْبَةٌ وَرَبُّ عَفْوٌ﴾** وعن ابن عباس<sup>(٤)</sup>: كانت من أخصب البلاد وأطيئها ؛ لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية<sup>(٥)</sup> .

(١) الأرضة - بالتحريك - : دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع ، قال أبو حنيفة : الأرضة ضربان ضرب صغار مثل كبار الذر وهي آفة الخشب خاصة ، وضرب مثل كبار النمل ذات أجنة ، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات غير أنها لا تعرض للرطب ، وهي ذات قوائم والجمع أرض . ينظر : لسان العرب (أرض) .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٢ / ٧٥) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٦ / ٦٨٢) لابن أبي حاتم .

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٤) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٧٥) عن ابن عباس ، ورواه الطبرى في تفسيره (٢٢ / ٧٨) ،

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتِهِمْ جَنَّتَيْنِ دَوَاقَ أَكْلِ حَمْطَرِ وَأَثَلِ  
وَشَيْءِ مِنْ سِدَرٍ قَلِيلٍ ﴾٦٧﴾ ذَلِكَ جَزِيَّهُمْ إِمَّا كَفُرُوا وَهَلْ يُحْرِجُهُ إِلَّا الْكُفُورُ ﴾٦٨﴾

﴿الْعَرَم﴾ الجرد الذي نسب عليهم السكر ، ضربت عليهم بلقيس بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فخففت به ماء العيون والأمطار ، وتركت فيه ثلاثة أبواب على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم ، فلما طغوا قيل : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً يدعونهم إلى الله ، فكذبواهم وقالوا : ما نعرف لله علينا نعمة ، فسلط الله على سدهم الجرد فنقبه من أسفله فغرقهم .

وقيل : ﴿الْعَرَم﴾ جمع عرمة ، وهي الحجارة المركومة . ويقال للكدس من الطعام: عرمة . وقيل : العرم اسم الوادي . وقيل : العرم : المطر الشديد . وقيل : كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ . والحمط : شجر الأراك . وعن أبي عبيدة : هو كل شجر ذي شوك <sup>(١)</sup> . وقال الزجاج : كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا (٢٠٢ / ب) يمكن أكله <sup>(٢)</sup> . والأثل : شيء يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودًا . والأثل والسدر معطوفان على ﴿أَكْلِ﴾ لا على ﴿حَمْطَرِ﴾ لأن الأثل لا أكل له . وقرئ ﴿وَشَيْءٌ﴾ بالنصب <sup>(٣)</sup> عطفا على ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ لأجل المشاكلة . وعن الحسن قال : السدر ؛ لأنه أجود ما بدلوه <sup>(٤)</sup> .

وقرئ ﴿وَهَلْ يُحْرِجُهُ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ <sup>(٥)</sup> وهل يجازي هذا الجزاء إلا الله ؟ ولا يعذب به إلا

= وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٦٨٧) ونسبة لابن أبي حاتم عن ابن زيد .

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢ / ١٤٧) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإن رأيه للزجاج (٤ / ٢٤٩) .

(٣) حكاها الفضل بن إبراهيم . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٧١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٠) ، روح المعاني للألوسي (٢٢ / ١٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٦) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٢١) .

(٤) ذكره الرمخشري في الكشاف (٣ / ٥٧٦) .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر " وهل يجازي " ، وقرأ الباقيون " وهل يجازي " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٧١) ، تفسير القرطبي (١٤ / ٢٨٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٨٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٦) ، النشر لابن الجوزي (٢ / ٣٥٠) .

الكافر أو المؤمن . وقيل : يجازي به المؤمن ؛ تكفر سيراته حسناته ، والكافر يحيط عمله فيجازي بجميع ما يفعله منسوء .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا فَرِيْ ظَاهِرَةً وَقَدَرَنَا فِيهَا أَسْتِرٌ سِرِّيْ فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَامًا إِمِينًا ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْقَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلُّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِنْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فِيْ قَاتِلِيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿الْقُرَى الَّتِي بَرَكَنَا فِيهَا﴾ هي قرى الشام وكانت متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين . أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لا تبعد عن مسالكهم حتى تخفي عليهم .

﴿وَقَدَرَنَا فِيهَا أَسْتِرٌ﴾ قيل : كان الحادي منهم يقيل في قرية ، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام ولا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء .

وقلنا لهم : ﴿سِرِّيْ فِيهَا﴾ ولا قول ، ولكنهم لما مكثوا من السير ، وهبّت لهم أسبابه ، فكانهم أمروا بذلك ، قيل : ﴿سِرِّيْ فِيهَا وَأَيَامًا﴾ مطاولة ﴿لِيَالٍ﴾ قيل : ﴿إِمِينًا﴾ في لي لكم ونهاركم ؛ فإنكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمان .

فبطروا النعمة وملوا العافية ، وطلبو الكد والتعب ، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم عوضاً عن الملح والسلوى ، وقالوا : لو كان جنى جناتنا أبعد كان أقرب أن نشتاق إلى السفر ونركب الرواحل فيها ، ونتزود الأزواد فعجل الله لهم الإجابة<sup>(١)</sup> .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ﴾ فرقناهم في البلاد ، فإنه لما غرفت بلدتهم تفرقوا ذاهلين كل فرقة إلى إقليم ؛ فذهبوا إلى الشام واليمن وغيرهما من الأقاليم ، و﴿مُمَرَّقٍ﴾ يعني المصدر ، أي : مزقناهم كل قرية .

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لكل مؤمن ؛ قال النبي ﷺ : " الإيمان نصفان ، نصف شكر ونصف صبر " <sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِنْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ بقوله :

(١) رواه الطبرى في تفسيره ( ٢٢ / ٨٥ ).

(٢) نسبة السيوطي في الدر المثور ( ٥ / ٤٣٩ ) للبيهقي في شعب الإيمان ولابن جرير وابن أبي الدنيا ،

﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَكِيرِينَ﴾<sup>(١)</sup> فصدقه الله بقوله : «وَمَا وَجَدْنَا إِلَّا كَثُرُهُم مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَغَسِيقِينَ»<sup>(٢)</sup> فكان ظنه لاتباعهم صادقاً ، ولم يكرههم إبليس على اتباعه .

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِنَ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرِبَكٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾<sup>(٣)</sup> قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَعْلَمُكُوْنَ مُتَقَالَ ذَرْقَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ﴾<sup>(٤)</sup> وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْكَرَ لَهُ حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ أَعْلَى إِلَيْهِ الْكِبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup> قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ شَيْئِيْنِ﴾<sup>(٦)</sup>

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنرى أو لنميز ، أو نعلم العلم الذي يتعلّق به الجزاء . وقوله : «وَاتَّبَعُوهُ»<sup>(٧)</sup> إما لأولاد سباء ، أو لبني آدم كلهم ، ثم استثنى نفرًا قليلاً بقوله : «وَإِنَّ فِرَقَيَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(٨)</sup> (٢٠٢ / ب) «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَنٍ» من تسلط واستيلاء بالوسوء والاستغاء . إلا بمحكمة بينة وهي تمييز الحق من الباطل والمستيقن من الشاك . «قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُ» مفعولاً " رعّمت " مخدوفان والتقدير: زعمتموهם . والثاني : آلة . ثم أجاب الله عنهم بقوله : «لَا يَعْلَمُكُوْنَ» مقدار ذرة ، وهي النملة الحمراء<sup>(٩)</sup> . والهباء : الذي يظهر في الكوة عند دخول الشمس فيها ، وما لشركائهم شركة في خلق السماوات والأرض ؟ كقوله : «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا نَدَعُونَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوَفُ مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الْأَرْضِ أَمْ هُمْ شَرِيكُونَ فِي السَّمَوَاتِ»<sup>(١٠)</sup> «وَمَا لَهُ مِنْهُمْ» وما لله تعالى من هؤلاء الشركاء من معين يعينه على ما يريده . «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْكَرَ لَهُ» يجوز أن يراد بالإذن للشافع أن يشفع ، أو للمشفوع له أن يشفع فيه . «حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» أي : كشف .

حيّ أن بعض أهل اللغة سقط عن ذاته فغشى عليه ، ثم أفاق فرأى الناس مجتمعين عليه ؟ فقال : ما لكم تكأكم علىٰ كتكأكم علىٰ ذي جنة ؟ افرنعوا عنـي . فقال رجل من

وفي سنده يزيد بن أبيان الرقاشي وهو متروك كما قال النسائي وغيره ، وتنظر ترجمته في : ميزان الاعتدال للذهبي (٧ / ٢٢٢) ولذلك قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٣١٠) ضعيف جداً .

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٠٢) .

(٣) وقد أثبت العلم الحديث أن الذرة أصغر من ذلك بكثير .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية (٤) .

الواقفين عليه : هذه الجنية التي على رأسه تتكلم بالهندي <sup>(١)</sup>.

فإن قلتَ : ﴿ حَتَّىٰ ۚ غَايَةُ مَاذَا ۖ ۚ قَلْتُ ۚ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ شَفَاعَةٍ مِنْ يَشْفَعُ ، وَانتَظَارُ الْإِذْنِ وَتَوْقِعُ الشَّفَاعَةِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْإِذْنُ ، وَإِذَا نَزَلَ زَالَ الْهُمُّ وَالْوَجْلُ عَنْ قُلُوبِهِمْ . وَقَرِئَ ﴿ قَالُواْ أَحَقُّ ۖ ۚ بِرْفَعٍ ۖ أَحَقُّ ۖ ۚ قَوْلَهُ الْحَقُّ ۖ ۚ وَهُوَ أَعْلَىُ الْكِبِيرِ ۖ ۚ ذُو الْعَلْوَىٰ ۖ ۚ وَالْكَبْرَىٰ ۖ ۚ فَلِمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ أَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ۚ ثُمَّ أَمْرَهُ بَأَنْ يَتَوَلَّ الْإِجَابَةَ وَالْإِقْرَارَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ : يَرْزُقُكُمْ ﴿ اللَّهُ ۖ ۚ وَذَلِكَ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ مَقْرُونُ بِأَنَّ اللَّهَ رَازَقَهُمْ ، فَكِيفَ يَعْبُدُونَ مَنْ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ ؟ لَأَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَنَادِ مَا أَخْرَسَهَا عَنِ النَّطْقِ بِالْكَذْبِ . ﴿ وَلَيَأْتِيَ أُولَئِكُمْ ۖ ۚ هَذَا تَقْسِيمٌ يُسَمِّي تَجَاهِلَ الْعَارِفِ ، وَهُوَ هَا هُنَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَيَأْتِيَ أُولَئِكُمْ ۖ ۚ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ ۚ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى هُدَىٰ ، وَأَنَّ الْكَافِرَ فِي ضَلَالٍ مَّبِينٍ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ [ مِنَ الطَّوِيلِ ] :

**فِيَا طَيِّبَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّفَّا اَأَتَتِ اُمُّ سَالِمٍ <sup>(٣)</sup>**

وقول حسان [ من الوافر ] :

**أَتَهُجُّوُهُ وَلَكَسْتَ لَهُ بِكُّفٍ فَشَرُّكُمَا لَحْ يُرِكُمَا الْفِدَاءِ <sup>(٤)</sup>**

(١) ينظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، وذكر ابن منظور في لسان العرب ( كاكا ) أن صاحب هذه القصة هو عيسى بن عمر وهذا من كلامه .

(٢)قرأ بها ابن أبي عبلة وقراءة الجمهور بالفتح .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٧٩ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٨ ) ، معاني القرآن للأخفش ( ٢ / ٤٤٥ ).

(٣) البيت الذي الرمة، ينظر في : أدب الكاتب لابن قتيبة ( ص : ٢٢٤ ) ، الأزهية في الحروف للهروي ( ص : ٣٦ ) ، الأغاني للأصفهاني ( ١٧ / ٣٠٩ ) ، الخصائص لابن جني ( ٤٥٨ / ٢ ) ، الدرر اللوامع ( ٣ / ١٧ ) ، ديوان ذي الرمة ( ص : ٧٥٠ ) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي ( ٢ / ٢٥٧ ) ، شرح المفصل لابن ععيش ( ١ / ٩٤ ) ، الكتاب لسيبوه ( ٣ / ٥٥١ ) ، لسان العرب ( جلل ) ، المقتبس للمبرد ( ١ / ١٦٣ ) ، همع الموامع للسيوطى ( ٢ / ٢٧ ).

(٤) ينظر في : تذكرة النحاة ( ص : ٧٠ ) ، الدرر اللوامع ( ١ / ٢٩٦ ) ، ديوان حسان ( ص : ٧٦ ) ، مغني الليسب لابن هشام ( ص : ٦٢٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٨٢ ) ، المقتبس للمبرد ( ٢ / ١٣٧ ) ، همع الموامع للسيوطى ( ١ / ٢٨٩ ).

وإنما جعل حرف الجر المعدى لفعل الضلال جره بـ " في " ، وجعل المتعدى إلى المدى جره بـ " على " لأن (١/٢٠٣) صاحب الحق كالراكب على جواد مستعليا عليه وصاحب الباطل على شك وتردد .

﴿ قُلْ لَا تُسْتَوِنَّ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشَكِّلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥) ﴿ قُلْ يَحْمُمُ بَيْنَنَا رِبْنَا شَدَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْعَقَدِ وَهُوَ الْفَخَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٦) ﴿ قُلْ أَرُوْفُ الَّذِينَ أَحْقَمْتُمْ بِهِ شَرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٧) ﴿

وقوله : « لَا تُسْتَوِنَّ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشَكِّلُ عَمَّا » قوله : « لَكُنْ دِيْنُكُمْ وَلَيْ دِينِ » (١٨) حتى زعم زاعمون أن هذه الآية منسوخة وليس ذلك ب صحيح ؛ لأن النسخ على خلاف الأصل ، ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره ؟ فهو أولى من الحمل عليه بالنسخ ، والمذكور في هذه الآية وهو قوله : « لَا تُسْتَوِنَّ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشَكِّلُ عَمَّا » باق على حكمه لم ينسخ فأن أحدا لا يسأل عن أحد ، وكذلك قوله : « لَكُنْ دِيْنُكُمْ وَلَيْ دِينِ » فإن لكل أحد دينه لا لغيره .

﴿ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ يحكم الله بيننا ، وإنما قال : « أَرُوْفُ الَّذِينَ أَحْقَمْتُمْ » مع أن النبي ﷺ كان يراهم ويشاهدهم ؛ لأنه أراد أن يبين لهم خطأهم في دعواهم الشركة لهم .

﴿ كَلَّا ﴾ رد وردع لهم عن اعتقادهم الفاسد بعد ما أوضح بطلانه .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَدَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٩) ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٌ لَا تَسْتَعْظِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا سَتَقْبِيلُونَ ﴾ (٢٠) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بِنِ يَدِيهِ وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ مَوْفُونَ عِنْدَهُمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ أَسْتُعْظِمُوْنَا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبِرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١) ﴿

﴿ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ ﴾ الرسالة عامه . وقال الزجاج (٢) : المعنى كافا للناس ، والهاء للنبالغة كما تقول : علامه ونسابة ، وحمد الرواية ، ومن جعله حالا من المجرور فقد أخطأ ؛

(١) سورة الكافرون ، الآية (٦) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٥٤) .

لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه ، وهو كتقديم المجرور على الجار<sup>(١)</sup>.

قرئ **﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾** و **﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾**<sup>(٢)</sup> والميعاد : ظرف الوعد من مكان أو زمان ، وهو هنا الزمان ، والدليل عليه قراءة **﴿مِيعَادُ يَوْمٍ﴾** فأبدل اليوم من الميعاد ، وجعله هو نفسه وأما من نصب " يوماً " فعلى الظرف ، والعامل فيه محذوف أي : أعني يوماً ، أو خفوا يوماً ، ثم يجوز على هذا أن يرتفع " يوم " بإضماره هو " . ومن جرّه فبالإضافة ، وإنما صلح قوله : **﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ﴾** جواباً والسؤال عن تعين الزمان بقوله : **﴿مَتَى﴾** لأنه لم يقصد به الجواب عن تعين الزمان ، وهم إنما سأّلوا بـ " متى " استهزاء وتكذيباً ، فأجيبوا بأن هذا الأمر لم يطلع عليه أحد ، ولا يستطيعون تأخيراً ولا تقدماً.

**﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** ما نزل من الأخبار السماوية قبل نزول القرآن ، وأن كفار قريش سأّلوا أهل الكتاب الذين بجوارهم ، فأخبروه أنهم يجدون نعمت رسول الله ﷺ في كتابهم فأغضبهم ذلك ، وكفروا بما أنزل على موسى وعلى جميع الأنبياء . وقيل : **﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** القيمة ، والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن مُنزلاً من عند الله وأنكروا الإعادة .

**﴿وَلَوْ تَرَى﴾** خطاب لرسول الله ﷺ ولكل سامع ، والجواب ممحذف تقديره : لرأيت أمراً عظيمًا (٢٠٣ / ب) والمستضعفون هم الأتباع ، والمستكبرون هم الرؤساء والمقدمون ، أجاب المستكبرون بإنكار أن يكونوا هم الذين صدوا .

(١) قال العكري في اللباب في علل البناء والإعراب (١ / ٢٩٢) : " ولا يجوز تقديم حال المجرور عليه ؛ لأن العامل في الحال هو العامل في صاحب الحال ، والعامل في صاحبها هو الحرف المعلق بالفعل فصار كالشيء الواحد فتقديمها على الجار يفصل بين الفعل والحرف ؛ وأن حرف الجر لا تصرف له ، وهو العامل في صاحب الحال ، وليس له معنى يعمل به ، فامتتنع قوله : مررت قائماً بزيد ، وقائماً مررت بزيد والقيام لزيد . وقال بعض النحوين : يجوز تقديمها علىه ، واحتج بقوله تعالى : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ﴾** والجواب : أما كافة فحال من الكاف لا من " الناس " واهفاء فيها للمبالغة ، والتقدير : ما أرسلناك إلا كافة للناس كفرهم " .

(٢)قرأ الجمهور " ميعاد يوم " ، وقرأ ابن أبي عبلة " ميعاد يوماً " وقرئ أيضاً " ميعاد يوم " . تنظر القراءات في : البحر الخيط لأبي حيان (٧ / ٢٨٢) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٤٧ - ٤٤٨) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ٣٢٨) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٠) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٥٨ / ٢٥) .

﴿قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا لِلَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا أَنْهُنْ صَدَّقُوكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلَكُنُومٍ شَجَرَمِينَ ﴾٢٢﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا بِلَ مَكْرُ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ تَكْفُرَ بِإِلَهٍ وَجَعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلُنا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحِزِّنُ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٢٣﴾

وأدخلوا حرف الاستفهام على الشخص ، ولو كان الفعل منكراً لقال : أصدقتم «بعد إِذْ جَاءَكُمْ» و «إِذ» ظرف لا يتصرف ، ولا يخرج عن الظرفية ، فكيف أضيفت إليه «بعد»؟ لكن قد اتسع في ظرف الزمان ؛ كما أضيف إلى الجمل ؛ قوله : جنتك أيام الحجّاج أمير.

لما أنكر المستكبرون أنهم تسبيوا في ضلال المستضعفين ، ونسبوا ذلك إلى اختيار المستضعفين كرر عليهم المستضعفون بالرد وقالوا : «بِلَ مَكْرُ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ» أي : كنت تأمرتنا بالكفر الليل والنهار ، ولو لا ذلك ما حصل الضلال ، وقوله : «بِلَ مَكْرُ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ» تقديره : بل مكركم في الليل والنهار ؛ كقول الشاعر [من الرجز] :

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلُ الدَّارِ<sup>(١)</sup>

وقيل : جعلوا الليل والنهار ماكرين مجازاً ؛ كما جعلوهما مهلكين في قوله : «وَمَا يَهْلِكُهَا إِلَّا اللَّهُرُ»<sup>(٢)</sup> فإن قلت : لم حذف حرف العطف من قوله : «قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا»؟ قلت : لأنها مقاولة جرت ، والمقاولة لا يدخل فيها حرف العطف ؛ كقوله : «قَالَ قَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمَيْنَ» إلى آخر المقاولة<sup>(٣)</sup> وفي سورة الحجر : «قَالَ فَمَا حَطَبْتُكُمْ أَيْمَانَ الْمُرْسَلُونَ» إلى آخر

(١) ينظر البيت بلا نسبة في : الأموي لابن الشجري (٢ / ٥٧٧) ، خزانة الأدب (٣ / ١٠٨) ، شرح المفصل (٢ / ٤٥) ، الكتاب لسيبوه (١ / ١٧٥) ، المحتسب (٢ / ٤٩٥) ، همع الموسوع (١ / ٢٠٣) . والشاهد فيه : أن الظرف إذا توسع فيه يجوز حيشهن إضافته على طريق الفاعلية ، وهنا الظرف «الليلة» متصرف ، قد أضيف إليه «سارق» وهو وصف . قال سيبويه في الكتاب (١ / ١٧٦) : فإن نونت فقل : يا سارقاً الليلة أهل الدار . كان حد الكلام أن يكون «أهل الدار» على «سارق» منصوباً ، ويكون «الليلة» ظرفاً ؛ لأن هذا موضع انفصال ، وإن شئت أحريته على الفعل على سعة الكلام . ثم قال : «ولا يجوز» يا سارق الليلة أهل الدار «إلا في شعر ؛ كراهة أن يفصل بين الجار وال مجرور» .

(٢) سورة الجاثية ، الآية (٢٤) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٢٣) .

القاولة<sup>(١)</sup> وأما قول المستضعفين فلا جواب له .

والواو في «وَأَسْرُوا» تعود إلى الجنس المشتمل على نوعي المستضعفين والمستكرين . تنند المضلون على ضلالهم وإضلالم ، وتنند الضالون على ضلالهم . قيل : «وَأَسْرُوا» أظهروا . وقيل : أخروا ؛ مشترك بين الشيء وضده .

﴿فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فجاء بالصريح مبالغة .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيبَةِ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا إِيمَانًا أُرْسِلْنَا بِهِ، كَفِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا تَحْنُّ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا تَحْنُّ بِمُعْدِينَ ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تَقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا زَلْفَى إِلَّا مَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الظَّفِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ إِيمَانُونَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيَّ إِيمَانَنَا مُعَجِّزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُحْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿مُتَرَفُوهَا﴾ أغباؤها وكبراؤها الذين أترفتهم النعمة . هذه تسلية لرسول الله ﷺ أي : إن الأنبياء قبلك كذبوا بهم قومهم كما كذبواك وأبطرتهم النعمة وقالوا : كثر الله أموالنا وأولادنا ، ولو أراد بنا السوء لما فعل بنا ذلك . «وَمَا تَحْنُّ بِمُعْدِينَ» أرادوا أنهم أكرم على الله عز وجل من أن يعذبهم ؛ نظرا إلى أحوالهم في الدنيا ، وقد أبطل الله عز وجل حسابهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء على حسب ما يراه من المصالح . «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تَقْرِبُكُمْ عِنْدَنَا زَلْفَى» (٤٠/٢٠) وقدر الرزق : تضييقه .

﴿رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ تارة ويقبضه أخرى ؛ لما يعلمه من المصالح التي هو أعلم بها . والأظهر أن «مَنْ أَمَنَ» في موضع رفع ؛ إلا إيمان من آمن . وـ «من» : إما شرطية ، وإما موصولة ، ودخلت الفاء ؛ لأن صلتها فعل ، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلة ، ويكون الضمير في «أَمْوَالُكُمْ» لجميع المؤمنين والكافار .

والزلفى : مصدر ، ومعناه تقربكم قربى . «وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ إِيمَانُونَ» أن يكون حالاً ، والعامل فيه «إِيمَانَ» وكذلك قوله : «فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ» فيه الوجهان ، والمعنى : أن

الأموال لا تقرب أحداً إلا من أنفقها في سبيل الله عز وجل ، وكذلك الأولاد إلا من علمهم الجد في طاعة الله عز وجل . «جزء الأضعف» من إضافة المصدر إلى المفعول ، كأنه قال : يجازون الجزاء المضاعف . «فَهُوَ يُحْكَمُ» لا يعوضه سواه ، إما عاجلاً بالمال ، وإما بالقناعة التي هي كنز لا ينفد ، وإما آجلاً بالثواب الذي كل خلف دونه .

﴿خَيْرُ الرِّزْقِينَ﴾ وأعلام رب العزة ، فإن كل من رزق غير الله من سلطان يرزق جنده ، أو سيد يرزق عبده ، أو رجل يرزق عياله؛ فإن الله عز وجل الذي أجراه على أيديهم ، وهو رزق من الله عز وجل . وعن بعضهم : كان يقول : الحمد لله الذي أوجدني ، وجعلني من يشتهي ؟ فكم من مشته لا يجد ، وكم من واجد لا يشتهي !

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةَ أَهُوَ لَأَنَا كُلُّ كَوْنٍ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئَنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّةَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَعْلَمُكَ بَعْضُهُمْ لِيَعْصِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقًا عَذَابًا أَنَّارَ الْأَنْقَاصَ كُنْدُرًا شَكَرَبُونَ ﴿٣﴾ وَلَذَانِقَةَ عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَسِبُ فَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رِجْلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصْدِرَ كُمْ عَنَا كَانَ يَعْبُدُ مَا بَأْتُوكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَ مُفْتَرٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَمَا أَنَّهُمْ مِنْ كُثُرٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٥﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا هُنَّ بِهِمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِنَا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مَنْ شَاءَ وَقُرْدَى ثُمَّ نَفَّكُرُوا مَا يَصَايِحُكُمْ مِنْ حِنْنَةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٧﴾

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةَ﴾ هذا الخطاب للملائكة ، وفيه تعير للكفار ، وقد علم الله أن الملائكة وعيسي لم يؤثروا عبادة غير الله عز وجل ، وهو قوله عز وجل لعيسي : «أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> مع علمه تعالى بأن عيسى لم يقل . والموالاة : مفاعة من الوالى ، وهي القرب كما أن العداوة مأخذة من العادى ، وهو بعد ، والوالى يطلق على التولى والمتولى «وَهُوَ يَتَوَلُّ الْأَصْلَاحِينَ»<sup>(٢)</sup> . «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٣)</sup> . بينما يموال لهم الله عز وجل وعداوتهم

(١) سورة المائدة ، الآية (١١٦) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٩٧) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٦) .

لأعدائه أنهم براءاء مما نسب إليهم . وقيل : كانوا يعبدون الجن ؛ يطعونهم فيما يغضب الله عز وجل . **﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** معطوف على **﴿لَا يَتَلَمَّكُ﴾** والإشارة الأولى إلى رسول الله ﷺ والثانية إلى القرآن ، والثالثة إلى الحق ، والحق هو أمر النبوة كلها ، ودين الإسلام . قوله : **﴿لَمَاجَأَهُمْ﴾** (٢٠٤ / ب) دليل على مبادرتهم إلى الإنكار قبل أن يتأملوا الكلام وصحته ؛ فبادروا بجعله سحراً بينما لا يخفى . **﴿وَمَا أَئْتَنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾** فيها برهان على صحة الشرك وما جاءهم بذلك رسول ؛ كما قال عز وجل : **﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾**<sup>(١)</sup> . أو وصفهم بأنهم **﴿الْأَلَيْتَنَ﴾** لا يعلمون من العلم شيئاً . وما بلغ هؤلاء المتأخرن **﴿مَعْشَارَ﴾** ما أotti أولئك المتقدمون ويجوز أن يراد : ما أotti المتقدمون معشار ما أotti المتأخرن من العلم بالشائع وصفات الله تعالى . والمعشار : كالمرباع ، وهما العشر والربع .

فإن قلت : فما معنى **﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾** ؟ وهو مستغنى عنه بقوله : **﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** ؟ قلت : لما كان معنى قوله عز وجل : **﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه ؛ جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه .

**﴿بِوَجْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا﴾** بدل من قوله عز وجل **﴿بِوَجْدَةٍ﴾** أو خبر ابتداء محذوف ، أو منصوب بإضمار أعني ، وأراد بالقيام ؛ إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عنه وإما القيام [ الذي لا يُراد ]<sup>(٢)</sup> به المثول على القدمين ، بل المراد الاهتمام به والانتساب لقضائه ، والمعنى : أن تقوموا جماعات ومترفين ، وإنما اقتصر على **﴿مَتَنَ وَفَرَدَي﴾** دون غيرهما من الأعداد ؛ لأن الإنسان إذا انفرد وحده بالفكر وعرض ما أدها إليه ذهنه على قواعد صحيحة إذا لم يكن متعرضاً متقيداً بأشياء يحفظها من قديم الزمان ؛ فربما ظهر له - على الأغلب - الصواب وكذلك الاثنين إذا اجتمعا وتناصفا من غير غرض لهما في البحث مع وجود الفكرة والروية ، فالظاهر أنهما يصلان إلى الحق ، فأما إذا كان العدد أكثر من ذاك ثار العجاج ، واختلفت الآراء ، ويجري كثير من ذلك في المجالس والمحافل ويبعد ظهور الصواب . وأراهم بقوله عز وجل : **﴿مَا يَصِحُّ لِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾** أن هذا الأمر العظيم

(١) سورة الروم ، الآية (٣٥) .

(٢) في الأصل : فلا يراد ، والمثبت كما في الكشاف (٣ / ٥٨٩) وهو أنساب لسياق الكلام .

الذى تخته ملك الدنيا والآخرة جيئا لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجالان ؛ إما مجنون لا يبالى بافتضاحه إذا طلب بالبرهان فعجز ، بل لا يدرى ما الافتضاح وما (٢٠٥) رقبة العواقب ؟ وإما عاقل راجح العقل ، مرشح النبوة ، مختار من أهل الدنيا ، لا يدعنه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه ، وإنما يجدى على العاقل دعوى شيء لا بينة عليه ، وقد علمتم أن محمدًا ما به من جنة ، بل علمتموه أرجح قريش عقلا ، وأرزنهم حلمًا ، وأنقبهم ذهنا ، وأصلبهم رأيا ، وأصدقهم قولًا ، وأشرفهم نفسًا ، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويُمدحون به ؛ فكان مظنة لأن تظنوا فيه الخير ، وثُرّجحوا فيه جانب الصدق ، وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتينكم بأية ؛ فإذا أتي بها تبين أنه نذير مبين .

فإن قلت: بم يتعلق: «**مَا يَصَابِحُكُمْ**»؟ قلت: يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ، ويجوز أن المعنى: ثم تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم. وقد جوز بعضهم أن تكون "ما" في قوله: «**مَا يَصَابِحُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ**» استفهامية. «**بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَدِيدٍ**» كقوله عليه السلام: "بعثت في أنفاس الساعة" (١).

**﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾** (١٧) **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْدِرُ بِالْحَقِّ**  
**عَلَمُ الْغَيْوبِ ﴾** (١٨) **﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِي ثُ الْبَطْلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾** (١٩)

قوله: «**فَهُوَ لَكُمْ**» جواب لقوله: «**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ**» كقوله: «**مَا يَفْتَحَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ**» الآية (٢). وفيه معنيان: أحدهما: نفي مسألة الأجر رأسا ؛ كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئا فخذه مني ، وهو يعلم أنه لم يعط شيئا . والثانى: أن يريد بالأجر ما أراد في قوله: «**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى**» (٣) لأن دعاءهم لتسبيح الله عز وجل ، وتعظيمه نفعه عائد إليهم لا إليه ، وكذلك المودة في القرابة لأنها قد انتظمته وإياهم .

(١) رواه الترمذى رقم (٢٢١٣) وقال: غريب ، وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الترمذى رقم (٣٨٨) وذكره فى السلسلة الضعيفة رقم (٦٢٥) ونسبة للخراطى فى كتاب "فضيلة الشكر" وللديلمى ، وقال: ضعيف جدا .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٢) .

(٣) سورة الشورى ، الآية (٢٣) .

القذف والرمي : توجيه السهم <sup>(١)</sup> إلى المرمى مع تحامل [ ويستعاران من حقيقةهما لمعنى ] <sup>(٢)</sup> للإلقاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَدَّ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ﴾ <sup>(٣)</sup> . ﴿أَنْ أَقْذِفُهُمْ فِي الْأَبَابُوتِ﴾ <sup>(٤)</sup> . ومعنى قوله تعالى : ﴿رَبِّ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقىه إلى أنبيائه صلوات الله عليهم ، أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه . ﴿عَلَمُ الْغَيْوَبِ﴾ رفع على " إن " واسمها أو المستكן في ﴿يَقْذِفُ﴾ أو خبر مبتدأ مخدوف . وقرئ بالنصب <sup>(٥)</sup> صفة لربى ، أو على المدح . الحى لا يخلو في حال حياته أن يبدئ أمراً أو يعيده ؛ فإذا مات انقطع ذلك ؛ فجعلوا قوفهم لا يبدئ ولا يعيده ؛ كناية عن الموت ؛ قال [ من الرجز ] :

أَفْرَمَ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبَدِّي وَلَا يُعِيدُ<sup>(٦)</sup>

وعن ابن مسعود أنه قال : " دخل النبي ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثة أيام <sup>(٧)</sup> / ٢٠٥ ) وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ <sup>(٨)</sup> .

" جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " <sup>(٩)</sup> .

(١) في الكشاف : ترجمة السهم ، والتزجية : الدفع برفق . ينظر : لسان العرب ( زجي ) .

(٢) بياض بالأصل والثبت من الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٩١ ) .

(٣) سورة الحشر ، الآية ( ٢ ) .

(٤) سورة طه ، الآية ( ٣٩ ) .

(٥) قرأ عامة القراء بالرفع " علام " وقرأ زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق بالنصب " علام " . تنظر في : البيان في غريب القرآن لابن الأنباري ( ٢ / ٢٨٣ ) ، التبيان للعكبري ( ٢ / ١٩٨ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٥٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٦ ) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٥٧ ) .

(٦) البيت لعبد بن الأبرص ، ينظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٥٣ ) ، ديوان عبيد ( ص : ٤٥ ) ، العين للخليل ( ٢ / ٢١٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٩١ ) ، لسان العرب ( قفر ) ، معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٤ / ١٩٨ ) .

(٧) سورة الإسراء ، الآية ( ٨١ ) .

(٨) رواه البخاري رقم ( ٤٢٨٧ ) ، ومسلم رقم ( ١٧٨١ ) ، والترمذني رقم ( ٣١٣٨ ) ، وأحمد في المستند

١ / ٣٧٧ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٥٨٦٢ ) عن ابن مسعود رض .

والحق: القرآن . وقيل : الباطل هو إبليس ، ولا يبدئ إبليس خلقاً ولا يعيده . وقيل : لا يبدئ ولا يعيد ، أي: لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة .

وقال الزجاج : " ما " في قوله : **«وَمَا يُبَدِّيْعُ»** استفهامية ، وكذلك **«وَمَا يُعِيدُ»** <sup>(١)</sup> .

**﴿ قُلْ إِنْ صَلَّتُ فَإِنَّمَا أَصِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَتِ فِيمَا يُوحَى إِلَيَّ رَفِيقٌ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥٦ ﴾**  
**﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرِعَوْنَ لَا فَوْتَ وَأَخْذُوا مِنْ مَكَانِ قَرِيبٍ ٥٧ ﴾** **﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَقْذِفُونَ**  
**﴿ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ٥٨﴾**

**«صللت** <sup>(٢)</sup> **»** وعدى الضلال بـ " على " بقوله : **«فَإِنَّمَا أَصِلُّ عَلَى نَفْسِي»** وجعل قرينه **«وَإِنْ أَهْتَدَتِ فِيمَا يُوحَى»** والقياس : وإن اهتديت فلها ، كقوله : **«مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلَنْفَسِهِ** ، **وَمَنْ أَسَأَهُ فَعَلَيْهَا»** <sup>(٢)</sup> لأن الهدى من الله ، وإنما يتيسر بأسباب يسهل بها وقوع الطاعة ، والضلال ؛ كالراكب على الحيوان ، الضابط لنفسه .

وجواب **«وَلَوْ تَرَى»** محنوف ، أي : لرأيت أمراً عظيماً ، والأفعال التي هي **«فَرِعَوْنَ»** **«وَأَخْذُوا»** **«وَحِيلَ»** المراد المستقبل وهي ماضية في اللفظ ؛ لأن أخبار القيامة تأتي على صيغة الماضي ؛ لتحققها عند الله كتحقق ما مضى وثبت . **«فَزِعُوا»** وقت الموت .

وقيل : البعد . وقيل : يوم بدر . وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : " إن جيشاً يغزون الكعبة يريدون هدمها فيخسف بهم " <sup>(٣)</sup> . جاءت الآية دالة على ذلك **﴿ فَلَا فَوْتَ﴾** فلا يفوتون الله ، **وَالْأَخْذُ** **«مِنْ مَكَانِ قَرِيبٍ»** من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطونها إذا ماتوا ، أو من صحراء بدر إلى القليب ، أو تحت أقدامهم إذا خسف بهم ، وفيما عطف عليه قوله **«وَأَخْذُوا»** وجهان : أحدهما : على **«فَلَا فَوْتَ»** أي : فلا يفوتون وأخذوا . والثاني : على **«فَرِعَوْنَ»** والتقدير : ولو ترى إذا فزعوا وأخذوا .  
**﴿ إِمَّا بِهِ﴾** أي : بمحمد ﷺ وقد مر ذكره في قوله : **«مَا يَصَاحِحُكُمْ مِنْ حِجَّةٍ»** .

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٥٨ ) .

(٢) سورة فصلت ، الآية ( ٤٦ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٢١١٨ ) ، ومسلم رقم ( ٢٨٧٣ ) ، وأحمد في المستند ( ٦ / ١٠٥ ) ، وابن حبان

في صحيحه رقم ( ٦٧٥٥ ) ، عن عائشة ~~رضي الله عنها~~ .

والتناوش : التناول ، إلا أن التناول يقع على ما فيه رفق وما لا رفق فيه ، والتناوش يقع على ما لا رفق فيه أصلاً ، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يتأتى ، وهو قبول الإيمان عند نزول العذاب ؛ كما أن المؤمنين نفعهم إيمانهم قبل مجيء القيمة .

**﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ٥٣﴾** وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَايِّهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُّرِيبٍ ٥٤﴾

**﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾** حكاية حال ماضية كقوله : **«بَنِسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ»**<sup>(١)</sup> **﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾** هو قبول الإيمان يوم القيمة ؛ لقوله : **«فَلَمْ يُكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَنْسَانًا»**<sup>(٢)</sup> الآية .  
**﴿بِأَشْيَايِّهِمْ﴾** من كان على مثل عقידتهم (٢٠٦ / ١) ومذهبهم .

**﴿مُرِيبٍ﴾** إما أن يكون من أربابه : إذا حصل فيه الريب ، أو من أرباب الرجل : إذا صار ذا ريب .

\* \* \*

(١) سورة الكهف ، الآية (١٨) .

(٢) سورة غافر ، الآية (٨٥) .

## تفسير سورة فاطر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِي أَجْنِحَةٍ مَتَّفِقَةٍ وَثَلَاثَ وَرَبِيعَ يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ مبتدئها ومبتدعها ، وعن ابن عباس : ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى اختصم رجالان في بئر ؛ فقال أحدهما : هي بتري وأنا فطرتها ، أي : ابتدأتها<sup>(١)</sup>.

﴿مَتَّفِقَةٍ وَثَلَاثَ وَرَبِيعَ﴾ صفة للأجنحة ، وإنما لم ينصرف لتكرر العدل فيها ، والتقدير: أولى بأجنحة اثنين وثلاثة ثلاثة . وزعم الزمخشري<sup>(٢)</sup> أنه لا يفترق الحال في مثنى وثلاث بين المكررة ، وغير المكررة وفيه نظر ؛ لأن غير المكررة حقيقة بأن تصرف ؛ لأن مثنى وثلاث المكرر إنما نقل إلى هذا الوزن ليدل على التكرر؛ فالتكرر هو موجب منع صرفها ؛ فلا تتسوي المكررة وغيرها .

﴿يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قيل : في عدد الأجنحة . وقيل : في الجناح الثالث والرابع تقوية واستظهار ، والجناحان الأولان هما الأصل .

فإن قلت : قياس قسمة الأجنحة أن يكون في كل شق نصفها ، فain موضع الثالث إذا كانت ثلاثة ؟ قلت : يجوز أن يكون الجناح الثاني في الوسط يعطي الجناحين قوة ، ويجوز أن يكون الجناح الثاني لغير الطيران ، قال الزمخشري : "رأيت في بعض الكتب أن بعض الملائكة لهم ستة أجنحة : جناحان يلفون بهما أجسادهم ، وجناحان يطيرون بهما ، وجناحان مرحيان على وجوههم ؛ حياء من الله"<sup>(٣)</sup> . وروي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح<sup>(٤)</sup> . وروي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل مرة أخرى فغشى عليه ،

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥ / ٤٥٨) ونسبة لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٩٥) .

(٣) ينظر : الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٩٥) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٩٩٣) ، ومسلم رقم (٢٥٣) ، والترمذى رقم (٣١٩٩) .

ثم أفاق وجبريل يسنته ، فقال النبي ﷺ : " سبحان الله ، ما كنت أظن أن خلقاً يكون كذا ، فقال له جبريل : لو رأيت إسرائيل !! فإن أحد جنابه بالشرق والآخر بالغرب والعرش على كاهله وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كالوصع ؛ وهو العصفور الصغير " <sup>(١)</sup> .

وقيل في قوله : **﴿يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء﴾** إنه الصوت الحسن والوجه الحسن والشعر الحسن. وقيل : الخط الحسن ، والآية أعم ؛ فإنها تتناول كل زيادة من اعتدال وطول وتمام أعضاء وقوة بطش وحصانة العقل وجزالة الرأي وسماحة النفس وذلاقة اللسان ولباقة المتكلم .

**﴿مَا يَفْتَحَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ أَعْزَزُ الْحَكْمِ﴾** <sup>(١)</sup> **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ فَوَافَ تُؤْفِكُونَ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكُ فَقَدْ كَذَبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكُولَيْهِ اللَّهُ يَرْجُعُ الْأُمُورَ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرِّبُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرِّبُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرْوَرُ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُوْنُ دُعُوْ فَلَمَنْخَدِوْ دُعُوْ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعْيِ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** <sup>(٦)</sup>

وحسن بأن استعيير الفتح للإطلاق والإرسال ، والمعنى : فلا فاتح له ، أي : ما يفتح الله من رحمة (٢٠٦ / ب) أي : من نعمة أو رزق أو مطر أو غير ذلك من أصناف أنعامه لا يقدر على حصرها إلا هو ، وتنكير **﴿رَحْمَة﴾** للإشارة والإبهام ؛ كأنه قال : من أي رحمة كانت من سماوية أو أرضية فلا يقدر أحد على حبسها، وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه . فإن قلت : فلم أنث الضمير أولاً فقال : **﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾** وذكره ثانياً فقال : **﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾** ؟ قلت : بما لغتان : الحمل على لفظ "ما" لأنه مذكر ، والحمل على معناها ؛ لأنه يعني الرحمة . وقيل : لما فسر الرحمة كان الرجوع إلى معناها أقرب من لفظها ، ولما لم يسمها في الثانية ناسب أن يحمل على لفظها.

(١) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (١ / ٧٤ رقم ٢٢١) ، ونسبه له السيوطي في الدر المثور (١ / ٢٢٨) وقال الزيلاعي في تحرير الأحاديث والأثار التي في الكشاف (٣ / ١٤٦) : وهو مرسل جيد . قال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٥ / ١٩٠) : الوصع : يُروى بفتح الصاد وسكونها وهو طائر أصغر من العصفور ، والجمع وصعان .

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد إمساكه . ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ، لكن باللسان وبالقلب ، وحفظها من الكفران ، وشكرها : الاعتراف بإنعمام مهديها . والخطاب عام في الأمر بالتذكر ، وعن ابن عباس : " يزيد : يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم ؛ حيث أسكنكم حرمته ، ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم " . وعنده : نعمة الله : العافية<sup>(١)</sup>. ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ يجوز أن يكون لا موضع له من الإعراب ؛ لأنه ابتداء كلام ، وأن يكون له موضع إذا كان صفة لخالق . فإن قلت : هل فيه أن (الخالق) لا يطلق على غير الله عز وجل ؟ قلت : نعم إذا جعلت ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ كلاماً مستائناً ، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، ولو وصلتها به " يرزقكم " لم يصح ؛ لأنه يصير التقدير: لا خالق يرزق إلا الله فمفهومه : أن من كان خالقاً ولم يكن رازقاً يمكن وجوده وليس كذلك . ﴿فَأَفَ تُؤْفِكُونَ﴾ تقلبون من الحق إلى الباطل ، ومنه تسمية المؤتفكات قرى لوط ؛ لأن الأرض خسفت بهم فقلبت ؛ وسمي الباطل إفكاً لأنه يقلب الحق عن صورته . وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَبَتِ رُسُلٌ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ ونبي على قريش سوء اعتمادهم مع الأنبياء ؛ كانوا رسلاً عددهم كثير وعقوتهم تامة فصبروا على ما كذبوا وأوذوا فتأسوا بهم .

﴿أَفَمَنْ زَينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضُلُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُدِيَ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَنْذَهْ بِنَفْسِكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَبَرَّ سَحَابًا فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدِهِ مَيَّتٍ فَأَحْيَنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشَّوْرٌ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَزَّةَ فَلَيَلْهُ الْعَزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الظِّبِيبُ وَالْعَمَلُ الْأَصْلَاحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَسْكُنُونَ السَّيِّئَاتِ هُنَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاحًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْنَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يُعْلَمُهُ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يُفَقَّصُ مِنْ عُمُرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

﴿أَفَمَنْ زَينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ كمن لم يزين له ذلك ، وهو قوله : ﴿أَفَمَنْ سَحَّ اللَّهُ صَدَرَةُ الْإِسْلَامِ﴾<sup>(٢)</sup> . أي : كمن لم يشرح ؟ فإن قلت : لم جاء قوله: ﴿فَتَبَرَّ﴾ فعلما مضارعاً دون ما قبله وما بعده ؟

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٩٧) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (٢٢) .

قلت : ليحكى الحال في إثارة الريح السحاب ، ويستحضر تلك الحالة العجيبة الدالة على القدرة الربانية ، ومنه قول تأبّط شرًا (٢٠٧/١) [من الوافر] :

يَأَيُّ قَدْلَقِيتُ الْغُولَ تَسْعَى  
بِسَهْبَ كَالصَّحِيفَةِ صَخْصَحَانَ  
فَأَضْرِبْهُمْ بِالْأَدَهَشِ فَخَرَّتْ  
صَرِيعَ الْلَّيْدِينَ وَالْجَرَانَ<sup>(١)</sup>

كأنه يريهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول ، وثباته عند كل شدة ، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت ، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة ، فهل : « فَسَقْتُهُ » و « فَأَحْيَيْنَا » معدولاً بهما عن لفظة الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه . والكاف في " كذلك " في محل الرفع أي : مثل ذلك إحياء الموتى ونشرورهم . وروي : " أن رجلا سأله النبي ﷺ : كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال : هل مررت بواط أهلك محيلا ، ثم مررت به يهتز خضرًا ؟ فقال : نعم . فقال : كذلك يحيي الله عز وجل الموتى " <sup>(٢)</sup> . وقيل : يحييهم الله عز وجل بماء ينزله من تحت العرش كمني الرجال حتى تنبت منه أجسادهم وتنشق الأرض عن نقوسهم .

كان الكافرون يتذمرون بالأصنام « وَأَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَّا يُؤْنَاثُمْ عِزًّا » <sup>(٣)</sup> . والمنافقون يتذمرون بالشركين « الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكَفَرِينَ أَوْ لِيَمَّا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنَّهُمْ عِنْهُمْ أَعْزَةٌ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ يَعِيشُ مَعَهُمْ » <sup>(٤)</sup> . فلم يجعل لأحد نصيبياً في العزة ؛ فوضع قوله : « فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جِمِيعًا » موضع قوله : فليطلبها منه . كما تقول : من أراد النصيحة فهي عند الأبرار ، والمراد :

(١) ينظر البستان في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٠٢) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٤٦٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/٦٠١) ويروى البيت الثاني : فأضربها فأقتلها ..... والسهب : الفضاء المستوي بعيد الأطراف . والصحيفة : الكتاب . والصحصحان : المستوي من الأرض . والجران : مقدم عظم العنق . والمعنى : يا من تنكر وجود الغول إني أخبر إخباراً يقيناً بأنني قد لقيتها في مكان متسع مستو ، فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٤٦١) ونسبة لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) سورة مريم ، الآية (٨١) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٣٦) .

فليطلبها منهم . ثم عرف أن طريق طالب العزة إنما هو الإيمان والعمل الصالح بقوله : ﴿إِلَيْهِ يَصُدُّ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُ﴾ والكلم الطيب : لا إله إلا الله ؛ فإذا اقترنت بالأعمال الصالحة كان أجر لها . وقيل : الرافع الكلم والمرفوع العمل . وقيل : ﴿الْكَلْمُ الطَّيِّبُ﴾ كل ذكر من تسبيح وتهليل وتکبير وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك . وعن النبي ﷺ : " هو قوله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل " <sup>(١)</sup> . وعن ابن المفع <sup>(٢)</sup> : " قول بلا عمل كزيد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر " . وقرئ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُ﴾ <sup>(٣)</sup> والرافع الله أو الكلم .

و﴿وَمَكْرُ﴾ لا يتعدى وإنما نصب ﴿السَّيِّنَاتِ﴾ لأنه نعت مصدر مذوف ، أي : مكرروا المكرات السيئات ؛ لقوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ لِلَّسْتِيْلِ إِلَّا يَأْهَلِ﴾ <sup>(٤)</sup> وعن بالني <sup>(٥)</sup> في دار الندوة . ﴿وَمَكْرُ وَلَكِ﴾ الماكرين في دار الندوة حقيق بالدمار والهلاك . قال ابن الزبوري <sup>(٦)</sup> لما أسلم [ من الخفيف ] :

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور ( ٤٦٢ / ٥ ) ونسبه لابن جرير الطبرى وعبد بن حميد والطبراني والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن ابن مسعود .

(٢) هو عبد الله بن المفع أحد البلاء والفصحاء ورأس الكثاب وأولي الإنشاء ، وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح وكتب له واختص به . وكان ابن المفع مع سعة فضله وفرط ذكائه فيه طيش ، وروي عن المهدى قال : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المفع . قال الأصمعي : صنف ابن المفع الدرة اليتيمة التي ما صنفَ مثلها . مات ستة خمس وأربعين ومائة .

تنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢٠٨ / ٦ ) وينظر قوله في الكشاف ( ٣ / ٦٠٣ ) .

(٣) قرأ <sup>١</sup> " والعمل " بالنصب ابن أبي عبلة وعيسى بن عمر ، وقراءة الجمهور " والعمل " بالرفع . تنظر القراءة في : البحر الحيط لأبي حيان ( ٣٠٤ / ٧ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٤٦١ / ٥ ) ، فتح القدير ( ٣٤١ / ٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٠ ) .

(٤) سورة فاطر ، الآية ( ٤٣ ) .

(٥) هو عبد الله بن الزبوري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي الشاعر ، كان من أشد الناس على رسول ﷺ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، وكان من أشعر الناس وأبلغهم ، يقولون : إنه أشعر قريش قاطبة . قال محمد بن سلام : كان بمكة شعراء ، فأبدعهم شعرا عبد الله بن الزبوري . قال الزبوري : كذلك يقول رواة قريش : إنه كان أشعرهم في الجاهلية . قال أبو عمر بن عبد البر - رحمة الله - : كان =

يَارَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنْبَوْرُ<sup>(١)</sup>

﴿أَزْوَجًا﴾ أصنافاً ، أو ذكراناً وإناثاً . ﴿يُعْلِمُه﴾ في موضع الحال ، أي : لا معلومة له . فإن قلت : ما معنى قوله : ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِنْ مَعْمَرٍ﴾ ؟ قلت : معناه : وما يعمر من أحد ، سماه معمراً بما هو صائر إليه . فإن قلت : الإنسان إما يعمر طويلاً العمر أو منقوص العمر ، أي : قصيره ، فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال ، فما معنى الآية ؟

قلت : هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة بصححة فهم السامعين ، وعليه كلام الناس : أطال الله بقاءك ، ومدّ في عمرك . وقيل : الستون حد العمر ؛ فمن بلغها فمعمر ومن لم يبلغها فمنقوص العمر . والكتاب : اللوح ، ويجوز أن يراد بكتاب الله تعالى علمه أو صحيفة الإنسان . ضرب البحرين الحلو والملح مثيلن للمؤمن والكافر ، ثم استطرد بذكر ما أنعم به في أحدهما أو فيهما من أكل السمك واستخراج اللؤلؤ والمرجان .

= يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، ثم أسلم عبد الله الزبيري عام الفتح بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران ، فرمى حسان بن ثابت بيته واحد فما زاده عليه : لا تعد من رجال أحلك بغضه نجران في عيش أجد أئيم ، فلما بلغ ذلك ابن الزبيري قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه واعتذر إلى رسول الله ﷺ ، فقبل عذرها ، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد ، ومن قوله بعد إسلامه للنبي عليه السلام معذرا :

يَارَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنْبَوْرُ  
إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانُ فِي سُنْنِ الْغَيِّ أَنَا فِي ذَاكَ خَاسِرٌ مُشْبُورٌ  
يَشْهُدُ السَّمْعُ وَالْفَؤُادُ بِمَا قَالَتْ وَنَفْسِي الشَّهِيدُ وَهِيَ الْخَبِيرُ  
إِنْ مَا جَتَّبَهُ حَقٌّ صَدَقٌ سَاطَعَ نُورُهُ مَسْضِيٌّ مَسِيرٌ  
جَتَّبَنَا بِالْيَقِينِ وَالصَّدْقِ وَالْبَرِّ وَفِي الصَّدْقِ وَالْيَقِينِ السُّرُورُ  
أَذْهَبَ اللَّهُ ضَلَّةَ الْجَهَلِ عَنَّا وَأَتَانَا الْرِّخَاءَ وَالْمُسْوَرُ

في أبيات له ، والبور : الضال الممالك وهو لفظ للواحد والجمع ، توفي سنة ( ١٥ هـ ) .

تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ٩٠٢ - ٩٠٣ ) .

(١) ينظر البيت في : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ٩٠٢ ) ، تفسير ابن جرير الطبرى ( ١٣ / ٢١٩ ) ، الدر المصور للسمين الحلبي ( ٦ / ١٦١ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ١ / ٢٠٠ ) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِعٌ شَرَابٌ، وَهَذَا مِلْعُوجٌ أَجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَأْكُونَ لَهُما طَرِيًّا وَتَسْتَخِرُونَ حِلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَا خَرَ لِتَنْعَوْمًا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشَكَّرُونَ  
 ١٥ يُولِعُ الْأَيْلَلِ فِي النَّهَارِ وَيُولِعُ النَّهَارَ فِي الظَّلَلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ  
 مُسَئِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ  
 ١٦ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ  
 يَشْرِكُونَكُمْ وَلَا يُنَتِّنُكُمْ مِثْلَ خَيْرٍ ١٧ يَنَاهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنْتُ  
 الْحَمِيدُ ١٨ إِنْ يَشَاءُ يَدْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ١٩ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ٢٠ وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً  
 وَزَادَ أَخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُشْقَلَةً إِلَى حِيلَهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَقَاءٌ وَلَقَ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا نُنَذِّرُ الَّذِينَ  
 يَخْشَوْنَا رَهْبَمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَزَّكَ فَإِنَّمَا يَرَزَّكَ لِفَسِيلٍ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٢١﴾

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَا خَرَ لِتَنْعَوْمًا شَوَّاقِ المَاءِ بِجَرِيَّهَا ؛ يَقُولُ : مُخْرَتُ السَّفِينةِ المَاءِ . وَيَقُولُ  
 لِلسَّاحِبِ : بَنَاتُ مُخْرٌ ؛ لَأَنَّهَا تَخْرُ الْمَوَاءَ ، وَالسُّفْنُ الَّذِي اشْتَقَتْ مِنْ السَّفِينةِ مِنَ الْمُخْرِ؛ لَأَنَّهَا  
 تَسْفِنُ الْمَاءَ كَأَنَّهَا تَقْسِرُهُ . ٢٠ مِنْ فَضْلِهِ ٢١ الضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَسْتَقِ لَهُ ذَكْرٌ، إِنَّمَا  
 أَعْدَادُ الضَّمِيرِ لَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ سِيَاقِهِ . وَحِرْفُ الرَّجَاءِ مُسْتَعْلَمٌ، أَيْ : عَامَلْنَا مُعَالَمَةً  
 الرَّاجِيِّ . وَ﴿فُرَاتٌ﴾ الَّذِي يَكْسِرُ الْعَطْشَ . وَالسَّائِعُ : السَّرِيعُ الْأَنْخَدَارُ إِلَى الْمَعْدَةِ (٢٠/٤)  
 لِخَلَاوَتِهِ . وَ﴿مِلْعُوجٌ﴾ عَلَى فَعْلٍ ، وَالْأَجَاجُ : الَّذِي يَحْرُقُ عَلَوْتَهُ ، هَذِهِ طَرِيقَةُ الْأَسْتَطْرَادِ  
 وَذَكْرُ الْبَحْرِيْنِ ، وَجَرُ ذَكْرِهِمَا مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَتَحْتَمِلُ وَجْهَهَا غَيْرُ الْأَسْتَطْرَادِ : وَهُوَ أَنَّ  
 اللَّهُ ضَرَبَ الْبَحْرَ الْمَلْحَ لِلْكَافِرِ ثُمَّ فَضَلَ الْبَحْرَ عَلَى الْكَافِرِ بِمَا يَسْتَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ مِنَ الْلَّؤْلَؤِ  
 وَالسَّمْكِ ، وَالْكَافِرُ خَلُوٌّ مِنَ الْمَنْفَعَةِ بِالْكَلِيلِ ؟ فَهُوَ كَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَمْ قَسْتُ فُلُوْيِكُمْ وَلَمْ يَقْدِي ذَلِكَ  
 فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَلَمَّا نَأْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ لَمَّا يَنْفَجِرُ مِنْهُمْ أَلَّا يَهُرِرُ﴾ ٢٢ . ضَرَبَ مَثَلًا لِلْقَلُوبِ  
 بِالْحِجَارَةِ ثُمَّ فَضَلَ الْحِجَارَةَ عَلَى الْقُلُوبِ بِمَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَيَاهِ وَالْمَنَافِعِ ؛ فَقَالَ : «وَلَمَّا  
 ٢٣ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَنْفَجِرُ مِنْهُمْ أَلَّا يَهُرِرُ» إِلَى آخرِ الْكَلَامِ . ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ خَبَرُ  
 ٢٤ «رَبِّكُمْ» خَبَرُ بَعْدِ خَبْرِهِ .

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ خَبَرُ آخِرِهِ ، وَيُحَوَّزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَطْفُ بِيَانِ لِـ «ذَلِكُمْ»  
 وَيُحَوَّزُ أَنْ يَكُونَ صَفَةً لـ «ذَلِكُمْ» . وَالقطْمِيرُ : لِفَافَةُ النَّوَافِدِ وَهِيَ الْقُشْرَةُ الرَّقِيقَةُ الْمُلْتَفَةُ  
 عَلَيْهَا . إِنْ تَدْعُوا الْأَوْثَانَ ﴿لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ  
 وَالْمَثَلِ ؛ لَأَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ مَا يَبْثُونَ لَهُمْ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ .

**﴿يَكُفُّونَ شِرًّا كُمْ﴾** أي : بإشراككم إياهم ؛ يقولون : **﴿مَا كُنْتُ إِنَّا نَعْبُدُونَ﴾**<sup>(١)</sup> **﴿وَلَا يُنِيبُكُمْ مِثْلُ حَبِّرِ﴾** ولا يخبرك بالأمر مخبر وهو مثل خبير ، يريد أن الخبر بالأمر وحده هو الذي ينبيك بالحقيقة دون سائر المخبرين به ، والمعنى أن هذا الذي أحدثكم به من حديث الأوثان هو الحق ؛ لأنني خير بما أحدث به . وإنما جاء باسم **﴿الْحَمِيدُ﴾** مع أن لفظ **﴿الْغَنِيُّ﴾** كاف في مقابلة **﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾** لأن الحميد يدل على أنه فعل ما يحمد عليه وإنما يفعل ذلك من تم غناه فلم يفتقر إلى أحد غيره وهو الله عز وجل . **﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾** بممتنع . **﴿إِنَّ يَشَاءُ يَدْهَبُ كُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** يطيعونه ولا يعصونه .

الوزر والوقر أخوان ، أي : لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى . **﴿وَلَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةً﴾** بالحمل **﴿إِنَّ حَمِيلَهَا﴾** تخفيف **﴿حَمِيلَهَا﴾** أو حمل بعضه **﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾** **﴿وَلَوْ كَانَ﴾** المدعا ذا قرابة للداعي . فإن قلت : كيف نوفق بين هذا ، وبين قوله : **﴿وَلَيَحِلُّ لِكُمْ أَنْفَالَهُمْ وَأَنْقَالَهُمْ﴾**<sup>(٢)</sup> ؟ قلت : آية العنكبوت جاءت في الضالين المضلين ؛ يحملون أوزار ضلالهم وأوزار إضلalهم ، والضالون يحملون أوزار ضلالهم خاصة ؛ لأنهم لم يضلوا أحدا . (٢٠٨) إلا ترى كيف كذب الله المضلين فقال : **﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾** **﴿وَلَوْ كَانَ﴾** الآيتين<sup>(٣)</sup> ؟ قوله : **﴿وَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَنَرَ أَخْرَى﴾** أي : ولا تزر حاملة ، أخص من المثقلة بالحمل فهو أبلغ ، والمثقلة أخص من الحاملة ؛ لأن الحاملة تكون مثقلة وغير مثقلة . إنما ينفع إنذارك **﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾** . **﴿وَمَنْ تَرَنَّ﴾** بفعل الطاعات وترك المعاصي . وقوله : **﴿فَإِنَّمَا تَرَنَّ﴾** **﴿لِنَفْسِهِ﴾** يؤكد قوله : **﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾** لأن خشية الله تعالى باعثة على الطاعة واجتناب المعصية فإن قلت : كيف اتصل قوله **﴿إِنَّمَا تَنْذِرُ﴾** بما قبله ؟ قلت : لما غضب عليهم بقوله : **﴿يَدْهَبُ كُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** أتبع ذلك بالإذار باليوم القيمة وذكر أهواها ، ثم قال : **﴿إِنَّمَا تَنْذِرُ﴾** كان رسول الله ﷺ قد كرر الإنذار فلم يؤثر فيهم ؛ فنزل **﴿إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾**<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة يونس ، الآية (٢٨) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (١٣) .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (١٢) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٩٠٧) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا أَظْلَمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا أَظْلَلُ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يُكَدِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْأَثْرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخْذَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثل الكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلاً لهما ، والنور والظلمة والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يترتب عليهما من الثواب والعقاب ، والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام ، وللذين لم يدخلوا فيه وأصرروا على الكفر.

و﴿الْحَرُورُ﴾ السوم ، إلا أن السموم يكون بالنهار ، والحرور يكون بالليل والنهار . وقيل: بالليل . فإن قلت: ما هذه الواوات؟ [قلت] <sup>(١)</sup>: بعضها ضمت وتترًا إلى وتر ، وبعضها ضمت شفعًا إلى شفع؟ **﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾** يعني : أنه قد علم من يدخل في الإسلام من لا يدخل . قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾** حال من أحد الضميرين يعني حقاً أو محقين ، أو صفة للمصدر؛ أي : إرسالاً مصحوباً بالحق ، أو: صلة لـ **﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾** أي : بشيراً بالوعد الحق ، ونذيراً بالوعيد الحق . والأمة : الجماعة الكبيرة . فإن قلت: كم بين عيسى ومحمد - صلى الله عليهما- من أمة ولم يخل فيها نذير؟ قلت: إنما بقاء دين النبي يعمل به بعده منزلة بقائه ، وجميع من اتبعه أمة واحدة . **﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾** بالشاهد على صحة النبوة وهي العجازات .

**﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾** التوراة والإنجيل .

﴿أَنَّمَرَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاهَ فَأَخْرَجَنَا بِهِ ثُمَّرَتِ مُخْتَلِفًا الْوَاهِمَاءُ وَمَنَ الْجِبَالُ جَدُّ بِضْرٍ وَحُمَّرٌ مُخْتَلِفُ الْوَاهِمَا وَغَرَبِيَّ شُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْمَوَاتِ وَالْأَغْنَمِ مُخْتَلِفُ الْوَاهِمَاءُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَ كَتَبَ اللَّهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَّةً يَرْجُونَ تَجْزِيَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُوْفِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّمَا غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٩﴾﴾

(١) زيادة من الكشاف يقتضيها السياق ، وليس بالأصل .

﴿مُخْتَلِفُ الْوَنَّهَا﴾ كالشمش والتفاح وغيرهما، وقيل: ﴿الْوَنَّهَا﴾ الصفرة والحمرة والخضراء وغيرها. والجده: الخطط والطرائق، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (١/٢٠٩).

﴿وَغَرَبِيبُ﴾ قيل: هي الجبال الطوال السود. فإن قلت: يقال: أحضر ناضر، وأصفر فاقع، وأسود حalk وغريب، وأحمر قاني، فنرى التابع المؤكد متأخراً، وهاهنا وجد المؤكد متقدماً؟ قلت: الوجه أن تجعل المؤكد متأخراً وتضمر قبل المؤكد ذكر اللون، ولا بد من تقدير مضار تقديره: ومن الجبال ذهو جدد من بيش وحر وسود؛ حتى يطابق قوله: ﴿ثَمَرَتِ مُخْتَلِفًا الْوَنَّهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفُ الْوَنَّهَا﴾ أي: بعض مختلف الوانه. والمراد ﴿الْعَلَمَتُوا﴾ الذين يعلمون صفاته، وما يجب له وما يستحيل عليه، وفي الحديث: "أعلمكم بالله أشدكم له خشية" (١).

وفي زيادة العلم بالله سبحانه زيادة الخوف من انتقامه. وقد أثّرت فيه الخشية حتى عرفت فيه. فإن قلت: هل يختلف المعنى بين تقديم المفعول على الفاعل وبين تأخيره؟

قلت: نعم، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء؛ كان المعنى: أن الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى وصار تقديره: إنما يخاف الله العلماء. ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما سبق قوله: ﴿أَلَّا تَرَأَنَّ اللَّهَ أَنَّزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فذكر ما يستدل به على عظيم قدرته أتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مَنِ عَبَادُهُ الْعَلَمَتُوا﴾ وعن النبي ﷺ: "إنني أرجو أن تكون أنقاكم لله وأشدكم له خشية" (٢). ﴿يَتَنَوَّتُ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون على تلاوته. وقيل: يتبعون ما فيه ويعملون به. وقيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ (يَرْجُونَ) خبر "إن". والتجارة: طلب الثواب بالطاعة. وقوله: ﴿لِيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿لَنْ تَكُبُرُوا﴾ وتقديره: تجارة تبقى وتنمى ليو匪هم بها، وإن شئت جعلت (يَرْجُونَ) في موضع الحال، أي: راجين أن يوفهم وخبر "إن" ﴿إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لهم شكور لعملهم.

(١) نسبة السيوطي في الدر المشور (٥ / ٤٦٩) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن صالح أبي الخليل.

(٢) رواه مسلم رقم (١١١٠)، وأحد في المسند (٦ / ٢٤٥، ١٥٦، ٦٧)، وأبو داود رقم (٢٣٨٩)،

وابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٩٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

﴿وَالَّذِي أَوحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْبَادُهُ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾  
 ٢١) ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادَنَا فِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَحِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرِ إِذَا دَرَأَنَّ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾  
 ٢٢) ﴿جَنَّتُ عَدَنَ يَدْخُلُونَهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَؤْلُؤٍ وَلَبَاسُهُمْ فِيهَا حَرَيْرٌ﴾  
 ٢٣) ﴿وَقَالُوا لَهُمْ أَحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّكُمْ رَبِّنَا لَعْقُورٌ شَكُورٌ﴾  
 ٢٤) ﴿الَّذِي أَحَنَّا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ قَصْلِهِ لَا يَمْسَنَافِهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسَنَافِهَا لَغُوبٌ﴾  
 ٢٥) ﴿فِيهَا لَغُوبٌ﴾

﴿الْكِتَبِ﴾ القرآن ، " ومن " للتبيين أو للجنس . ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال مؤكدة ؛ لأن الصدق لا ينفك عنه . ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ يعني : أورثناك الكتاب ثم أعلمناك أنا نوره بعده للعلماء بالقرآن . ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا﴾ هم أمة محمد ﷺ ؛ لأن الله أصطفاهم على سائر الأمم ثم قسمهم إلى ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو المرجأ لأمر الله، و﴿مُفْتَحِدٌ﴾ وهو الذي خلط (٢٠٩ / ب) عملا صالحاً وآخر سيئاً ، و﴿سَابِقٌ﴾ من السابقين ، وإنما قدم الظالم على بقية الأصناف ؛ لأنهم أكثر الخلق . ﴿وَلَؤْلُؤٌ﴾ معطوف على محل ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ و " من " للتبعيض ، أي : يخلون بعض أساور من ذهب .

وقيل : إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ . ﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ هو مثل قوله : ﴿فَالَّذِي أَنَا كُنَّا بَلْ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> . وقيل : هو حزن الأعراض والآفات . وقيل : حزن الموت . وقيل : حزن إيليس ووسوسته . وقيل : هم المعاش . وقيل : حزن زوال النعم ، وقد أكثروا حتى قالوا : كراء البيت . وتأويله : لا يحزنهم شيء وإن قل حتى كراء البيت . وفي الحديث : " ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ، ولا في محشرهم ، ويؤتي بأهل لا إله إلا الله فيخرجون من قبورهم ، وينفضون التراب عن وجوههم ، ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عننا الحزن " <sup>(٢)</sup> .

﴿لَعْقُورٌ شَكُورٌ﴾ دليل على كثرة حسناتهم . ﴿الْمُقَامَة﴾ الإقامة ، يقال : أقمت إقامة ومقاماً ومقامة . ﴿لَغُوبٌ﴾ تعب وإعياء . وقرئ : ﴿لَغُوبٌ﴾ بالفتح <sup>(٣)</sup> إما مصدر كالقبول

(١) سورة الطور، الآية (٢٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٩٤٤٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٥ - ٨٦)، ونسبة للطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر . وقال الهيثمي : وفيه يحيى الحمانى وهو ضعيف . وضعفه الشيخ الألبانى في ضعيف الجامع رقم (٤٨٩٨) .

(٣) قرأ بها علي بن أبي طالب والسلمي وسعيد بن جبير . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان

والفرق بين اللغوب والنصب أن النصب : التعب ، واللغوب : ما يحصل بسبب النصب ، والنصب : نفس المشقة ، واللغوب : نتيجته .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمُ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيُمُوتُوا وَلَا يُخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَلِكَ نَجِزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝ ۲۶ وَهُمْ يَصْطَرِثُونَ فِيهَا رَبِّا أَخْرِجَنَا نَعَمَلْ صَنْلِحًا عَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعَمِلْ أَوْلَئِنْعَمِرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الشَّذِيرُ فَذَوَقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝ ۲۷ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ عِلْمٌ غَيْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ۝ ۲۸ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيلَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفُورُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُونَ كُفُورَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكُفَّارُونَ كُفُورَهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ ۲۹ قُلْ أَرَأَيْتَ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوَفُ مَاذَا حَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ هُمْ شَرِكُوكُمْ أَمْ عَانَتْهُمْ كِتْمَبَا فَهُمْ عَلَىٰ بَيْتَنِتِ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا اغْرِيَوْنَا ۝ ۳۰ ﴾

وقري «**فَيُمُوتُوا**» <sup>(١)</sup> عطفا على قوله: «**لَا يُقْضَى**» قوله: «**وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْذَرُونَ**» <sup>(٢)</sup> «**كَذَلِكَ نَجِزِي**» أي : مثل ذلك الجزء نجزي . «**يَصْطَرِثُونَ**» من الصراخ ، وهو الصياح بجهد . فإن قلت : لم حذف الموصوف في قوله : «**نَعَمَلْ صَنْلِحًا**» وأقام الصفة مقامه ؟ وما فائدة قوله : «**عَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعَمِلْ**» على أنه يوهم أنهم كانوا يعملون صالحاً غير هذا العمل ؟

قلت : لزيادة التحسن على ما فاتهم من العمل الصالح ، وأما الوهم فرائل بسياق الكلام ، ودليل الغضب في قوله : «**فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**» . «**أَوْلَئِنْعَمِرُكُمْ**» أي : فيقال لهم : أو لم نعمركم ؟ «**مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ**» وهو يشمل كل من أدرك من عمره وفتا يكتنه فيه العمل ، إلا أن التوبیخ على صاحب العمر الأطول أولى . وروي أن العمر الذي أعذر الله فيه لمن أدركه ولم يذكر ستون سنة . وقيل : ما بين العشرين إلى الستين . وقيل : ثمانى عشرة سنة . و«**الشَّذِيرُ**» الرسول . وقيل : الشيب . وعطف قوله (٢/٢١٠) .

= (٣١٥/٧)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٦٩)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٦)، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٢٤) .

(١) قرأ بها الحسن ويعسى بن عمر . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣١٦)، تفسير القرطبي (١٤ / ٥٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٠)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٣٥٤)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٧)، المحتسب لابن جنی (٢ / ٢٠١) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية (٣٦) .

﴿تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ على معنى «أَوْلَئِنْعِمْرُكُمْ» فـكأنه قال : قد عمرناكم وجاءكم النذير .  
 ﴿وَذَاتِ الْصَّدُورِ﴾ بمعنى مضراتها .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْوُلَا وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ حَدِيرٍ مِنْ عَلِيُّهُ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ لَيْنَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ إن نافية أي : ما يمسكهما من أحد من بعده ؛ كما في قوله تعالى :  
 ﴿وَأَمْرِيهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا يُذَنِّي﴾<sup>(١)</sup> وروي : "أن ابن عباس لقي رجلا ، أخبره ذلك الرجل أنه لقي كعبا فسألها : ما سمعت منه ؟ فقال : سمعته يقول : إن السماوات على كاهل ملك . فقال ابن عباس : كذب ، ثم تلا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> . روي : أنه بلغ قريشا أن أهل الكتاب كذبوا رسلاهم ، فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى ، أتتهم رسلا كذبوا لهم ، والله لئن أتانا رسول ﴿لَيَكُونَ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ فلما بعث رسول الله ﷺ كذبواه . قوله : ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ أي : من واحدة منها . وقيل : المعنى لنكونن أهدي من الأمة التي يقال فيها أنها أهدي الأمم ، ومنه قوله ﷺ لل麦داد : إِحْدَى سُوءِ أَنْكِ يا مقداد<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة الحج ، الآية (٦٥) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٦١٧ - ٦١٨) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣ / ١٥٧) : رواه الطبرى في تفسيره قال : حدثنا محمد بن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وايل ، قال : " جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ، قال من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، قال ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك . قال : لقد كذب كعب ؛ إن الله يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْوُلَا﴾ الآية . وهذا سند صحيح وهو كما تراه عن ابن مسعود لا عن ابن عباس ، ولعله اشتبه على المصنف عبد الله بعد الله . قلت : وتبع السخاوي هنا الزمخشري في هذا الوهم والاشتباه .

(٣) رواه مسلم رقم (٣٨٣١) في حديث طويل عن المقداد بن الأسود رض قال : " أقبلت أنا واصحابنا لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصرنا من الجهد ، فجعلتنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ ، فليس أحد منهم يقبلنا ، فأتينا النبي ﷺ ، فانطلق بنا إلى أهله ، فإذا ثلاثة أعز ، فقال النبي ﷺ : احتلبو هذا اللبن بيتنا . قال : فكنا نختلب فيشرب كل إنسان منا نصبيه ، ونرفع للنبي ﷺ نصبيه ، قال : فيجيء من الليل فُسْلِمْ تسلیما لا يوقظ نائما ويسمع اليقطان ، قال : ثم يأتي المسجد فيصلی ، ثم يأتي شرابه فيشرب ،

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا لِأَحْدَى الْكَبِيرِ﴾ (١) .

﴿أَسْتَكِبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ أَسْتَيٌّ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنْتَ الْأَوَّلَيْنَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنْتِ اللَّهِ تَبَدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنْتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٢) ﴿أَوْلَئِي سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَفَ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (٣) ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ دَآبَّةٍ وَلَا كِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمٌّ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ (٤) ﴿

﴿أَسْتَكِبَارًا﴾ إما حال أو مفعول من أجله أو مصدر. ﴿سُنْتَ الْأَوَّلَيْنَ﴾ إنزال العذاب على من كذب منهم ، وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له . ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: بشؤم

= فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصبي ، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم ، ما به حاجة إلى هذه الجرعة ، فأتتها فشربتها ، فلما أن وغلت في بطني ، وعلمت أنه ليس إليها سبيل ؛ قال : ندمني الشيطان ، فقال : ويحك ، ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده ، فيدعوك عليك ، فتهلك فتدهب دنياك وأخرتك ، وعلى شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي ، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي ، وجعل لا يحيطني النوم ، وأما أصحابي فناما ولم يصنعوا ما صنعت ، قال : فجاء النبي ﷺ ، فسلم كما كان يسلم ، ثم أتى المسجد فصلى ، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئاً ، فرفع رأسه إلى السماء ، فقلت : الآن يدعوك على فأهلتك ، فقال : اللهم أطعم من أطعمني ، واسق من أسقاني . قال : فعمدت إلى الشملة فشدتها على وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعزز أيها أسمن؛ فأذبحها لرسول الله ﷺ ، فإذا هي حافلة ، وإذا هن حفل كلهم ، فعمدت إلى إماء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلوا فيه ، قال : فحلبت فيه حتى على رغوة ، فجئت إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أشربتم شرابكم الليلة؟ قال : قلت : يا رسول الله أشرب . فشرب ، ثم ناولني ، قلت : يا رسول الله ، أشرب ، فشرب ، ثم ناولني ، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد رُوي ، وأصببْتُ دعوته ، ضحكت حتى أقيمت إلى الأرض ، قال : فقال النبي ﷺ : إحدى سواتك يا مقداد . فقلت : يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا . فقال النبي ﷺ : ما هذه إلا رحمة من الله ، أفالا كنت آذنتي فنونقظ صاحبينا فيصييان منها ، قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس .

(١) سورة المدثر ، الآية (٣٥) .

ذنوبهم . وقيل: بحسب المطر فتهلك الحيوانات . **﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَمٍ﴾** يوم القيمة ، أو جزاء أعمالهم .

**﴿كَانَ يَعْكَادُهُ بَصِيرًا﴾** وعد بالجزاء .

\* \* \*

### تفسير سورة يس [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسٌ ﴿ وَالْقُرْمَانُ الْحَكِيمُ ﴾ ١ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٢ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٣ ﴾

﴿ يَسٌ ﴾ بالفتح كـ "أين" وبالنصب بمعنى: أتل يس ، وبالضم كـ "منذ" ، وبالرفع على هذه يس ، وبالجر على حذف حرف القسم وإدغام النون في السين وإظهارها وإمالة (يا) وتفخيمها<sup>(١)</sup> . وقيل : معناها : يا إنسان في لغة طبع ، وشك بعضهم في صحة الرواية بذلك عن لغة طبيع ، ووجهه إن صح : أنه كان الأصل : يا أنيسين ، فكثر دورانه على الألسنة ، وحذف شطره وبقي يا سين .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ ذي الحكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة ، أو لأنه تنزيل من حكيم . ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ خبر بعد خبر ، أو صلة للمرسلين . فإن قلت : قوله ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ خبراً كان أو صلة أي حاجة إليه والمرسلون لا يكونون إلا كذلك ؟

قلت : ليس الغرض تمييز من هو على صراط مستقيم من الرسل عمن ليس كذلك ؛ بل القصد الإعلام بأنه سالك طريقاً لا يقدر قدرها ، ولا يعرف مقدار عظمتها (٢١٠ / ب) والتنكير دال عليه .

﴿ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ٤ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَءَ أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ ٥ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٦ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ ٧ ﴾ ٨ وَقَرَئَ ﴿ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ ممحوف ، وبالنصب على أعني ،

(١) فرأى جهور القراء بسكون النون والإظهار مع الواو ، وأدغم النون في الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحزة وحفص وقائلون وورش بخلاف عنه ، وقرأ بالفتح ابن إسحاق بخلاف عنه وعيسى بن عمر عن الغنوبي ، وقرأ الكلبي بالضم ، وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو السمائل بالكسر ، وأمال " يا " حزة والكسائي وأبو بكر . تنظر في : الإمام للعكاري (٢٠١ / ٢) ، البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٣) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٣) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٤ - ٤٧٥) ، السبعة (ص : ٥٣٨) ، المحتسب (٢ / ٢٠٣) ، البحر الوجيز (١٣ / ١٨٦) .

وبالجر على البدل من القرآن<sup>(١)</sup>.

**﴿فَوَمَا أَنذَرَ أَبَاؤُهُمْ﴾** ما : نافية ، أي : لتنذر قوماً لم ينذر آباءُهم ؛ على الوصف ، ويجوز أن تكون " ما " مصدرية ، أي : لتنذر قوماً إنذاراً مثل ما أندَرَ آباءُهم .

فإن قلت : فالمعنيان يتعارضان ؛ لأن الأول ينفي إنذار الآباء والثاني يثبته ؟ قلت : لا تعارض ؛ لأن الأول في نفي إنذار الآباء ، والثاني في إثبات إنذارهم أنفسهم .

فإن قلت : **﴿فَهُمْ غَنِيُّونَ﴾** بم يتعلق ؟ قلت : على الأول يكون متعلقاً بـ **﴿مَا أَنذَرَ﴾** أي : ترك الإنذار سبب غفلتهم . وعلى الثاني : متعلقة بـ **﴿إِنذِرَ﴾** كما تقول : أرسلتك إلى فلان لتنذرها فهو غافل . و**﴿إِلَى﴾** في قوله **﴿إِلَى الأَذْقَانِ﴾** على بابها من انتهاء الغاية متعلقة بمحذوف ، التقدير: فهي واصلة إلى الأذقان ؛ لأن ملتقى الغل من أمام الوجه تكون فيه حلقة تمنع مطاطة الرأس ، فلا يزال رافعاً رأسه مقمحاً ، يقال : أقمح البعير: إذا رفع رأسه من الشرب لبرد الماء ، وهما شهراً قماح وهما كانون الأول وكانون الثاني ؛ لأن الماء فيهما يبرد فيحتاج شاربه إلى أن يرفع رأسه قليلاً قليلاً .

وقد قال قائل : إن الضمير في قوله : **﴿فَهُمْ إِلَى الأَذْقَانِ﴾** راجع إلى الأيدي مضمومة إلى الأعناق وهو بعيد ؛ لأن ذلك لا يكون سبباً في الإقماح المذكور<sup>(٢)</sup> .

**﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَنًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَكَنًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ ① وَسَوَاءٌ عَنْهُمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ② إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ أَتَيَّ الْذِكْرَ وَخَلَقَ الْجَنَّ**

(١) فرأ بالرفع نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ، وقرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بالجر أبو حية واليزيدى وأبو جعفر وشيبة . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣٢٤ / ٧ ) ، الدر المصنون للسمين الحلى ( ٥ / ٤٧٥ ) ، السبعة ( ص : ٥٣٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٠ ) .

(٢) قال ذلك الطبرى في تفسيره ( ٢٢ / ١٥٠ ) وعبارته : " قوله إلى الأذقان يعني فأيامهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم فتكى عن الأعيان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين بمجموعة بها إليها فاستغنى بذلك كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأعيان ."

ورد ذلك الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٦ ) فقال : " ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجهو عنه ."

﴿بِالْغَيْتِ فَيَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١)

وقرئ " إنا جعلنا في أيديهم " ، " وفي أيديهم " <sup>(١)</sup> وهو ضعيف ؛ لما سبق من كون الغل سبباً في الإقامح . وقرئ **«سَدَا»** بالفتح والضم <sup>(٢)</sup> . وقيل : ما كان من فعل الناس بالفتح ، وما كان من فعل الله بالضم .

**﴿فَأَعْشَيْنَاهُمْ﴾** فألبستنا أبصارهم غشاوة ، أي : غطيناهم . وقرئ **«فَأَعْشَيْنَاهُمْ﴾** بالعين <sup>(٣)</sup> من العشاء ، وهو تعدد الإبصار بالليل . وقيل : نزلت في بيبي مخزوم ، وذلك أن أبو جهل حلف لمن رأى محمداً يصلى ليرضخن رأسه ، فجاء النبي ﷺ فصلى فأخذ أبو جهل حجراً ليرضخ به رأسه كما زعم ، فيبيست يده ولصق الحجر بجلده ، فلم يقدر على فكه إلا بجهد ، فقال مخزوم آخر : أنا أرضخ بهدا الحجر فقام ليفعل فأعمى الله بصره <sup>(٤)</sup> .

قوله عز وجل : **﴿فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ﴾** متعلق بقوله : **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدَا﴾** الآية ، أي : لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم ؛ لأجل السد المانع من ذلك ؛ لأنهم مت昑مون على النظر في الآيات . فإن قلت : قوله : **﴿إِنَّمَا نذِرُ﴾** (١٠/٢١١) إما يتوجه إذا كان الإنذار حاصلاً ، وقد تقدم قوله : **﴿مَا نذِرَ إِبْرَاهِيمَ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾** ؟

(١) قرأ " في أيديهم " ابن عباس بـ ، وقرأ ابن مسعود عليه السلام " في أيديهم " . تنظر في : تفسير القرطبي (١٥ / ٧) ، فتح القدير (٤ / ٣٦١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨١) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٧٣) .

(٢) قرأ حفص عن عاصم وجمزة والكسائي وخلف " سدا " بفتح السين ، وقرأ الباقيون " سدا " بضم السين . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٩٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٩٦) ، الدر المصنون للسميين الحلبي (٥ / ٤٧٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣١٦) ، التشر لابن الجوزي (٢ / ٣١٥) .

(٣) قرأ بها ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن وبيهقي بن يعمر وأبو رجاء وعكرمة .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٢٥) ، تفسير القرطبي (١٥ / ١٠) ، الدر المصنون للسميين الحلبي (٥ / ٤٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨١) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٤١٤) ، المحتسب لابن جنی (٢ / ٢٠٤) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٧٣) .

(٤) رواه الطبری في تفسیره (٢٢ / ١٥٢) ، ونسبة السیوطی في الدر المثور (٧ / ٤٣) للبهقی في الدلائل .

قلتُ : لما كان المقصود بالإذار الانكفار والانزجار فإذا لم يحصل فكانه لا إذار ، وإنما ينفع إذارك من كان غير مطبوع على قلبه ، وخشيا ربه بالغيب ومتفعا بـ «الذكر» أي : بالقرآن أو بالموعظة .

﴿إِنَّا نَحْنُ نُنْهِيُ الْمَوْقَفَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَمَا تَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾١٢﴾  
 وَأَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَنْتِينَ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا بِشَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾١٤﴾  
 قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكَذِّبُونَ ﴾١٥﴾  
 قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ  
 الْمُبِينُ ﴾١٧﴾

﴿نُنْهِيُ الْمَوْقَفَ﴾ حمل على الحقيقة . وقيل : يخرجهم من الكفر إلى الإيمان ؛ فجعل المجاز في الإحياء والإماتة . «وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا» ما أسلفوا من أعمال صالحة ، وما علموه من علم أو صنفوه من كتب أو حبسوه من حبس أو سيئة ؛ كالظلمات التي أحدثها الظلمة ، وتعليم الفاحشة والخنا ، وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : «يُبَطِّلُ الْإِنْسَنُ بِمَا يَعْمَلُ وَآخَرٌ» <sup>(١)</sup> أي : قدم من أعمال ، وأخر من آثاره . وقيل : هي أثر المشي إلى المساجد ، وأراد بعض الصحابة أن ينتقل إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ فقال له : " ابق على مسكنك ؛ فإن خطواتكم إلى المساجد من آثاركم ، وتلا : «إِنَّا نَحْنُ نُنْهِيُ الْمَوْقَفَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا» الآية <sup>(٢)</sup> . فـ «إِمَامٍ مُّبِينٍ» أي : في كتاب ، وأراد بالكتاب : اللوح المحفوظ .

﴿وَأَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ أي : واجعل أصحاب القرية مثلاً لهم ، وهو كقولك : عندي ضرب من هذا المatum ، وضررت القصة خاتماً ، وضررت الطين لينا .

و﴿الْقَرْيَةُ﴾ أنطاكية ، و﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ رسل عيسى عليه السلام ، ويعثthem عيسى دعوة إلى الحق . «فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا» <sup>يشالث</sup> فقوينا <sup>يشالث</sup> وهو شمعون الصفّا وكان عيسى قد بعث

(١) سورة القيمة ، الآية (١٣) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠٦٨) عن جابر بن عبد الله <sup>ج</sup> قال : « خلت البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله <sup>ص</sup> فقال لهم : إنه بلغني أنكم تريدون أن تتنقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم » .

اثنين إلى أنطاكية ، فلما بلغا الرسالة إلى الملك لم يقبلهما وحبسهما ، ثم بعث عيسى رجلاً ثالثاً وهو شمعون فتحيل حتى اتصل بجاشية الملك وكان يحضر في مجلس الملك فقال يوماً للملك : إنه بلغني أنك جبست رجلين جاءاك برسالة ؟ فقال : نعم ، أحضروهما فأحضروهما ، فسألهم شمعون : فقالا : ربنا الذي يحيي ويميت ، فنحن نبرئ الأكمه والأبرص فأحضر الملك غلاماً أعمى ، فدعوا الله عز وجل فانشق موضع البصر ، ثم أخذنا بندقين من طين فوضعاهما في موضع شق العين ، فصارا مقلتين صحيحتين ؟ فقال شمعون للملك : إن قدر إلههما أن يحيي ميتاً آمنا به ، والملك يحسب أن شمعون من أصحابه ، وكان شمعون يدخل معهم إلى الأصنام فيسجد معهم في سجودهم (٢١١/ب) ويترسّع إلى الله تعالى ، فقال شمعون للملك : إن أحيا هذان ميتاً قويت حجتها ، فأحضر الملك غلاماً له مات من سبعة أيام ، فأحياء الله تعالى بدعائهم ، وقال : إني أدخلت في سبعة توابيت من نار ، فآمنوا بالله ورسله ؛ فإني رأيت السماء قد انشقت ورأيت شخصاً يشع هؤلاء الثلاثة ، فانكشف حال شمعون ، وعرفوا أنه على دين عيسى عليه السلام ، ودعا شمعون الملك إلى الله عز وجل فأجابه وكذبه الآخرون ؛ فأهلك الله تلك القرية كلها ؛ نزل جريل وأخذ بعضاً مني بباب المدينة ، وصاح صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين <sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيْرَنَا يِكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لِنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِيَسْتَكْمُرْ مَنَا عَذَابُ الْيَسْرِ﴾ <sup>١٨</sup> قَالُوا طَطَّيْرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكَّرَرُ قَبْلَ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ <sup>١٩</sup> وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ <sup>٢٠</sup> أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْمُرُ أَجْرًا وَهُمْ مُهَمَّدُونَ <sup>٢١</sup> وَمَا لَيْ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ <sup>٢٢</sup> أَتَخْدِي مِنْ دُونِهِ إِلَهَكُمْ إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِضَرِّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِدُونَ <sup>٢٣</sup> إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ <sup>٢٤</sup> إِذْنٌ إِذَا مَنَّتْ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونِ <sup>٢٥</sup> قِيلَ أَدْخُلْ لَجْنَةً قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ <sup>٢٦</sup> بِمَا عَفَرَ لِرَقِ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمَينَ <sup>٢٧</sup>﴾

﴿نَطَّيْرَنَا يِكُمْ﴾ تشاءمنا ؛ كما قالوا لصالح وللمؤمنين الذين معه : « قَالُوا طَطَّيْرُكُمْ مَعَكُمْ » <sup>(١)</sup>. « لِنَرْجِمَنَّكُمْ » قيل : بالحجارة . وقيل : لنقتلنكم . قالت لهم الرسل جواباً :

(١) ذكره بهذا السياق الرمسي في الكشاف (٤ / ٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٤٧) .

﴿طَبِّرُوكُمْ مَعَكُمْ﴾ يعني أن هذا الشؤم الذي أصابكم إنما هو شؤم معاذبكم . ﴿أَئِنْ ذُكْرَهُ﴾ أعرضتم وتغافرت بـها . وجاء حبيب التجار من آخر المدينة لما سمع بجتماع الناس لقتل الرسل ، وكان قد آمن من قبل ذلك بالحواريين . ﴿قَالَ يَنْقُوُهُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْنُوكُمْ أَجَرًا﴾ على دعائه ﴿وَهُمْ مُهَتَّدُونَ﴾ آثم الناس عقلاً وذلك أن التهمة تحصل لمن دعا إلى أمر ينشئه إما بأن له في ذلك غرضاً ، وإما أن يكون في عقله نقص ، ففضى الله هذين المانعين عن الرسل ؛ وقال : ﴿وَهُمْ مُهَتَّدُونَ أَتَيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْنُوكُمْ أَجَرًا﴾ ثم تلطف حبيب التجار في تخلص الرسل بأن فرض الكلام في غلط نفسه وشرع يلومها فقال : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَ﴾ ولم يقل : ما لكم ؟ ونظيره في التلطف قول مؤمن آل فرعون : ﴿أَنْفَقْتُنَا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّ اللَّهِ﴾ ثم قال : ﴿وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ فقد قسم الكذب مع علمه بأن الرسول لا يكذب ؛ لأن الملوك لا يخاطبون بما يكرهون . ثم قال : ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ <sup>(١)</sup> وإذا كان صادقاً أصحابهم كل ما وعدهم به ، ثم صرخ حبيب التجار بموافقته لدين عيسى فقال : ﴿إِذْتَءَامَنْتَ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعْتُونَ﴾ فقتلوه ، فلما وقف بين يدي الله - تعالى - ورأى ما أعده له من الكرامة أدركته الشفقة على قومه فقال : ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ يَمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ﴾ يجوز أن تكون " ما " في ﴿يَمَا غَفَرَ﴾ استفهامية ، أي : بأي شيء جعل لي الغفران ، وأن تكون موصولة (١٢/١) والتقدير: يعلمون أي شيء غفر لي من الذنوب ، وأن تكون مصدرية ؛ أي : بمغفرة رببي ، إلا أنها إذا كانت استفهامية فالغالب حذف ألف الاستفهام ؛ ونحوه : ﴿فَلَيَظْرُفَ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> ولم يقل: عما، ﴿فِيمَ بَيْشُرُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> ولم يقل: فيما ، ويجوز ثبوت ألف مع الاستفهام ؛ كما قال حسان بن ثابت الأنباري [من الوافر]:

عَلَى مَا قَامَ يَسْتَهِنُ لَئِيمٌ كَخْزِيٍ رَئَمٌ رَئَعٌ فِي رَمَادٍ<sup>(٥)</sup>

(١) سورة غافر، الآية (٢٨) .

(٢) سورة الطارق ، الآية (٥) .

(٣) سورة النبأ ، الآية (١) .

(٤) سورة الحجر ، الآية (٥٤) .

(٥) ينظر في : تفسير الطبرى (١٩ / ١٥٦) ، تهذيب الأسماء للنووى (٣ / ٣١٠) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٠) ، لسان العرب (قوم) .

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنُدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَاصِيحةً  
وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ حَكِيمُونَ ﴾ (٢٩) يَحْسِرَةً عَلَى الْعَبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ ﴾ (٣٠)  
أَتَرِئُوا كَمْ أَهْلَكَنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقَرْوَنِ أَتَهُمْ لِأَيْمَانِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٣١) ﴿

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا ﴾ وما احتجنا في إهلاك قومه إلى أن نبعث جندا . « وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ » وما كان  
هذا من شأننا وعادتنا . « إِنْ كَانَتْ » إهلاكتهم إلا بصيحة واحدة صاحها جبريل ، فهل كانوا  
أجمعين ، يعني : إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة ، وقرئ بالرفع على التامة وهي  
بعيدة <sup>(١)</sup> لأن التقدير يصير : وما وجد إلا صيحة . « حَكِيمُونَ » كالنار إذا طفت وبقيت  
رمادا .

﴿ يَحْسِرَةً ﴾ نادى الحسراة كأنه قال : يا حسراة هذا وقتك فتعالي . وقيل : هم أحفاء بأن  
يقال عليهم يا حسراة على هؤلاء العباد . « كَمْ أَهْلَكَنَا » ليس معولا لقوله : « أَتَرِئُوا ﴾  
لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله <sup>(٢)</sup> ، سواء كانت للاستفهام أو للخبر ، إلا أن الفعل  
عامل في « كم » من جهة المعنى ، والتقدير : ألم يروا كثرة إهلاكتنا ؟ كما تقول : ألم تر أن أباك  
المنطلق ، فعملت في المعنى لا في اللفظ . وقوله : « أَتَهُمْ لِأَيْمَانِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ يبطل قول أهل  
الرجعة <sup>(٣)</sup> . وروي أن رجلا قال لابن عباس : إن عليا مبعوث فقال : " بئس القوم نحن ،  
نكرحنا نساء ، وقسمنا ميراثه " <sup>(٤)</sup> .

(١) قرأ بها أبو جعفر وشيبة والأعرج ومعاذ القراء . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣٢ ) ،  
تفسير القرطي ( ١٥ / ٢١ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٠ ) ، فتح القدير للشوكاني  
( ٤ / ٣٦٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣٢٠ / ٣ ) ، المحاسب لابن جني ( ٢ / ٢٠٦ ) ، التشر لابن  
الجزري ( ٢ / ٣٤٩ ) .

(٢) وذلك لأن الاستفهام له صدر الكلام ، ولكن يعمل فيه ما بعده ؛ لأنه لا يخرجه عن المصدر في اللفظ .  
ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكري ( ١ / ١١٠ ، ٢٢٣ ) ، شرح شذور الذهب لابن هشام  
( ١ / ١٦٢ ) ، مغني الليب لابن هشام ( ١ / ١٨٩ ، ٥٤٥ ) .

(٣) أهل الرجعة ويسمون الرجعة فرقة من فرق الرافضة زعموا أن عليا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا  
ويتقمون من أعدائهم . ينظر عنهم : تلبيس إيليس لابن الجوزي ( ١ / ٣٢ ) ، مقالات الإسلاميين  
لأبي الحسن الأشعري ( ١ / ١٥ ) .

(٤) نسبة الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ( ٣ / ١٦٤ ) للحاكم في مستدركه في فضائل الصحابة عن  
أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن الأصم قال : قلت : للحسن بن علي : إن هذه الشيعة تزعم أن عليا =

﴿ وَلَنْ كُلَّ لَمَّا جَيَّعَ لَدَنَا حُضُورُونَ ٢٢ ﴾ وَمَا يَهُمُ الْأَرْضُ الْمُتَّهَةُ أَحَيْنَاهَا وَأَخْرَجَنَا مِنْهَا حَبَّا فَيَقُولُنَّ ٢٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ تَحْبِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ٢٤ لِيَأْكُلُوا مِنْ شَرَرِهِ وَمَا عَمِلْتَهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشَكُّرُونَ ٢٥ ﴾

قرى ﴿لَمَّا﴾ بـ تخفيف الميم <sup>(١)</sup> على أن ﴿وَمَا﴾ زائدة ، وألام هي الفارقة بين النافية والمثبتة والمعنى : أنهم حضرون للحساب والجزاء كما مضى في عدة مواضع . فإن قلت : لم أخبر عن ﴿ كُلٌّ بِـ جَيَّع﴾ ولغناهما سواء ؟ قلت : هما مختلفتان ؛ لأن ﴿ كُلٌّ ﴾ يفيد معنى الإحاطة والشمول ، وـ ﴿ جَيَّع﴾ يفيد الاجتماع ، والجميع : فعل ، معنى مفعول ، وتقديم ﴿ فَيَقُولُنَّ ﴾ على ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ لأن الحب فيه قوام الآدميين والحيوانات ، فإذا قل جاء القحط وغلا السعر . ﴿ وَمَا عَمِلْتَهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ هو سقي النبات والأشجار ، واستنباط العيون والآبار . وذكر النخيل والأعناب ثم أفرد الشمر في قوله : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ شَرَرِهِ ﴾ لأنه إذا علم حكم النخل في الشمر عرف مثله في الكرم . وقيل : أراد : ليأكلوا من ثمر ذلك ، قال رؤبة في حمر الوحش [ من الرجز ] :

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقٍ      كأنه في الوجه توليع البهقٍ <sup>(٢)</sup>

(٢١٢/ب) فقيل له في ذلك ، فقال : أردت : كأن ذلك .

= عليه السلام مبعوث قبل يوم القيمة فقال كذبوا ما أولئك شيعة لو كان مبعوثاً ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله انتهى وسكت عنه . وذكره السيوطي في الدر المثور (٧ / ٥٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي إسحق قال قيل لابن عباس إن ناساً يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيمة ، فسكت ساعة ثم قال : بش القوم نحن إن كنا أنكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه أما تقرأون ﴿ أَتَرِبِّ أَكْرَاهُنَّكُمْ فَنَهَمُ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحزنة وابن جهاز "لما" بالتشديد ، وقرأ الباقون "لما" بالتفخيف .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٥٩٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢١) ، مجمع البيان (٨ / ٤٢٢) ، النشر لابن الجزرري (٢ / ٢٩١) .

(٢) ينظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٤) ، غريب الحديث للحربي (٣ / ١٠٣١) ، الكشاف للزمخشري (١ / ١٤٩ ، ١٤٩ / ٤) لسان العرب (بهق) ، وبروى : كأنه في الجسم توليع البهق . وكأنه في الجلد توليع البهق .

ولك أن تجعل " ما " في قوله : ﴿وَمَا عِيلَتُهُ أَيْدِيهِم﴾ نافية ، أي : ولم تعمله أيديهم .

﴿سَبَحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وَإِيَّاهُ لَهُمْ أَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ الْهَارِ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرِرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾<sup>(٥)</sup> وَالقَمَرُ قَدَرَنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيرُ ﴾<sup>(٦)</sup> لَا أَشْمَسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرُ وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبِحُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿الْأَرْوَاحَ﴾ الأصناف ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها . وفي الحديث : " أعددت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " <sup>(٨)</sup>. ونحوه : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا حَفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرْآنٍ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلم ، يقال : أظلمنا ؟ كما يقال : أعتمنا .

﴿الْمُسْتَقْرِرُ لَهَا﴾ لحد مؤقت . قيل : المستقر : هو مجرها من المشرق إلى المغرب ، ومن المغرب إلى المشرق ؛ فهو مجرها الذي لا تفارقه . وقرئ (تحري إلى مستقر لها) وقرأ ابن مسعود : " تحري لا مستقر لها " <sup>(١٠)</sup> ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ﴾ أي : ترتيب الشمس والقمر في البروج وسيرهما على حساب لا يختل نظمه أي تقدير ﴿الْعَزِيز﴾ الغالب ﴿الْعَلِيم﴾ بالصالح . قرئ " والقمر " <sup>(١١)</sup> رفعاً على الابتداء ، أو عطفاً على الليل ، ولا بد من تقدير مضاد ؛ أي : قدمناه ذا منازل ؛ لأن القمر نفسه لم يصر منازل . ﴿كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيرُ﴾ هو العذق وشبه به ؛ لأنه يصفر عند يبسه صفرة ليست بنيرة كصفرة القمر إذا عاد هلالا وقال

(١) تقدم تحريره في سورة السجدة .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١٧) .

(٣) قرأ ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقي والصادق بن الباقي " لا مستقر لها " وأما القراءة الثانية فلم أقف على من قرأ بها . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٥) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ٣٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٦) ، مجمع البيان للطبرسي (٨ / ٤٢٣) ، المحتسب لابن جني (٢ / ٢١٢) .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح " والقمر " بالرفع ، وقرأ الباقيون " والقمر " بالفتح . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٦) ، تفسير القرطبي (١٥ / ٢٩) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٩٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٩٩) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٥) ، السبعة (ص: ٥٤٠) ، فتح القدير للشوکانی (٤ / ٣٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٢) ، النشر (٢ / ٣٥٣) .

الزجاج: العرجون : فعلون من عرج ، إذا انعطف ، ثم سير هذين الكوكبين على طريقة لا تنخرم <sup>(١)</sup> وهو معنى قوله : «لَا أَشَّمْ يَبْغِي لَهَا نَدِيرَكَ الْقَمَرِ» .

وأقل مدة تتصف بالقدم سنة ، فلو حلف : لا يبقى عنده عبداً قدماً . وكان عنده عبد له سنة في ملكه حنت . هكذا قال الزمخشري <sup>(٢)</sup> وليس ذلك بمذهب الشافعي <sup>(٣)</sup> .

إنما جعل للشمس معنى الإدراك وللقمريني السابق ؛ لأن القمر يقطع الفلك في كل شهر فهو حقيق بأن يوصف بسرعة السير، والشمس لا تقطعه إلا في سنة كاملة فهي حقيقة بعدم الإدراك لبطء سيرها . «ذُرِّيَّتُهُمْ» يطلق على النساء ؛ تقول : سبا ذريته ، أي : نساءه " ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان " <sup>(٤)</sup> .

**﴿وَإِيمَانٌ لَهُمْ أَنَّا حَلَّنَا ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَسْحُونِ ﴾١١ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرَكِبُونَ ﴾١٢ وَإِنْ شَاءَ نَغْرِيْهُمْ فَلَا صَرِيعٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ بِمُغَدِّرْوْنَ ﴾١٣ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَّا وَمَتَّعْنَا إِلَيْهِ حِينَ ﴾١٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَنَّقَوْا مَا يَنْ أَيْدِيْكُمْ وَمَا خَلَفُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْجَمُونَ ﴾١٥ وَمَا تَأْتِهِمْ مِنْ عَايَةٍ مِنْ عَائِدَتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾١٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مَتَّارِزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْيَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾١٧﴾**

وذريتهم أيضاً اسم للأباء والأجداد في قوله تعالى : «وَإِيمَانٌ لَهُمْ أَنَّا حَلَّنَا ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَسْحُونِ» أي : حملنا آباءهم في سفينه نوح ، وهم في أصلاب آبائهم . «مِنْ مِثْلِهِ» أي : من مثل الفلك . «مَا يَرَكِبُونَ» من السفن والزوارق . الصریح : المغيث أو الإغاثة نفسها . «إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَّا وَمَتَّعْنَا إِلَيْهِ حِينَ» إلى أجل موتون فيه ، قال الشاعر (١/٢١٣) [من الوافر] :  
وَلَمْ أَسْلَمْ لَكَ يَأْبَى وَلَكَنْ سَلَمْتُ مِنَ الْحِمامِ إِلَى الْحِمامِ <sup>(٥)</sup>

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٨٨) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤ / ١٧) .

(٣) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٧ / ٦١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٠١٥) ، ومسلم رقم (١٧٤٤) ، وأبو داود رقم (٢٦٦٨) ، والترمذى رقم (١٥٦٩) ، وابن ماجه رقم (١٨٤١) ، وأحمد في المسند (٢ / ٢٢ ، ٢٣) ، وابن حبان في صحيحه رقم (١٣٥) عن ابن عمر ب.

(٥) البيت للمتنبي، ينظر البيت في : تفسير أبي السعود (٧ / ١٦٩) ، روح المعاني للألوسي (٢٣ / ٢٨)، الكشاف للزمخشري (٤ / ١٨) .

﴿تَقُوَا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ كقوله : «أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» الآية<sup>(١)</sup>. وقيل : المراد : انظروا في أخبار الأولين ، وما جرى على المذنبين ، وما خلفكم من أمر الساعة . «لَعَلَّكُمْ تَرْجِحُونَ» لتكونوا على رجاء رحمة ، وجواب «وَإِذَا» مخدوف مدلول عليه بقوله : «إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُغَرِّبِينَ» أي : أعرضوا . كان المشركون معطلين ، لا يعتقدونبعث ، وكانوا يسمعون المؤمنين يقولون : أفعالنا بمشيئة الله ، ويقولون : لو شاء الله لآغنى فلانا أو لأفقره ، فجري ذكر الإطعام على هذا النمط ؛ فقال المشركون : «أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْيَشَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ» استهزاء ، والمؤمنون يقولون ذلك حقيقة ، وقد شارك الزمخشري الكفار في اعتقادهم في هذه المسألة<sup>(٢)</sup> . وهي عندها حق ، ولكن وجه إنكارها أنهم قالوها على وجه الاستهزاء ؛ كانوا يقولون إذا قيل لهم أنفقوا : «أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْيَشَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ» .

وعن ابن عباس : " كان بالمدينة زنادقة إذا قيل لهم : أطعموا الفقراء ، قالوا : لا والله لا نطعم من لو أراد أطعمه ، وكانوا يقولون : الله قادر على إطعام هذا الفقير ، ولو شاء لفعل فنحن نقتدي بما فعله الله معه "<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قاله الله لهم ، أو قاله المؤمنون ، أو من جوابهم للمؤمنين  
 ﴿وَيَقُولُونَ مَقْنَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ما يَنْظَرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَجَهَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَنْخَصِّمُونَ<sup>(٥)</sup> فَلَا يَسْتَطِعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ<sup>(٦)</sup> وَنُفَخَ فِي الصُّورِ إِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَرْسُلُونَ<sup>(٧)</sup> قالوا يَوْمَنَا مِنْ بَعْدِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ<sup>(٨)</sup>

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَجَهَةً﴾ قيام الساعة وهم في أسواقهم وخصامهم . وفي الحديث : " لتقونن الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها "<sup>(٩)</sup> . وقيل : يختصمون في أن الساعة هل تكون أو لا تكون . ﴿فَلَا يَسْتَطِعُونَ تَوْصِيَةً﴾ بل يموتون عند سماع الصيحة ، ثم بعد ذلك

(١) سورة سباء ، الآية (٩) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤ / ١٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ١٩) ، ونسبة الماوردي في النكث والعيون (٣ / ٣٩٤) لقتادة .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٩٥٤) ، ومسلم رقم (٦٥٠٦) ، وابن ماجه رقم (٧١٢١) ، ومسند أحمد رقم (٣٩٤) عن أبي هريرة رض .

يذهبون مهطعين إلى الداعي وهو إسراويل و«الصُّور» القرن الذي ينفع فيه .

وقيل: جمع صورة . وقرئ «الصُّور» بفتح الواو<sup>(١)</sup> . و«الأَجَدَاثُ» القبور ، وقرئ بالفاء<sup>(٢)</sup> . «يَنْسِلُونَ» يسرعون بكسر السين وضمها<sup>(٣)</sup> وهي النفخة الثانية . قرئ ( من أهينا ) بمعنى : من أيقظنا ، وقرئ " مِنْ بَعْثَنَا " <sup>(٤)</sup> على الجار وال مجرور ، و" ما " خبر وهي موصولة أو مصدرية . ويجوز أن يكون «هَذَا» صفة للمرقد ، و«مَا وَعَدَ» خبر مبتدأ مذوف ، أو «مَا وَعَدَ» مبتدأ وخبره مذوف . قيل : إن الكفار يجدون بين النفختين هجعة يُرْفَعُ ( ٢١٣ / ب ) عنهم العذاب فيها ، فإذا صيغ بهم قالوا : «يَوْمَ لَنَا مَنْ بَعْثَنَا مَرْقِدِنَا » وقوله : «هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ » من كلام الملائكة ، أو كلام المتدين . وقيل : من كلام الكفار ؛ يتذكرون ما سمعوه من الرسل ، فيجيب بعضهم بعضاً به .

وإذا كانت «مَا» مصدرية كان التقدير : هذا ما وعد الرحمن ، ولا يمكن أن يقال : وهذا صدق المسلمين ، فلنرجع إلى القول بأنها موصولة ، والتقدير: هذا الذي وعد الرحمن والذي صدق فيه المسلمون ، من قولك : صدقني سن بَكْرِه<sup>(٥)</sup> .

وقوله : «مِنْ بَعْثَنَا» سؤال عن الباعث ، وجوابه بتعيينه ، لكن طابقه ما بعده ؛ لأن المعنى : بعثكم الرحمن الذي صدق الوعد وأنبأكم به الرسل ؛ كأنه قيل : الأهم بكم السؤال

(١) قرأ بها قتادة . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٧٨ ) ، تفسير للقرطبي ( ١١ / ٢٤٤ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٥٤ ) ، الكشاف للزخشري ( ٢ / ٥٥٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٥٩ ) ، المحرر الوجيز لابن عطية ( ١١ / ١٠٥ ) .

(٢) تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٨ ) وقال السمين : وهي لغة في الأجداث .

(٣) قرأ " يَنْسِلُونَ " بضم السين ابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية عنه . وقراءة العامة " يَنْسِلُونَ " بالكسر .

تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٨ ) .

(٤) قرأ أبي بن كعب هَلَّتْ " من أهئنا " وقرأ ابن عباس بـ وأبو نهيك " مِنْ بَعْثَنَا " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٤١ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٨ ) ، فتح القدير للشوكتاني ( ٤ / ٣٧٤ ) ، الكشاف للزخشري ( ٣ / ٢٨٩ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٤ / ٤٢٨ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٢١٤ ) .

(٥) تقدم تخریج المثل في تفسیر سورۃ الأحزاب ، الآیة ( ٢٣ ) .

عنبعث؛ فليس هذا هو البعث الذي يراد به النوم في الدنيا؛ بل المراد به البعث الأكبر والحضر الأعظم.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدِينَا مُخْضُرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا نُظْلِمُ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا نُخْرُقُ إِلَامًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً﴾ قرئ برفعها وبنصبها<sup>(١)</sup>.

﴿فِي شُغْلٍ﴾ وأي شغل؟ وقيل: في شغل افتراض الأباء . وقيل: في سماع ضرب الأوتوار . وقيل: في التزاور . وقيل: في ضيافة الله . وقيل: شغلهما عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه . وقيل: هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم .

والفاكه والفكه: المتنعم، وسمي المزاح فكاهة؛ للتلذذ به، كما يتلذذ بالفاكهه . وقرئ ﴿فَكِهُونَ﴾ و﴿فَكِهُونَ﴾ وقرئ ﴿فَكِهِينَ﴾<sup>(٢)</sup> على أنه حال، والظرف مستقر .

﴿هُمْ﴾ يجوز أن يكون مبتدأ ، وأن يكون مؤكدا للضمير في ﴿شُغْلٍ﴾ على أن أزواجاهم يشاركون في ذلك الشغل ، وفي التفكه والجلوس تحتظلال .

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَبِّرُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنِكَهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَعُونَ سَلَمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحْمَةٍ ﴿٥٧﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيْمَانَ الْمُتَحَرِّمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا أَعْهَدْتُ إِلَيْكُمْ يَتَبَيَّنِي إَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥٩﴾﴾

والأريكة: هي السرير في الحجلة . ﴿يَدَعُونَ﴾ يفعلون من الدعاء؛ أي: يدعون لأنفسهم؛ كقولك: أشتوى واحتمل: إذا شوى وحمل لنفسه . وقيل: ﴿يَدَعُونَ﴾ يتمنون؛

(١) قرأ جهور القراء "صيحة" واحدة بالنصب ، وقرأ أبو جعفر "صيحة واحدة" بالرفع . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٣٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٠)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٦)، النشر لابن الجزرى (٢ / ٣٥٣).

(٢) قرأ جهور القراء "فاكهون" وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو حيوة وأبو رجاء وشيبة وقادة ومجاهد "فَكِهُونَ" وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف "فَكِهِينَ" . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤٢)، تفسير القرطبي (٤٤ / ١٥)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٩)، فتح القدير للشوكانى (٤ / ٣٧٦)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٧)، معانى القرآن للقراء (٢ / ٣٨٠)، النشر لابن الجزرى (٢ / ٣٥٤).

تقول لمن تكرمه : أدع ما شئت . وقال الزجاج : هو من الدعاء ، أي : ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم <sup>(١)</sup> . ﴿سَلَّمٌ﴾ بدل من ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ ﴿وَمَنْ رَبِّ رَحْمَةً﴾ نحية من الله لهم أي : سلام خالص من الشوب والكدر . ﴿فَوَلَا﴾ مصدر مؤكد ؛ لقوله : ﴿وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ والأحسن أن يكون نصباً على الاختصاص .

﴿وَأَمْتَرُوا﴾ أي : وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة . وذلك حين يساق المؤمنون إلى الجنة ، ونحوه قوله : ﴿يَوْمَ إِذْ يَقْرَفُونَ﴾ <sup>١٤</sup> ﴿فَامَّا الَّذِينَ اَمْتُرُوا﴾ الآيتين <sup>(٢)</sup> .

يقال : مازه فاغماز وامتاز . وقيل : اعتزلوا عن كل خير . وقيل : لكل كافر بيت في النار (١/٢١٤) لا يرى أحداً ولا يُرى . العهد : الوصية ، وعهد الله إليهم : ما رکزه فيهم من أدلة العقل ، وأنزل عليهم من دلالة السمع . وعبادة الشيطان : طاعته .

قرئ : "إعهد" بكسر المهمزة . وباب " فعل" يجوز في جميع حروف مضارعته الكسر إلا الياء ، وقرئ " أحهد" و " أحد" <sup>(٣)</sup> ومنه قوله : دحا حما .

﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ <sup>٦١</sup> ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ حِلَالًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَقْلِيلُونَ هَذِهِ﴾ <sup>٦٢</sup> ﴿جَهَنَّمَ الَّتِي كُشِّمْتُمُ تُوعَدُونَ﴾ <sup>٦٣</sup> ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ <sup>٦٤</sup> ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهِّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ <sup>٦٥</sup> ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّ يُبَصِّرُونَ﴾ <sup>٦٦</sup> ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَسَخَنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ فَمَا أَسْطَلْنَا عُوْمَضِيَا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ <sup>٦٧</sup> ﴿وَمَنْ تَعْمَرْهُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلُقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ وَمَا عَلَمْنَا اللَّهُ شِعْرًا وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾ <sup>٦٨</sup>

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى ترك طاعة الشيطان ، ولا صراط أقوم من اجتناب الشيطان ، ومنه

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٢٩٢) .

(٢) سورة الروم ، الآية (١٤) .

(٣) قراءة العامة "أعهد" بالفتح ، وقرأ طلحة بن مصرف والمذيل بن شرحبيل الكوفي "إعهد" بكسر همزة المضارعة وهي لغة في حرف المضارعة ، وقرأ ابن وثاب "أحد" وهي لغة تميم وحكي الزمخشري "أهد" وهي لغة هذيل . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤٣) ، الدر المصنون للسمين الخلبي (٥ / ٤٩١) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٣٢٧) .

قول كثير [ من الطويل ] :

لَئِنْ كَانَ هُدًى بَرُدُّ أَنِيَهَا الْعُلَا لَأَفَقَرَ مَنْتَى إِنْتَى لَفَقِيرٌ<sup>(١)</sup>

ويجوز أن يراد : هذا هو الصراط المستقيم وما سواه معوج . « ولَمَّا أَصَلَّ مِنْكُمْ »  
الشيطان « حِيلًا » و « جُبْلًا » و « جُبْلاً » و « جُبْلاً »<sup>(٢)</sup> وهي لغات في معنى الخلق ،  
جُبْلاً جمع جِبْلَة كفطرة وفطر . ويروى أن الكفار إذا شهدت عليهم الحفظة أنكروا وكذبوا ،  
فيختم على أفواههم وتتكلم الجوارح بما عملوا . وفي الحديث : " إن الكافر يقول : إنني لا  
أجيز إلا شاهدًا من نفسي فيختم على فيه ، ويقال لأركانه : انطق ، فتنطق بأعماله ، ثم  
يخلو بيته وبين الكلام ، فيقول : بعدًا لكنْ وتعسًا ؛ فعنكْ كنتُ أناضل " <sup>(٣)</sup> .

الطمس : تعفية شق العين حتى تبقى ممسوحة . « فَأَسْتَبِقُوا الصَّرَاطَ » أي : فاستبقوا إلى  
الصراط ؟ فحذف الجار وأوصل الفعل ، أو تضمن معنى ابتدروا ، ويجعل الصراط مسبوقاً  
لا مسبوقاً إليه ، والمعنى : أنا لو طمسنا على أعينهم فتسابقوا إلى الطريق المسلوك في  
حوائجهم على عادتهم القديمة - لم يستطعوا . والمكان والمكانة واحد ؛ كالمقام والمقامة ،  
أي : لمسناهم وغيرنا خلقهم فلا يستطيعون مضيّا ولا استقراراً . وقيل : لمسناهم قردة  
وخنازير . أو : لمسناهم حجارة . « تَنَكِّسَتِ فِي الْخَلْقِ » خلقه على خلاف ما خلقناه ؟

(١) البيت لابن الدمية ، ينظر في : الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى ( ١ / ٧٨١ ) ، شرح ديوان الحماسة  
للمرزوقي ( ٢٢٢٣ ) ، عيون الأخبار لابن قتيبة ( ٢٦٢٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٢٣ ) قال  
المرزوقي في شرح الحماسة : " قوله : يهدي يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف ، ويجوز أن يكون من  
المداء الرفاف . أنيابها على ، يراد به الشرفة العالية الشان . ويجوز أن يراد بالعلى الأعلى من الأسنان ،  
لأنها موضع القبل . ويعنى برد الأسنان : عذوبة الرضاب عند المذاق . وقوله : إنني لفظير ، فعييل بناء  
المبالغة ، ولا سيما إذا أطلق إطلاقاً ، فلا يقال فظير إلى كذا وكذا فيخصص . والمعنى : إن كان يتربص  
بعتص مضحكها ، وواضح مقبلها ، وطيب رضابها ، ويراد أسنانها ، لمن هو أفقر مني إليها ، فإني الفقير  
مطلقاً . والمعنى : لا غاية وراء فقري " .

(٢) فرأى نافع وعاصم وأبو جعفر " جُبْلاً " وقرأ ابن كثير ومحنة والكسائي ورويس وخلف " جُبْلًا " وقرأ  
أبو عمرو وابن عامر " جُبْلاً " وقرأ روح " جُبْلاً " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان  
( ٧ / ٣٤٤ ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٤٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٩٩ ) الحجة لأبي زرعة  
( ص : ٦٠٢ ) ، الدر المصور للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٩١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٤٢ ) ،  
الكتشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٨ ) ، التلشير لابن الجوزي ( ٢ / ٣٥٥ )

(٣) رواه مسلم رقم ( ٢٩٦٩ ) ، والنمسائي في السنن الكبرى رقم ( ١١٦٥٣ ) عن أنس ~~عنه~~ .

أي: لا يزال يتزايد في القوى إلى أن يتنهى إلى الكهولة ، فيعود من القوة إلى الضعف حتى يتنهى ، وفي ذلك دليل على أن من قدر على الطمس والمسخ والتقليل من حال إلى حال قادر على أن يخلقه كيف يشاء .

كان عقبة بن أبي معيط يقول : إن الذي يأتي به محمد شعر ، وقد أخطأ عقبة ؛ فليس القرآن على أوزان الشعر ، ولا على قوافيه ، والذي جاء به محمد ليس بشعر ، إلا أن القرآن لفظه عربي ؛ كما أن الشعر كذلك . ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي : وما يأتي له ، وأما قوله :

أَنَا إِلَيْنِي لَا كَذْبٌ      أَنَا بْنُ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ<sup>(١)</sup>

(٢١٤ ب) قوله:

هل أنت إلا أصبع دميٍّت      وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ<sup>(٢)</sup>  
فليس بـشعر مقصود ، وقد يتفق في كلام الإنسان كلام متزن لا يقصد به شعراً<sup>(٣)</sup> .

(١) قاله الرسول ﷺ في غزوة حنين ، رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧١٣) ، ومسلم رقم (٣٣٢٥) .

(٢) قاله ﷺ في إحدى الغزوات ، رواه البخاري رقم (٢٥٩٢) ، ومسلم رقم (٣٣٥٣) .

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٢ / ١١٨) : " قال القاضي عياض : قال المازري : أنكر بعض الناس كون الرجل شعراً لوقوعه من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا عَنَّنَهُ النَّشَرُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ وهذا مذهب الأخفش ، واحتج به على فساد مذهب الخليل في أنه شعر . وأجابوا عن هذا بأن الشعر هو ما قصد إليه واعتمد الإنسان أن يوقعه موزوناً مفقي يقصده إلى التافية ، ويقع في الفاظ العامة كثير من الألفاظ الموزونة ولا يقول أحد إنها شعر ولا صاحبها شاعر ، وهكذا الجواب عمما في القرآن من الموزون قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَاءُوا أَلْبَرَحَّتْ تُنْفِقُوا مَا تَحْبُّبُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَصَرَرْتُنَّ اللَّهَ وَقَتَّرْتُ فَرِيَّبَ﴾ ولا شك أن هذا لا يسميه أحد من العرب شعراً لأنه لم تقصد تففيته وجعله شعراً قال: وقد غفل بعض الناس عن هذا القول فأوقعه ذلك في أن قال الرواية أنا النبي لا كذب بفتح الباء . حرصاً منه على أن يفسد الرواية فيستغني عن الاعتذار ، وإنما الرواية بإسكان الباء . هذا كلام القاضي عن المازري . قلتُ (أبي النووي) : وقد قال الإمام أبو القاسم علي بن أبي جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاط في كتابه الشافي في علم القوافي: قد رأى قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجل ومنهوكه ليس بـشعر كقول النبي ﷺ: " الله مولانا ولا مولى لكم " وقوله ﷺ: " هل أنت إلا أصبع دميٍّت في سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ " ، وقوله ﷺ: " أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب " وأشار به هذا . قال ابن القطاط: وهذا الذي زعمه الأخفش وغيره غلط بين ، وذلك لأن الشاعر إنما سُمي شاعراً لوجوهه منها: أنه شَعَرَ القول وقصده وأراده واهتدى إليه وأتى به كلاماً موزوناً على طريقة العرب مفقي ، =

ولما قال : ﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَتَنَعَّمُ لَهُ﴾ أتبعه قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي : شرف ورفعه . وقيل : تذكرة وموعظة .

﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيَا وَيَحْقِّقُ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوْلَئِرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مَمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيَنَا  
أَنْعَمْنَا فَهُمْ لَهَا مَنْلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلِكَنَا لَهُمْ فِيهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ  
وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَاهُمْ يُنَصَّرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ  
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنُدٌ مُخْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْلَئِرَ  
يَرَ إِلَانْسَنُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿لِيُنذِرَ﴾ والمذر القرآن أو الرسول . «من كان حيا» أي : عاقلاً أو معلوماً أنه يؤمن فيحيا بالإيمان . «وممَّا عَمِلْتُ أَيْدِيَنَا» تولينا إحداها ، ولم يقدر على توليه غيرنا . «أنعمنا» وهي الإبل والبقر والغنم . «فَهُمْ لَهَا مَنْلِكُونَ» ضابطون ؛ أي : فملكتناها لهم ، قال [ من المسرح ] :

أَصَبَّحْتُ لَا أَحْمَلُ السَّلَاحَ وَلَا أَمْلَكُ رَأْسَ السَّبِيرِ إِنْ نَفَرَا<sup>(١)</sup>

﴿وَذَلِكَنَا لَهُمْ﴾ أي : سخرواها ، وهذا ألزم الله الراكب أن يشكر هذه النعمة بقوله :  
﴿شَيْخَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾<sup>(٢)</sup> . «وَمَشَارِبٌ» من الألبان ، ذكرها بجملة ، والمشارب جمع مشرب ، وهو موضع الشرب والشرب نفسه .

= فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعراً، ولا يكون قائله شاعراً، بدليل أنه لو قال كلاماً موزوناً على طريقة العرب وقصد الشعر أو أراده ولم يقفه لم يسم ذلك الكلام شعراً ولا قائله شاعراً بإجماع العلماء والشعراء، وكذا لو قفاه وقصد به الشعر ولكن لم يأت به موزوناً لم يكن شعراً، وكذلك لو أتى به موزوناً متفقى لكن لم يقصد به الشعر لا يكون شعراً، ويدل عليه أن كثيراً من الناس يأتون بكلام موزون متفقى غير أنهم ما قصدواه ولا أرادوه ولا يسمى شعراً، وإذا تفقد ذلك وجد كثيراً في كلام الناس . كما قال بعض السؤال: اختتموا صلاتكم بالدعاء والصدقه . وأمثال هذا كثيرة فدل على أن الكلام الموزون لا يكون شعراً إلا بالشروط المذكورة، وهي القصد وغيره مما سبق، والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده، فلا يعد شعراً وإن كان موزوناً، والله أعلم .

(١) البيت للربيع بن منبج الفزارى ، ينظر في : الكشاف للزمخشري (٤ / ٢٨) ، لسان العرب (ضمون) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (١٣) .

اخذوا الآلة ليكونوا لهم عزّاً؛ فكان الأمر على عكس ذلك . ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ "إنا بالكسر: استئناف ، ومن فتح الهمزة وقصد المعنى كفر؛ لأن "أن" وما بعدها بتأويل المصدر، تقول : يسرني أنك حاضر، أي حضورك، فيكون المعنى : فلا يحزنك يا رسول الله قول الكفار عنا: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَرُّونَ وَمَا يُغْلِبُونَ﴾ وهذا كلام حق لا يحزن منه الرسول ولا المؤمنون ، ومن أراد حذف لام الجر وقصد فلا يحزنك قولهم ؛ لأننا نعلم فلا يكفر ، ومثله قولهم في التلبية: لبيك إن الحمد ، كسرها الشافعي وفتحها أبو حنيفة<sup>(١)</sup>.

فيجح الله اعتقاد الكفار عدم البعث والنشور بأن هذا النطفة الحقيرة المستقدرة يخلق منها رجل هو أشد الخصم ؛ كقوله : ﴿وَكَانَ إِنْسَنٌ أَكْتَرَ شَيْءٍ جَدَّلًا﴾<sup>(٢)</sup> ينكر قدرة القادر على ما يشاء من إحداث الأجسام والأعراض . ﴿خَصِيمٌ مُّمِينٌ﴾ أي : منطيق قادر على الخصم. والرميم : اسم من بلي من العظام ، وهو اسم ليس بصفة ؛ فلا يقال : لم لا يؤنث ، وقد وقع خبراً مؤنث ؟ ولا هو فعل معنى فاعل أو مفعول ، وقد استشهد بهذه الآية من زعم أن الحياة تحل في العظام ، وفيه خلاف بين العلماء<sup>(٣)</sup>.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَسَيَّرَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْكِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٦﴾ قُلْ يُحْكِيَهَا الَّذِي أَشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيهِمْ ﴿٧٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا آتَمْتُمْهُنَّهُ ثُوَقَدُونَ ﴿٧٨﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَّ وَهُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٠﴾ فَسَبِّحُنَّ الَّذِي يُبَدِّي مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨١﴾

(١) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٢ / ١٥٥، ١٥٦)، المجموع للنووي (٧ / ٢١٩، ٢٢٠)، الدر المختار لابن عابدين (٢ / ٢٨٣)، بدائع الصنائع للكاساني (٢ / ١٤٥).

(٢) سورة الكهف ، الآية (٥٤).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤ / ٣١) : " ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول : إن عظام الميتة نحبسة ؛ لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها . وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة ، وكذلك الشعب والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون : المراد بحياة العظام في الآية : ردّها إلى ما كانت عليه غصة رطبة في بدن خي حساس " .

﴿مَنْ أَشَجَرَ الْأَخْضَرَ نَارًا﴾ أو أراد بالشجر الأخضر العيدان التي تقدح الأعراب بها النار، قالوا : " في كل شجرة نار ، واستمسجد (١/٢١٥) المرخ والعفار " <sup>(١)</sup> يعني أن هاتين يسهل اقتداح النار منها . وقيل : إن العناب لا يقدح من شجره نار <sup>(٢)</sup> .

﴿الْأَخْضَرُ﴾ وقياسه : الشجر الخضر ؛ كقوله تعالى : ﴿مِنْ شَجَرَيْنِ زَوْمَرٌ<sup>٥٥</sup> هُنَالِئْنَ مِنْهَا الْبَطْوَنُ<sup>٥٦</sup> فَشَرِبُونَ عَيْنَيْنِ مِنَ الْتَّسِيمِ<sup>٥٧</sup>﴾ <sup>(٣)</sup> ذكر الضمير وأنه .

من قدر على خلق السماوات والأرض مع عظم أجرائمها ، وتباعد أقطارهم <sup>(٤)</sup> ، فهو على خلق الأناسي أقدر منه ؛ ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ <sup>(٤)</sup> . ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ الْمَنَامَةَ بِنَاهَا﴾ <sup>(٥)</sup> .

﴿أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الحقاره ، لأن من قدر على الأعلى قدر على الأدنى من باب الأولى . ﴿الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ الكثير الخلق والعلم . ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه .

\* \* \*

(١) ينظر المثل في : غريب الحديث للخطابي (٢/١٤٧)، الكشاف للزمخشري (٤/٣١)، لسان العرب (مرخ ، عفر) واستمسجد أي استكثر . والمرخ والعفار : من شجر النار ، كثير الوري سريعة . وقيل العفار : الزند وهو الأعلى ، والمرخ : الزندة وهو الأسفل . واستمسجد المرخ والعفار أي : كثرت فيما على ما فيسائر الشجر وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وزناهما أسرع الزناد .

(٢) نسبة الزمخشري في الكشاف (٤/٣١) لابن عباس ~~عفيف~~ .

(٣) سورة الواقعة ، الآية (٥٣، ٥٢) .

(٤) سورة غافر ، الآية (٥٧) .

(٥) سورة النازعات ، الآية (٢٧) .

تفسير سورة الصافات [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّمْدُتِ صَفَا ۚ ۱﴾ فَإِذْ بَحَرَتْ زَحْرًا ۲ فَالشَّلَّتْ ذِكْرًا ۳ إِنَّ الْهَكْمَ لِوَجْهِهِ ۴

أقسام سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم **﴿وَالصَّافَتُ﴾** أقدمها في الصلاة ؛ من قوله :  
**﴿وَإِنَّ لَنَحْنَ الْأَصَافُونَ﴾**<sup>(١)</sup> أو أجنحتها في الهواء واقفة متطرفة لأمر الله . **﴿فَالْتَّرْجِنَتُ﴾**  
السحاب سوقة . **﴿فَالثَّلِيلَتُ﴾** لكتب الله المنزلة وغيرها . وقيل : **﴿وَالصَّافَتُ﴾** الطير ؛  
لقوله : **﴿وَالطَّيْرُ صَافَتُ﴾**<sup>(٢)</sup> والزاجرات : كل شيء نهى عن معصية الله . والتاليات : كل  
من تلا كتاب الله ، ويجوز أن يراد طوائف العلماء الصافات أقدمهم في قيام الليل وأفعال  
الخير ، وسائل الصلوات وصفوف الجماعات ؛ فالزاجرات بالمواعظ والنصائح ، فال التاليات  
آيات الله والدراسات شرائعه ، أو بنفوس قواد الغزا في سبيل الله التي تصنف الصافوف ،  
وتتزجر الخيل للجهاد ، وتتلوا الذكر ، لا يشغلها عنه شغل . والفاء الواقعة بين أنواع المقسم  
به إما للترتيب في الوجود ؛ كقول الشاعر [ من السريع ] :

يا ويح زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الصَّالِحِ فَالْغَامِ فَالْأَيْبِ<sup>(٣)</sup>

فإن هذه الأمور جاءت على ترتيب الوجود، وإنما لترتيبها في الفضيلة؛ كقولك: أصلب الأفضل ، وافعل الأجمل فالأجمل . وإنما على ترتيب موصوفاتها في ذلك؛ كقوله: " رحم الله الملائكة فالمقصرين " <sup>(٤)</sup>. رتب التفضير على الحلق؛ فإن الحلق أفضل؛ فإذا وحدت الصفات كانت على ترتيب الصفات ، وإن ثنيت أو جمعت كانت على ترتيب الموصفات .

(١) سورة الصافات ، الآية (١٦٥) .

(٢) سورة النور ، الآية (٤١) .

(٣) البيت لابن زيابة ، ينظر في : خزانة الأدب (١٠٧/٥) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٤٩٤/٥) ، الدر اللواعم (٦٦/١٦) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ١٤٧) ، شرح شواهد المغني (ص: ٤٦٥) ، الكشاف للزخيري (١/٤١) ، معجم الشعراء (ص: ٢٠٨) ، مغني الليب (ص: ١٦٣) .

(٤) أورده بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/٣٤)، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعارة (١٦٣/١)، والمرادي في الجنى الداني (ص: ٦٥). وأصله في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر بلفظ : « اللهم ارحم الملحقين ، قالوا : والمقصرین ، قال : اللهم ارحم الملحقين ، قالوا : والمقصرین ، وفي الثالثة قال : والمقصرین ». [رواه البخاري رقم (١٧٢٧) ، ومسلم رقم (١٣٠١)].

إذا أجريت الصافات على الملائكة وجعلتهم جامعين - أفادت الفاء ترتيبها في الفضل؛ فيكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ، وإنما على العكس (٢١٥ / ب) وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغرفة . وإن أردت بالصفات الملائكة وأعدت الثانية والثالثة على طوائف آخر ، فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل ؛ أعني أن الصافات ذا فضل ، والزاجرات ذات فضل ، والتاليات ، أو على العكس ، وكذلك إن أردت بالصفات : الطير ، وبالزاجرات : كل ما يزجر عن معصية الله ، وبالتاليات : كل نفس تتلو الذكر؛ فإن الموصوفات مختلفة .

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝ إِنَّا زَانَّا أَسْمَاءً أَدْلِيَّا بِرِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۶﴾

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾ خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذف . والمشارق : ثلاثة وستون مشرقاً ، والمغارب مثل عددها ، تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها ، وتغرب في مغرب حتى تنتهي إلى آخر المشارق والمغارب .

فإن قلتَ : ثُنَى الشَّارقِ وَالْمَغَارِبِ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ ؛ قَالَ : «رَبُّ الْمُشْرِقَيْنَ وَرَبُّ الْمُغَارِبَيْنَ»<sup>(١)</sup> . وَجَمِعَ هَا هَنَا فَقَالَ : «الْمَسْتَرِيقُ» ؟ قَلْتُ : أَرَادَ مَشْرُقَ الصِّيفِ وَالشَّتَاءِ وَمَغْرِبَهُمَا . «إِنَّا زَانَ السَّمَاءَ الدُّلُّوِيَّا»<sup>(٢)</sup> أَيِّ : الْقَرِيبَةِ مِنْكُمْ ، وَالزِّينَةِ مَصْدَرٌ ؛ كَالْمُشْيَّةُ ، أَوْ اسْمُ لِمَا يَزَانُ بِهِ الشَّيْءٍ ؛ كَالْلَّيْقَةُ<sup>(٣)</sup> اسْمُ مَا تَلَاقَ بِهِ الدُّوَاهُ ؛ تَقُولُ : أَلْقِ دَوَاتِكَ ، أَيِّ : أَصْلَحَهَا ، وَهُما مُحْتَمِلَانِ هَا هَنَا ؛ فَإِنْ كَانَ مَصْدَرًا فَمُضَافٌ إِلَى الْفَاعِلِ ، أَيِّ : بَأْنَ زَانَهَا الْكَوَاكِبُ ، وَالْمَرَادُ : زَانَهَا الْكَوَاكِبُ وَحْسَنَتْهَا . وَإِنْ جَعَلْتُهَا اسْمًا غَيْرَ مَصْدَرٍ - وَذَلِكَ بَأْنَ تَتَبَعُ الْكَوَاكِبَ - بِيَائِنَ لِلزِّينَةِ ؛ لِأَنَّ الزِّينَةَ مُبْهَمَةٌ فِي الْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهَا ، وَأَنْ يَرَادَ مَا زُيِّنَتْ بِهِ الْكَوَاكِبُ ، وَرُوِيَ بِالْإِضَافَةِ ، وَخَفْضُ الْكَوَاكِبِ ؛ أَيِّ : وَضُوءُ الْكَوَاكِبِ ، وَيَحْمُزُ أَنْ يَرَادَ أَشْكَالُهَا الْمُخْتَلِفَةُ ؛ كَالثُّرِيَا وَبَنَاتُ نَعْشَ ، وَمَسَايِّرُهَا ، وَقَرَئَ : «زِينَةُ الْكَوَاكِبِ» بِتَنْزِينِ «زِينَة» وَجَرِ "الْكَوَاكِبَ" عَلَى الْإِبَدَالِ<sup>(٤)</sup> .

. (١٧) (١) الآلة .

(٢) لِيقَةُ الدُّوَّاْةِ : هِيَ مَا اجْتَمَعَ فِي وَقْبَتِهَا مِنْ سُوَادِهَا بِجَاهِهَا ، وَدُوَّاْةٌ مُلْوَقَةٌ أَيْ : مُلْيَقَةٌ إِذَا أَصْلَحَتْ مَدَادَهَا .  
يُنْظَرُ : لِسَانُ الْعَرَبِ (لِيقَةِ) .

﴿ وَحْفَظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَنٍ مَّارِدٍ ۚ ۷ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمُلَأِ الْأَغْنَىٰ وَيُقْدَمُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ ۸ دُحُورًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أََقِبٌ ۙ ۹ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَبْعَثَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۚ ۱۰ ﴾

**﴿وَحِفْظًا﴾** محمول على المعنى ، أي : إنما زينا السماء الدنيا ، وحفظناها . والمارد : الخارج من الطاعة ، والضمير في **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾** لجميع الشياطين ؛ لأنه في معنى شيطان ، يقال : تسمع فسمع ، وتسمع فلم يسمع . وعن ابن عباس : " إنهم يتسمعون ولا يسمعون " <sup>(١)</sup> . قوله : **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾** ليس بصفة ؛ لأن نفي السمع من شيطان لا يسمع لافائدة فيه ، و **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾** مستأنف ، التقدير : أن سائلاً قال : فما شأنهم عند التسمع ؟ قلت : لا يسمعون ، وهم مطرودون عن التسمع . **﴿إِلَامَنْ خَطَفَ﴾** خطفة فاسترق فعندها <sup>(٢)</sup> ) تعاجله الحلكة باتباع الشهاب الثاقب .

فإن قيل : هل يجوز أن يكون أصله : لثلا يسمعوا ؛ فحذفت اللام كما حذفت في قوله :  
جئتك أن تكرمني ، فبقي أن يسمعوا ، فحذفت أن وأقر عملها ؟ قلنا : الحذف في هذين  
الحرفين معًا منكر ، أما حذف أحدهما فجائز ، ولا يحمل الكتاب العزيز على الشذوذ  
المذكر ؛ تقول : سمعت الحديث بمعنى : أدركته ، وسمعت إلى الحديث بمعنى : أصغيت  
وأدركت . و﴿أَنْتَلِلَا الْأَغْنَى﴾ الملائكة ؛ لأنهم سكنوا السموات ، والملا الأسفل هم الجن  
والإنس ؛ لأنهم سكنوا الأرض . وقيل : هم الحفظة من كل جانب من السماء من أي جهة  
صعدوا للاستراق . الدخور : الطرد ، أي : يرمون بالشهب طردا ، أو ﴿كُوْرَا﴾ حال  
والواصب : الدائم ؛ بمعنى أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب مع أنهم أعد لهم نوع من  
العذاب دائم لا ينقطع .

﴿فَاسْتَفْهِمُوهُمْ أَهُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقَنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾١١ ﴿ بَلْ عَجِيزٌ وَيَسْخَرُونَ ﴾١٢ ﴿ وَإِذَا ذَكَرُوا لَا يَذَكُرُونَ ﴾١٣ ﴾

الهمزة تنقل الكلام من الاستفهام إلى التقرير ، ولذلك قيل : «**فَأَسْفَلُهُمْ**» والضمير

= (٣٥٢)، تفسير القرطبي (١٥/٦٥)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٠٠)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٠٤)، الدر المصور للسمين الحلبي (٤٩٥/٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٤٦)، التشر لابن الحوزي، (٣٥٦)، (٢/٢).

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٧٩/٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس، هـ.

لشركي مكة . وقيل : نزلت في أبي الأشد بن كلدة<sup>(١)</sup> وكان قويًا . «أَمْ مَنْ خَلَقَنَا» ي يريد ما ذكر من خلائقه من السماوات والملائكة والأرض والشمال والغارب والكواكب والشهب والشياطين ، وغلب العقلاء على غيرهم فقال : «أَمْ مَنْ خَلَقَنَا» .

«يَنْ طِينٌ لَّا زِيمٌ» إما شهادة عليهم بالضعف ؛ لأن ما يصنع من الطين لا يوصف بالقوة وقيل : أمن خلقنا من الأمم السالفة والقرون الخالية وهو بعيد .

«بَلْ عَجِّنَتْ» (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة ، وهم «وَسَخَرُونَ» يستهزئون بأمر البعث . وقرئ "عجيت" <sup>(٢)</sup> بضم التاء ، أي : عجبت من كثرة مخلوقاتي ومن إنكار هؤلاء البعث ، وجاء العجب في صفات الله تعالى ، وهي الروعة التي تحدث للإنسان عند رؤية ما يستغربه ، والله تعالى منزه عن ذلك ، ومعناه : أنهم حلو محل من يتعجب منه ويستخر ، وفي الحديث : "عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم إياكم" <sup>(٣)</sup> . وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول : "إن الله لا يعجب من شيء" <sup>(٤)</sup> .

(١) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/٣٧) وهو أبو الأشد بن كلدة بن أسد بن خلف الجمحي قتل كافرا كنيته أبو الأعور . ينظر : نزهة الألباب في الألقاب للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢٥١/٢) .

(٢) قرأ بها حزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقيون "عجيت" بالفتح . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٥٤) ، تفسير القرطبي (١٥/٦٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠١) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥/٤٩٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣٣٧/٣) ، النشر لابن الجوزي (٣٥٦/٢) .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/١٧٥) وقال : غريب . قال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/٧٢) ، الإل : أن يرفع الرجل صوته بالدعاء ، وبعض المحدثين يرويه : "من أزلكم" والأذل : الشدة ، ثم قال : وأراه المحفوظ .

(٤) مذهب أهل الحق من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من الخلف في مثل هذه الصفات التي أخبر الله تعالى بها عن نفسه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ : إماره هذه الصفات كما أنت من غير تكيف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، فهو - سبحانه - ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقد ورد في أكثر من حديث في صحاح كتب السنة إثبات صفة العجب لله - تعالى - ومنها : ما رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٤٨) ، وأبو داود رقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رض عن النبي ﷺ قال : "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل" . وزوى أحد في المسند (٤/١٥٨) ، وأبو داود رقم (١٢٠٣) ، وابن حبان رقم (١٦٦٠) عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : "يعجب ربكم من راعي غنم في رأس الشظية للجبل ، يؤذن للصلوة ويصللي فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة ، يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة" . كما روى أحمد أيضاً في مسنده (١/٤١٦) ، وأبو داود رقم (٢٥٣٦) ، وابن حبان رقم (٢٥٥٧) ، والحاكم في المستدرك (٢/١١٢) عن ابن مسعود رض =

وهم قوم إذا وعظوا لا يتذكرون.

﴿ وَإِذَا رَأُوا عَيْهَ يَسْتَسْجِرُونَ ١٤ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٥ أَعْدَا مِنَّا وَكَانَ نَرَابًا وَعَظِيلًا أَئْنَا  
لِمَبْعُونَ ١٦ أَوْ مَا بَأْفُونَا الْأَوْلَوْنَ ١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخَلُونَ ١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجَرٌ وَجَهَةٌ فَإِذَا هُمْ  
يَنْظَرُونَ ١٩ ﴾

«إِذَا رَأَوْا إِلَيْهِ» كأن شفاق القمر وغيرها يستدعون السخرية من غيرهم و «أَوَّلَابَاقُوا» معطوف على محل «إن» واسمها ، أو على الضمير في «لَمْ يُبُوْثُنَ» والذي جوز العطف على المضمر المرفوع بغير (٢١٦/ ب) تأكيد - الفصل بهمزة الاستفهام وقرئ بسكون الواو<sup>(١)</sup> والمعنى : نعم تبعثون . «وَأَتَتْمَ دَخْرُونَ» صاغرون ، وفي الكلام محدوف تقديره : فإذا كان ذلك فما هي إلا نفحة واحدة يحيي الله بها كل حي ، ثم نفحة أخرى يحيي بها كل ميت . الزجرة : الصيحة ؛ من قوله : زجر الراعي الغنم . إذا صاح عليها ؛ قال الشاعر [من المنسرح] :

**زجَرَ أبِي عَرْوَةَ الْسَّبَاعَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يُخْتَلِطَنَ بِالْغَنَمِ**<sup>(٢)</sup>

﴿فَإِذَا هُمْ أَحِياءٌ يُنظَرُونَ﴾ .

﴿ وَقَالُوا نَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الْتِينِ ٢٠ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُشِدَ بِهِ تُكَبَّرُونَ ٢١ أَخْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْدُونَ ٢٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْمُحْسِنِ ٢٣ وَفَعُوْهُزْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٤ ﴾

عن النبي ﷺ قال : " عجب رينا من رجلين ؛ رجل ثار من وطأته ولخافه من بين جبه وأهله إلى الصلاة ، فيقول الله - جل وعلا - : انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطأته من بين جبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم الناس وعلم ما عليه في الانهزام ، وماليه في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله ملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه " . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، والصواب - وهو مذهب السلف الصالح وما عليه جهور المسلمين - : الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله تعالى على مداد الله تعالى ، ونسأل الله تعالى أن يهدينا وال المسلمين إلى الفهم الصحيح والعقيدة التالية الصافية .

(١) قالون وأبي جعفر وابن عامر "أو آباونا" وقرأ الباقون "أو آباونا". تنظر القراءة في: البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٥٥)، تفسير القرطبي (١٥/٧١)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٠٨)، الدر

<sup>٣٥٧</sup> المصنون للسمين الحلبي (٤٩٧/٥)، مجمع البيان للطبرسي (٤٣٩/٨)، الشمر لابن الجوزي (٢/٣٥٧).

<sup>٣٥٠</sup>) البيت للنابغة الجعدي ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٥٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي

<sup>٤٥</sup> / (٤٩٤) ، ديوان النابغة الجعدي (ص: ١٥٨) ، القاموس المحيط لأبي حيان (عرا) ، الكامل للمبرد

<sup>٤٢</sup> (١٦٥)، الكشاف للزمخشري (٤/٣٨)، لسان العرب (عرا)، القاموس المحيط لأبي حيyan (عرا).

٢٤ مَا لَكُمْ لَا نَاصِرُونَ ٢٥ إِنَّ هُوَ أَيَّامُ مُسْتَشْأِلِينَ ٢٦ وَقَبْلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسْأَلُونَ ٢٧ فَالْأُولَاءِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ  
 تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ٢٨ فَالْأُولَاءِ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَنٍ ٣٠ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِيْنَ  
 ٣١ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاهِبُونَ ٣٢ فَأَغْوَيْتُكُمْ إِنَّا كَدَّا غَوَّبْنَا ٣٣ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَدَابِ مُشْتَرِكُونَ  
 ٣٤ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ٣٥ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ٣٦ وَيَقُولُونَ  
 ٣٧ إِنَّا لَنَارُكُمْ إِلَيْهِنَا لِشَاعِرٍ مَّغْنُونِ ٣٨ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ٣٩ إِنَّكُمْ لَذَاهِبُونَ الْعَدَابِ  
 ٤٠ الْأَلِيمُ ٤١ وَمَا يَخْزُنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٢

ومن قوله : ﴿يُؤْتِنَا هَذَا يَوْمَ الْتَّبَرِ﴾ إلى قوله : ﴿أَخْسِرُوا﴾ من كلام الله للملائكة .

﴿وَأَزْوَاجُهُم﴾ أصنافهم : ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أصنافهم ﴿فَاهْدُوهُم﴾ فعرفوهم طريق النار ، وأمر الله الملائكة أن يقفوهم ويسكتوهم ، فخاطب الملائكة بقوله : ﴿وَقَفُوهُمْ ثُمَّ خاطبهم بقوله : ﴿مَا لِكُمْ لَا نَاتَّصُرُونَ﴾ أي : لا ينصر بعضكم ببعضًا .

«وَأَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُنَصِّرُونَ»<sup>(١)</sup> بل قد استسلموا لأن يعندهم . لما كانت اليمين أشرف العضوين فيها يتحالفون ويتعاقدون ؛ سموها اليمني ، ومقابلتها الشؤمي ؛ فقيل : «كُنْتُ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ» أي : عن الجهة الحمودة فتهوننا عن النفقة في سبيل الله وما أشبهها من جهات الخير .

**﴿بَلْ لَمْ تَكُنُوا مُؤْمِنِينَ﴾** أي : أعرضتم من قبل أنفسكم . **﴿وَمَا كَانَ لَنَا عِتِيقٌ مِّنْ﴾** تسلط (بل كتم) مختارين للطغيان ) **﴿فَهُنَّ عَلَيْنَا قَوْلٌ رَّبَّنَا إِنَّا لِذَلِكُوْنَ﴾** العذاب **﴿فَأَعْوَتُنَّكُمْ﴾** فحبينا إليكم الغي على الفساد . **﴿إِنَّا كَانَّا غَنِيًّا﴾** لتكونوا أمثالنا في الغي . **﴿فَإِنَّهُمْ﴾** الأتباع والمتبوعين **﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾** **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا﴾** سمعوا بكلمة التوحيد اشمأزوا . **﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾** قوله : **﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَنَّ يَدَيهِ﴾** (٢) .

﴿إِلَاءِبَادَ اللَّهُ الْمُحَلَّصِينَ ﴿٤٣﴾ أَوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤٤﴾ فَوَكَدُهُ وَهُمْ مُكَرَّمُونَ ﴿٤٥﴾ فِي حَجَّتَ النَّعِيمِ  
 ﴿٤٦﴾ عَلَى سُرُورٍ مُنْقَبِلِينَ ﴿٤٧﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٨﴾ بِيَضَاءَ لَذَّةِ لَشَّارِبِينَ ﴿٤٩﴾ لَا فِيهَا غُولٌ وَلَا  
 هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٥٠﴾ وَعِنْهُمْ قَصَرَتُ الْأَطْرَفُ عِنْهُ ﴿٥١﴾ كَانُوكُنْ يَضْعُ مَكْتُونُ ﴿٥٢﴾

(١) سورة سـ ، الآية (٧٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣).

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ لكن عباد الله ، وفسر الرزق المعلوم بالفواكه ، والفاكهة : كل ما يتلذذ به يريد : مستغنو عن الأقوات بما أوتوا من التركيب الحكم ، ويجوز أن يراد بالرزق المعلوم أنه منعوت بأوصاف عظيمة من طعم ولون ورائحة (١) . وقيل : معلوم الوقت ؛ قوله : ﴿وَلَمْ يُرْفَهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١) .

﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ أي : يقال لهم : إنكم حقيقون بالفاكهة السنية ، ودخول الملائكة عليهم بالتحية . التقابل أتم للسرور والأنس . وقيل : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

يقال للرجاجة فيها الخمر : كأس ، وتقول : شربت خمرا . وقيل : كل كأس في القرآن فالمراد بها الخمر . ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ من كأس مشروبها معين . ﴿بِيَضَاءَ﴾ صفة للكأس . ﴿لَتَقُ﴾ إما مبالغة ، وكأنها عين اللذة أو مضافاً مخدوفاً ؛ كأنه قال : ذات لذة .

الغول : من غاله يغوله ، إذا أهلكه ، ومنه الغول الذي في أكاذيب العرب (٢) .

و﴿يُنَزَّفُونَ﴾ على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ، ونزلحت الركبة حتى نزفتها ، أي : لم أترك فيها ماء ، وقرئ "يُنَزِّفُونَ" بضم الياء وكسر الزاي (٣) يقال : أنزف الشارب : إذا ذهب عقله . ﴿فَنَصَرَتُ الظَّرْفِ﴾ قصرت أبصارهن على أزواجهن ﴿عَيْنَ﴾ جمع عيناء ، أي : واسعات العيون ؛ شبھن ببعض النعام المكونة في الأداحي (٤) وبها تشبه العرب النساء ، وتسمى بهن ببعض النساء .

(١) سورة مريم ، الآية (٦٢) .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٣٩٦/٣) : "الغول : أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تراءى للناس فتغولو ، أي : تتلون تلونا في صور شتى وتغولهم : أي : تضلهم عن الطريق وتهلكهم فناء النبي ﷺ وأبطله بقوله : " لا غول ولا صفر " . وقيل : قوله : " ليس نفيا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة وأغتياله ، فيكون المعنى بقوله : " لا غول " أنها لا تستطيع أن تضل أحدا " .

(٣) فرأى حزة والكسائي وخلف " ينَزَّفُونَ " بكسر الزاي ، وقرأ الباقون " ينَزَّفُونَ " بالفتح . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٦٠/٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٢) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥٠١/٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣٤٠/٣) ، الشتر لابن الجوزي (٣٥٧/٢) .

(٤) الأداحي والإداحي والأدحية والإدحية : مبيض النعام في الرمل ؛ لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش . ومدحى النعام : موضع بيضها . ينظر : لسان العرب (دحا) .

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾٥٠﴿ قَالَ فَآيِلُّ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي فَرِينٌ ﴾٥١﴿ يَقُولُ أَئْنَكَ لَمْنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾٥٢﴿ أَئْدَا مِنَّا وَكَانَ تَرَابًا وَعَظَلَمَا أَئْنَ الْمَدِينُونَ ﴾٥٣﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُ مُظْلِمُونَ ﴾٥٤﴿ فَأَطْلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾٥٥﴿ قَالَ تَالَّهُ إِنِّي كَدَّ لَتُزَدِّنِ ﴾٥٦﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخَضِّرِينَ ﴾٥٧﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيْتِينَ ﴾٥٨﴿ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ وَمَا نَحْنُ بِمَعَذَبَيْنَ ﴾٥٩﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾٦٠﴿ لِتَشِلَّ هَذَا فَلَيَعْمَلَ الْعَنْمَلُونَ ﴾٦١﴿ أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَّلَّا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْوُمُ ﴾٦٢﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾٦٣﴾

وإنما عطف بالفاء في قوله : ﴿فَأَقْبَلَ﴾ في هذه الآية ؛ لأنه لما وصفهم بأنهم مكرمون في جنات النعيم أتبع ذلك حالة المحدثين على الشراب ؛ يتحدثون بما يسر جلساهم .

قرئ "لمن المصديقين" بالتشديد ، أي : يتصدقون على المحتاجين ، وبالتحفيف في الصاد من التصديق<sup>(١)</sup> . وقيل : نزلت في رجلين تصدق أحدهما بجميع ماله فافقر ؛ فسأل صاحبه أن يعينه بشيء ، فقال له : وأين مالك ؟ فقال : تصدقت به كله ؛ أرجو به ثواب الله ؛ فقال : ﴿أَئْنَكَ لَمْنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ الآية ، والله لا أعطيك شيئاً<sup>(٢)</sup> .

﴿الْمَدِينُونَ﴾ طبزيون ، من الدين وهو الجزاء ، قال ذلك القائل وهو في الجنة لأصحابه الذين معه : ﴿هَلْ أَنْتُ مُظْلِمُونَ﴾ معyi ، فينظرون ﴿فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي : في وسط الجحيم ، فقال له : تالله لقد كدت أن ترديني وتهلكني . وقيل : القائل الله سبحانه .

﴿إِنَّ﴾ هي المخفة من الثقلة ، وهي تدخل على نواسخ الابتداء ، واللام هي الفارقة بين النافية والمثبتة . ﴿وَلَوْلَا﴾ عصمة ربى (٢١٧/ب) ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُخَضِّرِينَ﴾ في العذاب ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيْتِينَ﴾ كما زعمت ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يعني : إن هذا التخلص مما عذب به الكفار ، ومن تبكيت المؤمن للكافر - هو الفوز العظيم .

﴿خَيْرٌ نَّلَّا﴾ خير حاصلا ، وحاصل الرزق المعلوم التلذذ والسرور ، و﴿شَجَرَةُ الرَّقْوُمُ﴾ الحزن والغم . ويجوز أن يكون حالا ؛ كقولك : هذا رطبا خيرا منه بسرا . والنزل : ما يقام من الطعام والشراب وغيرهما . قوله : ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَّلَّا﴾ تبكيت على اختيارهم الباطل .

(١) قرأ بها حزة في رواية علي بن كيسة عن سليم عنه . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٦٠/٧) ، تفسير القرطبي (٨٢/١٥) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥٠٣/٥) ، الكشاف للزمخشري (٣٤١/٣) ، معاني القرآن للأخفش (٤٥١/٢) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٤/٤) ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المثور (٩٠/٧) .

﴿فَتَنَّة﴾ محنّة ؛ وذلك أنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، ودأب النار أن تحرق الشجر فكذبوا ! وقيل : إن مبتها في أصل الجحيم ، وفروعها تأتي على جميع دركاتها ، وشبه الطلع برؤوس الشياطين ، ولم يرها ؛ لأن المركوز في النفوس أن الشياطين في غاية القبح ؛ وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول .

وأيّل : الشيطان حية عرفاء لها عرف .

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٦﴾ طَلْعُهَا كَانَةٌ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٧﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَالْأَلْظَافُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَسْوَاتِيَّنَ حَمِيمٌ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجَعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَفْوَأُهُمْ ضَالَّاً لِنَّهُمْ عَلَىٰ مَا تَرَيْهُمْ يَهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَزْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُفْلِصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَيَّعُمُ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَحَعَلْنَا ذُرْتَهُ هُرُبًا بَاقِنَ ﴿٧٦﴾ وَرَرَكَأْعَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ﴿٧٧﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَادِيَنَ ﴿٧٨﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُتَحَسِّنِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرَةَ ﴿٨١﴾ وَإِنَّمَا مِنْ شَيْعَنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٢﴾

﴿فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْأَلْظَافُونَ﴾ بطونهم ؛ لما غلبهم من الجوع أو يكرهون على أكلها ، وهو نوع من العذاب . يشربون عليها من ماء شديد الحرارة ، إذا صب عليهم أذاب شحم بطونهم ، وجاء بـ " ثم " ليدل على أن بشاعة الشراب أشد من بشاعة الطعام ، ثم إن مصيرهم

﴿لِإِلَّا الْجَحِيمَ﴾ لأنهم قلدوا في عقائدهم الفاسدة آباءهم .

﴿أَلْقَنَا﴾ وجدوا آباءهم ﴿ضَالَّاً لِنَّهُمْ يَهْرَعُونَ﴾ أي : يذهب بهم ذهاباً شديداً . ﴿وَلَقَدْ صَلَّ﴾ قبل قومك ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهم أمم الرسل ﴿مُنْذِرِينَ﴾ أنبياء بعشوا إلى قومهم ؛ فكذبوا فأهلكوا . لما ذكر سبحانه ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وهم الكفار المكذبون ، شرع في قصة نوح ومن بعده من الرسل كإبراهيم وإسحاق وإدريس ولوط ويونس فقال : ﴿وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ﴾ أي : استغاث بنا ﴿فَلَيَّعُمُ الْمُجِيبُونَ﴾ نحن ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ﴾ من الغرق . ﴿هُرُبًا بَاقِنَ﴾ يعني أنه لم يبق من حمله نوح في السفينة من له نسل . روی أنه لم يبق من جعل في السفينة مع نوح أحد من المؤمنين به <sup>(١)</sup> .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤) ، والسيوطى في الدر المثور (٥٢٤/٥) بنحو هذا .

﴿وَرَكِنَاعِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ﴾ شاء حسناً ، وفي المؤثر من رقية العقرب أن يقال في آخرها : سَلَّمَ  
﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنِ﴾<sup>(١)</sup> ، قوله في العالمين : يعني أن هذا الشاء عليه والتسليم تعلمه أسم  
الأنباء كلهم ؛ فعلل ما أكرمه ، وكونه موصوفاً بهذه الأوصاف بقوله : ﴿إِنَّا كَذَلِكَ جَعَزَى  
الْمُحْسِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرَةِ﴾<sup>(٢)</sup> /٢١٨/ يعني : من سوى نوح وأولاده ﴿وَإِنَّكَ مِنْ شَيْعَتِهِ  
إِلَّا بَرَهِيمَ﴾ نوح ، أي : شابعه في أصول الدين أو فروعه ، أو شابعه على التصلب في دين  
الله . وقيل : ما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان : هود وصالح ، وبين نوح وإبراهيم ألفان  
وستمائة وأربعون سنة .

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ، يَقْلِبُ سَلَيْمَ إِذْ قَالَ لِأَيْهِ وَفَرَّمَهُ، مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾٤٥﴿ أَيْقَنًا إِلَهَهُ دُونَ اللَّهِ تُرْبِيدُونَ ﴾٤٦﴿ فَمَا ظَلَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٤٧﴿ فَنَظَرَ نَظَرَةً فِي السَّجُورِ ﴾٤٨﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾٤٩﴾

فإن قلتَ : وَمَن يَتَعْلَقُ الظَّرْفُ فِي قَوْلِهِ : «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ» ؟ قَلْتَ : بَا فِي الشِّيْعَةِ مِنْ مَعْنَى  
الْمَاتَابَةِ ، أَوْ بِحَذْوَفِ تَقْدِيرِهِ : اذْكُرْ مَجِيئَهُ «إِقْلِيلٌ سَلِيمٌ» أَيْ : سَلِيمٌ مِنْ آفَاتِ الْقُلُوبِ .  
وَقَيْلَ : مِنَ الشَّرِكِ ، وَلَا مَعْنَى لِلتَّخْصِيصِ ؛ لَأَنَّ الْأَفْعَالَ الْمَذْمُوَّةَ لَيْسَ بَعْضُهَا أُولَى مِنْ  
بَعْضٍ بِالنَّهْيِ ، وَمَعْنَى الْمَجِيءِ بِقَبْلِهِ أَنْ أَخْلُصَ قَلْبَهُ لِلطَّاعَةِ فَكَانَهُ جَاءَ بِهَا .

﴿أَفْكًا﴾ مفعول له ، أي : أتريدون آلهة غير الله ، وإنما قدم المفعول على الفعل للاعتناء وقدم المفعول له على المفعول به ؛ لأنه كان الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على ضلال وإفك ، ويجوز أن يكون ﴿أَفْكًا﴾ مفعولاً به تقديره : أتريدون أفكًا ، ثم فسر الإفك بقوله : ﴿إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ﴾ ويجوز أن يكون حالا ، أي : تريدون آلهة دون الله آفكيين .

﴿فَمَا ظنُكُمْ﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة ؛ لأن من كان ربًا للعالمين استحق أن يعبد ﴿فَمَا ظنُكُمْ﴾ أي : بأي سبب من الأسباب ادعitem مشاركته في الإلهية ، وأي ظن ذهب بكم إلى ذلك . ويجوز أن يكون المعنى : مما ظنكم برب العالمين أنه يفعل بكم : أيعاقبكم أشد العقوبة أم لا ؟ ﴿فَأَنْتُمُ الظُّجُورُ﴾ أي : في علومها أو في أحکامها .

سئل بعض الملوك عن مشتهاه؟ فقال: حبيب أنظر إليه، ومحجاج أنظر له، وكتاب أنظر فيه. كان القوم نجّامين فأوهّمهم أنه استدل بشيء من أحكام النجوم على أنه سقيم.

(١) ذكر ابن عبد البر في التمهيد (٢٤١ / ٢٤١) عن سعيد بن المسيب قال : "ولبلغني أنه من قال حين يمسى: سلام على نوح في العالمين" لم تلدهم عقرب .

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي : مشارف للسقim ، والسقim : الطاعون ، وكان أغلب الأسقام عليهم ، وكانوا يخافون العدو ؛ فهربوا عنه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل ، وإنما أخبر بأنه سقim ، ولم يكن كذلك . قالوا : إن الكذب جائز في إصلاح ذات البين ، وإرضاء الزوج ، وفي المكيدة في الحرب<sup>(١)</sup> .

و عند المعتزلة : الكذب حرام و يخلص منه بالتعريف ، وقد عرض بما يخالف الكذب ؛ لأن من في عنقه الموت فهو سقim<sup>(٢)</sup> . وفي المثل (٢١٨/ ب) كفى السلامة داء<sup>(٣)</sup> . وروي أن رجلاً مات فجأة فكثر الناس عنده ، فقال قائل : مات وهو صحيح ، فقال له أعرابي : أصحىح من الموت في عنقه<sup>(٤)</sup> . وقيل : أراد : إني سقim النفس لكمركم .

﴿فَعَوَلُوا عَنْهُ مُدَبِّرِينَ ٦٠ ﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٦١ ﴾ مَا لَكُمْ لَا نَطِقُونَ ٦٢ ﴾ فَرَاغَ عَنْهُمْ ضَرِبًا يَلْمِينَ ٦٣ ﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ٦٤ ﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ فذهب إليها في خفية ، من روغان الشغل ، «إلى أهلهem» إلى أصنامهم بزعمهم ؛ كقوله : «أَيْنَ شُرَكَاءِكَ»<sup>(٥)</sup> . «فَرَاغَ عَنْهُمْ» فأقبل عليهم مستخفياً ، أو فراغ عليهم يضرهم ، أو جعل «ضرباً» يعني ضارباً ، على الحال . «يَلْمِينَ» يريد ضرباً قوياً ؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين . وقيل : بالقوة . وقيل : بسبب الحلف ، وهو قوله «وَتَأْلَهَ لَأَكِيدَنَ أَصْنَمُكُ» .

﴿يَرْفُونَ﴾ يسرعون ، ويجوز أن يقال : أزفوا ، أي : دخلوا في الزفير ، أو حملوا على الزف وهو الإسراع . فإن قلت : ذكر القصة هنا يدل على أنهم أبصروا حالة الزف ،

(١) روى الترمذى رقم (١٨٦٢) عن النبي ﷺ قال : «لا يحل الكذب إلا في ثلاثة : يحدث الرجل أمراته ليرضيها ، والكذب في الحرب ، والكذب ليصلح بين الناس» . وحسنه الترمذى . وروى البخارى - رقم (٢٤٩٥) ، ومسلم رقم (٤٧١٧) - عن النبي ﷺ قال : «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فيبني خيراً أو يقول خيراً» .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٩).

(٣) روى هذا من كلام النبي ﷺ ؛ رواه القضايعي في مسنـد الشهـاب (٣٠٢/ ٢) رقم (١٤٠٩) ، والـديـلمـي في مـسـنـدـ الفـرـدـوسـ (٢٩٠/ ٣) رقم (٤٨٧١) عن أنس بن مالـكـ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «كـفـىـ بالـسـلـامـ دـاءـ» . وـضـعـفـ الشـيـخـ الـأـلـبـانـيـ فيـ السـلـسلـةـ الـضـعـفـةـ (٤٠٩٠).

(٤) ذـكـرـهـ الـزـمـخـشـريـ فيـ الـكـشـافـ (٤٩/ ٤).

(٥) سورة النحل ، الآية (٢٧) .

والذى في سورة الأنبياء : أنهم تشوّفوا إلى أن علموا ؛ فقالوا : ﴿سَمِعْنَا فَقَيْدَرُهُمْ﴾<sup>(١)</sup> .

فجوابه : أن الذين طلبوا معرفة كاسرها كانوا فرقاً قليلة ، وبعضهم رأى وشاهد فلم ينم عليه ؛ بل عرضوا بقولهم : ﴿سَمِعْنَا فَقَيْدَرُهُمْ﴾ وقيل : جوابه : أنه كان يكسرها ويذهب ولا يشعر به أحد ، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤاهم عن الكاسر ، وقولهم : ﴿فَأَتَوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ .

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا لَنْجَحُونَ ١٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٦١﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي : خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام ؛ كقوله : ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُرْبَشَنَوْتَ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup> أي : فطر الأصنام . فإن قلت : كيف يكون الشيء مخلوقاً لله معهوماً له ؟ حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً ؟

قلت : الأصنام جواهر ، فأوقع خلق الجواهر لنفسه - سبحانه - وأوقع الصنعة والتشكيل والتخطيط على الصنعة ؛ كما تقول : صنع الصانع السوار ، وصنع النجار الباب .

فإن قلت : فهلا جعلت " ما " في قوله ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مصدرية ، أي : وعملكم ؛ كما تقول المجرة ؟ قلت : أقرب ما يبطل به المذهب أنه يصير التقدير : والله خلقكم وخلق أعمالكم ، فكيف ينكر عليهم شيئاً صنعه الله ؟<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٦٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٥٦) .

(٣) المجرة أو الجبرية هم الذين يقولون : إن للعبد قدرة غير أنه لا أثر لها البة وأفعاله مخلوقة لله وحده ولم يشتروا كسباً للعبد ولا مقدوراً بين قادرين . وهذه مسألة يكثر فيها الخوض ويتحير فيها العقل ويتبخبط فيها الفهم وتحتاج إلى كلام كثير ، وقد اختلفت أقوال الطوائف في مثل هذا ، فمنذهب أهل الحق : أن الرب - سبحانه - منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فإنه محدثه . وقالت المعتزلة : إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكنياتهم وأقوالهم وأعمالهم لم يخلوها الله ، ثم اختلفوا فقالت طائفة : خلقها الذين فعلوها دون الله . وقال آخرون : ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة لا خالق لها . وقال آخرون : هي فعل الطبيعة . وقال الذين زعموا أن العباد خلقواها : إن وقوع الأفعال من العبد على وفق قصده وداعيته إقداماً وإحجاماً دليلاً على أنه موحدها ومحترعها ، قالوا : ولو لا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة وتکليفها بال الحال وكان لا يحسن مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف . ونقل عن الإمامية : هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق الله على قولين . ونقل الأشعري عن الزيدية : أنهم فرقان ، فرقاً تزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله خلقها وأبدعها ، وفرقـة تزعم أنها مخلوقة لله وأنها كسب للعباد أحـدـثـهاـ واختـرـعـوهـاـ

فإن قلتَ : هلا زعمتَ أن " ما " في قوله : ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ موصولة ويكون المعنى : وخلق العمل الذي تعملونه ؟ قلتُ : يأتي ذلك أن الأولى موصولة قوله قولاً واحداً ؛ فوجب جعل الثانية كذلك (٢١٩/١) حتى لا يتفاوت المراد .

﴿قَالُوا إِنَّا لَهُ مُبِينُونَ فَأَنْتُمْ فِي الْجَحِيمِ ﴾١٦) فَأَرَادُوا يَهُودًا كَيْدًا بَعَلَتْهُمُ الْأَسْفَلُينَ ﴾١٧) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيِّدِنَاينَ ﴾١٨) رَبِّ هَبَتْ لِي مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾١٩)﴾

(الجحيم) النار الشديدة الوقود . وقيل : كل نار على نار ، وجمر على جمر فهي جحيم . أرادوا أن يغلبوه بالحجنة ؛ فلقنه الله جوابهم ، ثم أرادوا أن يقهروه ويحرقوه فنجاه الله من النار . أراد بذهابه إلى ربه هجرته ، أراد : مهاجرته إلى أرض الشام . ﴿سَيِّدِنَا﴾ سيرشلندي في ديني ؟ كما قال موسى : ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّ سَيِّدِنَاينَ﴾ (١) وجزم بحصول الهدایة بقوله : ﴿سَيِّدِنَا﴾ وموسى رجا الهدایة بقوله : ﴿عَسَى رَبِّتَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّكِيلُ﴾ (٢) .

﴿هَبَتْ لِي مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ يريد الولد ؛ لأن لفظ الهمة غالب في الولد ، وقد جاء في الآخر ؛ كقوله : ﴿وَهَبَنَا لَهُ مِنْ رَحْمَنِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ (٣) وهناء علي بن أبي طالب لابن عباس حين هناء بولده علي أبي الأملالك (٤) : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب (٥) .

= و فعلوها . ومذهب الجمهور أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفسق واقعة بقضاء الله وقدره ثم اختلفوا فقالت طائفة : إن العبد لا قدرة له البة وهم الجبرية ومنهم من بالغ فزعم أن حركة العبد بمنزلة حركة الأشجار مع الرياح . وقالت طائفة : العبد غير مجبر على أفعاله بل هو قادر عليها . وينظر في ذلك : إثبات الحق على المخلوق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد محمد بن إبراهيم بن الوزير (١/٣٧٧ - ٣٧٨) ط . دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ م ، الكشاف للزمخشري (٤/٥١ - ٥٢) .

(١) سورة الشعراء ، الآية (٦٢) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٢) .

(٣) سورة مریم ، الآية (٥٣) .

(٤) هكذا في الكشاف للزمخشري (٤/٥٣) ولعلها إملالك وهو التزويع ، ويقال للرجل إذا تزوج : قد ملك فلان ، وشهدنا إملك فلان وملاكه ، أي : عقده مع امرأته . ينظر : لسان العرب (ملك) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٣) بهذا السياق ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/٣٦٥) بسنده عن علي بن الجحد أخبرني الهيثم بن جاز قال : قال رجل عند الحسن لآخر : ليهنيك الفارس ، فقال الحسن : لعله لا يكون فارسا ، لعله يكون بقايا أو جالا ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، بلغ أشدك ورزقت برره " والهيثم بن جاز ضعيف ؛ كما في الكامل لابن عدي (٧/١٠١) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٧/١٠٥) .

﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِغَلَمٍ حَلِيمٍ ﴾١١١ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعْهُ السَّعْيَ قَالَ يَتَبَّعَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَارِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظَرَ مَاذَا تَرَى ﴾١١٢ قَالَ يَتَابَتْ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾١١٣ ﴿فَلَمَّا أَشْلَمَاهُ وَتَأَلَّهُ لِلْجَنِّينِ ﴾١٤ وَنَدَيْتَهُ أَنْ يَتَابَ إِلَيْهِمْ ﴾١٥﴾

وتضمنت بشارة ثلاثة أمور: أحدها : أن بشر بولد ذكر، وأن الولد يعيش إلى أن يبلغ معه السعي ، وأنه يكون حليماً ، وأي حلم أعظم من الصبر على الذبح ؛ حيث قال : «**يَتَابَتْ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**»<sup>(١)</sup> . وقيل : ما أثني على نبي بالحلم كما أثني على إبراهيم ؛ لأن الحلم في الناس قليل . «**فَلَمَّا بَلَغَ مَعْهُ السَّعْيَ**» في الأشغال والحوائج . وقوله : «**مَعْهُ**» لا يجوز أن يتعلق بـ "بلغ" ؛ لأنه يقتضي بلوغهما معًا ، ولا بالسعي ؛ لأنه من صلة المصدر ، وصلة المصدر لا تقدم عليه ؛ فبقي أن يكون معمولاً لفعل دل عليه المذكور ؛ كأن قائلاً يقول : فما السعي الذي بلغه معه ؟ فقيل : أن يسعى في مهماته ومقداصه أبيه . وقيل : كان عمر الذبح وقت الأمر بذبحه ثلاث عشرة سنة ، وقد حصل منه هذا الحلم العظيم الذي تأبه الطفولية .

أتي في المنام فقيل له : اذبح ابنك ، ورؤيا الأنبياء وحي ، وهذا قال الذبح : «**قَالَ يَتَابَتْ أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ**» فجعل ما رأه في المنام أمراً ، فأصبح إبراهيم يتربى في هذه الرؤيا أهي حق ، أم أضغاث أحلام ؟ فسمى يوم الشامن من ذي الحجة يوم التروية . وقيل : سمي يوم التروية ؛ لأن الناس يتربون من الماء ، ويدربون إلى عرفات ، ولا ماء في عرفات ، فلما أصبح إبراهيم في اليوم الثاني رأى ما عرف به أن المنام صحيح فسمى ذلك اليوم يوم عرفة ، ثم رأى في الليلة الثالثة مثل ذلك فهم بنحره (٢١٩/ب) فسمى يوم النحر .

وقيل : إن الملائكة بشرته بغلام ، فقال : هو إذن ذبح الله ، فلما وضعته أمرأته قالت له الملائكة : أوف بندرك .

فإن قلت : لم شاور إبراهيم ولده في الذبح وهو أمر حتم من الله ؟ قلت : لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، وإنما شاوره ؛ لينظر ما عنده من القلق أو التشتت . «**فَلَمَّا أَشْلَمَاهُ**» أسلم هذا ابنه ، وأسلم هذا نفسه . «**وَتَأَلَّهُ**» ألقاه بقوة على الأرض . وروي أن ذلك عند الصخرة التي يبني . وقيل : في الموضع المشرف على مسجد منى . وقيل : في المنحر الذي

ينحر فيه اليوم . وجواب ﴿فَلَمَّا﴾ مخدوف تقديره : فلما أسلموا وتله وناديناه جرى ما لا يحيط به الوصف من [الخطب] وحيازة ما لا يقدر قدره من الأجر . ﴿أَبْلَقُوا الْيَتَمِّ﴾ الاختبار الذي يضيق فيه العطن ، ويقل فيه الصبر ، أو المخنة الصعبة التي لا شيء أصعب منها . الذبيح : اسم لما يذبح . وعن ابن عباس : " هو الكبش الذي قربه هابيل قبل منه ، وكان يرعى في الجنة حتى فدي به الذبيح " <sup>(١)</sup>. وعن الحسن : فدي بوعزل أهبط عليه من ثير <sup>(٢)</sup> . فإن قلت : من الذبيح ؟ قلت : فيه قوله تعالى : أحدهما : أنه إسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجamaة من التابعين محتاجين بأن الكبش والذبيح كانوا بمكة ، ولم ينقل أن إسحاق وصل إلى مكة ، بل إسماعيل ، وبينى هو وأبوه البيت . والقول الثاني : أنه إسحاق ، وبه قال علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة ، وأن المذبور هو المبشر به ؛ لقوله تعالى : ﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ <sup>(٣)</sup> وقد ثبت أن المذبور هو المبشر به ، ولأن الله تعالى ما ذكر نبيا في هذه السورة إلا سلم عليه ، أو بارك ، وقد بارك على إسحاق بقوله : ﴿وَرَزَّقْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ الآية ، ولأن الله بشر إبراهيم بولد ، وبأن ذلك الولد يعيش إلى أن يولد له ولد ، فلو كان الذبيح إسماعيل لكان يقول : إن الله وعدني أن يعيش هذا حتى يرزق ولدا ، ولم يرزق بعد ولدا وأكثر العلماء على أن الذبيح إسحاق <sup>(٤)</sup> . فإن قلت : الله سبحانه أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يذبحه ؟ قلنا : قد بذل وسعه ، وما وصلت قدرته إليه ، إلا أن الله سبحانه أباح له الفداء ، وسمي من فعل ذلك مطينا ، ولا يسمى عاصيا . فإن قلت : فالله تعالى هو الفادي ، وإبراهيم فادي أيضا ! قلت : الله تعالى أوجب الذبح ، ووهب الكبش <sup>(٥)</sup> فيطلق على الله أنه فاد ، وعلى إبراهيم .

**﴿فَقَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَايَةُ إِنَّا كَذَلِكَ بَعْرَزِيَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْوَةُ الْمُبَيِّنُ ﴿١٧﴾ وَقَدْ نَيَّنَهُ بِذِبْحِ عَظِيمٍ ﴿١٨﴾ وَرَزَّقْنَا عَنِيهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٩﴾ سَلَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٠﴾ كَذَلِكَ بَعْرَزِيَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١﴾**

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٢٣/٨٦)، ونسبة السيوطي في الدر المنثور (٧/١١٣) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره الزخشري في الكشاف (٤/٥٥)، والوعل : تيس الجبل ، وثير : جبل معروف بمكة .

(٣) سورة الصافات ، الآية (١١٢).

(٤) سورة هود ، الآية (٧١).

(٥) تقدم الكلام على ذلك في تفسيره سورة هود ، الآية (٧١).

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ  
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُدِيرٌ ﴿١٢﴾

قال الله تعالى : « قَدْ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا » وقال : « وَدَيْنَتِهِ » فإن قلت : إبراهيم قد قضى ما كلف به ، فما وجه الفداء ؟ قلت : أن يوجد الصورة المأمور بها ، وهي الذبح ، وقال في ذكر الأنبياء : « إِنَّا كَذَلِكَ بَخْرَى الْمُحْسِنِينَ » وفي قصة إبراهيم كذلك ، والمعنى أنه قد سبق ذكر « إِنَّا كَذَلِكَ » فأغنى ذكره عن إعادةه .

﴿نَيْئَا﴾ حال مقدرة ؛ كقوله : « فَادْخُلُوهَا حَلِيلِينَ » <sup>(١)</sup> فإن قلت : المبشر به هنا مفقود لم يوجد بعد ، وقوله : « فَادْخُلُوهَا » المأمور بدخوله موجود ؛ فيبعد تقدير ذكر الحال ؛ لأن الحال حلية ، وصاحب الخلية غير موجود ؟

فجوابه : أنه لابد من تقدير مضارف مذوف ، والتقدير : وبشرناه بوجود إسحاق مقدراً له النبوة ؛ فيصير مثل قوله : « فَادْخُلُوهَا حَلِيلِينَ » ﴿١٣﴾ من الصالحين حال ثانية ، وهو على سبيل الثناء ؛ لأن كل نبي يكون من الصالحين .

﴿وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ يعني : شملتهما نعمتنا في الدنيا والآخرة .

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ ﴿١٤﴾ وَبَيَّنَتْهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرِبِ الْعَظِيمِ  
وَنَصَرَنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْعَنَدِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّهُمَا الْكَتَبَ الْمُسْتَبَينَ ﴿١٦﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا أَصْبَرَّتْ  
الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرَةِ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ  
كَذَلِكَ بَخْرَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَمَّا  
أَمْرَسَنَاهُمْ ﴿٢١﴾ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَنْقُونُ ﴿٢٢﴾ أَنْدَعْنَاهُ بَعْلًا وَتَرَكْنَاهُ أَحْسَنَ الْخَلِيقَينَ ﴿٢٣﴾  
رَبُّكُمْ وَرَبُّ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

﴿مِنَ الْكَرِبِ الْعَظِيمِ﴾ من الغرق أو من فرعون وظلمه لبني إسرائيل . « الْمُسْتَبَينَ »  
المستبرئ ، قال الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتُورَةَ فِيهَا هُدَىٰ وَنُورٌ » <sup>(٢)</sup> ومن جوز أن يكون لفظ  
التوراة عربياً يقول : إنها مشتقة من وري الزند : إذا اقتدح ناراً .

(١) سورة الزمر ، الآية (٧٣) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٤٤) .

﴿إِلَيَّا سَ﴾ قيل : هو إدريس النبي ، وفي قراءة ابن مسعود (وإن إدريس) <sup>(١)</sup> . وقيل : هو إلياس بن ياسين ، من ولد هارون أخي موسى .

﴿بَعْلًا﴾ صنم كان لهم ، يعني : أندعونه إلهًا ؟ وقيل : كان صنم فقتلوا به وعظموه حتى جعلوا له أربعمائه سادن ، وجعلوا الأربعمائة أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلّم بالضلال ، والسدنة يحفظونه ويعلمونه الناس ، وهم أهل بعلبك .

وقيل : البعل : الرب .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَحْضُرُونَ ﴿١٦٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخَلَّصِينَ ﴿١٦٤﴾ وَرَجُلُكُمْ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ﴿١٦٥﴾ سَلَّمُ  
عَلَى إِلَيَّا سَيِّدِنَا كَذَّالِكَ تَجَزَّى الْمُخْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ  
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٨﴾ إِذْ نَجَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجَمِيعَهُنَّ ﴿١٦٩﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْأَغْدِيرِينَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرَةَ ﴿١٧١﴾  
وَإِنَّكُمْ لَنَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصَبِّحِينَ ﴿١٧٢﴾ وَبِالْأَيَّلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَعَنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٤﴾ إِذْ  
أَبْنَى إِلَى الْقَلْبِ الْمَشْهُونَ ﴿١٧٥﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمَذَهَبِينَ ﴿١٧٦﴾ فَالْقَمَةُ الْمُؤْرُثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ فَلَوْلَا  
أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ ﴿١٧٨﴾ لَلَّيْثُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يَعْتَنُونَ ﴿١٧٩﴾

وقرئ "إلياسين" <sup>(٢)</sup> ولعل الياء والنون معنى في لغة السريان ، أو لعله جمع إلياس ؛ كما قال : الخبيثون وهو ولد عبد الله بن الزبير ، والمهلييون في جمع المهلب ؛ وليس ذلك بجمع إلياس ؛ لأنّه لو كانت الألف واللام للجمع لعرف بالألف واللام ، ولم يعرف . «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» يعني : أسلبتم العقول فلا تعقولون ؟

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ سمي هربه من قومه بغير إذن ربه إياً على المحاذ . والمساهمة : القرعة ، والمدحض : المغلوب . روی أن يونس لما ركب السفينة فقال البحار : إن الله أجرى العادة

(١) وقرأ بها أيضاً الأعمش ويجي بن وثاب وقتادة . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٧٢)، تفسير القرطي (١٥/١١٥)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٥١١)، فتح القدير (٤/٣٠٩)، الكشاف للزمخشري (٣/٣٥٢)، الحتسبي لابن جني (٢/٢٢٣).

(٢) قرأ عاصم ومحنة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وخلف "إلياسين" ، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب "آل ياسين" . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٧٣)، تفسير القرطي (١٥/١١٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٠٣) الحجة لأبي زرعة (ص: ٦١٠)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٥١٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٤٩)، النشر لابن الجزري (٢/٣٦٠).

أنه إذا كان في هذا المركب عبد آبق لا تسير ؟ فقال يونس : أنا العبد الآبق ، وزوج نفسه في الماء .

﴿مُلِّمٌ﴾ وهو داخل في الملامة (٢٢٠/ ب) ﴿مِنَ الْمُسَيَّحِينَ﴾ من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح . وقيل : قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْتَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

وعن ابن عباس : " كل تسبيح في القرآن فهو صلاة " (٢) وهذا دليل على أن الله طلب من العبد أن يكثر من ذكره في وقت المهلة ، ويتخذ ذلك عدة للشدائد . ﴿لَلَّهُتُ فِي بَطْنِيهِ﴾ الظاهر لبنيه فيه حيا إلى يوم القيمة . وقال قتادة : ولو لا ذلك لكان قبراً (٣) . وروي أن الله تعالى أوحى إلى الحوت حين ابتلعه : إني جعلت بطنك له سجناً، ولم أجعله لك طعاماً (٤) .

قيل في مدة لبته : أربعون يوماً . وقيل : عشرون . وقيل : سبعة أيام . وعن الحسن : لم يلبث إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه . وروي أنه لبث يسيراً والحوت يلاحق السفينة ، ويونس يسبح حتى وصل إلى قريب البر فألقاه سالماً لم ينخدش منه شيء (٥) . وروي أن الحوت قذفه من الموصل يقال لها : نينوى (٦) .

﴿فَبَذَنَّهُ بِالْعَرَكَ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْنَتْنَا عَلَيْهِ سَجَرَةً مِنْ يَقْطِينِ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ إِلَيْهِ مَا شَاءَ ﴿١٤٧﴾ أَلَّفَ أَوْيَرِيدُونَ ﴿١٤٨﴾ فَعَامَنُوا فَمَعْنَتْهُمْ إِلَيْهِ حِينَ ﴿١٤٩﴾

والعراء : المكان الحالى من الشجر . ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ على ما حل به . وروي أن بدنه صار كبدن الصغير حين يولد . واليقطين : كل ما سرح على وجه الأرض وليس له ساق .

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥٤٣/ ٥) ونسبة لعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير واحد في الزهد . وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٨٠) وزاد نسبة لابن مردوه .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٢٣/ ١٠١) ونسبة السيوطي في الدر المثور (٧/ ١٢٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة حَفَظَهُ اللَّهُ .

(٤) ذكر السيوطي في الدر المثور (٧/ ١٢٧) ونسبة لعبد بن حميد وابن جرير عن شهر بن حوشب صَاحِبُ الْمُؤْمِنَاتِ قال : انطلق يونس عليه السلام مغضاً فركب مع قوم في سفينة فوقفت السفينة لم تسر فسامهم قتلى في البحر ف جاء الحوت يصبع بذنبه فنودي الحوت : إنما لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنما جعلناك له حزناً ومسجداً .

(٥) ذكر السيوطي هذه الأقوال في الدر المثور (٧/ ١٢٧ - ١٢٨) .

(٦) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢) .

وقيل : هو الدباء<sup>(١)</sup> . وقيل : فائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عليه .

وقيل : التين . وقيل : الموز ، تغطى بورقه وأكل ثمره . وروي أنه من [ زمان ] <sup>(٢)</sup> على الشجرة فيبست . قيل له : بكيت على شجرة ولم تبك على مائة ألف في يد الكافر <sup>(٣)</sup> . ﴿وَأَبْكَنَا عَلَيْهِ أَبْكَانًا حَتَّى يَسْتَظِلَّ بِهَا﴾ أي : أبكتها عاليه عليه حتى يستظل بها . ﴿وَأَنْسَنَنَا﴾ ليس المعنى أنا جددنا له نبوة ورسالة ، بل هذا تتمة رسالته الأولى . وقيل : هو إرسال ثان إلى قومه الأولين وإلى غيرهم . وقيل : أسلموا فسالوه أن يرجع إليهم فأبى ؛ لأن الأنبياء إذا هاجروا من أرض لبعدهم من المعاصي لا يرجعون إليها . ﴿أَوَيَزِيدُونَ﴾ المراد به وصفهم بالكثرة ، أي : ومتى وقع نظر ناظر إليهم قال : هم مائة ألف أو يزيدون .

﴿فَأَسْتَفْتَهُمْ أَرْبَعَ الْبَيْتَاتِ وَلَهُمُ الْبَيْنُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> آمَّا خَلْقَنَا الْمَلَائِكَةُ إِنَّا وَهُمْ شَهِدُونَ <sup>(٥)</sup> آلَاهُمْ مَنْ إِنْ كُنْتُمْ لِيَقُولُونَ <sup>(٦)</sup> وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكَذِيبُونَ <sup>(٧)</sup> أَصْطَفَنَا الْبَيْنَاتِ عَلَى الْبَيْنَاتِ <sup>(٨)</sup> مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ <sup>(٩)</sup> أَفَلَا تَنْذَكُونَ <sup>(١٠)</sup> آمَّا لِكُوْنُ سُلْطَنٌ مُّبِيتٌ <sup>(١١)</sup> فَأَتُوا يُكْتَبُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(١٢)</sup> وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَابًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ <sup>(١٣)</sup> سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِيفُونَ <sup>(١٤)</sup> إِلَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ <sup>(١٥)</sup> فَإِنَّكُمْ وَمَا عَبَدُونَ <sup>(١٦)</sup> مَا أَنْتُ عَلَيْهِ بِقَادِيرٍ <sup>(١٧)</sup> إِلَمْ أَنْ هُوَ صَالِ الْجَمِيعِ <sup>(١٨)</sup>﴾

﴿فَأَسْتَفْتَهُمْ﴾ معطوف على مثله في أول السورة ، أمر الله رسوله ﷺ باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً ، ثم ساق الكلام موصولاً ببعضه ببعض ، ثم أمره بسؤال عن القسمة الضizi <sup>(٤)</sup> وهي جعلهم الملائكة بنات الله ، وأيات القرآن متراداة على إنكار جعل الملائكة إناثاً ، وإنما خص علم المشاهدة بقوله : (٢٢١/١) لأنه تهكم بهم ، وقد قال تعالى : ﴿أَشَهَدُوا خَلْقَهُم﴾ والولد يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . ﴿آمَّا لِكُوْنُ سُلْطَنٌ﴾ أي : حجة ، وهذه الآيات دليل على إنكار بلغ وغضب شديد لما ذكروه ، وعن الملائكة وجعلهم بنات الله ، وقد نوع الكلام أنواعاً وبالغ فيه بالوعيد الشديد ؛ فعليك أن تشرم عن ساق للاجتهاد ، وتتقر جلال الله وعظمته عما لا يليق به .

(١) الدباء : القرع . ينظر : لسان العرب (دبى) .

(٢) بياض في الأصل والثبت من الكشاف للزمخشري (٦٢/٤) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٨/٦) رقم (٣١٨٦٦) ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٦٢) .

(٤) قسمة ضيزى : جائزة غير مستورية ناقصة غير تامة ، والعرب تقول : ضرته حقه - بكسر الضاد - وضرته بضمها فأنا أضيء وأضوزه . وذلك إذا نقصته حقه ومنعته . وضاز في الحكم أي : جار وضازه حقه بضيزه ضيزاً : نقصه وبخسه ومنعه . ينظر : لسان العرب (ضيز) .

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ تَسْبِبًا﴾ وأراد بالجننة الملائكة ، والملائكة يسمون جنًا ؛ لاستثارهم عن العيون ، وإنما جاء هنا بلفظ الجن ؛ لأنه أقصى أسمائهم رتبة ، والمراد في هذا المقام تنفيص قدرهم من أن يبلغوا رتبة ما ادعوه قريش من نسبتهم إلى الولادة وأن يخطر ذلك ببال . ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنَّةَ﴾ يعني الشياطين منهم ﴿إِنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ إِلَّا عَبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين ، والمعنى : لكن المخلصون ناجون ويجوز أن يقع الاستثناء من الضمير في قوله : ﴿يَصِفُونَ﴾ أي : سبحانه الله عما وصفه الملحدون به ؛ لكن ما وصفه به عباد الله المخلصون فإنه حق .

الضمير في قوله : ﴿عَلَيْهِ﴾ الله - تعالى - والتقدير : فإنكم وعبودكم ﴿مَا أَنْتُ﴾ جميعاً ﴿يَفْتَنُونَ﴾ على الله ، إلا أصحاب النار ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ﴾ مثلكم ، أو هو كما قال الشاعر [من الوافر] :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلَيِّ  
كَذَّابَةٌ وَقَدْ حَلَمَ الْأَدِيمُ<sup>(١)</sup>

وقرئ ﴿صَالِ الْجَيْم﴾<sup>(٢)</sup> وفيه وجهان : أن يكون مرفوعاً وسقطت الواو ؛ للتقاء الساكنين ، وأن يكون أصله صايل ، فقلبت إلى صال ؛ كقولهم : شاك السلاح ؛ أي : شايك .

وَمَا مِنَّا إِلَّا هُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ<sup>(٣)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الْصَّافُونَ<sup>(٤)</sup> وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيْحُونَ<sup>(٥)</sup> وَإِنْ كَانُوا لِيَقُولُونَ<sup>(٦)</sup>  
لَوْأَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ<sup>(٧)</sup> لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ<sup>(٨)</sup> فَكَفَرُوا بِهِ<sup>(٩)</sup> فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ<sup>(١٠)</sup>  
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُلُّ مِنْنَا لِعِبَادَنَا الْمُرْسَلِينَ<sup>(١١)</sup> إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ<sup>(١٢)</sup> وَإِنَّ جَنَدَنَا لَهُمُ الْغَنِيَّوْنَ<sup>(١٣)</sup>

(١) البيت للوليد بن عقبة بن أبي سفيان يحيى بن أبي سفيان على قتال علي بن أبي طالب . ينظر في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦٦٧/٦)، الكشاف للزخيري (٦٥/٤)، لسان العرب (حلم) قال ابن منظور : " والحلم بالتحرير : أن يفسد الإهاب، ويقع فيه دود فيليب ، تقول منه : حلم بالكس . والحملة : دودة تكون بين جلد الشاة الأعلى وجلدتها الأسفل . وقيل : الحملة دودة تقع في الجلد فتأكله فإذا دبغ وَهَى موضع الأكل فبني ريقا " وقال في معنى البيت : " يقول له : أنت تسعى في إصلاح أمر قدم فساده كهذه المرأة التي تدب في الأديم الذي وقعت فيه الحملة فنقتبه وأفسدته فلا يتفع به " .

(٢)قرأ جهور القراء " صال " وصلا ووفقا ، وقرأ يعقوب وفنا " صالي " ، وقرأ الحسن وابن أبي عبلة " صال " بالضم . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٩/٧) ، تفسير القرطبي (١٣٦/١٥) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥١٦/٥) ، فتح القدير (٤١٥/٤) ، الكشاف للزخيري (٣٥٦/٣) ، المختسب لابن جني (٢٢٨/٢) ، معاني القرآن للفراء (٣٩٤/٢) .

﴿مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في العبادة والانتهاء إلى أمر الله ؛ كما قيل في صفتهم: منهم راكع لا يقيم صلبه ، وساجد لا يرفع رأسه . ﴿لَعْنَ الظَّافِرِ﴾ نصف أقدامنا في الهواء وأجنبتنا في السماء والأرض نتظر ما تؤمر به . وقيل : إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة من حين نزلت هذه الآية ، وليس أحد من الملائكة يصطفون في الصلاة إلا المسلمون والمبشرون : المترهون أو المصلون . ﴿كَأُولَئِ﴾<sup>(١)</sup> مشركو قريش يقولون : ﴿لَوْاَنَّ عَنْدَنَا ذِكْرُنَّ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٢١ / ب)، أي: كتاباً من كتب الأولين لأنخلصنا العبادة لله ، ونظيره : ﴿وَأَقْسُمُوا بِاللهِ جَهَدَ أَقْتَنُهُمْ لَيْنَ جَاهُهُمْ نَذِيرٌ كُوْنَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَّمِ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم ، و﴿وَإِنَّ﴾ من الشقيقة ، واللام هي الفارقة . وفيه دليل على توكييد الأمر ، وأنهم لا يفكرون عن طاعة الرسول إذا جاءهم . ﴿كَمَنَّا﴾ هي قوله : ﴿إِنَّهُمْ لَمَّا مَنَّا إِنَّهُمْ لَمَّا جَنَّا هُمْ أَعْلَمُ بِأَعْلَمِ الْعَابِدِينَ﴾ . وسمها كلمة وهي كلمات ؛ لأنها في نصرة بعضها ببعض كالشيء الواحد ﴿إِنَّهُمْ لَمَّا مَنَّا إِنَّهُمْ لَمَّا جَنَّا هُمْ أَعْلَمُ بِأَعْلَمِ الْعَابِدِينَ﴾ في العاقبة وغالب الأمر.

﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَبْصِرُهُمْ فَسَوْفَ يُبَصِّرُونَ<sup>(٤)</sup> ﴿أَفَيُعَذِّبُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> فَإِذَا نَزَّلَ سِاحِرُهُمْ<sup>(٦)</sup> فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ<sup>(٧)</sup> وَنَوَّلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينَ<sup>(٨)</sup> وَأَبْصِرُ فَسَوْفَ يُبَصِّرُونَ<sup>(٩)</sup> سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ<sup>(١٠)</sup> الْعِزَّةِ عَمَّا يَصْنُعُونَ<sup>(١١)</sup> وَسَلَامٌ عَلَى الْمَرْسَلِينَ<sup>(١٢)</sup> وَلَحْدَهُ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(١٣)</sup>﴾

﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ﴾ فأعرض وأغمض على أذاهم . ﴿حَتَّىٰ حِينَ﴾ وهي مدة الكف عن القتال .

وقيل إلى الموت . وقيل : إلى يوم بدر . ﴿وَأَقْرَبْنُمْ﴾ وستشاهد ما يحل بهم من النكال وعقوبة الآخرة . ﴿فَسَوْفَ يُبَصِّرُوكَ﴾ ما يقضى لك من النصرة ، والمراد بالأمر بالإبصار بأنه يشاهد الأمر على صورته وأنه كائن لا محالة . ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ سمي صباحاً ؛ لأنها أكثر ما تكون في وقت الصبح . وقيل : لما جاء النبي ﷺ إلى خيبر وخرجت اليهود بمساحيم<sup>(٣)</sup> ومكاتبهم<sup>(٤)</sup> فرأوا رسول الله ﷺ وأجناده فقالوا : محمد والخميس معه ،

(١) هكذا في المخطوط وهي لغة مشهورة في تعرف بلغة " يتعاقبون فيكم ملائكة " وقد مرت أول سورة الأنبياء .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٤٢) .

(٣) المساحي : جمع مسحاة وهي المجرفة من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو: الكشف والإزاله . ينظر : لسان العرب (سحا) .

(٤) المكاتب : جمع مكتل بكسر الميم وهو الزبيل الكبير ، قيل : إنه يسع خمسة عشر صاعاً كأن فيه كتلاً من التمر ، أي : قطعاً مجتمعة . ينظر : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤ / ١٥٠) .

ورجعوا إلى حضونهم ، فقال رسول الله ﷺ : " الله أكبر : خربت خير ، إنما إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " <sup>(١)</sup> . وقيل : أريد بأحد الإبصارين عقوبة الدنيا ، وبالآخرة عقوبة الآخرة . أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها . وقيل : المراد أنه المتصرف في العزة ، وهو مالكها يؤتيها من يشاء ؛ لقوله : ﴿مَنْ كَانَ فِي إِيمَانٍ فَلَهُ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ خبر ، والمراد : تعليم العباد كيف يسبحون الله وينزهونه . وعن علي بن أبي طالب : " من أحب أن يكتال بالملك الأوفي فليكن آخر كلامه إذا قام من المجلس : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى آخرها " <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم (٦١٠ ، ٩٤٧ ، ٢٩٤٤) ، وأحمد في المسند (٢٠٦ / ٣) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٧٤٥) عن أنس رض .

(٢) سورة فاطر ، الآية (١٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥٥٤ / ٥) ونسبة لمحمد بن زنجويه في ترغيبه وابن أبي حاتم ، وزاد نسبته الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (١٨٢ / ٣) لعبد الرزاق والشعبي .

## تفسير سورة ص [مكية]

سُورَةُ الْحَمْدِ

﴿صٌّ وَالْقُرْآنُ ذِي الْذِكْرِ ﴿١﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عَزَّةٍ وَشَفَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرِنَ فَنَادَاهُ  
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾

﴿صٌّ﴾ على الوقف ، وهو المشهور ، وقرئ بالكسر والفتح <sup>(١)</sup> كأمس ، وأين ، ويجوز أن يتصل بمحذف حرف القسم واتصال فعله (٢/٢٢) كقوتهم : الله لافعلن . وامتنع صرف ﴿صٌّ﴾ لأن فيها سبين : العلمية والتائيث . فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الْذِكْرِ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عَزَّةٍ وَشَفَاقٍ﴾؟ قلت : إذا أريد بالحروف التي في أوائل سور أنها ليبيان الإعجاز ، وأن القرآن مركب من الحروف التي تنظمون منها كلامكم وعجزتم عن الإتيان بهم ، ويجوز أن يكون المراد : وحق ﴿صٌّ﴾ إن القرآن لعجز لا يمكن أن يقابل بالتكذيب والشقاق . ثم القرآن يجوز أن يراد به هذه السورة ، ويجوز أن يراد به جميع ما نزل .

﴿بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يكتذبون عناداً وتكبراً ، وقد أهلك الله تعالى أمّا كذبوا رسلاهم كما فعل قومك ، وسيحل بقومك ما حل بهم في الدنيا والآخرة ؛ كما تقول : مررت بزيد والنسمة المباركة ، ولا تريد غير زيد . والذكر : الشرف أو الموعظة أو الشهرة ؛ من قولك : فلان مذكور ، أي : مشهور ، والتوكير في ﴿عَزَّةٍ وَشَفَاقٍ﴾ للدلالة على عظمتها وبلوغها الغاية القصوى . وقرئ " في عرة " بالعين والراء <sup>(٢)</sup> أي : في غفلة . ﴿كَمْ أَهْلَكَنَا﴾ وعيده شديد لأهل مكة . ﴿فَنَادَاهُ﴾ فاستغاثوا . وقرئ (نادوا بالتوبيه) <sup>(٣)</sup> وليس الحين حين مناص ، وتغير بذلك حكمها ؛ حيث صارت لا تدخل إلا على الأزمة ، ولا يجوز ذكر اسمها وخبرها مع

(١) قرأ أبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم وابن أبي عبلة وأبو السماء " صاد " بكسر الصاد ، وقرأ عيسى بن عمر " صاد " بالفتح .

تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٨٣) ، تفسير القرطبي (١٤٢/١٥) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥١٩/٥) ، فتح القدير (٤١٩/٤) ، الكشاف للزمخشري (٣٥٨/٣) ، الحتسب لابن جني (٢٣٠/٢) ، معاني القرآن للقراء (٢/٣٩٦) .

(٢) قرأ بها الكسائي في رواية سورة وحماد بن الزيرقان وأبو جعفر والجحدري والعقيلي وغيرهم .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/٣٥٩) .

(٣) نسبها الزمخشري في الكشاف (٤/٧١) للحسن من قوله ، وليس قراءة .

وخبرها مع دخول التاء عند الخليل وسيبوه<sup>(١)</sup> وإنما يظهر أحدهما . وقيل : حين مناص ﴿ حين مناص ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : ولا أرى حين مناص ، ويجوز رفع الحين بالابتداء ، أي : ولا حين مناص كائن لهم ، وأنشد أبو زيد الطائي [ من الخفيف ] :

**طَلْبٌ** وَاصْلَحْنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجِبْنَاهُ لَمَّا حَيْنُ بِقَاءٍ<sup>(٢)</sup>

والكسر في (أوان) مثله في قوله [ من الوافر ] :

نَهِيْكَ عَنْ طَلَابِكَ أَمْ عَمْرُو بِعَافِيَةٍ وَأَسْتَ إِذْ صَحِّحَ<sup>(٣)</sup>

في أنه ظرف زمان قطع منه المضاف إليه ، وعوض التثنين ؛ لأن الأصل : ولا تأوه صلح . وإذا وقفت على **﴿ولات﴾** فالمختار أنك تقف عليها بالباء ؛ كما تقف على قامت وخرجت . وقال الكسائي : يوقف عليها بالباء كما تقف على التاء في عائشة وفاطمة <sup>(٤)</sup> . وأما قول أبي عبيد : إن التاء داخلة على حين فلا وجه له <sup>(٥)</sup> . والمناص : المنجي .

﴿ وَيَجِدُونَ جَاهَةً هُمْ مُنذِرُهُمْ وَقَالَ الْكُفَّارُ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝ أَجْعَلَ اللَّهُمَّ إِلَهَهُمْ وَاجْدَأْ إِنَّ هَذَا لَشْقٌ عَجَابٌ ۝ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ أَمْسَوْا وَاصْبَرُوا عَلَىَّ مَا الْهَمَّ كَمْ إِنَّ هَذَا لَشْقٌ بِرَادٌ ۝ ۱۶ ﴾

«مُنذِّرٌ مِّنْهُمْ» من أنفسهم . **﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾** (٢٢٢/ب) ولم يقل : " وقالوا " ؛ إظهاراً للغضب والتعجب من تكذيبهم الرسول ﷺ الذي دلت المعجزة على صدقه ، ويتعجبون من التوحيد ، وهو الحق الذي لا يحيد عنه .

وروى أن أكابر قريش من الكفار اجتمعوا عند أبي طالب ، وقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا

<sup>١١</sup> ينظر : الكتاب لسيويه (٢٩/١).

(٢) ينظر في : خزانة الأدب للبغدادي (١٥٣/٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥٢٣/٥)، الكشاف للخنزيري (٤/٧١)، معانى القرآن للأخفش (٤٥٦/١)، معانى القرآن للفراء (٣٩٨/٣).

(٣) البيت لأبي ذئب الهمذاني، ينظر في: خزانة الأدب للبغدادي (٦/٥٣٩)، الدر المصور للسمين الحلبي (٥٢٣/٥)، شرح شواهد المغني (ص: ٢٦٠)، شرح الفصل لابن يعيش (٣/٣)، لسان العرب (آذ).

(٤) ينظر : الكشاف للذخري ، (٤/٧٢) ، معانى القرآن للفاء (٢/٣٩٨) .

(٥) عبارة أبي عبيد في غريب الحديث (٤/٢٥٠): " وهي لغة معروفة يزيدون التاء في الآن وفي حين يقولون: تلآن وتحين. قال: ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ مَنَاصِ﴾ قال: إنما هي ولا حين مناص .

وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون الذين دخلوا في دين الإسلام ، وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك ؟ فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ وقال : يا ابن أخي : هؤلاء قومك يسألونك السواء ؟ فلا تمل كل الميل على قومك فقال ﷺ : ماذا يسألونني ؟ قالوا : ارفضنا وارفض ذكر آهنتنا وندعك وإلهك ؟ فقال عليه السلام : أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم ، أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب ، وتدينون بهما العجم ؟ قالوا : نعم وعشراً ؛ أي : نعطيكم عشر كلمات معها . فقال : قولوا لا إله إلا الله . فقاموا ، وقالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي : بلغ في العجب<sup>(١)</sup>.

وقرئ "عجب" بالتشديد<sup>(٢)</sup> كقوله : ﴿مَكَرَا كَبَارًا﴾<sup>(٣)</sup> : وهو أبلغ من الخفيف ، وقوله : ﴿أَجَعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ مثلاً قوله : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ﴾<sup>(٤)</sup> في كون الجعل بمعنى التصريح .

﴿الْمَلَأُ﴾ أشرف قريش ؛ يريد : وانطلق الملا عن مجلس أبي طالب قائلين : ﴿أَمْشُوا﴾ واصبروا على عبادة آهلكم ﴿إِنَّ هَذَا شَيْءٌ يُرَادُ﴾ ي يريد الله عز وجل إحكامه وإمضاءه ، وما أراد الله عز وجل كونه فلا مرد له ، ولا ينفع فيه إلا الصبر ، أو أن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر لا مرد له ، أو أن دينكم شيء يراد ، أي : يطلب لغبوا عليه ويؤخذ منكم . و﴿إِنَّ﴾ يعني أي ؛ لأن المنتقلين عن مجلس المقاولة لا ينفكون عن المحاوزة ببعض ما جرى غالباً .

﴿مَا سِعَنَا بِهَذَا فِي الْمِلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْيَالُنَا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿أَئْنِزِلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍ مِنْ ذِكْرِي﴾<sup>(٦)</sup> بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ<sup>(٧)</sup> ﴿أَرَى عِنْهُمْ حَرَابًا رَحْمَةً رَبِّكَ الْعَزِيزُ الْوَهَابُ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿أَمْ لَهُمْ مُنْكَرٌ أَسْمَوْتُ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَمُّا مُلْكِيَّتُهُمْ فِي الْأَسْبَابِ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿جَنَدَ مَا هَنَالِكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ بَوْحٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَفْوَادِ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَأَصْحَبُ لَيْكَةً أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿فِي الْيَلَةِ الْآخِرَةِ﴾ ملة النصارى ؛ لأنها آخر الملل ، وهم يعتقدون التشليث . ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا﴾

(١) رواه أحمد رقم (١٩٠٤) ، والترمذى رقم (٣١٥٦) وقال : حسن صحيح .

(٢) قرأ بها علي بن أبي طالب والسلمي وعيسي بن عمر وابن مقمص .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٨٥) ، فتح القدير (٤٢٠/٤) ، الكشاف للزمخشري

(٣١٧/٢) ، المحتسب لابن جني (٢/٢٣٠) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٩٨) .

(٣) سورة نوح ، الآية (٢٢) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (١٩) .

عذابٍ》 بعد ، ولو ذاقوه لما قالوا ذلك . 《أَمْرَعَنَدَهُرْخَزَانِينْ》 يعني : ليس عندهم تلك الخزائن ، ثم أتى بأبلغ من ذلك فقال : 《أَمْلَهُمْ مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ》 حتى يتصرفوا في اختيار الرسل ، وفي الأمور العظيمة ، أي : إذا كان كذلك 《فَلَيَرْقُوْفَيْنِ الْأَسْبَابِ》 إلى السماوات (٢٢٣) أ) ويدبروا أمرها ، ثم انتقصهم فقال : 《جَنْدُ مَاهَنَالِكَ مَهْرُونْ وَنَالْأَحْرَابِ》 أي : ما هم إلا جند من جملة المتحرزين على الرسل وهم منهزمون ؛ ك قوله : 《سَيِّهِمْ لِلْجَمْعِ وَيُولُونَ الدُّبُرَ》 (١) أي : عما قريب فلا تبال بما يقولون ، ولا تكرث بما يهدون ، و " ما " مزيدة في قوله : 《جَنْدُ مَاهَنَالِكَ》 و 《هَنَالِكَ》 إشارة إلى المكان الذي وضعوا فيه أنفسهم من المجموع على مثل ذلك العظيم . قوله : 《ذُو الْأَوْنَادِ》 مأخذ من ثبات الخيمة بأوتادها ، قيل : ثابت الأوتاد ؛ استعير ذلك لثبات الملك وقوته ؛ كما قال الشاعر [ من الكامل ] :

في ظلِّ ملکٍ ثابتِ الأوتاد (٢)

وقيل : كان يشيح المعدب بين أربعة سوار ؛ كل طرف من طرفه إلى وتد ، ثم يعاقبه فلا يستطيع عن نفسه دفعاً ، ويتركه حتى يموت مشبوحاً (٣) . وقيل : يتركه بين أربعة أوتاد ويسلط عليه الحيات والعقارب . وقيل : كانت له أوتاد وحبال وملاعب يلعب بها بين يديه 《أَوْلَئِكَ الْأَحْرَابُ》 إشارة إلى الأمم الذين كذبوا أنبياءهم فهلكوا ؛ فذكرهم أولاً بالعموم ثم خصهم واحداً واحداً فقال : نوح وعاد وفرعون وأصحاب الأيةك وغيرهم ، وذلك دليل على الاعتبار بذكر تكذيبهم وعداهم 《فَحَقَّ عِقَابُهُمْ》 .

﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسُولُ فَحَقَّ عِقَابُهُمْ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُهُنَّ لَهُ إِلَّا صَيْحَةٌ وَيَجِدُهُمْ مَا لَهُمْ إِنْ فَوَاقُوا ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا أَعْلَمُ لَنَا فَطَنَّا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبَرُ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَآذَكُرْ عَبْدَنَا دَاؤُدَّ ذَا الْأَيْدِيْهُهُ أَوَابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا أَجْبَانَ مَعْدَمٍ يُسَيْخَنَ بِالْعَشَقِ وَإِلَّا شَرَاقٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿هُنَّ لَهُؤُلَاءِ﴾ أهل مكة أو هو إشارة إلى جميع الملل المكذبة . 《مَا لَهُمْ إِنْ فَوَاقُوا》 ما لها من

(١) سورة القمر ، الآية (٤٥) .

(٢) هذا عجز بيت للأسود بن يعفر وصدره : ولقد غنو فيها بأفضل عيشة .

ينظر في : غريب الحديث للخطابي (١/٣٠١) ، الكشاف للزمخشري (٤/٧٦) ، معجم البلدان (١/٢٧٢) .

(٣) المشبوب : البعيد ما بين المنكبين . والشبح : مدك الشيء بين أوتاد أو الرجل بين شيئاً ، والمضروب يشبح : إذا مد للجلد . وشبحه يشبحه : مده ليجلده ، وشبحه : مده كالمصلوب . ينظر : لسان العرب (شبح) .

رجوع ، وقرئ بضم الفاء<sup>(١)</sup> أي : بعقار حلب ناقة ، ورضعي الراضع ، يعني : إذا حل وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان ؛ كقوله تعالى : «فَإِذَا جَاءَهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً»<sup>(٢)</sup> وعن ابن عباس : ما لها من رجوع وتردد ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة<sup>(٣)</sup> . القط : القسط من الشيء ؛ لأنه قطعة منه ؛ تقول : قط الشيء ، بمعنى : قطعة ، ويقال لصحيفة الجائزة : قط ؛ لأنها قطعة من القرطاس ، وقد فسر ذلك قوله عز وجل : «رَبَّنَا عَلَىٰ نَّا قَطْنَا»<sup>(٤)</sup> أي : نصيبياً من العذاب الذي وعدت به ؛ كقوله تعالى : «وَسَتَعْلَمُونَكُم بِالْعَدَابِ»<sup>(٤)</sup> ووجه مطابقة قوله تعالى : «أَصِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» لقوله : «وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤَدَ» أنه عبد عظيم أنعم الله عليه وزلزلة وقع فيها في أمر عظيم حتى ضرب له المثل بالنعاج وسجد يبكي حتى (٢٢٣/ب) نبت العشب من دموعه ؛ أي : واذكر عبدنا داود ابلي فصبر . والأيد : القوة ، ويقال للقوى : أيد . «أَوَّلُهُ رَجَاعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ مِنْ آبَ يَئُوبُ؛ إِذَا رَجَعَ، ثُمَّ شَرَعَ يَذْكُرُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: «إِنَّا سَخَرْنَا لِجَبَانَ مَعَهُ، يُسَيْخَنُ بِالْعَشِينِ وَالْإِشْرَاقِ»<sup>(٥)</sup> قوة الشمس وذلك بعد ارتفاعها قيد رحيم وقيل : هي صلاة الضحى ، صلاة الإشراق ، يقال : شرقت الشمس : إذا طلعت ، وأشارت : إذا أضاءت وصفت تشرق إشراقاً . وروت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب :

"أن النبي ﷺ صلى في بيته صلاة الإشراق " <sup>(٦)</sup>.

ويجوز أن يريد وأشارق أنه دخل في وقت الشروق ؛ كقوله : «فَاتَّبِعُوهُمْ مُشَرِّقَيْنَ»<sup>(٧)</sup> . وقوله عز وجل : «فَأَخْذَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشَرِّقَيْنَ»<sup>(٧)</sup> وكانت العرب تقول : أشرق ثير كما

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف "فُوَاق" وقرأ الباقون "فَوَاق" . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٨٩/٧) ، تفسير القرطبي (١٥٦/١٥) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٠٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦١٣) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٥٢٨/٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٥٢) ، الكشاف للزمخري (٣٦٣/٣) ، النشر لابن الجوزي (٣٦١/٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٣٤) .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (١٣٢/٢٣) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٤٧) .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦١/٥) ونسبه لابن مردوه .

(٦) سورة الشعراء ، الآية (٦٠) .

(٧) سورة الحجر ، الآية (٧٣) .

نغير<sup>(١)</sup> . و **﴿يُسِّخَن﴾** في معنى مسبحات ؛ على الحال . والفرق بين " يسبحن " و " مسبحات " أن الفعل المضارع يدل على التكرار ، والتسييح كان يتكرر من داود من الجبال وأما اسم الفاعل في قوله : مسبحات ، فلا يدل على ذلك ؛ لأن التسييح صفة ثابتة تقول في الصغير ابن سبع سنين : هذا يطول ، وتقول لابن أربعين سنة : هذا طويل . ف " يسبحن " يدل على التكرار .

**﴿وَالظَّيرَ مَحْشُورَةٌ كُلُّهُ أَوَابٌ ﴾** **﴿١٩﴾** **﴿وَسَدَّدَنَا مُلْكَهُ، وَأَيَّنَتْهُ الْحِكْمَهُ وَفَصَلَ الْخَطَابِ﴾**

**﴿أَوَابٌ﴾** رجاء إلى الله تعالى بالتسبيح والاستغفار ، قوله تعالى : **﴿كُلُّهُ أَوَابٌ﴾** يجوز أن يرجع الضمير إلى داود ؛ أي : كل يسبح تسبيحه . وقيل : إلى الله تعالى ، أي : كل يسبح الله تعالى . **﴿وَسَدَّدَنَا مُلْكَهُ﴾** قويناه ، وكان يثبت حول محاربه أربعون ألفاً عليهم الزرد<sup>(٢)</sup> . وقيل : إنما شد ملكه لأن رجلاً ادعى على رجل أنه غصبه بقرة فأنكره ، فسأل داود ربه بماذا يحكم ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن اقتل المدعى عليه ؛ فأخبره داود أن الله تعالى أمر بقتله فقال : إنني لم أؤخذ بهذا الذنب ، ولكني قلت أبا هذا المدعى ، فقتله داود ، فاشتد ملكه ، وقال الناس : من أذنب ذنباً أعلم الله تعالى به داود ؛ فعظم ملكه بذلك . **﴿الْحِكْمَهُ﴾** الزبور والشرائع . وقيل : كل كلام وافق الحق فهو حكمة . الفصل : التمييز بين الشيئين . ويقال : الكلام بين فصل ؛ يعني مفصول ، ويجوز أن يراد بالفصل : الفاصل ؛ تسمية لاسم الفاعل بالمصدر . وقيل : قوله : " اليينة على المدعى ، واليمين على المدعى عليه "<sup>(٣)</sup> وهو من الفصل بين الحق والباطل **﴿٢٢٤﴾** . ويدخل فيه قول بعضهم : فصل الخطاب قوله : أما

(١) قال ابن قتيبة في غريب الحديث **﴿٣٥٦﴾** : " قولهم أشرق ثير : هو من شروق الشمس وشروقها طلوعها يقال شرق الشمس شروقاً إذا هي طلعت وأشرقت إذا أضاءت وإنما يريدون ادخل إليها الجبل في الشرق كما تقول أشمل القوم إذا دخلوا في ريع الشمال وأجنبوا إذا دخلوا في الجنوب وأراحوا إذا دخلوا في الرياح وأربعوا إذا دخلوا في الريح فإذا أردت شيئاً من هذا أصابهم قلت: شمل القوم وجنبوا ورجعوا وربعوا وشرقوا وكذلك غيثوا إذا أصابهم الغيث " .

(٢) الزرد : حلقة المغفر والدرع ، والزردة : حلقة الدرع ، والسرد تقبها ، والجمع : زرود ، والزراد : صانعها . وقيل : الزاي في ذلك كله بدل من السين في السرد والسراد والزرد مثل السرد ، وهو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض . ينظر : لسان العرب (زرد) .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره **﴿١٤٠﴾** عن شريح ، ونسبة السيوطي في الدر المثور **﴿١٥٤﴾** لابن جرير والبيهقي عن قتادة .

بعد<sup>(١)</sup> ؛ لأنها فصلت ما بعدها عما قبلها . ويجوز أن يراد بـ «وَفَصَلَ الْنِّطَابِ» الذي ليس بطويل ممل ، ولا قصير مخل . كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل عن امرأته ليتزوجها إذا أعجبته ، وكان لهم عادة في المواساة بذلك ؛ فوقعت عين داود على امرأة رجل يقال له أوريما ؛ فاستحينا أن يرده ، ففعل ذلك ؛ فتزوجها وهي أم سليمان ؛ فضرب له المثل بما في الكتاب العزيز . وقيل : خطبها أوريما فأجابوه ، ثم خطبها داود فاستحينا ولديها فزوجها من داود عليه السلام ؛ فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه<sup>(٢)</sup> . وقيل : إن داود كان يغلق عليه قصره ويتعبد المدد ؛ فأغلق بابه عليه مرة فتسلق شخصان يريدان قتل داود عليه السلام فاحس بهما ، وكان شديد القوة يقدر عليهم فتملاكا كذبة ، وقالا : نحن خصمان بغي بعضنا على بعض ؛ فعلم أنهما تحيلا بدعوى المحاكمة ؛ فأراد قتلهما ، ثم قال : لا أتلهمما بالظن ؛ فاستغفر ربه مما هم به من ذلك . وإذا تأملا القرآن العظيم وجدته يدل على هذا القول الأخير من وجوه كثيرة تقارب ثلاثة دليلًا : أولها : قوله : «أَصَبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَآذَنُّ»<sup>(٣)</sup> ولا يقال : اصبر واذكر داود الذي أحب امرأة فسعي حتى حصلت له ، بل معناه : اصبر كما صبر داود على الشلحين<sup>(٤)</sup> ولم يأمر بقتلهم ، وكذلك قوله : «ذَا الْأَيْدِي»<sup>(٥)</sup> ، أي : القوة ، والقوة تعم قوة الدين ، وقوية البدن ، ومن عنده مسكة من دين لا يفعل مثل ذلك ، ومنها قوله : «وَنَاسَحَرْنَا إِلْجَالَ مَعَهُ»<sup>(٦)</sup> ومثل هذا المذكور في صفاته وما وبه الله عز وجل من الكرامات أمر عظيم لا يقرن بالذم ؛ فإنك لو قلت : زيد عالم خير مخصوص بالكرامات العظيمة أحب امرأة فسعي في فراقها من زوجها حتى تزوجها لم يكن كلاماً متناسباً .

﴿ وَهَلْ أَنْتَكَ نَبَوْا الْحَصَمِ إِذْ سَوَرُوا الْمِحَرَابَ ﴿١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاؤِدَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْقِّقْ حَصَمَانِ بَعْنَ بَعْصَنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكَمَ بَيْنَنَا بِالْعَيْنِ وَلَا تُشَطِّطْ وَاهِدَنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الْصِّرَاطِ ﴿٢﴾ إِنَّ هَذَا

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١٤٠ / ٢٣) ، ونسبة السيوطي في الدر المشور (٧ / ١٥٥ - ١٥٤) لابن أبي حاتم والديلمى عن أبي موسى الأشعري ، ولسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر عن الشعى أنه سمع زيد بن أبي سفيان .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤ / ٨٠ - ٨١)

(٣) قال ابن الأعرابى : الشلح السيفون الحداد . قال الأزهري : ما أرى الشلحاء والشلح عربية صحيحة وكذلك التشليح الذى يتكلم به أهل السودان سمعتهم يقولون شلح فلان إذا خرج عليه قطاع الطريق فسلبوه ثيابه وعروه . ينظر : لسان العرب (شلح) .

أَنْجَى لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ بَعْجَةً وَلِيَتَعْجَهُ وَحِدَّةً فَقَالَ أَكْفَلْنَاهَا وَعَزَّزَ فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمْتَكَ يُسْوَالُ  
بَعْنَكَ إِلَى نَعَامِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُغْلَطَاءِ لِيَسْعِيَ عَصْبَهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا  
هُمْ وَظَنَّ دَاوِدُ أَنَّمَا فَتَنَنَّهُ فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّهِ وَخَرَّكَعَا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرَنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَرْفَنِي  
وَحُسْنَ مَثَابٍ ﴿٢٥﴾

وقوله : ﴿إِذْ شَوَّرُوا﴾ يدل على ذلك ؛ فإن الملك لا يحتاج إلى التسلق ، وأيضاً قوله :  
**﴿حَصَمَان﴾** لا يليق بالملائكة أن يكتبو ، ويجعلوا أنفسهم خصوماً ، وكذلك لا يبغي  
 بعضهم على بعض وكذلك قوله : **﴿فَقَالَ أَكْفَلْنَاهَا﴾** والملائكة لا تكفل غنماً . **﴿وَعَزَّزَ﴾**  
 (٢٢٤/ب) غلبني يقول العرب : من عز بز<sup>(١)</sup> أي : من غالب سلب ، والملائكة لا يغالب  
 بعضهم بعضاً ، وإنما استغفر داود من همه بقتل الرجلين بغير بينة . **﴿وَخَرَّكَعَا وَأَنَابَ﴾** عن  
 الساجد بالراكم ؛ لأنه ينحني كالساجد ، واحتاج به أبو حنيفة وأصحابه على قولهم : إن  
 الرکوع في سجود التلاوة يقوم مقام السجود<sup>(٢)</sup> . ويجوز أن يكون أحمر بركتين ليلاً  
 عقيهما ما جرى ، والصلاحة تسمى رکوعاً وسجوداً . وقيل : إنه أقام ساجداً أربعين ليلة  
 وكان لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة ، أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من  
 دمعه إلى رأسه ، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمعه ، وجهد نفسه واستغل بالبكاء والتوبة عن  
 مملكته حتى وثب ابن له يقال له [إيشا]<sup>(٣)</sup> على ملكه ، ودعا إلى نفسه ؛ فلما غفر لداود  
 حارب ابنه وهزمه<sup>(٤)</sup> . وروي أنه نقش خطيبته في كفه حتى لا ينساها<sup>(٥)</sup> .

﴿يَنَّدَأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَنَجَّيْ الْهَوَى فَيُضْلِلَكَ عَنْ سَبِيلِ  
 اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ  
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِطَلَّا ذَلِكَ ظُنُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ بَعْجَلَ الَّذِينَ آمَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ كَالْمُقْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَعْجَلَ الْمُتَقَبِّلِينَ كَالْفُجَارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنَّنَهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ  
 لِيَبْرُوْأْ بِإِيمَنِهِ وَلِيَذَكَّرْ أَفْلُوْا الْأَلْبَنِ ﴿٢٩﴾ وَهَنَّا لِدَاؤِدُ سَيَمَنَ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُمْ  
 إِذْ

(١) ينظر في : تهذيب الأسماء للنووي (٢٠٤/٣) ، غريب الحديث للخطابي (١٤٥/١) ، لسان العرب (بز) والبز : السلب ، ومعنىه : من غالب سلب .

(٢) ينظر : أحكام القرآن للجصاص (٢٥٦/٥) .

(٣) بياض بالأصل والثبت من الكشاف للزمخشري (٨٨/٤) .

(٤) رواه الطبرى في التفسير (٢٣/١٤٧ - ١٤٨) ، وذكره السيوطي في الدر المثور (١٥٨/٧) .

(٥) رواه الطبرى في التفسير (١٤٨/٢٣) ، وذكره السيوطي في الدر المثور (١٦٤/٧) .

عِرْضَ عَيْتَهُ بِالْعَيْشِ الْصَّدِيقَتُ لِلْجِيَادِ (٢١) .

﴿خَلِيفَةً﴾ في تنفيذ أحكام الله تعالى . وقيل : خليفة عنمن كان ملكاً ، وفيه دليل على أن حاله عادت بعد التوبة إلى ما كانت عليه لم تغير . وعن عمر بن عبد العزيز : قيل له : إن الخليفة لا يجري عليه القلم . فقال : أيهما أعظم : الخليفة أم النبي ؟ فقيل له : النبي . فتلا عليهم قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْبِئُ الْهَوَى فَيُبَلَّكَ﴾<sup>(١)</sup> . قوله : ﴿بَطَلًا﴾ أي : لا لغرض صحيح ولا حكمة ظاهرة ، وهي معاقبة المسيء وإثابة المحسن ، وإن فنحن نرى رجلاً صالحًا من المسلمين يظلم ويؤخذ ماله ويبقى فقيراً إلى أن يموت ، ويبقى الظالم غنياً بما أخذ من المال ، فلو لم يكن ثم آخرة يستوفي فيها للمظلوم حقه لكان خلق السماوات والأرض باطلًا مخالفًا للحكمة : ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ الْأَسْمَاءَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجَزَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ذَلِكَ ظُنُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي : مظنة لهم ، وكانت الكفار معتبرين بأن الله جل جلاله خلق السماوات والأرض ، فكيف يزعمون أنه خلقها باطلًا ؟ وإنما كان كذلك لأن من جحد الحكمة في خلق العالم والثواب والعقاب ، فقد جعل التصرف باطلًا ، ولو لا الثواب والعقاب لاستوى حال المؤمن والكافر . والصفون<sup>(٣)</sup> لا يكاد يوجد إلا في الخيل العراب ، ولا يوجد (٤/٢٢٥) في الهجن التي ليس لها أصل في عراقة الخيل . ووصفها بال تمام إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها ، وإذا جرت كانت سراعًا في جريها . وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس . وروي أنه ورثها من أبيه ، وأصابها أبوه من العمالة . وقيل : خرجت من البحر وهو أجنحة فقد يوماً بعد ما صلى الأولى على سريره ، واستعرضها فلم يزل يعرض عليها حتى غربت الشمس ، وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشاء وتهببوه فلم يعلمه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها ؛ تقرباً إلى الله تعالى ، وبقي مائة فما في أيدي الناس من الخيل الجياد من نسلها . وقيل : لما عقرها أبدله الله عز وجل خيراً منها وهي الريح تحري بأمره<sup>(٤)</sup> .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٨٩).

(٢) سورة الجاثية ، الآية (٢٢).

(٣) يقال : صفت الدابة تصنف صفونا : قامت على ثلاثة وثبتت سبنك يدها الرابع ، وصفن الفرس : إذا قام على طرف الرابعة ، وصفن يصنف صفونا : صف قديمه . ينظر : لسان العرب (صفن) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/٣٧٣).

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحِبْتُ حُبَ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَقًّا تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۚ﴾<sup>(٢٢)</sup> رُدُودُهَا عَلَىٰ فَطَقِيقَ مَسْطَحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ ۚ﴾<sup>(٢٣)</sup>

﴿أَحِبْتُ﴾ معناها : أنت ، أي : أنت فعل الخير ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أو جعلت حب الخير مجرئاً أو مغنىً ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ وقيل : إن ﴿أَحِبْتُ﴾ يعني لزمن . مثل بغير السوء إذ أحبت<sup>(١)</sup> .

و﴿الْخَيْر﴾ المال ؛ لقوله : ﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِنَّهُ لِحِبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup> والمال : الخيل التي شغلته عن الصلاة ، أو : سمي الخيل خيراً ؛ لأنها نفس الخير ؛ لتعلق الخير بها قال ﴿بَلَّه﴾ : " الخيل معقود في نواصيها الخير "<sup>(٤)</sup> . وسأل رجل بلااً عن أناس يستبقون من السابق ؟ فقال : " رسول الله ﷺ" . فقال له الرجل : أردت الخيل ؟ فقال بلااً : وأنا أردت الخير ﷺ<sup>(٥)</sup> . والتواري بالحجاب : مجاز في غروب الشمس ، والضمير في الشمس ولم يجر لها ذكر . وقيل : الضمير للصافات ، أي : توارت بظلمة الليل ، ومن بدع التفاسير أن الحجاب : جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه<sup>(٦)</sup> . ﴿فَطَقِيقَ﴾ فشرع يضرب عنانقها بالسيف ، ويقال : كسف عراقيها بالسيف<sup>(٧)</sup> ، وضرب عنانقها وهي كسف بالسين المهملة ، ومن رواه بالشين فقد وهم . وقيل : مسحها بيده ؛ استحساناً لها وإعجاباً بها . وقرئ " بالساقي " <sup>(٨)</sup> لأن من اللبس .

(١) هذا رجز من شعر أبي محمد الفقعني وقيله : حلت عليه بالقفيل ضرباً ضرب بغير السوء إذ أحبا ينظر في : الكشاف للزمخشري (٤/٩٢) ، لسان العرب (حب)، والقفيل : السوط . وأحب بغير بر克 . وقيل : الإحباب في الإبل كالحران في الخيل ، وهو أن يبرك فلا يثور .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٣) .

(٣) سورة العاديات ، الآية (٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٨٥٢) ، ومسلم رقم (١٨٧٢) .

(٥) أورده الزمخشري في الكشاف (٣٧٤/٣) ، ونسبة الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/١٩١) لإبراهيم الحربي في كتابه .

(٦) رواه أبو الشيخ في كتاب " العظمة " (٤/١٣٩٥) عن كعب رحمه الله تعالى قال : الحجاب جبل أخضر من ياقت به الخلاق ف منه خضرة السماء التي يقال لها الخضراء وخضرة البحر من السماء فمن ثم يقال : البحر الأخضر " ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٩٣) .

(٧) كسف الشيء يكسفه كسف : قطعه ، وخص بعضهم به الثوب والأديم والكسف والكسفة والكسيفة : القطعة ما قطعت . ينظر : لسان العرب (كسف) .

(٨) قرأ بها زيد بن علي . تنظر في : البحر الحيط لأبي حبان (٧/٣٩٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٥٣٥) ، الكشاف للزمخشري (٣٢٨/٣) .

﴿ وَقَدْ فَتَّا سَلَيْمَنَ وَلَقِيَنَا عَلَى كُرْسِيهِ جَسَادًا مُّأْنَابًا ﴾  
٢٢٥

قال : فتن سليمان بعدهما ملك عشرين سنة ، وملك بعد الفتنة عشرين سنة ، ورزق سليمان ابنًا فقالت الجن : إن عاش هذا الولد دامت السخرة علينا فقتله أو نخبله ، فعلم ذلك ؛ فصار يغدو في السحاب ، فما راعه إلا وقد ألقى على كرسيه ميتاً فتبه على خطئه في أنه لم يتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب إليه . وروي عن النبي ﷺ قال : " قال سليمان عليه السلام (٢٢٥/ب) : " لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله . ولم يقل : إن شاء الله تعالى . فطاف عليهم فلم تتحمل إلا امرأة واحدة فجاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده لو قال : إن شاء الله لقاتلوا في سبيل الله عز وجل فرساناً أجمعون " <sup>(١)</sup> حكي من أخذ الشيطان خاتم سليمان وجلوسه على كرسى سليمان واجتمعا بهنسائه فالله أعلم بصحته <sup>(٢)</sup> .

وروي أن سليمان بلغه أن ملك صيدون ، وهي من مدن جزائر البحر وأن لها ملكاً عظيماً لا يقدر عليه ؛ لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الرياح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملوكها وسبى بنى له يقال لها جرادة ، كانت من أحسن الناس وجهها؛ فاصطفاها لنفسه ، وأسلمت وأحبتها ، وكانت لا يرقا دمعها ؛ حزناً على أبيها فمثلوها لها صورة أبيها فكانت إذا خرج سليمان تغدو هي وجواريها فيسجدون له فأخبر أصنف سليمان عليه السلام بذلك ، فكسر الصورة ، وعاتب المرأة ، ثم خرج وحده إلى فلة ففرش له الرماد ، وجلس عليه يبكي ويتصرّع ، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة ، وكان يضع خاتمه عندها إذا أراد جماع غيرها ، أو دخول الخلاء ، وكان ملوكه في خاتمه فوضعه عندها يوماً ، وأتتها شيطان في صورة سليمان فأعطته الخاتم ، فأخذته وجلس على كرسى سليمان ، وعكفت عليه الجن والطير والوحش ، وكان قد غارت هبّته فأتى أمينة يطلب الخاتم فأنكرته وطردته ؛ فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتکفف ، وإذا قال : أنا

(١) رواه البخاري رقم (٣١٧١) ، ومسلم رقم (٣١٤٤) ، والترمذى رقم (١٤٥٢) .

(٢) ذكر الحكاية الزمخشري في الكشاف (٤/٩٤) ثم قال : " ولقد أبى العلماء المتقون قوله وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل ، وتسلیط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبح " .

سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ، ثم عمد إلى السماسكين فأعطوه في كل يوم سمكة ، فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته ، فأنكر آصف وعظاماء بني إسرائيل حكم الشيطان ، وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة . وقيل : بل نفذ حكمه في كل شيء إلا في النساء ، ثم طار الشيطان ، وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة ، ووقدت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع عليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها ومد عليه أخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص . وروي أنه لما أراد الله فتنته كان الخاتم يسقط من يده فيلبسه ، ثم يعود ويسقط ، فقال له آصف : إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يستقر في يدك فتب إلى الله تعالى . ولقد أبي العلماء المتقنون قوله ، وقالوا : كيف يتصور (١/٢٢٦) تسليط كافر جيء على نساء سليمان ؟ ويتمنى من وطئهن ؟ وما روي من الاستغفار من سليمان فهو من تقصيره في عدم كشف أحوال بيته حتى يعبد الشيطان فيها ، وهو لا يشعر ، وأما اتخاذ التمايل في منزله فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ؛ فيجوز في شريعة دون أخرى ، ومنه قوله : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِبٍ﴾<sup>(١)</sup> وأما السجود لغير الله تعالى فلا نظن أن نبياً ياذن فيه ، وإذا كان بغير علمه فلا لوم عليه ﴿وَلَقَنَّا عَلَىٰ كُنْتِيهِ جَهَنَّمَ﴾ ناب عن معنى إنابة الشيطان منابه ثوباً ظاهراً . قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريأا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمر دنياهم ، ولا يتسللون في أمر آخرتهم .

﴿قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله : ﴿مَنْ بَعْدِي﴾ أي : من سواي ، فإن قلت : أما يشبه الحسد والحرص ؟ قلت : كان سليمان ناشئاً في بيت النبوة والمملكة وارثاً لها ، فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكاً زائداً على المالك المعتادة من كونه خارقاً للعادة بالغاً حد الإعجاز ؛ ليكون ذلك دليلاً على نبوته . وقيل : كان ملكاً عظيماً ؛ فخاف أن يليه بعده من لا يحفظ حدوده ؛ كما قالت الملائكة : ﴿أَتَبْعَثُ فِيهَا مَنْ يُقْسِطُ فِيهَا﴾ الآية<sup>(٢)</sup> . وقيل : ملكاً لا أسلبه

(١) سورة سباء ، الآية (١٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٣٠) .

ولا يقوم غيري مقامي فيه ، ويجوز أن يكون أطلع على أن هذه المملكة اشتملت على مصالح عديدة لا يقدر عليها كل أحد . ومن جرأة الحاجاج <sup>(١)</sup> أنه قيل له : إنك لحسود . فقال : أحسد منه ، من قال : ﴿لَا يَنْعَى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ بَجْرِيٍّ يَأْمُرُهُ رُفَاهَةً حِيثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقْرَبَيْنَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَافُنَا فَامْتُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا أَنْزَلَنَا وَحْسَنَ مَعَابٌ ﴿٤٠﴾

﴿رَحَاءٌ﴾ لينة طيبة لا تترنّح . وقيل : رخاء طائعة له . حكى الأصمعي عن العرب :

(١) هو الحاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر ، أبو محمد الثقفي ، نشأ شاباً ليبياً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن . قال بعض السلف : كان الحاج يقرأ القرآن كل ليلة . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفضح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفضح منه . ولـيـ الحجاز والعراق وفتح فتوحات كثيرة هائلة منتشرة حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسندي ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين . قال ابن كثير في البداية والنهاية : وكان جباراً عنيداً مقداماً على سفك الدماء بأدني شبهة وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر ، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها وإنما فهو باق في عهدهما ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً ، وربما حرفوا عليه بعض الكلم وزادوا فيما يمحكونه عنه بشاعات وشنائعات . وقد روينا عنه أنه كان يتذمّن بترك المسرك وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم ، ولم يشهر عنه شيءٌ من التلطخ بالفروع وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها وخفيات الصدور وضمائرها . وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما حسدت الحاج عدو الله على شيءٍ حسدي إيه على حبه القرآن وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وعن الأصممعي ، قال لما حضرت الحاج الوفاة أنشأ يقول :

يَا رَبِّنَا أَنْتَ مَنْ سَأَلَنَا  
وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا نَحْنُ نَعْمَلُ

أيُّهُمْ أَحَقُّ بِالْعَفْوِ فَإِنْ يَغْفِرْهُمْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ ذَنبٍ فَإِنَّمَا يَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَفْوَ لِلْمُؤْمِنِينَ

قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجأ لينجون بهما . وزاد بعضهم في ذلك :

**إِنَّ الْمَوَالِيَ إِذَا شَابَتْ عِيْدَ** **فِي رَهْمِ عَنْقُوهِمْ عَنْقَ أَبِرَارٍ**

وأنت يا خالقي أولي بذا كرما قد شببت في الرق فاعتقني من النار

توفي الحجاج سنة ٩٥ هـ . تنظر ترجمته في : البداية والنهاية لابن كثير (١١٧/٩) ، شذرات الذهب لابن العمامي الحنفي (١٠٦/١) ، وفيات الأعيان (٢٩/٢) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/٩٥)، والمناوي في فيض القدير (٢/٤١٩).

أصحاب الصواب فأخطأوا الجواب<sup>(١)</sup>. وعن رؤبة : أن رجلين من أهل اللغة قصدا له ليسلاه عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما فقال : أين تصييان ؟ فقالا : هذه طلبنا ، ورجعا<sup>(٢)</sup> . ويقال : أصحابك الله بخير . «وَالشَّيَاطِينَ» عطف على الرياح . و«كُلَّ بَنَاءً» بدل من "الشياطين" «وَأَخْرَى» معطوف على «كُلَّ بَنَاءً» داخل في حكم البدل ، وهو بدل الكل في الكل . كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ، ويعوصون له يستخرجون الدر ، وهو أول من استخرج الدر من البحر الملح ، وكان يقرن كل شياطين ماردين في القيد . والصفد : القيد . وقيل : يجمع أيديهم إلى أعناقهم في السلسل ، ومنه [ من الطويل ] :

ومن وجد الإحسان قيدها تقيدا<sup>(٣)</sup> (٢٢٦/ب)

وتقول : صدفه : قيده ، وأصفده : أعطاه ؛ أي : هذا الذي أعطيناك أنواع من العطاء لا تختص ولا تحصر «بِغَيْرِ حِسَابٍ» متعلق بـ «عَطَاؤُنَا» . «فَمَنْ» أي : فأعط من شئت . «أَوْ أَنْتَكُ» عن شئت ، لا تسأل عن ذلك «بِغَيْرِ حِسَابٍ» عليك في الآخرة .

﴿وَإِذْ كُزِّعْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَفَمَسَنِي الشَّيْطَانُ بِنُصُبٍ وَعَدَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكَضَ بِرِجْلَكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ ﴿٤٢﴾ وَهَبَنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلُهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مَنَا وَذِكْرٌ لِأُولَئِكُمْ أَلَا بَيْتٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿أَيُوب﴾ عطف بيان ، و﴿إِذ﴾ بدل اشتتمال منه «مسنٍ» انتقل فيه من الغيبة إلى التكلم والنصب : قرئ بضم النون والصاد وفتحهما وبضم النون وسكون الصاد<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر : التدوين في أخبار قزوين للقزويني (٥٨/١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٩٦/٤)، وأورده الخطاطبي في غريب الحديث (٣/٢٩) قال : " وأخبرني أحمد بن أبي ذر أخبرنا ابن دريد أئبنا أبو حاتم عن الأصولي عن يونس قال تناظرنا في قول الله تعالى «رُحْمَةٌ جِئْتُ أَصَابَ» فقيل : ما له إلا رؤبة بن العجاج ، فخرجننا نريده ، فلقيناه يتوكأ على ابنه عبد الله ، فقال : أين تصييان ؟ فقلنا : كفانا السؤال ".

(٣) هذا عجز بيت للمتنبي وصدره : وقيدت نفسى في ذراك محنة ..... ينظر في : فيض القدير للمناوي (٤/٣٠٦)، الكشاف للزمخشري (٤/٩٦)، الوساطة بين المتنبي وخصوصه للجرجاني (ص : ١٧١)، نهاية الأربع للنويري (١٧١٣) .

(٤) قرأ أبو جعفر "بُصُبٍ" وقرأ يعقوب "بَصَبٍ" وقرأ الباقيون "بُصُبٍ" . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٧/٤٠٠)، تفسير القرطبي (١٥/٢٠٧)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٥٣٧)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٤)، الكشاف للزمخشري (٣٧٦/٣)، النشر لابن الجزري (٢/٣٦١).

فالنصب والنصب ؛ كالرشد والرشد ، والمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة والعذاب الأليم من المرض . وقيل : النصب في البدن ، والعذاب : ذهاب الأهل والمال ، ونسب المرض بالنصب مع أنه ليس له قدرة إلا على الوسوسة ؛ قال في موقف القيامة : «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّنْ سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُهُ فَأَسْتَجَبْتُهُ» الآية<sup>(١)</sup> ؛ لأن وسوسته كانت سبباً في إغواهم . وقيل : كان الشيطان يosoس له ويغويه بالضجر ، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك . وقيل في سبب بلائه: إنه كان له غنم في سلطنة ملك كافر ؛ فداهنه ولم يغذه . وقيل: إن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه . وقيل: أعجب بكثرة ماله .

﴿أَرْكَضَ بِرِّ حَلَكَ﴾ يعني: اركض الأرض برجلك . ﴿مُغَسَّلٌ بِأَرْدٍ وَشَرَابٌ﴾ يعني: ماء تلك العين التي نبت فيها منفعتان ؛ الغسل فيه ، والشرب منه . وقيل: نبت له عينان فاغتسلا من أحداهما ، فذهب ما على ظاهر جسده ، وشرب من الآخرى فزال ما في باطنه منه . ﴿رَحْمَةً مَّنَا وَذَكْرَى﴾ مفعول من أجلهما ؛ لأنهما رحمة عليه ، وتذكر لمن عرف حاله ليصبر كما صبر .

﴿وَمَذَدَّ بِيَدِكَ ضَغْنَا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا تَعْمَلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِنَّهُمْ وَيَسْخَنُ وَيَعْقُوبُ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَاصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَيَنْهَمُ عَنْدَنَا لَيْنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسْعَ وَذَا الْكَفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذَكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُسْتَقِينَ لَحْسَنَ مَثَابٍ ﴿٤٩﴾

﴿وَحْدَهُ﴾ معطوف على ﴿أَرْكَضَ﴾ . والضعف: الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان ، أو غير ذلك . وكان قد حلف ليضر بن امرأته مائة إذا برئ ؛ فأفاته الله تعالى بأن يضر بضعف امرأته ؛ لأجل خدمتها لأبيوب في مرضه ، ورضاه عنها ، وهذه الرخصة باقية في شرعا . وعن النبي ﷺ : " أنه أتي برجل كان يبعث بعض إمائهم ، فأمر النبي ﷺ أن يأخذ عشكالا<sup>(٢)</sup> فيه شمراخ<sup>(٣)</sup> . وكان سبب حلف أبيوب أنه بعثها في حاجة فابتطلت .

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) .

(٢) العشكال: هو الذي يسميه الناس الكبasa ، وفيه لغتان عشكال وعشقول ، وأهل المدينة يسمونه العذق بكسر العين ، وأما العذق بالفتحة فالنخلة نفسها . ينظر: غريب الحديث لابن سلام (٢٩١/١) .

(٣) رواه أحمد (٢٢٢/٥) ، وأبن ماجه رقم (٢٥٧٤) وفي سنته محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنده ، وبه ضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٣١٣/٢) .

وقيل : باع ذوئبها برغيفين ، وكان أليوب إذا أراد أن يجلس تعلق بالذؤابتين ، فلما أخبرته أنها باعهما حلف . وقيل : قال لها الشيطان : اسجدي لي سجدة واحدة ، وأنا أرد عليك أموالكم (٢٢٧/٤) فهمت أن تفعل فأدركتها العصمة ، فذكرت ذلك له فحلف . وقيل : أو همها الشيطان أنه إذا شرب الخمر برع ، فعرضت له بذلك فحلف . وقيل : قالت له : تقرب للشيطان بعناق<sup>(١)</sup> . ﴿وَجَدَتْهُ صَابِرًا﴾ علمته صابرًا ، وسماه صابرًا مع قوله : ﴿مَسَّنِي الْفُرُثُ وَأَتَ أَزْكِمُ الرَّحِيمِ﴾ لأن هذا ليس بتسطخ ، ولكن شركوا إلى الله والتجاء إليه ، وذلك لا ينافي الصبر . ﴿وَإِنَّهُمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لـ ﴿عِبَدَنَا﴾ . ومن قرأ "عبدنا"<sup>(٢)</sup> جعل إبراهيم وحده عطف بيان ، وعطف الباقى عليه . لما كانت الأعمال يزاول بعضها بالأيدي جعل الأعمال كلها بالأيدي ؛ كقوله : ﴿خَلَقْنَا لَهُمْ مَمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِيَنَا﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وكذلك ها هنا . ﴿أُولَئِكَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ﴾ أي : أولى الأعمال الصالحة . ﴿إِنَّا أَخْضَطْنَاهُمْ بِخَالصَّةِ﴾ أي : بخصلة خالصة ؛ أبهما ، ثم فسرها بقوله : ﴿ذَكَرَ الدَّارِ﴾ أو أخلصناهم بسبب هذه الخصلة ، أو بأنهم أهل لها دون غيرهم . ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير ، أو جمع "خير" على التخفيف ؛ كاموات في جمع ميت ومت . و﴿وَكُلُّ﴾ أي : وكلهم من الآخيار . ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي : هذا نوع من الذكر ، وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأئمه وهو باب من التنزيل ، ونوع من أنواعه ، وأراد أن يذكر عقيبه بباب آخر وهو ذكر الجنة وأهلها - قال : ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُسْكِنِينَ﴾ كما يقول الجاحظ في كتابه : "هذا باب" ثم يشرع في غيره . والدليل عليه أنه لما أتم ذكر الجنة وأراد أن يشرع في ذكر أهل النار قال : ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ وقيل : معناه : هذا ذكر جليل وشرف يتميزون به على سائر الملل . وقيل : هذا ذكر من مضى من الأنبياء ، ومن هو في وقت بعثي .

﴿جَنَّتِ عَدْنِ مَفْنَحَةً لَهُمُ الْأَنْوَبُ﴾ <sup>٥٠</sup> مُشَكِّنَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا يَفْكِهُهُ كَثِيرٌ وَشَرَابٌ <sup>٥١</sup>  
وَعِنْهُمْ فَصِيرَتُ الْطَّرْفِ أَنْرَابٌ <sup>٥٢</sup> هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ <sup>٥٣</sup> إِنَّ هَذَا لِرَزْفَنَا مَا لَدُنَّنَا مِنْ نَفَادٍ  
هَذَا <sup>٥٤</sup> وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ <sup>٥٥</sup> جَهَنَّمْ يَصْلُوْهَا فِيْنَ الْمَهَادِ <sup>٥٦</sup> هَذَا فَلِيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

(١) ذكر كل ذلك الرمخشري في الكشاف (٤/٩٨) وروى الطبرى بعضه في تفسيره (٢٢/١٦٧ - ١٦٩).

(٢)قرأ ابن كثير "عبدنا" وقرأ الباقيون "عبادنا" . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤٠٤) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦١٣) ، الدر المصنون

للسجين الخلي (٥/٥٣٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٦١).

(٣) سورة يس ، الآية (٧١).

وَغَسَاقٌ ﴿٥٩﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٦٠﴾ هَذَا فِي مُفْتَحَةٍ مَعَكُمْ لَا مَرْجَبًا يُهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْشَأْنَا مَرْجَبًا يُكَثُرُ أَنْتُمْ قَدْ مُتَمَسِّهُونَ لَنَا فِيْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذِهِ فَزِدْهُ عَذَابًا ضَعْقَانِي فِي النَّارِ ﴿٦٣﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى بِيَالًا كَانَ عَدُُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٤﴾ أَخْذَنَاهُمْ سُخْرِيًّا مَرَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَرُ ﴿٦٥﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحْقٌ تَخَاصُّ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٦﴾

و «مُفْتَحَة» حال ، والعامل فيها معنى الفعل في قوله : «وَإِنَّ لِلْمُتَقِينَ» وفي " مفتاحه " ضمير الجنات ؛ أي : مفتاح هي ، و «الْأَبْوَابُ» بدل من الضمير . وقيل: الألف واللام في " الأبواب " بدل من الإضافة ، أي : مفتاح لهم أبوابها ؛ كقوله : «وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا »<sup>(١)</sup> .

الأتراب : اللاتي ولدن في زمن واحد . وقيل : هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهن .

والغساق : ما يغسل من صديد أهل النار . وقيل : الحميم ما يحرق بحرقه . والغساق : ما يحرق ببرده . وعن الحسن : أن القوم عملوا أعمال (٧/٢٢٧ ب) خير وأخفوها ؛ فأخفى الله جزاءهم ، وعمل العصاة أعمالاً فأخفوها ؛ فأخفى الله عنهم جزاءها<sup>(٢)</sup> .

«وَآخَرُ»<sup>(٣)</sup> من مثله في الشدة . «أَزْوَاجٌ» أنواع وأصناف «مِنْ شَكْلِهِ»<sup>(٤)</sup> من شكل المذوق ، أو العذاب ، ولو قرئ من شكلهما لكان حسنا ؛ لأن المذكور قبله حميم وغساق آخر . «هَذَا» تخاصم الأتباع والساسة ، فيقول الأتباع للساسة: «أَلَوْ أَنْتُمْ لِكَامِوْنِينَ» فيقولون : إنما تعذبون بضلالكم وبضلالكم الغير ، وتقول ملن تحبه وتتلقاءه : مرحبا ؛ أي : صادفت متزلا رحباً واسعاً ، وتقول ملن تدعوه عليه : لا مرحبا ، أي : لم تصادف متزلا رحباً . وقيل : هذا كلام الزبانية للقادمة والساسة معاً . وقيل : هذا من كلام الخزنة يتحجون على أهل النار ، وأما قوله : «لَا مَرْجَبًا يُكَثُرُ أَنْتُمْ قَدْ مُتَمَسِّهُونَ» فهذا ي قوله الأتباع للساسة ثم يقول الجميع : «رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذِهِ فَزِدْهُ عَذَابًا ضَعْقَانِي فِي النَّارِ» .

(١) سورة مریم ، الآية (٤) .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢١/٢٠٦) عن الحسن بلفظ : " أخروا عملاً في الدنيا فأتاهم الله بأعمالهم " .

(٣) قرأ " آخر " بالجمع أبو عمرو البصري ، وقرأ الباقيون " وأخر " بالإفراد . تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٥٤٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٥٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٠١) .

(٤) قرأ جمهور القراء " شكله " بفتح الشين ، وقرأ مجاهد " شيكله " بكسر الشين .

تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٥/٥٤١) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٠١) .

﴿رِجَالًا﴾ فقراء المؤمنين ؛ كخباب وبلال وابن مسعود وغيرهم ؛ كانوا إذا مرروا بنا نضحك عليهم ، ونقول : هؤلاء من الأشرار ؛ لأنهم يزعمون أنهم أهل المنازل الرفيعة وكنا نعدهم جهله . ﴿أَخْذَنَتْهُم﴾ دخلت همسة الاستفهام على ألف الوصل ؛ فسقطت في الدرج ، وإذا ابتدأت قلت : ﴿أَخْذَنَتْهُم﴾ ومثله : ﴿أَصْطَقَيَ الْبَنَات﴾ <sup>(١)</sup> وكذلك : ﴿أَفَرَدَ عَلَى اللَّه﴾ <sup>(٢)</sup> قوله : ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَر﴾ له وجهان : أحدهما : أن المراد أهم في النار ولم نرهم ؟ فيقولون : ما لنا لا نرى . والثاني : أن يكونوا معتبرين بأنهم في النار ، ولكن لا يعرفون مكانهم ، ويجوز أن تمحف همسة الاستفهام ، والتقدير : أخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأ بصار ؟ فتكون " أَم " معادلة للهمزة المقدرة ؛ كقول الشاعر [ من الكامل ] كذبتكَ عيْنُكَ أَم رأيتَ بواسطِي غلسَ الظلامَ من البابِ خيالاً<sup>(٣)</sup> .

﴿قُلْ إِنَّا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَحْدُ الْفَهَارُ﴾ <sup>٥</sup> رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا مُعَزِّزٌ  
 ﴿الْغَفَرُ﴾ <sup>٦</sup> قُلْ هُوَ نَبُوَّ عَظِيمٌ <sup>٧</sup> أَنْتُمْ عَنْهُ مَعْرُضُونَ <sup>٨</sup> مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمِلَّ الْأَغْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ  
 إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنْذِرْتُ مُنْذِرٌ <sup>٩</sup>﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبُوَّ عَظِيمٌ﴾ أي : الذي أنبأكم به من وحدانية الله ، ونبوة الرسل بالإعجاز بما عظيم أنتم معرضون عن التصديق به والعمل بمقتضاه . ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ﴾ أي : ما استفادته من كتب العلم ، ولا من مشايخ العلماء ، وإنما استفادته من الوحي ، وما كان لي من علم بالملأ الأعلى واحتقارهم . ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ إلا الإنذار ، والأصل : إلا للإنذار فحذف الجار وأوصل الفعل ، أو التقدير : إن يوحى إلى إلا الإنذار.

وقيل : النبأ العظيم : القرآن . وقيل : قيام الساعة <sup>(١)</sup> / ٢٢٨ ومعنى ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ وقت اختصاصهم ، و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ والمراد بـ ﴿بِالْمِلَّ الْأَغْلَى﴾ أصحاب القصة ؛ آدم والملائكة وإبليس ، والمقابلة ظاهراً كانت بين يدي الله وبين المذكورين ؛ كلامهم فأجابوه ولكن بواسطة ملك ؛ فلذلك صحت نسبة المقابلة إلى الله وإلى الجماعة المذكورين .

(١) سورة الصافات ، الآية (١٢٣) .

(٢) سورة سباء ، الآية (٨) .

(٣) البيت للأخطل ، ينظر في : تفسير الطبرى (٤٨٤ / ١) ، غريب الحديث للخطابي (٣٠٣ / ٢) ، لسان العرب (كذب ، غلس) ، معجم البلدان (٣٤٨ / ٥) .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقَ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾٦٦﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ ﴾٦٧﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾٦٨﴿ إِلَّا إِبْلِيسُ أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكُفَّارِينَ ﴾٦٩﴿ قَالَ يَأْتِيَنِي إِلَيْسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَبْدَئِي أَسْتَكْبَرَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾٧٠﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ تَأْلِيرٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾٧١﴿ قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾٧٢﴿ وَلَنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِنَّكَ يَوْمَ الْدِينِ ﴾٧٣﴾

﴿فَقَعُوا﴾ فخروا . و﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة ﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع . وقول الزمخشري <sup>(١)</sup> : إن ﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة ، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع في وقت السجود فيه نظر ، وقد أنكره المبرد ، وقال : التوكيد يفيد أمراً زائداً على ما أكد به <sup>(٢)</sup> . وسجودهم لأدم على وجه الكرامة لا على وجه العبادة ، وإنما استثنى إبليس ولم يكن من الملائكة ؛ لأنه أمر بالسجود معهم لأدم ، فصار مأموراً كأمر الملائكة ﴿وَكَانَ مِنَ الْكُفَّارِينَ﴾ وصار بما جرى من الكافرين . و﴿وَكَانَ﴾ تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي ، وليس في ذلك تعرض لانقطاع ذلك المضي أو لدوامه ، وقد تقدم وجه المجاز في قوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَبْدَئِي﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقيل : قوله : ﴿يَبْدَئِي﴾ أي : بغير واسطة ، وهو بعيد . وقد أجاب إبليس بأنه من العالين بقوله عن آدم : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ <sup>(٤)</sup> . ﴿فَأَخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو السماوات أو من الخلقة التي أنت فيها فافتخر بخلقه ؛ فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض ، وقع وجهه بعد ما كان حسناً ، وأظلم بعد ما كان نوراً . والرجيم : المرجوم ، وهو المطرود . وقيل : الرجيم : المقتول . وقوله : ﴿إِلَيْ يَوْمِ الْدِينِ﴾ يوهم أنه إذا جاء يوم الدين انقطعت اللعنة عنه ، وليس كذلك ؛ فإنه إذا كان يوم الدين موعده وما فيه من الأهوال والعقوبات ؛ فينضاف إلى اللعنة أمور أخرى كثيرة ، فينقطع انفراد الجزاء باللعنة . فإن قلت : ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم ؟ قلت : الوقت الذي تقع فيه النفحة الأولى ، وذلك الوقت جزء من اليوم .

﴿قَالَ رَبِّي فَأَنظِرْنِي إِلَيْ يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴾٧٤﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنَظَّرِينَ ﴾٧٥﴿ إِلَيْ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾٧٦﴾

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٥).

(٢) ينظر : همع الموامع للسيوطى (٣/ ١٤٣) وقد نقل السخاوي اعتراضه هنا في كتابه المفضل شرح المفصل (٢/ ١٩٥) وجعلنا ذلك من أدلة نسبة التفسير كله له .

(٣) سورة ص ، الآية (٧٥) .

(٤) سورة ص ، الآية (٧٦) .

٨١) قَالَ فَيُرِّنِكَ لَا يُغُنِّيهِمْ أَجْعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَائِكَةَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَعْكِمَ مِنْهُمْ أَجْعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَابِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ بِأَدَاءِهِ بَعْدَ حِينَ ﴿٨٨﴾

و القراءة **«فالحقُّ والحقُّ»** بتصبِّهِما<sup>(١)</sup> والأول منصوب على حذف حرف القسم ؛ كقول الشاعر [ من الرجز ] :

إن عليك الله أن تبايعا<sup>(٢)</sup>

وجوابه : **«لَا مَلَائِكَةَ وَلَا مَلَائِكَةَ أَقُولُ»** معتبرض بين القسم والقسم عليه ، ويرفعهما على أن الأول مبتدأ مخدوف الخبر ؛ كما في : لعمرك . وبجرهما على أن الأول مقسم به مخدوف منه حرف القسم ؛ كقولك : الله لافعلن ، والثاني حكاية قول المقسم . وقرئ برفع الأول وجراه مع نصب الثاني<sup>(٣)</sup>. **«مِنْكَ»** ومن جنسك من الشياطين **«وَمَنْ تَعْكِمَ مِنْهُمْ»** ٢٢٨/ بـ(ب) من ذرية آدم . فإن قلت : **«أَجْعِينَ»** توكيده ماذا ؟ قلت : يجوز أن يكون توكيدها للضمير في **«مِنْهُمْ»** وللكاف في **«مِنْكَ»** وما عطف عليه ، أي : لأملأن جهنم من المبعدين والتابعين ، لا أترك منهم أحداً . **«عَلَيْهِمْ أَجْرٌ»** الضمير للقرآن والوحى .

**«وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ»** من الذين يتصنعون ويتحللون ما ليسوا من أهله ، وما عرفتمني قط متصنعاً ولا متكلفاً . **«إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ»** موعظة **«لِلْعَابِينَ»**.

وروى أن رسول الله ﷺ قال : " علامات المتكلف ثلاثة : ينزع من فوقه ، ويتناطىط ما لا يناله ، ويقول ما لا يعلمه "<sup>(٤)</sup>. **«وَلَنَعْلَمَنَّ بِأَدَاءِهِ»** أي : في يوم القيمة ، أو عند الموت ، أو عند ظهور الإسلام وفسوه .

(١)قرأ العشرة إلا عاصم وحزة وخلف " فالحقُّ والحقُّ أقول " بتصبِّهِما .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤١)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٠٧)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦١٨)، الدر المصور للسمين الحلبي (٥/٥٤٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، الكشاف للزمخشري (٢/٣٨٤)، النشر لابن الجزري (٢/٣٦٢).

(٢)ينظر في : التصريح بعضهم التوضيح للشيخ خالد الأزهري (٢/١١٦)، الدر المصور للسمين الحلبي (٥/٤٧١)، الكتاب لسيوطيه (١/١٥٦)، المقتصب للمبرد (٢/٦٢) ويروى : إن عليَّ الله أن تبايعا .

(٣)قرأ عاصم وحزة وخلف " فالحقُّ والحقُّ أقول " برفع الأول ونصب الثاني ، وقرأ الحسن وعيسى بجرهما وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش برفهما .

تنظر : المراجع السابقة والدر المصور للسمين الحلبي (٥/٥٤٧).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٦٠١) ونسبة للبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر .

## سورة الزمر [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَزَيَّلُ الْكِتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَاءِ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَعٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾

قرىء ﴿تَزَيَّلُ الْكِتَبِ﴾ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، والجار صلة لـ " تزييل " كما تقول : نزل من عند الله ، أو غير صلة ؛ كقولك : هذا الكتاب من فلان إلى فلان ، وهو - على هذا - خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذا تزييل الكتاب ، هذا من الله . أو حال من التزييل ؛ عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل ؛ نحو: أقرأ أو الزم <sup>(١)</sup> . والمراد بالكتاب - على الأول - القرآن ، وعلى الثاني : السور . ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ مخلصاً من الشرك والرياء ، وبصفته السرد ، وقرئ: " الدين" بالرفع <sup>(٢)</sup> وحق من قرأه أن يفتح اللام من " مخلصاً " ؛ كقوله: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ <sup>(٣)</sup> . والخلاص والمخلص بمعنى واحد ، إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يجوز أن يكون للمتخدzin بكسر الخاء ، وهم الكفرا ، وللمتخدzin - بفتح الخاء - وهم الملائكة وعيسي وعزيز ، والضمير في " اتخذوا " على الأول راجع إلى " الذين " تقديره : والذين اتخاذهم المشركون أولياء ، و﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ مرفوع على الابداء ، وأما الخبر - فعلى الثاني - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ﴾ وعلى الأول يجوز أن يكون ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١)قرأ بالنصب ابن أبي عبلة وزيد بن علي وعيسي بن عمر ، وقراءة العامة بالرفع .

تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٤١٤/٧) ، تفسير القرطبي (١٥/٢٣٢) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٤) ، الكشاف للزمخشري (٣٨٥/٣) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ١٣١) .

(٢)قرأ جمهور القراء " الدين" بالفتح ، وقرأ ابن أبي عبلة " الدين" بالرفع .

تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٤١٤/٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٤) ، فتح القدير للشوکانی (٤/٤٤٨) ، الكشاف للزمخشري (٤٣/٣٨٥) .

(٣)سورة النساء ، الآية (١٤٦) .

يَخْكُمْ ﴿١﴾ أو ما أضمر من القول قبل هذه الجملة " يقولون " ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ الآية .

فإن قلت : فإذا كان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ خبراً ، فما موضع ﴿يَقُولُونَ﴾ المضمر ؟

قلت : يجوز أن يكون حالاً ؟ أي : قائلين ذلك ، وأن يكون بدلاً من الصلة ؛ فلا يكون له محل ؛ كما أن المبدل منه كذلك ، والضمير في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بَيْنَهُمْ﴾ لهم ولأوليائهم والمعنى : أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويرجون شفاعتها ، وأنها تقربهم إلى الله وتلك الآلة تسحب في نار جهنم وتعذب بالنار؛ إرغاماً لمن عبدها ، وأنهم أيضاً مختلفون في (١/٢٢٩) الإعادة ؛ فقوم يقولون : إنها روحانية وجسمانية ، وقوم يقولون : إنها روحانية لا غير . وقيل : يحكم بينهم وبين المؤمنين والكافرين ويجرى على كل واحد ما صح جرارة القلم عليه .

﴿لَوْأَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَا صَطْفَنِي مَمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَحَدَةُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِيقَةِ يَكُوْرُ أَيْلَى النَّهَارِ وَيُكُوْرُ الْلَّهَكَارَ عَلَى الْأَنْلَى وَسَحَرَ السَّمَسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْكِلِ مُسْكَنًا لَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَهُ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَمِ ثَمَنَيَّةً أَرْوَاحَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلْمَدَتِ ثَلَاثَتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّاهُ فَإِنَّ تَصْرُفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿لَوْأَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ لم يتصور ذلك لاستحالته في نفسه ، وليس إلى ذلك طريق إلا أن يصطفي من مخلوقاته ما يشاء ، وقد فعل ذلك بالملائكة فأقسم به ، وغركم ذلك فادعيمون بنات له سبحانه . ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَحَدَةُ الْقَهَّارُ﴾ كل موجود فهو مخلوق له . ﴿إِنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَوْلَئِنْ تَكُنْ لَهُ صَرْبَجَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> لو كان له صاحبة ل كانت من جنسه ، وهكذا التناسل في الحيوانات كلها ؛ الذكر والأنتى من جنس واحد . ﴿الْقَهَّارُ﴾ الغالب لكل شيء ؛ فيقهر آهتهم ، والمقهور لا يكون إلهاً . ثم دل بخلق السماوات والأرض ، وتكوين كل واحد من المكورين على الآخر ، وتسخير النيرين ، وجريهما لأجل مسمى ، وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة ، وخلق الأنعام ، وكل هذه المخلوقات دليل على أنه لا يشارك في خلق شيء منها قهار لا يغالب . والتكون : اللف واللي ؛ يقال : كار العمامة على رأسه وكورها ، وفيه وجوه : أحدهما: أن الليل والنهار

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠١) .

يختلف بعضهم بعضاً ؛ يذهب هذا ويحيىء هذا ، وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ، ولف عليه كما يلف اللباس على اللباس ؛ قال الشاعر [ من البسيط ] :

..... ليَ الْمُلَاءِ بِأَبْوَابِ التَّفَارِيْجِ<sup>(١)</sup>

ومنها : أن كل واحد منها يغيب الآخر إذا طرأ عليه ؛ فيشبه بالشيء الذي يلف عليه شيء آخر . ومنها : أن كل واحد منها يكور على الآخر تكويراً دائمًا ، فأشبهه تكوير العمامة على الرأس . أو لأنه يؤخر عذابهم ؛ فسميتأخير العذاب مغفرة مجازاً ، وهو يوم القيمة أو إلى قضاء أجل كل واحد . فإن قلت : ما وجه دخول " ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ؟ قلت : هما آيتان عظيمتان دالتا على قدرته ووحدانيته ، وشعب هذا الخلق الكثير الذي لا يحصر من رجل واحد ، ثم خلق الزوجة من الرجل ، وجعلها من جنسه ليكون الأنس أتم ، وخلق حواء من قصيراه<sup>(٢)</sup> إلا أن الأول منها أجرى الله عز وجل فيما العادة والتواتر بالتناسل . وأما خلق الأنثى من ضلع الرجل فلم تكرر به عادة ، فكانت أتم وأقوى في كونها آية ؛ فعظمتها بـ " ثم " للدلالة على أنها أتم في كونها آية ؛ فهو من التراخي في الرتب . وقيل : التقدير : خلقكم من نفس وجدت ثم شفعها الله تعالى بزوج . وقيل : أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ، ثم خلق بعد ذلك حواء .

**﴿وَأَنْزَلَ لِكُمْ مِنَ الْأَنْعَمِ﴾** (٢٢٩/ب) أي : قضى لكم وقدر ؛ لأن قضيائكم وقسمكم موصوفة بالنزول من السماء ، وحيث كتب في اللوح المحفوظ كل كائن إلى يوم القيمة . وقيل : لا يعيش الحيوان إلا بالنبات ، والنبات إلا بالماء ؛ فأنزل ما به قوام الحيوان ، وقيل : خلقها في الجنة ثم أنزلها . **﴿تَهْبَيَةً أَرْوَجَ﴾** أصناف ، ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز . والزوج : اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو وتر ؛ قال الله تعالى : **﴿فَعَلَّ مِنْهُ أَرْوَجَيْنِ الْذَّكَرُ وَالْأُنْثَى﴾** (٣) **﴿خَلَقَ اِمَّا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾** حيوانًا سويا ، من بعد عظام مكسوة لحماً ، من بعد عظام عارية ، من بعد مضخ ، من بعد علق ، من بعد نطف .

(١) هذا عجز بيت لدى الرمة يصف السراب ، وصدره : تلوى الثناء بأحقها حواشيه ..... ينظر في : العين للخليل (٢٥٤/٣) ، الكشاف للزمخشري (١١٢/٤) ، لسان العرب (حقا) وحواشيه : جوانبه . والملاء : جمع ملاءة وهي الجلب ، والتفاريج : جمع التفراج : الباب الصغير والثوب من الدياج .

(٢) قصيراه : آخر الأضلاع . ينظر : غريب الحديث للحربي (٤٠٨/٢) .

(٣) سورة الليل ، الآية (٣) .

الظلمات الثلاث : البطن والرحم والمشيمة . وقيل : الصلب والرحم والبطن .

﴿ذَلِكُمُ الَّذِي نَقْلَ النَّطْفَةَ مِنْ طَورٍ إِلَى طُورٍ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة مخلوقاته .

﴿إِن تَكُفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُرُ وَإِن شَكَرُوا إِرْضَاهُ لَكُمْ وَلَا تَرْزُّ وَارِزَةُ وَرَزَّ أُخْرَى شَمَّ إِلَى رَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَتَّشِّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذِنَاتِ الْأَصْدُورِ﴾ (٧)

﴿إِن تَكُفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ﴾ عن إيمانكم وأنتم المحتاجون إليه لاستبشاركم بالكفر واشمتازكم من الإيمان .

﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُرُ﴾ لأنه يقع في الهلاكة . ﴿وَإِن شَكَرُوا إِرْضَاهُ لَكُمْ﴾ لأنه يؤدي إلى النجاة ، فإذاً ما رضي شكركم ولا كره كفركم إلا لمصلحتكم لا لمصلحة تتعلق به ؛ لأنه الغني مطلقاً الذي لا تجوز عليه الحاجة . وقال أصحابنا أهل السنة : ولا يرضي لعباده الذي يصلح أن تنساب أفعالهم إليه وهم الصالحون ؛ فهو من العام الذي أريد به الخاص ، وعني بهم المذكورين في قوله : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ (١) يريد المعصومين ؛ كقوله : ﴿عَيْنَاهُ يَشْرِبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾ (٢) يريد الصالحين منهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

﴿وَإِذَا مَسَ الْأَنْسَنَ ضُرُّ دَعَارِبَهُ، مُنِيبًا إِلَيْهِ شَمَّ إِذَا حَوَّلَهُ، يَعْمَمَ مِنْهُ شَمَّ إِذَا عَوَّإِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادَ الْيُضْلَلَ عَنْ سَبِيلِهِ، قُلْ تَمَسَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَنْتَغَتْ إِنَّهَا أَتَيَّلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَيِّ﴾ (٩)

قوله : ﴿تَمَّ إِذَا حَوَّلَهُمْ يَعْمَمَ مِنْهُ﴾ يقال : فلان خايل المال إذا كان يتعاهده ويشرمه ، وكان النبي ﷺ يتخلو أصحابه بالموعظة . ويجوز أن يكون المراد جعله مختالاً فخوراً بالمال ؛ قال الشاعر [ من البسيط ] :

إن الغني طويل الذيل مياس (٣) .....

(١) سورة الحجر ، الآية (٤٢) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٦) .

(٣) ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث (٢٧٦/٢) على أنه مثل ، والزمخشري في الكشاف (١١٦/٤) على أنه من قول العرب .

**﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ﴾** أي : نسي الضر الذي كان يدعوه الله تعالى إلى كشفه .

وقيل : نسي ربه الذي كان يدعو إليه ويتهل ، و﴿ما﴾ بمعنى **«من»** قوله : **«وَمَا خَلَقَ اللَّذِكَرَ وَالْأُنثَى﴾**<sup>(١)</sup> **«وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾**<sup>(٢)</sup> . **﴿لَيُضْلِل﴾** قرع بفتح الياء وضمها<sup>(٣)</sup> يعني أن نتيجة جعله الله شريكاً أو ندأ حصول الضلال له أو إضلالة ، والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل ، وقد تكون غير غرض . قوله : (١/٢٣٠) **﴿فَلَمْ تَمْتَعِ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾** أمر تهديد ؛ قوله : **﴿فَلَمْ تَمْتَعُوا فِي أَنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾**<sup>(٤)</sup> وبالغ في خذلان هذا الكافر في قوله : **﴿فَلَمْ تَمْتَعِ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾** فأناه بأمر لا يريد حدوثه منه . قوله : "أمن هو قانت" بالتحفيف على إدخال همزة الاستفهام على "من" وبالتشديد<sup>(٥)</sup> على إدخالها على "أم" .

و"من" مبتدأ وخبره مخدوف ؛ أي : أمن هو قانت كغيره ؟ وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله . قوله : **﴿فَلَمْ هُنَّ يَسْتَوِيَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** وقيل : معناه : فانت أفضل أمن هو كافر ، أو أهذا أفضل أمن هو قانت ؟

والقانت : القائم بما يجب عليه من الطاعة ، ومنه قوله عليه السلام : "أفضل الصلاة طول القنوت"<sup>(٦)</sup> وهو القيام فيها ، ومنه القنوت في الوتر ؛ لأنه دعاء المصلي .

**﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾** حالان . وقرئ : "ساجد وقائم" برفعهما<sup>(٧)</sup> على أنه خبر بعد خبر ، والواو للجمع بين الصفتين ، وأن من لم يعمل بعلمه فليس بعالم ، ويجوز أن يكون تشبيهاً

(١) سورة الليل ، الآية (٣) .

(٢) سورة الشمس ، الآية (٥) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس "لَيُضْلِل" وقرأ الباقيون "لَيُضْلِل" . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٤١٨/٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٩) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٨/٦) ، الكشاف للزمخشري (٣٨٩/٣) ، النشر لابن الجزري (٢٩٩/٢) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (٣٠) .

(٥) قرأ بها نافع وابن كثير ومحزنة وقراء الباقين بالتشديد "أَمْن" . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٤١٨/٧) ، تفسير القرطبي (١٥/٢٣٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٥) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦١) ، الكشاف للزمخشري (٣٩٠/٣) ، النشر لابن الجزري (٣٦٢/٢) .

(٦) رواه مسلم رقم (٧٥٦) ، وأحمد (٣٩١/٣) ، والترمذى رقم (٣٨٧) ، وابن ماجه رقم (١٤٢١) ، عن جابر بن عبد الله رهف .

(٧) قرأ بها الضحاك . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤١٩/٧) ، تفسير الرازى (٢٥٠/٢٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩) ، الكشاف للزمخشري (٣٩٠/٣) .

أي : كما لا يستوي العالم والجاهل لا يستوي القانتون والعاصون . وقيل : نزلت في عمار ابن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي <sup>(١)</sup> . وعن الحسن : أنه سئل عن رجل يتمادى في العاصي ويرجو ، فقال : هذا تمني ، وإنما الرجاء قوله ، وتلا هذه الآية <sup>(٢)</sup> .

**﴿ قُلْ يَعِدُ اللَّذِينَ آمَنُوا الْقُوَّارِبَ كُمَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّ الْأَصْدِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾**

﴿ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴾ متعلق بـ ﴿ أَحْسَنُوا ﴾ لا بـ ﴿ حَسَنَةً ﴾ معناه : للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الآخرة ، وهي دخول الجنة ، أي حسنة نكرة تدل على عظمة ما يثابون به <sup>(٣)</sup> وأنه شيء لا يقدر قدره ، وقد علقه السدي بـ ﴿ حَسَنَةً ﴾ ففسر الحسنة بالصحة والعافية <sup>(٤)</sup> ومعنى تعلقه بـ " حسنة " أنه لو تأخر لكان صفة ؛ فإذا تقدم دل على موضع الصفة فلم يخل التقديم بالتعلق <sup>(٥)</sup> . ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ لا عذر للمفرطين في الإحسان ، ومن ضاقت يده في بلد عن أن تتد إلى الإحسان فليهاجر ؛ فإن أرض الله واسعة . وقيل : هي للذين كانوا مسلمين ، وهم في بلاد المشركين فأمروا بالهجرة . ﴿ إِنَّمَا تَكُونُ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً ﴾ الآية . وقيل : هي أرض الجنة .

﴿ الْأَصْدِرُونَ ﴾ الذين صبروا على فراق أوطنهم وعشائرهم . ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ لا يحاسبون عليه . وقيل : بغير مكيال ولا ميزان يحيى لهم حثيا (٢٣٠/ب) ويعرف لهم الجنة غرفا . وعن ابن عباس : لا يهتدي إليه حساب الحسائب <sup>(٦)</sup> .

وفي الحديث : " يؤتى بأهل الصلاة والزكاة والحج فيوفون أجورهم بالموازين ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الأجر صبا حتى يود أهل العافية أن أجسادهم لو كانت في الدنيا قرست بالمقاريس لما يرون من أجر الصابرين " <sup>(٧)</sup> .

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٧/٢١٤) بخوبير عن ابن عباس ~~ع~~ .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/١١٧) .

(٣) رواه الطبراني في تفسيره (٢٢/٢٠٣) .

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/١١٧) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/١١٨) .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٦٠٥ - ٦٠٦) ونسبه لابن مردويه ، وزاد نسبة الزيلعي في تخرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/٢٠٠ - ٢٠١) للطبراني والشعلي وأبي نعيم والأصبهاني في الترغيب والترهيب .

﴿قُلْ إِنِّي أُمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لَا أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِنِي قُلْ إِنَّ الظَّاهِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسَرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلْلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْلٌ ذَلِكَ بِحَقِيقَةِ اللَّهِ يَعْبُدُهُ عِبَادٌ فَاقْتُلُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَجْتَبَيْتُمُ الظَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ أَلْبَشَرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّي أُمَرْتُ﴾ بِإِخْلَاصِ الدِّينِ . «أُمَرْتُ» بِذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ «أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» أي : مَقْدِمَهُمْ وَسَابِقَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْلَّامَ مُزِيدَةً مِثْلَهَا فِي أَرْدَتْ ؛ لـ «أَنْ» أَفْعُلْ ، وَلَا تَزَادُ إِلَّا مَعْ «أَنْ» خَاصَّةً دُونَ الاسمِ الصرِّيفِ «أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» أي : فِي زَمَانِي ، وَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُدْعَوِينَ إِلَى الإِسْلَامِ السَّابِقِينَ إِلَيْهِ ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ قَوْمِي إِلَى الإِسْلَامِ ، وَلَا أَكُونَ مَنْ يُؤْمِرُ بِشَيْءٍ وَيَفْعُلُ خَلَافَهُ .

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ﴾ أي : أَخْصَهُ بِالْعِبَادَةِ . «قُلْ إِنَّ﴾ الْكَامِلُونَ فِي الْخَسْرَانِ «الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ» فَأَوْقَعُوهَا فِي الْمُهْلَكَةِ ، وَخَسِرُوا أَهْلِيهِمْ ؛ لَأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا كُفَّارًا فَقَدْ خَسِرُوا كَخَسْرَانِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ تَفْرِيقًا لَا يَجْتَمِعُونَ بَعْدَ أَبْدًا ، وَلَقَدْ بَالَّغَ فِي خَسْرَانِهِمْ حَتَّى جَعَلَ جَمَّةً مُسْتَأْنَفَةً ، وَصَدَرَهَا بِحُرْفِ التَّنْبِيَّةِ ، وَوَسْطَ قُولِهِ : «هُوَ» وَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي «الْخَسْرَانِ» وَوَصَفَهُ بِكُونِهِ مُبِينًا . «وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْلٌ» هِي تَحْتَهُمْ ، وَهِي ظُلْلٌ لِآخَرِينَ مُعْذِّبِينَ . «الظَّاغُوتُ» فَعْلَوْتُ مِنَ الطَّغْيَانِ كَالْمَلَكُوتِ وَالرَّحْمَةِ ؛ يُطْلَقُ عَلَى الْجَمْعِ وَعَلَى الْمَفْرَدِ وَعَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَؤْنَثِ .

«أَجْتَبَيْتُمُ الظَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا» وَقَالَ فِي تَذْكِيرِهَا : «وَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» <sup>(١)</sup> وَعَلَى الْمَفْرَدِ وَالْجَمْعِ : «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلَى أُولَئِكُمُ الظَّاغُوتُ» <sup>(٢)</sup> . «أَنْ يَعْبُدُوهَا» بَدْلُ اشْتِمَالِ مِنْ «الْبَشَرَى» ، «لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» تَبْشِيرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ دَخَلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَعِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ بِقُولِهِمْ : «مَنْ هُنُّ أَوْلَى أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» <sup>(٣)</sup> .

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلَقَوْلَ فَيَسْتَعِيْنَ أَحَسَنَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولَوَالْأَبْيَانِ﴾ <sup>(٤)</sup> أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَإِنَّ تُنْقِذُ مَنِ فِي النَّارِ <sup>(٥)</sup> لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَذْتَهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ

(١) سورة النساء ، الآية (٦٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٧) .

(٣) سورة فصلت ، الآية (٣١) .

فَوْرِقَهَا عُرُفٌ مَبْيَنٌ بَخْرٌ مِنْ تَحْمِنَاهَا الْأَنْتَرُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَجْلِفُ اللَّهُ الْمَيْعَادُ ۚ (٢٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْتَعِي فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَجْعُلُهُ زَرْعًا مُخْنَلِفًا أَلَوْنَهُمْ يَهْيَجُ قَرَرَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمَانًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لِذِكْرٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ (٢١) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ، لِإِلَسْلَمٍ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَوْرِلُ الْقَدِيسَيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوْتَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۚ (٢٢)

**﴿فَيَسِّعُونَ الْحَسَنَةَ﴾** فإذا اتفق واجب وندب اختاروا الواجب ، وإن اتفق مباح ومندوب اختاروا المندوب ، ويدخل تحته العقائد واختاروا أثبتها على السبک وكقول الشاعر [ من البسيط ] :

..... ولا تكن مثلَ غير قيدٍ فائقاداً<sup>(١)</sup>

يريد المقلد . وقيل : يستمعون القرآن وغيره فيختارون القرآن . والهمزة التي في قوله : **﴿أَفَأَنْتَ تُقْدِمُنَّ فِي الْأَنَارِ﴾** هي الهمزة التي في قوله (١/٢٣١) **﴿أَفْنَ حَقَّ عَلَيْهِ﴾** كررت توكيدها ، تقديره : أفالنت خصوص يانقادهم لا يقدر عليه أحد غيرك . **﴿تَجْزِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهْمَرُ﴾** أي : من تحت الغرف ؛ كما تجري في السهل من الأرض من غير تفاوت في ذلك . **﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾** مصدر مؤكد ؛ لأن قوله : **﴿لَمْ يَمْعِنْ عَرْقُ﴾** وعد .

«أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءَ» قيل : كل ما في الأرض فهو من السماء ؛ لقوله : «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَتَبَعَّفُ فِي الْأَرْضِ» «فَسَلَكَهُ» نظمه «يَتَبَعَّفُ فِي الْأَرْضِ» عيوئا . والسلك : الحيط الذي يدخل فيه الخرز . «يَهِيجُ» يتم جفافه «نُرَجِعُهُ لِمَاءً حُطَّمًا» أي : دريساً وهو إذا تم إدراكه ، وأريد نقل حبه وتخليصه من بينه .

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ نظير ﴿أَمَنَ هُوَ قَنِيتُ﴾ في حذف الخبر . ﴿مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ أي : من أجل ذكره ، معناه : اشمارأزت من ذكر الله . قوله : ﴿عَنْ ذَكَرِ اللَّهِ﴾ أي : غلظت و حفت عن الانقياد إليه والطاعة له ،

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَيْهَدًا مَثَانِيٍ نَقْشُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ تَمَّ  
تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَأَنَا  
لَهُ مِنْ هَادِ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَقَى بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقَلِيلُ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنُّمُ

(١) هذا العجز ست وصيده : شمر وكزن في أمور الدين مختهدا

بنظر في : فضل القدر (٤٤٥/٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٢٠).

تَكَسِّبُونَ ﴿٤٤﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْهَمُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ فَإِذَا هُمُ اللَّهُ أَلْفَزَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لِعَلَاهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾ فَرَبَّا نَا عَرَبَيَا عَيْرَ ذِي عَوْجٍ لَعَلَاهُمْ يَنْقُونَ ﴿٤٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْصَمُونَ ﴿٥١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَيًّا لِلْكُفَّارِينَ ﴿٥٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾ هُمْ مَا يَسْأَءُونَ وَنَعْدَدُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾

وقوله : «مَثَانِي» أي : ثنيت فيه القصص والأمثال والثناء على الله . وقيل : «مَثَانِي» أي : مشتملة على الثناء على الله بما هو أهله ، ويجوز أن يكون نصيحاً على التمييز تقديره : متشابهاً مثاني ؟ كقولك : رأيت رجلاً حسناً شمائلاً ، وإنما كررت القصص والمواعظ ؛ لأنها إذا كررت كانت أوقع لها في النفس وأجرد بالقبول ، وعدى «تلعن» بـ «إلى» في قوله : «إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» أي : تنقاد إليه ؛ ضمنها فعلاً يتعدى بـ «إلى» وـ «من يُضليلُ اللَّهَ فَإِنَّهُ مِنْ هَادِي أَفَمَنْ يَنْقِي» مخدوف الخبر ؟ كما في نظائره . والخائف من الضرب إذا استقبل بالسيف مسلولاً اتقاه بيده ، وأما في الآخرة فالمعدوبون مغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، فيتقي بوجهه بعد أن كان يتقى عن وجهه . وقيل : المراد بالوجه الجملة . وقالت لهم الحزنة : «ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» .

«فَرَبَّا نَا عَرَبَيَا» حال مؤكدة ؛ كقولك : جاءني رجلاً صالحاً ، ويجوز أن يتصبب على المدح . «غَيْرَ ذِي عَوْجٍ» بريئاً من التناقض والاختلاف ، أي : ليس فيه اعوجاج قط . وقال الشاعر [ من البسيط ] :

وَقَدْ أَتَاكَ يَقِينٌ غَيْرُ ذِي عَوْجٍ مِنَ الْإِلَهِ وَقَوْلٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ <sup>(١)</sup>

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَكِّسُونَ» <sup>(٢)</sup> بجماعة شتى أحواهم ، ومقداصهم مختلفة كل واحد (٢٣١/ ب) منهم يريد من ذلك العبد خدمة تامة ، ومتى تأخر بعض

(١) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٢٤/٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٤/٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٢٥) .

(٢) في الأصل بدل هذه الآية قوله تعالى : «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَتَّلُوكًا» وهي الآية (٧٥) من سورة النحل والمثبت هي الآية المقصودة هنا في سورة الزمر .

خدمته شق عليه ؟ فمواليه **﴿مُتَشَكِّسُونَ﴾** و**﴿رَجُلًا﴾** آخر له سيد واحد قد عرف مقاصده فهمه مجتمع . فاي الرجلين أحسن حالا ؟ قوله : **﴿فِيهِ شُرَكَاء﴾** متعلق بـ " متشاشون " والتشاشن : الاختلاف وجعله رجلاً ، لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن مقاصد سيدهما .

قوله : **﴿وَإِنَّكُمْ﴾** غالب فيه ضمير المخاطب على الغيبة . واختصاصهم : يقول الأتباع للسادة : إننا أطعناكم ، ويقول السادة : إننا أطعنا الشياطين . وقيل : اختصاص جميع أهل الموقف .

وقد قال عبد الله بن عمر : " لقد مر علينا زمن ونحن نتلوا هذه الآية ونقول : كيف نختص ونبينا واحد ، وديتنا واحد ؟ حتى رأينا بعضاً يضرب وجوه بعض بالسيف ؛ فعرفنا أنها نزلت فينا " <sup>(١)</sup>. **﴿إِذْ جَاءَهُ﴾** فاجأه بالتكذيب . **﴿مُشَوِّئِي لِلْكَافِرِينَ﴾** يشير به إلى الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق . قوله : **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُنَقَّرُونَ﴾** يعود إلى النبي ﷺ ومن تابعه ؛ كقوله : **﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَنْهَا﴾** <sup>(٢)</sup> ويجوز أن يراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وبالذى **﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾** أتباعه <sup>(٣)</sup> . وقرأ ابن مسعود **﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾** <sup>(٤)</sup> .

**﴿لَيَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَا الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** <sup>(٥)</sup> **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ وَمَخْوِفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿وَمَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضْلِلٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَارٍ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُوا اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ فِي اللَّهِ بِصَرِّهِ هُنَّ كَيْفَنَتْ ضُرِّهُ أَوْ أَرَادَ فِي بِرَحْمَةِ هُنْ مُتَسِكُّنُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ كُلُّ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾** <sup>(٨)</sup>

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/١٢٧) ، ونسبة السيوطي في الدر المنثور (٥/٦١٣) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، وقال الزيلعي في تحرير الأحاديث والأثار التي في الكشاف (٣/٢٠٤) : رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأحوال من حديث زيد بن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف البكري قال : سمعت ابن عمر . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٤٩) .

(٣) رواه الطبرى (٢٤/٣) .

(٤) تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤٢٨) ، تفسير القرطبي (١٥/٢٥٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٥) ، فتح القدير للشوكتاني (٤/٤٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٣٩٨/٣) .

﴿لَكُلُّ كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَا الَّذِي عَمِلُوا﴾ لأن إقدامهم على عصيان الله يجعل فعلهم شيئاً قبيحاً، وكذلك الحسنة؛ إذا أخلصها العبد تكون عند الله عظيمة الشواب. وأما تفصيلهم قسمين؟ فلأن الشيء بالتفصيل أبين وأوضح.

﴿بِكَافِي عَبْدَهُ﴾ يريد النبي ﷺ ، ومن قرأ ﴿عَبْدَهُ﴾<sup>(١)</sup> أراد الأنبياء أو المؤمنين.

﴿وَمُخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام. وقد بعث رسول الله ﷺ حالداً إلى العزى ليكسرها، فقال له سادتها: إني أحذركها يا خالد؛ إن لها شدة لا يقاومها شيء، فكسرها خالد، وهو يقول [من الرجز]:

يا عُرَى كُفَرَانِكِ لَا سَبْحَانِكِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ<sup>(٢)</sup>

أو ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من سواه. وقوله: ﴿عَزِيزُ ذِي أَنْقَاصِ﴾ وعيد لقرיש وعد للمؤمنين بأنه يتقم لهم منهم. قرئ ﴿كَشَفْتُ ضُرُوفَهُ﴾ و﴿مُمْسِكَتُ رَمَمَتِهُ﴾ بالتنوين على الأصل (١/٢٣٢) وبالإضافة على التخفيف<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿هَلْ هُنَّ﴾ والأنوطة محل العجز؛ فدل وصفهم بالألوة على العجز عن كشف الضر وجلب النفع.

﴿فَلْ يَدْقُورُ أَعْمَلُوا عَنْ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ⑳ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخَزِّيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ⑳ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَأْتِيَ النَّاسَ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَيْنَاهَا وَمَا أَنَّتَ عَيْنَهُمْ بِوَكِيلٍ ⑳ اللَّهُ يَتَوَفَّ

(١) قرأ حزة والكسائي وأبو جعفر وخلف "بكاف عباده" وقرأ بقية العشرة "عبده".

تظر القراءات في: البحر الحيط لأبي حيان (٤٢٩/٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٠٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٢٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٦/٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣٩٨/٣)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٦٢).

(٢) ذكر القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/٢٥٥)، والزمخشري في الكشاف (٤/٤٢٢)، والميشمي في مجمع الزوائد (٦/١٧٦) ونسبة للطبراني، وقال: ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل. ونسبة الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٣٨٣/٣) لابن مردوه في تفسير.

(٣) قرأ أبو عمرو ويعقوب "كافشات ضره" ، و"مسكات رحته" ، وقرأ بقية العشرة "كافشات ضره" و"مسكات رحته" بالإضافة. تنظر القراءات في: البحر الحيط لأبي حيان (٧/٤٣٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣١٠)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٢٣)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣٩٩/٣)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٦٣).

الأنفس حين موتها وألئي لها تمت في مماتها فيمسك التي قضى علاتها الموت ويرسل الآخر إلى أجل مسمى إن في ذلك لذكراً لا يكتنفه شفاعة <sup>(١)</sup> أو أخذوا من دون الله شفاعة قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقولون <sup>(٢)</sup> قل لله الشفاعة جمِيعاً الله ملوك السموات والأرض ثم إليه ترجعون <sup>(٣)</sup> وإذا ذكر الله وحده أشمارت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون <sup>(٤)</sup> قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون <sup>(٥)</sup>

﴿عَلَى مَكَانِكُم﴾ أي : على مكانكم . فإن قيل : هلا قيل : إني عامل على مكانني ؟ قلت : فعل ذلك توكيداً ، أو إيذاناً بأن مكانة رسول الله ﷺ تزداد كل وقت وحين ، ولن يزال راقياً في الدرجات العلى .

قوله تعالى : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أي : يبقى عليها ما هي به دراكه حساسة ، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في المقام ، فإذا جاء وقت اليقظة أمسك النفس التي قضى عليها الموت ، وأرسل الأخرى ﴿إِنْ أَجْلِ مُسَمٍ﴾ إلى انتهاء آجالها المكتوبة لها . وعن ابن عباس : إن في بدن الإنسان روحاناً ونفساً ؛ فعند النوم تتوفى الأنفس ، وعند الموت تتوفى الأرواح <sup>(١)</sup> . ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ إنما يعطي الشفاعة بوصفين : أحدهما الإذن من الرحمن عز وجل <sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا تَنْأِي الشَّفَاعَةُ عَنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ﴾ <sup>(٣)</sup> والثاني : أن يكون المشفوع فيه مرتضى ؛ لقوله : <sup>(٤)</sup> ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَنَ﴾ <sup>(٥)</sup> .

أنتبون لهم الشفاعة ؟ ولو كان الذين أثبتوها لهم <sup>(٦)</sup> ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُونَ﴾ قل لله الشفاعة جمِيعاً لا يملكونها ولا يعطوها إلا هو . <sup>(٧)</sup> ﴿ذَكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَارَتْ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ ولم يذكر معه آهاتهم أشمارت ، أي : نفرت وكرهت . قوله : <sup>(٨)</sup> ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبَشِرُونَ﴾ فاجأهم السرور ، وامتلأت قلوبهم فرحاً ؛ فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يلتجيء إليه ؛ فقال : <sup>(٩)</sup> ﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : شاقق ، ويقال : فطر ناب البعير إذا شق اللحم وخرج . وعن ابن عباس : " ما كنت أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى

(١) ذكره الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/٢٠٥) وقال : غريب جداً .

(٢) سورة سباء ، الآية (٢٣) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨) .

اختصم إلى رجلان في بشر؛ فقال: أحدهما: هي بشرى وأنا فطرتها. أي: أبدأت حفرها<sup>(١)</sup>. فإن قلت: ما العامل في قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾؟ قلت: المفاجأة؛ كقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبِّرُونَ﴾ رسول الله ﷺ وشق عليه خلافهم؛ فأمره الله أن يتتجئ إليه. ﴿وَبِدَا لَهُمْ مِنَ الْأَلَّهِ مَا لَمْ يَكُنُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ هذا في الوعيد (٢٣٢/ب) كقوله في الوعد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَغْيَنِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَيِّعاً وَمِثْلَهُ، مَعَهُ، لَأَفْنَدُوا بِهِ، مِنْ سُوءِ النَّعَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبِدَا لَهُمْ مِنَ الْأَلَّهِ مَا لَمْ يَكُنُوا يَحْتَسِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَبِدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿فَإِذَا مَسَ الْأَيْسَنَ ضُرُّ دَعَانَا مِمَّ إِذَا حَوَّلَنَّهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوْتِنَّهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ وَلَا كُنَّ أَكْرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿فَدَفَّا لَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿أُولَئِمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتِ لِقَوْمٍ يُقْرِبُونَ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿فَلَمْ يَعْبَدُوا إِلَيْنَا أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الظُّوبَبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿وَأَنْبِيَأُوا إِنَّ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا إِلَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْنِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنَصَّرُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿وَأَتَيْعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْنِيَكُمُ الْعَدَابُ بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(١١)</sup>

قوله: ﴿وَبِدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ أي: حل ونزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ﴾ به من العذاب. ﴿فَإِذَا مَسَ الْأَيْسَنَ ضُرُّ دَعَانَا مِمَّ إِذَا حَوَّلَنَّهُ﴾ التحويل مخصوص بالفضل؛ تقول: خولي فلان مالا، أي: أعطاني بغير جزاء. ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ أي: على علم من الله سبحانه باستحقاقه له؛ كقول قارون: ﴿إِنَّمَا أُوْتِنَّهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾<sup>(١٢)</sup>

وقيل: علم من الله عز وجل بأني أهل لذلك ، والضمير في ﴿أُوْتِنَّهُ﴾ للنعمنة المؤثنة ، و﴿نِعْمَةً مِنَ﴾ شيء من النعمه وجزء من أجزاءها ، يعني : ليس عطاونا إياك تحويلا .

﴿بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ﴾ أي: هذا الإعطاء إنما هو فتنه ، والفرق بين الواو في قوله في أول السورة: ﴿فَإِذَا مَسَ الْأَيْسَنَ ضُرٌّ﴾ وبين الفاء في هذه الآية: أن الفاء هنا وقعت مسببة عن

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١٥٩/٧).

(٢) سورة السجدة ، الآية (١٧).

(٣) سورة القصص ، الآية (٧٨).

قوله : « وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ » الآيات ، يعني : فربوا على خلاف ما يقتضيه ، فاشمأروا من ذكر الله الذي ينفعهم ولم يشمروا من ذكر من ضره أقرب من نفعه . قوله : « قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » فلم يغن عنهم كسبهم شيئاً ، وأصيروا بالقتل يوم بدر ، والقطط سبع سنين ، ثم سبع سنين خصب ورخاء فقيل : « أَوْلَئِمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ » .

« قُلْ يَعْبَادُ الَّذِينَ أَشْرَوْا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ » جنوا عليهما بالإسراف في العاصي . وقرأ ابن مسعود : « اللَّهُ يَعْفُرُ الظُّنُوبَ جَمِيعًا » <sup>(١)</sup> وهذه الآية مطلقة في العفو كما تراه ليس فيها شرط توبية . « وَأَتَيْمُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ » قوله تعالى : « فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعِمُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَعِمُونَ أَحْسَنَهُ » <sup>(٢)</sup> كراهة « أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ » فإن قلت : لم نكر النفس ؟ قلت : المراد بها بعض الأنفس ، وهي إما المتعالية في الكفر ، وإما الفاعلة للخير؛ فللأولى العذاب العظيم ، وللثانية رحمة الكريم الرحيم .

« أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بَدَحَرَتْ فِي جَهَنَّمَ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِدِينَ <sup>٥٦</sup> أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ دِينِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَقِينَ <sup>٥٧</sup> أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنْتَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ <sup>٥٨</sup> بَلْ قَدْ جَاءَتِكَ إِيَّاكَ فَكَذَبْتَ يَهُوا وَأَسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَفَّارِينَ <sup>٥٩</sup> وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجْهُوهُمْ مُسَوَّدَةٌ أَلِيسْ فِي جَهَنَّمَ مَشْوَى لِلْمُكْتَبِرِينَ <sup>٦٠</sup> وَسَجَحَى اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقْوَى مِنَ فَتَاهُمْ لَا يَمْسِهِمُ أَسْوَءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ <sup>٦١</sup> اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ <sup>٦٢</sup> لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>٦٣</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِغَايَتِكَ اللَّهُ أَوْتَيْكَ هُمُ الْخَسِرُونَ <sup>٦٤</sup> »

وقوله : « أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ » ليس المراد به نفس واحدة ؛ بل المراد به أنفس ذات عدد ، ومنه قول الشاعر [ من البسيط ] :

قد أترکُ القرنَ مصفرًا أنامله ..... <sup>(٣)</sup>

والجنب : الجانب ؛ يقال : لين الجانب ولين الجانب ، قالوا : فرط في جنبه وفي جانبه ؛

(١) وقرأ بها أيضاً ابن عباس جعفر بن عبد الله . تنظر في : تفسير الطبرى (١١/٢٤) ، تفسير القرطبي (١٥/٢٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٤٠٣/٣) ، معانى القرآن للفراء (٤٢١/٢) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (١٨) .

(٣) تقدم تخریجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤) .

قال الشاعر [ من الطويل ] :

أما تتقين الله في جنبد وامقِ لـه كـبـد حـري عـلـيـكِ تـقـطـع<sup>(١)</sup>

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ الْسَّتَّرِينَ﴾ لم يكفه أن يضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها (١/٢٣٣)  
وموضعه نصب على الحال ؛ تقديره : إني فرطت وأنا ساخر .

قيل : كان في بني إسرائيل رجل له مال سول إليه الشيطان العمل بالمعاصي ، وعزم أن يتوب إذا جاءه ، فلما جاءه الموت تاب فلم تفعه توبته ، وأنزل الله خبره في القرآن .

فإن قيل : لم فصل بين قوله : ﴿أَوَأَنْ أَلَّهُ هَدَنِي﴾ وبين قوله : ﴿بَلْ قَدْ جَاءَتِكَ أَيْنِقَ﴾ ؟

قلت : حكى أمانى النفس على ترتيبها ؛ فحكى التحسن أولاً ، ثم تمنى الهدایة حيث لا ينفع التمني ، ثم سؤال الرجعة حيث لا يجابت ، وقوله : ﴿بَلْ﴾ جواب لغير منفي ؛ لكنه في معنى المنفي ؛ فقوله : ﴿أَوَأَنْ أَلَّهُ هَدَنِي﴾ دال على انتفاء المهدى . قوله : ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ وصفوه بما لا يليق بجلاله من الشريك والولد . ﴿وُجُوهُهُمْ مُسَوَّدةٌ﴾ في موضع الحال إن كانت رؤية عين ، ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب . ﴿يَمْقَاتِهِمْ﴾ بفوزهم بما طلبوا ﴿لَا يَمْسِسُهُمْ أَسْسُوءُ﴾ قيل : لا محل لهذه الجملة ؛ لأنها مستأنفة .

وقيل : هي منصوبة على الحال . ﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ﴾ من باب الكناية ؛ كقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا﴾<sup>(٢)</sup> قيل : ليس للمقاليد مفرد . وقيل : واحدتها مقليد ، وهي المفاتيح . قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تتمة ؛ نحو قوله : ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ آتَقْوَا﴾ روي أن عثمان بن عفان<sup>رض</sup> سأله رسول الله ﷺ فقال : " هي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قادر "<sup>(٣)</sup> .

(١) البيت لجميل بشينة أو لكثير عزة ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٣٥/٧) ، التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري (١/٣٦٤) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢٠) ، ديوان جمیل بشينة (ص: ٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٢/٣٠٣). ويروى : أما تتقين الله في قلب عاشق ..... .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٢١) .

(٣) نسبة السيوطي في الدر المثور (٥/٦٢٥) لأبي يعلى وابن السنى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ فِي أَعْبُدُ أَيْمَانَ الْجَنَّهُوْنَ ﴾٦١ ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَ عَمَلَكَ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْخَتَّارِينَ ﴾٦٢ ﴿ بِلِ اللَّهِ فَآعْبُدُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾٦٣ ﴾

قال المشركون للنبي ﷺ : عبد آهتنا سنة ، وعبد إلهك سنة ، فنزلت : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ﴾ الآية<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ تَأْمُرُونَ فِي أَعْبُدُ ﴾ أصله : أن عبد ؛ فحذفت "أن" كما في قوله [ من الطويل ] :

الآية .....  
ألا أيها الزاجري أحضر الوغى .....<sup>(٢)</sup>

فإن قلت : لم أفرد ، ثم جمع ، ثم عاد إلى الإفراد بقوله : ﴿ لِئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ ؟

قلت : هو كقولك : كسانا الأمير حلة ؛ أي : كسا كل واحد منها حلة ، ويجوز أن يراد : ولقد أوحى إلى كل واحد واحد من الأنبياء ﴿ لِئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ الآية .

قوله : ﴿ بِلِ اللَّهِ فَآعْبُدُ ﴾ رد لما أمروه به من عبادة آهتهم ؛ فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً منه .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَيِّعاً فَقَضَيْتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتُ مَيْمَنِيَّةٍ سُبْحَنَتْهُ وَعَلَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾٦٤ ﴿ وَنَفَخَ فِي الْأَصْوَرِ فَصَاعَقَ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَظْلُمُونَ ﴾٦٥ ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بُرُورَهَا وَوُضَعَ الْكِتَابُ وَجَاءَهُ بِالنَّيْنِ وَالشَّهَدَاءِ وَفُضِّيَّ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾٦٦ ﴾

روي أن يهودياً قال بمحضرة النبي ﷺ : إن الله يمسك السماوات يوم القيمة على

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨/٦٥٤) لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس متوفى .

(٢) هذا صدر بيت لطرفة بن العبد وعجزه :

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّدَّاتِ هَلْ أَلْتَ مُخْلِبِي ..

ينظر في : الإنصال في مسائل الخلاف لابن الأباري (٩١/٢)، خزانة الأدب (١/١١٩، ٨/٥٧٩)، الدرر اللوامع (١/٧٤) ديوان طرفة (ص : ٣٢)، سر صناعة الإعراب (١/٢٨٥)، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص : ٨٤)، الكتاب (٣/٩٩، ٣/١٠٠)، لسان العرب (أنن)، المقتضب للمبرد (٢/٨٣)، همع الموامع للسيوطى (٢/٧١). والشاهد فيه : نصب الفعل "أحضر" بأن بعد حذفها . وهو قول الكوفيين ، ويروى : أحضر بالرفع بعد حذف "أن" ، وهذا على الرواية الصحيحة عند البصريين . وينظر تفصيل ذلك في الإنصال لابن الأباري المسألة رقم (٧٧) .

إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والشري والجبال(٢٣٣/ب) على إصبع ، ثم يهزهن ويقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ تعجباً مما قال الخبر <sup>(١)</sup> . وهذا يسمى في علم البيان : التخييل ، وهو أن يفهم من مساق هذا الكلام تعظيم قدرة الله ، وأن هذه الأجرام العظيمة مطيبة له ؛ كأنقياد ما هو على الإصبع من غير تصوير شيء يشبه الإصبع ، ولا شيء يشبه المزء ؛ كذلك لا يتصور وجود قبضة في قوله: **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾** لا حقيقة ولا مجازاً بل حكاية هذا الكلام بصورة توقع في النفس إجلالاً وتعظيمًا ، وكذلك **﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾** والمراد بالأرض : الأرضون السابع ، ويشهد لذلك قوله: **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾** قوله: **﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾** وإنما قدم **﴿جَمِيعًا﴾** بأول وهلة قبل مجيء الخبر ؛ ليعلم أنه ليس شيء من الأرض خارجاً عن قبضته . والقبضة : المرة من القبض ؛ كقوله: **﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرَ الرَّسُولِ﴾** <sup>(٢)</sup> . والقبضة - بضم القاف- : هو الشيء المقبض باليد ، وتقول : أعطني قبضة ، بالفتح ؛ تسمية بالمصدر .

**﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾** قيل : في طاعته من غير منازع . **﴿بِيَمِينِهِ﴾** بقدرته . وقيل : بقسمه ؛ فالله تعالى أقسم ليطويتها ، وإذا عرض مثل هذا التفسير على أصحاب علم البيان تلهوا به ، ولم يرفعوا به رأساً ، وترابهم يجدبون عقول السامعين له ويستحسنونه على منابرهم .

وقرئ "مطويات" على نظم **﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾** في حكم **﴿وَالْأَرْضُ﴾** ودخولها تحت القبضة ونصب "مطويات" <sup>(٣)</sup> على الحال . وقرئ **﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** <sup>(٤)</sup> يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا دهمه ما يكرهه . وقيل : ينظرون ماذا يفعل بهم ، ويجوز أن يكون قوله : **﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾** يريد به الوقوف في كل مكان واحد ؛ كالتحير ما يدري ماذا يصنع . قوله تعالى : **﴿وَأَنْسَقْتَ الْأَرْضَ شُورَرَهَا﴾** أي : بعله ؛ كما أن الظلم ظلمات ، وفي الحديث : " الظلم ظلمات يوم القيمة " <sup>(٥)</sup> . ولما افتح الله الأرض بالعدل ختمها بقوله :

(١) رواه البخاري رقم (٤٨١١) ، (٤٨١٤) ، (٧٤١٤) ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) ، وأحمد في المسند (٤٢٩/١) ، والترمذى رقم (٣٢٣٨) ، عن ابن مسعود رض .

(٢) سورة طه ، الآية (٩٦) .

(٣) قرأ بالنصب عيسى بن عمر والجحدري . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤٤٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٤) ، فتح القدير للشوكانى (٤/٤٧٥) ، الكشاف للزنخشري (٣/٣٥٧) .

(٤) قرأ بها زيد بن علي . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤٤٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٥) ، فتح القدير للشوكانى (٤/٤٧٥) ، الكشاف للزنخشري (٣/٣٥٧) .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٤٤٧) ، ومسلم رقم (٢٥٧٩) ، والترمذى رقم (٢٠٣٠) .

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ . قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَبُ﴾ أي : صحف الأعمال . وقيل : اللوح المحفوظ . و﴿وَالشَّهَدَاءُ﴾ الذين يشهدون للأمم وعليهم .

وقيل : الشهداء في قتال الكفار . الزمر : الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض ، وكثير استعمال العرب لفظ الأيام في الحروب والأمور العظيمة ، ومنه : ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا﴾ <sup>(٢)</sup> قوله تعالى : ﴿وَلَذِكْنَ حَقَّتْ كُلُّمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ <sup>(٣)</sup> / ٢٣٤ قوله : ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَفَوْتُنَا﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿وَوَفَيتَ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ <sup>(٥)</sup> وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهَا اللَّمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَسْتَأْنُونَ عَلَيْكُمْ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَذِكْنَ حَقَّتْ كُلُّمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكُفَّارِ <sup>(٦)</sup> قِيلَ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَيَسَّرْ مَوْى الْمُتَكَبِّرِينَ <sup>(٧)</sup> وَسِيقَ الَّذِينَ أَنْقَوْرَاهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَهَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ طَبِيشٌ فَادْخُلُوهَا خَلِيلِينَ <sup>(٨)</sup> وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْزَنَنَا الْأَرْضَ نَنْبُو مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَيَعْمَلُ أَكْرَبُ الْعَالَمِينَ <sup>(٩)</sup> وَتَرَى الْمَلِئِكَةَ حَافِرَتْ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسِّحُّونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِّيَّ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ أَنْقَوْرَاهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا﴾ أنهم يذهبون إليها راكبين مكرمين ، وسوقهم للاستعجال بهم إلى دار الكرامة ، وسوق الكفار بالهوان . ودخلت الواو في قوله : ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في سوق أهل الجنة ؛ لأن أهل الجنة تفتح لهم أبوابها قبل قدومهم ، وعادة المنزل للأضيف أن يهيع متزفهم على أحسن الوجوه قبل قدومهم ، وليس واو الشامية <sup>(٤)</sup> كما زعموا ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿جَنَّتْ عَدِنِ مُفْتَحَةُ لَهُمُ الْأَبَوْبُ﴾ . قوله تعالى : ﴿طَبِيشٌ﴾ أي : من دنس المعاصي والخطايا . قوله : ﴿خَلِيلِينَ﴾ حال مقدرة . قوله : ﴿وَأَوْزَنَنَا الْأَرْضَ﴾ ملكنا إياها . قوله : ﴿حَافِرَتْ﴾ محدقين من حول العرش .

(١) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٣٠) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (١٠٦) .

(٤) تقدم الكلام على واو الشامية في سورة الكهف ، الآية (٢٢) .

## تفسير سورة غافر (المؤمن) [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمٌ ﴾ تَزَيِّلُ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۚ ۝ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
 ذِي الْطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ ۲﴾

قوله تعالى : **﴿الَّتَّوِي﴾** هو الرجوع عن المعصية ؛ يقال : آب وتاب وثاب ، يعني رجع قوله تعالى : **﴿فَذِي الْطَّوْلِ﴾** الطول : الإفضال والزيادة ؛ يقال : طال فلان على فلان : إذا تفضل عليه. فإن قلت : لم فرقت هذه الصفات ؟ فجعل بعضها نكرة وبعضها معرفة ؟ قلت : أما **﴿غَافِرُ الذَّنَبِ﴾** و**﴿وَفَاعِلُ التَّوِي﴾** فهما معرفتان ؛ لأنّه لم يرد بهما حدوث الفعلين ؛ بل هي صفة دائمة ؛ كقولك : سيد العبيد . وأما قوله : **﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** فمشكل لأنّه في معنى حدوث الفعل ، وقد جعله الزجاج<sup>(١)</sup> بدلا . والحكم عليه بالبدليلة دون ما سواه من الصفات المترنة تحكم . والوجه أن يقال : إذا ثبت أن هذا بدل فدل على أن الكل محكم عليه بالدلالة ؛ ولأن عذاب الله وشدة عقابه موصوف بالعظم ؛ فيكون الجحيم وصفا<sup>(٢)</sup> .

﴿مَا يُجَدِّلُ فِي أَيَّامَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِكُ تَقْبِيْمِ فِي الْأَيَّامِ ﴾ ٦  
فَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُوا بِالْبَطْلِ  
لِيُدْحِضُوْهُ بِالْحَقِّ فَأَخَذُوهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عَقَابُ ﴾ ٧ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا  
أَنْهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ٨ الَّذِينَ يَجْلُوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسْتَحْوِنُ بِمُحَمَّدٍ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ  
وَيُسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَأَعْفَرَ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَبَعَوْا  
سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ٩

سجل - سبحانه وتعالى - على المجادلين في آيات الله بأنهم كفار والمراد بالجدل : الجدال بالباطل والطعن فيها ، ويدل على ذلك قوله : « وَجَنَدُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِصُوْهُ أَلْحَقَ » فاما الجدال فيها بحل مشكلها وتفصيل مجملها فيه ثواب عظيم لا يقدر قدره ، ومن حق المؤمن إلا بغتر بكثرة إهمال الفاسق « إِنَّمَا تُلَقِّي لَهُمْ لِيَرَدُوا إِلَيْسَأَوْهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (٢)

(١) ينظر : معانى القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٦٦).

(٢) هذا قول المخنثي، في الكشاف (٤/١٤٩).

(٣) سودة آل عمان ، الآية (١٧٨).

﴿فَإِنَّمَا إِلَيْنَاهُ إِذَا مَا أَبْتَلَهُ رِبُّهُ فَأَكْرَمُهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبُّكُمْ أَكْرَمُنَ﴾ (١) وَإِنَّمَا إِذَا مَا أَبْتَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّيْ أَهَنَّنِي﴾ (٢) كَلَّا﴾ (٣) ثم ذكر من تقدم من الرسل وتكتيب أنهم إياهم ، وعقوبته سبحانه لهم بالتدمير عليهم وإهلاكهم (٤/٢٣٤) قوله: ﴿وَالْأَخْرَابُ﴾ هم الذين تخربوا على الرسل وعاندوهم وعدوهم ، وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم . قوله تعالى : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أي : من هذه الأمم ﴿بِرِسُولِهِمْ لِتَأْخُذُوهُ﴾ ليأسروه ، والأخيد : الأسير . قوله تعالى : ﴿وَكَذَّلِكَ﴾ في محل رفع بالابداء ، وتقديره : ومثل ذلك ﴿حَقَّتْ كِلْمَتَ رَبِّكَ﴾.

روي في صفات حملة العرش آثار تدل على عظم خلقهم ؛ في بعض الروايات : " ما خلق الله خلقاً أعظم من إسرافيل ، وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يكون كالوصع ، وهو العصفور الصغير " (٥).

وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يدل على أن أحداً لا يدرك حقيقة ذات الله عز وجل ، بل يؤمنون بها ويصدقون ، وهؤلاء حملة العرش أشرف الملائكة ، وهم يؤمنون بالله ، ولم يقل : يشاهدونه . يسألون الله تعالى المغفرة لبني آدم ، وفي ذلك تشريف لصفة الإيمان ، وأنها من أعظم صفات الصالحين .

قوله : ﴿وَسَتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ أَمَّنُوا﴾ فيه دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة ، وأن يستغفر له بظاهر الغيب . وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم ؛ فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي ، ولا بين ملك وبشر ، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلي لأهل الأرضين السفلى .

فإن قلت: السعة من صفات الأجسام والله متعال عن ذلك ، وقد وصف نفسه بقوله: ﴿وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً﴾؟ قلت: الأصل: وسعت رحمتك وعلمت كل شيء . فالواسع هي الرحمة والعلم ، وقد اتسع فيه ؛ فجعلت الصفة لذين الوصفيين ، وجعل كأنها وسعاً . فإن قلت: لما ذكر الرحمة والعلم كان القياس أن يقول: فاغفر للذين تابوا وارجحهم؟ قلت: المغفرة من جملة أنواع الرحمة ؛ وكذلك وقاية السيئات رحمة أيضاً .

﴿رَبَّنَا وَآذْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدِّنِ أَلَّى وَعَدَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَابِيهِمْ وَأَرْفَجِهِمْ

(١) سورة الفجر ، الآية (١٥ - ١٧) .

(٢) تقدم تحريره في تفسير سورة فاطر .

وَدَرِيْتُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨ وَقِيمُهُمُ الْسَّيِّئَاتُ وَمَنْ تَقِيْمُ الْسَّيِّئَاتِ يَوْمَ الْيَقْيَادِ  
فَقَدْ رَحْمَتْهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادِدُونَ لَمْ قَتَّ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ  
مَقْتُكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى إِلَيْمَنِ فَتَكْفُرُونَ ١٠ قَالُوا رَبَّنَا أَمْتَنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا  
أَثْنَيْنِ فَأَغْرَفْنَا إِذْ نُؤْسَافَهَلَ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَيْلٍ ١١

قوله : « وَقِيمُهُمُ الْسَّيِّئَاتُ » أي : العقوبات . قوله : « وَمَنْ صَلَحَ » يقال : صلح فهو صالح وصلح بضم اللام فهو صليح ، والفتح أوضح . قوله : « لَمْ قَاتَ اللَّهُ » مبتدأ ، خبره « أَكْبَرُ » قوله : « إِذْ تُدْعَوْنَ » ظرف والعامل فيه المقت الأول ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيمة : كان الله يمتحن أنفسكم حين تدعون إلى الإيمان فتكفرون ممتنًا هو أكبر من مقتكم أنفسكم الآن . وقيل : لما رأوا أعمالهم الخبيثة مفتوا أنفسهم ؟ فنودوا : لمحت الله إياكم الآن (٢٣٥) أكبر من مقتكم . و « إِذْ تُدْعَوْنَ » تعليل . والمقت : أشد البغض ؛ فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشدته . قوله : « رَبَّنَا أَمْتَنَا أَثْنَيْنِ » أي : أوجدتنا أمواتا ، ثم أحيتنا في الدنيا ، ثم أمتنا فيها ، ثم أحيتها في الآخرة . وقد حكي عن ابن عباس وأبي ذر أنها قالا : الإمامتين والإحياءين قوله : « وَكُنْتُمْ أَمَوَاتًا فَأَحْيَنَّكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحَيِّكُمْ » (١) . فإن قلت : كيف صح أن يسميهم وهم في العدم أمواتا ؟ قلت : هو كقولك : سبحان من صغر جسم البعوضة ، وكبر جسم الفيل ، وتقول من يحفر لك بثرا : وسع أسفله وضيق أعلىه ، وليس المراد التنتقل من صغر إلى كبر ، ومن كبر إلى صغر ، ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه ؛ بل المراد : أوجدها على هذه الصفة وكذلك النطف خلقها الله تعالى ولا روح فيها . ومن جعل الإمامتين التي بعد الحياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاثة إحياءات ، وهو خلاف ما قاله في القرآن ، هكذا قاله الزمخشري (٢) وفيه نظر ؛ لأنه لا يتصور أن يكون العدد إحياءين وإمامتين ؟ فإنك إن لم تعد النطف ، وعددت إخراجهم من ظهر آدم كالذر صار معك ثلاثة إحياءات : إحياء من ظهر آدم ، وإحياء في الدنيا ، وإحياء في القبور المسائلة ، وإن لم تعد ذلك ، وعددت الإحياء في الدنيا واحدًا والإحياء في القبر ثانية ، والإحياء للبعث ثالثًا صارت ثلاثة إحياءات على جميع التقاضير ، وإن أسقطت واحدًا من الإحياءات حتى تصير اثنين نقصت من الإمامات واحدة ؛ فأعمل فكرك فيها . قوله :

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨) ، والأثر ذكره الزمخشري في الكشاف (٤١٨/٣) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/١٥٥) .

﴿فَأَعْتَرَّ فُنَادِيُّنَا﴾ إنما اعترفوا بها ؛ لأنهم رأوا الإحياء والإماتة قد تكررت عليهم ، وهي فعل الله تعالى ؛ فأفروا بما كانوا يكذبون به من نفي الشريك .

قوله : ﴿فَهَلْ إِنْ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي : فهل إلى نوع من الخروج من سبيل ؟ أم اليأس واقع دون ذلك ؟

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشَرِّكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَاللَّهُمَّ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٦)

قوله : ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي : ذلكم الذي وصفناه من كفركم واعترافكم بما أنكرتموه بسبب أن الله إذا ذكر وحده بالوحدانية أنكرتم ذلك ﴿وَإِنْ يُشَرِّكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَاللَّهُمَّ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد . وقيل : إن الحرورية الخوارج قالوا : لا حكم إلا لله من قوله : ﴿فَاللَّهُمَّ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٧) .

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَيْمَانَهُ وَيُنَزِّلُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَدَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٨)  
فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكُفَّارُونَ﴾ (١٩) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ دُوْلُ الْعَرَشِ يُلْقِي الرُّوحَ

(١) الحرورية إحدى فرق الخوارج ، قيل : سموا حرورية نزولهم بحرراء في أول أمرهم . قال الإمام ابن الجوزي في تلبيس إيلبيس (٢٨١) : " وانقسمت الحروريةاثنتي عشرة فرقة فأولهم الأزرقية قالوا : لا نعلم أحدا مؤمنا ، وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقوفهم . والأباضية قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق . والشعلبية قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر . والحازمية قالوا : ما ندرى ما الإيمان والخلق كلهم معذورون . والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أثني فقد كفر . والمكرمية قالوا : ليس لأحد أن يمس أحدا لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغسل . والكتزية قالوا : لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحدا لأنه ربما لم يكن مستحقا بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق . والشمراخية قالوا : لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين . والأخنسية قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر . والحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر . والمعزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فتحن تبرأ من الفريقين . والميمونية قالوا : لا إمام إلا برضاء أهل محبتنا .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين (١٢٧/١) : " ومن ألقابهم المارة ومن ألقابهم المحكمة وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارة من الدين كما يفرق السهم من الرمية والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب ، والذى له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقوفهم لا حكم إلا لله ، والذى له سموا حرورية نزولهم بحرراء في أول أمرهم ، والذى له سموا شرارة قوفهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله . أي بعندها بالجنة .

مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عَبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ الْتَّلَاقِ ١٥ يَوْمَ هُمْ بَرَزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِنَّمَنَ الْمَلَكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ١٦ أَلْيَوْمَ يُخْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٧ وَأَنِذْرُهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَافِ إِذْ الْفُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمَيْنَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا سَفِيعٍ يُطَاعُ ١٨

﴿يُرِيكُمْ أَيْمَانِهِ﴾ من السحب والرياح وغيرها . والرزق : المطر ﴿وَمَا يَتَدَكَّرُ﴾ وما يتعظ إلا من يرجع إلى الله ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ أيها النبيون إليه (٢٣٥/ب) ﴿مُنَاصِبِينَ﴾ من الشرك ، وإن غاظ ذلك من ليس على مثل حالتكم .

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرَشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار لمبدأ مذوق أي : هو ، أو مبتدآت خبرها مذوق ، وهي مختلفة تعريفاً وتذكيراً .

قال ابن جير : سماء فوق سماء ، والعرش فوقهن <sup>(١)</sup> . ويجوز أن تكون عبارة عن رفيع شأنه وعظيم سلطانه . وقيل : هي درجات المتقين التي ينزلونها في الجنة .

قوله : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ التي يراد بها الحياة ؛ لأنها من عالم أمر الله ، أو النور الذي يلقنه الله في قلب المتقين . قوله : ﴿لِيُنذِرَ﴾ أي : الله سبحانه وتعالى ، أو الملقي عليه وهو الرسول ، أو إلى الروح . و ﴿يَوْمَ الْتَّلَاقِ﴾ يوم القيمة ؛ لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل : يتلقى أهل السماء وأهل الأرض . وقيل : المعبد والعابد .

﴿بَرَزُونَ﴾ منكسفون لا يحجب عن أبصارهم شيء ؛ لأن الأرض قاع صفصف ، والمعوثرات عراة ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ﴾ أي : من أحوالهم وأعمالهم ، والله تعالى ذكره لا يخفي عليه شيء سواء برزوا أو لم يبرزوا ؛ لأنهم كانوا يتوهمن أنهم يسترون ويختجون عن نظر العيون ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ طَنَثَرَانَ اللَّهُ لَا يَعْلَمُ﴾ الآية <sup>(٢)</sup> ينادي يوم القيمة مناد : ﴿لَمَنِ الْمَلَكُ الْيَوْمَ﴾ فيجيئه أهل المحشر : ﴿لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ وقيل : يجمع الله الناس يوم القيمة على أرض بيضاء كسيكة الفضة لم يعص الله عليها فينادي المنادي بذلك ، فيجيب الله نفسه : ﴿لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ .

(١) ذكره الزخشري في الكشاف (٤/١٥٦).

(٢) سورة فصلت ، الآية (٢٢) .

لما ذكر انفراده بالملك ذكر ما يترتب عليه من الجزاء ؛ فقال : ﴿الْيَوْمَ بُخْزَى﴾ وذكر أن الحساب لا يبطئ ؛ فإن الله سريع الحساب ؛ لأنه لا يشغل شأن عن شأن ، وهو أسرع الحاسين . وقيل : إذا أخذ في حسابهم لم يقل من القليلة أهل الجنة وأهل النار إلا في منازلهم . ﴿الْأَرْفَقُ﴾ القيامة ، سميت بذلك لقربها ، (واللفى) القرى ، ويجوز أن يزيد أنهم إذا أمروا بدخول النار التصقت قلوبهم بمناجاتهم فلا يموتون ولا يحيون ﴿فَإِنَّ اللَّهَ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾<sup>(١)</sup> ﴿كَظِيمَنَ﴾ حال من القلوب أو من أصحاب القلوب ، وجمع الكاظمين جمع السلامة ؛ لأنهم وصفهم بوصف العلاء ، وهو كونهم كاظمين . ويجوز أن تكون حالاً مقدرة من قوله : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ مقدرين الكظم .

﴿جَمِيعُ﴾ المحب المشفع ، والمطاع : مجاز في قبول الشفاعة ، ويجوز أن يراد نفي الشفاعة والقبول معًا (١/٢٣٦) وهو أظهر ؛ لأن الذين طلبت منهم الشفاعة ملائكة ، وأولياء ، فلا ترد شفاعتهم ، فيمن هو أهل وإنما أتى بلغة ﴿يُطَاعُ﴾ لأنه قد يتوهם متوجه أن ثم شفاعة وطاعة فأیأس منها ، ويقول من عتب على ترك الجهاد : كيف أقاتل ولا فرس لي ؟ أي : ما يأتي لي القتال بغير فرس ، ولا فرس هناك ؛ فلا قتال .

﴿يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُحْكَفُ الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَسْدَ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا فِي أَرْضِهِمْ كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍِ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا تَأْتِيَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِتَابِعِنَا وَسُلْطَنِنَا مُهَمَّدًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَقَتْرُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَقْتُلُو أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَأَسْتَحْيِو نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٤﴾

الخائنة : صفة للنظرة ، أو : مصدر على فاعلة ؛ كالعقوبة والعافية ، والخائنة : الكاذبة ، والمراد : استراق النظر إلى ما لا يحل . فإن قلت : بم يتعلق قوله ﴿يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ ؟ قلت : هو من جملة أخبار ﴿هُوَ﴾ في قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾ وإن طال الفصل .

﴿وَأَنَّهُ يَعْصِي بِالْحَقِّ﴾ أي : ومن هذه أحواله وصفاته لا يقضي إلا بالعدل والحق ، وأهلكم لا يقضون بشيء ، وهذا تهكم بهم ؛ لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقضي .

" هم " في قوله : ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ﴾ فصل ، وإنما دخلت بين معرفة ونكرة ؛ لأن أ فعل التفضيل إذا جاءت بصيغة ﴿من﴾ تشبه المعرفة في امتناع دخول لام التعريف عليه ؛ فالحق بالمعارف . ﴿وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ قيل : أكثر آثاراً . وقيل : أظهر وأمكن . كان فرعون يقتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل ويقي النساء ؛ لأن الكهنة أخبرته أنه يولد في تلك السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ؛ فلم يغنه حذره ، وسخر فرعون حتى ربى موسى في حجره ، وهو الذي كان يحدره ، ثم لما نبئ موسى وظهرت الآيات على يديه والمعجزات ، قال فرعون : أعيدوا قتل الذكور من بني إسرائيل واستحبوا النساء خدماء ، وهو معنى قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَفْتَلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ أَمْتُوا مَعْهُمْ﴾ الآية .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرْوِنِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلَيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَنْقَطُتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُولُ لَكُمْ أَمْلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِي كُمْ إِلَّا سَيِّلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

﴿ذَرْوِنِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ كان فرعون إذا هم بقتله كفوه ، وقالوا : ما هو بالذي تخافه ، وكان فرعون قد امتلاً من ذلك غيظاً ، وكان يحس من موسى أنه يصير له شأن عظيم ؛ فيقول لأصحابه : ﴿ذَرْوِنِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ وقوله : ﴿وَلَيَدْعُ رَبَّهُ﴾ دليل على أن فرعون كان شديد الجزع من موسى وتفاقم أمره ، وهل رأى قط ساحراً أحداً علينا واستولى عليه بسحره حتى يقول : ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾

لما سمع موسى قول فرعون ﴿ذَرْوِنِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ قال : ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ الآية ، وكانوا يعبدون (ب) فرعون ويعبدون أصنامه ؛ بدليل قوله : ﴿وَيَذَرُكَ وَإِلَهَنَكَ﴾ (١) وقال : ﴿لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمَ الْحِسَابِ﴾ لأن من لم يؤمن بالجزاء لا يخاف العقاب .

قرئ: "رَجُلٌ" <sup>(١)</sup> بسكون عين الفعل ؛ كعنصد وعنصد ، وكان ابن عم لموسى قبطياً آمن بموسى سراً . وقيل : كان إسرائيلياً . و«مِنْ عَالِيٍ فِرْعَوْنَ» صفة لـ «رَجُلٌ» أو معهول لـ (يكتم) أي : يكتم إيمانه «مِنْ عَالِيٍ فِرْعَوْنَ» .

ثم احتاج المؤمن على قومه بقوله : «وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَاهَهُ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» فتلطف من وجهين : أحدهما : أنه بدأ بقسم الكاذب مع علمه بصدق موسى . والثاني : قوله : «يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» وهو إذا كان صادقاً أصحابهم كل الذي وعدهم . وروي أن الذي تولاه أبو بكر من أمر رسول الله ﷺ كان أشد ؛ فمما روي أن أكبر مشركي قريش قالوا لرسول الله ﷺ : أنت الذي تهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا وختنوه فالتزمه من ورائه ، وقال : «أَنْقَطْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» ولم يزل يدافع عنه حتى أرسلوه <sup>(٢)</sup> . وقيل : قاله أبو بكر جهراً ، وقاله مؤمن آل فرعون سراً <sup>(٣)</sup> . «طَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ» أرض مصر؛ فلا تتعرضوا لباس الله وعدابه وقال : «فَمَنْ يَنْصُرُنَا» ولم يقل : فمن ينصركم؟ تلطفاً في النصيحة ، ولأنه منهم فينبغي أن يحفظوه كما يحفظون أنفسهم . «مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى» يعني : ما أشير عليكم إلا بقتله ولا أستصوب إلا هو ، ولقد كذب فيما قال ؛ فإن قلبه كان مملوءاً رعباً من موسى ، ولكنه كان يتجلد ، ولو لا تجلده ما استشار أحداً .

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحَزَابِ ٢٠١ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمٍ تُوجِّهُ وَعَادٍ وَتَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٢٠٢ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُبُورَ يَوْمَ النَّبَادِ ٢٠٣ يَوْمَ تُؤْلَمُونَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٢٠٤ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوْسَى مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مَمَاجِأَةَ كُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْمَنْ لَنْ يَعْشَرَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ٢٠٥ كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ٢٠٦ الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَهُمْ كُبُرٌ مَقْتَانًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ

(١) قرأ بها الأعمش وعبد الوارث . وتروى عن أبي عمرو .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٠/٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٣٧/٦) ، السبعة (ص: ٥٧٠) ، فتح القدير للشوكانى (٤٨٩/٤) ، الكشاف للزمخشري (٤٢٣/٣) .

(٢) نسبة السيوطى فى الدر المثور (٢٨٥/٧) لابن أبي شيبة والحكيم الترمذى وابن مردوه والبيهقي فى الدلائل عن عمرو بن العاص ص .

(٣) نسبة الزمخشري فى الكشاف (٤/١٦٣) لجعفر الصادق .

جَبَارٍ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ أَبْنَ لِصَرَحًا لَعَلَّيْ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ اللَّهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَطْهُهُ كَذِبًا وَكَذِلَكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ، وَصَدَّهُ عَنِ السَّيِّلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٨﴾

قوله : «مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ» الذين تخربوا على الأنبياء فأهلكهم الله . «مِثْلَ دَأْبِ» لابد من تقدير مخدوف فيه ؛ أي : مثل جراء دأبهم ، و " مثل " الثاني منصوب بكونه عطف بيان للأول . «وَمَا أَلَّهُ بِرُّيْدٍ ظَلَمًا إِلَيْهِ بَادِ» فيعاقبهم بغير ذنب .

«النَّادِي» قوله : «وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَصْحَابَ النَّارِ» «وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» «وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ» <sup>(١)</sup>. ويجوز أن يكون تصايمهم بالويل والثبور.

«مُؤْرِينَ» منصرفين عن موقف الحساب إلى النار . قوله : «وَلَقَدْ جَاءَ كُمْ يُوسُفَ» هو يوسف بن يعقوب . وقيل : هو يوسف بن إبراهيم بن يعقوب ، أقام فيهمنبياً عشرين سنة وقيل : هو يوسف آخر ، وقولهم : «لَنْ يَبْعَثَكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» <sup>(٢)</sup> / أ ) مقدمة جميلة تدل على تكذيب الرسل إذا جاءوا .

قوله : «الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ» بدل من «مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» وفي قوله : «كَبَرَ مَقْتَانًا عِنْدَ اللَّهِ» زيادة تعظيم لما فعلوه من الكفر ، ووصف القلب بالجبروت والتكبر ؛ لأنه منبعهما ؛ كما تقول : رأت العين وسمعت الأذن ، وكذلك قوله : «فَإِنَّهُمْ أَئْمَنُ قَبْلَهُ» <sup>(٣)</sup> : والآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف مضاف ؛ أي : على ذي قلب متكبر .

الصرح : البناء الشاهق الذي لا يخفى وإن بعد ، و «أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ» طرقها .

وقوله : «الْأَسْبَابُ» ثم أبدل منه «أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ» لأن الشيء إذا أبهم ثم فسر كان أبلغ ، والذي زين هو الشيطان «وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْنَاهُمْ» <sup>(٤)</sup> أو الله سبحانه وتعالى . «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنَ لَهُمْ أَعْنَاهُمْ» <sup>(٤)</sup> . التباب : الخسران . افتح مؤمن آل فرعون بتحقيق أمر الدنيا وأنها شيء يستمتع به زماناً ثم يضمحل ، وتنسى بتعظيم الآخرة ، وذكر

(١) سورة الأعراف ، الآيات (٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨٣) .

(٣) سورة النمل ، الآية (٢٤) .

(٤) سورة النمل ، الآية (٤) .

الأعمال وجزائها ، ثم فرق بين دعوته إلى الله ، ودعوة المشركين إلى الأصنام ، فوقى الله المؤمن عقوبات الذين كفروا وحماه وعصمه ، وحل **﴿يُغَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾** .

**﴿وَقَالَ الَّذِي تَأْمَنَ بِيَقْوَمٍ أَتَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾** **٢٨** **يَقْوَمُ إِنَّمَا هَذِهِ**  
**الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقِرَارِ ﴾** **٢٩** **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَاتٍ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا**  
**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَزْقٍ مِنْ فِيهَا يُغْيِرُ**  
**حِسَابٍ ﴾** **٣٠** **وَيَقْوَمُ مَا لِي أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى الْأَنَارِ ﴾** **٣١** **تَدْعُونَنِي**  
**لَا كُفُرٌ بِاللهِ وَأَشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِنَّمَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾** **٣٢** **لَا جَرْمَ إِنَّمَا**  
**تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّ مَرْدَنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ**  
**أَصْحَبُ الْأَنَارِ ﴾** **٣٣** **فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ**  
**بِالْعَبَادِ ﴾** **٣٤** **فَوَقَنَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِيَقْلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾** **٣٥**

وقوله : **﴿يُغَيِّرُ حِسَابٍ﴾** يدل على الكثرة ، وأنه ليس مما يحصره العدد ، وإنما كسر نداء قومه ، وأتي بالواو في الثالث دون الثاني ؛ فأما تكرير النداء ففيه زيادة إيقاظ ، وأما دخول الواو في الثالث ؛ فلأنها جملة أجنبية من الأول ، بخلاف الثانية مع الأول . تقول : دعوته لكذا ، أو دعوته إلى كذا ؛ كقولك : هداه الطريق وهداه إلى الطريق . **﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾** أي : بربوبيته ، والمراد ببني العلم نفي المعلوم . **﴿لَا جَرْمَ﴾** لا نفي لما سبق ، و**﴿جَرْمٌ﴾** فعل ماض ، أي : حق ؛ هذا مذهب البصريين <sup>(١)</sup> . أي : حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسبت ؛ كقوله : **﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾** <sup>(٢)</sup> . ويجوز أن يراد بقوله : **﴿لَا جَرْمَ﴾** أي : لابد من الجرم وهو القطع ؛ أي : لا ينقطع استحقاقهم للعذاب ؛ بل هو مستمر . **﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾** أي : دعوة تحاب ، ومن حق العبود بحق أن يدعوا الناس إلى عبادته . وقوله : **﴿فِي الدُّنْيَا﴾** لأنه في الدنيا جماد ، وفي الآخرة ليس أهلاً للشفاعة التي كانوا يرجونها منه ، أو

(١) قال أبو البقاء العكري : لا جرم : فيه أربعة أقوال : أحدها : أن " لا " رد لكلام ماض أي : ليس الأمر كما زعموا ، و " جرم " فعل وفاعله مضمر فيه . والقول الثاني : أن " لا جرم " كلمتان ركبتا وصارتا بمعنى حقا . والثالث : أن المعنى لا محالة . والرابع : أن المعنى لا منع .

ينظر تفصيل تلك الأقوال في : التبيان في إعراب القرآن للعكري (٣٦/٢) ، الدر المصور للسمين الحلي (٤/٨٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٦٩) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٦١) ، معاني القرآن للزجاج (٣/٤٥) ، مغني الليب لابن هشام (١/٣١٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢) .

جعل الدعوة العارية عن الإجابة كلا دعوة ؛ قال الله تعالى : ﴿لَهُ دُعْوَةُ الْمُقْرَبِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ الممازين الحد . ﴿فَسَتَذَكَّرُونَ﴾ أي : يذكر بعضكم (٢٣٧/ ب) بعضاً . ﴿وَأَفْوَضُ أَثْرَى إِلَى اللَّهِ﴾ كانوا قد تهددوه فالتجأ إلى الله في وقاية شرهم .

﴿النَّارُ يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا عَذَّوْا وَعَشَّيَا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخُلُوا إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٦١﴾ وَإِذْ يَتَحَاجِجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الظَّعِيفُونَ لِلَّذِينَ أَسْتَكَبَرُوا إِنَّا كُلُّكُمْ تَبَعَّا فَهَلْ أَتَشْمَعُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكَبَرُوا إِنَّا كُلُّنَا فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٦٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٦٤﴾

﴿النَّارُ﴾ بدل من ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أو خبر مبتدأ محنوف ، أو مبتدأ خبره ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وعرضهم على النار : إحراصهم بها ، يقال : عرض الأمير الأساري على السيف أي : قتلهم به .

قوله : ﴿عَذَّوْا وَعَشَّيَا﴾ في هذين الوقتين يعنون بالنار ، وفيما سوى ذلك الله أعلم بحالهم ؛ فإذا ما أن يعنون بمحنس آخر أو بنفس عنهم . ويجوز أن يراد بالغدو والعشي الدوام . هذا مدة بقاء الدنيا فإذا جاءت القيمة قيل لهم : ﴿أَذْخُلُوا إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ فإن قيل : فسرتم قوله تعالى : ﴿وَحَافَ بِعَالَى فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ بالنار ، وهم لم يعنون بالنار فلم يحق بهم سيئات ما مكرروا ؟ قلنا : يقال : إن من أضرم لشخص أن يحرقه بالنار فغرقه [٢] لسمى ذلك حيقا لحصول عقوبة ذنبه ، وإن لم يكن من جنس ما عذبه . وقد استدل بهذه الآية على عذاب القبر .

واذكر محاجة الرؤساء والأتباع ، و﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع ؛ كخادم وخدم ، أو ذوي تبع ، أو : وصفاً بالمصدر ، وقرئ : "كلا" <sup>(٣)</sup> على التأكيد لاسم "إن" فإن قلت : أيجوز ؟

(١) سورة الرعد ، الآية (١٤) .

(٢) بياض بالأصل والمثبت مما فهمناه من السياق وفي الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧٠) نحو ذلك .

(٣)قرأ بها عيسى بن عمر وابن السميق . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٧/ ٤٦٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢١) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/ ٤٦) ، فتح القدير للشوکانی (٤/ ٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧١) .

قلتُ : لا ؛ لأنّ البار والمجرور لا يعمل في الحال متقدماً<sup>(١)</sup> تقول : كل يوم لك ثوب ، ولا تقول : قائماً في الدار زيد . **﴿فَقَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِكَادَيْنَ﴾** بمحصول الجزاء ؛ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . قوله : **﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾** ولم يقل : لخزنتها ؛ لأن اسمها فيه تهويل لا يحصل في الضمائر ، ويحتمل أن يكون **﴿جَهَنَّمَ﴾** اسمًا لمكان مخصوص ، يقال : بئر جهنم ، أي : بعيدة القعر ، وقولهم في النابغة : إنه جهنام<sup>(٢)</sup> ؛ أي : بعيد الغور في الشعر<sup>(٣)</sup> . وفيها أعني العصاة وأطغائهم ، ولعل العصاة اعتقادوا أن الخزنة أقرب إلى إجابة الدعوة ؛ وهذا تعمدوهم بالسؤال ، وامتنع الخزنة من الدعاء ، وعللوه بأن الرسل كانت تأتكم ومعهم المعجزات فكذبتموهم ، ونحن لا نشفع إلا من ارضيه الله .

**﴿قَالُواٰ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيْكُمْ رُسُلُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتٌِ قَالُواٰ فَكَادُّعُواٰ وَمَا دُعَّكُمْ أَلَّا كَفَرُوكُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٥٤ إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُونَ ٥٥ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٦ وَلَقَدْ أَنَّاهُمْ مُؤْسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ٥٧ هُدَىٰ وَذِكْرٌ لِأُولَئِكَ ٥٨ فَاصْرِرْ إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِيْكَ وَسَبِّحْ بِمَحْمَدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ٥٩﴾**

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف . ورد عليه أبو حيان فقال : " وهذا الذي منعه أحجازه الأخفش إذا توسرت الحال نحو : زيد قائماً في الدار ، وزيد قائماً عندك ، والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقاً في الآية ؛ لأن الآية تقدم فيها المسند إليه الحكم وهو اسم " إن " وتتوسرت الحال إذا قلنا إنها حال وتأخر العامل فيها . وأما تمثيله بقوله : ولا تقول : " قائماً في الدار زيد " فتأخر فيه المسند والممسند إليه . واختار ابن حيان أن " كلا " على هذه القراءة بدل من اسم " إن " . وقال السمين الحلبي : وفيه نظر . واختار ابن مالك نصب " كلا " على الحال من الضمير المرفوع في " فيها " و " فيها " هو العامل ، وتبعد الأخفش في ذلك . ينظر تفصيل ذلك في : البحر العجيب لأبي حيان (٤٤٩/٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٤٦) ، شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/٣٣٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٧١) ، همع الموات للسيوطى (١٣٨/٣) .

(٢) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٢١/٢) : " جهنم : اسم لنار الآخرة عافانا الله منها ومن كل بلاء . قال يونس : وأكثر النحوين هي عجمية لا تتصير للعجمة والتعریف . وقال آخرؤن : هي عربية لم تصرف للتأنيث والعلمية ، وسميت بذلك لبعد قعرها ؛ قال رؤبة : يقال بئر جهنام أي بعيدة القعر . وقيل : هي مشقة من الجھومه وهي الغلط يقال : جھم الوجه ، أي : غليظة فسميت جھنم لغلظ أمرها والله أعلم " .

(٣) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/١٧١) .

إِنَّ الَّذِينَ يُجْنِدُونَ فِي أَيْكَتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَنٍ أَتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبُرَ مَا هُمْ بِسَلْفِيهِ فَأَسْتَعْذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْثَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَذِكْرِ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

قوله : «فَالْأُولُو فَكَادُوا» ليس دلالة على مصلحة ؛ لأنهم علموا أن الشفاعة مردودة ، ولا تفيد شيئاً ، وإنما الحزنة أيأسهم بقوتهم : «فَكَادُوا» .

«هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» بالحجارة والبرهان ، وقد كتب الله أن حزب المؤمنين هم المنصوروون ، وإن انتصر الكفار في (١٠/٢٣٨) وقت ؛ فأعداؤهم قضي عليهم بالهلاك والدمار ، وأما في الآخرة فظاهر ، و " يوم " الثاني بدل من الأول . «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ» يتحمل أنهم يعتذرون فلا يقبل منهم ، أو : لا يمكنون من الاعتذار ؛ لقوله : «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنَذِرُونَ» (١) «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» أي : سوء دار الآخرة . «أَئِنَّا مُوسَى الْهُدَى» جميع ما آتاه الله من التوراة والعلم والشريعة والمعجزات الخارقة للعادات .

«وَأَرْتَشَابَقِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» يعني التوراة ، «هُدَى وَذَكْرَى» إرشاداً وموعظة ، وانتسابهما على المفعول له ، أو على الحال ، و «لَا ذُلْكَ الْأَتْبَى» المؤمنون العاملون به . «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» فاصبر على أذى المشركين ، ودم على ما أنت عليه من الصبر؛ فإن العاقبة للمتقين . «بِالْعَيْقَوْنَ وَالْأَبَكَرِ» قيل : مما صلاتا العصر والفجر «إِنِّي فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبُرُ» أي : تكبر أو إرادة دفع الآيات بالجدال . «مَآهُمْ بِسَلْفِيهِ» أي : ما هم ببالغى موجب الكبر . وقيل : المجادلون هم اليهود ؛ كانوا يقولون : يخرج صاحبنا المسيح الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر ؛ فسمى الله تعالىهم ذلك كبراً . «إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ» يسمع ما يقولون ، ويبصر ما يفعلون فهو يجازيهم على ذلك . وأما كيفية اتصال «لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْثَرُ مِنْهُ» بما قبله ؛ فلأن جدالهم كان في إنكار البعث ؛ فأورد عليهم سبحانه قدرته على خلق السماوات والأرض ؛ كما قال : «إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقَأَمِ الْتَّمَاءُ بِنَهَا» (٢) «لَا يَعْلَمُونَ» لا ينظرون ولا يتأملون لغبة الغفلة عليهم .

«وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ أَمْنَأُوا وَعَمِلُوا الْمَلِحَنَتِ وَلَا الْمُسِوَّمُ مُّقْلِلًا مَا

(١) سورة المرسلات ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة النازعات ، الآية (٢٧) .

تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَنِيَّةٌ لَّا رَبَّ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُوكُمْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْرِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ ﴿٦٠﴾

ضرب الأعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بالساعة .

﴿أَدْعُوكُمْ﴾ اعبدوني ، والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ، ولذلك قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْرِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ولم يقل : عن دعائي . والاستجابة : الإجابة . وقيل : معناه : اعبدوني أثبكم . وعن الحسن : أنه سئل عن هذه الآية ؟ فقال : اعملوا وأبشروا فإن حفنا على الله أن يستجيب للذين آمنوا<sup>(١)</sup> . وقيل للثوري : أندعوا الله ؟ فقال : إن ترك الذنوب هو الدعاء<sup>(٢)</sup> . وفي الحديث : " من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين "<sup>(٣)</sup> . وروي أن النبي ﷺ قال : " الدعاء هو العبادة " وتلا هذه الآية<sup>(٤)</sup> . ويحوز أن يراد ظاهر اللفظ ، وأن الدعاء نوع من العبادة (٢٣٨/ ب) وعن كعب " أعطى الله هذه الأمة ثلاثاً لم يعطهن إلا الأنبياء : قال للنبي : أنت شاهدي على خلقي ، وقال هذه الأمة : ﴿لَنَكُونُوا شَهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup> وكان يقول للنبي ﷺ : ما عليك من حرج ، وقال هذه الأمة : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَيْنَكُمْ مِّنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٦)</sup> وكان يقول للنبي ﷺ : ادعني أستجب لك . وقال هذه الأمة : ﴿أَدْعُوكُمْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢/ ١٦١) ، ونسبة السيوطي في الدر المشور (٣٠٢/ ٧) لسعيد بن منصور وابن المنذر عن الحسن .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٧٩/ ٢٤) عن سفيان رحمه الله .

(٣) رواه الترمذى رقم (٢٩٢٦) وقال : حسن غريب . وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة رقم (١٣٣٥) .

(٤) رواه أحمد فى المسند (٤/ ٢٦٧) ، وأبو داود رقم (١٤٧٩) ، والترمذى رقم (٢٩٦٩) ، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) ، والحاكم فى المستدرك (١/ ٤٧٩١) ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وصححة الألبانى فى صحيح الترمذى رقم (٢٣٧٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

(٦) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٧) الآية (٦٠) من سورة غافر ، والأثر ذكره الزمخشري فى الكشاف (٤/ ١٧٥) عن كعب ، ورواه الطبرى فى تفسيره (١٧/ ٢٣٠٨) عن مجاهد .

﴿دَاهِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَا كُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لِأَلَّا هُوَ فَانِي تُوفِّكُونَ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ يُوَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتِيَنَّ اللَّهَ بِمَحْدُودَنَ ﴿١٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ سَآءَ وَصَوْرَكُمْ فَأَحَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الظَّيْنَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَبَتَّبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ الْحَوْثُ لِأَلَّا هُوَ فَكَادَ عُوْهُ مُحْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيَّتُ أَنْ أَغْبُدَ الَّذِينَ تَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبِيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمِرْتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُو أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شَيْوَخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلَنَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ وَيُمِيزُ فَإِذَا فَضَّنَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي : يبصر فيه ، وحقيقة الإبصار لأهل النهار لا للنهار . فإن قلت : قد جعل في صفة الليل : ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ مفعولا من أجله ، وفي ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ على الحال ، وهلا جاء القرینان على حالة واحدة ؟

قلت : بما متفقان من حيث المعنى ، ولو أنه قال : والنهر لتبرعوا فيه فاتت الفصاحة المأخوذة من المجاز ، ولو قال : والليل سكتا لم يأت بالمقصود ، والليل يوصف بالسكون حقيقة ؛ يقال : ليل ساج . وقوله : ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ ولم يقل : لم تفضل ولا لمفضل ؛ لأن الغرض تفضيل فضل الله على فضل كل ذي فضل ، ولا يحصل ذلك المقصود إلا بالإضافة ، كرر ذكر الناس بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَا كُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ لأن ذكر الاسم الظاهر أبلغ من الكنية . ﴿ذَلِكُمْ﴾ الموصوف : بما سبق هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أخبار متواتلة ، ثم ذكر أن من جحد بآيات الله وجادل فيها فقد أفك كما أفكوا ، ثم ذكر حجة أخرى وهي جعل الأرض مستقرًا ، والسماء كالقبة المضروبة ؛ لأنها ثُرى على هذا الشكل . ﴿وَصَوْرَكُمْ فَأَحَسَنَ صُورَكُمْ﴾ لم يخلق حيوانا أحسن من الإنسان ؛ ﴿لَقَدْ خَلَقْتَ الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١) ﴿فَكَادَ عُوْهُ﴾ فاعبدوه ، و﴿الَّذِينَ﴾ الطاعة ،

(١) سورة التين ، الآية (٤) .

قاليلين : ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وعن الحسن : " من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين " <sup>(١)</sup> ﴿وَتَبَلَّغُوا أَشَدَّ كُثُمٍ﴾ متعلق بفعل محنوف ؛ أي يقىكم لتبلغوا ، وأما قوله : ﴿وَتَبَلَّغُوا أَجْلًا مُّسْمًّى﴾ فمعناه : فعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو قيام الساعة . ﴿فَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا﴾ فإن فعله يقع من غير تأخر عن وقه الذي قدر فيه ؛ لأن جميع المخلوقات مطيبة لأمره داخلة تحت حكمه . **﴿بِالْكِتَابِ﴾** بالقرآن **﴿وَمِمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ﴾** رسُلَّنَا <sup>(٢)</sup> من الكتب والصحف . قوله : (١/٢٣٩) **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾** شبيه بقولك : أريد أن أكرم زيداً أمس ، لكن الأحوال الآتية عند الله كالكافنة الآن ، ومن منه : **﴿وَقُفَّخَ فِي الصُّورِ فَصَاعِقٌ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿وَقُفَّخَ فِي الصُّورِ فَصَاعِقٌ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿أَنَّهُ أَمْرُ اللّٰهِ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةَ﴾** <sup>(٦)</sup> وأمثاله كثيرة .

**﴿أَنَّمَّا تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُجْهِدُلُونَ فِي إِيمَانِ اللّٰهِ أَنَّهُمْ صَرَّفُونَ ٦٦﴾** **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ**  
**وَمِمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ، رُسُلَّنَا ٦٧﴾ **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٦٧﴾** **﴿إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسِلُ يُسْبِحُونَ**  
**فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ في النَّارِ يَسْجُرُونَ ٦٨﴾** **﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشَرِّكُونَ ٦٩﴾** **﴿مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَالْأُولَٰئِكَ**  
**ضَلَّوْا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَذِعُوا مِنْ قَلْبٍ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضْلِلُ اللّٰهُ الْكُفَّارِ ٧٠﴾** **﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ**  
**تَفَرَّحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْمُعْقَلِ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمَرَّحُونَ ٧١﴾** **﴿أَذْهَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فِتْنَسٌ**  
**مَشَوِي الْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾****

و القراء " **إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسِلُ** " بالجر <sup>(٦)</sup> لأنك لو قلت : عنقه في الغل ، أو الغل في عنقه كان المعنى مفهوماً ؛ فلك أن تعبّر بأي العبارتين شئت ، ومنه قول الشاعر [ من الطويل ] :

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٤٢/٨١) ، ونسبة الزبلى في تحرير الأحاديث والأثار (٣/٢٢١) للحاكم  
ونقل عنه قوله : حديث صحيح على شرط الشيفين ولم يخرجاه .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٤) سورة النحل ، الآية (١) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٤٤) .

(٦) قرأ بها ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤٨٣) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٥٠) ، فتح القدير

للشوكانى (٣/٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٣٠) .

مشائيم ليسوا مصلحين عشرة ولا ناعب إلا بسبعين غرائبها<sup>(١)</sup>

كأنه قيل: ليسوا بصلحين. **﴿يُسْجِرُونَ﴾** يوقدون؛ تقول: سجرت التنور: إذا أوقدته، وقال تعالى: **﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ﴾**<sup>(٢)</sup>. **﴿صَلُّوا عَنَّا﴾** يعني الآلة فلا نراهم.

فإن قيل: قالوا في قوله: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾**<sup>(٣)</sup>: إن العابدين والمعبودين في النار، فكيف قالوا: **﴿صَلُّوا عَنَّا﴾**? قلنا: يجوز أن يضلوا عنهم وقت التبكير، ويجوز أن يكونوا معهم في كل وقت لكن لم ينفعوهم بالشفاعة لأن وجودهم كالعدم؛ ويدل عليه قوله: **﴿بَلْ لَمْ تَكُنْ نَذَّارِوْمِنْ قَبْلَ شَيْئًا﴾** أي: ما كنا نعبد شيئاً يعتد به. **﴿كَذَلِكَ يُصْبِلُ اللَّهُ الْكَفَرِيْنَ﴾** أي: مثل ضلال آهتهم عنهم نضلهم عن الآلة. **﴿عَيْرِ الْحَقِّ﴾** وهو الشرك وعبادة الأوثان. **﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾** السبعة المقسمة لكم **﴿فَيُنَسِّكُ مَثَوَى الْمُتَكَبِّرِيْنَ﴾** مثواكم وهو جهنم.

**﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكِإِمَامُ رَبِّيْنَكَ بَعْضَ الَّذِي يَعْدُهُمْ أَوْ تَوْقِيْتَكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**<sup>(٤)</sup>  
**﴿وَلَقَدْ أَرَسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصَنَا عَلَيْنَا وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْنَا وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيْكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَّ بِالْحُقُّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ**<sup>(٥)</sup>  
**﴿الَّهُ أَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**<sup>(٦)</sup> **﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَلَتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَيْنَاهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمِلُونَ**<sup>(٧)</sup> **﴿وَرِبِّكُمْ أَيَّتِهِ فَأَيَّ أَيَّتِ اللَّهُ شُكُرُونَ**<sup>(٨)</sup> **﴿أَفَلَمْ يَسِرُّوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقِيْهُ الَّذِينَ**

(١) البيت للأحوصي الرياحي. ينظر في: الإنصال لابن الأنباري (١ / ١٨٠)، الحيوان للجاحظ (٤٣١ / ٣)، خزانة الأدب (٤ / ١٥٨)، (١٦٠)، شرح المفصل (٢ / ٥٢)، لسان العرب (شام) وينسب للفرزدق في الكتاب (٣ / ٢٩)، ويلا نسبة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٥٥)، الأشباه والنظائر للسيوطني (٢ / ٣٤٧)، الخزانة (٨ / ٢٩٥)، الخصائص لابن جني (٢ / ٣٥٤)، شرح الأشموني (٢ / ٤٣٥) والشاهد فيه: جر "ناعب" بمحار مخدوف. وهو معطوف على "مصلحين" وهو منصور؛ لكنه خبر (ليس)؛ وذلك لتوهم زيادة الباء في هذا الخبر؛ لكنه زياتها فيه. وهذا ما يعرف في غير القرآن بالعلف على المعنى أو "على التوهم". ومشائيم: جمع مشائم، وهو الإنسان الذي يجر الشؤم على قومه. وناعب: صالح، ومصوّت. والغراب: الطائر المعروف، يضرب به المثل في الشؤم. ويروى: ولا ناعباً.

(٢) سورة الهمزة ، الآية (٦).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨).

٨١) **مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ فُوَّةً وَمَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**  
**فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِجُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ** ٨٢)

﴿فَكِإِمَّا تُرِيَّنَكَ﴾ وَمَا مزيدة لتأكيد الشرط . قوله : ﴿أَوْ تَنْوِيَّنَكَ﴾ إما أن يكون معطوفاً على الشرط ، فيبقى قوله : ﴿فَكِإِمَّا تُرِيَّنَكَ﴾ جزاؤه : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ وقوله : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ لا يدل على هذا الشرط ، وإن جعل الجزاء عن قوله : ﴿فَكِإِمَّا تُرِيَّنَكَ﴾ وحده بقى المعطوف عليه بلا جزاء ، فقول : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ متعلق بـ " نتوفينك " وجزاء " نتوفينك " مذوق تقديره : ﴿فَكِإِمَّا تُرِيَّنَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُهُمْ﴾ من العذاب . وهو القتل يوم بدر فذاك ، أو ﴿تَنْوِيَّنَكَ﴾ قبل بدر ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيمة فنتقم منهم أشد الانتقام . ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ (٢٣٩/ب) قبل بعث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف منبني إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس . وعن علي : " بعث الله نبياً أسود فهو من لم يقص علينا خبره " (١). وهذا تسلية لرسول الله ﷺ فإن الله بعث من قبله رسلاً كثيرين فكذبواهم ؛ فدمر الله على المكذبين . ﴿وَمَا كَانَ رَسُولٌ أَنْ يَأْكِلْ بَيْانَهُ﴾ مقتربة ﴿إِلَيْأَذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات . ﴿الْمُبْطَلُونَ﴾ المعاندون الذين كذبوا بالأيات وسموها سحرًا . ﴿الْأَنْقَمُ﴾ الإبل خاصة . فإن قيل : هلا قال : لتركوا عليها ؟ قلنا : لأن في الركوب عليها يحصل أجر إذا سافر للغزو أو للحج أو لزيارة رجل صالح ، وأما الأكل فإنه من باب المباح لا يرجى فيه ثواب ، والمعنى بـ " من " وبـ " على " صحيح ؛ فلذلك جازت العبارة بأيهما شئت . ﴿فَأَيَّ إِيمَتْتَ اللَّهَ﴾ جاءت على اللغة المشهورة ، تقول : بأية أرض نزلت ، وبأي أرض نزلت ، وقد جاء بأية آية ، ﴿وَبِأَيِّ أَرْضٍ﴾ (٢) ﴿وَمَاثَارًا﴾ قصورهم ومصانعهم . وقيل : كانت الأرض تتأثر بوطئهم بأرجلهم لعظم أجسامهم وثقلها .

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ ما نافية أو استفهامية و محلها النصب ، و " ما " الثانية موصولة ، أو مصدرية ، و محلها الرفع ، التقدير : أي شيء أغنى عنهم كسبهم أو مكسوبهم .

(١) رواه مسلم رقم (٦٢) ، وأحمد في المسند (٤١٣/٣) ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٢) .

(٢) سورة لقمان ، الآية (٣٤) .

﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ قيل هو استهزاء ، ولا علم عندهم ، وعلمهم الذي تلاشى: زعمهم أن لا بعث وأن الأصنام تشفع لهم . وقيل: المراد علم الفلسفة ، بعلم جدهم يونان . وعن سocrates: أنه سمع بموسى عليه السلام فقيل له : هاجر بنا إليه ، فقال : نحن قوم مهذبون لا حاجة بنا إلى من يهذبنا<sup>(١)</sup> . وقيل : فرحاً بما عند الرسل من العلم فرح استهزاء ، وتنقبض لما علمه الرسل من العلم ، ويدل عليه قوله : ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ﴾ وقيل : فرح الأنبياء : ما عندهم من العلم بهلاك المكذبين وحراق بالكافرين جزاء جهلهم .

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَاسْنَا قَالُوا إِنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كَانَ بِهِ مُشَرِّكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسْنَا سُنْنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَقَ فِي عِبَادَةِ وَخَسَرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

و﴿الْأَلْيَاء﴾ العذاب الشديد ؟ ومنه ﴿وَيُعَذَّبُ بَعْضُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> . فإن قيل : لو قيل : فلم ينفعهم إيمانهم . هل كان يقوم مقام قوله : ﴿فَلَمَّا يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ ؟

قلنا : هو مثل ﴿كَانَ﴾ في قوله : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ أَنْ يَنْجِذِبَ مِنْ وَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup> . والتقدير: فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم . فإن قلت : كيف ترادفت هذه الفاءات ؟

قلت : أما قوله : ﴿فَمَا أَغْنَ﴾ فهو نتيجة قوله : ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ وأما قوله : (١) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ فجار مجرى البيان لقوله : ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ كقولك : رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء . وقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَاسْنَا﴾ تابع لقوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كأنه قال : كفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا . ﴿سُنْنَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكدة ؛ ك﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup> و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> و﴿فَطَرَتِ اللَّهُ﴾<sup>(٦)</sup> و﴿هُنَالِكَ﴾ اسم مكان مستعار للزمان ؛ أي : خسروا في ذلك الزمان ، وهو وقت قيام الساعة ، وكذلك قوله : ﴿وَخَسَرَ هُنَالِكَ﴾ بعد قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَهُ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ أي : خسروا وقت مجيء أمر الله ، أو : وقت القضاء بالحق .

(١) ذكره الرخشري في الكشاف (١٨٢/٤).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٦٥) .

(٣) سورة مريم ، الآية (٣٥) .

(٤) سورة الروم ، الآية (٦) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .

(٦) سورة الروم ، الآية (٣٠) .

## تفسير سورة حم السجدة (فصلت) [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿ حَمٌ ﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ١﴾ كَيْنَتْ فُصْلَتْ إِيَّنَتْهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ  
 ﴿ ٢﴾ بِشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ ٣﴾ وَقَالُوا قُوْسًا فِي أَكْيَنَتْهِ مَمَّا نَدَعُنَا إِلَيْهِ  
 وَفِي ءاَذَانَنَا وَقَرْ وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ جِهَابٌ فَأَعْمَلَ إِنْتَاعَمُونَ ﴿ ٤﴾**

إن جعلت **﴿ حَمٌ ﴾** اسم للسورة كانت مبتدأ ، و **﴿ تَنْزِيلٌ ﴾** خبره ، وإن جعلتها تعديدا للحرروف كان " تنزيل " خبراً لمبتدأ ممحوف . **﴿ كَيْنَتْ ﴾** بدل من " تنزيل " أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ ممحوف ، وجوز الزجاج<sup>(١)</sup> أن يكون **﴿ تَنْزِيلٌ ﴾** مبتدأ و **﴿ كَيْنَتْ ﴾** خبره ووجهه أن " تزيلاً " تخصص بالصفة فجاز الابداء به ؛ كقوله **﴿ وَلَعَبْدُ مُؤْمِنٌ حَيْرَمَنْ مُشْرِكٌ ﴾**<sup>(٢)</sup> **﴿ فُصْلَتْ إِيَّنَتْهُ ﴾** ميزت وجعلت فصولا وأنواعاً مختلفة من وعد ووعيد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وغير ذلك . **﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾** نصب على الاختصاص والمدح ، أي : أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفتة كيت وكيت . وقيل : هو نصب على الحال ، أي : فصلت في حال كونه عربيا . **﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾** عربيا نزل بلغتهم ، وتعلق قوله : **﴿ يَعْلَمُونَ ﴾** إما بـ " فصلت " أو بـ " تنزل " والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده . وقرئ **" بشير ونذير " بالرفع**<sup>(٣)</sup> صفة للكتاب أو خبر مبتدأ ممحوف .

**﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾** أي : لا يفهمون . تقول : شفعت عند فلان فلم يسمع قوله وقد سمعه لكنه لم يقبله . **﴿ أَكْيَنَتْهِ ﴾** جمع كنان وهو الغطاء ، والوقر : بالفتح الثقل في الأذن ، والوقر بكسر الواو : الحمل<sup>(٤)</sup> **﴿ فَالْخَيْلَاتِ وَقَرَا ﴾**<sup>(٥)</sup> وبعده تمثيلات لثبو قلوبهم عن فهمه

(١) ينظر : معاني القرآن واعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٩).

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢١).

(٣) قرأ بها زيد بن علي . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٤) ، الدر المصنون للسمين الحلبي

(٤) ٥٦/٦ ، الكشاف للزخشيри (٤/ ١٨٥) .

(٥) قرأ طلحة بن مصرف " وَقَرَا " بالكسر وقراءة العامة " وَقَرَا " بالفتح . الدر المصنون للسمين الحلبي

(٦) ٥٦/٦ ، الكشاف للزخشيри (٤/ ١٨٥) .

(٧) سورة الذاريات ، الآية (٢) .

وتدبّره كأن بينهم وبين رسول الله ﷺ حجاباً منيعاً أو حاجزاً من جبل أو نحوه . ﴿ فَاعْمَلْ إِنَّا عَمَلْنَا أُمْرَكَ ﴾ أمر تهديد وليس إذنا في العمل ، أو: فاعمل على إبطال أمرنا ؛ إننا عاملون على إبطال أمرك . و " من " في قوله : ﴿ وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾ فيهافائدة وهي أن الحجاب قد سد ما بينهما ، ولو فقدت ( ٤٠/ ب ) من " لكان الحجاب قد ابتدأ من أول البينونة ، ولا يلزم استيعابه لما بينهما .

فإن قلت : هلا قيل : على قلوبنا أكنة ؛ كما قيل : وفي آذاننا وقر فيكونان على نفط واحد ؟

قلت : المعنى واحد ، وإن اختلف اللفظ ؛ لقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً ﴾ واللحظة إنما تراعي في المعاني دون الألفاظ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ⑥ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَزْكَوْهُ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ⑦ إِنَّ الَّذِينَ إِيمَانًا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْتُنُونَ ⑧ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِاللَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَئِنْ وَجَعَلَ عَلَيْهَا أَنَدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ⑨ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَسِيَّ مِنْ فَوْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَفْوَاهَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ ⑩ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهُنَّ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَنَّنَا أَنْتَنَا طَائِعُينَ ⑪ ﴾

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ﴾ جواب لقولهم : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكْنَةٍ ﴾ من حيث إنه قال : لست ملكاً ؛ إنما أنا بشر .

﴿ فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ أي : أجيروا إلى الطاعة واسلكوا سبيلاً سوياً ليس فيه ميل عن الحق ، وتوبوا إليه مما سبق منكم من الشرك ، وقرئ " قل إنما أنا بشرًا " (١) . وإنما خص من الزكاة بالتهديد وقرنه بالكفر بالآخرة ؛ لأن المال شقيق الروح ؛ فإن بذلك في طاعة الله فقد جاهد نفسه جهاداً كبيراً ، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بعرض يسير من الدنيا ، وأصحاب مسلمة الكذاب تظاهروا بمنع الزكاة فكفروا وقاتلهم المسلمون . ﴿ غَيْرُ مَمْتُنُونَ ﴾

(١) قرأ بها الأعمش والمطوعي ويحيى بن وثاب . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٨٤/٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥٦/٦) ، الكشاف للزمخشري (٤٤٣/٣) .

غير مقطوع . وقيل : غير منون به . **﴿ذلِكَ﴾** الذي قدر على خلق الأرض وما فيها في يومين هو **﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** .

**﴿وَرَسِيَ﴾** جبالا ثابتة ، ولو كانت الجبال تحتها كالعمد أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت الأرض الميد والحركة ، وإنما اختار جعلها فوق الأرض ؛ لتكون المنافع التي في الجبال حاضرة لمن يطلبها ، والجبال أثقال على أفقاً وكلها ممسوكة بقدرة الله .

**﴿وَرَزَكَ فِيهَا﴾** وأكثر خيرها وأنهاء **﴿وَقَدَرَ فِيهَا أَفْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾** كواحد لا نقص فيهن . قيل : خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين ، وخلق ما فيها في يوم الثلاثاء والأربعاء ، وقال الزجاج : في تتمة أربعة أيام <sup>(١)</sup> . قوله **﴿لِلْسَّابِلَيْنَ﴾** جواب لسائل قال : ما المدة التي خلقت فيها السماوات والأرض ؟ وقوله : **﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾** يفيد فائدة وهي أن أكثر الأربعة قد يطلق عليه الأربعة ، فإذا قال : **﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾** . امتنع النقص والزيادة فيها . **﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾** ثم قصد إلى خلقها من غير أن يخلق فيما بينها وبين الأرض شيئا آخر ونحوه قوله : **﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾** أي : اقصدوا عبادته من غير اعوجاج ، ومعنى أمر السماوات والأرض بالإيمان تكونهما على ما أراد ، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآخر المطاع ، والغرض سرعة امثال ما أراد من غير تأخير ولا اعتذار ؛ فقال لهما : **﴿أَتَيْتَا طَوْعًا﴾** وإلا أتيت بكما كرها .

**﴿فَأَلَّا أَنْتَنَا طَاغِيْنَ﴾** وليس هناك خطاب ولا قول ؛ قال في المثل : قال الجدار للوتد : لم تشقيني ؟ قال : سل من يدقني <sup>(٢)</sup> (٢٤١) ويتحمل : وافقاً أمري ومشيتي ، ولا غمتنعا قوله : **﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾** انتصابهما على الحال ؛ طائعين أو مكرهتين ، وإنما قال :

**﴿طَاغِيْنَ﴾** ولم يقل : طائعات أو طائعين ؛ لأنه أخبر عنهما بالطوع وهو صفة من يعقل **﴿فَقَضَيْنَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَاهُنَّ السَّمَاءَ الْأَنْتِيَّا بِمَصَبِّيحٍ وَحَفَظَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿فَإِنَّ أَعْرَصُوهُ فَقُلْ أَنْذِرْنِيْكُمْ صَوْفَةً مِثْلَ صَوْفَةَ عَادٍ وَئَمُودَ﴾** <sup>(٤)</sup> **إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا تَعْبُدُوْا إِلَّا اللَّهُ فَأَلْوَأَ شَاءَ رِبُّنَا لَأَنَّ مَلَيْكَةَ** <sup>(٥)</sup> **فَإِنَّا يَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ كَفِرُوْنَ﴾** <sup>(٦)</sup>

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٨٣).

(٢) ينظر في : الكشاف للمخشري (٤/١٨٩).

﴿فَقَضَيْنَاهُ﴾ يجوز أن يكون ضميراً مبهاً يفسره ما بعده . ﴿أَمْرَهَا﴾ ما فيها من مخلوقات الكواكب والملائكة . **﴿وَحَفِظَا﴾** أي : وحفظناها أن تقع على الأرض أو حفظناها من استراق **﴿وَحَفِظَاهُنَّ كُلَّ شَيْطَنٍ مَارِدٍ﴾**<sup>(١)</sup> .

ويجوز أن يكون مفعولاً له ؛ أي : للحفظ .

﴿فَإِنَّ أَعْرَضُوا﴾ بعد ما سمعوا من الحجج على وحدانيته فhzدرهم أن تصيبهم صاعقة ؛ أي : عذاب شديد الواقع كأنه صاعقة . **﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾** أتوهم من كل جانب وأعملوا في أمرهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض ؛ كما حكى عن الشيطان : **﴿لَا يَتَبَيَّنُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾**<sup>(٢)</sup> وقيل : أنذروهم بهلاك من هلك من الأمم وبين القيامة . " أَن " في قوله : **﴿أَلَا تَعْبُدُوا﴾** خففة من الثقلة أو يعني (أي) ومفعول **﴿شَاء﴾** مذوف ، أي : لو شاء ربنا إنزال ملائكة لفعل .

وقوله : **﴿يَمَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ﴾** ليس إقراراً بالرسالة ، وإنما هو على زعمكم ؛ كقول فرعون : **﴿لَوْلَمْ رَسُولُكُمُ الَّذِي أَرْسَلْتَ إِلَيْكُمْ لَجَزَّنِ﴾**<sup>(٣)</sup> .

روي أن أبا جهل قال : التبس علينا أمر محمد ، فلو وجدنا من يكشف عن أمره ؟ فانطلق إليه عتبة بن ربيعة فقال للنبي ﷺ : أنت تسفة أحلامنا وتساب آهتنا ، فإن كان بك الفقر جمعنا لك مالا تستغني به ، وإن كان بك الباء زوجناك عشر نسوة من خيار قريش . فقال النبي ﷺ : **﴿إِنَّمَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ حَمَّ تَبَرِّيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** حتى انتهى إلى قوله : **﴿صَيْقَةٌ مِثْلَ صَيْقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ﴾** فوضع عتبة يده على فم النبي ﷺ ثم ناشد الله والرحيم لا يفعل ، ثم رجع عتبة إلى منزله ولم يأتهم ؛ فظنوا أنه قد صبا وأسلم ؛ فجاءوا إليه وعنفوه ؛ فحلف بالله لا يكلم محمدًا أبداً ، وقال : لقد علمتم صدق محمد ، فلما هددنا بصاعقة عاد وثمود خفت أن ينزل بكم العذاب <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة الصافات ، الآية (٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٢٧) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/٢٧٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ونبه السيوطي في الدر المثور (٧/٣١٠) للبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رض .

﴿فَإِنَّمَا عَادٌ فَأَسْتَكَبُرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا يَنْعِنُونَ﴾ <sup>(١٥)</sup> ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرِصَارًا فِي أَيَّامٍ مِنْ حَسَابِنَا لِتُذَيِّقُهُمْ عَذَابَ الْخِزْنِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ <sup>(١٦)</sup> ﴿وَأَمَّا ثَمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهَدَىٰ فَأَخْذَتْهُمْ صَنْعَةُ الْعَذَابِ الْمُؤْنَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ <sup>(١٧)</sup> ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ إِذَا مَنَّا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ <sup>(١٨)</sup>

﴿فَأَسْتَكَبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تعظموها فيها واستكروا بما لا يوجب الكبر من كبر الأجساد وكثرة الأولاد فأهلكهم الله .

﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانت عاد ذوي قوة ، كان الرجل منهم يقتلع الصخرة العظيمة فيأتي بها إلى منزله ، ومعنى كونه تعالى قوياً أنه يفعل ما يعجز أرباب القوى عنه . (٢٤١/ ب) والقوة في الأدميين صحة البنية والتمكن من المقدورات . ﴿يَحْمَدُونَ﴾ كانوا يعرفونها وينكرونها كانوا فجرة فسقة . الصرصار : الريح التي تصوت في هبوبها .

وقيل : الباردة التي تحرق بشدة بردها تكريرا للنصر وهو البرد . الأصل في ﴿الحسَّاتِ﴾ نحسات : بكسر الحاء فخفف سكونها أو وصف بالمصدر كرجل عدل وفطر وصوم .

وقرئ "لتنديقهم" <sup>(١)</sup> الريح أو العذاب أو الأيام النحسات . و﴿عَذَابَ الْخِزْنِيِّ﴾ إضافة الشيء إلى صفتة ؛ كأنه قال : العذاب المخزي ، كما تقول : فعل السوء ، أي : الفعل السيء . قوله : ﴿وَلِعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ﴾ إسناد مجازي ، ووصف العذاب بالمخزي أبلغ من وصفهم به ؛ كما تقول : فلان له شعر ، وله شعر شاعر .

﴿فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهَدَىٰ﴾ فاختاروا الضلال . فإن قيل : معنى هديته أي : حصلت له الهدى ، فكيف يجتمع ذلك مع قوله : ﴿فَأَسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهَدَىٰ﴾ ؟ قلت : نزل السبب منزلة المسبب ؛ فجعل الإيضاح والبيان بمنزلة الرشاد نفسه . ﴿صَنْعَةُ الْعَذَابِ﴾ داهية العذاب ، و﴿الْمُؤْنَىٰ﴾ الهوان ، وهو إما وصف بالمصدر أو بدل منه .

(١) تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٤٩١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٤٩) .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوَزَّعُونَ ﴾١٦﴾ حَقٌّ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجْلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١٧﴾ وَقَالُوا لِجَلُودِهِمْ لِمَ شَهَدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾١٨﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشَهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جَلُودُكُمْ وَلَكُنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مَا تَعْمَلُونَ ﴾١٩﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُوكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَنَكُمْ فَاصْبِرُهُمْ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾٢٠﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوْا فَإِنَّ اللَّارِ مَوْيَهُ لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوْا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَيِّنِ ﴾٢١﴾ وَفَيَضَّنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَحَقٌّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَكَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْحِينِ وَإِلَيْنِسٌ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴾٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْفِيَهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴾٢٣﴾ فَلَنُذَيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَى الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٢٤﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخَلِيلُ جَزَاءٌ إِمَّا كَانُوا بِإِيمَانِنَا بَعْدَ مَاهُونَ ﴾٢٥﴾

﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ الكفار من الأولين والآخرين . «يُوَزَّعُونَ» يحبس أولهم ليلحق آخرهم به . و " ما " في قوله : «حَقٌّ إِذَا مَا جَاءَهَا» زائدة ، أي : تكون الشهادة عليهم وقت مجئهم النار ، شهادة الأيدي شهادة باللامسة المحرمة وكل معصية تتعلق باليد من نقل محرم أو وضع اليد على ما لا يسوغ شرعاً . وقيل : أراد بالجلود الفروج . وقيل : الجلود : الأعضاء كلها . «كُلُّ شَيْءٍ» عام مخصوص ، تخصص بالحيوان ، وبما تصح منه الحياة والمعنى أن نطقنا ليس بعجب ؛ كما أن نطق سائر المخلوقات كذلك .

«ظَلَّكُمْ» و «أَرَدَنَكُمْ» خبران لـ «وَذَلِكُمْ» . «فَإِنْ يَصْبِرُوْا» لم يستفهم الصبر «وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوْا» وإن يطلبوا العتبى وهو العود إلى ما كانوا عليه من الخير فما يجابون إلى ذلك «وَفَيَضَّنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ» أي : سهلنا لهم قرناء ؛ كقوله : «بَيْلَتَ بَيْنِ وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشَرِّقِينَ فَيَنْسَ الْقَرِّيْنَ» (١) «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ» من أمر العاقبة . و «الْقَوْلُ» كلمة العذاب . «فِي أَمْرٍ» في جملة قوم آخرين ، وقوله : «فِي أَمْرٍ» حال من الضمير في «عَلَيْهِمُ» أي : حق عليهم القول كائنين في جملة أمر .

(١) سورة الزخرف ، الآية (٣٨) .

﴿وَالْعَوْفِيَه﴾ اللغو : الساقط من الكلام ، أي : لا تسمعوا له عند قراءته ، وتشاغلوا عنه برفع الأصوات بالخرافات (١) حتى تخلطوا على القارئ قراءته فلا يتمكن من تفهمها ، وكان يوصي بعضهم ببعض بذلك . «فَلَنُذَيِّقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني : الذين تواصوا باللغو في القراءة ، ويجوز أن يريد جميع الكفار . وقيل : «عَدَابًا شَدِيدًا» يوم بدر «أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» في الآخرة . «ذَلِكَ» إشارة إلى الأسوأ ، ويجب أن يكون التقدير: أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون ، حتى تستقيم هذه الإشارة ، و«النَّارُ» عطف بيان للجزاء ، أو خبر مبتدأ محنوف . ومعنى قوله : «هُمْ فِيهَا دَارُ الْخَلِدِ» أن النار في نفسها دار الخلد ؛ كقوله : «لَفَدَ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً» (١) .

﴿إِنَّا لَنَا بِمَا حَمَدُونَ﴾ يلغون فيها .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا الَّذِينَ أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُنَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْمُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿الَّذِينَ أَضَلَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ لأن الشياطين إنساني وجني ؛ قال الله تعالى : «شَيْطَنٌ إِلَّا إِنَّهُ وَالْجِنْ﴾ (٢) وقيل : هما إبليس وقابيل ، فسن إبليس المعاشي ، وسن قابيل القتل بغير حق . وقرىء: "أَرْنَا" بسكون الراء (٣) ؛ كقوفهم في كتف وكبد وفخذ : كتف وكبد وفخذ .

" ثم " في قوله : «ثُمَّ أَسْتَقْمُوا» لتفاوت رتب الاستقامة ، ومثله : «إِنَّا مُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مَأْسَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا» (٤) والمعنى : ثم ثبتوا .

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١١٢) .

(٣)قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة ويعقوب والسوسي "أَرْنَا" وقرأ بقية العشرة "أَرِنَا" . تنظر في : الحجة لابن خالويه (ص: ٣١٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٣٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٦٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٤٥٢/٣) ، النشر لابن الجوزي (٢٢٢/٢) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٥) .

وعن أبي بكر الصديق عليه السلام : ثم استقاموا فعلاً كما استقاموا قولًا . وعنده: أنه سألهن عنها ، فقالوا: لم يذنبوا فقال: حلتكم الأمور على أشدّه ؟ فقالوا: فما تقول ؟ قال: لم يرجعوا إلى عبادة الأوّلئان <sup>(١)</sup> . وعن عمر قال: استقاموا على الطريقة ولم يروغوا روغان الشعالب <sup>(٢)</sup> . وعن عثمان: أخلصوا العمل <sup>(٣)</sup> . وعن علي: أدوا الفرائض <sup>(٤)</sup> .

وروي أن سائلاً قال: يا رسول الله ، مبني بعمل اعتصم به ؟ فقال: " قل آمنت بالله ثم استقم ، قال: فقلت: ما أخوف ما تخاف علىي ؟ قال: فأخذ رسول الله صلوات الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال: هذا <sup>(٥)</sup> . ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُوكَةُ﴾ عند الموت بالبشرى . وقيل: للبشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت ، وفي القبر ، وإذا قاموا من قبورهم . أن مخففة من الثقيلة ، أو يعني أي ، والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن: غم يلحق على أمر قد فات . وقيل: لا تخافوا على ما تقدموه عليه ، ولا تخزنوا على ما خلقتם . ﴿تُوعَدُونَ﴾ يتمون ، والتزل: رزق التزيل ، وهو الضيف ، وانتصابه على الحال .

﴿نَحْنُ أَوْلَيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ ﴿٢١﴾ تُرْلَا مَنْ عَفُورٌ رَّجِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَحَسَنَ فَوْلًا مَّمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا سَتُوْيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّنَةُ أَدْفَعَ بِالْأَنْتِي هِيَ أَحَسَنُ إِنَّا ذَلِكَ الَّذِي يَعْلَمُكُمْ وَيَعْلَمُمَا تَعْمَلُونَ لِهِ الْحِيمَةُ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكُمْ مِّنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٤/١١٥) ، ونبه السيوطي في الدر المثور (٣٢٢/٧) لابن راهويه وعبد بن حميد والحكيم الترمذى في نوادر الأصول وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردوه وأبو نعيم في الحلية عن أبي بكر الصديق عليه السلام .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٤/١١٥) ، ونبه السيوطي في الدر المثور (٣٢٢/٧) لابن المبارك وسعيد ابن منصور وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وابن المنذر عن عمر بن الخطاب عليه السلام .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/١٩٩) عن عثمان عليه السلام .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/١٩٩) عن علي عليه السلام بهذا اللفظ . ونبه السيوطي في الدر المثور (٣٢٢/٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ب نحو هذا .

(٥) السائل هو الصحابى : سفيان بن عبد الله التتفقى ، والحديث رواه مسلم فى صحيحه رقم (٥٥) ، والترمذى رقم (٢٣٣٤) ، وأحمد فى المسند رقم (١٤٨٦٩) ، وابن ماجه رقم (٣٩٦٢) .

إِيَّاهُ الْيَلْلَهُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا سَبَّجُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَأَسْجَدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾

﴿مَنْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ دعا الناس إلى دين الحق . وقيل : هم أصحاب رسول الله ﷺ . وقيل : هي عامة في كل من جمع هذه الأوصاف الثلاثة . ﴿وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٤٢ / ب) يعني : اعتقد ذلك .

يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما ؛ فإذا وجدت حستين إحداهما أعظم أثراً فاختر ما هو أعظم أثراً ، ومثاله: رجل أساء إليك فالحسن أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته ، وأحسن منه لا ترك وجهها من وجوه الإحسان إلا تفعله معه فإذا فعلت انقلب العدو المبين صديقا ، ثم قال : وما يلقى هذه الخصلة ﴿وَلَا الَّذِينَ صَرَرُوا﴾ على جهاد النفس وإلا رجل له حظ عظيم من الخير . وقيل : ﴿وَلَا﴾ مزيدة والمعنى : ولا تستوي الحسنة والسيئة . وقيل : ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عن الإساءة . وقيل : نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وكان عدوا للنبي ﷺ فصار صديقا موافيا<sup>(١)</sup> .

النزع والنسغ : هما متساويان بمعنى النحس ، والشيطان يبعث على المعصية كما تبعث الدابة بالنحس ، وجعل النزع نازغا ؛ كقوله : جَدِيدَهُ ، جعل الجدَّ جاداً ، والمعنى : إن صرفك الشيطان عن مقابلة السيئة بالحسنة فاستبعد بالله من شره . والضمير في ﴿خَلَقَهُمْ﴾ لليل والنهار والشمس والقمر وموضع السجدة عند الشافعي : ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لأن الكلام تم عندها . وقال قوم : موضع السجدة عند قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأنها الآية التي فيها السجود ، واحتج عليه الشافعي بآية النحل ، وهو قوله : ﴿وَيَقْلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ويقوله في النمل : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> السجود عند تمام الكلام في هذه الموضع<sup>(٤)</sup> . وكان قوم من الكفار يسجدون للشمس والقمر ويعتقدون

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٢٠٠) .

(٢) سورة النحل الآية (٥٠) .

(٣) الآية (٢٦) .

(٤) ينظر : الأم للشافعي (١ / ٢٤٢) ، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢ / ١٣٠) ، حاشية ابن عابدين (٢ / ١٠٤) ، مغني المحتاج للشريبي (١ / ٢١٥) .

إلهيتهما ، وكان قوم آخرون يزعمون أنهم موحدون لكن هذه الكواكب سبب في اشتراك الرزق ودفع الشدائد وواسطة بين الله وبين خلقه . فقيل لهم : اقطعوا هذه الوسائل **﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾** خالقها .

**﴿فَإِنَّ أَسْتَكَنْتُمْ بِرُورًا فَالَّذِينَ عَنْ دِرَبِكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ، بِالْيَشْ وَالْهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾** ٢٨  
**وَمَنْ ءَايَنَهُمْ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتَ وَرَبَّتَ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَعَنِي**  
**الْمَوْتَنَّ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** ٢٩ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَيْنَاهَا أَقْنَى يَلْقَنَ فِي الْأَنَارِ خَيْرٌ**  
**أَمْ مَنْ يَأْنَى ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شَتَّمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** ٣٠ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا**  
**جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَبٌ عَزِيزٌ ﴾** ٣١ **لَا يَأْنَى الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**  
**مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قِبْلَكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾** ٣٢

**﴿فَإِنَّ أَسْتَكَنْتُمْ بِرُورًا﴾** لم يعبأ الله بهم ؛ فإن عنده من الملائكة ما لا يمحى عددهم ، وكلهم يسبحون الله ؛ فهو غنيٌ عن تسبيح هؤلاء . استعير الخشوع للأرض اليابسة التي لم تطر ؛ كما وصفها بالربو والاهتزاز إذا أخصبت . يقال : أخذ الحافر ولحد : إذا مال في حفره ؛ فاستعير للاحراف في تأويل آيات القرآن .

واتصل قوله : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾** (٢٤٣) أ بقوله : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾** لأن كلهم تهديد ، وهو بدل منه ، و **﴿بِالذِّكْرِ﴾** القرآن . **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَبٌ عَزِيزٌ﴾** محمي بحماية الله **﴿إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَنَنَذِلُهُ لَخَفْظُونَ﴾** (١) **﴿لَا يَأْنَى الْبَطْلُ﴾** لا يتطرق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلا ، وهو مثل . فإن قلت : قد طعن فيه الطاعون وتأول فيه المتأولون ؟ قلت : لكن الله تعالى قيس طائفة من العلماء انتصروا للذب عنه ، وأجابوا عن أسئلتهم عليه ، حتى ظهر ضعفها وانزاح باطلها . ما نقول للكفار قومك من الطعن والأذى إلا مثل ما قيل للرسل من قبلك ، تسلية للنبي ﷺ عما كان يلقى من الكفار .

**﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾** لأنبيائه **﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾** لأعدائهم ، ويجوز أن يراد : ما ينزل عليك جبريل من الوحي إلا مثل ما كان ينزل على الأنبياء ، والمقال هو قوله : **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو**  
**مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾** فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته .

كان الكفار يعتنون ويقولون : هلا أنزل القرآن بلغة العجم ؟ فقيل : لو كان الأمر كما زعمتم لم تركوا الطعن ولقلتم : لو لا أنزل مفصلا ، أي : نزل بلسان العرب ليتفقهوا .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَأَنْجَحَى وَعَرَفَ قُلْ فَلْ هُوَ لِلَّذِينَ إِمَّا  
هُدُّىٰ وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي مَا ذَادُوهُمْ وَقُرْءَانُهُمْ عَمَّا أُولَئِكَ يُنَادِونَ مِنْ  
مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١﴾ وَلَقَدْ إِلَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ  
لَقْضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿٢﴾ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَهَا فَفِلَيْهَا وَمَا  
رَبِّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتِ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ  
مِنْ أَثْنَيْ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شَرَكَاهُ إِلَى قَالُوا إِذَا ذَكَرَ مَا إِمَّا مِنْ شَهِيدٍ  
وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلٍ وَطَنَوْا مَا لَهُمْ مِنْ حِجْصٍ ﴿٤﴾ لَا يَسْتَهِمُ الْأَنْسَنُونَ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ  
وَلَنَ مَسَهُ الشَّرُّ فَيَتُوْسُّ قَنُوتُهُ ﴿٥﴾ وَلَنَ اذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّةٍ مَسَتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي  
وَمَا أَطْنَ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنِ رُجِعَتْ إِلَى رَقِّ إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنَبْتَئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا  
عَمِلُوا وَلَنُذْيَقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ عَلِيِّظٍ ﴿٦﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَنَ أَغْرَضَ وَنَعَّاجَانِهِ وَإِذَا مَسَهُ  
الشَّرُّ فَنَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَعِيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوكُمْ بِهِ مِنْ أَصْلِ  
مِنْ هُوَ فِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٨﴾

﴿أَنْجَحَى وَعَرَفَ﴾ إنكار أن ينزل قرآن أجمي بلغة العرب ، أي : لأنكرروا وقالوا : أقرأن  
أجمي ورسول عربي ! والأجمي : الذي لا يفصح ، والمعنى : إن هؤلاء القوم لا  
يقطعون العنت . «فَأَخْتَلَفَ» فقال قوم : هو حق ، وقال آخرون : هو باطل ، والكلمة  
السابقة هي العدة بيموم القيامة . «فِلَنَفْسِهِ» أي : فلنفسه مهدد ؛ قال الله عز وجل : «وَمَنْ  
عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ بِمَهْدُونَ» <sup>(١)</sup> «وَمَنْ أَسَأَهَا فَعَيْنَاهَا» أي : فعليها جنى .  
«إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ» إذا سئل عنها قيل : «إِنَّمَا عَلِمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» .

الكِمُ بكسر الكاف : وعاء الطلعة «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْنَيْ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ» يشير بذلك إلى  
علمه بالجزئيات والكليات ؛ ك قوله : «وَمَا سَقْطَ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا» <sup>(٢)</sup> «وَطَنَوْا»  
وأيقنا . والمحicus : المهرب . والقنوط : الذي يظهر عليه أثر اليأس ، وهذه صفة الكافر ؟

(١) سورة الروم ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .

بدليل قوله : ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَّقْبَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿هَذَا لِي﴾ أي : حقي وصل إلى . وقيل : للكافر أمنيات يقول في الدنيا : ﴿وَكَيْنَ تُرْجَعُ إِلَى رَّقْبَةِ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ ويقول في الآخرة : ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تِرْبَابًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَدُودُكَعَاءَ عَرِيضٍ﴾ استعير العرض أيضاً للكبر ؛ كما في قوله : ﴿عَذَابٌ عَلَيْظِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقرئ "ناء" <sup>(٤)</sup> على القلب من نائ .

قوله : (٢٤٣/ ب) ﴿وَنَكَاهَانِيهِ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن يراد بالجانب ذاته ونفسه كما جاء : ﴿عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنَاحِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> . وفي المكاتبات بخدم الحضرة أو المجلس والمراد الذات . والوجه الثاني : أن يراد ازوراره وميله ؛ كما قالوا : ثنى عطفه وتولى بركته . وقوله : ﴿فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ قائم مقام قوله : منكم .

﴿سَرِيرَهُمْ إِنَّنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَقَّ يَبْيَنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحُقُّ أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾<sup>(٧)</sup>

﴿سَرِيرَهُمْ إِنَّنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ هو ما فتح الله وسيفتح على المسلمين وخلفائهم من الأقطار المتعددة والأقاليم المختلفة من بلاد الشرق والمغرب عموماً وفي بلاد العرب خصوصاً التي لم يتيسر أمثالها لأحد من الخلفاء قبلهم من استيلائهم على ملوك فارس والروم وغيرهم من الملوك .

قوله : ﴿رَبِّكَ﴾ فاعل ﴿أَوْلَمْ يَكْفِ﴾ . وهو يطلع على حقائق الأمور فإذا نظر بها على ما يريده . ﴿مُحِيطٌ﴾ أي : عالم بحمل الأشياء وتفصيلها ، وهو مجاز لهم في لقاء ربهم .

\* \* \*

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٢) سورة النبأ ، الآية (٤٠) .

(٣) سورة هود ، الآية (٥٨) .

(٤) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان " وناء " وقرأ الباقيون " ونائ " . تنظر القراءات في : الحجة لابن خالويه (ص : ٢٢٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٣٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٧٧) ، الكشاف للزمخشري (٤٥٧/٣) ، التشر لابن الجوزي (٤٣/٢ - ٤٤) .

(٥) سورة الزمر ، الآية (٥٦) .

## تفسير سورة حم عسق (الشوري) [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمٌ ﴾ عَسَقٌ ﴾ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَعْلَى الْعَظِيمِ ﴾٢﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَقْطَرُنَّ مِنْ قَوْمَهُنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَيِّرُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسَتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾٣﴾

﴿ حَمٌ عَسَقٌ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب «يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ» يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله فيما سبق في غيرها من السور ، وأوحاه من قبلك إلى رسليه ، على معنى أن الله عز وجل كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية ؛ لما فيها من التنبية البليغ واللطف العظيم بعباده من الأولين والآخرين . ولم يقل : أوحى إليك ، ولكن على لفظ المضارع ؛ ليدل على أن إيحاء مثل عادته . وقرئ "يُوحَى إِلَيْكَ" <sup>(١)</sup> على البناء للمفعول .

فإن قلت : مما رافق اسم الله عز وجل على هذه القراءة ؟ قلت : ما دل عليه "يُوحَى"   
 كأن قائلا قال : من الموحي ؟ قال : ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ؛ القراءة السلمي : " وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أُولَادَهُمْ شَرَكَةً أُوْهُمْ " <sup>(٢)</sup> كأن قائلا قال : من زينه ؟

قال : شركاؤهم . فإن قلت : ومن قرأ : "نوحى" بالنون <sup>(٣)</sup> . قلت : يرتفع بالابتداء .  
 و﴿الْعَزِيزُ﴾ وما بعده أخبار ، و﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ صفتان ، والظرف خبر .

(١) قرأ بها ابن كثير ، وقرأ بقية العشرة "يُوحَى" . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٥٠٨/٧) ، تفسير القرطبي (٣/١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣١٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٧٣/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٠) ، فتح القدير للشوكاني (٥٢٦/٣) ، الكشاف للزمخشري (٤٥٩/٣) ، معاني القرآن للفراء (٢١/٢١) ، النشر لابن الجوزي (٢٣٧/٢) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٣٧) وهذه قراءة ابن عامر أيضا ، وقراءة الياقين : (زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أُولَادَهُمْ شَرَكَةً أُوْهُمْ) . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٤/٢٣١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٨٦/٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٠٨) .

(٣) قرأ بها أبو حبيبة والأعمش وأبان . تنظر : المراجع السابقة .

وقرئ **﴿تَكَادُ﴾** بالباء والياء<sup>(١)</sup> . و**﴿يَنْفَطِرُ﴾** و(b) (تنظر) <sup>(٢)</sup> فجمع بين علامتي تأثيث ؛ باء المضارعة ، ونون **﴿يَنْفَطِرُ﴾** ومثله : الإبل تشممن ، ومعناه : يكددن يتفترن من علو شأن الله تعالى وعظمته ، يدل عليه مجده بعد **﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** وقيل : من دعائهم له ولذا ؛ كقوله : **﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَّ مِنْهُ﴾**<sup>(٣)</sup> فإن قلت لم قال : **﴿مِنْ فَوْقَهُنَّ﴾** ؟

قلت : لأن أعظم الآيات وأدتها على الجلال (٤٤/أ) والعظمة فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتبة بالتبسيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل من آثار ملكوته العظمى ، فلذلك قال : **﴿يَنْفَطِرُ مِنْ فَوْقَهُنَّ﴾** أي : يتبدى الانفطار من جهتهم الفوقيانة ، أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان القياس أن يقال : من تحتهن ؛ من الجهة التي منها جاءت الكلمة ، ولكنه بولغ في ذلك ، فجعلت مؤثرة في جهة الفوق ، كأنه قيل : يكددن يتفترن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ، ونظيره في المبالغة قوله عز وجل : **﴿مُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ لَهُمْ يُصَهَّرُ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾**<sup>(٤)</sup> فجعل الحميم مؤثرا في أجزاءهم الباطنة .

وقيل : **﴿مِنْ فَوْقَهُنَّ﴾** من فوق الأرضين . فإن قلت : كيف صح أن يستغروا لمن في الأرض ، وفيهم الكفار وأعداء الله ؟ وقد قال الله - تعالى - : **﴿أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَفْتَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾**<sup>(٥)</sup> فكيف يكونون لاعنين مستغرين ؟ قلت : قوله : **﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** يدل

(١)قرأ نافع والكسائي " يكاد " ، وقرأ بقية العشرة " تكاد " .  
تنظر القراءات في : تفسير القرطبي (٤/٦٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٤٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤/٥٢٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٠) ، الكشاف للزخري (٤/٢٠٨) ، النشر لابن الجوزي (٢/٣١٩) .

(٢)قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم " ينطرن " وقرأ الباقيون " ينفطرن " ورويت قراءة " تنظرن " عن يونس عن أبي عمرو . قال السمين في الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٧٤) وقال ابن خالويه : وهذا حرف نادر ؛ لأن العرب لا تجمع بين علامتي تأثيث .  
وفي الآية (٩٠) من سورة مريم **﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُنَّ مِنْهُ﴾** قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحزة " ينطرن " ، وقرأ الباقيون " ينفطرن " .  
ينظر : الدر المصنون للسمين الحلبي (٤/٥٢٨) ، الكشاف للزخري (٤/٢٠٨) .

(٣)سورة مريم ، الآية (٩٠) .

(٤)سورة الحج ، الآية (١٩) ، (٢٠) .

(٥)سورة البقرة ، الآية (١٦١) .

على جنس أهل الأرض ، وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم ؛ فيجوز أن يراد به هذا وهذا ، وقد دلَّ الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون ، فما أراد الله إلا إياهم ؛ ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن : «وَسَعْفَرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» وحكاية عنهم : «فَاعْفُرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَيِّلَكَ»<sup>(١)</sup> ويجوز أن يراد بالاستغفار للعصاة طلب الحلم عنهم وألا يعدل عقوبهم ، بل يؤخرها إلى يوم القيمة ، وقد مضى في تفسير قوله : «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرُنَ» وجهان : أحدهما : يتقطرون من إجلال الله وعظمته ؛ فعلى هذا يكون الانفطار من إجلال الله وعظمته كذلك ، والملائكة العظامون جلال الله الحافون حول العرش عندهم من الخوف من الله فوق ما يظن .

والثاني : يتقطرون لدعواهم الله ولدًا ، فعلى هذا يكون المراد : تقاد السماوات يتقطرون من إقدامهم على دعوى الشرير والولد الله مع أن الملائكة الحافين حول العرش دائمون على التسبيح الموظف عليهم ، وعلى الاستغفار لأهل الأرض الذين تبرءوا من هذه الكلمة .

﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ هُنَّ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنَّ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ⑥﴾ وَكَذَلِكَ أَوْجَبَنَا إِلَيْكَ قُرْمَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أَمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمِيع لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ⑦ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ بِعَلَاهُمْ أُمَّةٌ وَجَهَةٌ وَلَكِنْ يُدْخَلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَالظَّالِمُونَ مَا هُمْ بِمِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ⑧ أَمْ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ بِمُنْحَنِي الْمَوْقِي وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑨ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْبَأْتُ ⑩﴾

﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ﴾ جعلوا له شركاء وأندادا . «الله حفظ عليهم» رقيب عليهم . قوله «وما أنت عليهم بوكيل» أي : وما عليك إلا البلاغ ، ولست بمسؤول عن هؤلاء ، ولا فرض إليك أن تكرههم على اتباع الحق . ومثل ذلك «أوجبنا إليك قرماناً عربياً» حال من (٤٤/ب) المفعول به وهو قوله : «قرماناً» . «لتنذر أمة القرى» أهل أم القرى «وتنذر يوم الجمع» عذاب يوم الجمع يجتمع فيه الخلق وأهل السماوات وأهل الأرض . وقيل : يجتمع الظالم والمظلوم . «لأربب فيه» اعتراض لا محل له وقرئ «فريق» و «فريقاً»

(١) سورة غافر الآية (٧).

بالرفع والنصب<sup>(١)</sup> فمن قرأ «فَرِيقٌ» بالرفع فهو مبدأ والخبر في المجرى ، ومن قرأ بالنصب نصبه على الحال ، وقد وصفهم في الآية بالاجتماع بقوله : «يَوْمَ الْجَمْعِ» ووصفهم بالتفرق عند استقرارهم في داري السعادة والشقاوة .

﴿لَعَلَّهُمْ أَمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي : لو شاء ميشية اختيار ، ولكنه شاء ضلالهم ، قال : «مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>(٢)</sup> ومعنى الاستفهام في قوله : «أَمْ» الإنكار . «فَاللَّهُ هُوَ أَلَوَّنُ» وهو وحده قادر على إحياء الموتى خلاف ما دعوه من الأصنام إلها . «وَهُوَ عَلَى كُلِّّيْمَكْنِ» عَمْكَنْ «قَدِيرٌ» ، «وَمَا أَخْلَقْتُمْ» أنتم والكافار في شيء من أمور الديانات فعلمكم مفوض إلى الله وحده . وقيل : «وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ» فتحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ ولا تحكموا فيه غيره . وقيل : وما اختلفتم فيه من معاني القرآن فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافق ذلك فهو الحق . وقيل : وما اختلفتم فيه من علم لا يطلع عليه العباد فقولوا : الله أعلم ، وذلك كمعرفة الروح . «وَسَتَّعُونَكُمْ عَنِ الرُّوحِ» الآية<sup>(٣)</sup> . ولا يجوز حله على الخلاف في الفقيهيات ؛ لأن الاجتهاد لا يجوز بحضور الرسول ﷺ .

﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ أَزْوَاجًا يَذْرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِلَهُ يُكْلِلُ شَيْءَ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَنَّ بِهِ تُؤْحَدًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَنَّا بِهِ إِنْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنَّ أَقِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُسْرِكِينَ مَا نَدْعُهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَعْلَمُ إِلَيْهِ مَن يَسْأَمُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم «أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَمِ» أي : من أنفسها «أَزْوَاجًا يَذْرُوكُمْ» يترکم «فيه» في هذا التدبر . «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» له مفاتيح خزائتها ، وهو من باب التمثيل ؛ شبه بن سلمت له مفاتيح ملك فهو يتصرف فيه . «وَيَقْدِرُ»

(١) قرأ جهور القراء " فريق " وقرأ زيد بن علي " فريقا " .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٥٠٩/٧) ، تفسير القرطبي (٦/١٦) ، الدر المصنون للسمين الحلي (٦/٧٥) ، فتح القدير للشوکانی (٤/٥٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٦١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٣٩) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٨٥) .

ويضيق **﴿إِنَّهُ يَكْلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** عالم غير مخصوص لا يشد شيء عن علم الله . **﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِيَ بِهِ، نُوحًا﴾** هي أصول الشرائع والاعتقادات ؛ بخلاف الفقهيات ؛ فإنها مختلفة باختلاف الشرائع **﴿وَمَا وَصَّنِيَ بِهِ﴾** يعني : والذي وصينا .

هؤلاء الأنبياء هم مشايخ الأنبياء حتى قيل : إن أولي العزم من الرسل هم (١) هؤلاء الخمسة ، وأخرجوا آدم منهم ؛ لقوله : **﴿وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَيْهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ يَحْدِدْ لَهُ عَزَمًا﴾**<sup>(١)</sup> وكذلك أخرجوا يونس ؛ لقوله : **﴿فَأَصْرَرَ لِلْكُورَبَيْكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمَوْتِ﴾**<sup>(٢)</sup> وقد ذكر الله هؤلاء الأنبياء الخمسة مرة أخرى في سورة الأحزاب ، قال الله عز وجل : **﴿وَلَذَا أَخْذَنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَقْهُمُ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ﴾**<sup>(٣)</sup> **﴿أَنْ أَقِمُوا الَّذِينَ﴾** أي : أقيموا ؛ لأن في معنى **﴿شَرَعَ﴾** معنى القول ، وهو من قولهم : قام بالأمر : إذا أتي به على أكمل الوجوه . **﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾** ولا تختلفوا . **﴿كَبُرَ عَلَى الْمُسْرِكِينَ مَا نَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ﴾** من الوحدانية .

**﴿اللَّهُ يَجْعَلُ﴾** يصطفي ويختار **﴿مَنْ يُنِيبُ﴾** من يرجع إليه بالتوبة والعبادة .

**﴿وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَانًا بِنَهْمٍ وَلَوْلَا كُلَّمَهُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْهِ أَجْلٌ مُّسَمَّى لَقُضَى بِنَهْمٍ وَلَنَّ الَّذِينَ أُرْثُوا الْكِتَبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ**<sup>(٤)</sup> **فِلَذَالِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَنْتَعِ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَاتُ يِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْكُمْ لَا حَجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**<sup>(٥)</sup> **وَالَّذِينَ يَحْاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُ جَهَنَّمُ دَارِحَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**<sup>(٦)</sup> **اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ** **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**<sup>(٧)</sup> **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ أَمْنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا أَحْقَقُ الْآَيَّاتِ الَّذِينَ يُمَارِرُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي صَلَلٍ بَعِيدٍ**<sup>(٨)</sup> **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْفُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْغَوِّيُّ الْعَزِيزُ**

(١) سورة طه ، الآية (١١٥) .

(٢) سورة القلم ، الآية (٤٨) .

(٣) الآية (٧) .

﴿الَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بصحبة نبوة محمد ﷺ (بغايًا) مفعول من أجله ، وكانوا يظلون أن النبي المعموث في آخر الزمان من أولاد إسحاق ؛ فيكون منبني إسرائيل ، فلما جاء من ولد إسماعيل حسدوا العرب لكونه منهم . ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب إلى يوم القيمة لعاجلهم بالهلاك . ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍ﴾ موقع في الريب والقلق وليس الريب الشك ؛ قوله : ﴿لَفِي شَكٍ مِّنْهُ مُرِيمٌ﴾ فجعل الريب موجبا للشك (فَلَذِلِكَ) أي : فلهذا الدين الحق (فَادْعُ) أي : الناس إلى اتباعه (وَأَسْتَقِمْ) أي : دم على الاستقامة (وَقُلْ إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالصَّحْفِ) لقوله : ﴿لَا تُنَزِّلُ مِنْ رَسُولِنَا﴾<sup>(١)</sup> ولقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَرُبِيدُورُكَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾<sup>(٢)</sup> (وَأَمْرَتُ لِأَعْدَلَ يَنْتَكُمْ) قيل : السلام يعني (وَإِنَّ) كقوله تعالى : ﴿وَأَمْرَتُ لِأَنَّكُنَّ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> (وَلَنَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرُكُمْ)<sup>(٤)</sup> والمشهور أن " كي " مقدرة قبل (أن) والتقدير : لأن أعدل . قوله : ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنُكُمْ﴾ قال بعض من غلط : إن هذه الآية منسوخة لأنها تفهم المتاركة ، وقد كلف الرسول والمؤمنون بقتل الكفار ، وهذا غلط ؛ لأن عمل رسول الله ﷺ له وعملهم لهم ، ولم يتغير هذا الحكم ولم ينسخ . قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتُحِبِّ لَهُ﴾<sup>(٥)</sup> (ب) أي : من بعد ما أطاعه الناس وأجابوا . الدحض : الزلق ومزلة الإقدام ، سماها حجة وهي باطلة ليست بحججة لأنهم أجروها مجرى الحجة . قوله : ﴿وَأَلْمِيزَانَ﴾ قيل : أنزل الميزان من السماء .

وقيل : نزلت الآية من السماء . (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) أي : ذات قرب ، قوله : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup> مثل ذلك . قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِرُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي : يجادلون فيها بالباطل . قوله : ﴿اللَّهُ أَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ يرشدهم إلى ما يصلحهم .

(١) سورة القراء ، الآية (٢٨٥).

(٢) سورة النساء ، الآية (١٥٠).

(٣) سورة الزمر ، الآية (١٢).

(٤) سورة المائدة ، الآية (٦).

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٥٥).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَّدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نَوْزِيهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ تَعْبِيرٍ ﴾١٠﴾ أَمْ لَهُمْ شَرَكَاتٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقُضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾١١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ إِنَّ رَبَّهُمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾١٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عَبَادَهُ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْرَفُ حَسَنَةً نَزَّدَهُ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴾١٣﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَّدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ ما نشاء لمن نريد ؛ حمل المطلق على المقيد . ومعنى الهمزة في «أَمْ» التقرير ، وشركاؤهم : شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث . وقيل : شركاؤهم : أو ثانهم ، وأضيفت إليهم ؛ لأنهم اتخذوهم شركاء لله ؛ فكانت سبباً لضلالتهم ؛ كما قال إبراهيم عليه السلام : «رَبِّنَا أَنْتَ أَنْتَ أَنْتَ أَنْتَ» <sup>(١)</sup> أي : كانوا سبباً للضلالة . «وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ» أي : بتأخير العذاب إلى يوم القيمة «لَقُضَى بَيْنَهُمْ» بين المؤمنين والكافرين ، أو بين الأصنام وعبدتها . «تَرَى الظَّالِمِينَ» في الآخرة : «مُسْفِقِينَ» من جراء ما كسبوا .

قوله : «وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ» أي : وباله واقع بهم . الروضة : أطيب بقاع الجنة وأنزهاها .

﴿ذَلِكَ﴾ الثواب «الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ» به ، فحذف الجار لدلالة الكلام عليه ، ثم حذف الراجع قوله : «أَهَدَنَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» <sup>(٢)</sup> أي : بعثه الله . قوله : «إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى» يجوز أن يكون متصلة ، والتقدير : إلا أن تودوني لقرباني منكم ، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة ، ويجوز أن يكون منقطعاً ، أي : لا أسألكم عليه أجراً فقط ، ولكنني أسألكم أن تودوا قرباتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ، ومعنى دخول «ف» في قوله : «إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى» أنهم يجعلون القرابة محلاً للمودة ؛ كقولك : لي في فلان مودة ، وليس «في» صلة ؛ إنما هي متعلقة بمحذف تعلق الطرف به ، والقري : مصدر بمعنى القرابة وروي أنها لما نزلت قالت الصحابة للنبي ﷺ : من ذوو قرابتك الذين أمرنا بموعدتهم ؟ فقال : «عليٌ

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤١) .

وفاطمة وابنها «<sup>(١)</sup>». وقيل : لم يكن (٤٦/٢٤) بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ مدخل فيه ، والمعنى : أن تودوني في قرابتي ، أي : لأجلها ؛ كقولك : الحب في الله والبعض في الله ، وإذا قد أبitem ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تغدوا كل الميل . وقيل : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ بمال جمعوه ، وقالوا : يا رسول الله قد هدانا الله بك ، وأنت ابن أخينا وتعروك نواب وليس لك مالٌ تصرفه فيها ؛ فاستعن بهذا المال على ما ينوبك ، فنزلت ورده <sup>(٢)</sup> . وقيل : «الفرق» التقرب إلى الله ؛ أي : لا تحبوا إلا الله ورسوله .

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَسِئَ اللَّهُ بِخَتْمِ عَلَيَّ قَلِيلٌ وَمَعْنَى اللَّهُ الْبَطْلُ وَمَعْنَى الْحَقِّ يَكْلِمُنِيهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَعْفُوُ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَعَلَمَ مَا فَعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

«وَمَنْ يَقْرِئْ حَسَنَةً» هي مودة آل رسول الله ﷺ والظاهر شمول كل حسنة ، لكنها لما جاءت عقب المودة في القربى صار كأن الآية نزلت فيهم خاصة .

والشكور في صفة الله مجاز ، ومعنى الاعتداد بالطاعة وتوفيق الشواب . «أَمْ» منقطعة للتوضيح ، والمعنى : أتضيرون إلى النبي الافتاء على الله ؟ وإنما يقع ذلك من ختم على قلبه ، والنبي ﷺ قد سطعت أنوار هدايته كما تقول لمن استخان شخصاً ، وزعم أنه أكل ماله والشخص بريء فيقول : إن كان الله ختم على قلبي أو منعت النظر إلى الصواب واعتماد فعله ، وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله . ومن عادة الله محى الباطل ؛ يعني : لو كان كما يزعمون لغلب الحق على باطله فدمجه فهلك ، ويجوز أن يكون ذلك وعداً بنصرة رسول الله ﷺ ومتابعيه وخذلان الكفرا وإخراجهم .

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في صدرك وصدرورهم ؛ فهو يجري الأمر على ما تقتضيه حكمته . وقال

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٧/٣) ، ونسبة له الهيثمي في جمجم الزوائد (٧/١٠٣) من رواية حرب ابن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع ، وقال الهيثمي : وقد وثقوه كلهم وضعفهم جماعة وبقية رجاله ثقات . ونسبة السيوطي في الدر المثور (٧/٣٤٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس . وقال : بسنده ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (٢٥/٢٥) ، وزاد نسبة السيوطي في الدر المثور (٧/٣٤٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق مقدم عن ابن عباس جهل .

فتادة : «يَعْتَمِدُ عَلَى قَلْبِكَ» ينسبك القرآن ويقطع عنك الوحي<sup>(١)</sup> ، أي : لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك . وقيل : «يَعْتَمِدُ عَلَى قَلْبِكَ» يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم . «وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَطْلَ» مرفوع غير مجزوم . تقول : قبلت عن فلان كذا يعني : جعلته أول قبول ، وتقول قبلته عن فلان ؛ أي : جعلته واصلاً إلى من جهته ، و«الْتَّوْبَةُ» الندم على ما مضى من التقصير والعزم على الإصلاح في المستقبل وأن يقلع في الحال عن المعصية وإن كان في المعصية حقًّا لآدمي فلا بد من إيفائه أو من الإبراء منه . وروي أن علياً قال لبعض العرب وقد استغفر الله : إن سرعتك بالتوبة بلسانك توبة الكاذبين ، وتوبيتك هذه تحتاج إلى توبة ، فقال : وما التوبة ؟ فقال : معنى يشمل أموراً ستة (٢٤٦/ب) على الماضي من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك صحته<sup>(٢)</sup> .

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَرِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكُفَّارُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾٢٦﴿ وَلَوْبَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَعَوَّا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ حَمِيرٌ بَصِيرٌ ﴾٢٧﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطَوْا وَيَسْرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾٢٨﴿ وَمِنْ أَيْمَانِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمِيعِهِمْ إِذَا أَيَّشَاهُ قَدِيرٌ ﴾٢٩﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي : يستجيب لهم ، فحذف السلام كقوله «وَإِذَا كَلُوْهُمْ أَوْ وَرَأُوهُمْ»<sup>(٣)</sup> أي كالوا لهم وزنوا لهم .

وقيل : «الَّذِينَ آمَنُوا» فاعل ، والذين آمنوا هم المستجيبون لداعي الله ومناديهم المنادي بالإيان . «لَعَوَّا فِي الْأَرْضِ» لظلم بعضهم بعضاً ، وكفى بحال قارون عبرة ، وقال عليه السلام : " أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها " <sup>(٤)</sup> . أو من البغي وهو البذخ

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٥/٢٧) ، ونبه السيوطي فى الدر المثور (٧/٣٥٠) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ، عن قنادة .

(٢) ذكره الزخشري فى الكشاف (٤/٢٢٢) .

(٣) سورة المطففين ، الآية (٣) .

(٤) رواه البخارى رقم (٦٤٢٧) ، ومسلم رقم (١٠٥٢) ، وأحمد في المسند (٣/٩١) ، والنمساني (٥/٩٠) ، وابن حبان رقم (٣٢٢٥) عن أبي سعيد الخدري رض .

والكبير ، أي : لتكبروا فيها . وقيل : نزلت في قوم من أهل الصفة ثنوا سعة الدنيا والغنى<sup>(١)</sup> . وقال خباب بن الأرت : فينا أنزلت ؛ نظرنا إلى أموال الكفار وسعتها وتقلباتهم فيها فتنيناها فنزلت<sup>(٢)</sup> .

﴿يَقْدِرُ﴾ أي : بقدار معين ، ولو أغنى الناس كلهم لبعوا ولو أفقرهم هلكوا وهو أعلم بمصالحهم . فإن قلت : قد نرى الظلم مستمراً على ظلمه إلى الموت ، ونرى المظلوم مستمراً على الاستضعفاف ؟ قلنا : لا شبهة في أن البغي مع العني أكثر ، فلو أغنى الكل لكنه البطر ، وغلب الفساد . ﴿وَيَشْرُرُ رَحْمَتَهُ﴾ وهي آثار المطر من الخصب وسعة الأرزاق . وعن عمر : أنه قيل له : قحط الناس وقطعوا ، فقال : الآن مطرون ، وتلا هذه الآية<sup>(٣)</sup> . ويجوز أن يشير بالرحمة إلى جميع أنواعها .

﴿أَلَوْلَئِ﴾ يتول عباده ﴿الْحَكِيدُ﴾ في السماوات والأرض . ﴿وَمَا بَثَّ﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً وجحوراً . فإن قلت : ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ يجب أن يكون في السماء دواب وليس كذلك ؟ قلت : يجوز نسبة الشيء إلى الشيء وهو لبعضه ، ومنه قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْأَلْوَانُ وَالْمَرْجَاتُ﴾<sup>(٤)</sup> وإنما يخرجان من الملحق دون العذب ، ويجوز أن تكون الملائكة تمشي مع الطيران ؛ فوصفو بالدبب .

﴿وَمَا أَصْنَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ كُمْ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْقُفُوا عَنْ كَثِيرٍ ٢٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ يُعْجِزُونَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْبٍ أَنْ وَلَيْ وَلَا نَصِيرٍ ٢١﴾ وَمِنْ إِيمَانِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ٢٢﴾ إِنْ يَسْتَأْ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلَلُنَّ رَوَادِكَ عَلَى ظَهَرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ ٢٣﴾ أَوْ يُوْقِنُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْقُفُ عَنْ كَثِيرٍ ٢٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ بَجَلُولُونَ فِي إِيمَانِهِمْ مِنْ مَعْصِمٍ ٢٥﴾

﴿وَيَعْقُفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ فما يؤخذ به . وعن علي حَدَّثَنَا : " من عفا الله عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة " ورواه مرفوعاً بعضهم<sup>(٥)</sup> . وعنه : " هذه أرجى آية في القرآن " <sup>(٦)</sup> .

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٥/٣٠) ، والحاكم فى المستدرك على الصحيحين (٢/٤٨٣) عن علي بن أبي طالب حَدَّثَنَا . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٢٣).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٧٠٥) ونسبة لعبد بن حميد وابن جرير الطبرى وابن المنذر .

(٤) سورة الرحمن ، الآية (٢٢).

(٥) رواه الترمذى رقم (٣٢٥٢) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٥/٧٠٥) لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى رقم (٦٤٠) .

(٦) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٧٠٦) .

﴿يُعَجِّزُنَّ﴾ بفأئتين ما قضى عليكم . ﴿مِنْ وَلَيْ﴾ متول لأمركم . ﴿الْجَوَار﴾ السفن وقولهم : الجوادُ بضم الراء كقولهم : الباز الأشہب . ﴿كَالْأَغْنَى﴾ كالجبال ؛ قالت الخنساء (٢٤٧) أ من البسيط ) : ..... كأنه عَلِمَ في رأسه نار<sup>(١)</sup>

﴿رَوَاكَدَ﴾ ثوابت لا تجري . ﴿عَلَى ظَهَرِه﴾ أي : على ظهر البحر . ﴿لِكُلِّ صَبَار﴾ على البلاء ﴿شَكُور﴾ على النعماء . ﴿يُسْكِنُ الرِّيحَ﴾ ترك المراكب على ظهر البحر ويرسل الريح عاصفة فيغرقهن ، فإن قلت : علام عطف قوله : ﴿يُوْقِهَنَّ﴾ ؟

قلت : على . ﴿يُسْكِنُ﴾ والمعنى : إن يشا يسكن الريح فيركدن ، أو يعصفها فيغرقون بعصفها . وإن قلت : فلم جزم ﴿أَوْ يُوْقِهَنَّ﴾ ؟ قلت : لأن المعنى : إن يشا يسكن أو يوبق . وإن قلت : فما موجب الحركات الثلاث في ﴿وَيَعْلَمَ﴾ ؟ قلت : أما الجزم فعلى ظاهر العطف ، وأما الرفع فعلى الاستئناف ، وأما النصب<sup>(٢)</sup> فالمعطف على منصوب مذوف ، والتقدير : ليتنقم منهم ، ويعلم الذين يجادلون .

وأما قول الزجاج<sup>(٣)</sup> : النصب على إضمار " أن " لأن قبلها جزاء ، تقول : ما تصنع أن أصنع مثله وأكرمهك ، وإن شئت: أكرمك ؛ على : وأنا أكرمك ، وإن شئت : وأكرمك جزماً ففيه نظر ما أورده سيبويه في كتابه<sup>(٤)</sup> : واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله : إن تأتيني آتك ، وأعطيك ضعيف ، وهو نحو قوله [ من الوافر ] :

سَأَتُرُكُ مَنْزَلِي بَيْنِ قَيْمَ  
وَالْحُقُّ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِحَا<sup>(٥)</sup>

(١) هنا عجز بيت للخنساء في مدح أخيها صخر ، وصدره : أغر أبلج تأم المداة به ..... .

ينظر في : تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (٤٤١/٥٣) ، تفسير ابن جرير الطبرى

(٣٣) / ٢٥ ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٢٦) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/٤٣٢).

(٢) فرأى نافع وابن عامر بالرتفع ، وقرأ عاصم وأبو عمرو وابن كثير ومحنة والكسائي بالنصب وقرئ بالجزم .  
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/٥٢١) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣١٨) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٦/١٢٨) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٨٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨١) ،  
الكشاف للزمخشري (٣/٤٧٢) ، النشر لابن الجزرى (٢/٣٦٧) .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٩٩) .

(٤) ينظر : الكتاب لسيبوه (٣/٣٩) .

(٥) البيت للمغيرة بن حبنا ، ينظر في : خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (٨/٥٥٢) ، الدرر اللوامع =

فهذا ليس بجد الكلام ولا وجهه ، إلا أنه بالجزاء صار أقوى قليلا ؛ لأنه ليس بواجب أن يفعل إلا أن يكون من الأول فعل ، فلما صارع الذي لا يوجبه ؛ كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ، ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بجد في الكلام ، ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه ، وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة ، فإن قلت : كيف وجه المعنى إذا جزمت **﴿وَيَعْلَم﴾** ؟ قلت : كأنه قال : أو إن يشأ يجمع بين أمور ثلاثة ؛ هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين .

**﴿فَمَنْ تَعْصِي﴾** من مخلص ولا ملجاً .

**﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَعِذُّ بِحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عُنِدَ اللَّهُ حَيْثُ وَبِأَيِّنِ لِلَّذِينَ أَمْسَوْا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** **﴿وَالَّذِينَ يَعْجِزُونَ كَبِيرًا إِلَّمْ وَأَفْرَجَشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفُرُونَ** **﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ** **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ سُورَى يَنْهَمُ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِعُونَ**

(٢٧)

(٢٨)

**﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾** ضمنت " ما " معنى الشرط ؛ فدخلت الفاء لذلك .

روي أنه اجتمع لأبي بكر الصديق مال فصدق به كله في سبيل الله فلامه طائفة من المسلمين وخطأه الكافرون ؛ فنزلت **﴿وَالَّذِينَ يَعْجِزُونَ﴾** **﴿عَطَفَ عَلَى ﴿الَّذِينَ أَمْسَوْا﴾** وكذلك ما بعده . و معنى **﴿كَبِيرًا إِلَّمْ﴾** الكبار من هذا الجنس .

وقيل : **﴿إِلَّمْ﴾** الشرك . و **﴿هُمْ يَعْفُرُونَ﴾** هم الأخصاء بالغفرة عند الغضب ، ومثله قوله : **﴿هُمْ يَنْصَرُونَ﴾** **﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾** أجابوا داعيه ونزلت في الأنصار ، وكانوا قبل هجرة الرسول ﷺ إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ؛ فأثنى الله عليهم بذلك **﴿.)﴾**.

(١) ٢٤٠ / ١)، شرح شواهد المغنى للأذري (ص: ٤٩٧)، شرح الفصل لابن يعيش (٥٥ / ٧)، الكتاب لسيبوه (٣٩ / ٣)، الكشاف للزمخشري (١ / ٥٥٧)، مغني الليب لابن هشام (١٧٥ / ١)، المقاصد النحوية (٤ / ٣٩٠)، همع المقام للسوطي (١ / ٢٥١).

(٢) نسبة الزمخشري في الكشاف (٤ / ٢٢٨) لعلي حَفَظَهُ اللَّهُ عن أبي بكر الصديق حَفَظَهُ اللَّهُ .

(٣) في الآية (٣٩) من هذه السورة .

(٤) رواه الطبراني في تفسيره (٣٧ / ٢٥) عن يونس قال : أخبرنا بن وهب قال : قال بن زيد وقرأ **﴿وَالَّذِينَ يَعْجِزُونَ كَبِيرًا إِلَّمْ وَأَفْرَجَشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْفُرُونَ﴾** قال فبدأ بهم **﴿وَالَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾** =

والشوري : مصدر بمعنى التشاور ؛ كما أن الفتيا مصدر . فإن قلت : أيخمدون على الانتصار ؟ قلت : نعم ؛ فإن من أخذ حقه ولم يزد عليه مدوح عند الله بأنه لم يتعد حدوده .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوهُمُ الْبَغْيَ هُمْ يَنْهَاوْرُونَ ٤٣﴾ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّنْهَا فَمَنْ عَفَّ كَوَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠﴾ وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَنْهُمْ مِّنْ سَيِّلٍ ٤١﴾ إِنَّمَا السَّيِّلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَبَعْدُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمَنْ عَزَّزَ الْأُمُورِ ٤٣﴾

﴿ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً ٤٤﴾ كلامهما بمعنى ما يسوء الإنسان ؛ لأن من انتقام منه بالحق ساءه ذلك ولم يهمن عليه . ﴿ فَمَنْ عَفَّ كَوَأَصْلَحَ ٤٥﴾ عن ظلمه ، ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ٤٦﴾ عدة مهممة عظيمة المقدار . في الحديث : " ينادي مناد يوم القيمة : من كان له على الله حق فليقم ، فيقوم العافون وهم قليل " <sup>(١)</sup> .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٧﴾ فيه تلويع ؛ أن من انتصر لنفسه لا يخلو من تحيف وخصوصاً في حال الحرب فربما كان المجازى من الظالمين ، وهو لا يشعر .

﴿ بَعْدَ ظُلْمِهِ ٤٨﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول . ﴿ فَأُولَئِكَ ٤٩﴾ إشارة إلى معنى ﴿ مَنْ ٤٩﴾ دون لفظها . ﴿ مَا عَنْهُمْ مِّنْ سَيِّلٍ ٤٩﴾ لمن يذمهم : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ ٤٩﴾ على الظلم والأذى ﴿ وَعَفَّ ٤٩﴾ ولم ينتصر ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمَنْ ٤٩﴾ أي : منه ؛ فحذف الراجع والمراد : إنه من جملة الأمور المعزوم عليها . وروي أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن ، فكظم المسبوب نفسه عن الجواب وعرق ، ثم قام وهو يتلو هذه الآية ، فقال الحسن : عقلها والله <sup>(٢)</sup> . والعفر مندوب إليه ، وقد ينعكس

= الأنصار ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ٥٠﴾ وليس فيهم رسول الله ﷺ ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُرُّٰ ٥١﴾ ليس رسول الله ﷺ أيضاً .

(١) ذكره الزيلعي في تخریج الأحادیث والآثار التي في الكشاف للزمخشري (٢٤٣/٣) وقال : " رواه الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان في الباب السابع والخمسين وأبو نعيم في الحلية من حديث الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال : " إذا وقف العبد للحساب ينادي مناد لهم من كان أجره على الله فليدخل الجنة . فيقال : ومن ذا الذي أجره على الله ؟ فيقول : العافون عن الناس ، فقام كذا وكذا فدخلوها بغير حساب " ، ونسبة السيوطي في الدر المنشور (٥/٧٠٩) لابن مردويه عن ابن عباس رض .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٣٠) .

الحال فيصير الانتصار مندوباً إليه ، وذلك إذا أريد به قطع مادة الفتنة .

روي أن زينب أسمعت عائشة كلاماً يؤلمها فقالت : وكان النبي ﷺ ينظر إلى ثم أشار إلى عائشة أنْ دونك فانتصرت ؟ ففعلت<sup>(١)</sup> .

**﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى  
مَرْدَقٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾٤٤﴾ وَرَأَوْهُمْ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَةٍ مِنَ الدُّلَى يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ حَقِيقِيٍّ  
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْمُخْسِرَاتِ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ  
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولَئِكَ يَصْرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ  
سَبِيلٍ ﴾٤٦﴾ أَسْتَحِيَّبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلِجَّا يَوْمَئِذٍ  
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ ﴾٤٧﴾ فَإِنَّ أَغْرِضُوكُمْ فَمَا أَنْسَنَكُمْ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَيْتُكُمْ إِلَّا أَلْبَثْتُمْ وَإِنَّمَا إِذَا  
أَذْفَنَ الْأَنْسَنَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصْبِهُمْ سَيِّئَاتٍ بِمَا فَدَمْتُ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْأَنْسَنَ كُفُورٌ  
إِلَّا اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهُ يَوْهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ  
الْأَذْكُورَ ﴾٤٨﴾ أَوْ يُرْزُقُهُمْ ذَكْرَ أَنَّا وَإِنَّا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾٤٩﴾**

**﴿خَشِيعَةٍ﴾** ذليلين ، وقد تعلق **﴿مِنَ الدُّلَى﴾** بـ " خاشعين " ويوقف على " خاشعين " .

**﴿مِنْ طَرْفٍ حَقِيقِيٍّ﴾** أي : يبتدىء نظرهم بحركة أجفانهم حرفة خفيفة ؛ كما ترى المصبور<sup>(٢)</sup> ينظر إلى<sup>(٣)</sup> السيف . وقيل : يخشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وهو بعيد

**﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾** إما أن يتعلق بـ **﴿خَسِرُوا﴾** ويكون **﴿قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** واقعاً في الدنيا .

**﴿لَا مَرَدَ لَهُ﴾** لا يرده الله بعد ما حكم به ، أو من صلة **﴿بِأَنَّ﴾** أي : يأتي من الله ما لا مرد له بعد حكمه به . والنكير : أ/ الإنكار ، أي : ما لكم من مخلص ، ولا تقدرون أن تنكروا شيئاً ما اقترفتموه ودُونَ في صحائف أعمالكم .

(١) رواه أحمد في المسند (٩٣/٦) ، وابن ماجه رقم (١٩٨١) عن عائشة حسنة .

(٢) المصبور : يقال : صبره عن الشيء يصبره صبراً حبسه ، والصبر : نصب الإنسان للقتل فهو مصبور . ينظر : لسان العرب (صبر) .

(٣) في الأصل : من ، والمثبت كما في الكشاف للزمخشري (٤/٢٣١) وهو الأنسب للمعنى .

والمراد بالإنسان في قوله : «وَإِنَّا إِذَا أَدْقَنَا الْإِنْسَنَ» الجنس ؛ لقوله : «إِنَّ الْإِنْسَنَ  
أَفْلَمُ كَفَّارٌ» <sup>(١)</sup> «إِنَّ الْإِنْسَنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» <sup>(٢)</sup> . والرحمة : النعمة ؛ من الصحة والغنى  
وغيرهما ، و«سَيِّئَةٌ» البلاء ؛ من المرض والفقر وغيرهما ، والكفور : مبالغة في الكافر ؛  
أي : جاحد النعم ينسى النعم . لما ذكر إصابة النعمة والشدة أتبع ذلك بقدرته على أنه يهرب  
لقوم الذكور من الأولاد والآخرين الإناث . «وَمَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا» لا يولد له فإن قيل :  
لم قدم الإناث على الذكور ؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث ؟ قلنا : أما البداية  
بالإناث ؟ فلأنه سبق أنه يفيض على قوم نعمًا وعلى قوم خلافها ، فسياق الكلام يرشد إلى  
أنه يفعل ما يشاء ، لا ما يشاءون ، فقدم الإناث ؛ لأن العرب كانت تعدهن بلاء ثم عاد إلى  
تقديم الذكور ؛ جريا على الأصل ، وتبنيها على أن تقديمهن لم يكن لشرفهم ، إنما كان  
لقتض آخر ، ونوه بذلك **﴿الذُّكُورُ﴾** بالتعريف ؛ لأنهم الأشهر ؛ كما قال : «خَلَقَ الرَّحْمَنُ الذُّكُورَ  
وَالْأُنْثَى» <sup>(٣)</sup> «يَتَأْيَاهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» <sup>(٤)</sup> .

وقيل : المراد : الأنبياء ؛ حين وهب لشعيوب وللوط الإناث ولإبراهيم الذكور ، ولمحمد  
**ﷺ** ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين .

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَجِئَ أَوْ مِنْ وَرَائِي حَجَابٍ أَوْ بِرِسْلَ رَسُولًا فَيُوحَىٰ بِإِذْنِهِ مَا  
يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ﴾ <sup>(٥)</sup> وَكَذَلِكَ أَوْجَنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِلَيْمَنُ  
وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ تُورًا تَهْدِي بِهِ مَن شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ <sup>(٦)</sup> صِرَاطُ اللَّهِ  
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأُمُورُ﴾ <sup>(٧)</sup>

﴿وَمَا كَانَ﴾ وما صبح **﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾** على أوجهه ؛ إما على طريق الوحي وهو  
الإلهام والقذف في القلوب ، أو المنام ؛ كما أوحى إلى إبراهيم في أمر الذبيح ، وكما أوحى  
إلى أم موسى ، وإما أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام ؛ كما خلق كلامه في  
الشجرة ؛ كما قال تعالى : «فِي الْبَعْضِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ» <sup>(٨)</sup> وقوله : «مِنْ وَرَائِي حَجَابٍ»

(١) سورة إبراهيم ، الآية (١٣٤) .

(٢) سورة العاديات ، الآية (٦) .

(٣) سورة النجم ، الآية (٤٥) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

(٥) سورة القصص ، الآية (٣٠) .

تمثيل ؛ كما يكلم الملك بعض خواصه من وراء الحجب ؛ بحيث يسمع كلامه ولا يرى شخصه ، والله تعالى متعال عن الحجاب ؛ لأن الحجاب يستدعي جسمًا ومكانًا وهما مستحيلان على الله ، وإنما أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه . قوله : «وَحِيًّا» و «أُوْرِسَلَ» مصدران واقعان موقع الحال . «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حَجَابٍ» ظرف واقع موقع الحال . والتقدير : وما صح أن يكلم أحدًا إلا موحيا أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلا ؛ تقول : قلت لفلان كذا . وإنما قاله من سواك .

(٢٤٨) / ب) فإن قلت : قد علم أن رسول الله ﷺ ما كان يدرى ما القرآن والشريائع قبل أن يبعث ، فما معنى قوله : «وَلَا إِلَيْنَّ» ولا يجوز أن يكون النبي مخلأ بالإيمان لا قبل النبوة ولا بعدها ؟ قلت : أصول العقائد على قسمين : منها ما يدرك بالعقل وحده ؛ كوجود الله وتوحيده وعلمه وقدرته . ومنها ما لا يطلع عليه إلا بالوحي ألا تراه قد وصف الصلاة بالإيمان فأراد بقوله : «وَلَا إِلَيْنَّ» ما لا يطلع عليه إلا بالوحي ألا تراه قد وصف الصلاة بالإيمان بقوله : «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ»<sup>(١)</sup> أي : الصلاة لبيت المقدس .

\* \* \*

(١) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

## تفسير سورة الزخرف [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿ حَمٌ ﴾ وَالْكِتَبُ الْمُبِينُ ﴿ ١ ﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ ٢ ﴾**

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن ، وجعل قوله : « إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا » جوابا للقسم وهو من الأيمان البديعة ؛ لتناسب القسم والمقسم عليه ، وهو كقول أبي تمام [ من الخفيف ] :

..... وثنيا ياك إنها إغريض <sup>(١)</sup>

« جَعَلْنَاهُ » وصفناه ؛ كقوله : « وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ » <sup>(٢)</sup> « جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِصْبَنَ » <sup>(٣)</sup>

« قُرْءَانًا عَرَبِيًّا » حال . و « لعل » مستعارة لمعاملتهم معاملة من يريد منهم الإيمان .

« وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَبِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ ﴿ ٤ ﴾ أَفَضَرَبَ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفَحَانَ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿ ٥ ﴾ وَكُمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلَيْنَ ﴿ ٦ ﴾ وَمَا يَأْنِيهِمْ مِنْ ثَبِيْتِ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُؤُونَ ﴿ ٧ ﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَصْنَى مُثْلَ الْأَوَّلَيْنَ ﴿ ٨ ﴾ وَلَيْسَ سَأْلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيُّمُ ﴿ ٩ ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ ﴿ ١٠ ﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ ﴿ ١١ ﴾ وَالَّذِي حَلَقَ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَمَ مَا تَرْكَبُونَ ﴿ ١٢ ﴾

والمراد بـ « أُمِّ الْكِتَبِ » اللوح المحفوظ ، سمي أُم الكتاب ؛ لأنَّه الأصل الذي كتب منه كل شيء . « حَكِيمٌ » ذو حكم باللغة ، والفاء عطفت على مخدوف تقديره : أنهلكم

(١) هذا صدر بيت وعجزه : ..... ولآل قوم وفرق وميس . ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٩٠/٦) ، الكشاف للزمخشري (٢٣٦/٤) قال ابن منظور في لسان العرب (غرض) : « الإغريض : كل أبيض مثل اللبن وما ينشق عنه الطلع » . والميس : التبغثر والتمايل والتشني في المشي . اللسان (ميس) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (١٩) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٩١) .

فنصرتكم عنكم الذكر ؟ و﴿صَفْحًا﴾ على وجهين ؛ إما مصدر من : صفح عنه ؛ إذا أعرض ، متتصب على أنه مفعول له ، على معنى : أفتعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحاجة به إنرضا عنكم ؟ وإما بمعنى الجانب كقولك : نظر إليه بصفح وجهه ؛ بمعنى : أفتحيه جانبا ؟ فيتصب على الظرف . ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ لأن كتم . فإن قلت : كيف استقام قراءة من قرأ : "إن كتم" على الشرط <sup>(١)</sup> وقد كانوا مسرفين حقا ؟ قلت : هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن الحال ؛ تقول : إن كنت قد عملت لك اليوم فأعطي حقي وهو عالم أنه قد عمل ، ولكنه تخيل في كلامه أن هذا المطل يقتضي أنك شاك في أنني قد عملت لك .

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ حكاية حال ماضية مستمرة ، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه . الضمير في قوله : ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ للمسرفين ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي : قد سبق ذكر الملوكين وتكذيبهم وعقوبتهم .

فإن قلت : قوله ﴿لَيَقُولُنَّ خَلْقَهُنَّ الْعَنِيزُ الْعَلِيُّمُ﴾ وما سرد (٤٩) من الأوصاف عقيبه إن كان من قوله ؛ فما تصنع بقوله : ﴿فَأَشَرَّنَا بِهِ، بَلَدَهُ مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ ؟ وإن كان من قول الله ؛ فما وجهه ؟ قلت : هو من قول الله تعالى لا من قوله ، ومعنى قوله : ﴿لَيَقُولُنَّ خَلْقَهُنَّ الْعَنِيزُ الْعَلِيُّمُ﴾ لينسب خلقها إلى الذي هذه أوصافه ، وليستدنه إليه ﴿يَقْتَرِ﴾ بمقدار يسلم معه العباد والبلاد ولم يكن طوفانا . والأزواج : الأصناف .

قوله : ﴿رَبِّكُونَ﴾ يقال ركب الدابة وركبت عليها ، وغلبها هنا المتعدى بنفسه ؛ لأنه أقوى ، ومعنى ذكر نعمة الله ذكرها بالتعظيم والثناء على معطيها بالقلب ويقرن ذلك بالعمل شكرًا لله .

﴿لِسْتُوا عَلَىٰ طُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوَيْمُ عَلَيْهِ وَقَوْلُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَعَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كَنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ <sup>(١)</sup> **وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**

روي "أن النبي ﷺ كان إذا وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فإذا استوى على

(١) قرأ "إن" بالكسر على الشرط نافع وحزة والكسائي وقرأ الباقيون "أن" بالفتح .

تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٦/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلي (٦/٩٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٣٧) .

الدابة قال : الحمد لله على كل حال : ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ إلى قوله ﴿لَمْ تَقْبِلُوهُ﴾ وكبر ثلاثة وهلل ثلاثة<sup>(١)</sup> . قالوا : إذا ركب في السفينة قال : ﴿إِسْمَاعِيلَةَ بَعْرَبَهَا وَمُرْسَهَهَا إِنَّ رَبَّهُ لَغَوْرِّيْج﴾<sup>(٢)</sup> وهذا مشكل ؛ لأن النبي ﷺ لم ينقل أنه سافر في بحر. وروي أن الحسين بن علي رأى رجلاً ركب دابة ، فقال الرجل : سبحان الذي سخر لنا هذا ؟ فقال الحسين : أبهذا أمرتم ؟ قال : فبماذا أمرنا ؟ قال : أن تذكروا نعمة ربكم ؛ كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه<sup>(٣)</sup>. ﴿مُقْرِنِين﴾ مطيقين ؛ يقال: أقرن الشيء؛ إذا أطافه ومنه قوله [ من الطويل ] :

وَأَفْرَتْتُ مَا حَمَلْتِي وَلَقَلْمَانِيْ يُطَاقُ احْتَمَالُ الصَّدَّيْ يَدْعُدُ وَالْهَجْرُ<sup>(٤)</sup>

فإن قلتَ : كيف اتصل هذا بقوله : ﴿وَإِنَّا إِلَكَ رَبِّنَا الْمُقْبِلُونَ﴾ ؟ قلتُ : لما كان ركوب الخيل والبحر أمراً مخترقاً ذكر الله الإنسان أن يجدد ذكر ذلك لنفسه ، وألا يكون كما حكي أن مترباً ركب في مركب إلى مكان مسيرة شهر فلم يزل هو وأصحابه يشربون حتى استقر في منزله ولم يشعر بسفره ولا قدومه ، فكم بين هؤلاء وهوؤلاء ؟

قوله : ﴿مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ متصل بقوله : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَلَّقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي : إذا سئلوا عنها اعترفوا بأن الله خالقها ، وهم قد جعلوا له مع ذلك من عباده جزءاً ، وهو قوله : الملائكة بنات الله ؛ فجعلوهم جزءاً له وبعضها كسائر الأولاد . ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وزعمهم أن هذه لغة العرب ؛ يخصون الأنثى باسم الجزء وأنشدوا [ من البسيط ] :

إِنْ أَجْزَأْتُ حُرَّةً يَوْمًا فَلَا عَجَبٌ قَدْ تُجزِيُ الْحُرَّةُ الْمَذْكَارَ أَحْيَانًا<sup>(٥)</sup> (٢٤٩ / ب)

(١) رواه أحد في المسند (١/٩٧ ، ١١٥) ، وأبو داود رقم (٢٦٠٢) ، والترمذى رقم (٣٤٤٦) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٦٩٧) ، والحاكم في المستدرك (٢/٩٨) ، وابن السنى في عمل اليوم والليلة رقم (٤٩٨) ، وصححه الترمذى والحاكم والشيخ الألبانى في صحيح الترمذى رقم (٢٧٤٢).

(٢) أورده ابن السنى في عمل اليوم والليلة رقم (٥٠٢) وفي سنته جباره بن المغلس وهو ضعيف ، وفيه كذلك يحيى بن العلاء ومروان بن سالم وهما متهمان بالوضع .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنشور (٥/٧١٧) ونسبه لابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) البيت لابن هرمة ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٤٠).

(٥) ينظر البيت في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٤١) ، لسان العرب (جزأ). .

وأنشدوا [ من البسيط ] :

رُوْجْتَهَا مِنْ بَنَاتِ الْأَوْسِ مُجْزَئَةً<sup>(١)</sup>

وَمَا هُوَ إِلَّا افْتَرَاءٌ عَلَى الْعَرَبِ . «لَكُفُورٌ مُّمِينُ» ظاهر جحوده النعم .

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكُفُورٌ مُّمِينٌ﴾<sup>(١٥)</sup> أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنُكُمْ بِالْأَسْنَنِ<sup>(١٦)</sup> وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ<sup>(١٧)</sup> أَوَ مَنْ يُسْتَوِي فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْحِصَامِ غَيْرُ مُمِينٌ﴾<sup>(١٨)</sup>

﴿أَمْ أَخَذَ﴾ بل اخْتَذَ ، الهمزة للإنكار ؛ تعجبًا من حالمٍ ؛ كيف يتخذ من خلقه !؟ فعلعلوا الله الإناث وهو أنقص القسمين . «وَأَصْفَنُكُمْ» خصمكم بالذكر وهم القسم الأفضل .

﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي : بالجنس الذي جعلوه جزءًا ، ولقد بلغ من بغضهم للبنات أن وأدوهن ، وهم ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِالْأَنْثَى﴾ أربد وجهه وسخط . وعن بعض العرب أن امرأته ولدت بنتاً فهجر منزل امرأته ، فقالت لتسمعه [ من الرجز ] :

مَالَ أَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِيَنَا يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا غَضِيبَانَ لَا نَلِدَ الْبَنِينَا

لَيْسَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا شَيْنَا وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أَعْطَيْنَا<sup>(٢)</sup>

والظلول يعني الصيروحة ؛ كما تستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها .

وقرئ : "مسود" و "مسوداً" بالرفع<sup>(٣)</sup> على أن في ﴿ظَلَّ﴾ ضمير المبشر ، و «وجهم» **مسوداً** جملة سدت مسد الخبر . أو يجعل من تربى في النعمة ولم يكن متقدماً في الفصاحة ولا غالباً في المحاكمات والخصومات ، أتعجل مثل هذا ولذا مالك الملك الذي بيده ملوكوت كل شيء . تُقل قلماً تكلمت امرأة في خصومة إلا نطقت بما هو حجة عليها ، وهو معنى

(١) هذا صدر بيت نسبه ابن منظور لأبي حنيفة وعجزه : للعوسع اللدن في أبياتها زجل .

ينظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٤١) ، لسان العرب (جزء١)

والمعنى : امرأة غرّالة بمغازل سويت من شجر العوسج .

(٢) ينظر الشعر والقصة في : روح المعاني للألوسي (٢٥/٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٤٣) .

(٣) تنظر القراءة في : تفسير القرطبي (٦/٧٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٨٢) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/٢٠٢) .

قوله : «وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُبْيِنٍ» وفيه أنه جعل النساء في النعمة والزينة من المعايب والمذام وأنه من صفات ربات الرجال ؛ فعلى الرجل أن يتبرأ من هذه الصفة وتشيل قول عمر : "اخشوشنوا "(١) أي : كونوا في عيش حشن ؛ في المأكل والملبس . جمعوا بين ثلاثة أمور منكرة : أن جعلوا الله ولدًا ، وجعلوه من أحسن الفريقين وهم الإناث ، وسبوا الملائكة فجعلوهم إناثاً .

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهَدُوا لَهُمْ سَتَكْبَبْ شَهَدَتْهُمْ وَيُسْتَلُونَ ١٦ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَاهُمْ بِنَذْلَكَ مِنْ عِلْمٍ إِنَّهُمْ إِلَيْنَا مُرْسُوْنَ ١٧ أَمْ أَئْتَنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمِسُوْنَ ١٨ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُنْثَىٰ وَإِنَّا عَلَىٰ أَئْتِرِهِمْ مُهَتَّدُوْنَ ١٩ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيَّةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُرْفُوْهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُنْثَىٰ وَإِنَّا عَلَىٰ أَئْتِرِهِمْ مُقْتَدُوْنَ ٢٠ قَالَ أَرْلُوْجِتُكُمْ يَاهْدِي مَمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَا مِنْهُمْ كَفِرُوْنَ ٢١ فَانْقَمَّا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كِيفَ كَانَ عَيْقَةُ الْمُكَدِّيْنَ ٢٢ وَإِذْ قَالَ إِنْرِهِمْ لِأَيْهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بِرَأْءِ مَمَّا تَعْبُدُوْنَ ٢٣ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِيْنَ ٢٤ وَجَعَلَهَا كِلْمَةً بَايِّقَةً فِي عَيْقَيْهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ٢٥﴾

ومعنى «جَعَلُوا» سموا ، ولم يصِرَّ الله بنات ؛ كقوله : «جَعَلُوا الْمُرْءَةَ عِصِينَ» (٢) وقوله : «أَشَهَدُوا لَهُمْ» تهكم لأن العلم إنما يكون بالصيورات أو بالنظريات ، وهذا ليس بوحد منهما فلم يبق إلا أن يكون مشاهدًا ، فتهكم بهم بقوله : «أَشَهَدُوا» . «سَتَكْبَبْ شَهَدَتْهُمْ» بما ذُكر من غير مستند ، وقد أضافوا إلى ما سبق عبادتهم الملائكة (١٢٥٠) ودعواهم أن ذلك وقع بمشيئة الله ، ولا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئة الله ؛ ولكن لا يجوز الاحتجاج على الله بمشيئة ؛ فالغلط وقع بالاحتجاج بالمشيئة لا بنفس المشيئة .

«يَخْرُصُوْنَ» يكذبون «أَمْ أَئْتَنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ» من قبل القرآن شهد بصحة ما قالوه . ثم ذكر استناد عقائدتهم إلى عقائد آبائهم بقوله : «بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُنْثَىٰ وَإِنَّا عَلَىٰ أَئْتِرِهِمْ مُهَتَّدُوْنَ» خبران ، أو الظرف صلة لـ " مهتدون " . «مُرْفُوْهَا » الذين أبطرتهم النعمة فلا يحبون إلا الشهوات . أي : أتبعون

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١٧٨ / ٢) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٩١) .

آباءكم ولو جئتم بأقوى وأرشد مما عليه آباؤكم ؟ قالوا : نحن لا ننفك عن دين آبائنا .  
**﴿بِرَأْيِهِ﴾** يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع والإفراد .

قوله : **﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِ﴾** يجوز أن يكون استثناء منقطعًا متصبًّا بذلك ، وأن يكون مجرورًا بدلاً من **﴿مَن﴾** ، وكانوا يعبدون الله مع أوثانهم ، وأن تكون **﴿إِلَّا﴾** بمعنى غير كقوله : **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا مُلْكٌ لِّلَّهِ إِلَّا اللَّهُ﴾**<sup>(١)</sup> بمعنى غير الله . قال في موضع : **﴿سَيِّدِينِ﴾**<sup>(٢)</sup> وقال ها هنا **﴿سَيِّدِينِ﴾** والجمع بينهما بأن يكون إبراهيم معترفًا بأن الله هداه وبأنه سيهديه من المستقبل . وجعل إبراهيم هذا الكلام من التوحيد **﴿كَلِمَةً﴾** أي : جملة مفيدة **﴿بِأَيْقَنَةً﴾** في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ؛ كقوله : **﴿وَوَصَّىٰ بِهَاٰ إِبْرَاهِيمَ بْنَهُ﴾**<sup>(٣)</sup> . وقيل : وجعلها الله .

**﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَإِبَاءَهُمْ حَقَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَاتَلُوا هَذَا سُحْرٌ وَلَنَا بِهِ كَفِرُونَ ۚ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ عَظِيمٌ ۖ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ مَنْ حَنَّ قَسْمَنَا بِيَنْهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهِمْ دَرَجَاتٍ لِّتَسْتَخِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُحْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمِعُونَ ۚ ۚ﴾**

**﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾** متعتهم بالمال والغنى فلم يقوموا بما قرره إبراهيم من التوحيد فكذبوا الرسول به . **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ قَاتَلُوا هَذَا سُحْرٌ وَلَنَا بِهِ كَفِرُونَ﴾** القریتان : مكة والطائف . وقيل : **﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ﴾** هما : الوليد بن المغيرة ، وحبيب بن عمير الثقفي . وعن ابن عباس ومجاهد : هما عتبة بن ربيعة وكنانة ابن عبد ياليل <sup>(٤)</sup> وكان عتبة يقول : لو كان ما يقول محمد حقًا لكنت أنا أحق بالنبوة منه ، أو ابن مسعود الثقفي . وعظموا الرجلين لما هما وجاههما ، ولم يعلموا أن العظيم من عظمه الله ، وتحكموا في تعيين أحد هذين الرجلين

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٢٢) .

(٢) وهو قوله - تعالى - : **﴿إِلَّىٰ خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِ﴾** سورة الشعرا ، الآية (٧٨) .

(٣) سورة القمر ، الآية (١٣٢) .

(٤) رواه الطبرى في تفسيره (٦٥/٢٥) ، قال الطبرى في تفسيره (٦٦/٢٥) : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبراً عن هؤلاء المشركين **﴿وَقَاتَلُوا لَنَا بِرَبِّنَا هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنَ عَظِيمٌ﴾** إذ كان جائزًا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا بهم في كتابه ولا على لسان رسوله ﷺ والاختلاف فيه موجود على ما بينت ."

## تفسير سورة الزخرف

للنبوة . ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ﴾ الهمزة للإنكار ؛ أي : وإذا كانت الأرزاق والمعايش قد تولينا قسمتها ولم نفوتها إلى أحد ؛ فما ظنك بالنبوة التي (٢٥٠/ب) هي سفاره بين الله وبين خلقه ؛ فالله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ؟

ليسحّر الغنيُّ من الفقر ، ويُسحرُ الغنيُّ الفقير بفضل ذات يده . ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿خَيْرٌ مَمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا . وقيل : ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ في الدنيا بالهدایة ﴿خَيْرٌ مَمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل اشتتمال بإعادة العامل ، ويجوز اللامان ؛ كما في قولك : وهبت له ثواباً لقميصه .

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ <sup>(٢٢)</sup> ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَنْوَابًا وَسُورًا عَلَيْهَا يَشَكُورُونَ﴾ <sup>(٢٣)</sup> ﴿وَرُخْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَاتَنُّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَقِينَ﴾ <sup>(٢٤)</sup> ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَقَدِّصَ لَهُ شَيْطَنًا فَهُوَ لَهُ فَرِينٌ﴾ <sup>(٢٥)</sup> ﴿وَلِهِمْ لِصَدُوقَهُمْ عَنِ السَّيِّلِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ <sup>(٢٦)</sup> حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَنْلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرِقِينَ فَيُنَسِّ الْقَرِينُ﴾ <sup>(٢٧)</sup>

المعارج : جمع معراج ، أو اسم جمع ، وهي المصاعد ؛ أي : العلالى . ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون ؛ قال الله : ﴿فَمَا أَسْطَلْنَا عَوْنَانِ يَظْهَرُوهُ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿لَمَّا مَاتَنُّ﴾ اللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقلة . وقرئ بكسر اللام <sup>(٢)</sup> أي : الذي هو متاع الحياة الدنيا ؛ كقوله : ﴿مَا بِعُوْصَهَ﴾ <sup>(٣)</sup> بزيادة " ما " .

﴿وَلَوْلَا﴾ كراهة ﴿أَنْ يَكُونَ النَّاسُ﴾ كلهم على ملة واحدة ، وهي الكفر ، لوسعنا على الكفرة أكثر مما وسعنا ؛ لحقارة أمر الدنيا عنده . ﴿وَرُخْرُقًا﴾ أي : زينة ، والزخرف : الذهب ، ويريد : وسقاها من فضة وذهب ، وخفض عطفاً على محل ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ . وفي

(١) سورة الكهف ، الآية (٩٧).

(٢) قرأ بها رجاء بن حبيبة . وقرأ عاصم وحزة وهشام يختلف عنده وابن جهاز " لما " . وقرأ بقية العشرة " لما " بفتح اللام . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (١٥/٨) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٢١) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٤٩) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٩٧/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٦) ، الكشاف للزغشري (٤٨٧/٣) ، النشر لابن الجزري (٢٩١/٢) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٦) .

ال الحديث : " لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء " <sup>(١)</sup>.  
 تقول : عُشَيْ فلان : إذا أصاب بصره آفة ، فأما إذا نظر نظرة العَسَى من غير آفة قيل :  
 عَشَى يعشوا ، ونظيره عرج ؛ إذا أصابته آفة ، وعرج - بفتح الراء - : إذا مشى مشي  
 الأعرج ، وقال حاتم الطائي [ من الكامل ] :

أَعْشُو إِذَا مَا جَارَتِي الْخِلْدُرُ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِلْدُرُ<sup>(٢)</sup>

و القرئ : " يعش " بفتح الشين و **«يعش»** بضمها <sup>(٣)</sup> على أن **«من»** موصولة ، و معنى القراءة بالفتح : ومن يعم **«عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ»** وهو القرآن . وأما قراءة الضم فمعناها : ومن يتعمّم عن ذكره . **«نَفَضَ لَهُ شَيْطَنًا»** نيسره . و القرئ " جاءانا " <sup>(٤)</sup> على أن الفعل له وللشيطان . **«بَعْدَ الْسَّرْقَيْنِ»** يريده : المشرق والمغرب ؛ فغلب كالعمران والقمرین ، والأصل بعد المشرق من المغرب ، وأراد : بعد ما بينهما . **«أَنْكُرُ»** في محل رفع على الفاعلية ؛ أي : ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب فالمعذب ، إذا وجد آخر مثله يتسلّى به ويستأنس . وقد حرم الله على أهل النار لذة التأسي ، وقد قال التنساء <sup>(٥)</sup> [ من الوافر ] :  
**وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي**      **عَلَى إِخْرَانِهِمْ لَقَاتَلْتُ نَفْسِي**  
**وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِن**      **أَعْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالْتَّأْسِي** <sup>(٥)</sup>

(١) رواه الترمذى رقم (٢٣٢٠) ، وابن ماجة رقم (٤١١٠) ، والحاكم في المستدرك (٣٠٦/٤) ، وصححه الترمذى ، والشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم (٦٨٦) .

(٢) ينظر البيت فى : الاستذكار لابن عبد البر (٣٦٧/٨) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤) ، تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعى (١١/٣٧٤) الدر المصنون للسمين الحلبي (٩٨/٦) ، الكشاف للزنخشى (٤/٢٥١) ويروى بدل " أعشوا " فى الاستذكار : أعمى ، وفي تاريخ دمشق : أغضى . ورواية الكشاف " أعشوا " كما هنا .

(٣) قرأ جهور القراء " يعش " وقرأ ابن عباس وعكرمة " يعش " . تنظر القراءات فى : البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٦) ، تفسير القرطى (٨٨/١٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٩٨/٦) ، الكشاف للزنخشى (٤/٢٥٠) ، معاني القرآن للفراء (٣٢/٣) .

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ، وقرأ بقية العشرة " جاءنا " .  
 تنظر القراءات فى : البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٥٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٦) ، الكشاف للزنخشى (٣٦٩/٢) ، النشر لابن الجزري (٤٨٨/٣) .

(٥) تنظر الأبيات فى : الإصابة فى تغییر الصحابة للحافظ ابن حجر (٧/٦١٦) فى ترجمة التنساء ، البحر =

ولك أن تجعل الفاعل التمني ؛ أي : ولن ينفعكم اليوم التمني ، وهو قوله : «**بَيْتَنَّا وَبَيْتَكَ بَعْدَ الْمُسْرِقَيْنَ**» .

«**وَلَن ينفعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمُ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**» **(٢٩)** **أَفَأَنْتَ نُشِيعُ الصَّمَاءَ أَوْ**  
**تَهْدِي الْعُمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ** **(٣٠)** **فَإِنَّا نَذَهَبُ إِلَيْكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُّنْتَقِمُونَ** **(٣١)** **أَوْ**  
**نُرِبِّكَ الَّذِي وَعَدْتُمُوهُمْ مُّقْبَلِرُونَ** **(٣٢)** **فَأَسْتَمِسِكُ بِالَّذِي أُوحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ**  
**مُّسْقَطِيرٍ** **(٣٣)** **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ شَتَّلُونَ** **(٣٤)** **وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**  
**أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الْرَّحْمَنِ إِلَيْهِ يَعْبُدُونَ** **(٣٥)** **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِيَعْنَائِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِيهِ**  
**فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** **(٣٦)** **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِيَعْنَائِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَّكُونَ** »

وقوله : «**أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**» تعليل لامتناع الانتفاع بالتمني . ومعنى قوله : «إذ ظَلَمْتُمُوهُمْ» إذا صاح ظلمكم ، و«إذ» بدل من «اليوم» ، ومنه قول الشاعر [من الطويل] :

إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة<sup>(١)</sup>

أي : تبين أني ولد كريمة .

«**أَفَأَنْتَ نُشِيعُ الصَّمَاءَ**» أي : لا يقدر على إسماعهم إلا الله وحده . «ما» في قوله : «**فَإِنَّا نَذَهَبُ إِلَيْكَ**» بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت النون المؤكدة معها ، فـإما بقبضك إلينا قبل أن ترى فيهم ما يسرك ؛ فتحن نتول عقوبهم في الآخرة ، وإن عوقبوا في الدنيا ، وعلمت بذلك سُرِّيَ عنك بعض الغم .

«**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ**» أي : لشرف . «**وَسَوْفَ شَتَّلُونَ**» عن القيام بمحنة . «**وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا**» قيل : انظر في أديانهم وما جاء فيها من الاعتقادات ، هل فيها شيء من أغاليطهم .

وقيل : إن رسول الله ﷺ جمع له الأنبياء ليلة المعراج ، فأمهم . وقيل له : أسأل ، فقال : «إني لم أشك ، فلم يسأل<sup>(٢)</sup>». وقيل : أسأل أمم من أرسلنا. «إذا هُمْ مِنْهَا يَصْحَّكُونَ» يسخرون ويستهزئون .

= المحيط لأبي حيان (٨/١٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٩٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٥٣) .

(١) صدر بيت لزائد بن صعصعة ، وعجزه : ولم تجدي من أن تقرئي به بدا .

ينظر في : تفسير الطبرى (١/٣٢٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٠٠) ، الكشاف للزمخشري

(٤٠/٣) ، معانى القرآن للفراء (١/٦١) ، المغني لابن هشام (١/٢٥) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٧٢٦) ونسبة لابن المنذر .

فإن قلت : كيف يجوز أن يحاب " لما " بـ " إذا " ؟

قلت : إذا للمفاجأة ، والمعنى أنهم بادروا بالاستهزاء قبل التثبت .

﴿وَمَا نُرِيهِ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتَهَا وَأَخْذَنَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾٤٨  
وَقَالُوا يَتَأْلِمُ الْسَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهَتَّدُونَ ﴾٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا  
هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنٌ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ الْيَسَرُ لِي مُلْكُ مَصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تَبْصِرُونَ ﴾٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبْيَسُ ﴾٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى  
عَلَيْهِ أَسْوَرَةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاهَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾٥٣﴾

ومعنى ﴿وَمَا نُرِيهِ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتَهَا﴾ أي : إلا وهي أكبر مما يقرن بها ، فلا يعارض قوله : هي أكبر من أختها التي فضلت عليها ؛ لأن المقصود وصفها بالكبر والعظم ، فلا تعارض إذن . وربما اختلفت آراء الناس في التفضيل ؛ فبعضهم يرجح هذا وبعضهم يرجح ذاك ، وهذا فاضل الأئمّة بين أولادها لما سئلت عن أفضليهم ، فقالت : هم كالخلقة ، لا يدرى أين طرفاها<sup>(١)</sup> .

لفظ ﴿السَّاحِرُ﴾ حمل على ظاهره ، وكانوا كاذبين في قوله : ﴿إِنَّا لَمُهَتَّدُونَ﴾ ناوين للخلف ؛ لقوله : ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ . وقيل : إن الساحر كان اسمًا للعالم الفاضل ، وكان السحر أبهة ؛ فعظمه في زعمهم بقولهم : ﴿يَتَأْلِمُ السَّاحِرُ﴾ . ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ بما أعلمك أن دعوتك مستجابة ، أو بعده عنك وهو النبوة ، أو عهد عنك فوفيت ، أو : هو الإيمان وشرائعه ، أو : ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ أن من تاب (٢٥١/ب) عن المعصية فقد اهتدى . ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنٌ﴾ أمر بالنداء في مجالسهم ومجتمعهم ، ويجوز أن يكون عنده عظام القبط فرفع فرعون صوته بهذا النداء يشبه النداء . قيل : كانت تجري تحت قصره أو تحت سريره ، أو : تجري بأمره حيث يأمر بكسرها ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة الأنهر على ﴿مُلْكُ مَصْرَ﴾ و﴿تَجْرِي﴾ نصب على الحال منها ، وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ ، و(الأنهار) صفة لاسم الإشارة ، و﴿تَجْرِي﴾ خبر للمبتدأ .

" أَم " في قوله : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ للاستفهام ؛ لأن المعنى : أتبصرون أم لا تبصرون ؟ فقد

(١) ذكره الرمخشي في الكشاف (٤/٢٥٦) ، والباركتوري في تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى (٨) ، والمناوي في فيض القدير (٢/١٨٥) والمعنى : الكمال ، فلا يفضل طرف على آخر .

أقام بصرهم مقامه أن فيه الخير موجوداً عنده ، ويجوز أن تكون منقطعة والهمزة للتقرير ﴿مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مِنْهُ﴾ يشير إلى موسى ﴿وَلَا يَكُادُ يُؤْمِنُ﴾ لا ي Finch عما يريد العبارة عنه للعقدة التي كانت في لسانه ، واختلف العلماء فيها ؛ فقال قوم : إنها زالت لقوله تعالى : ﴿وَأَخْلَلْ عُقْدَةَ كَيْنَ لَسَانِي يَفْعَهُ وَأَقْوِلُ﴾<sup>(١)</sup> ثم قال : ﴿فَالَّذِي قَدْ أُوتِيتَ شَوْلَكَ يَنْهَا مَوْسَى﴾<sup>(٢)</sup> وقال قوم : إنها ذهب أكثرها وبقي باقيها ؛ وهذا قال موسى : ﴿وَأَيْنِي هَذِرُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾<sup>(٣)</sup> فلم يصف نفسه باللکنة ، بل وصف أخيه بالفصاحة .

﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾<sup>(٤)</sup> أي : هلا سلمت المملكة إليه ، أو : هلا جاء معه الملائكة مقتربين به عند قドومه .

﴿فَأَسْتَخَفَ قَوْمًا، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَنَسِيقُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلآخَرِينَ ﴿٥٨﴾

(١) سورة طه ، الآية (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) سورة طه ، الآية (٣٦) .

(٣) هذه قراءة عامة القراء "أساوره" بالجمع إلا حفص عن عاصم فقرأ "أسورة" بالإفراد . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٨/٢٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٠٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، الكشاف للزمخشري (٤/٤٥٨)، قال الطبرى في تفسيره : "أولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قراءة الأمصار وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى . واختلف أهل العربية في واحد الأسوار والأسوره ؛ فقال بعض خوبي البصرة : الأسوره : جمع إسوار ، والأسورة : جمع الأسورة ، وقالوا : من قرأ ذلك أسورة فإنه أراد إسوار ، والله أعلم ، فجعل الماء عوضاً من الياء مثل الزنادقة صارت الماء فيها عوضاً من الياء التي في زناديق . وقال بعض خوبي الكوفة : من قرأ أسورة جعل واحدها إسوار ، ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار ، وقالوا : قد تكون الأسورة جمع أسورة كما يقال في جمع الأسقية الأسقى ، وفي جمع الأكوع الأكارع . وقال آخر منهم : قد قيل في سوار اليد يجوز فيه إسوار وإسوار ، قال : فيجوز على هذه اللغة أن يكون أسورة جمعه . وحكى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : واحد الأسورة إسوار ، قال : وتصديقه في قراءة أبي بن كعب : "فلولا التي عليه أسورة من ذهب" فإن كان ما حكى من الرواية من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار فلا مسوقة في جمه أسورة . ولست أعلم بذلك صحیحاً عن العرب برواية عنها وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار الرجل الحاذق بالرمي من رجال العجم ، وأما الذي يليس في اليد فإن المعروف من اسمائه عندهم سوارا ، فإذا كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بالأسوره أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك " .

(٤) سورة القصص ، الآية (٣٤) .

﴿فَأَسْتَحْفَ قَوْمًا﴾ حملهم على الخفة والطيش . ﴿ءَاسْفُونَا﴾ أغضبوا .

﴿سَلَفًا﴾ يحدث بحديثهم بعدهم ويهدد بأنه من عصى الله حقيق بأن يقع به مثل العذاب . ولما نزل ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾<sup>(١)</sup> قال ابن الزبيري : اليوم أخصم محمداً إن خصمه يوماً من الدهر ، فجاء إلى النبي ﷺ ومعه جماعة ؛ فقال : إنك تزعم أنه أنزل عليك ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أليس قد عبد المسيح عيسى بن مريم ؟ أليس قد عبد العزيز ، وعبدت الملائكة ؟ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن تكون لهتنا معهم ! فسكت النبي ﷺ وصفق المشركون وفرحوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْتَ الْحُسْنَةِ﴾<sup>(٢)</sup> أو من هؤلاء العبودين ﴿أُولَئِكَ عَنَّا﴾ عن النار ﴿مُبَعَّدُونَ﴾

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ أَبْنَى مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصْدُونَ﴾<sup>(٥٧)</sup> ﴿وَقَالُوا مَا لَهُمْ نَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبَ لَكَ إِلَاجْدَلًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ حَاصِمُونَ﴾<sup>(٥٨)</sup>

والمعنى : ولما ضرب عبد الله بن الزبيري عيسى بن مريم مثلاً جادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِنْهُ يَصْدُونَ﴾ ير Fulton أصواتهم ، ومنه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءَ وَتَصْدِيَةَ﴾<sup>(٣)</sup> (٢٥٢/١) ومن قرأ " يصدون " <sup>(٤)</sup> فهو من الصدود . ﴿مَا ضَرَبَ لَكَ﴾ مثلاً ﴿إِلَاجْدَلًا﴾ مغالبة للحق بالباطل لا تميذه .

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١٠١) وال الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٣/١٢) ونسبة له الميثمي في مجمع الزوائد (٧٢/٧) ، وذكره الميثمي أيضاً في مجمع الزوائد (٧/١٠٧) ونسبة لأحمد والطبراني ، وقال : وفيه عاصم بن بهذلة ؛ وثقة أحمد وغيره وهو سبع الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح . ورواه الواهidi في أسباب التزول (ص: ٣١٤) رقم (٦٦٦) و (ص: ٣٩١) رقم (٧٤٠) وذكره السيوطي في الدر المختار (٤/٦٠٧) ونسبة للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والحاكم .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٥) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف " يصدون " وقرأ بقية العشرة " يتصدون " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢٥) ، الحجة لابن حاليه (ص: ٣٢٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٥٢) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/١٠٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٦٠) ، النشر لابن المجزري (٢/٣٦٩) .

﴿خَصِمُونَ﴾ شداد الخصومة ؛ كقوله : ﴿وَتُنذَرَ بِهِ فَوَمَالَهُ﴾<sup>(١)</sup>

لما رأى ابن الزبعرى لفظاً محتملاً للعموم مع علمه بأن المراد الأصنام ، والظاهر أن لفظة (ما) لغير العقلاء ؛ فتدخل فيه الأصنام .

وقيل : إنهم لما قالوا لما نزل قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثْلِ إِادَمَ﴾<sup>(٢)</sup> قالوا : نحن خير من النصارى ؛ إنهم عبدوا آدميا ، ونحن عبدنا الملائكة ؛ فنزلت<sup>(٣)</sup> .

وقوله : ﴿إِلَهُتُنَا خَيْرٌ أَمْ﴾ هذا تفضيل لآهتهم على عيسى ، ويجوز أن يكون " جدلا " حال ؛ أي : جدلين . وقيل : قالت قريش : إن محمدا يريد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى وهو بشر . وقوله : ﴿أَمْ هُوَ﴾ يعنيون محمدا<sup>عليه السلام</sup> ومقارنة النبي بآهتهم تنقيص من جانب النبي<sup>عليه السلام</sup> .

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَنَّا لَتِئِقَ إِسْرَئِيلَ ٥٩﴾  
 وَلَوْ نَشَاءْ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَكِيَّةً  
 فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ٦٠﴾  
 وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِسَاعَةٍ فَلَا تَمْرُكْ يَهَا وَأَشِيعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١﴾  
 وَلَا  
 يَصِدَّنُكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ دُعُودٌ مُّنِينٌ ٦٢﴾  
 وَلَمَّا جَاءَهُ عِيسَىٰ بِالْبَيْتِ قَالَ قَدْ جِئْشَكُمْ بِالْحُكْمَةِ  
 وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلُقُونَ فِيهِ فَلَقَوْا اللَّهَ هُوَ رَبِّ وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُهُ هَذَا  
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٣﴾  
 فَأَخْتَافَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَسِيرِ  
 ٦٤﴾  
 هَلْ يَنْتَظِرُوكُمْ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦٥﴾  
 ٦٦﴾

﴿إِنْ هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة وخلقناه من غير أب ، وصيриناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ، ولو نشاء لفعلنا كل عجيب . ﴿مَلَكِيَّةً﴾ يخالفونكم في الأرض ؛ كما تختلفونكم الأولاد .

﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن عيسى ﴿لَعْلَمٌ لِسَاعَةٍ﴾ أي : هو شرط من أشروط الساعة ، وعلامة من علاماتها ، وسمى الشرط علمًا لحصول العلم به ، وقرأ ابن عباس بفتح اللام<sup>(٤)</sup> أي :

(١) سورة مریم ، الآية (٩٧) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٠) .

(٤) وقرأ بها أيضا أبو هريرة وأبو مالك الغفارى وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وزيد بن علي .

تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٢٦/٨) ، تفسير القرطبي (١٦٥) ، الدر المصنون =

علامة . وفي الحديث : " يتزل عيسى على عقبة من الشام يقال لها: أفيق . ويبيده حرية يقتل بها الدجال ، ويقتل الخنزير ، وتهلك في أيامه الملل ، ولا يبقى إلا الإسلام " <sup>(١)</sup> .

ويقال : «وَإِنَّهُ» وإن القرآن لعلم للساعة يعرف بها . «فَلَا تَمْرُرُكَ» فلا تشكك  
«وَأَتَيْعُونَ» أي : هدای أو شرعی أو رسولی . ويقال : هذا أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله .  
«بِالْأَبْيَنَتِ» بالمعجزات ، أو بآيات الإنجيل . «بِالْحِكْمَةِ» بالإنجيل والشرع . فإن قيل : لم  
اقتصر على تبيين بعض الذين اختلفوا فيه ؟ قلنا : يريد به أمر الديانات ، ولا يتعرض لما لا  
ضرورة إليه من أمور الدنيا . «الْأَحْزَابُ» الفرق المتشذبة بعد عيسى .

وقيل : اليهود والنصارى . **«وَقَاتَلُوا إِلَيْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا»** وعبد للأحزاب ، والضمير في **«مِنْ يَتَبَعُونَهُمْ»** يرجع إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله : **«فَدَعَهُنَّا كُلُّ مُحْسِنٍ بِالْحِكْمَةِ»** . **«أَنَّ أَنَّا نَهْمَمُ بِنَفْسَهُمْ بَعْدَهُمْ»** بدل من **«السَّاعَةَ»** .

وقوله : **«وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ»** يعطى أمراً زائداً على قوله : **«بَغْتَةً»** لأن قوله : **«وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ»** يظهر في معايشهم وجدهم في الدنيا ، و**«بَغْتَةً»** بغير موعد ، ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطعون ليسوا في (٢٥٢/ب) خصم .

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِمْ بَعْضُهُمْ لِيَقْضِي عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾  
﴿أَنَّمَّا تَحْزَنُونَ أَلَّذِينَ مَآمُوا بِإِيمَانِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾  
﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَسْرَهُ وَأَرْوَحُكُوكُ  
تُحَبُُّونَ﴾  
﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَنَّهُ يَهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ  
الْأَعْيُوبُ وَأَنْسُرُ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾  
﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثُتُمُوهَا إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾  
﴿لَكُمْ فِيهَا فِكْهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُونُ﴾  
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمِ خَلِيلُونَ﴾  
﴿لَا يُفَرَّغُ عَنْهُمْ وَهُمْ  
فِيهِ مُبِيسُونَ﴾  
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنَّ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾  
﴿وَنَادَوْا يَمِيلَكُ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رِبَّكَ قَالَ إِنَّكُمْ  
مَنْكُونُ﴾  
﴿لَقَدْ حِشْتَكُمْ بِالْمُقْتَدِي وَلَكِنَّ أَكْرَكُمْ لِلْحَقِّ كَدْهُونَ﴾  
﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَا مُبِيمُونَ﴾  
﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَجَهْوَنَّهُمْ بَلَى وَرَسَّلْنَا لَدِيهِمْ يَكْنَبُونَ﴾

= للسمين الحلبي (١٠٦/٦) ، فتح القدير (٤/٥٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٩٤) ، معاني القرآن للفاء (٣/٣٧) ، مفاتحة الغب للرازي ، (٢٧/٢٢٢) .

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٢٢)، وروى مسلم رقم (١٥٥)، وأحمد في المستند (٢٤٠ / ٢)، وروى الترمذى رقم (٢٢٣٣)، وابن ماجة رقم (٤٠٧٨)، وأبى حبان رقم (٦٨١٨).

﴿يَوْمَئِم﴾ منصوب بـ "عدو" فتنقطع في ذلك اليوم كل خلة لا يراد بها وجه الله ، وأما الخلة في الله فهي باقية يظهر أثر خيرها في الآخرة . وقيل : ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اجتبوا أخلاقاً السوء . وقيل : نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط<sup>(١)</sup> .

وينادي المتقون المتحابون في الله : ﴿يَعْبَادُونَ﴾ . و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ محله نصب ؛ صفة لـ ﴿عَدِيَ﴾ فإنهم صدقوا بالأيات وكانوا مخلصين . وقيل : إذا نادى المنادي : ﴿يَعْبَادُونَ﴾ طمع فيها كل أحد ؛ فإذا قال : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ينس منها الكفار .

﴿تُحَمِّرُونَ﴾ تسرعون سروراً يظهر أثره على وجوهكم ؛ كقوله : ﴿تَقْرُفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضَرَةً أَلْتَعَيْمَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال الزجاج<sup>(٣)</sup> : ﴿تُحَمِّرُونَ﴾ تكرمون إكرااماً يبالغ فيه ، والخبرة : المبالغة في كل ما وصف بجميل .

والكوب : الكوز لا عروة له ، وفيها الضمير للجنة . ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ، و﴿الْجَنَّةَ﴾ خبر ، و﴿الَّتِي أُرِثْتُمُوهَا﴾ صفة للجنة ، أو ﴿الْجَنَّةَ﴾ صفة لقوله : ﴿وَتِلْكَ﴾ و﴿الَّتِي أُرِثْتُمُوهَا﴾ خبر . والباء في قوله : ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ إما تعليل لإيراث الجنة أو يتعلق بمحذوف ؛ كالظروف التي تقع أخباراً ، وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقى على أهله .

﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ للتبعيض ، أي : لا يأكلون إلا بعضها . ﴿لَا يَنْفَرِ﴾ لا يخفف ؛ والمblas : البائس الساكت سكت يأس . وقيل : يجعل الكافر في تابوت من نار ، ويملا ناراً ويردم عليه ، فلا يرى ولا يُرى . ﴿وَهُمْ﴾ فصل أو عماد . وقيل لابن عباس : إن ابن مسعود يقرأ: يا مال ؛ فقال : ما أشغل أهل النار عن الترحيم<sup>(٤)</sup> . ﴿لِيَقْعِنَ عَلَيْنَا﴾ من قضى عليه إذا مات ، والمعنى سل ربك أن يميتنا . والآخرة فيها مواقف ؛ فتارة يليسون ويسألون ، وتارة ينادون مالكا ؛ فلا تعارض . ﴿أَمْ﴾ أبرم مشركو مكة ﴿أَمْ﴾ ي Kiddonak به ؛ كما جرى في دار الندوة . ﴿فَإِنَّا مِمِّوْنَ﴾ كيدنا كما أبromoوا كيدهم . ﴿وَرَسَلْنَا لَهُمْ﴾ يعني الحفظة . وعن يحيى ابن معاذ<sup>(٥)</sup> : " من أخفى عن الناس ذنبه وأبداهما لمن لا تخفي عليه خافية فقد جعله الله

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٦٣).

(٢) سورة المطففين ، الآية (٢٤).

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤١٩).

(٤) ذكره الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/٢٥٥) وقال : غريب .

(٥) هو يحيى بن معاذ الرازي من الزهاد المتهجدون والعباد الصالحين ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة =

أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق <sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ ﴾٨١ ﴿سَبَحَنَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُونَ ﴾٨٢ فَذَرْهُمْ يَخْوُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقَوُا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾٨٣ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾٨٤ وَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بِنَهَمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَمَعُونَ ﴾٨٥ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ السَّفَعَةُ إِلَامَ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾٨٦ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُوَفِّكُونَ ﴾٨٧﴾

﴿إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ﴾ إن ثبت ذلك **﴿فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ﴾** أول من يعظم ذلك الولد؛ وهذا كلام أورد على سبيل الفرض والتمثيل ، والغرض المبالغة في نفي الولد ، وأنه علق عبادة الولد بكونه ثابت الولادة ، وذلك ثبوت محال ؛ فالمعلق عليه محال مثله . وقيل : **﴿فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ﴾** الجاحدين لبنيته ذلك الولد . وقيل : **﴿إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ﴾** الآنفين من نسبة الولد إليه (٢/٢٥٣) . وقيل **﴿إِن﴾** نافية ، أي : ما كان للرحمه ولد ، ثم نزه ذاته الموصوفة بربوبية السماوات والأرض **﴿عَمَّا يَصْفُونَ﴾** من اتخاذ الولد .

﴿فَذَرْهُمْ يَخْوُضُوا﴾ في باطلهم **﴿وَيَلْعَبُوا﴾** في دنياهם ، قوله : **﴿فَذَرْهُمْ﴾** ليس إدئاً في الخوض واللعب ؛ بل هو إنكار بليغ ، وفي قوله : **﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾** هو قوله : هو حاتم في طبيع ؛ أي : هو المشهور بذلك . **﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾** آلهتهم التي يدعون أنها تشفع فيهم في الآخرة ؛ كقوله : **﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَنَّ﴾**<sup>(١)</sup> ولكن **﴿مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ﴾** وهو التوحيد وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة بصحبة ما شهد به ، وهو استثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلة ؛ لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة .

﴿وَقَيْلَهُ﴾ قرئت بالحركات الثلاث <sup>(٣)</sup> فالنصب :

= وكان حكيم زمانه ، روت عنه كتب التراجم الكثير من الحكم والمواعظ . توفي سنة ٢٥٨ هـ وله من الكتب كتاب المربيين . تنظر ترجمته في : حلية الأولياء لأبي نعيم (٥١/١٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/١٥)، الفهرست لابن النديم (١/٢٦٠)، وفيات الأعيان (٦/١٦٥).

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٦٥).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨).

(٣) قرأ بالرفع **“وقيله”** الأعرج وأبو قلابة والحسن ومجاحد . وقرأ بالنصب **“وقيله”** نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي . وقرأ بالخفض **“وقيله”** عاصم وحزة . تنظر القراءات في : الإماماء =

قال الأخفش<sup>(١)</sup>: هو معطوف على ﴿سَرَّهُمْ وَنَجَوَنَهُمْ﴾ . وعنـهـ : هو مصدر ؛ أيـ : وقال قـيلـهـ . وحملـهـ الزجاج<sup>(٢)</sup> علىـ موضعـ "الـسـاعـةـ"ـ أيـ : يـعـلـمـ السـاعـةـ ، وـيـعـلـمـ قـيلـهـ ؛ كماـ تـقـولـ : عـجـبـتـ مـنـ ضـرـبـ زـيـدـ وـعـمـراـ ، وـحـمـلـ الـجـرـ عـلـىـ لـفـظـ "الـسـاعـةـ"ـ بـتـقـدـيرـ حـذـفـ المـضـافـ وـالـذـيـ قـالـلـهـ لـيـسـ بـقـوـىـ فـيـ الـعـنـىـ مـعـ وـقـوـعـ الـفـصـلـ بـيـنـ الـمـعـطـوـفـ وـالـمـعـطـوـفـ عـلـيـهـ بـاـ لـاـ يـحـسـنـ اـعـتـرـاضـاـ ، وـأـجـودـ مـنـ هـذـاـ كـلـهـ أـنـ يـكـونـ النـصـبـ وـالـجـرـ عـلـىـ إـصـمـارـ حـرـفـ الـقـسـمـ . وـحـذـفـهـ ، وـالـرـفـعـ عـلـىـ قـوـهـ أـيـنـ اللـهـ . وـقـولـهـ : ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَرْقَبُونَ﴾ جـوابـ الـقـسـمـ :

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ فـأـعـرـضـ عـنـهـمـ وـأـيـاسـ مـنـ إـيمـانـهـمـ ، وـقـلـ لـهـ ﴿سَلَّمَ﴾ـ أيـ : نـسـلـمـ مـنـكـمـ وـمـتـارـكـةـ . ﴿فَسَوْقَ يَعْلَمُونَ﴾ وـعـيـدـ مـنـ اللـهـ وـتـسـلـيـةـ لـرـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ وـاهـاءـ فـيـ "ـ وـقـيلـهـ "ـ تـرـجـعـ إـلـىـ النـبـيـ ﷺـ أيـ : يـعـلـمـ قـولـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ فـيـ شـكـيـتـهـ مـنـهـمـ .

\* \* \*

= للعكبري (٢٢٩/٢) ، البحر المحيط لأبي حيان (٣٠/٨) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٢٣) ، الحجة لأبي علي (١٥٩/٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٠٩/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٩) ، الكشاف للزمخشري (٤٩٨/٣) ، معاني القرآن للفراء (٣٨/٣) .

(١) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف (٤/٢٦٨) وعبارته : وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على "أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونحوهم وقيله " .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٤٢١) .

## تفسير سورة الدخان [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿ حَمٌ ﴾ وَالْكَيْتَبِ الْبَيْنِ ﴿ ١ ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿ ٢ ﴾**

﴿ وَالْكَيْتَبِ ﴾ الواو فيه واو القسم إن جعلت ﴿ حَمٌ ﴾ تعديداً للحرروف ، أو اسمًا للسورة مرفوعاً على خبر الابتداء المدحوف ، وواو العطف إن كانت ﴿ حَمٌ ﴾ مقسماً بها .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ جواب القسم و﴿ وَالْكَيْتَبِ الْبَيْنِ ﴾ القرآن ، والليلة المباركة : ليلة القدر . وقيل : ليلة النصف من شعبان ، وله أسماء أربعة : الليلة المباركة ، وليلة البراءة ، وليلة الصك ، وليلة الرحمة . وقيل : بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة . وقيل في تسميتها ليلة البراءة وليلة الصك : إن البدار إذا استوفى خراجه (٢٥٣ / ب) من أهله كتب لهم البراءة ؛ كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة ، وقيل : هي مختصة بخمس خصال : تفريق كل أمر حكيم ، وفضيلة العبادة فيها ، ونزلول الرحمة ؛ قال عليه السلام : " إن الله يرحم من أمتني في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب " (١) .

**﴿ فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾**

وحصول المغفرة ؛ قال عليه السلام : " إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا المتشاجر أو مدمن حمر أو عاق الوالدين أو مصر على الزنا " (٢) وما أعطي فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة ؛ وذلك أنه سأله ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته ؛ فأعطي الثلث منها ، ثم سأله في الليلة الرابعة عشر فأعطي الثلثين ، ثم سأله في الليلة الخامسة عشر فأعطي الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير (٣) . ومن عادة الله أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة . والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة : ليلة القدر لقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ أَلَّا قَدْرٌ ﴾ (٤) ولطابقة قوله : ﴿ فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ لقوله : ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَهُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَادِنُونَ ﴾

(١) رواه الترمذى رقم (٧٣٩) ، وابن ماجه رقم (١٣٨٩) ، وأحد في المسند (٦/٢٣٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكره الزيلعى فى تخریج أحادیث الكشاف للزخشري (٣/٢٦٤) ونسبة للبيهقي فى شعب الإیمان بنحوه ، وقال الزيلعى : غريب بهذا اللفظ .

(٣) ذكره الزيلعى فى تخریج أحادیث الكشاف للزخشري (٣/٢٦٦) وقال : غريب .

(٤) سورة القدر ، الآية (١) .

رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿شَهْرٌ رَمَضَانٌ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾<sup>(٢)</sup> وليلة القدر في أكثر الأقوال في رمضان ومعنى إنزال القرآن في هذه الليلة أنه أمر بإنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ؛ فكان جبريل يتزله من بيت العزة على رسول الله ﷺ نحو ما مقصماً مفرقاً . فإن قلت : قوله : ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ﴾ ما موقع هاتين الجملتين ؟ قلت : بما جملتان مستأنفتان فسر بهما حواب القسم ، وإنزاله في هذه الليلة تفضيل لها ، والباركة : الكثيرة الخير ، ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ويكتب كل أمر محكم من أرزاق العباد وآجالهم . وقيل : يكتب ما يكون في كل سنة من اللوح المحفوظ فيدفع إلى ميكائيل أوراق الأرزاق ، وإلى جبريل أوراق الحروب والزلزال والصواعق والخسف ، وإلى كل ملك ما يعدق به وعن بعضهم : يعطى كل عامل بركة عمله ، فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وفي قلوبهم وده . ووصف الأمر بالحكيم مجاز ، وحقيقة الحكيم : الحاكم ، والحكيم ها هنا يعني : المحكم .

﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑥ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑦ رَبُّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُنْعِي، وَيُمْسِكُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ابْنَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ⑨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ ⑩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْفِي السَّمَاءَ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ⑪﴾

﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ نصب على الاختصاص ، وفيه زيادة تعظيم لهذا الأمر . ويجوز أن يراد به الأمر الذي في مقابلة النهي ، ويكون حالاً من أحد الضميرين في "أنزلناه" إما من الفاعل ؛ أي : أنزلناه أمراً ، أو من المفعول ؛ أي : أنزلناه مأموراً به ويجوز أن يكون تعليلاً - "يفرق" وقوله : ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ أو ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ، ووصف الرحمة (١/٢٥٤) بالإرسال موجود في قوله : ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ عوض قوله ﴿مَنَّا﴾ فوضع الظاهر موضع المضرمر . قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يريد أن من شأننا إرسال الرسل ؛ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ يَنْعَثُ رَسُولًا﴾<sup>(٤)</sup> ورد قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بقوله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ يَلْعَبُونَ﴾ . ﴿يَوْمَ﴾

(١) سورة القدر ، الآية (٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (٢) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (١٥) .

مفعول به وليس بظرف ؛ لأن اليوم مرتفع ، وليس بمرتفع فيه . واحتل في الدخان ؛ فقيل : هو دخان يأتي قبل يوم القيمة يدخل في مسام الكفار حتى تكون رأس كل كافر كرأس الحنيذ<sup>(١)</sup> ، ويعتري المؤمن منه مثل الزكام ، وتكون الأرض كبيت أودي فيه ، وليس فيه مكان يخرج الدخان منه . وعن النبي ﷺ : " أول الآيات الدخان ، ونار تخرج من قعر عدن أين تسوق الناس إلى المشرب . قال حذيفة : يا رسول الله ، ما الدخان ؟ فتلا الآية وقال : يملا ما بين المشرق والمغارب ويكت أربعين يوماً وليلة " <sup>(٢)</sup> . وقيل : هو دخان يأتي يوم القيمة فبلغ ابن مسعود فقال : " من علم شيئاً فليقل ، ومن لم يعلم شيئاً فليقل : الله أعلم " . إن قريشاً امتنعوا من طاعة رسول الله ﷺ فدعا عليهم النبي ﷺ بستين كسيفي يوسف فتحطوا حتى أكلوا الجيف ، وكان الرجل منهم يحدثك فتسمع صوته ولا ترى شخصه من كثرة الدخان <sup>(٣)</sup> . وعن ابن مسعود : " خمس قد مضين : الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطasha ، واللزام " <sup>(٤)</sup> .

**﴿يَغْشَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾** <sup>(١)</sup> **﴿رَبَّنَا أَكْشَفَ عَنَّا الْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿أَنَّ لَهُمُ الْذَّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مَّبِينٌ ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿ثُمَّ تَوَلَّوْهُ عَنْهُ وَقَالُوا مَعْلُومٌ بَجُنُونُونَ ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَابِدُونَ ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكَبْرَى إِنَّا مُنْقَمُونَ ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمٌ فَرَعَوْنَ وَجَاهَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿أَنَّ أَدْوَى إِلَى عِبَادَ اللَّهِ إِلَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿وَأَنَّ لَا تَعْلُوَ عَلَىَ اللَّهِ إِلَىٰ مَا تِيكُرُ سُلْطَانٌ مَّبِينٌ ﴾** <sup>(٩)</sup> **﴿وَلَئِنْ عَذَتْ بَرِيقٌ وَرَيْكُرُ أَنْ تَرْجُونَ ﴾** <sup>(١٠)</sup> **﴿وَإِنَّ لَرَ نَوْمًا لِي فَاعْرُلُونَ ﴾** <sup>(١١)</sup> **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَذِلَّةَ قَوْمٌ شَجَرُمُونَ ﴾** <sup>(١٢)</sup>

**﴿يَغْشَى النَّاسُ﴾** هو في محل جر صفة للدخان ، قوله: **هَذَا عَذَابٌ** **«هَذَا عَذَابٌ»** إلى قوله: **«مُؤْمِنُونَ** نصب بفعل مخدوف ، أي: يغشى الناس وهم يقولون . **«أَنَّ لَهُمُ الْذَّكْرَى**

(١) رواه الطبراني في تفسيره (١١٣/٢٥) ، عن ابن عمر رض . والمعنى: الشوي .

(٢) ذكره الزيلاعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمشي (٢٦٦/٣) ونسبه للطبراني .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٢٥) ، ومسلم رقم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود رض .

(٤) رواه الطبراني في تفسيره (١١٢/٢٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المثور (٦/٢٨٧) لابن جرير والطبراني .

وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود رض . **واللزام** : فسر بأنه يوم بدر ، وهو في اللغة :

الملازمة للشيء والدوم عليه ، وهو أيضا الفصل في القضية ، واللزام : الموت .

ينظر: لسان العرب (لز).

من أين يحصل لهم التذكرة **﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾** ما هو أشد وأقطع في وجوب الادکار من كشف الدخان وهو معجزات رسول الله ﷺ فلم يتذكروا ، و**﴿تَوَلَّا عَنْهُ وَقَالُوا مَعْلُومٌ﴾** أي : علمه عداس غلام لثقيف . **﴿إِنَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾** فبمجرد كشفه يرجعون إلى ما هم عليه ؛ **﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَكْتُنُونَ﴾**<sup>(١)</sup> فإن قيل : من جعل الدخان قبل يوم القيمة ؟ كيف يجتمع معه **﴿إِنَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾** ؟ قلنا : إذا جاء الدخان ضج المؤمنون والكافرون وسألوا (٤٢/٢) الله الرحمة والعفو فيكشف عنهم فيعودون لما كانوا عليه . **﴿الْبَطْشَةُ أَكْبَرَ﴾** هي يوم القيمة كقوله : **﴿فَإِذَا جَاءَتِ الظَّاهِمَةُ أَكْبَرَ﴾**<sup>(٢)</sup> وانتصب **﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾** بفعل دل عليه **﴿إِنَّا مُنَقْمُونَ﴾** **﴿فَنَّا﴾** بكثرة الأموال والأولاد **﴿فَوَمَ فِرْعَوْنَ وَجَاهَهُمْ رَسُولُهُ﴾** هو موسى **﴿أَنَّ أَدْوَى إِلَى عِبَادَ اللَّهِ﴾** لأن موسى جاء إلى فرعون بأن يرسل معهبني إسرائيل ولا يعذبهم ، فلم يطع لذلك . **﴿كَرِيمٌ﴾** على الله وعلى عباده المؤمنين ؛ أو : كريم في نفسه ؛ أي : شريف ؛ إن الله لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه . **﴿أَنَّ أَدْوَى﴾** هي المفسرة ؛ لأن إتيان الرسول في معنى القول ، أو : المخففة من الثقلة ؛ أي : بأن الشأن والحديث **﴿أَنَّ أَدْوَى إِلَى عِبَادَ اللَّهِ﴾** وهم بنو إسرائيل ، ويجوز أن يكون **﴿بَقِيَّ إِسْرَائِيلَ﴾** منادي ، والتقدير : أن أدوا إلى ، ويوقف عليه ، ويستفتح **﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾** من اتباع سبيلي وقبول دعوتي ، ثم عمل ذلك بكونه رسولًا أميناً . قوله : **﴿أَمِينٌ﴾** أي : اتمنه الله على وحيه ورسالته . **﴿لَا تَعْلَمُوا﴾** فيه الوجهان ، أي : لا تجترئوا على الله باستكباركم على نبيه . **﴿أَنَّ تَرْجُونَ﴾** قتلون . **﴿وَإِنَّ لَهُمْ مُؤْلِفَاتٍ لَنُوَزِّعُ﴾** أي : فليس بيني وبينكم اتصال وساهم حركم في الله **﴿فَذَعًا﴾** موسى **﴿رَبِّيَّهُ أَنَّ هَذِلَاءَ قَوْمٌ شَجَرُونَ﴾** قيل : كان من دعائه : **﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتَّانَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** الآيتين<sup>(٣)</sup> .

**﴿فَأَسْرِ عِبَادِي لَيَّلًا إِنَّكُمْ مُشَبِّعُونَ﴾**<sup>(٤)</sup> **﴿وَأَرْكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنُدٌ مُغْرَفُونَ﴾**<sup>(٥)</sup> **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاحِتٍ وَعَيْنَوْنِ﴾**<sup>(٦)</sup> **﴿وَرَرُوعٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ﴾**<sup>(٧)</sup> **﴿وَنَعْمَلُ كَانُوا فِيهَا فَدِكِهِنَّ﴾**<sup>(٨)</sup> **﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثَنَاهَا فَوْمًا إِخْرَيْنَ﴾**<sup>(٩)</sup> **﴿فَمَا بَكَّتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾**<sup>(١٠)</sup> **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا بَيْنِ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾**<sup>(١١)</sup> **﴿مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾**<sup>(١٢)</sup> **﴿وَلَقَدْ أَخْرَثْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى**

(١) سورة الزخرف ، الآية (٥٠) .

(٢) سورة النازعات ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٨٥) .

الْعَنَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّهُم مِّنَ الظَّاهِرَاتِ مَا فِيهِ بَلْتَوْا مُبِينٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هُؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٢٤﴾

﴿فَأَسْرِ﴾ أي : احملهم على السُّرُى معي فقد دبر الله هلاك فرعون بأن ينجو المتقدمون ويغرق الآخرون . الرهو : الساكن ؛ أي : يغرقهم البحر ثم يبقى ساكناً غير مضطرب . وقيل : الرهو : الفجوة الواسعة ، تقديره : اتركه على حاله غير مضطرب .

قوله : ﴿وَمَقَامُ كَبِيرٍ﴾ المنازل وال المجالس . وقيل : المنابر . والمعنى بالفتح : من التنعم ، وبالكسر : من الإنعام . ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب ، أي : مثل الإخراج أخر جناتهم منها ﴿وَأَرْزَقْنَاهُ﴾ أو في موضع الرفع تقديره : الأمر كذلك . ﴿قَوْمًا أَخَرَيْنَ﴾ هم بنو إسرائيل كانوا يستضعفون ، فأورثهم الله مشارق الأرض وغاربيها . كانوا إذا مات رجل كبير منهم قالوا : بكت عليه السماء والأرض ، وبكته الريح ، وأظلمت له الشمس ، وفي الحديث : " ما من مؤمن يموت في غربة غابت عنه فيها بوأكيه إلا بكت عليه السماء والأرض يبكي عليه (١) مصعد عمله في السماء وموضع سجوده في الأرض " (١) .

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب المهين ؛ فإن فرعون كان عذاباً مهيناً في نفسه لإفراطه في التعذيب ، ويجوز المعنى : من العذاب المهين واقعاً من جهة فرعون . ﴿لَأَنَّهُ كَانَ عَالِيًّا﴾ قوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) الضمير في ﴿أَخْرَقْنَاهُ﴾ لبني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عَلِيِّمَ﴾ مما بأهليتهم . ﴿وَإِنَّهُم مِّنَ الظَّاهِرَاتِ مَا فِيهِ بَلْتَوْا﴾ أي : امتحان ؛ لأن الله يبلو بالنعم كما يبلو بال المصائب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَلَا خَيْرٌ فِتْنَةً﴾ (٣) .

﴿إِنَّ هُؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش . فإن قيل : ما معنى : ﴿مَوْتَنَا الْأُولَئِ﴾ وكان النزاع في حياة ثانية وموته ثانية ؟ وما معنى ذكر الأولى في صفة الموتة ؛ لأنهم وعدوا موته أخرى فجحدوها ؟ قلنا : تقدير كلام المسلمين للكفار : إنكم تموتون هذه الموتة في الدنيا ، ثم يتبعها حياة فأنكروها وهو قوله ﴿وَكُنْتُمْ أَنْوَاتٍ فَأَخْيَرْنَاهُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُنَا لَكُمْ ثُمَّ يُخْبِيْنَا﴾ (٤)

(١) ذكره الزباعي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٢٦٨/٣) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان والطبراني .

(٢) سورة القصص ، الآية (٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٣٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨) .

كأنهم أجابوا : ليست هذه الموتة التي تعقبها حياة ، أي لا موت إلا الموتة التي متناها في الدنيا .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا أَلَّا وَلَنَّ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ ﴾٢٥﴿فَأَنْوَأْ يَابَائِنَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴾٢٦﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ شَيْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنْهُمْ كَلُّهُمْ كَاوِلُهُمْ مُجْرِمِنَ ﴾٢٧﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِيْنَ ﴾٢٨﴿مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٢٩﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾٣٠﴿يَوْمَ لَا يَقُولُ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنَصَّرُونَ ﴾٣١﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾٣٢﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّزْقُومَ ﴾٣٣﴾

﴿بِمُنْشِرِينَ﴾ بمعنى وثنين «وأنظر إلى العظام كييف تُنشرُها»<sup>(١)</sup> «أَمْ أَخْذَدُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِنَ هُمْ يُنَشِّرُونَ»<sup>(٢)</sup> أي : يحيون الموتى . «فَأَنْوَأْ يَابَائِنَ» من كلام الكفار للمؤمنين أي : قالوا : إن كنتم تدعون حياة أخرى فأحياءوا آباءنا «إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ». وقيل : كانوا يتلمسون أن يحيي الله قصي بن كلاب ليشاوروه ، وكان شيئاً كبيراً من أكبابهم ، وكان يستشار في معظم الأمور . «أَمْ قَوْمٌ شَيْعَ» هو تبع الحميري ، هو ملك .

قالت عائشة : " ذم الله قومه ولم يذمه ؛ حير الحيرة ، وبني سمرقند "<sup>(٣)</sup> . وقيل : كان إذا كتب كتب : باسم الذي ملك برأ وبحراً<sup>(٤)</sup> . وروي أنه عليه السلام قال : " لا تسبوا تبعاً ؛ فإنه كان قد أسلم "<sup>(٥)</sup> . فإن قيل : ما معنى قوله : «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ شَيْعَ» ولا خير في الفريقين ؟ ! قلنا : معناه : أهم خير في القوة والمنعة ؛ كقوله : بعد ذكر آل فرعون : «أَكْفَارٌ كُفَّارٌ مِنْ

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٩) وهذا على قراءة الراء ؛ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " نُشَرُهَا " ، وقرأ عاصم في رواية أبيان عنه " نَشَرُهَا " ، وقرأ الباقيون " نَشَرَهَا " بالزاي .

ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤/٣١٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي (١/٦٢٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٨٩) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢١) .

(٣) رواه الطبراني في تفسيره (٢٥/١٢٨) ، وذكره السيوطي في الدر المثور (٧/٤١٥) ، ونسبة للحاكم وصححه عن عائشة عليها السلام . وروي عن كعب عليه السلام أيضاً بنحوه .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المثور (٥/٧٥٠) ، ونسبة للحاكم وصححه .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/٣٤٠) ، والطبراني في الكبير (٦/٢٠٣) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٥/٧٤٩) لابن مردويه .

أُولَئِكُمْ<sup>(١)</sup> «وَمَا يَنْهَمَا» أي : بين الجانين «لَا يَعْنِي مَوْتٌ» أي مولى كان من قرابة في النسب أو غيرها . «وَلَا هُمْ يُصْرُوتُكُمْ» ينجون من العذاب . «مَنْ رَجَمَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>» في موضع رفع على البدل من الواو في «يُصْرُوتُكُمْ» ويحوز أن يكون منصوباً على الاستثناء . وروي أن أبا جهل أحضر زبداً وتمراً وقال للجماعة : كلوا ؛ فإن هذا الرزقون الذي يهدكم به محمد ؛ فنزلت «إِنَّ شَجَرَتَ الْرَّزْقُوْرِ طَعَامُ الْأَثَيْمِ»<sup>(٣)</sup> (٢٥٥/ ب).

«طَعَامُ الْأَثَيْمِ»<sup>(٤)</sup> كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبَطْوَنِ<sup>(٥)</sup> كَفَلِ الْحَمِيمِ<sup>(٦)</sup> خُدُوْهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ<sup>(٧)</sup> ثُمَّ صُبُّوا فَوقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ<sup>(٨)</sup> ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ<sup>(٩)</sup> إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُ بِهِ تَمَرَّنُونَ<sup>(١٠)</sup> إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ<sup>(١١)</sup> فِي جَنَّتٍ وَعُيُوبٍ<sup>(١٢)</sup> يَلْبَسُونَ مِنْ شَنْدِينَ وَإِسْتَبْرَقُ مُتَقَدِّلِينَ<sup>(١٣)</sup> كَذَلِكَ وَرَوَجَتْهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنِكَهَةٍ أَمِينِينَ<sup>(١٤)</sup> لَا يَدْعُوْرُكُمْ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى وَوَقَنَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ<sup>(١٥)</sup>»

وَ«الْأَثَيْمِ» الفاعل للإثم ، وعن أبي الدرداء : " أنه كان يقرئ رجلاً فكان يقول : طعام اليتيم ، فلما أكثر من ذلك قال له : قل : طعام الفاجر ".<sup>(١٦)</sup> «كَالْمُهَلِّ» هو دردي الزيت<sup>(١٧)</sup> . وقيل : هو ما أذيب من النحاس والفضة ، والكاف في قوله : «كَالْمُهَلِّ» خبر بعد خبر . يقال للزبانية : «خُدُوْهُ فَاعْتَلُوهُ» اجذبوه بقوته وهوان<sup>(١٨)</sup> إلى سَوَاءِ الْجَحِيمِ<sup>(١٩)</sup> أي : وسطها ، والمصبوب هو الحميم نفسه لا عذابه ، لكن إذا صب عليهم الحميم فقد صب عذابه ، وصب العذاب مستعار وصب الحميم حقيقة ؛ كقوله [ من البسيط ] :

..... صَبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ<sup>(٢٠)</sup>

(١) سورة القمر ، الآية (٤٣) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المشور (٥/ ٧٥٢) ونسبة لسعيد بن منصور .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المشور (٥/ ٧٥٢) ونسبة لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير الطبرى وابن المنذر والحاكم وصححه .

(٤) دردي الزيت وغيره : ما يبقى في أسفله ، والدردي : الخميره التي ترك على العصير والنيدلي تخمر ، وأصله ما يركد في أسفل كل مائع كالأشريه والأدهان . ينظر : لسان العرب (درد)

(٥) هنا عجز بيت وصدره : كم امرئ كان ذا خفض وذا دعة  
ينظر في الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٢) وللحترى بيت يشبهه :

وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتِ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا حُطِّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ

وك قوله : **﴿أَفَرَغْ عَيْنَنَا صَبَرًا﴾**<sup>(١)</sup> **﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْمَنْزُونُ﴾** في قومك **﴿الْكَرِيمُ﴾** على عشيرتك ؛ استهزاءً واستهانة . وحكي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ : ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني ، فوالله ما تستطيع أن تفعل أنت ولا ربك شيئاً<sup>(٢)</sup>. **﴿إِنَّ هَذَا﴾** العذاب أو هذا الأمر **﴿مَا كَتَمْ بِهِ تَمَرُونَ﴾** تشكون . المقام - بالفتح - : هو موضع القيام ، وبالضم : موضع الإقامة ، ووصف المكان بالأمين استعارة ؛ لأن من أقام فيه لا يخاف . السندس : ما رق من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه ، ومعنى كونها عجمية وهي في الكتاب العربي أنها إذا عربت فيه خرجت عن أن تكون عجمية . **﴿كَذَلِكَ﴾** أي : الأمر كذلك ، أو منصوب على مثل ذلك . **﴿وَرَوَجَتْهُمْ﴾** قرناهم ، وقرأ عكرمة **﴿بِحُورِ عَيْنٍ﴾** على الإضافة<sup>(٣)</sup> يعني : من الصنف الذين هم حور العين ، والأحور: شديد بياض العين ، والعين : الواسعة العين . فإن قيل : كيف استثنى الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه قبلها ؟ قلنا : لأنه أريد به : لا يذوقون فيها الموت البطة ، إلا إن كنت تعد الموتة الأولى واقعة في الثانية ؛ فهم يذوقون فيها الموت ، وهو من باب التعليق بال الحال .

**﴿فَضَلَّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٧﴾** **﴿فَإِنَّمَا يَسْرَنَاهُ بِإِلْسَانَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾**  
**﴿فَأَرَيْقَبْ إِنَّهُمْ مُرَيْقُبُونَ ٥٩﴾**

**﴿فَضَلَّا مِنْ رَبِّكَ﴾** عطاء من ربك ، وقرئ " فضل " <sup>(٤)</sup> أي : ذلك فضل **﴿فَإِنَّمَا يَسْرَنَاهُ﴾** يعني : هذه السورة وضعنها ، ومعناها: ذكرهم بالكتاب المبين **﴿يَسْرَنَاهُ﴾** أي : سهلناه حيث أزلناه عريباً **﴿بِإِلْسَانَكَ﴾** بلغتك ؛ إرادة أن يفهمه قومك فيذكروا **﴿فَأَرَيْقَبْ﴾** انتظر ما يحل بهم . **﴿إِنَّهُمْ مُرَيْقُبُونَ﴾** ما يحل بك .

\* \* \*

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٠) .

(٢) ذكره الواعدي في تفسيره (٩٨٦/٢) ، وأبو السعود في تفسيره (٦٥/٨) .

(٣) تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٣٥) ، المحتسب لابن جني

(٤) (٢٦١/٢) .

(٤) تنظر في : الكشاف للزمخشري (٣/٤٣٥) .

## تفسير سورة الجاثية [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿ حَمٌ ﴾** تَزَيِّلُ الْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ **﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنُ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَأْبِهِ مَا يَنْتَ لِقَوْمٍ يُوقْنُونَ ۚ وَأَخْلَافُ الْأَيْلَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَلَاحِيَهُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَقَصْرِيفُ الْرِّيحُ مَا يَنْتَ لِقَوْمٍ يُقْنُونَ ۚ ﴾**

﴿ حَمٌ ﴾ إن جعلتها (١/٢٥٦) مبتدأ مخبراً عنه بـ " تلك " لم يكن بد من حذف مضاف ، تقديره : تزيل حم تزيل الكتاب ، و﴿ مِنْ أَنَّهُ ﴾ صلة للتزييل ، وإن جعلتها تعديداً للحرروف كان **﴿ تَزَيِّلُ ﴾** مبتدأ ، والظرف خبراً . **﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** أي : في خلقهن ، بدليل قوله : **﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ ﴾** . فإن قيل : علام عطف : **﴿ وَمَا يَبْثُثُ ﴾** أعلى الخلق المضاف ، أم المضاف إليه ؟ قلنا: بل على المضاف ؛ لأن الضمير إليه ضمير متصل مجرور يقيح العطف عليه ؛ استقبحوا أن يقال : مررت بك وزيد ، وكذلك إن أكدوه ؛ كقولك: مررت بك أنت وزيد <sup>(١)</sup> .

قرئ **﴿ مَا يَنْتَ ﴾** بالنصب والرفع <sup>(٢)</sup> على قوله : إن زيداً في الدار وعمرًا في السوق ، وعمرو في السوق ، وأما قوله : **﴿ مَا يَنْتَ لِقَوْمٍ يُقْنُونَ ۚ** فمن العطف على عاملين ، سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما : **﴿ إِنَّ ﴾** و**﴿ فِي ﴾** ؛ أقيمت الواو مقامهما ؛ فعملت الجر في **﴿ وَأَخْلَافُ الْأَيْلَلِ وَالنَّهَارِ ﴾** والنصب في **﴿ مَا يَنْتَ ﴾** وإذا رفعت فالعاملان الابتداء و**﴿ فِي ﴾** عملت

(١) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/٢٨٤) وقد اختلف النهاة في هذه المسألة وهي العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار على ثلاثة مذاهب : أحدها : جواز ذلك مطلقاً وهذا مذهب الكوفيين وتابعهم الأخفش ويونس والشلوبين . والثاني : جواز ذلك بشرط إعادة الجار ، إلا في ضرورة ، وهذا مذهب البصريين . والثالث : جواز ذلك إذا أكド الضمير بغير إعادة الجار ، وإلا فلا يجوز إلا ضرورة ، وهو مذهب الجرمي . ينظر تفصيل المسألة في : الإنصاف لابن الأباري (٢/٣)، أوضح المسالك لابن هشام (٣٩٢/٣)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١/٥٢٩)، شرح الكافية لابن مالك (١/٥٦١)، المفضل شرح المفصل للسخاوي (١/٢٠٨) .

(٢) قرأ حزة والكسائي ويعقوب " آياتٍ " وقرأ بقية العشرة " آياتٍ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٢٥)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٥٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٢١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، الكشاف للزمخشري (٣/٥٠٨)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٧١) .

الرفع في «أَيْنَتْ» والجر في «وَأَخْتَلَفَ». وسمى المطر رزقاً لأنه منبه .

﴿ يَتَّلَكَ أَيَّنَتِ اللَّهُ نَتَّلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَإِنَّ حَدِيثَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْنَتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَيَلِ لِكُلِّ أَفَاكِي أَشِيرُ ٧ يَسْعَءُ أَيَّنَتِ اللَّهُ تَنَّلَ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُ مُسْتَكِبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ أَيَّنَتِنَا شَيْئًا أَخْنَدَهَا هُزُواً أَوْلَاهُكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٩ ﴾

﴿ يَتَّلَكَ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدمة ، و﴿ تَنَّلُوهَا﴾ في محل الحال ؛ أي : متلوة عليك بالحق ، والعامل اسم الإشارة ؛ ك قوله : «وَهَذَا بَعْلٌ شَيْئًا»<sup>(١)</sup> .

وقوله : «فَيَتَّلَكَ بِيُؤْتَهُمْ خَارِكَةً»<sup>(٢)</sup> ، «يُصِرُّ» يقيم على كفره ؛ من إصرار الحمار على العانة<sup>(٣)</sup> ، «مُسْتَكِبِرًا» عن الإيمان بالأيات . قيل: نزلت في النضر بن الحارث ، وما كان يشير به من قصص أحاديث العجم ويشغل الناس<sup>(٤)</sup> . والأية عامة في كل من كان مضاداً لدين الله ، ومعنى «ثُمَّ» في قوله : «ثُمَّ يُصِرُّ» كقول الشاعر [ من الطويل ] :

وَلَا يَكْشِفُ الْعَمَاءَ إِلَّا ابْنُ حُرَّةَ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا<sup>(٥)</sup>

وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن يفر رائيها ، وينجو بنفسه فأما إقادمه على زيارتها فامر مستبعد لا يفعله إلا مُذلٌّ بنفسه .

﴿ كَانَ﴾ هي المخففة من الثقلة والأصل : كأنه لم يسمعها ، والضمير ضمير الشأن والقصة ؛ كما في قوله [ من الطويل ] :

..... كأن ظبيةً تعطوا إلى قاصي السلم<sup>(٦)</sup>

(١) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة التمل ، الآية (٥٢) .

(٣) العانة : القطيع من حمر الوحش ، و العانة: الأتان والجمع منها عون . ينظر : لسان العرب (عون) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢٨٦/٤) .

(٥) تقدم تخرجه في سورة يونس ، الآية (٥١) .

(٦) هذا عجز بيت لعلباء بن أرقم ، وصدره : و يوماً توفينا بوجه مقسم ..... ينظر في : الأصميات (ص: ١٥٧) ، الدرر اللوامع (٢٠٠/٢) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي

(١) المقاصد النحوية (٤ ، ٣٨٤) ، وبلا نسبة في : أوضح المسالك لابن هشام (١/ ٣٧٧) ،

جوهر الأدب (ص: ١٩٧) ، شرح الأشموني (١: ١٤٧) ، شرح قطر الندى (ص: ١٥٧) ،

و محل الجملة على النصب على الحال ، أي : يصر مثل غير السامع ، وإذا بلغه شيء من الآيات وعلم أنه منها ﴿أَخْنَذَهَا﴾ أي : أخذ الآيات ﴿هُزُوا﴾ ولم يقل : اخذه ؛ إشعاراً بأنه متى سمع شيئاً منها أخذ الآيات هزوا وطعن في كل آية مما يستطيعه ، ويجوز أن يريد أنه متى سمع أذن شيء يمكن الخصم (٢٥٦/ب) أن يجعله شبهة بادر إلى الطعن بكل طريق ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء علم ، يعني أن ذلك الشيء آية أو آيات ﴿أَوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿لِكُلِّ أَفَالِكَ﴾ لعمومه ؛ لأنه في معنى الجمع ، ومنه : ﴿وَكُلُّ أَنْوَهٍ دُخْرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿مَنْ وَرَآهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً لَمَّا أَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَاهُ وَلَمْ يَنْعَمْ عَذَابُ عَظِيمٍ ١٠ هَذَا هُدُىٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِإِيمَانِنَا هُمْ عَذَابٌ مِنْ رَبِّهِمْ ١١ اللَّهُ أَلَّا ذِي سَحْرٍ لَكُلُّ الْبَحْرِ لَتَعْرِيَ الْفَلَكُ فِيهِ بِأَثْرِهِ وَلَنْتَعْنُوا مِنْ قَضَائِهِ ١٢ وَسَحْرُ لَكُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَمْتَهِنٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يَنْقَرُونَ ١٣ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَعْقِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾

والوراء : الجهة التي يتوارى عنها الشخص سواء كان خلف أو لقدم ؛ قال سبحانه :

﴿وَمَنْ وَرَآهُمْ بِرَزْخٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَرَآهُمْ عَذَابٌ غَيْظٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله [ من الوافر ] :

عسى الكرب الذي أمسكت فيه يكون وراءه فرج قريب<sup>(٤)</sup>

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ من الأموال ﴿وَلَمَّا أَخْذُوا﴾ أي : المعبودات التي اتخذوها شركاء . ﴿هَذَا هُدُىٌ﴾ إشارة إلى القرآن ويدل عليه قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِإِيمَانِنَا﴾ أي : هذا القرآن كامل في الهداية . الرُّجز: أشد العذاب .

= الكتاب (٣/١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٨٦) ، المحتسب لابن جني (١/٣٠٨) ، مغني الليبيب (١/٣٣) ، همع الموات (٢/٣٢٦) ويروى آخره : وارق السلم . وناضر السلم . وتعطوا : تأخذ وتناول . ووارق - على الرواية الثانية - : كثير الورق . والسلم : شجر العصاء .

(١) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (١٠٠) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١٧) .

(٤) ينظر البيت في : تاريخ بغداد (١٤/٢٦٤) ، تهذيب الأسماء للنووي (٣/٢٠٦) ، حلبة الأولياء لأبي نعيم (٧/٢٨٩) ، شعب الإيمان للبيهقي (٧/٢٠٨) .

«وَلَبَّيْغُوا مِنْ قَضِيلِهِ» بالتجارة . وقيل : بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك . قوله : «مِنْهُ» في موضع الحال ، أي : كائنة منه وحاصلة ، يعني أنه مكونها بقدرته ومستخرجها بحكمته ، ويجوز أن يكون «مِنْهُ» خبر مبتدأ مذوف ؛ أي : كل ذلك منه ، وأن يكون «وَسَرَّلُكُمْ» تأكيداً لقوله : «وَسَرَّلُكُمْ» ثم ابتدأ قوله : «مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ» وأن يكون «وَمَا فِي الْأَرْضِ» مبتدأ ، و«مِنْهُ» الخبر . وقراءة «مِنْهُ» بكسر الميم وتشديد النون "مِنْهُ" أو على أنه خبر مبتدأ مذوف أي : ذلك ، أو هو مِنْهُ<sup>(١)</sup> . «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا» حذف المقول في قوله : «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» لأن الجواب دال عليه ، والمعنى : قل لهم اغفروا يغفروا . «لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» أي : وقائع الله بالملكيتين . وقيل : لا يرجون بمعنى يأملون ، وكونه وعدهم بالفوز فيها . قيل : نسخت بآية القتال<sup>(٢)</sup> . وقيل : نزلت في عمر - حَلَّتْ - وقد شتمه رجل من غفار ، فهم أن يبطش به . وعن ابن المسيب أن قارئاً قرأها عند عمر؛ فقال : لِيُجَزِّي عَمْرُ بْنَ مَعْنَى صُنْعَ<sup>(٣)</sup> . «لِيُجَزِّي» تعليل للأمر بالغفرة ، ونكر "قوماً" تفخيماً لشأنهم ؛ أي : لِيُجَزِّي قَوْمًا<sup>(٤)</sup> وأي قوم ، وذلك لصبرهم على أذى الكفار . «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من الثواب . وقيل : لما نزلت الآية قال عمر: وعزّة ربّي لا ترى الغضب في وجهي<sup>(٥)</sup> .

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١٥ وَلَقَدْ أَنْتُمْ بَعِيَّ  
إِسْرَئِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثُّبُوتَ وَرَفَقُهُمْ مِنَ الطَّيِّبِينَ وَفَصَلَّيْتُمْ عَلَى الْعَلَمَيْنَ ١٦ وَإِنَّهُمْ  
بَيْتَنَا مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْلُفُونَ ١٧ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَنْسِعْ أَهْوَاءَ  
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمْ لَنْ يَعْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ وَاللَّهُ

(١) قرأ بها ابن عباس وابن عمر والجحدري وابن محيصن "مِنْهُ" وقرأ سلمة بن حمارب "مِنْهُ" .

تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٨/٤٤) ، تفسير القرطبي (١٦٠/١٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/٢٨٨) ، المحتسب لابن جني (٢٦٢/٢) .

(٣) قال الإمام ابن جرير الطبرى في تفسيره (٢٥/١٤٤) : " وإنما قلنا هي منسوبة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك " .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٨٨) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٨٩) وذكر أنه قال ذلك للرسول ﷺ .

وَلِلْمُنْقَتِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَّرٌ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِفَوْرٍ يُوقَنُونَ ﴿٢٠﴾

وَ«الْكِتَبُ» التوراة ، وَ«الْحُكْمُ» الحكمة والفقه ، أو فصل الحكومات بين الناس ؛ لأنهم كانوا ملوكاً وأنبياء . «مِنَ الظَّبَابَتِ» من الحالات .

«وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم «بَيْتَنِي» آيات معجزات «مِنَ الْأَمْرِ» من أمر الدين فما وقع بينهم الخلاف ، «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» بصحبة نبوة النبي - ﷺ - وإنما أخلفوا لبعي حدث بينهم ، أي : عداوة وحسداً .

«عَلَى شَرِيعَتِهِ» على طريقة «مِنَ الْأَمْرِ» من أمر الدين «فَأَتَيْهَا» أي : اتبع شريعتك الثابتة والبراهين . «وَلَا تَنْسِي» ما لا حجة عليه من أهواء الجهل ، وهم رؤساء قريش حتى قالوا الرسول الله ﷺ : ارجع إلى دين آبائك ولا توافقهم ؛ إنما يوالى الطالبين من هو ظالم مثلهم ، وأما المتقون فالله ولهم <sup>(١)</sup> .

«هَذَا» القرآن . «بَصَّرٌ لِلنَّاسِ» جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب ؛ كما جعل روحًا وحياة ، وهو «وَهُدَى» من الضلال . «وَرَحْمَةٌ» من العذاب وقرئ : "هذا بصائر" <sup>(٢)</sup> أي : هذه الآيات «أَمْ» منقطعة ، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان . والاجتراء : الاتساب ؛ ومنه : جوارح الصيد ، ويقال : جارحة أهله ؛ أي : كاسبهم .

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا الْسَّيِّعَاتِ أَنْ يَعْلَمُهُمْ كَالَّذِينَ مَا امْتَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ أَسْمَانَنَا وَالْأَرْضَ يَأْتِيَنَّ إِلَيْنَا يُلْقَى وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُنْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَبِتَ مِنْ أَنْتَ إِلَيْهِمْ هُنَّهُنَّ وَأَضَلَّمَ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهِمْ وَخَتَمَ عَلَى سَمِيعِهِ وَقَلِيلِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غُشْنَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَدَّكُرُونَ ﴿٢٣﴾

«أَنْ يَعْلَمُهُمْ» أي : نصيرهم ، وهو من "جعل" المتعدي إلى مفعولين: الأول الضمير والثاني الكاف ، والجملة الثانية التي هي «سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» بدل من الكاف ، والجملة

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٨٩).

(٢) تنظر في : تفسير القرطبي (١٦٥/١٦٥) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٢٨) ، فتح القدير للشوكتاني

(٤/٨) ، المحتسب لابن جني (٢/٢٦٢).

تقع مفعولاً ثانياً فهي في حكم المفرد فهو كقولك : حسبت زيداً أبوه منطلق ، ومن قرأ **«سواء»** بالنصب<sup>(١)</sup> جعل "سواء" بمعنى مستويا ، وارتفاع **«مَحِيَّاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ»** على الفاعلية ، وكان مفرداً غير جملة ، ومن قرأ : " ومَاتُهُمْ " <sup>(٢)</sup> بالنصب جعل " مَحِيَّاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ " ظرفين ؛ كمقدم الحاج وخفوق النجم ؛ أي: سواء في مَحِيَّاهُمْ وفي مَمَاتُهُمْ ، والمعنى : إنكار أن يستوي المحسنون والمسيئون مَحِيَّاهُمْ وأن يستوا مَاتُهُمْ لافتراق أحواهم في الدنيا ؛ فالمؤمنون على حق والكافرون على باطل . وقيل : إن المؤمنين والكافار في الدنيا مستوون في سعة الرزق وقلته . وعن تميم الداري أنه قام في الليل يصلّي فوصل في تلاوته حتى هذه الآية ، فلم يزل يرددتها ويبيكي إلى الصباح<sup>(٣)</sup> . وعن الفضيل أنه كان يرددتها ويقول : ليت شعري ؟ من أي الفريقين أنت ؟<sup>(٤)</sup> .

**«وَلَيُجَزِّئَ** <sup>(٥)</sup> معطوف على " بالحق " ؛ لأن فيه معنى التعليل ، أو على معلل محذف تقديره : **«وَهَلَّقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** <sup>(٦)</sup> ليدل بذلك على قدرته **«وَلَيُجَزِّئَ** <sup>(٧)</sup> .

**«إِلَهَمْ مَوَّلَهُ** <sup>(٨)</sup> أي جهة مالت إليها نفسه (٢٥٧/ب) تبعها ، وقرئ **«إِلَهَمْ** <sup>(٩)</sup> على الجمع ، وكانوا إذا عبدوا صنماً ثم رأوا غيره أحسن منه رفضوا الأول وعبدوا الثاني فصارت العبادة تبعاً هوى النفس وصار هوى النفس آلة شتى . **«مَوَّلَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلَيْهِ** <sup>(١٠)</sup> بمعرفته بما ينبغي اجتنابه **«فَمَنْ يَهِدِهِ مِنْ بَعْدِهِ** <sup>(١١)</sup> إضلال الله .

(١) قرأ حمزة والكسائي ومحض عن عاصم وخلف " سواء " وقرأ الباقيون " سواء " .

تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٧/٨) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٢٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٦١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٢٩/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٩٠) ، التشر لابن الجزري (٢٧٢/٢) .

(٢) قرأ بها الأعمش . ينظر : الدر المصنون للسمين الحلبي (١٢٩/٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٩٠) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٠/٢) بسته عن مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته قام ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله عز وجل فيركع ويسجد ويبكي **«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْزَاهُمُ الْكَيْنَاتِ أَنْ يَقْتَلُهُمْ كَذَلِكَيْنَ مَا مَوَّلُوا وَعَمِلُوا أَصَلَّهُ كَيْنَ سَوَاءٌ مَحِيَّاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** <sup>(١٢)</sup> .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٢٩٠) .

(٥) قرأ بها الأعرج . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٨/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٣٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/٥١٢) .

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْكُمُ إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَيْطَلُونَ ﴾  
 ﴿٤٦﴾ ۚ وَإِذَا نَتَّلَ عَلَيْهِمْ ۖ مَا كَانَ حُجَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتُمْ بَاقِيَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴾٤٧﴾ قُلْ اللَّهُ يَعْلَمُ  
 يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ ۖ مِمَّا يَصْنَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَلَا كُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْمَلُونَ ﴾٤٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمٌ إِذْ يَخْرُجُ الْمُبْطَلُونَ ﴾٤٩﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعَى إِلَى كِتَابِهَا أَلَيْهِمْ  
 بُشِّرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾٥٠﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَدِعُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾٥١﴾ فَإِنَّمَا  
 الَّذِينَ كُفِّرُوا أَمَّنَا وَعَكَلُوا الصَّلَاحَتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبِّهِمْ فِي رَحْمَتِهِ ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾٥٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ  
 كَفَرُوا أَفَلَمْ يَكُنْ مَا يَنْتَقِي شَرِّي عَلَيْكُمْ فَأَسْتَكْبِرُونَ وَكُنُّمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾٥٣﴾ ﴿

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نموت نحن ونجا أو لادنا ، أو يموت بعض ويحيا بعض ، أو نكون أمواتا في الأصلاب ثم نحيا بعد ذلك ، أو يصيّنا الأمران : الحياة والموت ، يريدون الحياة الدنيا والموت بعدها، وليس بعد ذلك حياة ، وما يقولون ذلك عن علم ؛ ولكن عن ظن ؛ كانوا يزعمون أن هلاك الأنفس بمرور الأيام والليالي ، وينكرُون ملك الموت ، وكانوا يضيفون كل الحوادث إلى الدهر ، ونرى أشعارهم ناطقة بذلك وفي الحديث : " لا تسبوا الدهر؛ فإن الدهر هو الله " <sup>(١)</sup> أي : فإن الله الآتي بالحوادث لا الدهر .

وقرئ **﴿حُجَّهُمْ﴾** بالنصب والرفع <sup>(٢)</sup> وسمى قوله حجة ؛ لأنهم أجروه مجرى الحجة والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة . فإن قيل : كيف وقع قوله : **﴿قُلْ اللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ﴾** جوابا لقولهم : **﴿أَنْتُمْ بَاقِيَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ﴾** ؟

قلنا : لما أنكروا البعث ألموا بأنهم مقرون به من جهة أن الله هو الذي يحييهم ويحييهم وضم إلى إلزام ذلك أمراً أعظم منه ، وهو جمعهم إلى يوم القيمة ، فمن كان قادرًا على ذلك فهو قادر على إحياء آبائهم ، وهو أهون شيء عليه .

عامل النصب في **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾** " يخسر " ، و " ويومئذ " بدل من **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾** .

**﴿جَاهَيَةٌ﴾** باركة على الركب من شدة الهول . وقيل : **﴿جَاهَيَةٌ﴾** أي : مجتمعه **﴿إِنْ كَتَبَهَا﴾**

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٢٦ ، ٦١٨١) ، ومسلم رقم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة رض .

(٢)قرأ جهور القراء **ـ حُجَّهُمْ** " بالنصب ، وقرأ زيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو **ـ حُجَّهُمْ** بالرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٩/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٣١/٦) ، فتح القدير للشوكاني (٩/٥) ، الكشاف للزمخشري (٥١٣/٣) ، النشر لابن الجوزي (٣٧٢/٢) .

إلى صحائف أعمالها ، ويقال لهم : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقد أضاف الكتاب إليهم بقوله : ﴿إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وإلى ذاته العلية بقوله : ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة ، وقد لابس الجهتين . ﴿يَنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِحُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿فِي رَحْمَةٍ﴾ في جنته . ﴿أَفَلَمْ يَكُنْ مَا يَتْبَغِي شُتُّل﴾ أي : يقال لهم ذلك . ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ بالنصب ؛ عطف على ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ وبالرفع<sup>(١)</sup> عطف على إن واسمها . ﴿مَا السَّاعَةُ﴾ أي شيء الساعة ؟ ﴿إِلَّا أَنَّا﴾ أثبت الظن ونفي كل ما سواه ، وزيد نفي ما سوى الظن بقوله : ﴿وَمَا هُنَّ بِمُسْتَقِرِّينَ﴾.

﴿سَيَّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ أو عقوباتها . ﴿تَنَسَّىٰكُنْ﴾ ترکكم (١٢٥٨) في العذاب ؛ كما تركتم عدة ﴿لَقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا﴾ أي : كما أهملتم كالشيء الذي يطرح وراء الظهر يجعل نسيانا منسيا ، ومعنى إضافة اللقاء إلى اليوم الإضافة إلى محذوف ، أي : كما نسيتم العمل للقاء عذاب يومكم هذا . ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْبُوتُ﴾ ولا يطلب منهم إزالة العتب ؛ لأنه لا سبيل إليه لأن رضا الله عنهم مستحيل .

﴿فَلَلَّهِ الْحَمْدُ رِبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ﴾ فمن كان ربّا للسماءات والأرض كان حقيقة أن يُحمد ويشنى عليه ، وفي الحديث عن الله عز وجل : " الكبرياء ردائي والعظمة إزارني فمن نازعني واحداً منها ألقيته في النار " <sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) قرأ حزرة وحده " والساعة " بالنصب ، وقرأ الباقيون " والساعة " بالرفع . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٠) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/١٣٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٩٥) .

(٢) رواه أحد في المسند (٢/٢٤٨) ، وأبو داود رقم (٤٠٩٠) ، وابن ماجه رقم (٤١٧٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٢٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣١١) .

## تفسير سورة الأحقاف [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تَبَرَّزِيلُ الْكَيْدِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَمَا إِلَّا  
بِالْحَقِّ وَأَجْلِ مُسْئَىٰ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَنَّا أَنْذِرُوا مُعَرَّضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَيْتُمْ مَا نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُوْفُ  
مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شُرُكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَبِّئُ بِكَيْدِ مَنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثْرَقَ مَنْ عَلِمْ إِن  
كُُلُّمْ صَدِيقٍ ﴿٤﴾

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إِلا مُتَبَسِّساً بِالْحَكْمَةِ وَبِتَقْدِيرِ ﴿وَاجْلِ مُسَمِّ﴾ يَتَهِي إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ أَنْذِرُوا﴾ به من يوم القيمة وباستعداد العمل له ﴿مُعَرِّضُونَ﴾ لا يؤمنون . ويحى أن تكون " ما " في قوله ﴿عَمَّا أُنذِرُوا﴾ مصدرية . ﴿أَمْ لَهُمْ شُرُكٌ﴾ في خلق السماوات ﴿مَنْ قَبْلَ هَذَا﴾ أي : من قبل هذا الكتاب ؛ أي : فائتوا بكتاب واحد من كتب الله يشهد بصحة ما ادعيموه . ﴿أَوْ أَنْزَرَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي : بقية ؛ تقول : سمنت الناقة على أثاره من شحم ، أي : بقية من شجر كانت بها من شحم ذاهب . وقرئ " أثرة " <sup>(١)</sup> أي : شيء ، أو أثراً به .

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَعْجِلُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ٥ ﴾  
 ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءَ وَكَانُوا يُبَارِّهِمْ كُفَّارِنَ ٦ ﴾  
 ﴿ وَإِذَا نُشَرُّ عَلَيْهِمْ مَا يَنْتَهُ يَنْتَهِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَاجَاهَهُمْ هَذَا سُحْرٌ مُّبِينٌ ٧ ﴾  
 ﴿ أَفَرَأَيُولُونَ أَفْرَارِهِ قُلْ إِنَّ أَفْرَارِهِ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ٨ ﴾  
 ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَفْصِّلُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّاجِيمُ ٩ ﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الهمزة فيه إنكار أن يكون في الضلال أحد أضل منه ، وإذا قامت القيمة ، وحشر الناس كانت الأصنام أعداء لمن عبدها ؛ كما قال إبراهيم : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ

(١) قرأ بها ابن عباس، وزيد بن علي، وعكرمة والسلمي، والحسن، وأبي رجاء.

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٥٥/٨) ، تفسير القرطبي (١٨٢/١٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي

(٦/١٣٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/١٤)، الكشاف للزمخشري (٣/٥١٥)، المختسب لابن جني

<sup>٢٦٤</sup> (٣/٥٠)، معانی القرآن للفراء.

لَئِنْ ﴿١﴾ وَيَحْجُدُونَ عَبادَتِهِمْ ، إِنَّمَا قَالَ : ﴿مِنْ﴾ وَ﴿وَهُمْ﴾ لِأَنَّهُ أَسْنَدَ إِلَيْهِمْ فَعَلَ الْعَقَاءَ ، وَهُوَ الدُّعَاءُ وَالْاسْتِجَابَةُ . وَيَحْجُزُ أَنْ يَرَادَ : كُلُّ مَعْبُودٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ وَالْأَوْثَانِ ، فَغَلَبَ مِنْ يَعْقُلُ ، وَقَرَئَ : " مَا لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ " ﴿٢﴾ وَوَصْفُهُمْ بِتَرْكِ الْاسْتِجَابَةِ وَالْغَفْلَةِ ؛ تَهْكِمُ بِهَا ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ : ﴿إِنَّ تَدْعَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ﴾ إِلَى آخر الآية ﴿٣﴾ ، الَّامِ فِي ﴿الْمَعْقِلِ﴾ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ : ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَئِ الْفَرِيقَيْنِ﴾ ﴿٤﴾ أَيِّ : لأَجْلِ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلِأَجْلِ الْحَقِّ ، وَالْمَرَادُ بِالْحَقِّ الْآيَاتُ ، وَبِالَّذِينَ كَفَرُوا : الْمُتَلَوُ عَلَيْهِمْ ، فَوُضِعَ الظَّاهِرَانِ مَوْضِعَ الْمُضْمِرِينَ ، أَيِّ : بِادْرُوهُ بِالرَّدِّ سَاعَةً أَتَاهُمْ ، وَمِنْ ضَلَالِهِمْ تُسَمِّيَهُ سُحْرًا مُّبِينًا . ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْهُ﴾ فِيهِ إِضْرَابٌ عَنْ دُعَوِي (٢٥٨/ب) إِنَّمَا جَاءَ بِسُحْرٍ إِلَى دُعَوِي أَنَّهُ افْتَرَاءٌ ، وَمَعْنَى الْهَمْزَةُ فِي " أَمْ " التَّعْجِبُ وَالْإِنْكَارُ .

﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾ فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى الانتقامِ مِنْهُ وَلَا أَمْلَكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ، وَمَثُلُهُ : ﴿وَمَنْ يُرِيدُ اللَّهَ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ <sup>(٥)</sup> وَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم : يَا فَاطِمَةَ بْنَتَ مُحَمَّدٍ ، لَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " الْحَدِيثُ <sup>(٦)</sup> . ثُمَّ قَالَ : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَفْيِضُونَ﴾ أَيِّ : تَنْدَعُونَ فِيهِ بَكْشَرًا ، وَمَعْنَى ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالشَّهَادَةِ التَّهْدِيدُ الْبَلِいْغُ . ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ مَوْعِدَةٌ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِمَنْ تَابَ .

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَائِنَ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُونُ إِنْ أَنْجَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنْأَى إِلَّا نَذَرُّ﴾ <sup>(٧)</sup>

البدع : بَعْنَى الْبَدِيعَ ، وَقَرَئَ : " بَدَعًا " بِفَتْحِ الدَّالِ <sup>(٨)</sup> أَيِّ : ذَا بَدْعٍ ، وَيَحْجُزُ أَنْ تَكُونُ

(١) سورة الشعراء ، الآية (٧٧) .

(٢) قرأ بها عبد الله بن مسعود . ينظر : الكشاف للزمخشري (٥١٦/٣) ، معاني القرآن للفراء (٥٠/٣) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (١٤) .

(٤) سورة مریم ، الآية (٧٣) .

(٥) سورة المائدة ، الآية (٤١) .

(٦) رواه مسلم رقم (٢٠٤) ، وأحد في المسند (٣٣٣/٢) ، والترمذى رقم (٣١٨٥) ، والنمسائى (٢٤٨/٦) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٦) عن أبي هريرة رض .

(٧) قرأ بها عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة . تَنظُرُ فِي : الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِأَبِي حِيَانَ (٥٦/٨) ، تَفْسِيرُ الْقَرْطَبِيِّ (١٨٥/١٦) ، الدَّرُّ الْمَصْوُنُ لِلْسَّمِينِ الْحَلَبِيِّ (٦/١٣٦) ، فَتْحُ الْقَدِيرِ لِلشَّوْكَانِيِّ (٥/١٥) ، الْكَشَافُ لِلْمَخْشِرِيِّ (٣/٥١٧) ، الْمُخْتَسِبُ لِابْنِ جَنِيِّ (٢/٢٦٤) .

صفة على فعل ؛ كقوله سبحانه : ﴿ دِينَاقِيمًا ﴾<sup>(١)</sup> كانوا يقترون على رسول الله ﷺ الآيات ، ويطلبون منه إعلامهم بما غاب عنهم ، فقيل له : قل : سبق الرسل من قبل ، و كانوا يسألون عن المغيبات ، ولا يأتون بغير ما آتاهم الله من العجزات . ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ فِي وَلَكِنْ ﴾ في المستقبل ﴿ إِنَّ أَئِمَّا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ أي : ما أدرى إلى ما يصل أمري وأمركم في الدنيا وأما في الآخرة فقد علم أنه ﷺ من المتدين وأن الذين كذبوا من الظالمين . قال الصحابة لما كثر أذى الكفار لهم ، قالوا : يا رسول الله ، إلى متى نبقى في هذا الهاون ؟ فقيل له : قل لهم : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ فِي ﴾ تقديره : أتركت بعكة أم أو مر بالهجرة أم بالهاجرة إلى أرض قد رفعت لي في المنام ؟<sup>(٢)</sup>

وقيل : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ فِي وَلَكِنْ ﴾ في الآخرة ، وهو بعيد<sup>(٣)</sup> . وقيل : أراد نفي الدراسة

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٦١) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المثور (٧ : ٢٣٦) ونسبة لابن المنذر .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٦ / ٢٦) وروى الطبرى عن الحسن البصري قال في هذه الآية : أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ مثاقه في الرسل ولكن قال وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلى أو أقتل كما قلت الأنبياء من قبلى ولا أدرى ما يفعل بي ولا بكم أمتى المكذبة أم أمتى المرمية بالحجارة من السماء قدنا أم محسوف بها خسفا ثم أوحى إليه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ يقول: أحيطت لك بالعرب أن لا يقتلونك فعرف أنه لا يقتل ثم أنزل الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ إِلَيْهِنَّ دِينَ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَلَمَّا كُلِّمَهُمْ بَقِيَ إِلَيْهِ شَهِيدًا ﴾ يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان ثم قال له في أمته: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعَذِّبُهُمْ وَأَنَّ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ بَسْطَغَفُونَ ﴾ فأخبره الله ما يصنع به وما يصنع بأمته . ثم قال الطبرى في تفسيره (٨ / ٢٦) : أولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه الترتيل القول الذى قاله الحسن البصري ، وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب ؛ لأن الخطاب من مبدأ هذه السورة إلى هذه الآية والخبر خرج من الله عز وجل خطابا للمشركين وخبرا عنهم وتوبيخا لهم واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم ، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن هذه الآية أيضا سببها سبب ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم وتوبيخ لهم أو خبر عنهم . وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي ﷺ قل للمشركين ما أدرى ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووجيه إليه متابعة بأن المشركين في النار خلدون والمؤمنون به في الجنان منعمون وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى ولو قال لهم ذلك لقالوا له: فعلام تتبعك إذن وأنت لا تدرى إلى أي حال تصير غدا في القيمة إلى خفض ودعة أم إلى شدة وعذاب ؟ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك وتصديقنا بما تدعونا إليه رغبة في نعمة =

المفصلة ، وإنما دخلت «لَا» في قوله : «وَلَا يُكْرِنُ» لزيادة توكيده التأكيد ، وأن تكون استفهامية مرفوعة . جواب الشرط مذوق ؛ أي : أخبروني .

**﴿قُلْ أَرَيْتَمِّ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَأْمَنَ وَأَسْتَكْبِرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُوكُمْ إِلَيْهِ وَإِذَا مِنْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾١١﴾**

«أَرَيْتَمِّ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ» أسلتم ظالمين ويدل على هذا المذوق قوله : «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» والشاهد من بنى إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ فتبصر ما فيه من علامة صحة النبوة فأسلم ، وقصة عبد الله بن سلام معروفة ، والضمير للقرآن . فإن قلت : أخبرني عن نظم هذا الكلام ؟ قلت : (١) الواو الأولى عاطفة لـ «وَكَفَرْتُمْ» على فعل الشرط ؛ كما عُطف بـ «ثُمَّ» في قوله : «أَرَيْتَمِّ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ» .

وأما الواو في «وَشَهَدَ» فقد عطفت جملة قوله : «وَشَهَدَ» على جملة قوله : «إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» ونحوه قوله : أرأيت إن أحست وأسألت وأقبلت عليك وأعرضت لم يتفق ، والمعنى : أخبروني : إن اجتمع كون القرآن من عند الله وكفرتم به وشهاده أعلم بنى إسرائيل على نزول مثله ؛ أسلتم أضل الناس ؟ وقد جعل إيمانه مسبباً عن شهادة الشاهد ؛ لأنها أوضحت الحق «لِلَّذِينَ آمَنُوا» لأجلهم ، وهو كلام كفار مكة ، قالوا : عامة من يتبع محمداً أسقط الناس . يعنون عمارة وصهيوناً وخليجاً وابن مسعود ونظائرهم من فقراء أهل الصفة فلو كان خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الأعبد . وقيل : إنها كانت جارية لعمر كان يعاقبها على إسلامها قبل إسلامه ؛ فتقول كفار قريش : لو كان الإسلام خيراً ما سبقتنا إليه هذه الجارية . فإن قلت : قوله : «وَإِذَا مِنْ يَهْتَدُوا» ظرف لا يجوز أن يعمل فيه «فَسَيَقُولُونَ» فعل مستقبل ، و«وَإِذَا» ظرف لما مضى من الزمان ؛ فيتداعيان ؟ قلت : العامل في «وَإِذَا» مذوق يفهم من السياق كما حذف من قوله : «فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ» (١) في قصة يوسف ،

= وكرامة نصيتها أو رهبة من عقوبة وعذاب نهرب منه . ولكن ذلك كما قال الحسن ثم بين الله لنبيه ﷺ ما هو فاعل به وبين كذب بما جاء به من قومه وغيرهم .

(١) سورة يوسف ، الآية (١٥) .

والتقدير: وإذا لم يهتدوا به ظهر عنادهم . وقوفهم : «إِفْكٌ فَقِيرٌ» كقولهم : «أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ»<sup>(١)</sup> .

«وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كَتَبْ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُسْنِدَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَى الْمُحْسِنِينَ ١٢ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْبَلُوا فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ بَحْرُثُونَ ١٣ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَلَدِينَ فِيهَا جَرَاءٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٤ وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَلْدَيْهِ إِحْسَانًا حَلَتْهُ أُمَّةٌ كَرِهَاهَا وَوَصَّعَتْهُ كَرِهَاهَا وَحَمَلَهُ، وَفَصَّالَهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشَدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَاعِينَ سَنَةً قَالَ رَبُّ أَرْبَاعِينَ أَنَّ أَشْكُرَ يَعْمَلُكَ أَلْتَقَ أَنْفَقْتَ عَلَىَّ وَعَلَىَّ وَلِدَيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضَّهُ وَأَصْلَحْتَ لِي فِي ذُرِّيَّةٍ إِنِّي ثَبَّتْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥ »

«وَهَذَا كَتَبْ مُصَدِّقٌ» لما بين يديه من كتاب موسى ، أو لما سبقه من الكتب والصحف . «لِسَانًا عَرَبِيًّا» حال من ضمير الكتاب في «مُصَدِّقٌ» والعامل فيه " مصدق " ويجوز أن يتصرف عن «كَتَبْ» لتخفيضه بالصفة . «وَبُشِّرَى» معطوف على محل «لِيُسْنِدَ». و «كَرِهَاهَا» أي : ذات كرهه ، أو كرهها نصب على أنه صفة للمصدر؛ أي : حملأ كرهها وهذه الآية دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر<sup>(٢)</sup> .

«وَحَمَلَهُ، وَفَصَّالَهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا» اقتطع منها سنتين بقوله : «وَفَصَّالَهُ، فِي عَامَيْنَ»<sup>(٣)</sup> فبني من الثلاثين ستة أشهر . فإن قلت : المراد بيان مدة الرضاع لا مدة الفصال فلم قال : «وَفَصَّالَهُ، فِي عَامَيْنَ» ؟ قلت : لما كان الرضاع يلابس الفصال وينتهي به جعل بأنه الرضاع ، فأخبر عنه بأن مدته سنتان ؛ قال (٢٥٩/ب) [من الحفيظ] :

كُلُّ حِيٍّ مُسْتَكْمَلٌ مَدَدَ الْعَمَدِ رِيمُودٌ إِذَا انْتَهَى أَجْلُهُ<sup>(٤)</sup>

وبلوغ الأشد من الثلاثين إلى الأربعين . وقيل : أربعون . وقيل : ثلاثة وثلاثون .

وقيل : لم يبعث نبي قط إلا بعد أن صار عمره أربعين سنة والمراد بالنعمة التي استودع الله

(١) سورة الأنعام ، الآية (٢٥) .

(٢) قال الخطيب الشريبي في كتاب الإقناع (١/٩٩) : " وأقل زمن الحمل : ستة أشهر ولحظتان: لحظة للوطء ولحظة للوضع - من إمكان اجتماعهما بعد عقد النكاح، وأكثره - أي زمن الحمل - : أربع سنين وغالبه تسعه أشهر للاستقراء كما أخبر بوقوعه الشافعي وكذا الإمام مالك " .

(٣) سورة لقمان ، الآية (١٤) .

(٤) البيت للطرماح ، ينظر في : تفسير الطبرى (٢٣١/٣) .

الشكر عليها - نعمة الإسلام والهداية وجمع بين شكر النعمة عليه وعلى والديه ؛ لأن النعمة عليه نعمة على والديه ، وكذلك النعمة على الوالدين نعمة على الولد . وقيل في الأعمال المرضية الصلوات الخمس ، ومعنى «وَاصْلِحْ لِي فِي ذُرْقَنْ» أجعلهم محلاً للصلاح ، ومنه [ من الطويل ] :

إِلَى الضَّيْفِ يَجْرُّ فِي عَرَاقِيهَا نَصْلِي<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ تَعْتَذِرْ فَالْمَحْلُّ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا  
﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من المخلصين .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنْقَبُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَجَارُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الْمُصَدِّقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالَّدِيهِ أَفَ لَكُمَا أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ حَلَّتِ الْفُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْيَثَانِ اللَّهَ وَيَلْكَ أَمَنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَّرٍ قَدْ حَلَّتِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْمُنَّ وَالْإِنْسَ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

وقوله : «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ» أي : مع أصحاب الجنة وقيل : نزلت في أبي بكر وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده ، واستجابة دعائه فيهم . وقيل : لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار اجتمع له إسلام أبوه وأولاده إلا هو<sup>(٢)</sup> . «وَالَّذِي قَالَ لِوَالَّدِيهِ» يريده : من كان من هذا الجنس ، ولذلك وقع الخير مجموعاً . وقيل : المراد عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ؛ دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان فأبى وقال : أَفْ لَكُمَا ، وأنكرت عائشة ذلك ، وقالت : عبد الرحمن رجل صالح فكيف نزلت في حقه<sup>(٣)</sup> .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي : وجب عليهم كلمة العذاب ، وحكي أن معاوية

(١) ذكر جزءاً منه المباركفوري في تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى (٩/٢٢٣) ، وال蔓واوى فى فيض القدير (٢/١٣٤) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/٣٠٣) .

(٣) روى ذلك الطبرى فى التفسير (٢٦/١٩) ، ونسبه السيوطي فى الدر المثور (٧/٤٤٤) لعبد بن حميد والنثائى وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردوحه . قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤/١٥٩ - ١٦٠) : " ومن زعم أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبي بكر ربى فهو ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ربى أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه . ثم قال : " قوله : (أولئك) بعد قوله : (والذى قال) دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك . وقال الحسن وقتادة : هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث " .

بaidu ليزيد ولده ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لقد جئتم بها هرقلية ، فقال مروان : يا أيها الناس : هذا الذي قال الله في حقه : ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أُفِّ لَكُمَا﴾ فسمعت عائشة فغضبت وقالت : إن عبد الرحمن رجل صالح ، والله ما هو به ، ولو شئت أن اسميه لسميته ، ولكن هو قصص من لعنه الله<sup>(١)</sup>. واللام للبيان ؛ أي : هذا التألف لكما خاصة ؛ كقوله : ﴿هَيَّاتَ لَكَ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿أَنْ أُفْرَجَ﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقَرُونُ مِنْ قَبْلِ﴾ أي : ولم يأت منهم من يخبرنا عن حقيقة الحال . ﴿وَسَتَعْيَثُان﴾ يقولان : الغياث بالله منك .

﴿وَلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور . (١/٢٦٠) المراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الملاك . ﴿فِي أَمْرِ﴾ ؛ كقوله : ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ .

﴿وَلَكُلُّ درَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوْفِهِمْ أَعْنَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبُتُمْ طَيْبَتُكُمْ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَسْتَعْنُتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُبَعْرَوْنَ عَذَابَ الْهُنُونِ يَمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْرِهُونَ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ الْمُقْرَبَاتِ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسِهُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَذْكُرْ أَخَاكُمْ إِذَا أَنْذَرْ قَوْمَهُ بِالْأَخْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿فَالْمُؤْمِنُ أَجْهَنَّمَ نَافِكًا عَنِ الْمُهَاجِنَّ فَإِنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنَّتْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

﴿وَلَكُلُّ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي : منازل ومراتب لما عملوا من الخير والشر ، والنار درجات ، والنار دركات ؛ فغلب جانب الخير . و﴿وَلِيُوْفِهِمْ﴾ تعليل معلله محذوف تقديره : فعل ذلك ليو فيههم ﴿وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبُتُمْ﴾ أي : يقال لهم : أذهبتم ، ويقال المحذوفة هي العاملة في الظرف ، والعرض على النار ؛ كقولك : عرضت الحوض عليها . وفي تفسير ابن عباس : ي جاء بهم إليها فيكشف لهم عنها<sup>(٥)</sup>.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتُكُمْ﴾ أي : لم يكن لكم حظ من الطيبات إلا ما أصبتموه في الدنيا ، وقد أخذتموه فلم يبق لكم نصيب في الآخرة . وروي عن عمر أنه قال : لو شئت لكتت أحسنكم لباساً وأطيبكم طعاماً ، ولكني سمعت الله ينعي لقوم أنهم أخذوا نصيبهم من الطيبات في

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٧/٤٤٤) لابن أبي حاتم وابن مردوه .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٣٠٥) .

الدنيا<sup>(١)</sup> . ومر النبي ﷺ بأهل الصفة ، وهم يرعنون ثيابهم بالأدم ما يجدون لهم رقاعاً ، فقال: " أنتم اليوم خير أم يوم يغدو على أحدكم بمحنة ويراح بأخرى ، ويغدو محله ويروح بأخرى ؟ فقالوا: ذلك اليوم خير ؟ فقال النبي ﷺ : " بل هذا خير " <sup>(٢)</sup> .

**﴿الْهُوَن﴾** الموان . الأحقاف : جمع حقف ، وهي رمال مستطيلة مرتفعة ، مأخوذة من حقوق الشيء : إذا اعوج . وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون على رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها: **الشحر**<sup>(٣)</sup> من بلاد اليمن . وقيل : بين عمان ومهرة . والمنذر: جمع نذير، يعني المنذر، أو الإنذار . **﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾** من قبله **﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾** من بعده ، والمعنى: أن الله يعني إليكم لامركم بالتوحيد ، وأخوفكم العذاب ، وأعلمهم أن الرسل الذين كانوا قبله بعثوا بمثل ذلك ، ولك أن تجعل قوله: **﴿وَقَدْ خَلَتِ النَّذَرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾** اعترافاً بين **﴿أَنَّذَرَ قَوْمَهُ﴾** وبين **﴿أَنَّ لَا تَعْبُدُوا﴾** ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك ، وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك .

**﴿إِنَّا فِكَنَا﴾** لتصرفنا ؛ يقال : أفكه عن الأمر: إذا صرفه . **﴿عَنْ مَا لَهُتَنَا﴾** عن عبادتها .

**﴿فَأَنَّا بِمَا يَعْدُنَا﴾** من معاجلة العذاب .

**﴿فَالِّي إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مَا أُنْزِلْتُ إِلَيْهِ وَلَا يَكُنَّ أَرْبَكُّ فَوْمًا بَجَهَلُونَ**<sup>(٤)</sup> **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْ دَيْنَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلْنَاهُ إِلَيْهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**<sup>(٥)</sup> **﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكُنُهُمْ كَذَلِكَ بَغْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**<sup>(٦)</sup>

إنما طابق قوله : (٢٦٠/ ب) **﴿فَالِّي إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾** لقوله : **﴿فَأَنَّا بِمَا يَعْدُنَا﴾** لأن هوداً هددهم بالعذاب فأنكروه واستهزءوا به ؛ فقال لهم : إنني لا أعلم إلا ما علمني الله ؛ ولكنه تعالى لم يعلمني بوقت العذاب ، وليس علي إلا البلاغ ، وأنتم قوم تجهلون فتضييفون إلى العلم بالمعيقات ، والهاء في **﴿رَأْوَهُ﴾** ترجع إلى **﴿بِمَا يَعْدُنَا﴾** ويجوز أن يكون مبهماً فسره ما بعده إما تمييزاً وإما حالاً.

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٦/ ٢٦).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المثور (٦/ ١٢) ونسبة لعبد بن حميد وابن جرير الطبرى .

(٣) الشحر - بكسر أوله وإسكان ثانية بعده راء مهملة - : ساحل اليمن وهو متند بينها وبين عمان .

ينظر : معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (٣/ ٧٨٣) .

والعارض : السحاب الذي يعرض في أفق السماء ، ومنه : الحبي والعنان من حبا وعنَ إذا ظهر . وإضافة « مُسْتَقِلٌ » و « مُمْطَرُناً » مجازية لا تقتضي تعريفاً بدليل أنه وصف بهما النكرا . « بَلْ هُوَ مَا أَسْعَجَتُمْ بِهِ » هذا من قول هود . « تُدَمِّرُ » تهلك « كُلَّ شَيْءٍ » مرت به من عاد ودوا بهم ، ولم تفن جباهم ولا أرضهم ، فـ « كُلَّ شَيْءٍ » هو عام مخصوص . « لَا يُرَى » الخطاب للرأي كائناً من كان . وروي: أن الريح كانت تحمل الظعينة في الجو حتى ترى كالجريدة ، وكذلك تفعل بالفسطاط<sup>(١)</sup> . وروي: أنه أول ما عرفوا أنه عذاب أنهم رأوا ما على الجبل من أنفسهم ودوا بهم تحمله الريح بين السماء والأرض . وروي: أن هوداً لما رأى فعل الريح خط على نفسه خطأ إلى جانب عين تبع عليه وعلى المؤمنين . وقيل: اعتزلوا في حظيرة ما ينالهم من الريح إلا ما تلين عليه الجلد ، وإنها لتمر على عاد بالظعن بين السماء والأرض ، وتدفعهم بالحجارة<sup>(٢)</sup> .

وقيل : إن النبي ﷺ كان إذا رأى الريح تغير وجهه ، ودخل وخرج ؛ فقيل له في ذلك ؟ فقال : " إني أخاف أن يكون كما قال قوم عاد ؛ ظنوه رياحاً تأتي بالمطر والخصب ؛ فإذا هي مهلكة لهم ولدوا بهم " <sup>(٣)</sup> .

**﴿ وَلَقَدْ مَكَثُوكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَثَنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْتَدَهُمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْتَدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ٦٦ ﴾** وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا مَا حَوَلَكُمْ مِنَ الْقُرْبَى وَصَرَقْنَا أَلْيَاتَ لِعَلَمِهِمْ يَرْجِعُونَ <sup>(٤)</sup> فَلَوْلَا نَصَرُهُمُ الَّذِينَ أَحْدَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا إِلَهَةً بَلْ ضَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِنْ كُفُّهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَدُونَ

(١) رواه الطبراني في تفسيره (٢٦/٢٦) ، والظعينة : الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن ، والظعينة : المرأة في الهودج سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه . وقيل : سميت المرأة ظعينة لأنها تقطعن مع زوجها وتقيد بإقامته كالجليسة ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج . وعن ابن السكيت : كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره والجمع ظعائن وقطعن وقطعن وأطعان وقطعنات . والفسطاط : بيت من شعر ، وفيه لغات : فسطاط وفستاط وفساط . وكسر الفاء لغة فيهن ، وفسطاط مدينة مصر ، والجمع فساطيط . ينظر : لسان العرب (قطعن) و(فسطاط) .

(٢) ذكر ذلك كله الزخشي في الكشاف (٤/٣٠٧ - ٣٠٨) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٣٩) ، ومسلم رقم (٨٩٩) ، وأحمد في المسند (٦/٢٤٠) ، والترمذني رقم (٣٢٥٧) ، وابن ماجه رقم (٣٨٩١) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٨٦٥) .

﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمُورُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِسْنَا فَلَمَّا فُضِّلَ وَلَوْا  
إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾

﴿إن﴾ نافية أي : فيما ما مكناكم فيه ، وأنكر الزمخشري<sup>(١)</sup> التمثيل بما الثانية ؛ لأنه يستتبع إعادة اللفظ الواحد إلا لضرورة ، وكان الأحسن أن يقول : فيما لم نكن ، ويدل عليه أنهم جعلوا " مهما " : " مه " دخلت عليها " ما " فكرهوا أن يقولوا " ماما " فقالوا : مهما وقد جعلت ﴿إن﴾ صلة زائدة مثلها فيما أنشده الأخفش [ من الوافر ] :  
يرجّي المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوط<sup>(٢)</sup>

وتأويله : إنما مكناكم فيما إن مكناكم فيه ، ومعنى الأول أظهر ، ومثله قوله : ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُمْ بِخَلَقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعُ اللَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَقِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> (١/٢٦١) ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من الغنى ، وانتصب قوله : ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾ بقوله : ﴿فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ﴾ ودخلت ﴿إِذ﴾ وفيها التعليل ؛ كما تقول : ضربت زيداً لإساءته ، وضررته إذ أساء ؛ فإن التعليل يفهم من اللفظين . ﴿مَا حَوَلَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقَرَى﴾ والمراد أهل القرى ؛ لقوله : ﴿عَلَاهُمْ﴾ . القريان : ما تقرب به إلى الله ، أي : اخذوه شفاء متقربا بهم إلى الله وأحد مفعولي ﴿أَخْدُوا﴾ الماء المضمرة تقديره : اخذدوه . والثاني : ﴿أَهْلَهُ﴾ و﴿قُرْبَانًا﴾ حال ، والمعنى : فهلا منعهم آهتهم التي اخذوها شفاء من الاحلاك ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ غابوا عن نصرتهم في الموقف .

و﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى منع نصرة آهتهم لهم ، والإفكُ والأفَكُ ؛ كالخذرُ والخذرُ، وقد قرئ بهما<sup>(٤)</sup>. ﴿صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ أمناهم إليك . والنفر: دون العشرة . ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾

(١) الكشاف للزمخشري (٤/٢٠٨).

(٢) ينظر البيت في : خزانة الأدب للبغدادي (٣/٥٦٧)، الدر المصنون للسمين الحلي (٦/١٤٢)، الكشاف للزمخشري (٤/٢٤٥)، مغني اللبيب لابن هشام (١١/٤٧).

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦٩).

(٤) قرأ " أفكهم " بفتح الميم ابن عباس . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٦٤)، تفسير القرطبي (٦/٢٠٦)، الدر المصنون للسمين الحلي (٦/١٤٣)، الكشاف للزمخشري (٣/٥٢٤)، المختسب لابن جي (٢/٢٦٨).

الضمير للقرآن ، أي : فلما كان يسمع منهم ، أو لرسول الله . **﴿قَالُوا﴾** قال بعضهم البعض : **«أَنْصِوْا»** اسكتوا . وروي أنه لما بعث النبي ﷺ ازداد الرمي بالشهب وحرس السماء بها ، فقالت الجن: إنما هذا لأمر حدث في الأرض فبعثوا تسعه . وقيل: سبعة من أشرافهم فوافوا النبي ﷺ وهو في بطن نخلة في صلاة الفجر، أو في صلاة الليل ، فاستمعوا لقراءته ، وذلك حين توجه إلى جهة ثقيف يستنصرهم ، فلم يحييه وأغرروا به السفهاء والصبيان<sup>(١)</sup> . وعن سعيد بن جبير أنه قال : " لم يقرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ؛ ولكن مروا به وهو يصلّي ولا يشعر ، فأنبأه الله باستماعهم " <sup>(٢)</sup> .

وروي أن النبي ﷺ ليلة الجن قال لأصحابه : " إني أمرت أن أتلوا على الجن القرآن فمن يحييء معي ؟ فلم يقل أحد أنا ، فقال ابن مسعود : أنا يا رسول الله . فخرجنا حتى أتينا وادي الحجون ، فخط لي خطأ ، فقال : اجلس هنا ولا تخرج ، ثم ذهب عني حتى غاب عن عيني ، وجاء الجن كقطع السحاب فقرأ عليهم سورة **﴿أَفَرَا يَأْتِي رَبُّكَ﴾** فلما قضى جاءني رسول الله ﷺ وتفرق الجن ذاهبين كقطع السحاب <sup>(٣)</sup> .

**﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَيْعَنَا كَيْتَبَ أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾** <sup>(٤)</sup> **يَنْقُومُنَا أَجِبُّو دَاعِيَ اللَّهِ وَإِمْنَاؤِهِ يَغْفِر لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُحِرِّكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ﴾** <sup>(٥)</sup> **وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** <sup>(٦)</sup> **أَوْلَئِرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْنِي بِخَلْقِهِنَّ يُقْنَدِرُ عَلَى أَنْ يُنْجِيَ الْمَوْقَفَ بِكَيْ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** <sup>(٧)</sup>

قيل : كان جملتهم اثنى عشر ألفاً ، وإنما قالوا : **«مِنْ بَعْدِ مُوسَى»** ولم يذكروا عيسى ؛ لأن أولئك الجن كان يهودا لا يصدقون بعيسى ، واختلف في الجن ؛ هل لهم ثواب على الطاعة أم لا ؟ فقيل : لا ثواب (٢٦١/ ب) لهم ، وإنما يجارون من العذاب ؛ لقوله ه هنا .

**﴿وَيُحِرِّكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ﴾** وال الصحيح أنهم يشابون . **﴿يُقْنَدِرُ﴾** في محل الرفع خبر أن ،

(١) روى خوه الطبرى فى تفسيره (٢٩/ ١٠٣) ، ونسبة السيوطى فى الدر المثور (٨/ ٢٩٧) لابن المنذر .

(٢) رواه الترمذى فى سننه رقم (٣٣٢٣) ، والحاكم فى المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٤٦) ، والطبرى فى

تفسيره (٢٩/ ١٠٢) ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٣) رواه الطبرى فى تفسيره (٢/ ٣٢) ، والحاكم فى المستدرك (٢/ ٥٤٧) .

ودخلت الباء ؛ لأن الكلام مصدر بالنفي ؛ قال الزجاج<sup>(١)</sup> : ما علمت أن زيداً محاضر جائز . يقال : عييت بالأمر : إذا لم يعرف وجهه ، ومشيت حتى أعييت ؛ من الإعياء وهو التعب . **﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾** أي : فيقال لهم ذلك ، وهذا المضمر هو ناصب الظرف .

**﴿أُولُو الْعَزْمِ مِنْ أَرْسُلِي﴾** أولو الجد والثبات ، و**﴿مِنَ﴾** يجوز أن تكون للتبعيض ، ويراد به **﴿أُولُو الْعَزْمِ﴾** بعض الأنبياء . وقيل : إن " من " لبيان الجنس ، أي : فاصلب كما صبر أولو العزم الذين هم رسل . **﴿وَلَا تَسْتَعِجِلْ﴾** لكفار قريش بالعذاب وأنهم يستصررون مدة مقامهم في الدنيا حتى يجعلوه **﴿سَاعَةً مِنْ تَهَارِ﴾** .

**﴿بَلَغُ﴾** خبر مبتدأ محنوف ، أي : هذا بلاغ ، فلن يهلك إلا الخارجون عن العمل بالواجب .

\* \* \*

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٤٧/٤) وعبارته : " لو قلت : ' ما ظنت أن زيداً يقائم جاز .

## تفسير سورة محمد [ مدانية ]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْنَاهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَمَا مَأْتُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحُقُوقُ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرُوا بِهِمْ سِيَّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَّهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَبَعَدُوا الْبَطْلَ وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَبَعَدُوا الْمَغْرِبَ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَقْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرِبُوا الْقَابِ حَقَّ إِذَا أَخْتَمُوهُمْ فَشَدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فَدَاهَ حَقَّ تَضَعُمَ الْمَرْبُّ أَوْ زَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَا يَنْصَرُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّ يَتَلَوَّ بَعْضَهُمْ كَمَ بَيْعَنْ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ قُلُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبَلِّغَ أَعْنَاهُمْ ﴿٥﴾﴾

﴿وَصَدُّوا﴾ وأعرضوا ، وامتنعوا عن الدخول في الإسلام ، أو : صدوا غيرهم عنه ؛ قال ابن عباس : هم المطعمون يوم بدر<sup>(١)</sup> . وقيل : هي عامة في كل من كفر وصد . ﴿أَضَلَّ أَعْنَاهُمْ﴾ أبطلها ، تقول : ضل الماء في اللبن ؛ إذا لم يبق له طعم . وقيل : أبطل ما مکرو به للنبي ﷺ . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل : هم ناس من الأنصار . وقيل : هم مؤمنو أهل الكتاب . ﴿وَمَا مَأْتُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ خص الإيمان بما نزل مع أن ما يجب الإيمان به كثير؛ لينبه بذلك على فضيلة هذا الوصف ، وأن الإيمان لا يتم إلا به وأكده ذلك بالجملة المعرضة وهي قوله ﴿وَهُوَ الْحُقُوقُ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ . وقيل : ﴿وَهُوَ الْحُقُوقُ﴾ أي : الثابت فإنها شريعة لا تنسخ ، وغيرها من الشرائع ننسخ بها . ﴿وَأَصْلَحَ بَالَّهُمْ﴾ أي : حالم و شأنهم بال توفيق . ﴿ذَلِكَ﴾ أي : إبطال أعمال الكفار وإثابة المؤمنين بسبب ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَبَعَدُوا الْبَطْلَ وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَبَعَدُوا الْمَغْرِبَ﴾ و ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ، وما بعده خبره ويجوز أن ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مذوف ؛ أي : الأمر كما ذكر ؛ فيكون محل الجار وال مجرور منصوبا على هذا ، ومرفوعا على الأول ، والضمير في

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/٣١٤) ، وروى الحاكم في المستدرك (٢/٤٩٦) عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله عز وجل - : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْنَاهُمْ﴾ قال : منهم أهل مكة ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال : هم الأنصار ، قال : ﴿وَأَصْلَحَ بَالَّهُمْ﴾ قال : أمرهم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

﴿أَمْنَاهُمْ﴾ راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين ، ومعنى ضرب الأمثال : أن جعل الكفار بکفراهم (٢٦٢ / أ) كالذين تبعوا الباطل ، والمؤمنين كالذين تبعوا الحق ، وأن جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار ، وتکفير السیئات مثلاً لفوز المؤمنين . ﴿لَقِيمُهُ﴾ من اللقاء وهو الحرب . ﴿فَضَرَبَ الْإِقَابِ﴾ مصدر مخدوف الفعل بمعنى الأمر ، وضرب الرقاب كنایة عن القتل ولو وقع بغیر ضرب العنق كما قلنا : بما کسبت يداك ، ولو کسب بکونه حارس بستان قيل : بما کسبت يداه . ﴿أَخْنَثُوهُمْ﴾ أكثرتم القتل فيهم ، مأخوذ من الشيء الشixin ، ومنه : ﴿حَقَّ يُشَخِّرُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> أي: يکثر القتلى فيها ، و﴿الْوَقَاف﴾ بالفتح والكسر: اسم ما يوثق به . ﴿فَشُدُّوا الْوَقَاف﴾ فأسرورهم ﴿مَنَا﴾ و﴿فِدَاء﴾ المصدران فعلهما مضمران ، ويعني الخيار بعد أسرهم من القتل والمن ، وعند أبي حنيفة يتخير الإمام بين القتل والاستراق ، ولا من عنده ولا فداء ، ويقول : كان المن والفاء في ابتداء الإسلام ، وضعف المسلمين ؛ وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام . وعند الشافعي: يتخير الإمام بين أمور أربعة : القتل والاستراق والمن والفاء، وهو ظاهر القرآن ، وقد منَّ رسول الله ﷺ على أبي عروة ، فادى رجلاً برجليه من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي<sup>(٢)</sup>.

وأوزار الحرب : آلاتها وألقاها التي لا تقوم إلا بها . فإن قلت : بم تعلق " حتى " ؟ قلت : المعنى عند الشافعي : أن لا يزال التخيير بين أمور أربعة ﴿حَقَّ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا﴾ . وقيل : حتى ينزل عيسى عليه السلام . وعند أبي حنيفة : المعنى : إذا علق بالضرب والشد : أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الأوزار، وإذا علق بالمن والفاء ، فالمعني : أنه يمن عليهم ويفادي حتى تضع الحرب أوزارها<sup>(٣)</sup>. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك ، أو افعلوا ذلك . ﴿لَا نَتَصَرَّفُ مِنْهُمْ﴾ أي : لانتقام منهم ببعض أسباب الهاك ﴿وَلَكِن﴾ أمركم بالقتال ﴿لَبَلُوا﴾ المؤمنين بالكافرين . وعن قتادة : نزلت في يوم أحد .

(١) سورة الأنفال ، الآية (٦٧).

(٢) ينظر: المبسوط للسترسكي (١٠ / ١٣٨ ، ١٣٩) ، بدائع الصنائع للكاساني (٧ / ١١٩ ، ١٢٠) ، أحكام القرآن للجصاص (٥ / ٢٧١).

(٣) ينظر : المذهب للشيرازي (٤ / ٢٢٦ ، ٢٣٥) ، الأم للإمام الشافعي (٤ / ٢٨٦).

﴿سَيَهِدُهُمْ وَيَصْلِحُ بَلَّهُمْ ٦﴾ وَيَذْخَلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿٧﴾ يَكَانُوا أَذْلِينَ مَاءَمُوا إِنْ تَصْرُوا اللَّهَ بِصُرُومُكُمْ وَيُبَيِّنُ أَقْدَامَكُمْ ٨﴾

﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ بينها وأعلمها . وقيل : إن الملك كاتب الأعمال يمشي بين يدي المؤمن ، ويريه جميع ما وعده الله وأنجزه له . وقيل : ﴿عَرَفَهَا﴾ طيبها ، والعرف : الطيب .

﴿إِنْ تَصْرُوا اللَّهَ﴾ إن تنصروا دين الله ورسوله : ﴿تَصْرُوكُمْ﴾ على أعدائكم ﴿وَبَيَّنُتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن الحرب على محجة الإسلام . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحمل الرفع على الابتداء ، والنصب بما يفسره . ﴿فَتَعْسَاهُمْ﴾ (٢٦٢ / ب) كأنه قال : تعس الذين كفروا وعطف قوله : ﴿وَأَضَلَّ أَعْنَاهُمْ﴾ على الفعل الذي نصب ﴿فَتَعْسَ﴾ لأن المعنى : فقال تعسا لهم ، أو : فقضى تعسا لهم ، وتعسا لهم نقىض لعا لهم ؛ قال [ من البسيط ] :

فالتعسُ أولى بها من أن أقول لعا<sup>(١)</sup>

يريد : فالعثور أقرب لها من الانتعاش والثبوت . وقيل : في الدنيا القتل ، وفي الآخرة التردي في النار .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَاحِظُ أَعْنَاهُمْ ٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكُفَّارِ أَمْثَلُهُمْ ١٠﴾ ذَلِكَ بِإِنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنَّ الْكُفَّارَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَعَنَّعُونَ وَيَاكُونُ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّازِرَ مَوْتَى لَهُمْ ١٢﴾ وَكَانَتْ تِنْ قَرِيبَهُ هِيَ أَشَدُّ فُوَّةً مِنْ قَرِيبَكَ الَّتِي أَخْرَجَنَكَ أَهْلَكَنَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَهُ مِنْ رَبِّهِ كَمْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَأَبْعَوْهُ أَهْوَاهُمْ ١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُنْفَوْنَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ عَيْرٌ مَاسِنٌ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَرٌ يَغْيِرُ طَعْمَهُ وَأَنْهَرٌ

(١) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدره : بذات لوث عفرناة إذا عثرت ..... ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٧٠) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/١٤٨) ، ديوان الأعشى (ص : ١٠٥) ، العين للخليل (٨/٢٣٩) ، الكشف للزمخشري (٤/٢٥٢) ، لسان العرب (تعس) قال ابن منظور في لسان العرب : " ويدعو الرجل على بغيره الجواب إذا عثر فيقول تعسا ، فإذا كان غير جواب ولا تحبب فعثر قال له : لعا . ومعناه : أنه ينكر من مثلها في سمنها وقوتها العثار فإذا عثرت قيل لها : تعسا . ومعنى ذلك أنها لا تعثر لقوتها فلو عثرت لقلت : تعست . ولم يقل لها : تعسك الله . ولكن يدعو عليها بأن يكتبها الله لمن خربها ، والتعس أيضاً الهملاك " . وذات لوث عفرناة : ناقة ذات لحم وسمن قوية .

مِنْ حَمَرٍ لَذَّةً لِلشَّرِّيْنِ وَأَتَهُمْ مِنْ عَسْلٍ مُصْبَحٍ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي الْأَنَارِ  
وَسَقُوا مَاءً حَمِيْرًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَ هُمْ ﴿١٥﴾

﴿كَهُوَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التكليف والامتناع من الشهوات والملاذ . دمه : أهلكه ، ودمه عليه : أفسد عليه ما يختص به من نفسه وولده وماله .

﴿وَلِكُفَّارِ﴾ أمثال تلك العاقبة أو الحلكة أو السنة ؛ كقوله تعالى : «شَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ حَلَّوْا  
مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(١)</sup> «مَوْلَى الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا﴾ ولهم وناصرهم .

روي أن الكفار نادوا يوم أحد : علا هبل ؛ فأجابهم المسلمون : الله أعلى وأجل ؛ فقال المشركون : لنا العزي ، ولا عزي لكم ، فقال المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم<sup>(٢)</sup> و قوله تعالى : «وَرَدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ﴾<sup>(٣)</sup> هل فيه مناقضة لهذا ؟ قلت : لا تناقض بينهما ؛ لأن الله تعالى مولى جميع العالم ، وأنه خالقه ومدبره ، وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة . «يَسْتَعْنُونَ» يتغدون بمتاع الحياة الدنيا زمانا قليلا . «وَأَكْلُونَ» غافلين كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح . «مَتَّوْلَهُمْ» منزل مقام . وأراد بالقرية أهلها وهذا قال : «أَهْلَكَنَّهُمْ» .

ومعنى «أَخْرَجَنَّكَ» كانوا سبب إخراجك . فإن قلت : كيف قال : فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى ؟ قلت : أجري مجرى الحال الحكية ؛ كأنه قال : أهلكناهم فهم لا ينصرون «كَمَنْ زَيْنَ لَهُ» هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن «كَانَ عَلَىٰ بَيْتَهُ مِنْ رَبِّهِ» أي : على حجة وبرهان ، وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات ، وهو رسول الله ﷺ والمعنى : لا يستوي من اتبع الحجة الصحيحة ومن زين له سوء عمله فرأه حسنا . «مَثَلُ الْجَنَّةِ» صفة الجنة العظيمة الشأن ، وهو مبتدأ وخبره «كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ» و قوله : «فِيهَا أَنْهَرٌ» داخل في حكم الصلة ؛ كالتكريير لها ؛ لأنك لو قلت : مثل الجنة التي فيها أنهار لكان صحيحا . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ ممحوف ، أي : هي فيها أنهار ؛ لأن (١/٢٦٣) قائلا قال : وما مثلها ؟ قليل : فيها أنهار ، وأن يكون في موضع الحال ؛ أي : مستقرة فيها

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٨) .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٤/١٠٥) و (٤٤/٢٦) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٦٢) .

أنهار **«مِنْ لَبَّنِ لَهُ تَنْعِيرٌ طَعْمَهُ»** كما تتغير ألبان الدنيا بالحموضة **«الذَّقَ»** تأنيث لذ ، وهو اللذيد أو وصف بالمصدر.

**«وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِيْعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا حَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَاتُلُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَاتَلَ مَا فَعَلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَبَيُّوهُمْ هُرَّ** ١٦ **وَالَّذِينَ أَهَدَدُوا زَادَهُرُ هُرَّ وَإِنَّهُمْ تَفَوَّهُمْ** ١٧ **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةُ أَنْ تَأْنِيْهُمْ بَعْنَهُ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَقَاتَلَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذُكْرَهُمْ** ١٨

كان المشركون والمنافقون يحضورون مجلس رسول الله ﷺ ولا يجعلون إصغاءهم إلى ما يقول فكانوا يسألون أهل العلم عما قال النبي ﷺ **«مَا فَعَلَ»** يعني : ماذا قال الآن . قال الزجاج : هو من قوله : استأنفت الشيء : إذا ابتدأته ؛ كأنهم قالوا لأولي العلم : أخبرونا بما قال محمد ابتداء <sup>(١)</sup>.

قوله : **«وَالَّذِينَ أَهَدَدُوا زَادَهُرُ»** الله **«هُرَّ وَإِنَّهُمْ تَفَوَّهُمْ»** أعندهم عليها ، أو آتاهم جزاء تقوفهم . وعن السدي : بين لهم ما يتقوون <sup>(٢)</sup> . وفاعل **«زَادَهُرُ»** هو قول الرسول ﷺ أو الاستهزاء من المنافقين . **«أَنْ تَأْنِيْهُمْ** بدل اشتغال من الساعة . قوله عز وجل **«فَقَاتَلَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذُكْرَهُمْ»** **«ذُكْرَهُمْ»** متعلق بـ **«فَقَاتَلَ»** أي : من أين لهم التذكر ، وبعد نزول الآيات لا ينفع التذكر . الأشراط : العلامات ، ومن أشراطها : بعثة محمد ﷺ وانشقاق القمر ، والدخان . وعن الكلبي : كثرة المال ، وشهادة الزور ، وقطع الأرحام ، وقلة الكرام ، وكثرة اللئام <sup>(٣)</sup> .

**«فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَعِنُ فِي لَدْنِكَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَّبَّعَكُمْ وَمُتَّوَّلَّكُمْ** ١٩ **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةُ الْحُكْمَةُ وَذُكْرَهُمْ فِي الْقِتَالِ** رأيتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيَّ عَيْنَهُ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ٢٠ طَاعَةُ وَقُولٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَفَوْ اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ٢١ فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ قَوَّيْتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَقَطَعْتُمُوا أَرْحَامَكُمْ ٢٢ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَنْهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَمَ أَبْصَرَهُمْ** ٢٣

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٠ / ٥).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٢٣ / ٤).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٢٣ / ٤).

لما بين المؤمنين والكافرين قال للنبي ﷺ : فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد **﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذِلِّي﴾** ولذنوب أمتك . **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقْبِلَكُمْ﴾** في الدنيا ، **﴿وَمَتَوْتَكُمْ﴾** في القبور . وقيل : والله يعلم أحوالكم وتقلباتكم في معايشكم ومتاجركم **﴿وَمَتَوْتَكُمْ﴾** في الجنة والنار ، ومن كان موصوفاً بالعلم بجميع المعلومات حقيقة بأن يتلقى ويتحف عقابه ، وأن يستغفر ويسترحم . وقد قدم الله العلم في قوله : **﴿فَاعْمَلُوا إِنَّ اللَّهَ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ﴾** على الأعمال المذكورة بعد العلم ؛ قال : **﴿أَعْلَمُوا أَنَا أَلْهِيَّةُ الَّذِي لَعَبَ وَفَتَ﴾**<sup>(١)</sup> الآية . وقال : **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ وَفَانَّ اللَّهُ خَمْسُهُ﴾**<sup>(٢)</sup> قدم العلم وجعل العمل بعده . كان المؤمنون يتمنون الإذن لهم في القتال فلما أذن لهم جبن بعضهم عن الكفار ، وقال بعضهم : **﴿رَبِّنَا لَمْ كَبَّتْ عَيْنَاتِنَا أَفْنَالَ﴾**<sup>(٣)</sup> وقال لها هنا : **﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةً مُّخْكَمَةً وَذُكِّرَ فِيهَا أَفْنَالُ﴾** الآية ، فصارت أعينهم تدور دوراً مثل دوران أعين الذي يغشى عليه من الموت . **﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** من لم يكن ثابت (٢٦٣/ب) القدم في الإسلام . **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** بمعنى : ولهم ، وهي أ فعل من الولي ، وهوقرب ، وهو دعاء عليهم بأن يليهم المكروره . **﴿طَاعَةٌ وَقُولٌ مَعْرُوفٌ﴾** كلام مستأنف ، أي : خير لهم . وقيل : هي حكاية قو لهم ، أي : قالوا طاعة وقول معروف ، بمعنى : أمرنا طاعة وقول معروف . **﴿فَإِذَا عَنِمَ الْأَمْرُ﴾** أي : جد . والعزم والجد لأصحاب الأمر ، وإنما يستدانا إلى الأمر إسناداً مجازياً ، وهو قوله : **﴿وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزِّ الْأَمْرِ﴾**<sup>(٤)</sup> **﴿فَلَوْ كَدَّفُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾** فيما زعموا من الحرص على الجهاد ، أو: فلو صدقوا في إيمانهم ، وواطأت قلوبهم فيه أستتهم . **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾** وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب التفاصيًّا ومعنى هل عسيتم أن تفسدوا أي : هل يتوقع منكم الإفساد ، والله عالم بما كان وما يكون فمعناه : فهل يرجي منكم إذا علم باطن أحوالكم ورخاؤه عقيدتكم أن يكون هؤلاء حقيقيون بذلك . **﴿أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾** حرضاً على الدنيا وعلى الملك . وقيل : إن أعرضتم وتوليتكم عن دين رسول الله ﷺ وستنه أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتجاور وقطع الأرحام بمقاتلة بعضكم ببعضًا ووأد البنات .

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٤١) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٧٧) .

(٤) سورة لقمان ، الآية (١٧) .

﴿أَوْلَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿لَفِنْهُمْ أَلَّهُ﴾ لفسادهم وقطعهم الأرحام ، ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين المخلصين ، وأنهم يتشوون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم : ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً﴾ في معنى الجهاد ، رأيت المنافقين فيما بينهم يتضجرون منها .

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَى أَذْنَبِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّأَنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لِ الشَّيْطَنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَأَنَّهُمْ ٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَاتُلُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَرَكَ اللَّهُ سَنُطْبِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُ ٣﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ أي : لا يتصفحون معانيه ، ووعده للعصابة حتى لا يمسروا على العاصي ، ثم قال : ﴿أَفَعَلَّى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ أم يعني بل ، وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر . وعن قتادة في قوله : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ لو تدبّروه لوجدوا فيه شفاء لما في صدورهم <sup>(١)</sup> .

فإن قلت : لم نكرت القلوب وأضيقت الأقفال إليها ؟ قلت : أما تنكير القلوب فلا أحد وجهن : أحدهما : تعظيم أمر الغشاوة التي استولت على قلوبهم . أو : على قلوبِ وأي قلوب !! وأما إضافة الأقفال إليها فإنه يريد الأقفال المختصة بها ، وهي أقفال الكفر .

﴿الشَّيْطَنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ خبر إن ، أي : سهل لهم ركوب العظام ، وهو من السول الذي هو استرخاء الإرقة ؛ قاله بعض الناس ، وأنكره الزمخشري (٤/٢٦٤) وقال : وهو لا يوافق قواعد التصريف <sup>(٢)</sup> . ﴿وَأَمْلَأَنَّهُمْ﴾ وأمد لهم ؛ من الإمداد ، وهم اليهود ؛ كفروا بمحمي عليه السلام بعد تبّين صحة نبوته ونعته في التوراة ، وقيل : هم المنافقون .

وقوله : ﴿قَاتُلُوا﴾ يريد اليهود ، والذين ﴿كَرِهُوا مَا نَرَكَ اللَّهُ﴾ المنافقون . وقيل : هو قول المنافقين لقريطة والتضير : ﴿لَيْنَ أَخْرِجْتَمْ لَنَخْرَجْ بِمَعْكُمْ﴾ الآيات <sup>(٣)</sup> . وقيل : ﴿بعض الْأَمْرِ﴾ التكذيب برسول الله ﷺ أو بـ " لا إله إلا الله " أو يترك الفتال معه . وقيل : هو قول أحد الفريقين للمشركين : ستطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله ﷺ أو على

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٥٧/٢٦).

(٢) الكشاف (٤/٣٢٦) وعبارته : " وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جيعاً .

(٣) سورة الحشر ، الآية (١١).

القعود عن الجهاد معه، ومعنى **﴿فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾** أي: بعض ما تأمرون به ، أو : الأمر الذي يهمكم . **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾** قالوا ذلك سراً فيما بينهم ، فأفشاه الله عليهم ؛ فكيف يعملون ؟ !

**﴿فَكَيْفَ إِذَا قَوْنَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ ﴾** **٢٧** **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَسَكَرُهُو رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾** **٢٨** **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَنَهُمْ ﴾** **٢٩** **﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَا كَرِتَكُمْ فَلَعْرَفَنَهُمْ بِسِيمَهُمْ وَلَتَعْرِفَنَهُمْ فِي لَهِنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴾** **٣٠** **﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالْأَصْدِيقَيْنَ وَنَبْلُوَنَّا أَخْبَارَكُمْ ﴾** **٣١** **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضْرُبُوا اللَّهُ شَيْئًا وَسِيَحْرِطُ أَعْمَلَهُمْ ﴾** **٣٢**

وعن ابن عباس : " لا يتوفى أحد على معصية الله إلا تضربه الملائكة في وجهه ودبره " <sup>(١)</sup>.

**﴿ذَلِكَ﴾** إشارة إلى التوفي الموصوف . **﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾** من كتمان بعث رسول الله **ﷺ** و**﴿رِضْوَانُهُ﴾** الإيمان برسوله . **﴿أَصْفَنَهُمْ﴾** أحقادهم ، وإخراجها : إبرازها لرسول الله **ﷺ** وللمؤمنين ، وإظهارهم على العداوة ، وكانت صدورهم تغلي حتفاً عليهم .

**﴿لَا كَرِتَكُمْ﴾** لعرفناك بهم ، ودللناك عليهم لا يخفون عليك . **﴿بِسِيمَهُمْ﴾** بعلامتهم ، وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها . وعن أنس : " ما خفي على رسول الله **ﷺ** بعد هذه الآية شيء من المنافقين ؛ كان يعرفهم بسمائهم ، ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكون الناس ، فباتوا ذات ليلة فأصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوبًّا هذا منافق " <sup>(٢)</sup> . فإن قيل : أي فرق بين اللامين في " فلعرفتهم " و " لتعرفهم " ؟

قلت : الأولى هي الداخلة في جواب **﴿وَلَوْ﴾** التي في **﴿لَا كَرِتَكُمْ﴾** كررت في المطوف ، وأما اللام في **﴿وَلَتَعْرِفَنَهُمْ﴾** فواقعه مع اللون في جواب قسم مذوف . **﴿فِي لَهِنِ الْقَوْلِ﴾** في نحوه ، وعن ابن عباس : هو قوله : ما لنا إن أطعنا من الشواب ؟ ولا يقولون : ما علينا إن

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٥٢٧/٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٥٢٧/٣).

عصينا من العقاب ؟<sup>(١)</sup> . وقيل : اللحن : أن تلحن بكلامك : أن تميله إلى نحو من الأنحاء ؛ كالتورية . **﴿أَخْبَارُكُمْ﴾** ما يحكى عنكم ؛ إن حسناً (٢٦٤ / ب) فحسن وإن قبيحاً فقبيل . **﴿وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ﴾** التي عملوها في دينهم فرجعت بلا ثواب ؛ لأنها مع الكفر باطلة ، وهم قريطة والنضير ، أو : وسيحيط أعمالهم ؛ أي : مكائدتهم التي كادواها برسول الله ﷺ ، أي : سيطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم ، ولا تشرم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم . وقيل : هم رؤساء قريش المطعمون يوم بدر.

**﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطْبِعُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾** (٢٢) **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾** (٢٣) **﴿فَلَا تَنْهَنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْشُرُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾** (٢٤) **﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَلَنْ تُؤْمِنُوا وَتَنْقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾** (٢٥) **﴿إِنْ يَسْتَكْعُوْهَا فَيُحَفِّظُكُمْ بَعْلُوْهَا وَيُخْرِجُ أَضْعَافَكُمْ﴾** (٢٦) **﴿هَذَا تُمْهِلُهُنَّا لَأَنَّهُنَّا نَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَتَخَلَّ مَنْ وَمَنْ يَتَبَخَّلُ فَإِنَّمَا يَتَخَلَّ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَنْشُرُ الْفُقَرَاءُ وَلَمْ تَنْتَوْلُوا يَسْتَبِدُّ فَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** (٢٧)

**﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾** أي : بالرياء والسمعة . وقيل : بالشك والتفاق . **﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾** قيل : هم أصحاب القليب ، والظاهر العموم . **﴿فَلَا تَنْهَنُوا﴾** أي : لا تضعفوا ولا تدعوا إلى السلم **﴿وَأَنْشُرُ الْأَعْلَوْنَ﴾** الأغلبون **﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾** أي : ناصركم . و**﴿وَتَدْعُوا﴾** مجزوم ؛ لأنه في حكم النهي ، أو منصوب بإضمار "أن" .

تقول : وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم أو غيره وحقيقةه : أفردته من قريبه أو ماله وفي الحديث : "من فاتته صلاة العصر فكانا وتر أهله وماله"<sup>(٢)</sup> أي : أفرد عنها . **﴿يُؤْتِكُمْ﴾** ثواب إيمانكم وتقواكم **﴿وَلَا يَسْلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾** أي : لا يطلبها جميعها إنما يجب فيها مقدار ربع العشر .

**﴿فَيُحَفِّظُكُمْ﴾** أي : يجهدكم ، والإحفاء : المبالغة في كل شيء ؛ يقال : أحفاء في المسألة : إذا بالغ في الطلب وكرره . **﴿بَعْلُوْهَا وَيُخْرِجُ أَضْعَافَكُمْ﴾** وكرهتم ديننا يخرج أموالكم عنكم ،

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٥٢٨/٣) .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٥٢) ، ومسلم رقم (١٤٦٦) قال النووي في شرح مسلم : " ومعناه : انشزع من أهله وماله ، على البناء للمجهول ، وهو تفسير مالك بن أنس " .

والضمير في " يُخرج " الله ، أو للبخل لأنه سبب الأضغان . **﴿هَوْلَاء﴾** موصول بمعنى الذين ، صلته **﴿تَدْعَونَ﴾** فكانه قيل : هذا وصفكم ؟ فقيل : وما وصفنا ؟ فقال : تدعون . قيل : هي النفقة في الغزو . وقيل : الزكاة . **﴿وَاللَّهُ أَعْلَم﴾** الذي لا يفتقر وال حاجات كلها ترجع إليه . **﴿وَأَنْتُمُ الْفَقَرَاء﴾** المحتاجون .

**﴿وَإِنْ تَتَوَلُوا﴾** معطوف على **﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَنْفَعُوا﴾** **﴿يَسْتَبِيلُ قَوْمًا غَيْرَكُم﴾** يخلق قوماً على خلاف صفاتكم . قيل : هم الملائكة . وقيل : الأنصار . وقيل : العجم .

وقيل : فارس والروم . وسئل رسول الله ﷺ عن القوم ، وكان سلمان إلى جانبه ، فقال : " هذا وقومه ، وضرب على فخذ سلمان " <sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٢٦٠) وصححه الشيخ الألبانى متابعته فى السلسلة الصحيحة رقم (١٠١٧) .

## تفسير سورة الفتح [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحًا مُّبِينًا﴾ ١

هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع النبي ﷺ من مكة عام الحديبية (١/٢٦٥) عدة له بالفتح وجيء بها بالفعل الماضي على عادته سبحانه في أخبار الآخرة ؛ كقوله: «فُتُحَ فِي الْصُّورِ فَصَعِقَ»<sup>(١)</sup> «وَيَوْمَ يُنَفَّعُ فِي الْصُّورِ فَفَرَغَ»<sup>(٢)</sup> «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ»<sup>(٣)</sup> وجعل فتح مكة علة للمغفرة ولما انضم إليه ، وهو إتمان النعمة عليه وهدايته والنصر على الأعداء ، ويحيوز أن يكون فتح مكة -من جهة كونه جهاداً- سبباً للثواب والغفران ، والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحًا بحرب وغير حرب . وقيل : فتح الحديبية ؛ ولم يكن فيها قتال شديد ، ولكن ترموا بسهام وحجارة . وعن ابن عباس : رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم<sup>(٤)</sup> . وقيل: ظهروا عليهم حتى سألاوا الصلح . فإن قلت : كيف يكون صلحًا وقد أحصروا حتى خروا الهدي بالحدبية وهي من الخل ؟ قلت : كان ذلك قبل المدنة ، فلما تم الصلح وثبت كان فتحًا مبيناً . وقيل : قال رجل عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية : ما هذا بفتح ؛ لقد أحصرنا وصدد هؤلئينا فقال النبي ﷺ: "ليس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح ؛ قنع المشركون أن يدفعوكم بالراحات ، وسألوكم القضية ، ورغبوا إليكم في الأمان ، ورأوا منكم ما يكرهون"<sup>(٥)</sup>.

قال الشعبي : بويع له بيعة الرضوان ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وظهرت الروم على فارس ، وبلغ الهدي محله ، وأطعموا نخل خير ، ونرحت بئر الحديبية فمضمض النبي ﷺ ومع فيها فجاشت بالماء حتى أروت كل من نزل بالحدبية<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الفجر ، الآية (٢٢) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٣٢/٤) .

(٥) نسبة الزيلعي في تحرير الأحاديث والأثار التي في الكشاف (٣٠٥ / ٣) لليهقي في دلائل النبوة .

(٦) رواه البخاري رقم (٣٣١٢) ، وأحمد في المسند رقم (١٧٨٢٨) .

وقيل : إنها لم تترح من ذلك الوقت إلى اليوم . وقيل : فتح الروم . وقيل : فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة والسيف ، ولا فتح أبين منه . وقيل : قضينا لك قضاء بيتنا ، على أن تدخل مكة أنت وأصحابك من قابل ؛ لتطوفوا بالبيت ، من الفتاح ، وهي الحكومة .

﴿لِغَفْرَانِكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِيْكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيَسِّرْ فَعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَهَدِيْكَ حِرَطًا مُسْتَقِيْمًا ﴾<sup>١</sup>  
 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ تَصْرِيْعَزِيْرًا <sup>٢</sup> هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِيْنَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادَ دُوَّا إِيمَانَهُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةً <sup>٣</sup> لِيَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّتَ بَجْرِيْ مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِيْنَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ <sup>٤</sup> وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيْمًا <sup>٥</sup> وَيَعْذِبَ الْمُنْتَفِقِينَ وَالْمُنْتَفَقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَتِ الظَّاهِرِيْنَ بِاللَّهِ ظَاهِرًا السَّوَاءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ أَسْوَاءٍ وَغَضِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعْنُهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا <sup>٦</sup> وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حِكْمَةً <sup>٧</sup> إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيْدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا <sup>٨</sup> لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَيِّحُوهُ بُشَّرَةً وَأَصْيَالًا <sup>٩</sup>﴾

﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنِيْكَ﴾ ي يريد : جميع ما فرط . وقيل : ما تقدم في الجاهلية وما بعدها .  
 وقيل : ما تقدم من حديث مارية . **﴿وَمَا تَأْخَرَ﴾** من امرأة زيد <sup>(١)</sup> .

﴿تَصْرِيْعَزِيْرًا﴾ فيه عز . وقيل : وصفه بصفة المنصور ، أو عزيزا صاحبه .

﴿السَّكِيْنَة﴾ السكون ، أي : ما جاء به النبي ﷺ من الشرائع . **﴿لِيَزَادَ دُوَّا إِيمَانًا﴾** بالشرائع مقرؤنا بإيمانهم وهو التوحيد . وعن ابن عباس : أول ما أوجب الله التوحيد ، ثم بعد ذلك أنزل الصلاة والزكاة والحج ثم الجهاد ؛ فازدادوا (٢٦٥ / ب) إيمانا إلى إيمانهم <sup>(٢)</sup> . أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله . وقيل : أنزل فيها الرحمة ليتزدادوا في إيمانهم . **﴿وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** يسلط بعضها على بعض ، وكان من قضايا حكمته إنزال السكينة في قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح عليهم بلادا كثيرة ، وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ، ويعذب الكافرين والمنافقين بما غاظهم من ذلك وكرهوا .

يقال في الأفعال الصالحة : فعل صدق . وفي الأفعال الفاسدة : فعل سوء .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٣٣٣) . قلت : مجرد وقوعها في قلبه لا أكثر . والله تعالى أعلم .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (٧٢ / ٢٦) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنشور (٧ / ٥١٤) لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

﴿عَلَيْهِمْ دَأْبُرَةُ السَّوْءِ﴾ يعود وبال مكرهم عليهم والسوء والسوء ؛ كالضعف والضعف، والكفر والكفر ؛ إلا أن المفتوح استعمل فيما يراد ذمه من كل شيء ، وأما المضموم فجار مجرب الشر نقيض الخير. ﴿إِنَّا أَرَسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ تشهد على أمتك ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ الضمير للناس. ﴿وَقُصْرُوفُهُ وَتُوقَرُوهُ﴾ بالنصرة ، ﴿وَتُسَيِّحُوهُ﴾ من التسييج ، والضمائر الله تعالى والمراد بتعزير الله : تعزير دينه ورسوله ، ومن فرق الضمائر فقد أبعد .

وقرئ: (لَتُؤْمِنُوا ، وَتَعْزِرُوا ، وَتُوقَرُوا) <sup>(١)</sup> بالتاء الله . وقيل: لرسول الله ولأمته .

﴿بُشَّرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل: صلاة الفجر والعصر .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيَقْبِلُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُحَلَّفُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُوْنَا فَاسْتَغْفِرُ لَنَا يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَعْلَمُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ يُكَمِّلُكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ يُكَمِّلُكُمْ نَعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَسْتُمْ أَنَّ لَنْ يَقْلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِهِمْ أَبَدًا وَرَبِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَسَتْهُ طَرْبَ السَّوْءِ وَكَثُنَتْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لما قال : إنما يبايعون زاد ذلك المجاز توكيداً بقوله : يد الله فوق أيديهم ، والمعنى : إن تقرير العهد مع رسول الله ﷺ كتقريره مع الله ؛ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ <sup>(٢)</sup>. ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يعود وبال نكثه إلا عليه ، قال جابر : بايعنا رسول الله ﷺ على الموت ، وألا نفر ، فما نكث إلا الجدُّ بين قيس ، وكان منافقاً ؛ اخترأ تحت إبط بعيده <sup>(٣)</sup> .

(١) قرأ بذلك ابن كثير وأبو عمرو وقرأ الباقيون " ليؤمنوا ، ويعزروه ، ويوقروه " بالياء . تنظر القراءات في : البحر الحيط لأبي حيان (٨/٩١) ، تفسير القرطبي (٢٦٦/١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٧١) ، الدر المصور للسمين الحلبي (١٦٠/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/٥٤٢) ، معاني القرآن للفراء (٣/٢١) ، النشر لابن الجوزي (٢/٣٧٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

(٣) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/٣٣٥) وما ثبت عند مسلم وغيره خلاف هذا فقد روى مسلم في صحيحه رقم (٣٤٤٩) عن جابر قال : كنا يوم الحديبية ألغًا وأربعمائة فباعناه ، وعمر آخر =

يقال وفيت وأرفقت ثلاثياً ورباعياً . ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ نزلت في الأعراب الذين تخلفوا عن السفر عام الحديبية وهم : أشجع ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأسلم ؛ لأن النبي ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية استفزَّ الأعراب من أهل المدينة وأهل البوادي ؛ حذراً من قريش أن يعرضوا له بمحرب أو يصدوه ، وأحرم رسول الله ﷺ وساقاً معه الهدا ليعلم أنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء (٢٦٦ / ١) معتمراً ؛ فتأخر كثير من الأعراب ، وقالوا : نذهب إلى قوم غزونا في بلادنا وظهرنا علينا ، وظنوا أنه لا ينقلب إلى المدينة ، وأن العدو يستأصلهم ، واعتلو بالشغل بأهليهم ، وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم ؛ فكذبهم الله في الاعتذار بالأشغال ، وإنما كان سبب التخلف النفاق ، وكذلك طلبهم الاستغفار ليس بتصادر عن حقيقة . ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي : فمن يمنعكم من قضاء الله إن أراد بكم ما يضركم أو ما ينفعكم من قتل أو هزيمة أو نصر أو غنيمة ، والأهلون : جمع أهل ، وجاء في جمعه : أهلاً ؛ كأرض وأراضٍ ، وأما أهال فاسم جمع ك " ليال ". والببور : من بار؛ كأهل ذلك من هلك ، وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ويجوز أن يكون جمع بائر ؛ كعائد وعود ، والمعنى : وكتتم قوماً فاسدين الأحوال والعقائد . وقيل : وكتتم هلكي في حكم الله . ونكر ﴿سَعِيرًا﴾ تعظيمًا ل شأنها ؛ كما نكر ﴿نَارًا تَلَطَّنَ﴾ (١) .

﴿وَمَنْ لَئِنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِنَّا أَعْدَنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ (١٢) ﴿وَلَلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾  
 ﴿يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْرِبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَنِمًا لِجَهِنَّمَ ﴾ (١٣) ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا  
 أَنْظَلَفْتُمْ إِلَى مَغَانِمِ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَبِعُونَا  
 كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلٍ ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤)  
 ﴿لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأَسِ شَدِيرٍ لَقَتَلُوكُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِيَكُمُ اللَّهُ  
 أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَرْكُوكُمْ كَمَا تَوَيَّتُمْ مِنْ قَبْلٍ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٥) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَنِ حَرجٌ وَلَا عَلَى  
 الْأَعْرَجِ حَرجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرجٌ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّتٍ بَحْرٍ مِنْ تَحْتِهَا أَلْثَرٌ وَمَنْ  
 يَتَوَلَّ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٦) ﴿

= بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال : بايعناه على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت . وروي أيضاً في صحيحه بعد هذا الحديث عن أبي الزبير أنه سمع جابرًا يُسأل : كم كانوا يوم الحديبية ؟ قال : كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخر بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختباً تحت بطن بعره .

(١) سورة الليل ، الآية (١٤) .

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن التوجه إلى الحديبية . ﴿إِنَّ مَعَانِي﴾ أي : غنائم خير . ﴿أَنْ يُبَذِّلُوا كَلْمَةَ اللَّهِ﴾ موعد الله لأهل الحديبية ، لأنَّه قدر أنَّ غنائم خير لمن شهد الحديبية خاصة . ﴿بَلْ تَحْسُدُونَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم ، وكرر ﴿بَلْ﴾ لأنَّ الأول إضراب عن أن حكم الله ألا يتبعوهم ، وإثبات للحسد ، والثانية إشعار بأنَّ المؤمنين هم الذين ادعوا حرمانهم ، والباعث عليه الجهل . ﴿فَلِلظَّالَفِينَ﴾ عن الحديبية : ﴿سَتُمْتَعَنَّ إِنْ قَوْمٌ أَفْلَى بِأَنَّسٍ شَيْبِهِ﴾ هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وهم مرتدون ؛ لأنَّ الكفار الموصوفين بالوصف الآتي هم المرتدون ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، وهذا دليل على صحة إمامية أبي بكر ؛ لأنَّ الله أخبر أنَّهم سيدعون إلى قتال هؤلاء القوم وأخبر أنَّهم يدعون إلى القتال ، وأخبر أنَّ الداعي تجُب إجابته ، ولم يكن مثل ذلك إلا وقعة بني حنيفة . وقيل : المراد فارس والروم ، وعند أبي حنيفة : تقبيل الحزية من مشركي العجم <sup>(١)</sup> . ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ معطوف على ﴿نَقْبَلُوكُمْ﴾ وليس بمعنى : إلى أن . ﴿كَمَا تَوَلَّتُمْ قَبْلَ﴾ عن التوجه إلى الحديبية .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْمُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ الْسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَثَهُمْ فَتَحَاهُ فَرِبِّيَا﴾ <sup>(٢)</sup> وَمَعَانِي كَثِيرَةٌ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا <sup>(٣)</sup> وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَانِي كَثِيرَةٌ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَتَكُونَ مَائِيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَهَذِهِ يَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا <sup>(٤)</sup> وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا <sup>(٥)</sup> ﴿﴾

﴿لَئِنْ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية نفي المخرج عن هؤلاء المتخلفين من أرباب الأعذار .

﴿يَأْمُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٢٦٦/ب) بهذه الآية سميت بيعة الرضوان ، وذلك أنَّ النبي ﷺ لما نزل بالحدبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولاً إلى أهل مكة فهموا به ، فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعشه فقال : إني أخافهم على نفسي ، ولكن أذلك على شخص هو أكرم بها مني ؛ عثمان بن عفان ؛ فبعثه إليهم فأخبرهم أنَّ رسول الله ﷺ لم يأت بحرب ، وإنما جاء زائراً ومعظمًا لهذا البيت ، فوقروه وقالوا : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأطوف به قبل رسول الله ﷺ واحبس عندهم ، فأرجف

(١) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني (٧/١١٨، ١١٩)، بداية المبتدى للمرغيني (١/١٢١)، تحفة الملوك في فقه الإمام أبي حنيفة لحمد بن أبي بكر الرازي (١/١٨٨).

بأنهم قتلوا ، فقال رسول الله ﷺ : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا الناس إلى البيعة فباعوه تحت الشجرة ، وكانت سمرة ، فقال رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض. وكان عدد المبايعين ألفاً وأربعمائة <sup>(١)</sup>. وقيل : ألفاً وخمسين وخمسة وعشرين . وقيل : ألفاً وثلاثمائة .

﴿فَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص فيما بايعوا . ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ أي : الطمأنينة بسبب الصلح على قلوبهم . ﴿وَأَنْبَثَمْ فَتَحَارَّبِيَا﴾ هو مال خير. وعن الحسن : هو فتح هجر ، وهو أجل فتح اتسعوا بشمره <sup>(٢)</sup>. ﴿وَمَعَانِيدَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هي خير ، وكانت أرضاً ذات عقار وأموال فقسمها بينهم ، ثم أتاه عثمان بالصلح فلما تم الصلح نحر بالحدبية وحلق .

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَعَانِيدَ كَثِيرَةً﴾ وهو ما بقي على المؤمنين إلى يوم القيمة ﴿فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ أي : خير ﴿وَكَفَ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي : أهل مكة وخير وخلفاءهم من غطفان وأسد حين جاءوا لنصرتهم ، فكشف الله أيديهم عن المؤمنين . ﴿وَلَتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿مَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل : رأى رسول الله ﷺ فتح مكة في منامه ، ورؤيا الأنبياء وحي ، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة ، فجعل فتح خير علامه لفتح مكة <sup>(٣)</sup>. ﴿وَبِهِدِيكُمْ صِرَاطًا﴾ يزيدكم بصيرة . ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هي مغامن هوازن في غزوة حنين وقال : ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ لأن هوازن كانوا قوماً رماة فرموا المسلمين بالسهام فانهزموا ، ثم ناداهم النبي ﷺ فتراجعوا ونصرهم الله . ﴿أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ قدر عليها (٢٦٧ / ١) ويجوز أن يكون في ﴿وَأُخْرَى﴾ ضمير يفسره ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ وأما ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ فصفة لـ ﴿وَأُخْرَى﴾ ويجوز فيها الرفع على الابتداء ؛ لكونها موصوفة ، و﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ خبر للمبدأ ، أو الجر بإضمار " رب " و﴿وَلَتَكُونَ مَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جملة معرضة ، أي : فعل ذلك لتكون آية ، ويجوز أن يكون وعدكم المغامن فجعل هذه الغنية ، وكف الأعداء ، أي : لينفعكم بها ، ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا الإخبار بها صادقاً .

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٣٩) ، ومسلم رقم (٣٤٥٣) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٣٤٠) .

(٣) نسبة الحافظ ابن حجر في فتح الباري باب : رؤيا الصالحين ، للفريابي وعبد بن حميد والطبراني من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

﴿وَلَوْ قَتَلْكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَإِنَّا وَلَا نَصِيرُ ﴾<sup>(١)</sup> شَيْءَةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِشَيْءَةِ اللَّهِ بَدِيلًا <sup>(٢)</sup> وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ يُظْنِنُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَطْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا <sup>(٣)</sup> هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٍ لَئِنْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْعُمُوهُمْ فَقْصِبَكُمْ مَتَّهُمْ مَعْرَةً يُغَيِّرُ عِلْمَهُ لِيُدْخِلَ اللَّهَ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْتَرِزَيْلُوا لِعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا <sup>(٤)</sup>

﴿وَلَوْ قَتَلْكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا هزمهم الله .

﴿لِشَيْءَةِ اللَّهِ﴾ في موضع المصدر المؤكد ، أي : سن غلبة أنبيائه . «أَيْدِيهِمْ» أهل مكة ، وروي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة ، فبعث رسول الله ﷺ من هزمه <sup>(١)</sup> . وعن ابن عباس : أظهر الله المسلمين عليهم فرمواهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت <sup>(٢)</sup> . وقرئ **«وَالْهَدَى»** بالنصب عطفا على المفعول ؛ أي : صدوكم وصدوا الهدي وبالجر <sup>(٣)</sup> عطفا على **«الْمَسْجِد»** . **«مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ»** أي : محبوسا عن أن يبلغ محله . **«لَئِنْ تَعْلَمُوهُمْ»** يعود على الرجال والنساء ؛ فغلب المذكر ، و**«أَنْ تَطْعُمُوهُمْ»** بدل اشتغال منهم ، أو من المضر المتصوب في " تعلموهم " والوطء : الأخذ بقوه . والمعرة : مفعلة بمعنى عرآء ، إذا وهأه . **«يُغَيِّرُ عِلْمَهُ»** متعلق بـ **«أَنْ تَطْعُمُوهُمْ»** وقال رسول الله ﷺ :

" آخر وطئة وطئها الله بوج " <sup>(٤)</sup> يعني : آخر وقعة أوقعها الله بالكافار بـ " وج " .

و " وج " : واد بناحية الطائف <sup>(٥)</sup> .

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٩٥/٢٦) ، ونسبة له الزيلعى في تحرير الأحاديث والآثار (٣١٢/٣) ، وكذا نسبة له السيوطي في الدر المثور (٥٣٣/٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٣٤٢) .

(٣) قرأ جمهور القراء بفتح الياء " والهدي " وروي الجر عن أبي عمرو . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٩٨/٨) ، تفسير القرطبي (١٦/٢٨٤) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/١٦٣) ، فتح القدير للشوكانى (٥/٥٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/٥٤٧) .

(٤) رواه أحد في المستند رقم (٤٠٩٦) .

(٥) وج : هو الطائف وأراد بالوطأة الغزاة هنا وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ . وقيل : سميت وج بوج بن عبد الحق من العمالقة ، وهو أبو أحد الذي سمي به جبل طيء وهو من الأمم الخالية وقيل : من خزاعة ، وكانت الطائف تسمى قبل ذلك وجاء . ينظر : معجم البلدان (٤/٩) و (٥/٣٦١) .

وروي أن النبي ﷺ حرم صيده<sup>(١)</sup>. وحذف جواب «ولَوْلَا رِجَالٌ» لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون قوله : «لَوْتَرَبِّيُوا» كالترير لقوله : «ولَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ» ويكون «لَعَذَبَنَا» الجواب . فإن قيل : أي معرة تصييهم إذا قتلواهم وهم لا يعلمون ؟ قلت : تصييهم الدية والكافرة وسوء قاله المشركين : أن هؤلاء أوقعوا بأهل دينهم ؛ إذا جرى منهم بعض التقصير! و«لَوْتَرَبِّيُوا» تفرقوا.

﴿إِذْ جَعَلَ اللَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ حَيَّةً الْجَهَنَّمَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَزْمَهَمَةَ كَلِمَةَ النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمَا أَقْدَدَ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرَّثْبَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا مِنْ يُحَلِّقُنَ رُؤُسَكُمْ وَمُمْقَرِّبِنَ لَا تَخَافُونَ فَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَافِرِبَا﴾<sup>(٢)</sup>

روي أن قريشاً بعثت سهيل بن عمرو وحيطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك ويعود في العام الذي يليه ، ولا يكون معه شيء من آلة الحرب ، وكتبوا بينهم كتاباً ، فقال عليه السلام لعلي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا : ما نعرف هذا ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم ، ثم قال : اكتب (٢٦٧ / ب) هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقالوا : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال لعلي " اكتب ما يريدون ؛ فإني أشهد أنني رسول الله وأنني محمد بن عبد الله. فهم المسلمون بأن يأبوا ذلك ، فأنزل الله على رسوله السكينة وعلى قلوب المؤمنين " <sup>(٢)</sup>. «كَلِمَةَ النَّقْوَى» بسم الله الرحمن الرحيم ، و محمد رسول الله «وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا» لما جبلوا عليه من الخير، واشرابت قلوبهم من تعظيم حرمات الله وطاعة رسوله . وعن الحسن : «كَلِمَةَ النَّقْوَى» الوفاء بالعهد<sup>(٣)</sup>. روي أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية بأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين مخلقين ومصررين ؛ فقصص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم يدخلونها في عامهم ، وقالوا : إن رؤيا رسول الله ﷺ حق ،

(١) رواه أحد في المسند (١/١٦٥) ، وأبو داود رقم (٢٠٣٢) ، ولفظه " إن صيد وج وعصايه حرام حرم الله " وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٨٧٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٨٢) ، ومسلم (٥/١٧٥ - ١٧٦) ، وأحمد في المسند (٤٨٦/٣) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٣٤٤) .

فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي ، ورفاعة بن الحارث : والله ما حلقنا وما قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ؛ فنزلت <sup>(١)</sup>. قوله : ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: متبساً به ، وذلك ما فيه من التمييز بين المؤمنين والكافرين ، ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالاً منها ، ومعناه أنها لم تكن أضغاث أحلام ، ويجوز أن تكون باء القسم ، ويكون قوله : ﴿بِالْحَقِّ﴾ قسماً ، إما بالحق الذي هو نقىض الباطل ، أو بالحق الذي هو من اسمائه . ﴿تَتَخَذُنَ﴾ جوابه ، وعلى الأول: هو جواب قسم محدوف . فإن قيل : ما وجه دخول المشيئة في أخباره سبحانه ، وهو عالم بما كان وما يكون ؟ قلنا : فيه وجوه : أن تعلقه بالمشيئة تعليماً لعباده ، أو هو حكاية ما قاله رسول الله ﷺ لأصحابه وقص عليهم ، أو أن يريد لتدخلن جميعاً . ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل . ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي : من دون فتح مكة . ﴿فَتَحَّاقِرُّ بِهَا﴾ فتح خير .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ٢٨  
 ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ مِّنْهُمْ تَرَاهُمْ رَكُوعًا سُجْدًا يَتَّغَونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْتَّوْرَةِ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنجِيلِ كَرْبَعَ أَخْرَجَ سَطْعَهُ فَقَارَرَهُ فَاسْتَغَاظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الْزَرَاعَ لِيغْيِطُهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ٢٩ ﴿

«يَا الْهَدِي وَدِينُ الْحَقِّ» بدين الإسلام «إِلَظْهِرْهُ» ليعليه «عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ» يريد : الأديان المختلفة . وقيل : عند نزول عيسى . وقيل : الإظهار بالحجج والآيات . «وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» على ما وعد .

﴿كَمَدَ﴾ إما خبر مبتدأ محنوف ، وإما مبتدأ و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عطف بيان ، وقرئ: "رسول الله" بالنصب<sup>(٢)</sup> على المدح . ﴿سُجِدًا﴾ أي : من آثار ما يفعله السجود (١/٢٦٨) في الجبهة . ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف ﴿مَثْلُهُم﴾ أي : العجيب الشأن في الكتاين جيئاً ﴿كَزْرَعَ﴾ ي يريد مثلهم كزروع . وقيل : تم الكلام عند قوله : ﴿ذَلِكَ مَثْلُهُم فِي الْتَّوْرِيدَةِ﴾ ثم ابتدأ : ﴿وَمَثْلُهُم فِي

(١) نسخة الرizluey، في تحرير الأحاديث والآثار (٣١٦) للسيهي، في دلائل النبوة في باب قصة الحديدة.

(٢) تروى هذه القراءة عن ابن عامر . تنظر : البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٠١) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦٦١) ، الكشاف للزخيري (٣/٥٥٠) .

الإنجيل كرتع》 ويجوز أن يكون «ذلك» إشارة مبهمة أو ضحها بقوله: «كرتع أخرج سطعه» .  
ك قوله: «وَضَيَّنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ» الآية<sup>(١)</sup> .

«سطعه» فراخه «فازره» من المؤازرة وهي المعاونة «فاستغظاً» فصار من الدقة إلى الغلط ، وقرئ: «فازره»<sup>(٢)</sup> «فاستوى على سوقه» فاستقام على قضبه . وقيل: في الإنجليل: سيخرج قوم ينتون نبات الزرع ، يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر.

ومن التكلف قول من زعم أن قوله: «أخرج سطعه» أبو بكر «فازره» عمر «فاستغظاً» عثمان «على سوقه» علي . «يُجِبُ الزَّرَاعَ» إلى آخرها : بقية الصحابة «ليغِيظُهُمُ الْكُفَّارَ» لأنهم إذا سمعوا هذه الصفات والثاء على أصحاب النبي ﷺ وغيرهم من المؤمنين شق ذلك عليهم وغاظهم<sup>(٣)</sup> . «مِنْهُمْ» من الجنس لا التبعيض ؛ لأن المؤمنين كلهم قد آمنوا وعملوا الصالحات فكلهم موعد بالمغفرة والأجر العظيم .

\* \* \*

(١) سورة الحجر ، الآية (٦٦) .

(٢) في الأصل بفراخه ، وهو خطأ ولعله سبق قلم ، والثبت كما في الكشاف ، وبقية مراجع القراءة ، وقرأ جهور القراء «فازره» بالمد ، وقرأ ابن ذكون وأبو حبيبة وحيد بن قيس «فازره» بالقصر .  
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٠٣) ، تفسير القرطبي (٢٩٥/١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٧٤) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٦٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/٣٤٨) ، النشر لابن الجوزي (٢/٣٧٥) .

(٣) روى القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٤٦٢/٢) عن سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَنْذَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ» عمر بن الخطاب «زَحَّاءَ بَيْتِهِمْ» عثمان بن عفان «تَرَنُّهُمْ وَكَسَّهُمْ» علي بن أبي طالب «يَبْغِيُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» طلحة والزبير «يُسِيَّاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَنْوَارِ اللَّهِجُودِ» عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْأَوَّلِيَّةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْآخِلِيَّةِ» أبو عبيدة بن الجراح «كَرْعَ أَخْرَجَ سَطْعَهُ» أبو بكر «فاستغظاً» بعمر «فاستوى على سوقه، يُجِبُ الزَّرَاعَ» يعني عثمان «ليغِيظُهُمُ الْكُفَّارَ» علي بن أبي طالب .

## تفسير سورة العجرات [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَيْفَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقْوِيَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ (١)

يقال: قدمه وأقدمه ، وهو ما منقولان بتضليل الحشو والهمزة من قدمه إذا تقدمه ، ومنه قوله : «يَقْدُمُ قَوْمًا»<sup>(١)</sup> ونظيره نقلًا ومعنى : سلفه وأسلفه .

ولم يذكر مفعولاً لقوله : «لَا تُقْدِمُوا» إما ليراد عمومه في كل تقدم ، وإما أن لا يريد له مفعولاً ؛ كقوله : «وَاللَّهُ يُحِبُّ وَيُمِيَّتُ»<sup>(٢)</sup> ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم ؟ كوجه وبين ، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة ، ويعضده قراءة من قرأ : «تَقْدَمُوا» بمحذف إحدى التاءين ، والأول أحسن ، وقرئ «تَقْدِمُوا»<sup>(٣)</sup> من القدوم؛ أي : لا تقدموا على أمر قبل قدوهما ، وحقيقة ذلك كقولك : جلست بين يديه : أن تجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله فسميت الجهتان بدين ؛ لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعًا ؛ كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره ، ويسمى في علم البيان: التمثيل ، ولو قال : لا تكونوا كالذين تقدموا كان تشبيهاً ، وفيها فائدة جليلة ، وهي تصوير هجنة ما صنعوا ، والمعنى: لا تقطعوا أمرًا إلا بعدما (٢٦٨ / ب) يحكم الله ورسوله به فتكونوا إما عاملين بالوحى المنزل عليه أو مقتدين بالرسول، عليه الصلاة والسلام ، ويجوز أن يكون كقوله [ من الرجز ] :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَإِشْفَاقِهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة هود ، الآية (٩٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٦) .

(٣) قرأ يعقوب من العشرة « لَا تَقْدَمُوا » ، وقرأ بقية العشرة « لَا تُقْدِمُوا » وقرئ « لَا تَقْدِمُوا » .  
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٠٥) ، تفسير القرطبي (١٦/٣٠٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٣/٥٥٢) ، المحتسب لابن جني (٢/٢٧٨) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٧٥) .

(٤) تقدم تخرجه في تفسير سورة النمل .

وقولك : عجبت من زيد وكلامه في قضية كذا ، وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ، وأن التقدم بين يدي رسول الله ﷺ تقدم بين يدي الله . وعن مسروق: دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه ؛ فقالت للجارية : اسقيه عسلا ، فقلت : إني صائم ، فقالت : قد نهى الله عن صوم هذا اليوم ، وفيه نزلت<sup>(١)</sup>.

وروي أن ناساً ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحاً آخر<sup>(٢)</sup>. وهذا مذهب أبي حنفية رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله : يجوز إذا مضى قدر الصلاة<sup>(٣)</sup>. وعن الحسن أيضاً: لما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة أتته الوفود من الآفاق وأكثروا عليه المسائل فنهوا أن يبتئلوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ<sup>(٤)</sup>. وعن قتادة: ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون : لو أنزل في كذا وكذا لكان حسناً ؛ فنهوا عن ذلك ؛ فنزلت الآية<sup>(٥)</sup>. وقيل : هي عامة في كل قول وفعل إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله ﷺ فلا يتكلم فيها أحد قبل رسول الله ﷺ.

**﴿وَلَنُؤَذِّنَّ اللَّهَ﴾** فإنكم إذا اتقتموه عاقبتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها.

**﴿يَتَأَلَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصواتَكُمْ فَوَقَ صَوْتُ الْتَّيْمِ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ  
بَعْضِكُمْ لِيَعْضِنَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَتَمْ لَا شَعْرُونَ﴾**

وإن حدثتموه وهو ساكت فاجعلوا صوتكم كصوت المشاور ، وإن حدثكم وهو رافع صوته فلا تبلغوا برفع صوتكم رفع صوته ، بل لابد من مراعاة على صوت النبي ﷺ وأعاد النداء عليهم استدعاء لتيقظهم ، وتكرير تنبية على الأغنياء بما كلفوه من ذلك . وقيل : المعنى : لا تنادوه باسمه فقولوا : يا محمد ، وخاطبوه بالنبوة فقولوا : يا أيها

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٣٥٠) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣٢٤/٣) : غريب .

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (١١٧/٢٦) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٧/٥٤٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن رحمه الله . ونسبة الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/٣٢٥) لعبد الرزاق في تفسيره .

(٣) ينظر: المداية شرح البداية (٤/٧٢) ، بدائع الصنائع للكاساني (٥/٦٢) ، المجموع للنسوبي (٨/٢٨٢) ، الإقناع للشربيني (٢/٥٩١) .

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/٣٢٥) عن الحسن وقال : غريب .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المثور (٧/٥٤٦) ونسبة لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

الرسول، يا أيها النبي ، فلما نزلت قال أبو بكر : والله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله<sup>(١)</sup> وعن عمر مثل ذلك لا يسمعه النبي ﷺ حتى يستفهمه<sup>(٢)</sup> وكان أبو بكر حَلَّتْهُ إِذَا قدم على النبي ﷺ وفد بعث إليهم من يعلمهم كيف يسلمون عليه<sup>(٣)</sup>. وليس المراد بالنهي عن رفع الصوت رفعه بالاستهانة والاستخفاف ؛ فإن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون ، وإنما المراد صوت هو في نفسه والسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به (٢٦٩) العظماء ، ويوقر به الكباء ، فيتكلف الغض منه ، وليس المراد أيضاً النهي عن الجهر عند حضور مصلحة ، وقد قال النبي ﷺ للعباس عمه : " اصرخ بالناس "<sup>(٤)</sup>. وكان العباس صبياً يروى أنه صاح مرة فأسقطت الحوامل<sup>(٥)</sup>. وفيه يقول الشاعر [ من المسرح ] :

رَجْرَأْبِيْ عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطَنِ بِالْغَمْرِ<sup>(٦)</sup>

والمراد نهيم عمما كانوا يعتادونه من رفع الأصوات . قيل : نزلت في ثابت بن قيس بن شناس ، وكان في سمعه ثقل ، وكان جهوري الصوت فكان إذا كلام النبي ﷺ رفع صوته<sup>(٧)</sup>. والحبوط : مأخذ من قوله : حبطت الإبل : إذا أكثرت من أكل الخضير فانتفخت أجوفها ، وربما هلكت .

وَفِي الْحَدِيثِ: " إِنَّمَا يَنْبَتِ الرَّبِيعُ مَا يَقْتَلُ حَبَطًا أَوْ يُلْمُ " <sup>(٨)</sup>.

وقد دلت الآية على أمرتين عظيمتين : أحدهما : أن في أعمال المؤمنين ما يقتضي حبوط العمل الحسن ، وأنه ربما ظن أن الشيء حسن وهو عند الله يحيط ؛ فعليه أن يتوقى كمن يمر في طريق كثير الشوك ؛ فهو يتوقى إصابته .

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٧٤ / ٣) ، والواحدي في أسباب التزول (ص : ٤٠٣) رقم (٧٥٦) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال : حchin واو . وهو حchin بن عمر الأحساني وهو متوفى كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١ / ٧) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤٦٧) ، والترمذني رقم (٣١٨٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٥٢ / ٤) .

(٤) ذكره الزيلعي في تحرير الأحاديث والأثار التي في الكشاف (٣٢٧ / ٣) .

(٦) تقدم تخریجه في تفسیر سورۃ الصافات .

(٧) رواه البخاري رقم (٣٣٤٤) ، ومسلم رقم (١٧٠) .

(٨) رواه البخاري رقم (١٣٧٢) ، ومسلم رقم (١٧٤٤) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنْادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَّرَ أَكْتَبْرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٢﴾

﴿أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ﴾ من قولك : امتحن فلان لأمر كذا ؛ فهو مضطط به وغير وان عنه ، والمعنى أنهم صبروا على التقوى وتحمل مشاقها ، أو وضع الامتحان موضع المعرفة ؛ لأن الامتحان سبب المعرفة واللام كالي في قولك : أنت لهذا الأمر ، أي : كائن ، وقول الشاعر [ من الرجل ] :

أنت لها أحمد من بين البشر<sup>(١)</sup>

وهي مع معنوها منصوبة على الحال ، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتکاليف الشاقة لأجل التقوى . وقيل : خلصها للتقوى ؛ من قوله : امتحن الذهب إذا ألقاه ليذهب خبه . قيل : نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر وغضبها أصواتهما حتى صارا كأخي السرار ، وفي تنكير المغفرة والأجر ما يدل على أنه لا يقدر قدره ، وتنبيه على شرف الشيختين رضي الله عنهم ، وارتضاء لما صنعاه من غض الصوت .

والوراء : الجهة التي يواريها شخصك ، سواء كانت من خلف ، أو من قدام ؛ فالنهي وقع عن مناداته وهو في الدار ؛ كما ينادي الأجلاف بعضهم بعضاً . والحجرة : القطعة من الأرض المجوزة بمحاجز ، وحظيرة الإبل تسمى الحجرة ، وهي فعلة معنى مفعولة ، وجمع الحجرات يدل على أنهم تفرقوا حول حجر النبي ﷺ (٢٦٩/ب) فهذا يناديه من حجرة ، وذاك يناديه من أخرى ، ويحتمل أنهم اجتمعوا فنادوه من حجرة ثم اجتمعوا فنادوه من أخرى ، ويجوز أن يكون جمع الحجرات إجلالاً للنبي ﷺ والفعل يجوز أن يتولاه بعضهم ، وكان الباقيون راضين ، فلذلك أضيف إلى جميعهم ؛ كقوله : ﴿وَإِذْ قَنَّتُمْ نَفَّسًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾

(١) هذا صدر بيت للحرمازي ، أو عبد الله بن الأعور بن قراد في مدح المنذر بن الجارود ، وعجزه ..... داهية الدهر وصماء الغرب ، ينظر في : تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله (٥٠٣/٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/١٩٢) ، لسان العرب (غرب) وبروى : أنت لها منذر من بين البشر .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٦١) .

يَمْوَسَى ﴿١﴾ ﴿فَعَقَرُوا الْنَّاقَةَ﴾<sup>(١)</sup> وقد ذكر أن الذي ناداه عيينة بن حصن بن بدر الفزارى ، والأقرع بن حابس التميمي .

قوله : ﴿أَكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يجوز أن يكون المراد متظاهرة وهو خروج بعضهم عن أن ينسب إلى عدم العقل ، ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدًا إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل ؟ فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴽ٥﴾ يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ مَاءْمُوا إِنْ جَاءَهُمْ كُفَّارٌ فَأَسْقَيْنَا أَنْ تُصْبِيْنَا قَوْمًا بِجَهَنَّمَ فَنَصْبِيْرُهُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْنَاهُمْ نَدِيمُنَا ﴽ٦﴾﴾

﴿أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ في موضع رفع بالفاعلية ، أي : لو ثبت صبرهم . والصبر : حبس النفس عن أن تسارع إلى هواها . وقولهم : صبر عن كذا مخدوف المفعول ، أي : صبر نفسه ؛ أي : حبسها ، وقال بعضهم: الصبر مر ، ولا يتجرعه إلا حر .

وقوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ يقتضي أنه لو خرج ولم يعلموا أنه خرج إليهم ألمتهم الصبر حتى يعلموا أنه خرج إليهم ، وفي ﴿لَكَانَ﴾ ضمير يعود إليه اسم كان ، أو يرجع الضمير إلى مصدر ﴿صَبَرُوا﴾ لقولهم : من كذب كان شرًا له .

روي أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصدقاً إلى بني المصطلق ، وكان بيته وبينهم شحنة فخرجوا يتلقونه وظن أنهم خرجوا لقتاله فرجع إلى النبي ﷺ وقال : منعوني الزكاة فجاءوا وقالوا : نعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله ، فقال لهم : لئن لم تنتهوا لأبعثن عليكم رسولا يقتل مقاتليكم ويسبي ذرايكم ، فبعث خالد بن الوليد فوجدهم مطيعين لم يخطر ببالهم غدر بأحد ؛ فنزلت ﴿إِنْ جَاءَهُمْ كُفَّارٌ فَأَسْقَيْنَا أَنْتَنَا﴾<sup>(٢)</sup> ، وفي تنكير الفاسق والنبا دليل على أنه أي فاسق جاء بأي نبا كان ، فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشفه

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٧٧) .

(٣) رواه الواحدى فى أسباب النزول (ص: ٤٠٤ - ٤٠٧) وفي سنته معلى بن عبد الرحمن ؛ قال عنه ابن حبان فى المجموعين (١٧/٣) : يروى عن عبد الحميد بن جعفر المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد .

والفسق: الخروج من الشيء؛ يقال: فسقت الرطبة عن قشرها، ومن مقلوبه: فقست البيضة، إذا كسرتها وأخرجت ما فيها، ثم استعير لسلوك غير طريق الحق، قال رؤبة [من الرجز] :

فواسقاً عن قصدها جوايراً<sup>(١)</sup>

﴿بِعَذَلَةٍ﴾ حال؛ كقوله: ﴿وَرَدَ اللَّهُ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَغْيِظُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> أي: جاهلين بحقيقة الأمر ولا يريد صباح النهار؛ بل الصيرورة. والنندم: ضرب (٢٧٠/١) من الغم يتجدد كلما تجدد له ذكر ندم عليه.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْيَطِعُوكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعِنْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَءَيْتُمُ فِي قُلُوبِكُمْ كُذُورَ الْكُفَّارِ وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّازِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّا مِنَ اللَّهِ وَنِقْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ ﴿٨﴾﴾

﴿أَنَّ﴾ متعلقة بما قبلها؛ حال من أحد الضميرين في ﴿فِيهِمْ﴾ وهو المستتر المرفع، أو البارز المجرور، والمعنى: أن فيكم رسول الله لو أطاع كل قائل وعمل بقول كل مشير لوقعتم في العنت والمشقة، وفيه دليل على أنه كانت تبدو منهم فرطات، وكذلك في قصة الوليد صدر من بعض الصحابة أن يشير على النبي ﷺ بتصديق الوليد وتکذیب بني المصطلق. والعنت: المشقة؛ يقال: عنت الرجل: إذا جبر عظمه المكسور فجاء العظم معوجاً، وأنه يكسر العظم ليجبر مستقيماً، وذلك هو العنت، وإنما قدم خبر ﴿أَنَّ﴾ لأن سياق هذا الكلام يقتضي إنكار فعله من داخل رسول الله ﷺ في الرأي، فكان ذكرهم أهمل. فإن قيل: لم قال: ﴿لَوْيَطِعُوكُمْ﴾ ولم يقل: لو أطاعكم؟ قلت: لأن الفعل المضارع يدل على التكرر؛ كقولك: فلان يحمل الكل ويصل الرحم. ودخلت "لكن" مع أن شرطها مخالفة ما بعدها لما قبلها؛ لأن هؤلاء صفتهم غير صفة الذين قبلهم<sup>(٣)</sup>. والكفر: تغطية نعم الله وسترها بالجحود، والرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من

(١) ينظر الرجز في: تفسير الطبرى (١٥/٢٦١) قال ابن جرير: "يعنى بالواسقا: الإبل المعدلة عن قصد نجد، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد والميل عن الاستقامة".

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢٥).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/٤٦٢).

الرشادة . و﴿فَضْلًا﴾ مفعول له ، أو مصدر من غير فعله وقوله : ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةُ﴾ الله تعالى فاعل النعم ، وإفضاله : إنعامه ، فصح إذن شرط المفعول من أجله ، وهو أن يكون فعل فاعل المعلل .

﴿وَلَنْ طَأْتَنَا إِنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَاتِلُوا إِلَيْهِ ۝ تَبْغِيَ حَتَّىٰ تَفْهَمَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۝ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَلَا يُسْطِرُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ ۱﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَلَا يَنْهَا اللَّهُ لِمَلَكُوتَ رَبِّكُمْ ۝ ۱۰﴾ يَنْهَا إِلَيْهِمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَّاقٌ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَنْسَأَهُمْ مِنْ نَسَاءٍ عَسَّاقٌ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَأْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِرُو وَلَا تَلْقِتُ ۝ يَسَّاسُ الْأَسْمُ الْفَسُوقُ بَعْدَ إِلَيْكُمْ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ ۱۱﴾

وروي أن رسول الله ﷺ ركب حماراً ، ومر على ملاً من الأنصار فيهم عبد الله بن أبي المناق ، فبال حمار النبي ﷺ فغضى عبد الله بن أبي أنه وقال : أخر حمارك عنا فقد آذانا نتنبه؛ فقال عبد الله بن رواحة : حمار رسول الله ﷺ أفضل منك ، وبوله أطيب من مسكك؛ فتقاولا وجاء كل واحد منهما قومه من الأوس والخزرج ، فجاء النبي ﷺ فأصلاح بينهم فنزلت ﴿وَلَنْ طَأْتَنَا ۝﴾<sup>(١)</sup>.

والبعي : الاستطالة وإباء الصلح و﴿تَبْغِيَ ۝﴾ ترجع ، وإنما قال : ﴿أَفْتَلَوْا﴾ ولم يقل : أفتلتنا ؛ حملأ على المعنى ؛ فإن الطائفتين في معنى الجماعتين ، وفي قتال أهل البعي تفاصيل مذكورة في كتب الفقه . أمر بالقسط على سبيل العموم ، وحكم بأن المسلم أخوه المسلم ، فإذا ذكرت أخوة النسب النصرة والمصافحة ، فأخوة الدين أولى . وقيل : المراد بالأخوين الأوس والخزرج (٢٧٠ / ب) وهو بعيد . روی أن نساء النبي ﷺ [ عيروا أم سلمة ]<sup>(٢)</sup> بالقصر؛ فأنزل الله تعالى ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَّاقٌ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نَسَاءٍ ۝﴾ الآية<sup>(٣)</sup>. القوم : الرجال خاصة ؛ لأنهم القوام بأمر قبيلتهم وعشائرهم ، وقول زهير [ من الوافر ] : [ وما أدرى وسوف إخال أدرى ]<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٩١) ، ومسلم رقم (١٧٩٩) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٨ - ٤٠٩) .

(٢) ما بين المعقودين بياض بالأصل والثبت من الكشاف للزمخشري .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٣٧٠) .

(٤) ورد الشطر الأول في الأصل : فوالله ما أدرى وإن كنت داريًا ، وهو بيت آخر من بحر الطويل كما في =

ودخول النساء في لفظ القوم في قوله : ﴿كَذَّبُ قَوْمٌ نُّوحٌ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿أَلَآ بَعْدًا إِعْادَةً فَوْرٍ هُوَ﴾<sup>(٢)</sup> بطريق التعبية .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا لَا يَعْلَمُ وَلَا يَجْعَلُونَ أَنَّمَا لَا يَعْلَمُ بِعَصْمَكُمْ بَعْضًا أَيْحُبُّ أَهْدُوكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَأَنْقَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأْنَاكُمْ شَعْبَانَا وَبَأْلَى لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَنْقَنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ حَمْدٌ ﴾<sup>(٤)</sup>

و(الغيبة) من الاغتياب ؛ كالغيبة من الاغتياب ، وهي ذكر السوء في الغيبة ، وسئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال : " أَن تذكر أخاك بما يكره ؛ فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته "<sup>(٥)</sup> . ولما ذكر الله تعالى أن الغيبة منزلة أكل لحم أخيك . عقب ذلك بقوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي : فقد تحققت الكراهة وقد ركز في الطبع كراهية أكل لحم الميت ، أي : فاتركوا الغيبة كما تركوا أكل لحم الميت .

وقوله : ﴿مَيْتًا﴾ إما حال من ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾ أو من الأخ ، وعدى ﴿كَرْهَةَ﴾ بـ ﴿إِلَى﴾ في قوله : ﴿كَرْهَةَ﴾ وبنفسه هنا لأن القياس تعديته بنفسه قبل التشقيق ؛ تقول : كرهت الشيء وكرهته غيري ، وأما تعديته بـ " إلى " فإجراء " كره " مجرى " بعض " والبالغة في التواب ؛ لكثرة من يتوب الله عليه من عباده ، أو لأنه ما من ذنب إلا وهو مغفور بالتوبيه.

﴿وَأَنْقَوْا اللَّهَ﴾ بالندم على ما فرط وامتثال أوامرها . روی أن سلمان كان يخدم رجلين وي Sovi لهم طعامهما ، فغفل سلمان عن شأنه ؛ فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه إداماً، فأتى أسامة - وكان على طعام رسول الله ﷺ فلم يجد عنده شيئاً ، فأتاهمما

= لسان العرب (شعث) وعجزه : ..... شعث بن سهم أم شعث بن منقر  
وما أثبتناه هو صدر البيت المستشهد به هنا كما في المصادر التي خرجناه منها وهو من بحر الوافر .

ينظر في : غريب الحديث للخطابي (١/٥٢٦) ، لسان العرب (قوم) .

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٠٥) .

(٢) سورة هود ، الآية (٦٠) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٤٦٩٠) ، والترمذى رقم (١٨٥٧) ولفظه فيهما : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول . قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " .

فأخبرهما بذلك، فقالا : لو بعثناه إلى بئر سُمِيَّة<sup>(١)</sup> لغار ما ذرأها! ثم جاء إلى رسول الله ﷺ ف قال لهما : ما لي أرى خضرة اللحم على أفواهكم؟! فقالا : ما أكلنا حمًى! فقال لهم : إنكم اغتبتماه . فنزلت " <sup>(٢)</sup> . قوله : «مِنْ ذَكْرِ وَأَنْشَى» أي : من آدم وحواء ، أي : كل إنسان من ذكر وأنثى . والشعب : أعلى البطنون ؛ فإنه للقبيلة العظيمة ، ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ؛ فأعلاها الشعب ، وخزية شعب وكنانة قبيلة ، وقرיש عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة ، ورتبهم هذا الترتيب ليتعرفوا لا ليتفاخروا بالأجداد ، ثم بين الخصلة التي يحصل بها الشرف والكرم عند الله فقال : «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَنْكُمْ» <sup>(٤) / ٢٧١</sup> .

**﴿قَالَ الْأَغْرَابُ إِمَّا مَا قُلَّ لَمْ تَوْسُّتُوا لِكُنْ قُلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الْأَيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَلَنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلْتَكُرُ مِنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** <sup>(١)</sup> **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ شَمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفَسُهُمْ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾** <sup>(١٥)</sup> **﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءًا عَلَيْهِ يَعْلَمُونَ عَلَيْكَ أَنَّ أَسْلَمْوْا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بِلَ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَيْكُمْ أَنَّ هَذِهِكُمْ لِلْأَيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾** <sup>(١٦)</sup> **﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾** <sup>(١٧)</sup>

الإيمان : هو التصديق مع الثقة ، والإسلام : الدخول في السلم والخروج من أن يكون حرباً للمسلمين . «لَا يَلْتَكُرُ» لا ينقضكم .

وعن ابن عباس : أن نفراً من بني أسد قدموا المدينة فأغلقوا أسعارها وأفسدوا الطريق بالعذرارات ، وهم يقولون لرسول الله ﷺ : قدمنا بالأثقال والعيال . يريدون الصدقة ، فنزلت «أَنْ هَذِهِكُمْ لِلْأَيْمَنِ» <sup>(٣)</sup> . أي : على زعمكم .

(١) سميحة - بلفظ تصغير سمية بالحاء المهملة - : موضع . وقيل : بئر بالمدينة . وقيل : بئر بناحية قديد وقيل : عين معروفة ، وقيل : سميحة : بئر قدية بالمدينة غزيرة الماء .  
ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٥٥ / ٣).

(٢) ذكره الزخشري في الكشاف (٤ / ٣٧٤) ، وقال الزبيدي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣٤٨ / ٣) : غريب وبمعناه رواه أبو القاسم الأصبغاني في كتاب الترغيب والترهيب .

(٣) ذكره الواحدي في أسباب التزول (ص : ٤١٢) رقم (٧٦٧) ، وابن كثير في تفسيره ونسبة للبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما .

## تفسير سورة ق [مكية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿قَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ﴾** ١ **بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ ۚ أَءَذَا مِنْتَنَا وَكَانَ تَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ ۖ بَلْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَآجَاهَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ ۤ﴾**

جواب القسم كما في "ص". و«المجيد» ذو الشرف على غيره من الكتب، ومن اتبع أوامر القرآن فقد مجده عند الله وهو بسبب من الله المجيد؛ فجاز اتصافه بصفته.

أنكر تعجبهم لما ليس بعجب وهو أن يبعث الله رسولا إلى خلقه ويؤيده بالمعجزات، وإذا علم ذلك الرسول أن خطباً شديداً يدهمهم بإدراك إنذارهم وتحذيرهم فكيف بما هو أشد المذورات وهو بعث الكفار معهم الكفر. والعجب تعجبهم من ذلك وهو خلقهم أول مرة وأنه خلق السماوات والأرض وهو أكبر من خلق الناس، ووضع الكافرون موضع المضرر للدلالة على أن إقدامهم على هذا التعجب كفر، ولفظة «هذا» إشارة إلى الرجعة و«أءذا» منصوب بضم الراء تقديره: أنبئت إذا كنا تراباً؟ وقوله «ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» إما من كلام الله، أو حكاية عنهم قالوه، وقرئ «إذا» <sup>(١)</sup> على الخبر، وهو أيضاً منكراً من كلامهم، والدليل على إنكاره: «ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» وقيل: إن الرجوع يعني الرجوع؛ فيكون العامل في الظرف مخدوفاً وهو الذي دل عليه المنذر. «قَدْ عَلِمْنَا» رد على استبعادهم الرجعة؛ لأن من اتسع علمه حتى علم ما تأكله الأرض من لحومهم وأجزاءهم ولم يخف عليه أين تلك الأجزاء وكان قادرًا لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض قدر على أن يحيي الموتى.

قوله: «وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ» أي: محفوظ من الاختلاف والتغيير، أو من الشياطين، أو حافظ لما وضع فيه. «بَلْ كَذَبُوا» إضراب عن الإنكار الأول؛ لأن الثاني أشد من الأول وهو تكذيبهم الرسل المؤيدين بالمعجزات في أول وهلة، ولم يتذربروا ولم يتفكروا؛ بل كذبوا في أول

(١) قرأها ابن عامر في رواية عنه وأبو جعفر والأعمش والأعرج. تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (١٢٠ / ٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦ / ١٧٤)، فتح القدير للشوکانی (٥ / ٧١)، الكشاف للزمخري (٤ / ٤)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨١).

وهلة **﴿نَهَمَهُ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾** مختلف مضطرب يقولون تارة: شاعر. وأخرى: كاذب. وأخرى: كاهن. لا يصرون (٢٧١/ب) على شيء، وقرئ: "لما جاءهم" <sup>(١)</sup> بكسر اللام، و**﴿مَا﴾** على هذا مصدرية. وقيل: **﴿بِالْحَقِّ﴾** القرآن.

**﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَتْهَا وَرَبَّتْهَا وَمَا هَا مِنْ فُروجٍ ⑥ وَالْأَرْضَ مَدَّتْهَا**  
**وَالْقِنَّا فِيهَا رَوَسٍ وَأَبْسَنَاهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ⑦ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ⑧ وَزَلَّنَا مِنْ**  
**السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرِّكًا فَأَبْسَنَاهُ لِهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨ وَالنَّخْلَ بَاسِقَتِهَا طَلْعٌ تَضَيِّدُ ⑩**  
**رَزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحَيَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيَّتَاهَا كَذَلِكَ الْخَرْوَجِ ⑪ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَأَخْبَثَ الرَّسُولَ وَمَوْدُ ⑫**  
**وَعَادٌ وَفَرْعَوْنُ وَلِخُونُ لُوطٍ ⑬ وَأَخْبَثَ الْأَيْنَكَ وَقَوْمٌ نَجَعَ كُلُّ كَذَبَ الرَّسُولَ حَقٌّ وَعَيْدٌ ⑭ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ**  
**الْأَوَّلُ بَلْ هُنَّ فِي لَسِنِ مَنْ خَلَقَ جَدِيدًا ⑮﴾**

وقيل: الإخبار بالبعث **﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾** آثار قدرة الله في خلق العالم؛ من السماء برفعها بغير عملٍ، وترتيب كواكبها وما فيها من الملائكة والأيات. **﴿مِنْ فُروجٍ﴾** من فوق، يعني: أنها ملساء سليمة من العيوب، ومن الأرض وبسطها وما ألقى فيها من الجبال والأنهار.  
**﴿مَدَّتْهَا﴾** دحوناها. **﴿رَوَسٍ﴾** جبالاً ثوابت لولاتها لانكفاء.

**﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾** من كل صنف يتنهج من يراه **﴿مُبَرِّكًا﴾** كثير المنافع **﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾** وحب الزرع الذي من شأنه أن يقصد. **﴿رَزْقًا﴾** مصدر لأن الإنبات في معنى الرزق. وقيل: مفعول لـ "نزلنا" **﴿وَأَحَيَنَا بِهِ بَلَدَةً﴾** **﴿بَاسِقَتِهَا﴾** طوالاً.

وقرئ: "باصقات" <sup>(٢)</sup> بالصاد لأجل القاف. **﴿طَلْعٌ تَضَيِّدُ﴾** متراكם بعضه فوق بعض، أو متراكם ما فيه من الشمر. **﴿كَذَلِكَ الْخَرْوَجِ﴾** من القبور بعد الموت، والكاف في موضع رفع على الابتداء. أراد بـ **﴿وَفَرْعَوْنُ﴾** قومه؛ كقوله: **﴿يَنْ فَرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِم﴾** <sup>(٣)</sup> و**﴿كُلُّ﴾** يجوز أن

(١) قرأ بها الجحدري. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١٢١/٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٧٥/٦)،  
فتح القدير للشوکانی (٧٢/٥)، الكشاف للزمخشري (٤/٤)، المحتسب لابن جني (٢/٢٨٢).

(٢) قرأ بها قطبة بن مالك. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٢٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٧/٧)،  
المصنون للسمين الحلبي (٦/١٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/٥)، المحتسب لابن جني (٢/٢٨٢).

(٣) سورة يونس، الآية (٨٣).

يرجع إلى كل واحد؛ لأن كل واحد منهم كذب الرسل كلهم، وأن يراد تكذيب كل أمة رسولها، ووحد الضمير المصحح لـ "كل" على اللفظ دون المعنى.

﴿فَقَوْمٌ وَعِبَدٌ﴾ فوجب وحل. عيي بالأمر: إذا لم يهتد لوجه الصواب فيه، والمعنى أنهم علموا أن الله قادر على إيجادنا أول مرة فهو يقدر على إيجادنا ثانية. ﴿فِلَّئِسْ﴾ أي: في اختلاط وشبهة، وقد لبس عليهم الشيطان أمرهم؛ فإنه أثبت في أذهانهم أن إحياء الموتى لا يتصور، وإنما نكر في ﴿خَلَقَ جَدِيداً﴾ لأنه أراد خلقاً جديداً له شأن بخلاف تعريفه في أول السورة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْسَنَ وَعَلَمَ مَا تُؤْسِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَخَنَّ أَفْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦ إِذْ يَلْقَى  
الْمُتَلَقِّيَانَ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الْمَالِ قَيْدٌ ١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَنِيدٌ ١٨﴾

الوسوسة: الصوت الخفي، ومنه: وسواس الحلي، ووسوسة النفس: هو ما يخطر ببال الإنسان، والباء في قوله: ﴿تُؤْسِسُ بِهِ﴾ مثلها في: همس به وصوت به، ويجوز أن تكون الباء للتعدية، والضمير للإنسان؛ أي ما يجعله موسوساً، وـ "ما" مصدرية. ﴿وَخَنَّ أَفْرَبَ إِلَيْهِ﴾ يعني، قرب مجاز، قوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي: من حبل العاتق، وهو مثل في القرب؛ كما يقال: هو مبني مقعد القابلة ومعقد الإزار، قال ذو الرمة [من السريع]: الموت أدنى لي من الوريد<sup>(١)</sup> (٢٧٢ / ٤).

والوريdan: عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمتها، متصلان بالوريد، يرددان من الرأس إليه، وإضافة الحبل إلى الوريد يشبه إضافة الحبل إلى نفسه وجاز ذلك كما قالوا: بغير سائبة، والسائلة هو البعير، أو يراد حبل العاتق؛ فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق؛ لاجتماعهما في عضو واحد.

و﴿إِذْ﴾ منصوب بـ ﴿أَفْرَبَ﴾ لأن الظروف تعمل فيها المعاني متقدمة ومتأخرة. وروي في الحديث: "إن مقعد ملكيك على ثنيتك، ولسانك قلمهما، وريفك مدادهما، وأنت غافل عن ذلك"<sup>(٢)</sup>. والتلقي: التلقن بالحفظة والكتبة، والتعييد: المقادع كالجلisy

(١) هذا عجز بيت الذي الرمة، وصدره: هل أغدون في عيشة رغيد ..... ينظر في: تفسير البيضاوي (٢٢٦ / ٥)، الكشاف للزمخشري (٤ / ٣٨٣).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في الكشاف (٣٥٧ / ٣) ونسبة للشعلي بإسناده إلى علي بن =

والعشير، والتقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد؛ كقول الشاعر [من الطويل]:

<sup>(١)</sup> ..... كنْتُ مِنْهُ وَوَالدِي يَرِيًّا .....

﴿رَقِيبٌ﴾ ملك يرقب عمله. ﴿عَيْدٌ﴾ حاضر، واختلف فيما يكتبه الملكان، فقيل: يكتبهن كل شيء حتى الأئم في المرض. وقيل: لا يكتبهن إلا ما تعلق به ثواب أو عقاب وروي أن كاتب الحسنات على اليمين وكاتب السيئات على الشمال، وكاتب اليمين أمين على كاتب اليسار؛ فإذا عمل العبد حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا كسب سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يستغفر أو يتوب، فإذا مضت سبع ساعات، فإن تاب وإلا كتبها واحدة.

﴿وَجَاءَتْ سَكَرَةُ الْمَوْتِ يَالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ ﴿١١﴾ وَفِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ  
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَابِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿١٢﴾ لَقَدْ كُتِّبَ فِي عَفْلَوْ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غُطَامَكَ فَبَصَرْكَ الْيَوْمَ

لما ذكر إنكارهم للبعث أعقبه بذكر كيفية ما يخشى وقوعه من عذاب يوم القيمة، ودل على قربه للعبارة عنه بالماضي بقوله: «وجاءت سكرة الموت»، «وتفتح في الصور» وسكرة الموت: شدته الذاهبة بالعقل، والباء في «يُلْحِقُ» للتعدية. وقيل: للمصاحبة، وقرأ ابن مسعود: "وجاءت سكرة الحق بالموت" (٢) والباء على هذه القراءة للتعدية؛ لأنها سبب

=أبى طالب عن النبى ﷺ وفى آخره: «وأنت تجربى فيما لا يعنك لا تستحي من الله ولا منها» .

(١) جزء من بيت لابن أحمر، وقيل: للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصي، وتكرّله:

رمانی بأمر كنت منه ووالدى بريا ومن جول الطوى رمانى

<sup>١٣</sup> ينظر في: تفسير الطبرى (١١/٨٦)، الكشاف للزمخشري (٢/٥٢)، لسان العرب (جول)، معجم البلدان

(١) وجول الطوي: جدار الشّرّ. قال ابن منظور في اللسان: «قال ابن بري: أى رمانى بأمر عاد

عليه قبحه؛ لأن الذي يرمي من جول البئر يعود ما رمى به عليه، ويروى: ومن أجل الطوي قال: وهو

الصحيح؛ لأن الشاعر كان يتباهى ويبين خصمته حكومة في بئر فقال خصمته: إنه لص ابن لص. فقال هذه

القصيدة وبعد البيت: دعائى، لصاف لصوص، وما دعا بها والدى فيما مضى، رجالان

(٢) وقرأ بها أيضاً أبو يك الصدقي حَفَظَهُ اللَّهُ. تنظر في: تفسير القرطبي، (١٧/١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي.

(٦) /١٧٨)، فتاجع القدير للشيوخ كاتم (٥/٧٥)، الكشاف للإمام الخيشوي (٤/٢١)، المختص لابن جعفر

<sup>٢</sup>)، معانٰ، القرآن للفراء (٣/٧٨)، (٢٨٣).

حصول الموت، ولأن الموت يعقبها فكأنها أتت به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت. وقيل **﴿الْحَقُّ﴾** هو الله، وأضيفت إلى الله؛ تعظيمًا لشأنها وتهويلاً.

قوله: **﴿ذَلِكَ﴾** الخطاب للإنسان ملتفتاً عن قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَنَ﴾** وما بينهما اعتراف. وقيل: هو خطاب للكافر، والإشارة إلى الحق. وسئل زيد بن أسلم عن قوله: **﴿ذَلِكَ مَا كَتَبَ مِنْهُ هُمْ بِهِ مَحْمِدُ﴾**? فقال: هو خطاب لرسول الله ﷺ بلغ ذلك صالح بن كيسان فأنكره، بلغ ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فقال: أخالفهما؛ هو لكل بر وفاجر<sup>(١)</sup>.

**﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾** أي: ذلك يوم إنجاز الوعيد (٢٧٢/ ب) والإشارة إلى مصدر "ونفح" **﴿سَاقِقٍ وَشَيْدٍ﴾** ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله. وقيل: هو ملك واحد يسوق ويشهد، وحمل **﴿مَعَهَا سَاقِقٍ﴾** النصب على الحال من **﴿كُلُّ نَقْرٍ﴾**.

**﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَنْمَةٍ﴾** وقرئ: "لقد كنت" بكسر التاء، و "عنك" عطاءك في صرك<sup>(٢)</sup> بكسر الكاف<sup>(٣)</sup> شبه حاله بشيء قد غطى عليه تغطية موثقة؛ فصار لا يبصر شيئاً، ثم كشف عنه ذلك الغطاء؛ فصار يصره حديداً.

**﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَنِي عَيْدٌ﴾** (٢٢) **﴿أَقِنَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾** (٢٣) **﴿مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعَنِّدٌ مُّرِيبٌ﴾** (٢٤) **﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ أَنْلَهٖ إِلَهًا أَخْرَ فَلَقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾** (٢٥) **﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكَنَّ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾** (٢٦) **﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَنِي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ﴾** (٢٧)

**﴿قَرِينُهُ﴾** شيطانه؛ قوله: **﴿نَفِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾** (٣) ويشهد له قوله: **﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾** (٤) **﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾** قال الشيطان وهو مقرون معه في السلسلة: هذا الشخص الذي لدى قد أعتدته (٤) وهياته لدخول جهنم بإغوائي. **﴿هَذَا مَا لَدَنِي عَيْدٌ﴾** يجوز أن تكون **﴿مَا﴾**

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٦) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٢٥): "فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: الكاف، وقيل غير ذلك".

(٢) قرأ بذلك الجحدري وطلحة بن مصرف. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٥)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، فتح القدير للشوكتاني (٥/ ٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٣٨).

(٤) أي: جهزته وحضرته. عيده: مهياً حاضر. المعجم الوسيط / عتد .

نكرة موصولة أي: هذا شيء لدى، و﴿عَيْدُ﴾ صفتة، ويجوز أن تكون موصولة و﴿لَدَى﴾ صلتها و﴿عَيْدُ﴾ خبر بعد خبر أو بدل، أو خبر مبتدأ محذف.

﴿أَلَيْا فِي جَهَنَّمَ﴾ إن كان السائق والشهيد واحداً فيه وجهان:

أحدهما عن المبرد: أن ثانية الفاعل بمنزلة ثنائية الفعل؛ كأنه قال: ألق ألق<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان؛ فكثير على المستهم أن يقولوا: خليلي وصاحبي، وقفوا واسعدا. وقال الحجاج لبعض حرسه: يا حرسي اضربي عنقه؛ فجرى ذلك على عادة كلامهم. وقرأ الحسن: "وَأَقْتَلَنَا" <sup>(٢)</sup> أبدل النون الساكنة ألفاً، ويجوز أن يكون ﴿أَلَيَا﴾ إجراء للوصل مجرى الوقف؛ فأثبتت الألف عوضاً عن النون في حال الوصل. ﴿عَيْدُ﴾ معنى معاند؛ كعشير وجليس. ﴿مَنَاعَ لِلْخَيْرِ﴾ كثير المع. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة؛ كان يقول: من دخل في دين محمد لم أنفعه شيء أبداً <sup>(٣)</sup>.

﴿مُرِيبٌ﴾ شاك في الله وفي دينه. ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مبتدأ خبره: ﴿فَأَلَقِيَاهُ﴾ وأدخلت الفاء على الخبر لتضمنه معنى الشرطية، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ بدلاً منصوباً من ﴿كُلَّ كَفَارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلَقِيَاهُ﴾ تكريراً للتوكيد، ودخلت الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرِيمُ﴾ لأنه لم يكن مقاولة سؤالاً وجواباً بخلاف قوله: ﴿قَالَ فِرِيمُ﴾ فإنها حكاية جواب وكذلك جاء في مقاولة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَارِبُ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٤)</sup> كررها تسع مرات بغير واو قوله هنا: ﴿قَالَ فِرِيمُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُ﴾ أجراء مجرى المقابله؛ لأنه لما قال: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُ﴾ دل على أنه كان قد جرى بينهم مقاولة.

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّعِيْدِ﴾ <sup>(٥)</sup> ٢٩ يوم نَفُول لِجَهَنَّمَ هَلْ أَمْتَلَّتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ <sup>(٦)</sup>  
وَأَرْلَفَتِ الْجَهَنَّمَ لِلْمُنَقِّبِينَ غَيْرَ بَعِيْدِ﴾ <sup>(٧)</sup>

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٨٧ / ٤).

(٢) تنظر قراءة الحسن في: البحر الحيط لأبي حيان (١٢٦ / ٨)، تفسير القرطبي (١٦ / ١٧)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٧٨ / ٦)، الكشاف للزمخشري (٤ / ٢٢)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٤).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٨٧ / ٤).

(٤) سورة الشعرا، الآية (٢٣).

﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّمٍ لِتَبْيَدِ﴾ فاعذب من لا يستحق. الباء في قوله: ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ مثلها في قوله: ﴿تَبَيَّنُتْ بِالْدُّهُنِ﴾<sup>(١)</sup> إذا قرئت بضم التاء الأولى<sup>(٢)</sup> ويجوز أن تكون للتعدية إذا جعلت تقدم مطاوعاً لمعنى قدم، ويجوز أن يكون الفعل واقعاً على الجملة؛ وهي قوله: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ وَمَا أَنَا بِظَلَّمٍ﴾ ويكون قوله: ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ حالاً، أي: قدمت متلبساً بالوعيد قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ جملة وقعت حالاً من ﴿غَنِّصَمُوا﴾ مضارع و﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ ماض، وهذه الحال لا يمكن اجتماعها مع صاحب الحال، ومعناه: لا تختصموا وقد صح عندكم أنني قدمت إليكم بالوعيد: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّمٍ﴾ نفي للمبالغة، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل؟ وجوابه من وجوهه: أحدها: أن يكون " ظالماً وظلاماً " بمعنى واحد على لغة قوم. والثاني: أن معناه: لو عاقبت من لا يستحق العقاب لكنت بلبع الظلم. والثالث: أنه جمع جميع العيدين؛ تقول: أغلقت الباب وأغلقت الأبواب، ولا تقول: غلقت الباب؛ كذلك ها هنا لو قال: وما أنا بظلام لعبد لورد السؤال. وانتصاب اليوم بظلام، أو بإضمار فعل نحو ذكر وغيره، أو بـ ﴿فُخَّنَ الصُّورِ﴾ .

﴿يَوْمَ نَقُولُ إِلَيْهِمْ﴾ وعلى هذا يشار بذلك إلى ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ ولا يقدر حذف مضارف. وسؤال جهنم وجوابها من باب المجاز الذي يراد به تقوية المعنى في النفس، وفيه وجهان: أحدهما: أنها تمتلي حتى لا يبقى فيها سعة لمكان واحد مع اتساعها وتبعاد أطرافها. والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع المزيد، ويجوز أن يكون ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ استكثار من دخلها أو غضباً على الكفار والعصاة، والمزيد إما مصدر كالمحيد، وإما اسم مفعول كالمبين. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف، أي: مكاناً قريباً، أو على الحال، أو على حذف الموصوف، أي: شيئاً غير بعيد، ومعناه التوكيد، أي: قريب غير بعيد.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٌ﴾<sup>(٢٣)</sup> ﴿مَنْ خَسِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ يَقْلِبُ مُنِيبٍ﴾<sup>(٢٤)</sup> آدْخُلُوهَا بِسَلَكٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ<sup>(٢٥)</sup> ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَنَفِئَ إِلَيْنَا مَزِيدٌ﴾<sup>(٢٦)</sup> وَكَمْ أَهْلَكْنَا بِلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُ

(١) سورة المؤمنون، الآية (٢٠).

(٢) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ورويس وابن حميسن والجحدري وروح والحسن. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٠١ / ٦)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٥٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، الكشاف للزمخشري (٢٩ / ٣)، المحتسب لابن جني (٨٨ / ٢)، النشر لابن الجوزي (٣٢٨ / ٢) .

مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقْبُوا فِي الْأَلَنْدِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى  
السَّمَعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَسْمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا  
مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٢٨﴾

قوله: «لُكْلَ أَوَابٍ» بدل من قوله: «اللَّئَقَيْنَ» بتكرير الجار، و«هَذَا» إشارة إلى الشواب او إلى مصدر «أَزْلَفَتْ» «مَنْ خَشَى» بدل بعد بدل تابع لـ «لُكْلَ» ويجوز (٢٧٣/ ب) أن يكون بدلًا غير موصوف «أَوَابٍ» و«حَفَظِيْطٍ» ولا يجوز أن يكون في حكم «أَوَابٍ» و«حَفَظِيْطٍ» لأن "من" لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذى وحده، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره «أَدْخُلُوهَا إِسْلَمٍ» لأن "من" في معنى الجمع، ويجوز أن يكون منادى كقوفهم: من لا يزال محسناً أحسن، وحذف حرف النداء للتقريب. «بِالْفَتِيْبِ» مضى في أول البقة<sup>(١)</sup>.

«أَدْخُلُوهَا إِسْلَمٍ» أي: سالمين من العذاب، أو مسلماً عليكم من الله وملائكته. «يَوْمُ الْخَلُودِ» يوم تقدير الخلود؛ كقوله: «فَأَدْخُلُوهَا خَلَدِيْنَ» أي: مقدرين الخلود. «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» وهو ما لم تبلغه آمالهم ولم يخطر ببالهم حتى يشاءوه. وروي أن السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور العين فيقولون: نحن المزيد الذين قال الله عز وجل فيه: «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»<sup>(٢)</sup>. التنقib: التنقير عن الأمر والبحث والطلب؛ قال الشاعر [من الخفيف]:

نَقْبُوا فِي الْبَلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمُوْتِ وَجَلُوا فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَجَالِ<sup>(٣)</sup>

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: «هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أي: شدة بطشهم أقدرتهم على التنقib، وقرئ: "فَنَقْبُوا" بالتحقيق وكسر القاف<sup>(٤)</sup> أي: نسبت أخفاف إيلهم من كثرة أسفارهم، ورأوا في آثار المهلكون ما يكفي للاعتبار. «هَلْ مِنْ مَحِيصٍ» هل من مخلص من

(١) عند تفسير الآية (٣).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٩٠/ ٤).

(٣) البيت لعدي بن زيد، أو للحارث بن حلزة، ينظر في: البحر الحيط لأبي حيان (١٢٩/ ٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٨١/ ٦)، الدر المثور للسيوطى (٦٠٨/ ٧)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٢٥٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٠).

(٤) قرأها أبو العالية ومحبى بن يعمر. تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (١٢٩/ ٨)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٨١/ ٦)، فتح القدير للشوكانى (٥/ ٨٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١).

الله أو من الموت. ﴿أَلَهُ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: واع؛ لأن من لا يحضر ذهنه كالغائب، وإن القاء السمع: الإصغاء. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر. وقيل: أي: شاهد على صحته وأنه من الله، أو هو بعض الشهداء في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ تُوَافَّى شَهَادَةَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل: شاهد من أهل الكتاب على صدقه وصحة ما جاء به في كتب الأولين فصدق به وأمن. اللغو: الإعفاء، وقرئ بالفتح<sup>(٢)</sup> كالقبول والولوع؛ كذب الله اليهود في هذه الآية حيث زعموا أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت، واليهود مشبهة، والمشبهة من هذه الأمة أخذوا تلك العقائد من اليهود.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَيَحْمِلُكَ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغَرْبَةِ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ أَئِلَّا فَسَيَحْمِلُهُ وَأَذْبَرَ أَشْجُودِ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا﴾ يقول اليهود ويكتدونك به. وقيل: على أذى جميع المشركين. وقيل: نسخت بآية السيف، وال الصحيح أنها ليست منسوبة؛ فإن الصبر مطلوب مثاب عليه لم ينسخ<sup>(٤)</sup>.

﴿يَحْمِلُكَ﴾ حامدا له، وقيل: المراد: الصلاة. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغَرْبَةِ﴾<sup>(٥)</sup> صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلَ الْغَرْبَةِ﴾ صلاة الظهر والعصر. ﴿وَمِنَ أَئِلَّا فَسَيَحْمِلُهُ﴾ التسبيح في آثار المغرب والعشاء. وقيل: قوله ﴿وَمِنَ أَئِلَّا﴾ المراد به التهجد ﴿وَأَذْبَرَ أَشْجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: التوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب<sup>(٦)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم ركعتين كتب صلاته في علينا"<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٢) قرأ بها السلمي وعلي بن أبي طالب وطلحة بن مصرف ويعقوب. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيyan (١٢٩/٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٨١)، الكشاف للزمخشري (٤/١١)، المحتسب لابن جني (٢/٢٨٥).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٣٩٢).

(٤) رواه الطبرى في تفسيره (٢٦/١٨٢).

(٥) قال الحافظ ابن حجر في "الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف" (ص: ١٥٩) "رواه ابن أبي =

وقيل: هو الوتر بعد العشاء الآخرة. و﴿وَأَدْبَرَ﴾ جميع دبر، وقرئ "إدبار" <sup>(١)</sup> من أدرت الصلاة: إذا قضيت وقت؛ كقولهم: آتيك خفوق النجم وغروب الشمس.

﴿وَاسْتَيْعِ يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٌ﴾ <sup>(١)</sup> يوم يسمعون الصيحة بالحق ذاك يوم الخروج <sup>(٢)</sup> إنا نحن نحي، ونحيت وإلينا المصير <sup>(٣)</sup> يوم شقق الأرض عنهم سراعاً ذاك حشر <sup>(٤)</sup> علينا يسيراً <sup>(٥)</sup> نحن أعلم بما يقولون وما أنت علىهم بحبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيده <sup>(٦)</sup>

﴿وَاسْتَيْعِ﴾ يعني: ما أخبرك به من حال **«يوم»** وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن الخبر به وانتصب **«يوم يناد»** بما دل عليه **«ذاك يوم الخروج»** أي: يوم ينادي المنادي بخرجون و**«يوم يسمعون»** بدل من **«يوم يناد»** و**«يناد»** إسرائيل، يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المترفة: إن الله يأمركم أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرائيل ينفع وجبريل ينادي بالحشر. **«من مكاني قريب»** من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر ميلاً، وهي وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: يا أيتها العظام البالية. و**«الصيحة»** النفخة الثانية **«بالحق»** متعلق بالصيحة، والمراد به:بعث والحشر. **«عنهم سراعاً»** حال من المجرور. **« علينا يسيراً»** تقديم الظرف يدل على الاختصاص؛ يعني: لا يتيسر ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال: **«ما خلقتم ولا بعثتم إلا كنفس واحدة»** <sup>(١)</sup> **«نحن أعلم بما يقولون»** تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ. **«بحبار»** قوله: **«يمضيطر»** <sup>(٢)</sup> حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت داع وباعت.

= شيبة وعبد الرزاق من رواية عبد العزيز بن عمر عن مكحول مرسلاً ... ثم قال الحافظ: " وقد روی موصولاً عن أنس وعن عائشة - رضي الله عنهما - أما حديث أنس فرواه الدرقطني في غرائب مالك من رواية أحمد بن سليمان السدي عنه عن الزهري عن أنس به وأتم منه. وقال الحافظ: هذا موضوع على مالك. وأما حديث عائشة فرواه ابن شاهين في "الرغيب" وفي إسناده جعفر بن جمیع".

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وحزة وأبو جعفر وخلف، وقراءة الباقيين " وأدبار " بالفتح. تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (١٣٠/٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣١)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٧٨)، الدر المصور للسميين الحلبي (٦/١٨٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، الكشاف للزمخشري (٤/١٢)، الشر لابن الجوزي (٣٧٦/٢).

(٢) سورة لقمان، الآية (٢٨).

(٣) سورة الغاشية، الآية (٢٢).

وَقِيلَ: أَرِيدُ الْحَلْمَ عَنْهُمْ، وَتَرَكَ الْغَلْطَةَ عَلَيْهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ: جَبْرٍ عَلَى الْأَمْرِ، بِعَنْتِي  
أَجْبَرَهُ، أَيِّ: مَا أَنْتَ بِوَالِيهِمْ تُجْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَ«عَلَى» مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: زَيْدٌ عَلَيْهِمْ،  
أَيِّ: وَالْيَهُمْ. «مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ» كَقُولَهُ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخَشِّنَا»<sup>(١)</sup> لِأَنَّ التَّذْكِيرَ لَا يَؤْثِرُ إِلَّا  
فِيهِ دُونَ الْمَصْرِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (٢٧٤/ ب).

\* \* \*

---

(١) سورة النازعات، الآية (٤٥).

## تفسير سورة الذاريات [مكية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿وَالَّذِينَ ذَرُوا ﴾١﴾ فَلَحِيلَاتٍ وَقَرَا ﴾٢﴾ فَالْجَرِيَتِ يُسْرًا ﴾٣﴾ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ﴾٤﴾ إِنَّا تُعَذِّنَ**  
**أَصَادِقَ ﴾٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَرَفِعُ ﴾٦﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكَ ﴾٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْلِفٍ ﴾٨﴾**  
**﴿وَالَّذِينَ رَبَحُ ﴾٩﴾ الْرِيَاحُ؛ لَأَنَّهَا تَذْرُو التَّرَابَ وَالْمَشِيمَ، وَمِنْهُ: ﴿تَذْرُوهُ الْرِيَاحُ ﴾١٠﴾ .**

﴿فَلَحِيلَاتٍ وَقَرَا﴾ السحاب تحمل المطر. ﴿فَالْجَرِيَتِ يُسْرًا﴾ المراكب تجري جرياً ذا يسر. ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ الملائكة؛ لأنها تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، أو تفعل التقسيم مأمورة به. وقيل: متولي الانتقام من الكفار جبريل، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإرافيل للنفح. وقد قيل: المقسمات: الكواكب السبعة السيارة. ويجوز أن يراد الرياح لا غير؛ لأنها تقسم السحاب وتقله وتحمله وتجري في الجو جرياً سهلاً وتقسم الأمطار بتصريف السحاب. وأما دخول الفاء فعلى القول الأول جاء للتعقيب أقسم بالرياح فالسحاب وبالفلك التي تجريها بهبوبها، وبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتحمارات البحر ومنافعه. وعلى القول الأول: الرياح تذرو التراب في أول أمرها فتجري في الجو ب السلطة له فتقسم المطر. ﴿إِنَّا تُعَذِّنَ﴾ "ما" مصدرية أو موصولة. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ﴾ الجزء **﴿لَرَفِعُ﴾**. **﴿الْحُبُكَ﴾** الطرائق، مثل حبك الرمل، ولا ندركها بعد المسافة، والدرع محبوكة لأن خلقها مطرق طرائق، ويقال: إن خلقة السماء كذلك. **﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْلِفٍ﴾** في أمر الرسول ﷺ فسائل: هو كاهن، وسائل: شاعر، وسائل: كذاب.

**﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ ﴾١﴾ فَنُلَّ الْمَغْرَصُونَ ﴾٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَقٍ سَاهُورُ ﴾٣﴾ يَسْعَلُونَ أَيَّانَ**  
**يَوْمَ الَّذِينَ ﴾٤﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى الْأَنَارِ يُنْشَنُونَ ﴾٥﴾ دُوْقُوا فَنَتَكُرُ هَذَا الَّذِي كُتُمْ بِهِ سَتَّمْلُونَ ﴾٦﴾ إِنَّ**  
**الْمُقْيَنَ فِي جَنَّتٍ وَعِيُونٍ ﴾٧﴾ إِنِّي ذِيَنَ مَا أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَافُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنُينَ ﴾٨﴾ .**

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضمير في **﴿عَنْهُ﴾** للقرآن أو الرسول، أي: يصرف عنه الصرف الذي لا شيء أعظم منه، أو: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوكة، ويجوز أن يرجع الضمير

إلى قوله: ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ و﴿عَن﴾ مثلها في قوله: ينهون عن أكل وعن شرب؛ أي: يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب؛ أي: يؤفك عنه من هو مصروف عن الحق، وكانت القبائل من العرب تبعث إلى مكة؛ يقولون: اكشف لنا أخبار محمد، ف يأتي مكة فتقول له قريش: أحذر فإنه مجنون.

﴿قُلَّ الْحَرَصُونَ﴾ الكاذبون، دعاء عليهم؛ كقوله: ﴿قُلَّ الْأَنْذَنُ مَا كَفَرُوا﴾<sup>(١)</sup> وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبع، و﴿الْحَرَصُونَ﴾ الكاذبون المقدرون ما لا يصح، واللام إشارة إليهم؛ كأنه قيل: هؤلاء الخراصون.

﴿فِي عَمَرَقَة﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُوك﴾ غافلون عما أمروا به. ﴿يَسْتَأْتُونَ﴾ متى ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾ وأضاف ﴿أَيَّانَ﴾ إلى يوم مع أن (٢٧٥) الظروف أدعية للحوادث لا للأزمات لأن التقدير: يسألون أيان وقوع يوم الدين، ويتصبّب قوله: ﴿يَوْم﴾ بفعل مضمر تقديره: يقع ذلك ﴿يَوْمَهُ﴾ ويجوز أن يكون مفتوحاً؛ لإضافته لغير متمكن.

﴿يَقْتَنُونَ﴾ يحرقون ويعذبون، فتنت الذهب في النار: إذا أحرقته لتعلم جودته أو رداءته، ومنه الفتين وهي الأرض ذات الحجارة السوداء؛ فإنها شبيهة بالحرقة. ﴿ذُوقُوا فَتَنَّكُمْ﴾ في محل الحال؛ أي: مقولا لهم هذا القول. ﴿هَذَا﴾ مبدأ و﴿الَّذِي﴾ وصلته خبر أي: هذا العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُ بِهِ سَعِي طَلُونَ﴾ ويجوز أن يكون "هذا" بدلا من "فتنتكم" أي: ذوقوا هذا العذاب. ﴿أَخْلِيْنَ مَا مَأْتَهُم﴾ قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، ويجوز ارتفاعه على الفاعلية، وفيه مبالغات.

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّتِي مَا يَهْجِعُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> و﴿وَيَأْسَحُّا هُمْ سَتَقْفُرُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> و﴿وَفِي آمَوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾<sup>(١٩)</sup> و﴿وَفِي الْأَرْضِ عَيْنَتُ الْتَوْقِينَ﴾<sup>(٢٠)</sup> و﴿وَفِي آثَيْكُمْ أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾<sup>(٢١)</sup>

لفظ الهجوع، وهو السنة اللطيفة؛ قال الشاعر [من السريع]:

قد حصّت البيضة رأسي فما أطعم نوما غير تهجّاع<sup>(٢)</sup>

(١) سورة عبس، الآية (١٧).

(٢) البيت لأبي قيس بن الأسلت، ينظر في: غريب الحديث لابن سلام (٤/٢٧١)، الكشاف للزمخشري (٤/٣٩٨)، لسان العرب (هجم) وحصّت: حلقت شعر رأسي، والبيضة: الخوذة التي تلبس على الرأس في الحرب، والتهجّاع: النومة الخفيفة.

وقوله: ﴿فَلِلَّٰهِ مِنْ أَلٰيٰلٍ﴾ لأن الليل وقت السبات والراحة وكانوا يحيون الليل بالأعمال الصالحة؛ فإذا جاء السحر استغفروا لأنهم مذنبين، قوله: ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: هم أحقاء بالاستغفار الصادر عن صحة النية، وكأنهم المختصون به لاستدامتهم له، وقال قائل في: ﴿مَا يَعْجَمُونَ﴾ ما: نافية، ومعناه: لا ينامون قليلا ولا كثيرا، وهو غلط؛ لأن ما بعد "ما" لا يعمل فيما قبلها؛ تقول: زيداً لم أضرب، ولا تقول: زيداً ما ضربت. السائل: هو المصح بالسؤال، والمحروم: الذي يحسب لتفعفه غنيا، فيحرم الصدقة لتفعفه، وعن النبي ﷺ: "ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، قالوا: فمن هو؟ قال: الذي لا يجد ولا يفطن له فيتصدق عليه" <sup>(١)</sup>.

وقيل: المحارف الذي لا يهتدى للتجارة.

﴿وَفِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ دَالَّةَ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ حِيثُ هِيَ مَدْحُوَّةٌ كَالْبَسَاطِ لَمَّا فَوَقَهَا؛ كَمَا قَالَ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ <sup>(٢)</sup> وَفِيهَا الْمَسَالِكُ وَالْفَجَاجُ لَمْ يَتَقْلِبْ فِيهَا وَهِيَ بَعْضُهُ مِنْ سَهْلٍ وَجَبَلٍ وَبَرٍ وَبَحْرٍ وَقَطْعَةٍ مِنْ مُتَجَاوِرَاتِ مِنْ صَلْبَةٍ وَرَخْوَةٍ، وَهِيَ الطَّرْوَقَةُ تَلْقَحُ بِالْأَلْوَانِ الْبَيْنَاتِ وَالشَّمْرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ وَالطَّعُومِ وَالرَّوَاعِحِ ﴿يُسْقَنُ إِمَّاً وَجِيدًا﴾ الآية <sup>(٣)</sup> وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَيْوَنِ الْمُفْجَرَةِ، وَالْمَعَادِنِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالدَّوَابِ (٢٧٥/ب) الْمُنْبَثِةُ فِي بَرَهَا وَبَحْرَهَا. ﴿الْمُتَوْقِيْنَ﴾ الْمُوَحْدِينَ، فَهُمْ نَاظِرُونَ بَعْنَ الْاِعْتِباَرِ؛ كَمَا أَرَادُوا آيَةً عَرَفُوا وَجْهَ تَأْمِلِهَا فَازْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَفِي بُوَاطِنِهَا وَظَوَاهِرِهَا مِنْ عَجَائِبِ الْفَطْرِ وَبِدَائِعِ الْخَلْقِ مَا تَحْتِيرُ فِي الْأَذْهَانِ، وَحَسِبَكَ بِالْقُلُوبِ وَمَا رَكِبَ فِيهَا مِنْ الْعُقُولِ وَحْفَتْ بِهِ وَبِالْأَلْسُنِ، وَبِالنُّطُقِ، وَخَارِجُ الْحَرَوْفِ، وَالْأَسْمَاعِ، وَالْأَبْصَارِ، وَالْأَطْرَافِ، وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ وَتَأْتِيهَا لِمَا خَلَقَتْ لَهُ، وَمَا سُوِّيَ فِي الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَفَاصِلِ لِلَّانْعَطَافِ وَالثَّنِيِّ؛ فَإِنَّهُ لَوْ يُبَسِّسُ وَاحِدًا مِنْهَا لَعِجَزُوهُ، وَإِذَا اسْتَرْخَى أَنَّا خَذَلَ فِي بَيْانِ أَنَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ لَّكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَيْتَ أَسْمَاءً وَالْأَرْضَ إِنَّهُ لَعِنْ <sup>٤٠</sup> مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنَّكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكَرَّمِينَ ﴿٢٤﴾

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٩١)، وأبو داود رقم (١٦٣١) عن أبي هريرة رض.

(٢) سورة طه، الآية (٥٣).

(٣) سورة الرعد، الآية (٤).

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني المطر؛ لأنّه سبب الأقوات. وعن سعيد بن جبير: هو الثلج<sup>(١)</sup>. وعن الحسن: أنه كان إذا رأى السحاب قال فيه: والله رزقكم، ولكنكم تحربونه بخطاياكم<sup>(٢)</sup>. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ هي الجنة؛ لأنّها فوق السماء السابعة وتحت العرش، أو أراد أن الأرزاق في السماء والأرض إنما هي بأمر الله وتقديره.

﴿إِنَّمَا مَا أَنْتُمْ تَطْقُنُونَ﴾ من فتحه فالإضافة إلى غير متمكن، ومن ضمه فهو نعت لـ "حق"<sup>(٣)</sup> وهو كقول الناس: إنه حق مثل ما أنت ترى وتسمع، والضمير في ﴿رَبَّهُ﴾ يرجع إلى الآيات المذكورة والرزق. وعن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فنحر ناقته وفرقتها على الفقراء، ثم لقيه ذلك القارئ فقال: هل معك من ذلك الذي تلوته شيء؟ فقال: نعم، وتلا عليه الآية: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ إِنَّمَا مَا أَنْتُمْ تَطْقُنُونَ﴾ فصاح وقال: من أغضب الكريم حتى فعل؟ ثم صرخ صرخة فخرجت فيها روحه، رحمة الله عليه<sup>(٤)</sup>.

﴿هَلْ أَنْتَكَ﴾ تفحيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من جهة ما يأتي به رسول الله ﷺ وإنما هو بلاغ من الله ورسالته. والضيف: يقع للواحد والجمع. وقيل: كانوا اثني عشر ملكاً وقيل: تسعه عاشرهم جبريل. وقيل: ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهم، وجعلهم ضيفاً لأنّهم كانوا في صورة الضيف، وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم زوجته وجعل لهم القرى، أو سماهم مكرمين لأنّهم كرام على الله ﴿وَقَالُوا أَنْحَذَ الرَّمَنَ وَلَدَّ سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ، فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٦﴾ فَقَرِيبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ حِفْظَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِعَلَمٍ عَلَيْهِ ﴿٧﴾

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٦/٢٠٥).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٦/٢٠٥)، ونبه السيوطي في الدر المثور (١/٤٠١) لأبي الشيخ عن الحسن رحمة الله.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالرفع "مثل" وقرأ باقون بالنصب "مثل". تنظر في: البحر الخيط لأبي حيان (٨/١٣٧)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/١٨٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٨)، الكشاف للزمخشري (٤/٤٠٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٠٠).

(٥) سورة الأنبياء، الآية (٢٦).

فَأَقْبَلَتْ أُمَّرَاتُهُ، فِي صَرَقَ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَيْمٌ ﴿١٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢٠﴾ قَالَ مَا خَطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ يَجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿إِذَا دَخَلُوا﴾ متعلق بما في الضيف من معنى الفعل.

﴿سَلَامٌ﴾ تقديره: سلمنا سلاماً، وأما ﴿سَلَامٌ﴾ فتقديره: عليكم سلام، والرفع أمدح؛ لأنَّه يدل على دوام السلام لهم (١/٢٧٦) بخلاف الفعل الماضي في قوله: سلمنا؛ فإنَّ الفعل الماضي لا يدل على التكرر بخلاف المضارع.

قوله: ﴿فَقَمْ تُشْكِرُونَ﴾ أي: ليسوا على هيئة القوم الذين نعرفهم، أو لأنَّه توهم فيهم ما دله على ذلك، أو رأى لهم حالاً وشكلاً غير الحالة التي عهدها. ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ فذهب إليهم في خفية، ومن أدب الضيف أن يخفى ما يريد أن يضفيه للضيف، وأن يبادر بالقرى من غير أن يُشعر الضيف به؛ وحضرًا من أن يكتبه ويغدره. قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر (١) والممزدة في ﴿أَلَا﴾ إنكار عليهم؛ حيث لم يأكلوا طعامه ولما لم يترحموا بطعمه ظن أنهم يريدون به سوءًا؛ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِعُلُمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: يبلغ، وعن الحسن: نبي (٢) والمشرب بإسحاق ﴿فَأَقْبَلَتْ أُمَّرَاتُهُ فِي صَرَقَ﴾: في جماعة. وقيل: في صرخة. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَيْمٌ﴾ المرأة التي لا تحبل، وأصله: الرملة العقيم أو العاقر؛ فإنَّها لا تنتب، وصر القلم أي: صوت، ومحله النصب، أي: صارخة؛ قال الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم؛ لأنَّها وجدت حرارة الدم فلطمته وجهها من الحياة (٣). وقيل: فأخذت في صرة؛ كقولك: عذله فأقبل يلومني. وقيل: صرتها: قوهها: ﴿بَوَيْلَقَ﴾ (٤) وعن عكرمة: رنثها (٥).

﴿فَصَكَّتْ﴾ فلطمته تبسيط يديها. وقيل: ضربت بأطراف أصابعها جبها؛ فعلا للتعجب ﴿عَجُوزٌ﴾ أنا ﴿عَيْمٌ﴾ فكيف ألد؟! ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل قولنا ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أي: هذا

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٧/٦٢٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٠٢).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٠٢).

(٤) سورة هود، الآية (٧٢).

(٥) رواه الطبرى في تفسيره (٢٦/٢٠٩) عن قتادة، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٧) وقال: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثورى والسدى.

الذى قلنا ليس من جهتنا، وإنما نحن مبلغون عن الله تعالى فالله تعالى قادر على ما تستبعدين.

لما علم إبراهيم أن أضيافه ملائكة قال: فما شأنكم؟ وما الذي أحوجكم إلى أن نزلتم؟

﴿فَأَلَوْلَا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ فَقِيرًا شَغِرِينَ﴾ إلى قوم لوط .

﴿لَرْزِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ مُسَوَّمَةً عَنْدَ رَيْكَ الْمَسْرِفِينَ ﴿٢٤﴾ فَأَخْرَجَنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَإِنَّا وَجَدْنَا فِيهَا عَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَرَزَّكَاهُ فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذَا أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فَرْعَوْنَ سُلْطَانِ مِينَ ﴿٢٨﴾ فَتَوَلَّ بِرَبِّيهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ جَحَّوْنٌ ﴿٢٩﴾ فَأَخْذَنَاهُ وَجُنُودَهُ فَبَنَدَنَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْرَّيْحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾

﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ السجين: طين يطبع كالآجر، ويصير في صلابة الحجر. **﴿مُسَوَّمَةً﴾** معلمة بعلامة تعرف بها من السومة وهي العلامه؛ على كل واحدة اسم من يهلك بها. وقيل: أعلمـتـ بأنـهاـ منـ حـجاـرـةـ العـذـابـ. وـقـيلـ: بـعـلامـةـ تـدلـ عـلـىـ أـنـهـ لـيـسـ مـنـ حـجاـرـةـ الدـنـيـاـ.

سامـهمـ مـسـرـفـينـ لـتـجـاـزوـهـمـ مـاـ قـدـرـ لـهـمـ فـيـ الـأـحـكـامـ. **﴿فَإِنَّا وَجَدْنَا فِيهَا﴾** أي: في القرية، ولم يـجـرـ لهاـ ذـكـرـ، وـفـيـ ذـلـكـ دـلـلـ عـلـىـ أـنـ الإـيـانـ وـالـإـسـلـامـ (٢٧٦/بـ) واحدـ، وـأـنـهـماـ صـفـتـاـ مدـحـ. قـيلـ: الـبـيـتـ الـذـيـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ هـمـ لـوـطـ وـابـتـاهـ. وـقـيلـ: كـانـ الـذـينـ نـجـواـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ. قـالـ قـتـادـةـ: لـوـ كـانـ فـيـهـاـ أـكـثـرـ لـنـجـوـ؛ لـيـعـلـمـ أـنـ وـصـفـ الـإـيـانـ غـيرـ مـضـيـعـ عـنـ اللـهـ<sup>(١)</sup>. **﴿وَرَزَّكَاهُ فِيهَا آيَةً﴾** أي: عـلامـةـ يـتـعـظـ بـهـاـ الـخـافـقـونـ مـنـ اللـهـ وـمـنـ عـذـابـهـ.

قـيلـ: هيـ صـخـرـ مـنـضـودـ فـيـهـاـ. وـقـيلـ: مـاءـ أـسـوـدـ مـنـتنـ. **﴿وَفِي مُوسَى﴾** عـطـفـ عـلـىـ قولـهـ: **﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾** أوـ عـلـىـ قولـهـ: **﴿وَرَزَّكَاهُ فِيهَا آيَةً﴾** وـالـمعـنىـ: فـيـ مـوـسـىـ آيـةـ كـوـلـهـ [مـنـ الرـجـزـ]:

عـلـفـتـهـاـ تـبـنـاـ وـمـاءـ بـارـدـاـ ..... (٢)

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١٧/٢)، وزاد نسبته السيوطي في الدر المثور (٧/٦٢٠) لابن المنذر .

(٢) هذا صدر بيت وعجزه:

حتى شتت همالة عيناها

ويروى: حتى غدت همالة عيناها.

ينظر في: الأشياء والنظائر للسيوطى (١٠٨/٢)، الخصائص لابن جنى (٤٣١/٢)، شرح الأشمونى (٢٢٦/١)، شرح شذور الذهب (ص: ٣١٢)، الكشاف للزمشيرى (٤٠٣/٤)، لسان العرب (عـلـفـ)، مغنى الليب (٦٣٢/٢)، المقاصد النحوية (١٠١/٣)، همع الموا مع (١٥٩/٣) .

﴿فَتَوَلَّ يَرْكِبُهُ﴾ أدب وأعرض؛ كقوله: «ونتا يهانيه»<sup>(١)</sup>. وقيل: تولى بما كان يتوقى به من جنوده وعدهـه. «مَلِيمٌ» قد أتى بما يلام عليهـ، والجملة مع الواو حال من الضمير في ﴿فَأَخْذَنَاهُ﴾ فإن قلتـ: سميـ هنا فرعون مليـماً وفي موضع آخر سميـ يونس بذلكـ، فقالـ: «فَالنَّقَةُ الْحَوْثُ وَمُؤْمِلِيمٌ»<sup>(٢)</sup>. قـلتـ: مراتـبـ المعاصـي مـتفاـوتـةـ، ويـصـدقـ عـلـىـ الـكـلـ اـسـمـ وـاحـدـ. «الرِّيحُ الْعَقِيمُ» لا يـلـقـحـ شـجـراـ ولا يـنـزـلـ مـطـراـ، وهـيـ رـيحـ الـمـلاـكـ وهـيـ الدـبـورـ. وـقـيلـ: النـكـاءـ. وـقـيلـ: الجنـوبـ.

﴿مَا نَذَرْ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالْرَّمِيمِ﴾<sup>(٤٤)</sup> وَفِي ثَمَودَ إِذْ قَبَلَ هُنْ تَمَنَّعُوا حَقَّ حِينِ  
 فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخْذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ<sup>(٤٥)</sup> فَمَا أَسْتَطَعُوا مِنْ فِيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنَصِّرِينَ  
 وَقَوْمٌ تُوْجَ مِنْ قَبْلِ إِنْهَمٍ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ<sup>(٤٦)</sup> وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا يَأْتِيُهُ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ  
 وَالْأَرْضَ فَرَشَتْهَا فَنِعْمَ الْمَتَهَدُونَ<sup>(٤٧)</sup> وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَجْمِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>(٤٨)</sup> فَقَرُوا إِلَى  
 اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ<sup>(٤٩)</sup> وَلَا يَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ<sup>(٥٠)</sup> كَذَلِكَ  
 مَا أَقَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَاتَلُوا سَلَامًا أَوْ بَعْزَنَ<sup>(٥١)</sup> أَتَوْاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ<sup>(٥٢)</sup> فَوَلَّ  
 عَنْهُمْ فَمَمَّا أَنْتَ يَمْلُوِمٌ<sup>(٥٣)</sup> وَذَكِرْ فَإِنَّ الْذِكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٥٤)</sup>

و﴿كَالْرَّمِيمِ﴾ الباليـ من عـظـمـ أو نـباتـ وـغـيرـ ذـلـكـ. «حـقـ حـينـ» يـفسـرـهـ قولـهـ: «تمـنـعـوا  
 في دـارـ كـمـ ثـلـثـةـ آيـاـمـ»<sup>(٣)</sup>.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ استـكـبـرـوا عنـ اـمـتـالـهـ، و﴿الصـاعـقـةـ﴾ النـازـلـةـ. «وَهـمـ يـنـظـرـونـ» كانتـ  
 نـهـارـاـ يـعـاـيـنـهـاـ، وـرـوـيـ أنـ العـمـالـقـ كانواـ معـهـمـ فيـ الـوـادـيـ فأـهـلـكـ ثـمـودـ وـلـمـ تـضـرـ  
 العـمـالـقـ. «فـمـاـ أـسـتـطـعـواـ مـنـ فـيـارـ» لمـ يـقـدـرـواـ عـلـىـ النـهـوضـ. وـقـيلـ: هوـ منـ قولـكـ: ماـ يـقـومـ فـلـانـ بـهـذاـ  
 الـأـمـرـ؛ أيـ: ماـ يـسـتـطـعـ دـفـعـهـ ﴿مـنـصـرـيـنـ﴾ مـمـتـنـعـيـنـ منـ العـذـابـ.

﴿بَيْنَهَا يَأْتِيُهُ﴾ بـقـوـةـ، وـالـأـيـدـيـ القـوـىـ. «وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» لـقـادـرـونـ؛ يـقـالـ: ماـ هـذـاـ فيـ وـسـعـ  
 فـلـانـ؛ أيـ: فيـ قـدـرـتـهـ. وـقـيلـ: ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ الرـزـقـ بـالـمـطـرـ. وـقـيلـ: جـعـلـنـاـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ  
 سـعـةـ. «فـنـعـمـ الـمـتـهـدـوـنـ» نـحـنـ. «خـلـقـنـاـ رـجـمـيـنـ» أيـ: صـنـفـيـنـ، وـذـكـرـ لـلـحـسـنـ ذـلـكـ فـقـالـ: السـمـاءـ

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٣).

(٢) سورة الصافات، الآية (١٤٢).

(٣) سورة هود، الآية (٦٥).

والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة، وقال: كل واحد منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له <sup>(١)</sup>. «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» تعرفون بذلك الحال فتعبدونه وحده. «فَيَرُوُا إِلَى اللَّهِ» إلى طاعة الله. «كَذَلِكَ» أي: الأمر مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وقوفهم فيه (٢٧٧/١) الأقاويل المختلفة، ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بـ "أتى" لأن "ما" النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

«أَوَّاصَوْبِهِ» يعني الكفار الأولين والكافار المتأخرين بهذا القول وهو نسبته إلى السحر والجنون. «لَلَّهُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» تجاوزوا الحد ولم يتواصوا. «فَنَوَّلَ عَنْهُمْ» فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يحيوا، ولا تدع التذكرة بالمواضع زماناً بعد زمن ما بلغت وأديت ما عليك. «فَإِنَّ الْذِكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ» تحثهم وتبعثهم على زيادة التذكرة وروي أنه لما نزل: «فَنَوَّلَ عَنْهُمْ» حزن رسول الله ﷺ وظن أن الوحي قد انقطع من السماء فنزل «وَذَكْرٌ فَإِنَّ الْذِكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ» <sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ <sup>٥٦</sup> ﴿مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زِيقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْفُوْةِ الْمَتَيْنِ﴾ <sup>٥٧</sup> ﴿فَإِنَّ لِلَّهِنَّ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَاهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ <sup>٥٨</sup>

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ إلا ليعرفون، ولو خلقهم ليعبدوه ليعبدوه الكل؛ فإنه سبحانه فعال لما يريد.

«الْمَتَيْنُ» الشديد القوة، قرئ بالرفع نعماً لقوله: «ذُو الْفُوْةِ» وبالجر <sup>(٣)</sup> على معنى الاقتدار. الذنوب: الدلو الكبير، وأصله في السقاية يتراحمون على الموارد فيجعل لهذا ذنب وهذا ذنب، ثم نقل ذلك فصار يعني النصيب؛ قال الشاعر [من الرجز]:

(١) ذكره بهذا السياق الزخشي في الكشاف (٤/٤٤٠)، ورواه الطبرى في تفسيره (٨/٢٧) مختبراً عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المثور (٧/٦٢٣) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٧/١١).

(٣) قرأ جهور القراء بالرفع، وقرأ بجي بن وثاب والأعمش بالجر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيyan (٨/١٤٣)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/١٩٤)، فتح القدير للشوکانی (٥/٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/٢١)، المحتسب لابن جني (٢/٢٨٩)، معاني القرآن للفراء (٣/٩٠).

لنا ذنوبٌ ولكم ذنوبٌ فَإِنْ أَبْيَتُمْ فَلَنَا الْقَلِيلُ<sup>(١)</sup>

والمعنى: فإن للذين ظلموا نصيباً من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم.

وعن قتادة: سجلاً من عذاب الله مثل سجل أصحابهم<sup>(٢)</sup> والسجل: الدلو العظيم.

**﴿مَنْ يَوْمِهِمُ﴾** من يوم القيمة أو يوم بدر.

\* \* \*

(١) ينظر في: تفسير الطبرى (٢٧/١٤)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٩٤)، الكشاف للزغشري

(٤/٤٠٧)، لسان العرب (ذنب) وفيه: لها ذنوب ولهم ذنوب .....

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٧/١٤).

## تفسير سورة الطور [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿وَالظُّرُورٌ ﴾** وَكَتَبَ مَسْطُورٌ **﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ﴾** وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورُ **﴿وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعُ ﴾**  
**﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ ﴾** إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقٌ **﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾** يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا  
 وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا **﴿فَوْيَلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾** الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ **﴿﴾**

﴿وَالظُّرُور﴾ الجبل الذي كلام الله عليه موسى، وهو بمدين. أقسم الله تعالى بما كتبه لموسى والرق: الصحقيقة أو الكتاب الذي تكتب فيه الأفعال، وهو ما كتبه الله لموسى. وقيل: القرآن، ونكر الكتاب تعظيمًا لشأنه. **﴿وَالْبَيْتُ الْمَعْمُور﴾** الصراح، وهو في السماء على حبال الكعبة في الأرض، وعمرانه: كثرة غشيان الملائكة.

وفي الحديث: "يدخل كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه" <sup>(١)</sup> وقيل: **﴿وَالْبَيْتُ﴾** الكعبة و**﴿الْمَعْمُور﴾** بالملائكة والإنس، **﴿وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعُ﴾** السماء؛ لقوله: **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾** <sup>(٢)</sup>. **﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾** الملوء. وقيل: الموقد؛ لقوله تعالى: **﴿وَإِذَا الْبَحَارُ شَرِقَت﴾** <sup>(٣)</sup>. وروي: أن الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارًا توقد بها نار جهنم <sup>(٤)</sup>. وروي: أن علياً سأله يهودياً: أين تجد موضع (٢٧٧/ب) النار في كتابكم؟ قال: في البحر ثم ولئ; فقال علي: ما أراه إلا صادقاً <sup>(٥)</sup>.

عن جبير بن مطعم: "أتيت النبي ﷺ أكلمه في الأسaris فسمعته يقرأ: **﴿وَالظُّرُورُ وَكَتَبَ مَسْطُورٌ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقٌ﴾** فأسلمت خوفاً أن ينزل بي العذاب" <sup>(٦)</sup>.

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٠٧، ٣٨٨٧)، ومسلم رقم (٤١٥، ٤٠٩) وهو جزء من حديث الإسراء الطويل عن أنس حَفَظَهُ اللَّهُ.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٢).

(٣) سورة التكوير، الآية (٦).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٠٨/٤).

(٥) نسبة للحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٥٩) للطبرى من روایة داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب.

(٦) قال الحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠): "لم أجده هكذا والذي جاء في الصحيح أن ذلك في صلاة المغرب وأنه قال - لما سمع **﴿أَمْ طَلُقُوا مِنْ غَيْرِ شُقُّ وَأَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ﴾**: كاد قلي يطير".

﴿تَمُرُّ﴾ تضطرب وتذهب وتبكي، وقال ابن فارس<sup>(١)</sup> في الجمل: غلب الخوض في الاستغلال بالباطل والكذب، ومنه: ﴿وَكُنَّا نَخْوَضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَخَضْتُمْ كَالَّتِي خَاضُوا﴾<sup>(٣)</sup>. الدع: الدفع العنيف.

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّا﴾<sup>(٤)</sup> هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿أَفَسِرْ هُرْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> أَصْلُوهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا يُعَزِّزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ<sup>(٦)</sup> إِنَّ الْمُنَقِّنَ فِي جَنَّتٍ وَغَيْرِهِ<sup>(٧)</sup> فَكِهِنَّ بِمَا إِنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبِّهِمْ عَذَابَ الْعَجَيْمِ﴾<sup>(٨)</sup>

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّا﴾ وذلك أن خزنة جهنم يغلون أعناق المعدين ويجمعونها إلى أيديهم، ويدفعون إلى النار دفعاً، أو يقال لهم هلموا إلى النار مدوعين؛ يقال لهم: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِرْ هُرْ هَذَا﴾ أي: ما رأيتموه من التهويل لجهنم هو أيضاً سحر؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى. ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم في الدنيا مبعدين عن فهم هذه الأمثل، و﴿هَذِهِ﴾ تهم وتربيع.

﴿سَوَاءٌ﴾ مبدأ، وخبره محدوف، والتقدير: سواء عليكم الصبر وعدمه، وتعليقه بقوله: ﴿إِنَّمَا يُعَزِّزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأن الصبر إنما يطلب لما يترتب عليه من الجزاء، ولا يكون كقول الشاعر [من الكامل]:

(١) هو الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحد بن فارس بن ذكرياء بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي نزيل همدان وصاحب كتاب الجمل كان رأساً في الأدب بصيراً بفقهه مالك مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق ومذهبه في التحوم على طريقة الكوفيين جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. ولهم مصنفات ورسائل وتحرج به أئمة وكان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث. ومات بالري في صفر سنة خمس وسبعين وثلاثمائة. تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٠٣)، وينظر قوله في: الكشاف للزمخشري (٤٠٩/٤)، لسان العرب (خوض)، وجاء في معجم المقايس لابن فارس (٢/١٧٣) مادة (خوض) قال: "الخاء والواو والضاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على توسط شيءٍ ودخولٍ. يقال: خُضْتُ الماءَ وغَيْرَهُ." وتناولوا في الحديث والأمر، أي تفاوضوا وتدخلوا كلامُهم".

(٢) سورة المدثر، الآية (٤٢).

(٣) سورة التوبية، الآية (١٩).

وتجلُّدي للشامتين أريهمُ <sup>(١)</sup> أني لرِبِّ الدهرِ لا أتضعُّضُ

فاما الصبر الذي لا يراد به وجه الله فلا جزاء فيه، ومنه قوله: ﴿وَلَرِبِّكَ فَأَصْبِر﴾ <sup>(٢)</sup>

وقرئ: (فاكهين وفكهين وفاكهون) <sup>(٣)</sup> فمن نصبه جعله حالاً، ومن رفعه جعله خبراً وجعل الظرف لغواً، وعطف قوله: ﴿وَوَقَنَهُم﴾ على قوله: ﴿فِي جَنَّتِي﴾ أي: استقروا وواقهم، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي: فرحين بالإيتاء والواقية.

﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا هَيْئَةً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُشَكِّنَ عَلَى سُرُرِ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَجَنَتْهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوهُمْ ذُرِّيَّهُمْ بِإِيمَانِ الْحَقَّاَبِيهِمْ ذُرِّيَّهُمْ وَمَا أَنْتُمْ هُمْ مِنْ عَمَّلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَكُلُّ أُمَّرِيْعِيْمَا كَسَبَ رَهِيْن﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿٢١﴾ وَأَمَدَّنَهُمْ بِفَكَهَهُمْ وَلَحْرِيْمَّا يَسْتَهِنُونَ ﴿٢٢﴾ يَلْتَزِعُونَ فِيهَا كَاسَا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْيِمٌ﴾ <sup>(٥)</sup>

﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا، وهو الذي لا تنفيص فيه، وقرئ: بعيس عين <sup>(٦)</sup>.  
والعيساء: التي يعلو بياضها حمرة. ﴿وَرَوَجَنَتْهُم﴾ قرناهم. **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي:  
وقرناهم بحور عين، والمؤمنين المجالسين لهم والرافقين؛ فيتمتعون تارة بملاءحة الحور، وتارة بمحادثة المجالسين.

**﴿وَاتَّبَعُوهُمْ ذُرِّيَّهُم﴾** <sup>(٧)</sup> جاء في الحديث: "إن الرجل ليرفع في درجة أبويه وإن لم يعمل

(١) تقدم تخرّيجه في سورة الرعد، الآية (٢٢).

(٢) سورة المدثر، الآية (٧).

(٣) قرأ جهور القراء "فاكهين" ، وقرأ أبو جعفر "فكهين" وقرأ خالد "فاكهون" بالرفع. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١٤٨/٨)، تفسير القرطي (١٧/٦٥)، الدر المصنون للسمين الحلبي (١٩٧/٦)، الكشاف للزمخشيри (٤/٢٣)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٥٤).

(٤) قرأ بها ابن مسعود وإبراهيم التخعي. تنظر في: الكشاف للزمخشيри (٤/٣٤)، المحتسب لابن جنى (٢/٢٩٠).

(٥) قرأ أبو عمرو "وابتعناهم" وقرأ ابن عامر ويعقوب "وابتعتهم ذرياتهم" وقرأ الباقون "وابتعتهم ذريتهم". تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (١٤٩/٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٨٢)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/١٩٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، الكشاف للزمخشيри (٤/٢٤)، معاني القرآن للفراء (٣/٩١)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٧٧).

مثل عملهمما لتر بذلك أعينهم، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية <sup>(١)</sup>. ومعنى تنكير الإيمان إيمان عظيم مستقر في القلوب، ويجوز أن يراد شيء من الإيمان لا يؤهلهم لهذه الدرجة التي نالوها. **﴿وَمَا أَنْتُمْ بِهِمْ﴾** أي: وما نقصناهم، يعني: وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من ثواب (١٢٧٨) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء. وقيل: معناه: وما نقصناهم من ثوابهم شيئاً نعطيه الأبناء؛ ليحلقوا بهم، وهو من ألت يالت، ومن ألات يليت؛ كأمات يميت، وألتاتهم من: ألت يولت؟ كأمان يؤمن، وولتناهم من: ولت يلت، وهي لغات ومعناهن واحد. **﴿كُلُّ أُمَّةٍ يُمَارِسُ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾** <sup>(٢)</sup> لأن نفس المؤمن مرهنة عند الله بالعمل الصالح؛ فإن عمل صالح فكتها وإنما أربقتها. **﴿وَمَدَّتْنَاهُمْ﴾** في وقت بعد وقت. **﴿يُشَرِّعُونَ﴾** يتعاطون هم وجلساؤهم **﴿كَاسًا﴾** لا يحصل في شربها **﴿لَفُورًا﴾** كما في خمر الدنيا، ولا إثم عليهم في شربها؛ بخلاف حمور الدنيا.

**﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غَلَامٌ لَهُمْ كَانُوكُمْ لَوْلَوْ مَكَنُوكُمْ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَّأَلُونَ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾** <sup>(٥)</sup> **فَعَزَّزَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾** <sup>(٦)</sup> إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّاجِحُ <sup>(٧)</sup> **فَذَكَرَ كَرْ قَمَّا أَنَّ يَنْعَمَتْ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾** <sup>(٨)</sup> أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَنَسِّصُ يَهُ، رَبِّ الْمُتَوْنِ <sup>(٩)</sup> **فُلْ تَرَصُّوْ فَإِنَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَّاصِينَ** <sup>(١٠)</sup> **أَمْ تَأْمُرُهُمْ يَهْدِيْنَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** <sup>(١١)</sup> **أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ** <sup>(١٢)</sup> **فَلَيَأْتُوْ مَحَدِثٌ مَثْلِيْهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ** <sup>(١٣)</sup> **أَمْ حَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شُوْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِقُونَ** <sup>(١٤)</sup> **أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ** <sup>(١٥)</sup> **أَمْ عَنْهُمْ حَرَرَيْنِ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصَيْطِرُونَ** <sup>(١٦)</sup>

**﴿غَلَامٌ لَهُمْ كَانُوكُمْ لَوْلَوْ مَكَنُوكُمْ﴾** أي: في الصدف، وبقاوه في الصدف أبقى لطراوته، قيل: هذا شأن الخادم، فما شأن المخدوم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: "إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" <sup>(٢)</sup>. يجلسون ويتحدثون بما كان منهم

(١) نسبة الحافظ ابن حجر في تحرير الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) للبزار وابن عدي وأبي نعيم في الخلية وابن مردوخ، من طريق قيس بن الريبع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا. وقال البزار: تفرد قيس برفعه وروي موقوفا.

(٢) نسبة الحافظ ابن حجر في تحرير الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) لعبد الرزاق عن معمرا عن قضاة، وللشعلي عن الحسن مرسلا.

في الدنيا، ومنه: ﴿فَالْفَلَلُ مِنْهُمْ إِنَّ كَانَ لِي فَرِينٌ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿السَّمُومُ﴾ الريح الحادة الحارة التي تدخل المسام؛ فسميت بها نار جهنم. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل القيامة ﴿نَدْعُوهُ﴾ أن يكشف عنا عذابها. ﴿الْبُرُّ﴾ المحسن، ﴿فَذَكَرَ﴾ أي: فدم على التذكرة والمعضة. ﴿فَمَا أَنَّ﴾ بحمد الله كاهناً ولا مجنوئاً. ﴿الْمُنْتُونُ﴾ في الأصل فعول من منه إذا قطعه؛ لأن الموت قطوع، قالوا: نتظر بمحنة نواب الزمان وتقلبات الدهر كما مات الشعراء قبله. ﴿مِنْ الْمُرَبِّصِينَ﴾ أتر بص هلاككم كما تربصون هلاكي. ﴿أَخْنَمُهُمْ﴾ عقوبهم. ﴿طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد، قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ لأن عقوبهم أدتهم إلى طاعة الشيطان وعصيان الرحمن. ﴿نَفَوَّلَهُ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه، وقرئ: "ب الحديث مثله"<sup>(٢)</sup> بالإضافة، والضمير عائد على النبي ﷺ. ﴿أَمْ خَلَقُوا﴾ أم أحذثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ عِنْدِ شَفَوٍ﴾ من غير مقدر.

﴿أَم﴾ هم ﴿خَلَقُوا﴾ أنفسهم؛ حيث لا يبدون الحال. ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ التي هي أكبر من خلق الناس، وهم معترفون أن الله خالقها، وهم شاكرون فيما يقولون. ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ وقيل: أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب؟ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَائِثُ رَبِّكَ﴾ حتى يعطوا النبوة (٢٧٨/ب) من شاءوا، أو عندهم خزائن الأرزاق فيوسعوا على من شاءوا. ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيَّطُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يكرهوا الناس على ما يريدون.

﴿أَمْ لَهُمْ شَوَّلُو يَسْتَمِعُونَ فِيهِ قَلَّا مُسْتَعِعُهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أَمْ لَهُ الْبَنْتُ وَلَكُمُ الْبَنْوُنَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿أَمْ سَعَاهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُشْتَكُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ غَيْبٌ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كِيدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ بَغْيَرِ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِتْفَانًا مِنَ الْمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرَكُومٌ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿فَدَرَرُهُمْ حَتَّى يُلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿يَوْمَ لَا يُغَيِّرُ عَنْهُمْ كِيدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُتَصَرَّفُونَ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿وَأَصَمِّرْ لِرَبِّكَ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَيَّجْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ نَقُومُ﴾<sup>(١٣)</sup> ﴿وَمِنَ الْأَيْلِ فَسِيمَهُ وَإِذْنَ الرُّجُوْرِ﴾<sup>(١٤)</sup>

(١) سورة الصافات، الآية (٥١).

(٢) قرأ بها الجحدري وأبو السمائل. تنظر في: البحر الحيط لأبي حيyan (١٥٢/٨)، تفسير القرطبي (٧٣/١٧)، الدر المصور للسمين الحلبي (٢٠١/٦)، الكشاف للزمخشري (٤/٣٦)، المحتسب لابن جني (٢٩٢/٢).

﴿أَمْ لَمْ سُلْطَرُ﴾ منصوب فيصدعون فيه حتى يأتوا بأخبار السماوات.

﴿فَلَيَأْتُ مُسْتَيْعِمُ﴾ بمحجة تدل على صدقه. ﴿مَغْرِمٌ﴾ يطلب منهم ما يثقل عليهم. ﴿أَمْ عَنَّهُمُ الْفَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿فَمُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه؛ حتى يقولوا: لا نبعث، ويتعلمون على الغيب فيخبرون الناس به. ﴿أَمْ رُبِدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكْيَدُونَ﴾ كما قال: ﴿إِنَّ كَيْدَى مَتَّيْنَ﴾<sup>(١)</sup>.

الكسف: القطعة، وهو جواب قوله: ﴿أَوْ تُشَقِّطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَيْنَنَا كَسْفًا﴾<sup>(٢)</sup> يريد أنهم لشدة طغيانهم وع纳هم لو أسقطت السماء عليهم كسفًا لقالوا: سحاب متراكم بعضه فوق بعض يطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب. ﴿يُضَعَّفُونَ﴾ يموتون، وذلك عند النفحـة الأولى نفحة الصعق ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قبل ذلك، وهو قتال من قتل منهم يوم بدر والجوع والقطـح سبع سنين وعذاب القبر. ﴿يَأْعِيْنَا﴾ برأيـ منا، وإنما قال: ﴿يَأْعِيْنَا﴾ بصيغـة الجمع؛ لأنـ الضمير بلفظـ الجمع، إلا ترى إلى قوله: ﴿وَلَنْصَنَعَ عَلَى عَيْقَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَجِئَنَّ قَوْمً﴾ من أيـ مقامـ قـمتـ. وقيلـ: من منـامـكـ.

﴿وَإِبْرَزَ النُّجُور﴾ إذا أدبرـتـ من آخرـ الليلـ، وقرئـ: "وأدبارـ النجـومـ"<sup>(٤)</sup> أيـ: فيـ أعقـابـ النـجـومـ إـذاـ غـربـتـ. ﴿وَسَجَّنَ﴾ المرادـ بهـ: سبحانهـ اللهـ والـحمدـ للـهـ ولاـ إـلهـ إـلاـ اللهـ وأـكـبرـ. وقيلـ: المرادـ بالـتسـبيـحـ: الصـلاـةـ.

\* \* \*

(١) سورة القلم، الآية (٤٥).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩٢).

(٣) سورة طه، الآية (٣٩).

(٤) قرأـ بهاـ سـالمـ بنـ أبيـ الجـعدـ وـمـحـمـدـ بنـ السـمـيقـ وـالـمـهـاـلـ بنـ عـمـرـوـ. تـنـظـرـ فـيـ الـبـحـرـ الـخـيـطـ لأـبـيـ حـيـانـ (١٥٣/٨)، تـفسـيرـ القرـاطـيـ (١٧/٨٠)، الدـرـ المـصـونـ لـلـسـمـينـ الـخـلـيـ (٦/٢٠٢)، الـكـشـافـ لـلـزـخـشـريـ (٤١٥/٤)، الـمـحـسـبـ لـابـنـ جـنـيـ (٢٩٢/٢).

## تفسير سورة والنجم [مكة]

**دِسْرَهُ الْمَرْجَمُ إِذَا هَوَى**

﴿١﴾ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى

النجم: الثريا، وهو اسم غالب لها؛ قال [من السريع]:

إذا طلع النجم عشاء اشتري الراعي كساء<sup>(١)</sup>

أو الجنس. ﴿إذا هوى﴾ غرب أو استتر يوم القيمة، أو النجم الذي يترجم به ﴿إذا هوى﴾ إذا انقض، أو النجم من نجوم القرآن؛ فإنه نزل منجماً في عشرين سنة ﴿إذا هوى﴾ إذا نزل، أو النبات ﴿إذا هوى﴾ إذا سقط إلى الأرض، وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي هب، وكان متزوجاً بنت رسول الله ﷺ أراد السفر إلى الشام فقال: لأتين محمدًا وألؤذنيه فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذى دنا فتدى ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ (٢/٢٧٩) ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله ﷺ: " اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها، وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه، وأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا متنلاً فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: إن هذه أرض مسبعة، فقال أبو هب لأصحابه: أعينونا يا معاشر قريش هذه الليلة؛ فإني أخاف على ابني دعوة محمد؛ فجمعوا جاهم وأناخوها وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يت sham وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله<sup>(٢)</sup>.

وقال حسان بن ثابت [من السريع]:

(١) ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥٧) بغير "إذا"، الدر المصنون (٦/٢٠٣) وفيه الشطر الثاني: أتبع الراعي كساء، وقال السمين: ومنه قول العرب، الكشاف للزمخشري (٤/٤١٥) وفيه: ابتغى الراعي كساء. وورد في لسان العرب (بيع):

إذا الثريا طلعت عشاء فيع لراعي غنم كساء .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٣٩ - ٣٣٨) من طريق عباس بن الفضل الأزرق عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: " كان هب بن أبي هب يسب النبي ﷺ .... فذكره " وقال البيهقي: كذا قال عباس بن الفضل الأزرق وليس بالقوي؛ هب بن أبي هب وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي هب، وقال بعضهم: عتبة. ونسبة الحافظ ابن حجر في تحرير الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) لأبي نعيم في دلائل النبوة وللحاكم والبيهقي في " دلائل النبوة " .

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع<sup>(١)</sup>

﴿مَاضِلَ صَاحِبُكُرْ وَمَا عَوَىٰ ٦٥٠ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْقِىٰ ٦٦٠ إِنَّهُ مَوْلَىٰ وَحْيٍ ٦٧٠ عَلَمُهُ شَدِيدٌ ٦٨٠ أَلْقَوْىٰ ٦٩٠ ذُورَةٌ فَاسْتَوْىٰ ٧٠ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ٧١٠ ثُمَّ دَنَادَلَ ٧٢٠﴾

﴿مَاضِلَ صَاحِبُكُرْ﴾ يعني محمداً ﷺ والخطاب لقريش وهو جواب القسم، والضلال: نقيض الهدى، والغنى: نقىض الرشد؛ أي: إن صاحبكم مهتد، وليس بضال كما زعمتم وليس ما يأتيكم به من القرآن شيئاً يأتيكم به من جهة نفسه، إنما هو ﴿وَحْيٍ يُوحَىٰ﴾ ويحتاج بهذه الآية من لا يجوز الاجتهاد، ويحباب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهداد وما يترب عليه كله وحياناً. ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ملك شديدة قواه، فمن قوته أنه قلع مدائن قوم لوطن ثم قلبها عليهم، وصاحب صحة بشمرود فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وكان صعوده إلى السماء ونزلوه على الأنبياء في أسرع وقت، ورأى إبليس يكلم عيسى على عقبة من عقبات الأرض المقدسة فنفخه نفخة فالقاله في أقصى جبل بالهند.

﴿ذُورَةٌ﴾ ذو قوة شديدة ﴿فَاسْتَوْىٰ﴾ على كمال قوته، وكان ينزل في صورة دحية، وذلك أن النبي ﷺ التمس منه أن يراه على صورته التي خلق عليها فمثل له في أفق السماء من جانب المشرق فسد الأفق. وقيل: ما رأه أحد على صورته التي خلق عليها إلا محمد ﷺ رأه على هيئته مرتين؛ مرة في السماء ومرة في الأرض<sup>(٢)</sup>. ﴿ثُمَّ دَنَادَلَ﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَنَدَلَ﴾ أي: فتعلق به في الهواء، ومنه: تدللت الثمرة، ودل رجليه في السرير، والدواني: الثمرة المعلقة، وفي المثل: هو كالقرلى؛ إن رأى خيراً تدل، وإن لم ير شيئاً تعلي<sup>(٣)</sup>.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَىٰ ١٠٠ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ١١٠ مَا كَذَبَ الْفَوَادُ مَا رَأَىٰ ١٢٠ أَفَتَسْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٣٠ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٤٠ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ١٥٠ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ١٦٠ إِذَا

(١) ينظر البيت في: الكشاف للزمخشري (٤١٨/٤)، وذكره الأصبهاني في دلائل النبوة (١/٢٢٠) وفيه: ..... فما أكيل الليث بالراجع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧٧)، ومسلم رقم (٢٥٩).

(٣) ينظر في: لسان العرب (قرل) وفيه: "كن حذرا كالقرلى إن رأى خيراً تدل وإن رأى شرًا تولى" قال ابن منظور: "قال ابن بري: القرلى: طائر صغير من طيور الماء يصيد السمك. وقيل: إن قرلى طير من بنات الماء صغير الجرم سريع الغوص حديد الاختطاف لا يرى إلا مرفقا على وجه الماء على جانب يهوى بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعاً ويرفع الأخرى في الهواء حذرا".

يَغْشَى السِّدَرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ القاب والقيب والقاد والقيد والقيس: المقدار (٢٧٩/٢ بـ). وفي الحديث "لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها" <sup>(١)</sup> والمعنى: فكأن مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضادات. **﴿أَوَادَنَ﴾** على تقديركم.

﴿إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ يَجُرْ لِاسْمِ اللَّهِ ذِكْرٌ؛ كَفُولُهُ: ﴿مَا تَرَكَ عَنْ ظَاهِرِهِ كَا مِنْ ذَابِكَةٍ﴾ <sup>(٢)</sup>. **﴿مَا أَوَحَتَ﴾** تعظيم لما أوحي به إليه؛ كقوله: **﴿فَسَنَّهَا مَا أَغْشَى﴾** قيل: أوحي إليه أن الجنة محمرة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمد ما رأه ببصره من صورة جبريل، أي: ما قال فؤاده لما رأه لم أعرفك، ولو قالها لك كان كاذباً؛ لأنه عليه السلام رأه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك **﴿أَفَتَرَوْنَهُ﴾** مأخوذ من المراء، وهو المجادلة. وقرئ: "أفترونه" <sup>(٣)</sup> من: ماريته فمريته، أو لما فيه من معنى الغلبة عدي بـ "على" كما تقول: غلبته على كذا. **﴿زَلَّةً أُخْرَى﴾** نصب نصب الظرف، أي: نزل عليه جبريل نزلة أخرى في صورة خلقته، فرأاه عليها، وذلك في ليلة المعراج. **﴿سِدَرَةَ الْمُنْعَنِي﴾** شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، ثمرها كقلال هجر، وورقها كآذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها، والممتهن: بمعنى موضع الانتهاء، أو نفس الانتهاء؛ كأنها ممتهن الجنة وأخرها. وقيل: لم يتتجاوزها أحد، ولم تعلم الملائكة ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء. **﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾** الجنة التي يصير إليها المتقون. وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء. **﴿إِذْ يَغْشَى السِّدَرَةَ مَا يَغْشَى﴾** أي: ستره بظلاله ودخل فيه، وعن عائشة أنها أنكرته وقالت: من قرأ بها فأرجئه الله <sup>(٤)</sup>.

**﴿مَا يَغْشَى﴾** تعظيم وتكثير لما يغشاها، وقد تضمن ذكر هذه السدرة وجنة المأوى ذكر

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٩٣)، وأحمد في المسند (٤٨٢/٢ - ٤٨٣).

(٢) سورة فاطر، الآية (٤٥).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ويعقوب، وقرأ الآباءون "أفترونه". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١٥٩/٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٥)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٨٥)، الدر المصور للسمين الحلبي (٢٠٦/٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، الكشاف للزمخشري (٢٩/٤)، النشر لابن الجوزي (٣٩٥/٢).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٣٩).

أمور لا يكتنفها الوصف. وقيل: تغشاها الخلائق من الملائكة يعبدون الله عندها.

وعن النبي ﷺ: "يغشاها رفرف من طير خضر"<sup>(١)</sup> وعن ابن عباس: "يغشاها فراش من ذهب"<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ إِيمَانِهِ رَبَّهُ الْكَبِيرَ ١٨ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّهَ وَالْعَزَّىٰ ١٩ وَمَنْتَهَا الْثَالِثَةُ الْأُخْرَىٰ ٢٠﴾

﴿ما زاغَ﴾ بصر رسول الله ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما تجاوز الحد ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ إِيمَانِهِ رَبَّهُ الْكَبِيرَ﴾ الآيات التي هي كبراهما وعظماتها؛ يعني حين رقي به إلى السماء فرأى عجائب الملائكة. ﴿الْلَّهُ وَالْعَزَّىٰ﴾ (١٨٠/١) أصنام كانت لهم مؤنثات فاللات لتفيق بالطائف. وقيل: كانت بنخلة تعبدتها قريش، وهي فعلة من لوى؛ لأنهم كانوا يعكفون عليها للعبادة، أو يتسوقون عليها؛ أي: يطوفون، وقرئ: "اللات"<sup>(٣)</sup> بالتشديد، وزعموا أنه كان رجلاً يلت السويف بالطائف، وكانوا يعكفون على قبره، فجعلوه وثناً.

و﴿وَالْعَزَّىٰ﴾ كانت بغضبان، وهي سمرة، وأصلها تأنيث الأعز، وبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فخرجت شيطانة ناشزة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها؛ فجعل يضر بها بالسيف حتى قتلها وهو يقول [من الرجز]:

يا عزَّى كُفَّارَكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رأَيْتُ اللَّهَ قُدُّ أَهَانَكَ<sup>(٤)</sup>

ورجع فأخبر الرسول ﷺ فقال: "تلك العزى ولا تعبد أبداً"<sup>(٥)</sup>.

﴿وَمَنْتَهَا﴾ صخرة كانت هذيل وخزاعة، وقرئ: "ومناء"<sup>(٦)</sup> لأن دماء النساء كانت

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٩/٤) وقال الحافظ ابن حجر (ص: ١٦١) لم أجده.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣٩/٤) ونسبه لابن مسعود وغيره.

(٣) قرأ بذلك ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وابن كثير في رواية عنه. تنظر في الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٠٨).

(٤) تقدم تحريره في تفسير سورة الزمر.

(٥) نسبة الحافظ ابن حجر في تحرير الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) لابن مردويه وابن سعد في الطبقات. قال: وأصل هذه القصة رواها النسائي وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم في "دلائل النبوة".

(٦) قرأ العامة "مناء" ، وقرأ ابن كثير "ومناء". تنظر في البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٦١)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٠٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٥).

تبنيع عندها، و "مناءة" مأخوذه من النوع، وكانوا يستمطرون بها الأنواء و﴿الأخرى﴾ ذم، وهي المتأخرة؛ كقوله: ﴿قَاتَ أُخْرَيْهِمْ لَا وَلَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي: وضعاؤهم لأنشرافهم، ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى.

﴿أَكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾<sup>(٢)</sup> تلك إذا قسمة ضيরت<sup>(٣)</sup> إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهَدِيَّ<sup>(٤)</sup> أَمْ لِلْأَنْسَنِ مَا تَمَنَّى<sup>(٥)</sup> فِيلَهُ الْأُخْرَةُ وَالْأُولَى<sup>(٦)</sup> وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَرَضَ<sup>(٧)</sup> إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسْمَوْنَ الْمَلَائِكَةَ سَيِّدَةَ الْأُنْثَى<sup>(٨)</sup> وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِيقَ شَيْئًا<sup>(٩)</sup>

وكانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونها ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات؛ فقيل لهم: ﴿أَكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناء إنسان، وقد جلعتهمون الله شركاء، ومن شأنكم أن تختنروا الإناث وستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم؛ فكيف يجعلون هؤلاء الإناث الله أنداداً، وتسمونهن آلة؟! ﴿قَسْمَةٌ ضِيرَقٌ﴾ جائزة من ضازه يضيزه، إذا ضامه، والأصل: ضوزي؛ ففعل بها ما فعل بـ "بسن" لتسليم الياء وقرع: "ضئزي" من ضازه بالهمزة، "ضئزي"<sup>(١٠)</sup> بفتح الصاد.

﴿هِيَ﴾ ضمير الأصنام؛ أي: ما هي إلا أسماء ليس تحتها على الحقيقة مسميات؛ لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة، ونحوه قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَيَّتُهَا﴾<sup>(١١)</sup> أو ضمير الأسماء، وهي قوفهم: اللات والعزى ومناء.

﴿يُنْ سُلْطَنٍ﴾ من حجة وبرهان. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في دعوى إهتيها ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ إلا التوهم أن ما هم عليه حق (٢٨٠/ب) وكانوا إذا هروا صنماً عبدوه؛ فإذا أحبوا غيره تركوا

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٨).

(٢) قرأ ابن كثير "ضئزي" ، وقرأ الباقون "ضيزى" . وقرأ زيد بن علي "ضيزى" . تنظر القراءات في: البحر الخيط لأبي حيان (١٦٢/٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٦)، الدر المصور للسمين الحلبي

(٣) السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٥) .

(٤) سورة يوسف، الآية (٤٠) .

الأول وعبدوا الثاني، هذا وقد جاءت الأوامر من الله تعالى والأدلة القاطعة على أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه. ﴿أَمْ لِلْإِنْسَنِ﴾ أو هل جعل الله لكل أحد أن يعبد ما تناه؟ ﴿فَلَلَّهُ الْأَكْرَهُ وَالْأُولَئِكَ﴾ فهو يحكم فيما يشاء. وكثير من الملائكة في السماوات لا يحصى عددهم لا تنفع شفاعتهم لأحد إلا بعد أن ياذن الله لهم في الشفاعة له ﴿لَيُسْمَوْنَ الْمَلَائِكَةُ شَيْءَةً أُلْثَنَ﴾ يقولون: أنتي بني فلان، وإذا قالوا: الملائكة بنات الله؛ فقد سموا كل واحدة منهن أنتي. ﴿إِنَّ يَتَّعْنُونَ﴾ في دعوى إهتيتها ﴿إِلَّا الظَّلَّنَ لَا يُعْنِي﴾ في أصول الدين والعقائد ﴿شَيْئًا﴾ لكنه يعني في مسائل الفروع؛ لأن الصحاة عملوا بالقياس وهو ظن.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَرْبِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الْأُلْثَنِ﴾ (٢٩) ذلك مبتلهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضلل عن سبيله، وهو أعلم بمن أهتدى (٣٠) ﴿وَلَلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَعْلَمَنِي الَّذِينَ أَسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَبِجُنُونِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسْنَى﴾ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْحَشَ إِلَّا اللَّهُمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُوْنِ إِنْ شَاءَ كَمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْشَأَ لَجْنَةً فِي بُطُونِ أَمْهَاتِكُمْ فَلَا تُرَكُوكُمْ أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ آتَيْتُمْ (٣٢) أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّ (٣٣) وَأَعْطَيْتَ قَلِيلًا وَأَكْثَرَ (٣٤) أَعْنَدُهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَلَمْ يَمْبَتِّعْ بِمَا فِي صُحْفِ مُوسَى (٣٦) وَإِنْرَهِيمَ الَّذِي وَقَ (٣٧)﴾

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَرْبِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الْأُلْثَنِ﴾ ذلك مبتلهم من العلم وهو حذفهم في التجارات وتقليل المكافسب. ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ بعملهم أو بالذي عملوا. ﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ هو ما قبح منها، ثم أعاد ذكر الفواحش تخصيصاً بعد التعميم للمبالغة والتعظيم. وقيل: كبير الإثم: الشرك بالله. ﴿اللَّمَّ﴾ ما قل وصغر، ومنه: المس من الجنون؛ تقول: ألم بالمكان: إذا قل لبته فيه، وألم بالطعام: إذا قل منه أكله. وقيل: ﴿اللَّمَّ﴾ ما لم يذكر الله له عقاباً. وقيل: عادة التصيد الحين بعد الحين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْعَفْرَةَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١) ﴿فَلَا تُرَكُوكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل، أو: فلا تشنوا عليها واهضموها؛ فقد علم الله الذي منكم والتقي أولاً وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن يخرجكم من بطون أمهاتكم. وقيل: كان قوم يعملون بالطاعات ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا، فنزلت (٢). وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء، فاما من اعتقد أن هذه

(١) سورة النساء، الآية (١١٦).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٢٦/٤).

الأعمال ب توفيق الله و تيسيره ولم يقصد بها الرياء والمفاخرة - فليس من الذين نهوا عن تزكية أنفسهم؛ لأن المسرة بالطاعة طاعة، و ذكرها شكر.

**﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّ<sup>(١)</sup> وَأَعْطَنِي قَلِيلًا وَأَكْدَى<sup>(٢)</sup>﴾** [النجم] روي أن عثمان حَفَظَهُ اللَّهُ كان ينفق ماله في الخير، فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخوه من الرضاعة - : يوشك إلا يبقى لك شيء، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا وخطايا، وإنني أطلب بما أصنع رضا الله وأرجو عفوه، فقال عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه عثمان وأشهد عليه وأمسك عن العطاء؛ فنزلت <sup>(٣)</sup> ومعنى **﴿تَوَلَّ﴾** فارق المركز يوم أحد، فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل. **﴿فَهُوَ يَرَى﴾** فهو يعلم ويعتقد أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق.

**﴿وَرَقَّ﴾** قرئ خففًا ومشددة <sup>(٤)</sup> (٢٨١/أ) والتشديد مبالغة في الوفاء؛ كقوله تعالى: **﴿فَأَتَتْهُنَّ﴾** <sup>(٥)</sup> وأطلق وفاء ولم يذكر له مفعولاً ليعم كل وفاء، هذا معتقد الزمخشري <sup>(٦)</sup> والصواب أن المطلق لا عموم له، وهو كثيراً ما يكرر هذا المعنى؛ ومن ذلك: تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده، وعلى نار نمرود، وقيامه بأضيافه، وخدمته إياهم بنفسه، وأنه كان يخرج كل يوم من بيته فيمشي فرسخاً لعله يجد ضيماً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم.

وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفي به <sup>(٧)</sup>. وقيل: كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة أخيه، أو بجريرة قريبه، ويقتل باهنه وأبيه وعمه وخاله، والزوج بامراته والعبد بسيده، فأول من خالفهم في ذلك إبراهيم.

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص: ٤١٦) رقم (٧٧١) ونسبة لابن عباس والسدى والكلبى والمسيب بن شريك، وذكره الزمخشري فى الكشاف (٤/٤٢٧).

(٢) قرأ عامة القراء بالتشديد وقرأ أبو أمامة الباهلى وابن حمصن وابن السميق وسعيد بن جبير " وفي " بالخفف. تنظر فى: البحر المحيط لأبي حبان (٨/١٦٧)، تفسير القرطبي (١١٣/١٧)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/٣٣)، المحتسب لابن جنى (٢/٢٩٤).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٠٤).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٤٢٧).

(٥) ذكره الزمخشري فى الكشاف (٤/٤٢٧).

وقيل: عهد إبراهيم ألا يسأل أحدا شيئا، فلما ألقى في النار قال له جبريل وميكائيل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليكما فلا <sup>(١)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: " وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار، وهى صلاة الضحى " <sup>(٢)</sup>. وروي أن النبي ﷺ قال: " ألا أخبركم لم سمى الله خليله بالذى وفي؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهُ حِينَ تُسْوِرُنَ وَحِينَ تُصِحِّحُونَ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿تُظَهِّرُونَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

**﴿أَلَا تَرَ وَازْرٌ وَزَرْ أَخْرَى ﴾** <sup>(٤)</sup> **وَأَنَّ لَنَسَ لِلإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى** <sup>(٥)</sup> **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى** <sup>(٦)</sup>  
**ثُمَّ يُجَزِّئُهُ الْجَرَاءُ الْأَوْقَنُ** <sup>(٧)</sup> **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** <sup>(٨)</sup> **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** <sup>(٩)</sup> **وَأَنَّهُ هُوَ**  
**أَمَّاتَ وَأَخْيَا** <sup>(١٠)</sup> **وَأَنَّهُ خَلَقَ الْزَوْجَيْنَ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** <sup>(١١)</sup> **مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُنْفَى** <sup>(١٢)</sup> **وَأَنَّ عَلَيْهِ اللَّشَاءُ الْأُخْرَى**  
**وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَفْنَى** <sup>(١٣)</sup> **وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى** <sup>(١٤)</sup>

﴿أَلَا تَرَ﴾ أنه لا تزر، والضمير للشأن، و محل ﴿أَلَا تَرَ﴾ ، وما بعدها الجر؛ بدلا من **إِنَّا** في صحف موسى **ويمتحن الرفع بتقديره**: هو ألا تزر وازرة؟ كأن قائلاً قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ قيل: ألا تزر.

﴿إِلَّا مَا سَعَى﴾ إلا سعيه، وقد صح في الحديث: الصدقة عن الميت والحج عنه <sup>(٤)</sup>. وفيه

(١) نسبة الزمخشري في الكشاف (٤٢/٤) لعطاء بن السائب.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٢/٤)، ونسبة الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) للطبرى وابن أبي حاتم وغيرهما من رواية جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا وأتم منه .

(٣) سورة الروم، الآية (١٧، ١٨) والحديث رواه أحمد والطبراني وابن السنى والطبرى وابن أبي حاتم كما قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١).

(٤) ومن ذلك ما رواه مسلم رقم (٢٣٢٣) في الصدقة عن عائشة - رضي الله عنها - أن رجلا أتى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله إن أمي افتلت نفسها ولم توصي وأظنها لو تكلمت تصدق أفلها أجر إن تصدق عنها؟ قال "نعم". وفي الحج روى أبو داود رقم (١٨١١)، وابن ماجه رقم (٢٩٠٣) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: ليك عن شبرمة، فقال رسول الله ﷺ: من شبرمة؟ قال: " قريب لي، قال: هل حججت قط؟ قال: لا، قال: فاجعل هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة ". وصححه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٣١٢٨).

جوابان: أحدهما: أن سعي غيره لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه، وهو أن يكون صالحًا، ولكن إذا نواه به حصل له، والوكيل قائم مقام الموتى.

﴿ثُمَّ يُجزَّنُهُ﴾ ثم يجزى سعيه؛ يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء لوصفه بالجزاء الأولي، أو لبدلته عنه. ﴿وَأَنَّ إِلَيْكَ الْمُنْهَنَ﴾ قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف، وبالكسر على الابتداء<sup>(١)</sup> وكذلك ما بعده.

و﴿الْمُنْهَنَ﴾ يعني النهاية، أي: ينتهي إليه الخلق. ويرجعون إليه؛ كقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿أَضَحَّكَ﴾ أهل الجنة في الجنة ﴿وَأَنْكَ﴾ أهل النار في النار.

وقيل: خلق الصحك والبكاء. ﴿إِذَا تُنْقَ﴾ أي: تراق في الرحم؛ يقال: مني وأمني. وقيل: يخلق من مني الماني، أي: قدر المقدر. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءُ﴾ التزمها بوعده.

﴿وَأَنْقَ﴾ (٢٨١ / ب) أعطى القنية وهو المال الذي تأثرت وعزمت لا تخرجه من يدك ﴿الشَّعْرَى﴾ اثنان: الغميصاء والعبور، وأراد العبور، وكانت العرب تعبدتها، زين لهم ذلك أبو كبشة؛ رجل من أشرافهم، وكانت قريش يقولون لرسول الله ﷺ: ابن أبي كبشة. تشبيهاً له به؛ لمخالفته إياهم في دينهم؛ يريد: أنه رب معبودهم.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا أَلْأَوَنَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَنَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَقَوْمَ نُوحَ مِنْ قَبْلِ إِنْتَهِمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَالْمُؤْنَفَكَةَ أَهْوَى﴾<sup>(٦)</sup> ﴿فَعَشَنَهَا مَا غَسَى﴾<sup>(٧)</sup> ﴿فِي أَيِّ مَا لَهُ رَبِّكَ نَسَمَّاَ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ الَّذِي﴾<sup>(٩)</sup> ﴿الْأَوَّلَنَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿أَرِفَتِ الْأَزْرَفَةَ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿لَيَسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿أَيْنَ هَذَا الْمَدِيدُّ يَتَجَوَّبُونَ﴾<sup>(١٣)</sup> ﴿وَقَضَحُكُونَ وَلَا يَتَكُونُ﴾<sup>(١٤)</sup> ﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾<sup>(١٥)</sup> ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾<sup>(١٦)</sup>

﴿عَادًا أَلْأَوَنَ﴾ قوم هود، وعاد الأخرى: إرم. وقيل: ﴿الْأَوَنَ﴾ يعني القدماء؛ لأنهم أول الأمم هلاكاً بعد قوم نوح، أو لأنهم المتقدمون في الدنيا الأشراف. ﴿إِنْتَهِمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ لأنهم كانوا يضربون نبيهم و يؤذونه حتى لا يبقى فيه حراك، وينفرون الناس عنه حتى كانوا يخذرون صبيانهم منه، وما أثر دعاؤه فيهم قريباً من ألف سنة. ﴿وَالْمُؤْنَفَكَةَ﴾

(١) العامة على الفتح " وأن " وقرأ أبو السماء بالكسر " وإن " .

تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (١٦٨ / ٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٢١٤ / ٦)، الكشاف

للزمخشري (٤٢ / ٤)، معاني القرآن للفراء (١٠١ / ٣) .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٨) .

قرى قوم لوط. **﴿أَهْوَى﴾** أسقطها من العلو **﴿فَقَسَّنَا مَا عَشَّنَ﴾** أمر عظيم لا يدرك قدره **﴿فِي أَيِّ الْأَيَّ﴾** فبأي نعم **﴿رَبِّكَ نَعْمَلُ﴾** أي: تشك؛ عدد الله سبحانه نعمًا ونعمًا، وسمها آلاء؛ لأن كل واحدة منها حث على الطاعة وتنفير من العصية. و**﴿هَذَا﴾** القرآن **﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾** جملة **﴿النَّذِيرُ الْأُولَئِ﴾** فلا وجه لإنكاره، أو **﴿هَذَا﴾** الرسول **﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾** جملة المنذرين الأولين، وقال: **﴿النَّذِيرُ الْأُولَئِ﴾** على تأويل الجماعة.

**﴿أَرَفَت﴾** قربت **﴿الْأَرْضَ﴾** القيامة، لقوله جل جلاله: **﴿فَتَرَتِّبَتِ السَّاعَةُ﴾** <sup>(١)</sup> **﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾** أي: مبينة متى تقوم، لقوله: **﴿لَا يَجْعَلُهَا لِوَقْتِنَا إِلَّا هُوَ﴾** <sup>(٢)</sup> وعن رسول الله ﷺ: أنه لم يُرِ ضاحكاً بعد نزولها <sup>(٣)</sup>.

**﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾** شاخون متبرطمون متكبرون. وقيل: لا هون لاعبون، وقال بعضهم لخاريته: أسمدي لنا؛ أي: غني، وقال الشاعر [من الوافر]:

فإنك لو شهدت بكاء هند أباك الدهر واحدها الفقيدا بمقدار سمدن له سُمودا ورد وجوههن البيض سودا <sup>(٥)</sup>	إذ لشهدت معولة ثكولا رمي الحدثان نسوة آل حرب فرد شعورهن السود ييضا
---	--

(١) سورة القمر، الآية (١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٣/٤) وقال المحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١): رواه أحمد في الزهد والشعلي من حديث صالح بن أبي خليل، ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٤) بياض بالأصل والمثبت من تاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله (٤٧/١٠).

(٥) ينظر في: الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢١٩)، وذكره أبو القاسم بن هبة الله الشافعي في تاريخ مدينة دمشق (٤٧/١٠)، غريب الحديث لابن قبيطة (٢/٥٩٨)، لسان العرب (سمد) والبيتان الأولان في تاريخ دمشق: وإنك لو سمعت بكاء هند ورملة حين يلطممن الخدوذا  
 بكيت بكاء معولة ثكولا أصاب الدهر واحدها الفريدا

## تفسير سورة القمر [مكية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ ﴾** ١) وَإِنْ يَرَوْا إِيَّاهُ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ ٢)  
وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌ ٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَبْلَاءِ مَا فِيهِ  
مُزَدَّجَرٌ ٤) حِكْمَةٌ بَلِّغَهُ فَمَا تَغْنَى النَّذْرُ ٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِنْ شَاءَ  
نُكَرٌ ٦)

**﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَ الْقَمَرُ﴾** روي أن أنس بن مالك قال: "إن أهل مكة (١/٢٨٢)  
سألوا رسول الله ﷺ آية، فأراهم القمر قد انشق نصفين، وحراء بينهما" (١).

وقيل: إن الماضي يعني المضارع؛ أي: ينشق يوم القيمة، وفي قراءة حذيفة: (وقد انشق  
القمر) (٢) كما تقول: أقبل الأمير؛ إذا جاء المبشر بقدومه، وعن حذيفة: أنه خطب بالمدائن،  
فقال: "ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ" (٣).

**﴿وَإِنْ يَرَوْا إِيَّاهُ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾** يرده، وكفى به راداً، **﴿مُسْتَمِرٌ﴾** أي: دائم،  
وكل من دامت طريقة مستمر. لما رأوا توادر المعجزات قالوا: هذا سحر مستمر وقيل:  
**﴿مُسْتَمِرٌ﴾** قوي؛ من قوله: استمر مريره؛ أي: تضاعفت قوته. وقيل: هو من قوله استمر  
الشيء: إذا اشتدت مرارته، أي: هو من في حلوقنا لا نستطيع أن نسيغه؛ كما لا يساغ المر  
الشديد المرارة، أي: مستبيشع عندنا، من هواتنا.

**﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾** بدفع الحق بعد ظهوره. **﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌ﴾** أي: كل الأمر  
لابد أن يصير إلى غاية أو **﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾** من أمرهم فله قرار مستقر عندهم. **﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ**

(١) حديث انشقاق القمر رواه البخاري رقم (٣٨٦٩، ٣٦٣٦)، ومسلم رقم (٢٨٠٠).

(٢) تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (١٧٣/٨)، تفسير القرطبي (١٢٥/١٧)، فتح القيدير للشوكاني (١٢٠/٥)، الكشاف للزمخشري (٤/٤٣)، المحسوب لابن جني (٢/٢٩٧).

(٣) نسبة الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١ - ١٦٢) للحاکم والطبراني وأبی نعیم من روایة ابن علیة عن عطاء بن السائب عن ابن عبد الرحمن، ونسبة لعبد الرزاق من وجه آخر عن عطاء، ولأحمد من روایة شعبه عن عطاء.

هـى دـارـ الـقـرـارـ »<sup>(١)</sup> أو: كل أمر ذو مستقر، أو: ذو موضع استقرار، أو زمان استقرار.  
**﴿وَنَأْتَى الْأَنْبَاءُ﴾** من القرآن، وأنباء الآخرة. **﴿مُزَدَّجِرٌ﴾** ازدجار، أو: موضع ازدجار.  
**﴿فَمَا تَفْنِي النَّذْرُ﴾** نفي أو إنكار، أي: فـأـيـ غـنـيـ تـغـنـيـ النـذـرـ. **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾** لعلـكـ أـنـ الإنـذـارـ  
لا يـنـفـعـ فـيـهـمـ؛ لأنـهـمـ مـطـبـوـعـ عـلـىـ قـلـوـبـهـمـ. نـصـبـ **﴿يَوْمَ يَدْعَ الدَّاعُ﴾** بـ "يـخـرـجـونـ" أو  
بـ "يـاضـمـارـ اـذـكـرـ"ـ، والـدـاعـيـ: إـسـرـافـيلـ أوـ جـبـرـيلـ. **﴿تُكَثِّرُ﴾**ـ أيـ: منـكـ تـنـكـرـهـ النـفـوسـ لـأـنـهـاـ لمـ  
تعـهـدـ مـثـلـهـ.

**﴿خُشَّعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَمَا هُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿مُهَطِّعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكُفَّارُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ ثُوجَ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَأَزْدُجَرٌ﴾** <sup>(٩)</sup> **﴿فَدَعَا رَبَّهُمْ أَقِي مَعْلُومٌ فَانْتَصَرَ﴾** <sup>(١٠)</sup> **﴿فَفَنَحَّا أَبْوَابَ السَّمَاءِ إِلَّا مَوْتٌ مُنْتَهِيٌ﴾** <sup>(١١)</sup> **﴿وَفَجَرَنَا الْأَرْضُ عَوْنَانَا فَالْنَّفْقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرِ قَدْ فَلِرَ﴾** <sup>(١٢)</sup> **﴿وَحَمَّلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَرِجَ وَدُسِر﴾** <sup>(١٣)</sup>

**﴿خُشَّعًا أَبْصَرُهُمْ﴾**ـ حالـ منـ "يـخـرـجـونـ"ـ وـخـشـوـعـ الـأـبـصـارـ عـبـارـةـ عنـ الذـلـلـ؛ لأنـ ذـلـلـهـ  
الـذـلـلـ وـعـزـةـ العـزـيزـ يـظـهـرـانـ فيـ عـيـونـهـمـ. **﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾**ـ منـ الـقـبـورـ **﴿كـمـاـ هـمـ جـرـادـ مـنـتـشـرـ﴾**ـ مثلـ  
فيـ الـكـثـرـةـ وـالـتمـوـجـ، يـقـالـ: جاءـ الـجـيـشـ كـاـجـرـادـ مـنـتـشـرـ فيـ كـلـ مـكـانـ. **﴿مُهَطِّعِينَ﴾**ـ مـسـرـعـينـ  
مـادـيـ أـعـنـاقـهـمـ. وـقـيـلـ: نـاظـرـيـنـ إـلـيـهـ لـاـ يـيـلـوـنـ بـأـبـصـارـهـمـ عـنـهـ، وـمـنـهـ قـوـلـ الشـاعـرـ [مـنـ الطـوـيلـ]:

تـبـعـدـنـيـ نـمـرـ بـنـ سـعـدـ وـقـدـ أـرـىـ وـغـرـ بـنـ سـعـدـ لـيـ مـطـيعـ وـمـهـطـعـ<sup>(٢)</sup>

**﴿قَبْلَهُمْ﴾**ـ قبلـ أـهـلـ مـكـةـ **﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾**ـ أيـ: نـوـحـاـ. فـلـانـ قـلـتـ: ماـ معـنـيـ قولـهـ: **﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾**ـ بعدـ قولـهـ: **﴿كَذَّبَتْ﴾**ـ؟ قـلـتـ: معـناـهـ: كـذـبـواـ فـكـذـبـواـ عـبـدـنـاـ،ـ أيـ: كـذـبـوهـ تـكـذـبـيـاـ عـقـبـ  
تـكـذـبـ،ـ كـلـمـاـ مضـىـ مـنـهـمـ قـرـنـ مـكـذـبـ تـبـعـهـ قـرـنـ مـكـذـبـ،ـ أوـ: كـذـبـ قـوـمـ نـوـحـ الـمـسـلـيـنـ  
فـكـذـبـواـ عـبـدـنـاـ،ـ وـلـاـ كـانـواـ مـكـذـبـيـنـ لـلـرـسـلـ جـاـحـدـيـنـ (٢٨٢ـ بـ)ـ لـلـنـبـوـةـ رـأـسـاـ كـذـبـواـ نـوـحـاـ؛ـ لـأـنـهـ  
مـنـ جـمـلـةـ الرـسـلـ. **﴿وَأَزْدُجَرٌ﴾**ـ وـانـتـهـرـ بـالـشـتـمـ وـالـضـربـ.

وـقـيـلـ: **﴿وَأَزْدُجَرٌ﴾**ـ زـجـرـتـهـ الـجـنـ وـاخـتـطـفـتـ فـهـمـ وـعـقـلـهـ،ـ أيـ: فـانـتـصـرـ لـيـ،ـ وـإـنـاـ دـعـاـ بـذـلـكـ

(١) سورة غافر، الآية (٣٩).

(٢) يـنـظـرـ الـبـيـتـ فـيـ الـبـحـرـ الـمـحـيطـ لـأـبـيـ حـيـانـ (١٧٦ـ ٨)، الـدـرـ المـصـونـ لـلـسـمـيـنـ الـخـلـيـ (٢٢٥ـ ٦)، الـعـينـ  
لـلـخـلـيلـ (١٠١ـ ١)، لـسـانـ الـعـربـ (غـرـ) وـ (هـطـعـ)، وـالـمـعـنـيـ: كـانـ ذـلـيـلـاـ لـيـ فـصـارـ فـوـقـيـ.

حين استمر عنادهم، فلا يلدو إلا فاجراً كفاراً؛ لأنه كان يلقاه الرجل منهم فيختنه حتى ينفر مغشيا عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهما لا يعلمون. ﴿فَمُهْرِ﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوماً. ﴿وَفَجَرَنَا الْأَرْضَ عَيْوَنًا﴾ أي: وجعلناها كلها كأنها عيون ﴿فَالنَّقَعُ الْمَاء﴾ يعني: مياه السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرِ قَدْفَرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء.

وقيل: ﴿عَلَى أَمْرِ قَدْفَرَ﴾ أي: كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ﴾ على سفينه، وهي من الصفة القائمة مقام الموصوف، لا يفصل بينها وبينها. والدرس: الدفع، والدسار: ما يدفع به من مسمار ونحوه .

﴿تَغْرِي بِأَعْيُنِنَا جَرَاءَ لِئَنْ كَانَ كُفَّارًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْنُ مُسْتَمِرُونَ ﴿١٩﴾ تَرَعَ النَّاسُ كَمَا هُمْ أَعْجَازٌ نَخْلِ مُشْغَرِ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَوْدٌ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿جَرَاءَ﴾ مفعوله. والذي كفر هو نوح؛ لأن النبي ﷺ نعمة من الله؛ قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقرئ: " جَرَاءَ لِئَنْ كَانَ كُفَّارًا" بفتح الكاف والفاء<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ الضمير للسفينة أو لل فعلة، وبقيت على جبل الجودي. وقيل: بأرض الجزيرة حتى أدرك السفينة أولى هذه الأمة. والمذكر: المعتبر، أي: فهل من معتبر، والنذر: جمع نذير، وهو الإنذار. ﴿يَسَّرَنَا الْقُرْءَانَ﴾ سهلناه للادخار والاتعاظ، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد. وقيل: سهلناه للحفظ فهل من راغب في حفظه، ويجوز أن يكون يسره يعني هيأه؛ قال الشاعر [من الطويل]:

فَقَمْتُ إِلَيْهِ بِاللِّجَامِ مِيسَرًا      كَذَلِكَ يَجِزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ<sup>(٣)</sup>

لأن التوراة والإنجيل وسائر الصحف لا تحفظ عن ظاهر القلب وإنما ينظر فيها وتقرأ.

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٢) قرأ بها يزيد بن رومان وعيسي وفتادة. تنظر في: الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٢٧).

(٣) البيت للأعرج ينظر في: البحر الحيط لأبي حيان (٨/١٧٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٢٨).

﴿وَنُذِرٌ﴾ وإنذاري بإذار الرسل. وقيل: بإذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم.

﴿فِي يَوْمٍ مُّخْتَنِ﴾ أي: يوم شؤم ﴿مُسْتَمِرٌ﴾ دائم إلى أن فرغ من هلاكهم، كانوا يفرون من الريح فيدخلون في الشعاب والاحفر العميقه في الأرض فتخر جهم الريح وتدق رقابهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ مُنْقَعِرٌ﴾ كأنهم أصول نخل ﴿مُنْقَعِرٌ﴾ متزع من أصله، وكانوا أقواماً طوالاً؛ فإذا سقطوا على الأرض كانوا كالنخلة السحقوق إذا سقطت. وقيل: شبهوا بالنخل المقنعر؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فيبكون كأنهم نخل بغیر رأس، وذكر صفة النخل بقوله: ﴿مُنْقَعِرٌ﴾ وأنثها في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ حَاوِيَةٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ حلاً على اللفظ (٢٨٣) والمعنى.

﴿فَقَالُوا أَبْشِرْ كَمَا وَجَدَنَا تَنْبِعَهُ إِنَّا إِذَا لَقَى ضَلَالٍ وَسَعْرٌ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِذْلِقَ الْذَّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ يَبْتَنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَيْشُرٌ﴾<sup>(٣)</sup> سيعامون عدا من الكذاب الأشر<sup>(٤)</sup> ﴿إِنَّا مُرْسِلُو أَنَّاقَةٍ فَنَنَّهُ لَهُمْ فَارِقُهُمْ وَأَصْطَلِرٌ﴾<sup>(٥)</sup> وَنَنْتَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْضَرٌ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿فَنَادُوا صَاحِبَمْ فَنَعَطَنِي فَعَقَرٌ﴾<sup>(٧)</sup> فكيف كان عذاب ونذر<sup>(٨)</sup> ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَنَجْدَةً فَكَانُوا كَهْشِيمَ الْمُخْنَاطِرٌ﴾<sup>(٩)</sup> ولقد بَسَرَنَا الْقَرْآنَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُنْذَرٌ<sup>(١٠)</sup> ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٌ بِالنَّذْرِ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا إِلَّا لُوطٌ بِجِنْتَهُمْ بِسَرَرٌ﴾<sup>(١٢)</sup>

﴿أَبْشِرْ كَمَا﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿تَنْبِعَهُ﴾

وقرئ: "أبْشِرْ" بالرفع<sup>(١)</sup> على الابداء، و﴿تَنْبِعَهُ﴾ الخبر. كان صالح يقول: إن لم تتبعوني كتم في ضلال. وسعر: جمع سعير، وهي النار المتقدة، فعكروا عليه، وقالوا: إن اتبعناك كان الأمر كما تقول. وقيل: السعر: الجنون؛ يقال: ناقة مسورة.

وقال [من الطويل]:

كَانَ بِهَا سُعْرًا إِذَا الْرِيحُ هَرَأَهَا ذَمِيلٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السِّيرِ مُتَعَبٌ<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الحاقة، الآية (٧).

(٢) قرأ بها أبو السمائل. تنظر في: الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢٢٩)، الكشاف للزمخشري (٤/٤٣٧).

(٣) ينظر البيت في: البحر الحيط لأبي حيان (٨/١٨٠)، تفسير القرطبي (١٧/٩٠)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢٢٩)، غريب الحديث للخطابي (٢/٣٢) وفيه:

تَخَالْ بَهَا سَعْرَا إِذَا العِيسِ هَرَأَهَا ذَمِيلٌ وَتَوْضِيعٌ مِنَ السِّيرِ مُتَعَبٌ

والذمبيل: ضرب من سير الإبل. وقيل: هو السير اللين ما كان. وقيل: هو فوق العنق، قال أبو عبيدة: إذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذمبيل ثم الرسميم ". من لسان العرب (ذمل).

وأنكروا أن يكون الرسول بشرًا، وكونه منهم أيضًا؛ لأن البشرية جنس جامع له وهم، وكونه واحدًا فقالوا: كيف تتبع هذه الأمة كلها رجلاً واحداً؟ **﴿أَيُّر﴾** بطر طالب للرياسة علينا. **﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾** عند نزول العذاب، أو يوم القيمة. **﴿مِنَ الْكَذَابُ أَيُّر﴾** أصالح أم من كذبه؟ وقرئ: "ستعلمون" بالباء<sup>(١)</sup> على حكاية ما سألاوا. **﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾** وامتحانا.

**﴿فَارْقَبُوهُمْ﴾** فانتظرهم، وما هم عليه. **﴿وَاصْطَرِرُ﴾** على أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري. **﴿فَتَسْمَعُونَ بَيْنَهُمْ﴾** مقسم **﴿لَمَا شَرَبَ وَلَكُنْ شَرَبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾**<sup>(٢)</sup> وذكر **﴿بَيْنَهُمْ﴾** تغليبا للعقلاء. **﴿مُخْضَرُ﴾** أي: محصور لهم وللنافقة. **﴿صَاحِبُهُمْ﴾** قدار بن سالف، وقيل: الناقة أو السيف. **﴿صَيْحَةً وَجَلَّةً﴾** صيحة جبريل. والهشيم: الشجر اليابس المتهشم، والمحظوظ: الذي يعمل الحظيرة. **﴿حَاصِبًا﴾** ريجا تحصيهم بالحجارة.

**﴿سَحَرَ﴾** بقطع من الليل، وهو السادس الأخير منه. وقيل: مما سحران، والسحر الأعلى قبل اندفاع الفجر، والآخر عند اندفاعه، وصرف لأنه نكرة، ويقال: لقيته سحر، أي: بسحر يومك.

**﴿نَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ تَخْرِي مَنْ شَكَرَ**<sup>(٣)</sup> **﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَنَّا فَتَسَارُوا بِالنَّذْرِ**<sup>(٤)</sup> **﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ**، فطمسنا أغيبهم **﴿فَذُوقُوا عَذَابَ وَنَذْرٍ**<sup>(٥)</sup> **﴿وَلَقَدْ صَبَّاهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ**<sup>(٦)</sup> **﴿فَذُوقُوا عَذَابَ وَنَذْرٍ**<sup>(٧)</sup> **﴿وَلَقَدْ يَسَرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ**<sup>(٨)</sup> **﴿وَلَقَدْ جَاءَ إِلَّا فَرَعَوْنَ النَّذْرَ**<sup>(٩)</sup> **كَذَبُوا بِعِيَاتِنَا كُلُّهَا فَأَخْذَنَّا مِنْ أَعْزَبِهِ مُقْنَدِرٍ**<sup>(١٠)</sup> **﴿أَكْفَارُكُنُّ خَرَّ مِنْ أُفْلِيَكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الْأَزْرِ**<sup>(١١)</sup> **أَمْ يَهُولُونَ تَحْنُّنَ جَمِيعٍ مُّنْصِرٍ**<sup>(١٢)</sup> **﴿سَيَهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ**<sup>(١٣)</sup>

**﴿نَعْمَةٌ﴾** أنعمناها؛ مفعول له: **﴿مِنْ شَكَرَ﴾** نعمة الله بالإيمان والطاعة **﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ** لوط عليه السلام **﴿بَطْشَنَّا﴾** أخذتنا بالعذاب **﴿فَتَسَارُوا﴾** وكذبوا **﴿بِالنَّذْرِ﴾**. **﴿فَطَسَّنَا** **﴿أَغْيَبَهُمْ﴾** فمسحتها وجعلناها كسائر الوجوه لا يظهر فيها شق. روي أنهم عاجلوا باب لوط ليدخلوا؛ فقال لهم: **﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾**<sup>(١٤)</sup> فقالوا له: إن ربك لشديد **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَرَبُّكَ لَمَّا يَصْلُوَا**.

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة وهبيرة عن حفص عن عاصم، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم "سيعلمون" بالغيبة. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٨٠)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٣٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٨).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٥٥).

(٣) سورة هود، الآية (٨٠).

**إِلَيْكَ** <sup>(١)</sup> فمسح جبريل بمناجه وجوههم فصار موضع العين لحمًا مساوياً لجميع الوجه، فلم يهتدوا للباب حتى أخرجهم لوطن. **﴿بَكْرَةً﴾** إن نكرته فالمراد (٢/٢٨٣) بُكْرَةً من جلة البُكَر، وإن عرفته ولم تصرفه أردت بكرة يومك. فإن قلت: مافائدة تكرير قوله: **﴿فَدُوقُوا عَذَابِي وَنُذِيرُ** <sup>(٣)</sup> **﴿وَلَقَدْ يَسِّرَ اللَّهُ عَزَّ ذِيَّا لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ تَنَاهِرٍ﴾** ؟ قلت: فائدته أن تبقى هذه المواعظ نصب أعينهم ويستحضرها بقلوبهم ولا يغفلوا عنها، ونظيره تكرير: **﴿فِيَّ اَلَّا رَيْكَمَانِكَذَبَانِ﴾** في سورة الرحمن <sup>(٤)</sup>. وفي المرسلات: **﴿وَلِلَّهِ يَوْمَ الْحِجَّةِ بَيْنَ** <sup>(٥)</sup> **النَّذْرِ**: موسى وهارون وغيرهما؛ لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو: جمع نذير، وهو الإنذار.

**﴿يَا يَتَّبِعُنَا كَلَّهَا﴾** بالأيات التسع. **﴿أَخْذَعَنِي﴾** لا يغالب **﴿مُفْتَدِر﴾** لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض. **﴿أَكْفَارُكُم﴾** يا أهل مكة **﴿يَسِّرْ مِنْ اُولَئِكُم﴾** الكفار المعدودين وهم قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وأآل فرعون، يعني: أكفاركم خير من أولئكم في القوة والعدة والمال والبساطة، أو أقل عناداً؟ بل قومك أكثر عناداً وأبعد عن الانقياد. **﴿أَمْ﴾** أنزلت عليكم **﴿بَرَاءَةً فِي﴾** الكتب المتقدمة أن من كفر منكم كان آمناً من عذاب الله فأمتنتم بها؟! **﴿نَحْنُ﴾** جماعة أمينا مجتمع **﴿مُشَتَّر﴾** ينصر بعضنا بعضاً. وروي أن أبي جهل قال يوم بدر: اليوم ننتصر من محمد وأصحابه فنزلت **﴿سَيِّرُهُمْ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾** <sup>(٦)</sup>. روي: أن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر وهو يقول: **﴿سَيِّرُهُمْ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾** <sup>(٧)</sup> أي: الأدباء؛ كما قال [من الواffer]:

**كُلُّوَا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعْفُوا** <sup>(٨)</sup>

(١) سورة هود، الآية (٨١).

(٢) الآيات (١٣، ١٣، ١٦، ٢١، ١٨، ٢١، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٢٨، ٢٥، ٢٣، ٤٠، ٣٨، ٣٦، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧).

(٣) الآيات (١٩، ١٥، ٢٤، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٤٧).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٤٠)، وذكره السيوطي في الدر المثور (٧/٦٨٠) ونسبة لابن أبي شيبة وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بنحو هذا.

(٥) رواه البخاري رقم (٢٦٩٩)، وأحمد في المسند رقم (٢٨٨٥).

(٦) هذا صدر بيت وعجزه: ..... فإن زمانكم زمن خيص.

ينظر في: البرهان في علوم القرآن للزمخشري (٤٢٨/٢)، تفسير أبي السعود (١/١٩١)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٣٨/٥)، الكشاف للزمخشري (١/٤٧٩).

﴿بَلِ الْسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَنَ وَأَمْرٌ ﴾<sup>٦١</sup> إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ <sup>٤٧</sup> يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ <sup>٤٨</sup> إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ <sup>٤٩</sup> وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَجَهَهُ كَلْمَجْ بِالْبَصَرِ <sup>٥٠</sup> وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا أَشْيَاعُكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَّكِرٍ <sup>٥١</sup> وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ <sup>٥٣</sup> وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَيْرٍ مُسْتَطَرٌ <sup>٥٤</sup> إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي حَتَّٰتِ وَنَهَرٍ <sup>٥٥</sup> فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْنَدِيرٍ <sup>٥٦</sup>﴾

﴿أَذْهَنَ وَأَمْرٌ﴾ والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدواعيه. **﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾** سقر اسم علم لجهنم. **﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾** منصوب بفعل مضمر يفسر الظاهر، والقدر: التقدير.

﴿وَمَا أَمْرَنَا إِلَّا وَجَهَهُ﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين **﴿كَلْمَجْ بِالْبَصَرِ﴾** يريد قوله: **﴿كُنَّ﴾**. **﴿أَشْيَاعُكُمْ﴾** أشباهكم من الأمم. **﴿فِي الزُّبُرِ﴾** في دواوين الحفظة. **﴿مُسْتَطَرٌ﴾** أي: في اللوح **﴿وَنَهَرٍ﴾** أي: وأنهار؛ اكتفى باسم الجنس. وقيل: هي السعة والضياء من النهار؛ وأنهر الدم: أخرجه بكثرة. **﴿فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ﴾** في مكان مرضي. **﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾** أي: مقربون عند ملك عظيم القدرة والملائكة؛ فلا منزلة أتم من تلك المنزلة، ولا مقعد أكمل منه، ولا مقتدر أعظم منه.

\* \* \*

## تفسير سورة الرحمن [مدنية]

(٢٨٤/١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَمَ الْقُرْبَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ إِلَيْنَا نَّٰسًا ﴿٣﴾ عَلَمَهُ أَبْيَانًا ﴿٤﴾ الشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ يُحْسِبَانِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَأَسْمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمَيَزَاتِ ﴿٧﴾﴾

بدأ سبحانه بتحديد نعماته على العالمين، فبدأ بنعمة الدين، وببدأ من نعم الدين بما هو في أعلى مراتبها وأشرف مناصبها وهو تعليم القرآن، وهو من أعظم حرمات الله، وهو الحبل المtin، والصراط المستقيم، ثم ثنى بنعمة إيجاد الإنسان، وما خلق فيه من عجائب الترتيب وحسن النظم والترتيب، وما وبه له من المتن والمصالح فقال: «خَلَقَ إِلَيْنَا نَّٰسًا خَلَقَ  
إِلَيْنَا نَّٰسًا عَلَمَهُ أَبْيَانًا» وفي «أَبْيَانًا» قوله: قولان: هو النطق. وقيل: هو الكتابة؛ كقوله:  
«عَلَمَ بِالْقَلْبِ عَلَمَ إِلَيْنَا مَا لَوْيَتْمَ»<sup>(١)</sup> وقوله: «الرَّحْمَنُ» مبتدأ، وهذه الأفعال المعطوفة أخبار،  
ولم يأت بينها بعاطف؛ لأنَّه جعلها كالمجملة الواحدة؛ تقول: زيد أَغْنَاكَ بَعْدَ فَقْرٍ، أَعْزَكَ بَعْدَ  
ذلِّ، جَبْرَكَ بَعْدَ كَسْرٍ، فَعَلَّبَكَ مَا لَمْ يَفْعَلْ أَحَدٌ بِأَحَدٍ؛ فَأَيْ شَيْءٍ تَشَكَّرُ مِنْ إِنْعَامِهِ؟!

«بِحُسْبَانِ» يحيى بن محبسان معلوم؛ يحيى بن محبسان في بروجهما ومنازلهما، وفي ذلك منافع  
للناس عظيمة منها: علم السنين؛ لقوله عز وجل عن القمر: «وَقَدْرَهُ مَنَارٌ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ  
أَسْيَنِينَ وَالْحِسَابَ»<sup>(٢)</sup> ومنها إضاج الفواكه وييس الحبوب المزروعة.

و«وَالنَّجْمُ» النبات الذي ليس له ساق يبقى سنة ثانية، و«وَالشَّجَرُ» كل ما له ساق  
ويبقى إلى سنة ثلاثة وأصله قائم. وسجودهما: انقيادهما لما خلق الإنسان من أجله تشبيهًا  
بالمكلفين في انقيادهم بالسجدة لله تعالى، والضمائر العائدة في الأخبار إلى «الرَّحْمَنُ»  
استغني عنها بقوة الكلام، والتقدير: يحيى بن محبسانه «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» له.

وقيل: «عَلَمَ الْقُرْبَانَ» جعله آية وعلامة على صدق الرسول. وقيل: «إِلَيْنَا نَّٰسًا» آدم.  
وقيل: محمد ﷺ . وعن مجاهد: «وَالنَّجْمُ» نجوم السماء<sup>(٣)</sup>. «وَأَسْمَاءَ رَفَعَهَا» خلقها

(١) سورة العلق، الآية (٤، ٥).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٠٠ / ٤).

مرفوعة. **﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾** خفضه؛ لأن به يحصل العدل والتناسف، ويدخل فيه المكيال؛ لأنه يعرف به وفاء الحق، وكذلك الفرسطون وهو القبان.

**﴿أَلَا تَطْغُوا فِي الْمِيزَانِ ﴾** **﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾** **﴿وَأَلْرَضَ وَصَعَهَا لِلأَنَامِ ﴾** **﴿فِيهَا فَكِهَهُ وَأَنْتَلَ ذَاتَ الْأَكْمَامِ ﴾** **﴿وَلَعْبُ ذُو الْعَصْفِ وَالرِّيحَانُ ﴾** **﴿فِيَّ إِلَّاءِ رِيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴾** **﴿خَلَقَ إِلَيْنَسَنَ مِنْ صَلَصَلٍ كَالْفَخَارِ ﴾** **﴿وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾** **﴿فِيَّ إِلَّاءِ رِيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴾** **﴿رَبُّ الْمُتَرْقِينَ وَرَبُّ الْمُغَرِّبِينَ ﴾** **﴿فِيَّ إِلَاءِ رِيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴾** **﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقَيَانِ ﴾** **﴿بِيَّنَمَا بَرْزَحُ لَا يَتَغَيَّبَانِ ﴾**

**﴿أَلَا تَطْغُوا﴾** أي: لئلا تطغوا، أو هي "أن" المفسرة، أي: فقلنا: لا تطغوا. **﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾** أي: وقوّموا وزنكم **﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾** أي: لا تقصوه، وكرر لفظ "الميزان" تأكيدا لوجوب الاحتياط في الوزن. **﴿وَصَعَهَا﴾** خفضها مدحّوة على الماء. **﴿لِلأَنَامِ﴾** للخلق، وهو كل ما ظهر على وجه الأرض من دابة. وقيل: الأنام: الإنس والجن.

(٢٨٤) **﴿فَكِهَهُ﴾** أنواع ما يتفكه به، والأكمام: كل ما يتغطى به من ليفه وسعفه وقشر طلبه، وكله ينتفع به؛ كما ينتفع بالملجم من ثمرة وجماره وجذوعه. وقيل: الأكمام: أوعية الثمر، الواحد: كم، بكسر الكاف. **﴿الْعَصْف﴾** ورق الزرع. وقيل: التين، **﴿وَالرِّيحَانُ﴾** الرزق، وهو اللب؛ أراد أن فيها ما يتفكه به، وفيها ما يتغذى به وهو الرزق. وقرئ: "والريحان" بالجر<sup>(١)</sup>؛ عطفا على **﴿الْعَصْف﴾** أي: فيها ما تأكلون أنتم وأنعامكم؛ كما قال: **﴿مَنَعَ لَكُمْ وَلَا نَعْمَلُ﴾**<sup>(٢)</sup> وقال: **﴿فَتَخْرُجُ يَدُهُ زَرْقاً فَأَكُلُّ مِنْهُ أَعْمَمُهُمْ وَأَنْفَسُهُمْ﴾**<sup>(٣)</sup>. وقيل: وفيها الريحان الذي يشم، والخطاب في **﴿رِيْكَمَا﴾** للجن والانس بدلاله الأنام عليها، قوله: **﴿سَنَقُّ لَكُمْ أَيْهَا النَّفَّلَانِ﴾**

الصلصال: الطين اليابس له صلصة. والفخار: الطين المطبوخ بالنار، ومعنى الآية: أنه

(١) قرأ بالكسر حزة والكسائي، وقرأ بالرفع البن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو. تنظر في: الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٣٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٩).

(٢) سورة النازعات، الآية (٣٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٧).

خلق الإنسان من تراب، ثم جعل نسله من ماء مهين، ثم جعله طينا ثم صلصالا ثم حما مسنوناً، أي: متتنا. **﴿أَجَانِ﴾** أبو الجن. وقيل: إبليس، والمراج: اللهب الصافي الذي لا دخان له. وقيل: المختلط بسواد النار؛ من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط، ومعنى قوله: **﴿مَنْ تَارِ﴾** بيان المراج؛ كأنه قيل: من صاف من نار أو مختلط من نار؛ أراد: من نار مخصوصة. **﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ﴾** أرسل البحر الملح والبحر العذب متباورين متساوين في مرأى العين. **﴿يَتَبَشَّرُ بِرَحْ﴾** حاجز من قدرة الله تعالى **﴿لَا يَتَبَعَانِ﴾** لا يتجاوزان حدיהם، ولا يغري أحدهما على الآخر بالممازجة .

**﴿فَيَأْيَءَ الْأَرْتَكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾** (٢١) يخرج منها اللؤلؤ والمرجان **﴿فَيَأْيَءَ الْأَرْتَكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾** (٢٢)  
**﴿وَلَهُ الْبَوَارُ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَطْلَمِ﴾** (٢٣) **﴿فَيَأْيَءَ الْأَرْتَكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾** (٢٤) **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنِ﴾** (٢٥) **﴿وَيَسْبِقُنِ**  
**﴿وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ﴾** (٢٦) **﴿فَيَأْيَءَ الْأَرْتَكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾** (٢٧)

و **﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾** هذا الحجز الأخر وهو البسد<sup>(١)</sup>. وقيل: اللؤلؤ كباره، والمرجان صغار اللؤلؤ<sup>(٢)</sup>.

وقال: **﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾** مع أنه لا يخرج إلا من الملح خاصة؛ لأنهما لما التقى وصارا كالشيء الواحد جاز أن يعبر عنهما بالثنية والإفراد؛ كما تقول: أخرجت الشيء من البحر، وأنت لا تخرجه من جميع البحر؛ بل من بعضه، وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من محله منه؛ بل من دار واحدة من دوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب. **﴿الْبَوَارُ السُّفُنُ﴾**، **﴿وَالْمُنْشَاتُ﴾** المروعات الشريع **﴿وَكَالْأَطْلَمِ﴾** الجبال. **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾** أي: على الأرض. **﴿وَيَسْبِقُ وَجْهُ رَبِّكَ﴾** أي: ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات<sup>(٣)</sup>. ومساكين مكة تقول: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان؛ أي: من الجوع. **﴿ذُو الْجَلَلِ﴾** الذي يحمله

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (١٣١ / ٢٧) عن كعب الأحرار، و البسد: ليس بعربي، وهو المرجان: جوهر أحمر. قال ابن برى: والذى عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ كما ذكره الجوهرى. ينظر: لسان العرب (بسد).

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (١٣١ / ٢٧) عن عكرمة.

(٣) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إصرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صر من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَثِيرٌ، شَفَّ﴾** و **﴿هُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**.

الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم (٢٨٥ / ١) أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك، أو: من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصفة من أعظم صفات الله تعالى، ولقد قال ﷺ: "أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" (١). ومر رسول الله ﷺ بِرْجَلٍ يصلي، وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: "قد استجيب لك" (٢).

فإن قلت: لم قال عقيب هذه الآية «فِيَّ إِلَاءِ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ» وأي نعمة في هذا؟

قلت: فيه أعظم النعم، وهو مجيء وقت الجزاء وانتصاف كل مظلوم من ظلمه.

﴿يَتَشَاءُلُهُ مَنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانِ﴾ (١٩) ﴿فِيَّ إِلَاءِ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾ (٢٠) سَمْرَقْدَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الشَّفَّالَانِ (٢١) ﴿فِيَّ إِلَاءِ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾ (٢٢) يَنْعَشَرُ لِعِنْ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَذُوا لَا تَنْفَذُونَ إِلَّا إِسْلَطْنِ﴾ (٢٣) ﴿فِيَّ إِلَاءِ رَبِّكُمَا تَكَذِّبَانِ﴾ (٢٤)

كل «من في السموات والأرض» مفتقرون إليه (كُلُّ يَوْمٍ) أي: كل وقت يجدد أحکاماً لتجدد أمور، وروي أن النبي ﷺ سئل عن هذه الشؤون؛ فقال: "يغفر ذنبًا ويخرج كربًا ويضع قومًا ويعرف آخرين" (٣).

وعن ابن عباس: "الدهر كله عند الله يومان، فما مضى من الزمان ف شأنه فيه الأمر والنهي والأخذ والإعطاء والمنع، والآخر: يوم القيمة ف شأنه فيه الجزاء والحساب" (٤). وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: لا يقضى في يوم السبت شيء. وقيل: إن ملكاً سأله وزيره عنها فلم يجده، فأمهله ثلاثة أيام يجده، فقال غلام الوزير: أنا أفسره وأعلمكه فأعلمه؛ فقال: من شأنه أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وينخرج الحي من الميت، وينخرج

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٩٣٥)، والترمذى رقم (٣٤٤٧) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٢٥٠).

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٠٤٤)، والترمذى رقم (٢٤٣٢) وضعفه الألبانى فى ضعيف الترغيب والترهيب رقم (١٠١٨) و لظ بالمكان، وألظ به، وألظ عليه: أقام به واللح، وألظ بالكلمة: لزمها. والإلاظة: لزوم الشيء والمثابرة عليه، ولظ بالشيء: لزمه، والظوا - في الحديث - أي: الزموا هذا وابتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. لسان العرب (اللظاظ).

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٩٨) وقال البوصيري في مصباح الرجاجة في التعليق على سنن ابن ماجه: إسناده حسن. وحسن الشيخ الألبانى إسناده في تحقيق سنن ابن ماجه رقم (٢٠٢).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٤٧ / ٤).

الميت من الحي، ويشفي سقىما ويسقم سليمًا، ويبتلي معافي ويعافي مبتلي، ويعز ذليلًا ويذل عزيزًا، ويفقر غنيًا ويفنى فقيرًا، فقال الملك: أحسنت؛ فأمر الوليد أن يخلع له بباب الوزارة؛ فقال: يا مولاي: هذا من شأن الله. ﴿سَنَفِعُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأغفر لك؛ أي: لا أجعل لي شغلا غير عقوتك، ومراده: التوفر على ذلك والاهتمام به. ﴿الْفَلَانِ﴾ الإنسان والجن؛ سميا بذلك لأنهم مثقلان بالذنب. ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْعُدُوا﴾ أي: إن قدرت أن تخرجوا من ملوكتي فافعلوا، لا تطيقون ذلك إلا بسلطان يقهر من يعنكم. وروي: أن الملائكة تنزل يوم القيمة فيحيطون بأقطار الأرض فيهرب أهل الموقف من شواط النار ولهبها فلا يأتون جهة من الجهات إلا وجدوا الملائكة يردونهم بالمقام.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَارٍ وَضَاحٌ فَلَا تَنْصَرَانِ﴾ <sup>(٢٥)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِكَدِبَانِ﴾ <sup>(٢٦)</sup> فَإِذَا  
أَنْشَقَتِ الْسَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالْهَانِ <sup>(٢٧)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِكَدِبَانِ﴾ <sup>(٢٨)</sup> فَيُوَمِّدُ لَا يُشَعِّلُ عَنْ ذَيْهِ  
إِنْ وَلَاجَانِ <sup>(٢٩)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِكَدِبَانِ﴾ <sup>(٣٠)</sup> يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْتَّوْصِي  
وَالْأَقْدَامِ <sup>(٣١)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِكَدِبَانِ﴾ <sup>(٣٢)</sup> هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ <sup>(٣٣)</sup> يَطْوِقُونَ بَيْنَهَا  
وَبَيْنَ حَبَّيْهِ عَانِ <sup>(٣٤)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِكَدِبَانِ﴾ <sup>(٣٥)</sup> وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانِ <sup>(٣٦)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِ  
كَدِبَانِ﴾ <sup>(٣٧)</sup> دَوَّاتَا آنَانِ <sup>(٣٨)</sup> ﴿فِيَأَيِّ مَا لَأَءَ رَيْكَنَاتِكَدِبَانِ﴾ <sup>(٣٩)</sup> ﴿﴾

والشواظ: اللهب الخالص، والنحاس: الدخان. وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم. وعن ابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواط <sup>(٤٠)</sup> (ب) إلى المشر <sup>(٤١)</sup>.

﴿فَلَا تَنْصَرَانِ﴾ أي: فلا تنتعن ﴿وَرَدَةً﴾ حمراء ﴿كَالْهَانِ﴾ كدهن الزيت كما قال: ﴿كَلْهَلِ﴾ <sup>(٤٢)</sup> وهو دردي الزيت، وهو جمع دهن، أو اسم ما يدهن به كالحرام والإدام وقيل: الدهان: الأديم الأحر. المراد: لا يسألون عن ذنبهم. ﴿بِسِيمَهُمْ﴾ أي: بعلامات يعرفون بها من سواد الوجوه وزرقة العيون، وأما قوله: ﴿فَوَرِيكَ لَسْتَانَهُمْ أَجَمِيعَنِ﴾ <sup>(٤٣)</sup> ﴿وَقَفُورُهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ <sup>(٤٤)</sup> فلأن يوم القيمة فيه مواطن، ففي بعضها يسألون وفي بعضها لا يسألون، وفي

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٤٩)، وذكر نحوه السيوطي في الدر المشور (٧/٧٠٢) ونسبة ابن أبي شيبة عن الصحاح <sup>جهنم</sup> قال: " نار تخرج من قبل المغرب تحشر الناس حتى إنها تحشر القردة والخنازير تبيت حيث باتوا وتغسل حيث قالوا ".

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

(٣) سورة الحجر، الآية (٩٢).

(٤) سورة الصافات، الآية (٢٤).

بعضها يختم على أفواههم فتتكلّم جوارحهم بما صنعوا.

**﴿فَيُؤْخَذُ بِالْتَّوْصِي﴾** أي: يشد بسلسلة من خلف ظهره إلى قدميه. وقيل: تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بنواصيهم، وتارة تأخذ بالأقدام. **﴿وَجَهِيمٌ كَانَ﴾** ماء حار قد انتهى حرمه ونضجه يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم. وقيل: إن وادياً من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغالل فيغمضون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها، وقد أحدث الله سبحانه لهم جلداً جديداً. وعد ذلك نعماً لأن الإنسان بالإندار ينجذب قلبه إلى الطاعة خوفاً. **﴿مَقَامٌ رَبِيعٌ﴾** موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، ونحوه: **﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾**<sup>(١)</sup> ويجوز أن يراد بـ **﴿مَقَامَ رَبِيعٍ﴾** أن ربه قائم عليه مطلع لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وقيل: هو مقحم؛ كما تقول: أخاف جانب فلان، وقول الشاعر [من الوافر]:

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه      مقام الذئب للرجل اللعين<sup>(٢)</sup>

وقوله: **﴿جَنَانٌ﴾** خطاب للجن والإنس، للخائف من مقام ربه من الإنس جنة، وللخائف من الجن جنة. وقيل: إحدى الجنتين للإيمان والأخرى لترك المعاصي. والأفنان: الغصون خصت بالذكر؛ لأنها التي تشر، ومنها تتفرع العروق وتتدفق الأغصان.

وقيل: الأفنان: جمع فن؛ أي: أنواع من الفواكه؛ قال الشاعر [من الطويل]:

ومنْ كُلِّ أَفَنَانِ اللذَّادَةِ وَالصَّبا      هُوتُ بِهِ وَالْعِيشُ أَخْضُرُ نَاضِرٌ<sup>(٣)</sup>

**﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ٥٠﴾** فَيَأْيَءَ الَّاءَ رَبِيعَ كَمَا تُكَدِّبَانِ ٥١) **﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَكِهَةٍ زَوْجَانِ ٥٢﴾** فَيَأْيَءَ الَّاءَ رَبِيعَ كَمَا تُكَدِّبَانِ ٥٣) **﴿مُتَكَبِّينَ عَلَىٰ فُرُشٍ طَلَابِنَهَا مِنْ إِسْتَدْرِقٍ وَحَنَّ الْجَنَّانِ دَانِ ٥٤﴾** فَيَأْيَءَ الَّاءَ رَبِيعَ تُكَدِّبَانِ ٥٥) **﴿فِيهِنَ قَصَرَتِ الظَّرْفُ لَمَّا يَطِعِمُهُنَّ إِنْسٌ فَتَاهُمْ وَلَا جَانٌ ٥٦﴾** فَيَأْيَءَ الَّاءَ رَبِيعَ كَمَا تُكَدِّبَانِ ٥٧) **﴿كَاهِنَ آيَاوُثُ وَالْمَرْجَانُ ٥٨﴾** فَيَأْيَءَ الَّاءَ رَبِيعَ كَمَا تُكَدِّبَانِ ٥٩) **﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا**

(١) سورة إبراهيم، الآية (١٤).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار، ينظر في: تفسير الطبرى (٤٠٨/١)، الدر المصور للسمين الحلبي (٢٤٦/٦)، الكشاف للزمخشري (٤٥١/٤)، لسان العرب (عن).

(٣) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (١٨٥/٨)، الدر المصور للسمين الحلبي (٢٤٦/٦)، الكشاف للزمخشري (٤٥٢/٤).

الْأَلْحَسْنُ ٦١ فِيَّ إِلَاءِ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٢ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّانِ ٦٣ فِيَّ إِلَاءِ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٤ مُدَهَّأَتَانِ ٦٥ فِيَّ إِلَاءِ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٦ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاخَتَانِ ٦٧ فِيَّ إِلَاءِ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦٨ فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَغَلُوْرَمَانِ ٦٩ فِيَّ إِلَاءِ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ٦١٠

﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ في الأعلى والأسفل؛ كما يختارون. وقيل: تجريان من عينين

(١) إحداهما التنسيم، والأخرى السلسيل. ﴿زَعْجَانِ﴾ صنفان: صنف معروف وصنف مجھول. ﴿مُتَكَبِّنِ﴾ نصب على المد للخائفين أو حال منهم؛ لأن ﴿مَنْ خَافَ﴾ في معنى الجمع. ﴿مَنْ إِسْتَرْقِ﴾ وهو ما غلط من الديباج، وإذا كانت هذه البطائن، فما ظنك بالظهاير. وقيل: ظهايرها من سندس. وقيل: من نور. ﴿دَانِ﴾ قریب يناله القائم والقاعد. ﴿فَهِنَّ﴾ أي: في هذه الآلات المعدودة ﴿فَتَحِرَّتُ الظَّرْفِ﴾ نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا يتظرن إلى غيرهم، في هذه الآية دليل على أن الجن تطمح كما يطمح الإنس. وقيل: هن في صفاء الياقوت والمرجان، وصغار الدر أنصع بياضاً وقيل: إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك كله؛ كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. ﴿هَلْ جَرَأَ إِلَيْهِنَّ﴾ في العمل ﴿إِلَّا إِلَيْهِنَّ﴾ في الشواب، وعن محمد بن الحنفية<sup>(١)</sup>: إنهما للبر والفارجر؛ من أحسن أحسن إليه، ومن أساء أسيء إليه<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: ومن دون الجنتين اللتين ﴿لَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ جتنان، وجتان آخريان دون تلك الجنتين المتقدمتين لمن دونهما من أصحاب اليمين. ﴿مُدَهَّأَتَانِ﴾ قد اشتلت خضرتهما، والأخضر يرى من بعد أسود، ومنه سمى سواد البصرة.

و﴿نَضَاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، والنضخ - بالخاء المعجمة - أقوى من النضح؛ لأن النضح بالخاء المهملة شبيه بالرش، وإنما ذكر النخل والرمان بعد ذكر الفاكهة اعتناءً بذكرهما؛ قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ وَمَنْكِتُهُ وَرُسْلِهِ وَجِنِّيهِ وَمِكَنَلَ﴾<sup>(٣)</sup> وهم من الملائكة؛ ولأن

(١) في الأصل: محمد بن الحسن، والمثبت كما في الكشاف وبقية المراجع.

(٢) نسبة السيوطي في الدر المنثور (٧١٤/٧) لسعيد بن منصور وعبد بن حيد والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن الحنفية في قوله: ﴿هَلْ جَرَأَ إِلَيْهِنَّ إِلَّا

﴿أَلْحَسْنُ﴾ قال: هي مسجلة للبر والفارجر . قال البيهقي: يعني: مرسلة.

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٨).

النخل ثمرة فاكهة وقت، وهو التمر، وأما الرمان فإنه فاكهة ودواء؛ فلم يخلص للتفكه، ومنه قال أبو حنيفة: إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمائأ أو رطبأ لم يحيث، وخالقه صاحباه<sup>(١)</sup>.

﴿فِيهِنَّ حِيرَتٌ حَسَانٌ ﴾٧٠ ﴿فَإِيَّاهُ رَبِّكُمَا تَكَبَّرُونَ ﴾٧١ ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْجَيَامِ ﴾٧٢  
 ﴿إِلَهٌ رَبِّكُمَا تَكَبَّرُونَ ﴾٧٣ ﴿لَمْ يَطْمِئِنْ إِلَّا قَبْلَهُمْ وَلَا جَاءُونَ ﴾٧٤ ﴿فَإِيَّاهُ رَبِّكُمَا تَكَبَّرُونَ ﴾٧٥  
 ﴿مُتَكَبِّرُونَ عَلَى رَفِيفٍ حُضْرٍ وَعَبْرَرٍ حَسَانٌ ﴾٧٦ ﴿فَإِيَّاهُ رَبِّكُمَا تَكَبَّرُونَ ﴾٧٧ ﴿بَنَرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي  
 الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ ﴾٧٨﴾

والمعنى: فاضلات الأخلاق، حسان الخلق.

**﴿مَقْصُورَتُ﴾** قصرن في خدورهن، يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة: مخدرة  
وقيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة. **﴿فِيهِم﴾** قبل أصحاب الجنتين، ودل عليهم ذكره  
الجنتين. **﴿مُتَكَبِّرَيْن﴾** (٢٨٦/ب) نصب على الاختصاص. والرفف: ضرب من البسط.  
وقيل: الوسائل. وقيل: كل ثوب عريض رفف. وقيل: لأطراف البسط وفضول الفسطاط  
رفارف، ورفف السحاب: هيدبه<sup>(٤)</sup>. والعقربي: المنسوب إلى عقر، يزعم العرب أنه بلد  
الجن فينسب إليه كل شيء عجيب، وقرئ: "رُفْرُف" بضمتين<sup>(٥)</sup>. **﴿وَعَقْرَبِي﴾** بفتح القاف

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٨٦/١٧)، عمدة القارئ للعيني (١٩/٢١٤).

(٢) نسبة السيوطي في الجامع الصغير لابن المبارك عن مكحول مرسلاً، وللبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر - رضي الله عنهما - وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٦٦٩).

تنظر في: السحر المحيط لأبي حيان (١٩٩/٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٢٤٩).

(٤) الهيدب: السحاب الذي يتسلل ويدنو مثل هدب القطيفة. وقيل هيدب السحاب: ذيله. وقيل: هو أن تراه يتسلسل في وجهه للودق ينصب كأنه خيوط متصلة، وهيدب السحاب: ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خمط. ينظر: لسان العرب (هدب).

(٥) فأبها عثمان بن عفان ونصر بن عاصيم وعاصيم الجحدري.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١٩٩٨)، الدر المصور للسمين الحلبي، (٦/٢٥٠).

ومنع الصرف، وهذا لا وجه لصحته<sup>(١)</sup>. فإن قلت: كيف تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن الأوليين؟ حتى قيل: «وَمِنْ دُونِهِمَا»؟

قلت: «مُدَهَّأَتَانِ» دون «ذَوَانَآفَانِ»، «وَضَاحَتَانِ» دون «بَحْرَيَانِ» و«فَكِهَةَ» دون «مِنْ كُلِّ فَكِهَةَ» وكذلك صفة الحور والمتكا. وقرئ: "ذو الجلال"<sup>(٢)</sup> صفة للاسم.

\* \* \*

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصنون للسمين الحلبي (٦ / ٢٥٠) وهي مشكلة؛ إذ لا مانع من توسيع باء النسب، وكان هذا القارئ توهם كونها في "فاعل" يمنع من الصرف. وقد روي عن النبي ﷺ وجاءة "عباقيري" منونا.

(٢) قرأ بها ابن عامر وحده، وقراءة الباقين بالياء "ذى الجلال".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ١٩٩)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦ / ٢٥٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢١).

## تفسير سورة الواقعة [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾** ١) لَيْسَ لِوَقْعَنَاهَا كَاذِبَةً ٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ٣) إِذَا رُحِّتِ الْأَرْضُ رَجَأَ ٤) وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّبِينًا ٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةَ ٧) فَأَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ ٨) وَأَصْحَبْتُ الْمُشَمَّةَ مَا أَصْحَبْتُ الْمُشَمَّةَ ٩)

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي : كانت الكائنة، وسميت الواقعة؛ لوقوعها فإنها كائنة بلا شك، يقال : وقع ما كنت أتوقعه؛ أي : نزل ما كنت أرتقب نزوله، وانتصبت ﴿إذا﴾ بقوله : ﴿لَيْس﴾ أي : إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار اذكر؛ أي : إذا وقعت ليس نفس تكذب، واللام مثلها في ﴿فَدَمَّتِ لِيَابَاتِ﴾<sup>(١)</sup> أو : ليس لها نفس تكذبها أو هي من قوله : كذبت فلا ظن نفسها في الخطب العظيم. وقيل : كاذبة مصدر كالعافية والعاقبة؛ يعني التكذيب؛ من قولك : حمل على قرنه فما كذب، أي : فما جبن، وتحقيقه أنه ما كذب نفسه، فيما كانت غنيمة أنه يقدر على الخلاص منه.

﴿خَافِضَةٌ﴾ أي : هي خاضضة ﴿رَافِعَةٌ﴾ ترفع أقواماً وتضع آخرين، وإنما لأن الأشياء يخضون إلى الدركات، والسعداء يرتفعون إلى الدرجات، وإنما لأنها تنزل الأشياء من مقراها فتخفض بعضها وترفع بعضها حيث تسقط السماء كسفأ، وتنشر الكواكب، وتسرير الجبال، وتمر في الجو من السحاب. ﴿رُحَّتٌ﴾ حرقت تحركاً شديداً، حتى لا يبقى شيء على وجهها.  
**﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ﴾** أي : فلت. وقيل : هو من بس الغنم إذا ساقها.

﴿مُبِينًا﴾ متفرقاً، وقوله : ﴿إِذَا رُحِّتِ﴾ بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ ويجوز أن يكون المراد أن يتتصبب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : ترفع وتخفض وقت رج الأرض وسير الجبال. ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، يقال للأصناف التي اجتمع بعضها مع بعض أزواج.

﴿فَأَصْحَبْتُ الْمَيْمَنَةَ﴾ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿أَصْحَبْتُ الْمُشَمَّةَ﴾ الذين يؤتونها بشمائتهم، أو : أصحاب المنزلة السننية (٢٨٧/أ) وأصحاب المنزلة الدينية، وذلك ليتمنهم

باليامن، وتشاؤمهم بالشمايل، ولذلك اليمني من اليمن، وسميت الشمال الشؤمي وقيل : يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

﴿وَالسَّيِّقُونَ﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه. وقيل : الناس ثلاثة : رجل ابتكر الخير من حداثة سنه فلم يزل عليه حتى مات فهذا السابق، ورجل ابتكر الذنب في حداثة سنه ثم تراجع في آخر عمره بالتوبه فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الذنب في حداثة سنه، ثم لم يزل عليه حتى مات فهذا صاحب الشمال.

﴿مَا أَصْحَبَ الْيَمِينَ﴾ و﴿مَا أَصْحَبَ الْشَّمَاءَ﴾ تعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة

﴿وَالسَّدِيقُونَ السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

يريد : والسابقون من عرفت حالمهم، وقد جعل ﴿السَّيِّقُونَ﴾ الثانية توكيداً، و﴿أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ﴾ خبراً، وليس بذلك، ووقف بعضهم على ﴿السَّيِّقُونَ﴾ وابداً ﴿السَّيِّقُونَ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ﴾ (١).

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى شَرِّ مَوْضُونَ ﴿١٥﴾ مُتَّكِّفِينَ عَيْنَاهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَيْنَهُمْ وَلَدَنْ مُخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كَوَافِرَ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسِ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَدَكَهُمْ مَمَّا يَتَحَرَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَغَرْ طَيْرٌ مَمَّا يَسْتَهِنُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ كَامِشَلٌ الْلَّفْلُو الْمَكْتُونَ ﴿٢٣﴾ جَرَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْنِيَمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِلَّا سَلَنَا سَلَنَا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَبُ الْيَمِينَ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ حَضُورٍ ﴿٢٨﴾

والثلة : الجماعة؛ قال الشاعر [من الطويل] :

وجاءت إليهم ثلة خندفةٌ  
تجيشٌ كتياً من السيل مزيداً (٢)

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ كفى به دليلاً على الكثرة، وهي من الثلث وهو الكسر، والأمة من الأمم وهو الشجع، والمعنى : إن السابقين كسر من الأولين، وهم الأمم من لدن آدم إلى النبي ﷺ.

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (٤٥٨/٤).

(٢) ينظر البيت في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٥٥)، الكشاف للزمخشري (٤/٤٥٨) وفي الدر : من البحر مزيداً .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْأَخِرِينَ﴾ وهم أمة محمد ﷺ . وقيل : ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ من متقدمي هذه الأمة، ﴿مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من متأخرتها.

وروي مرفوعاً : " الثالثان جميعاً من أمتي " <sup>(١)</sup> . وروي أنها لما نزلت شق على الصحابة فلم يزل النبي ﷺ يسأل حتى نزلت ﴿وَنَّلَةٌ مِّنَ الْأَخِرِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> وأنكر صاحب الكشاف ذلك؛ لأن المذكور في الآية خبر، والأخبار لا تنسخ؛ ولأن هذه الآية واردة في السابقين الأولين وهذه في أصحاب اليمين <sup>(٣)</sup> . وقيل : سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا، وتتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة <sup>(٤)</sup> . و﴿نَّلَةٌ﴾ خبر مبتدأ محنوظ؛ أي : هم ثلاثة. ﴿مُؤْسَنُونَ﴾ موصولة بالذهب، مشبكة بالدر والياقوت؛ قد دخل بعضها في بعض، كحلق الدرع. وقيل : متواصلة، أدنى بعضها من بعض. ﴿مُتَّكِّفِينَ﴾ حال من المجرور، أي : استقروا عليها ﴿مُتَّكِّلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض. ﴿غَلَّدُونَ﴾ باقون على صفة الولدانية. (٢٨٧) ب) لا يشيبون ولا يهرمون. وقيل : هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها. وفي الحديث : " أولاد الكفار خدام أهل الجنة " <sup>(٥)</sup>

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٧/١٩١) وصححه، ونبه السيوطي فى الدر المثور (٨/١٩) لابن المنذر وابن مردوه والطبراني ومدد فى مستنه، وقال السيوطي : بإسناد حسن.

(٢) روى الطبرى فى تفسيره (٢٧/١٩١) عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال : تحدثنا ليلة عند رسول الله ﷺ حتى أكرينا أو أكثرنا. ثم ذكر نحوه إلا أنه قال : فإذا الظراب ظراب مكة مسدودة بوجوه الرجال. وقال أيضاً : فإنني رأيت عنده أناساً يتهاوشون كثيراً. قال : فقلنا : من هؤلاء السبعون ألفاً فاتفق رأينا على أنهم قوم ولدوا فى الإسلام ويموتون عليه. قال : فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : لا ولكنهم قوم لا يكتنون وقال أيضاً : ثم قال رسول الله ﷺ : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبر أصحابه ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبر أصحابه ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. ثم قرأ : ﴿نَّلَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ <sup>(٦)</sup> ﴿وَنَّلَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ <sup>(٧)</sup> .

(٣) ينظر : الكشاف للزنخشري (٤/٤٥٩).

(٤) ذكره الزنخشري فى الكشاف (٤/٤٥٩) عن الحسن.

(٥) ذكره الزيلاعى فى تحرير الأحاديث والأثار فى تحرير أحاديث الكشاف للزنخشري (٣/٤٠٤) وقال : روى من حديث سمرة ومن حديث أنس؛ ف الحديث سمرة رواه البزار فى مستنه والطبراني فى معجمه الكبير والوسط والبخارى فى تاريخه الوسط كلهم من حديث عيسى بن شعيب ثنا عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردى عن سمرة بن جندب قال : سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال : " هم خدم أهل الجنة " .

﴿يَا كَوَافِ﴾ أوانی بلا عرى. والإبريق : ماله عروة. ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي : بسيبها، وحقيقة : لا يفرقون عنها، ولا يصدر صداع عنها. ﴿يَتَحَبَّرُونَ﴾ يأخذون خيره وأفضله. و﴿شَهَوْنَ﴾ يمتنون، وقرئ ﴿وَجُورُ﴾ بالرفع<sup>(١)</sup> على : فيها حور، أو للعطف على ﴿وَلَدَنَ﴾. ﴿جَرَاءَ﴾ أي : يفعل بهم ذلك جراء. ﴿سَلَمَاسَلَنَا﴾ إما بدل من ﴿قِيلَ﴾ بدليل قوله : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا غَوَّا إِلَّا سَلَمَانًا﴾<sup>(٢)</sup>. السدر : شجر النبق، والمخضود : الذي لا شوك فيه. وقيل : المراد : الموقر الذي تنتهي أغصانه من كثرة حمله،

﴿وَطَلْحَ مَضْوِرٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَظَلِيلَ مَذْوِرٍ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَمَاءَ مَسْكُوبٍ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَفَنِكَهَةَ كَبِيرٍ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿وَفَرْشَ مَرْفُوعَةَ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿إِنَّا آشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءَ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَنْكَارًا﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿عَرْبَانَاتَرَابًا﴾<sup>(١١)</sup> ﴿وَلَلَطْلَحَ﴾<sup>(١٢)</sup>

والطلح : شجر الموز، وقيل : هو شجرة أم غيلان<sup>(١٣)</sup> وهي في الآخرة طيبة الريح. وقيل : هو شجر يشبه أم غيلان، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وقرأ علي ﴿وَطَلْحَ﴾ وقال : "ما لي وللطلح"<sup>(١٤)</sup>.

= وقال البزار: لا نعلمه يرويه عن النبي إلا سمرة ولا رواه عنه إلا أبو رجاء العطاردي. وقال الطبراني في معجمه الأوسط ولا رواه عن أبي رجاء إلا عباد بن منصور. وقال البخاري: عيسى بن شعيب بصري صدوق. وأما حديث أنس فرواه البزار في مسنده ثنا الفضل بن سهل ثنا الحجاج ابن نصير ثنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "أطفال المشركين خدم أهل الجنة". وسكت عنه وهذا منافق لقوله: لا نعلمه يرويه عن النبي إلا سمرة. وله طريق آخر؛ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا الريبع بن صبيح عن يزيد بن أبيان الرقاشي قال: قلت لأنس بن مالك: يا أبي حزوة ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: "لم يكن لهم سمات فيعنثروا بها ولم يكن لهم حسنان فيكونوا بها من أهل الجنة هم خدم أهل الجنة". وبهذا السنن رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الريبع بن صبيح عن الطبراني بسنده إلى الريبع رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس.

(١) هذه قراءة جهور القراء، وقرأ حزوة والكسائي "وحور عين" بالجلد. تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان

.٦/٢٥٧)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٥٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢٢).

(٢) سورة مرثيم، الآية (٦٢).

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤/٣٨) : " طلح بالفتح ثم السكون والخاء مهملة وهو شجر أم غيلان له شوك معوج وهو من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عودا وأجوده صمغا".

وفي لسان العرب (غيل) : أم غيلان : شجر السمر.

(٤) تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٨/٢٠١)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٥٩).

وقرأ قوله : ﴿لَمَّا طَلَعَ نَصِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> فقيل له : آي القرآن تحول ؟ فقال : آي القرآن لا تهاج ولا تحول. والمضود : نضد من أسفله إلى أعلاه بالثمر؛ فليس يبين من ساق شجر الجنة شيء. ﴿مَسْكُوبٌ﴾ يسبب لهم أين شاءوا كيف شاءوا. وقيل : دائم الجري لا ينقطع. وقيل : دائم يجري على الأرض من غير أحدود. ﴿لَامْقُطُوعَةَ﴾ بل هي دائمة. وقيل : لا مقطوعة بالزمان. ﴿وَلَا مُنْعَةَ﴾ بالأثمان، وقرئ : "وفاكهة" <sup>(٢)</sup> على : وهناك فاكهة مرفوعة <sup>(٣)</sup> نضد بعضها فوق بعض أو مرفوعة على الأسرة. وقيل : النساء؛ لأن المرأة يمكنها عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك؛ قال تعالى : ﴿هُمْ وَأَزْوَجُهُمْ فِي الظَّلَالِ عَلَى الْأَرَائِكِ مُسْكُونٌ﴾<sup>(٤)</sup>

﴿إِنَّا أَشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً من غير ولادة؛ فلما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن، أو : كنَّ من الحور العين أو اللاتي أعيد إنشاؤهن إن كن من الإنسيات كلما أتاهم أزواجهن وجدوهن أبكاراً، وروي أن عجوزاً قالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال : "إن الجنة لا يدخلها العجائز؛ فولت وهي تبكي؛ فقال النبي ﷺ : (١/٢٨٨) أخبروها أنها ليست يومئذ بعجز وقرأ الآية" <sup>(٤)</sup>. ﴿عُرَيَا﴾ متحبيات لأزواجهن <sup>(٥)</sup> **﴿أَتَرَابَا﴾** مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك؛ قال النبي ﷺ : "يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضا جعاذاً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين" <sup>(٥)</sup>.

﴿لَا صَحَّبَ الْيَيْمِينَ ٢٨ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ٢٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ٣٠ وَاصْحَّبُ الشَّمَالَ مَا أَصْحَّبَ الشَّمَالَ ٣١ فِي سَمَوَرٍ وَجِيمِيرٍ ٣٢ وَظَلِيلٌ مِّنْ يَمْهُورٍ ٣٣ لَا يَأْبِدُ وَلَا كَرِيمٌ ٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَرَفِّينَ ٣٥ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحَنْتِ الْعَظِيمِ ٣٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْدَا مِنَا وَكَانَ ثُرَابًا وَعَظِلَمًا أَيْدَا لَمَجْعُوْنَ ٣٧ أَوَءَ أَبَا زُنَّا الْأَوَّلُونَ ٣٨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ٣٩ لَمَجْمُوْنَ إِلَى

(١) سورة ق، الآية (١٠).

(٢) قرأ "وفاكهة" بالرفع زيد بن علي وأبو عبد الرحمن. تنظر في الدر المصنون للسمين الحلبي (٢٥٧/٦).

(٣) سورة يس، الآية (٥٦).

(٤) حسنة الشيخ الألباني في مختصر الشمائل (ص : ١٢٨).

(٥) رواه أحمد في المسند (٧٥٩٢) واللقط له، والترمذى رقم (٢٤٦٨) وحسنه الترمذى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٨٠٧٢)، وجردا : لا شعر على أجسادهم. ومردا : لا شعر في أذقانهم، وجعاذاً : قصيري شعر الرأس. ويقصد بذلك حسنهم وجمالهم.

مِيقَدْتِ يَوْمَ مَعْلُومٍ ٥١ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْمَانَ الصَّابَّالُونَ الْسُّكَّالُونَ ٥٢ لَا كُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقْوُمٍ ٥٣ فَهَا لَقُونَ مِنْهَا الْبَطْلُونَ ٥٤ فَشَرِبُونَ عَيْنَهُ مِنَ الْحَسِيمِ ٥٥ افْشَرِبُونَ شَرَبَ الْهَبِيرِ ٥٦ هَذَا نَزَّلْنَا يَوْمَ الْيَمِينِ ٥٧ أَنْتُمْ خَلْقُنَا فَلَوْلَا تُصْبِدُّونَ ٥٨

واللام في «لَا صَحَبَ الْيَمِينِ» من صلة «إنشاء» و «جعلنا». «فِي سَوْمِ» في حر نار تندى في المساء. «وَهَبِيرِ» ماء حار متناهي الحرارة.

«وَظَلِيلٌ مِنْ يَحْمُورِ» من دخان أسود بهيم. «لَا بَارِدٌ وَلَا كَبِيرٌ» نفي لصفتي الظل عنه؛ سماه ظلا ثم نفي عنه برد الظل وروحه ونفعه. وفيه تسميع أن الكفار ظلهم «لَا بَارِدٌ وَلَا كَبِيرٌ» وإنما يستحق هذا الوصف المؤمنون والسابقون وأصحاب اليمين.

و «الْيَمِينِ» الذنب العظيم، ومنه قوله : بلغ الغلام الحنت؛ أي : بلغ أن يؤخذ بالماثم.

«أَوَّلَ آبَاؤُنَا» دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف. [إإن قلت : ] كيف حسن العطف على الضمير في «الْمَبْعُوثُونَ» من غير توكيده بـ «مَنْ»؟ قلت : حسن للفاصل الذي هو الهمزة. «لَا مِيقَدْتِ يَوْمَ مَعْلُومٍ» إلى ما وقعت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى من، ومنه مواقيت الإحرام. «أَيْمَانَ الصَّابَّالُونَ الْسُّكَّالُونَ» عن المدى «الْمَبْعُوثُونَ» بالبعث، وهم أهل مكة من شجرتين رقوم «نِنْ» الأولى لابداء الغاية، والثانية لبيان الجنس «شَرَبَ الْهَبِيرِ» الهيام : داء يأخذ الإبل فتشرب ولا تروى. وقيل : الهيام : الرمال. فإن قلت : كيف صح عطف الشاريين على الشاريين، وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان، وهو عطف الشيء على نفسه ؟ قلت : لأن الشرب الأول مما يتعجب منه؛ لأن الماء الذي انتهى حره و «يُصَهَّرُ بِهِ»، ما في بُطْوِيهِمْ وَلَبْلَوْدُهُ»<sup>(١)</sup> كيف يقدرون على شربه مع تلك الحالة، وأتعجب منها أنهم يشربونه شرب الهيام !! فلما عظمت كل صفة منها صار ذلك كالتعجب فعطف على ما قبله؛ لاختلاف المعنين. النزل : الرزق الذي يعد للنازل تكرمة، وفيه تهكم بهم؛ كقوله : «فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابِ الْيَمِينِ»<sup>(٢)</sup> «فَلَوْلَا تُصْبِدُّونَ» فهلا تصدقون.

﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تُمْتَنَوْنَ ٥٨﴾ أَأَشْتَرُ مَخْلُوقُنَّهُ، أَمْ نَحْنُ الْمَنْتَلِقُونَ ٥٩﴾ مَنْ قَدَّرْنَا بِيَنْكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ

(١) سورة الحج، الآية (٢٠).

(٢) سورة الانشقاق، الآية (٢٤).

يَسْبُقُونَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْتَلَكُمْ وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُ النَّشَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا حَرَثُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَنْمِيُونَ﴾ ما تصبون في الأرحام من المني. ﴿أَسْتَخْلِفُونَهُ﴾ بشرًا عالماً قوياً. ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَلِيقُونَ﴾ لذات الإنسان وصفاته.

﴿تَعْنُ قَدْرَنَا يَسْتَكِمُ الْمَوْتُ﴾ وفهرنا العباد به ﴿وَمَا يَنْهَىٰ﴾ بغلوبين ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ﴾ في الأرض خلقاً (٢٨٨ بـ) أطوع الله منكم ويخلقكم خلقاً على غير الصفة التي أنتم عليها الآن. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ أن من قدر على عمل فعل فهو على إعادة مثله أقدر، وهم كانوا يعتقدون أن الله خالقهم؛ فلما لم يعملا بهذا الاعتقاد كانوا كالذين؛ فلهذا قال : ﴿أَسْتَخْلِفُونَهُ أَمْ نَحْنُ﴾ أي : توجدونه وتتصورونه. ﴿تَعْنُ قَدْرَنَا يَسْتَكِمُ﴾ المعايش، وقدرنا بينكم الموت على تفاوت في طول العمر وقصره.

﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْتَلَكُمْ﴾ قوماً يخالفونكم في الخلقة والصفات والاعتقادات، وفي هذه الآية دليل على صحة القياس، حيث أنكر عليهم [أنهم] لم يقيسوا النشأة الثانية على الأولى<sup>(١)</sup>

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٩٧ / ١٣) : " قال ابن بطال : وأول من انكر القياس إبراهيم النظام وتبعه بعض المعتزلة ومن ينسب إلى الفقه داود بن علي، وما اتفق عليه الجماعة هو الحاجة فقد قاس الصحابة فمن بعدهم من التابعين وفقهاء الأمصار وبإله التوفيق. وتعقب بعضهم الأولية التي ادعها ابن بطال بأن إنكار القياس ثبت عن ابن مسعود من الصحابة، ومن التابعين عن عامر الشعبي من فقهاء الكوفة وعن محمد بن سيرين من فقهاء البصرة. وقال الكرمانى : عقد هذا الباب وما فيه يدل على صحة القياس وأنه ليس مذموماً لكن لو قال من شبه أمراً معلوماً لوافق اصطلاح أهل القياس قال : وأما الباب الماضي المشعر بذم القياس وكراهته طريق الجمع بينهما : أن القياس على نوعين صحيح وهو المشتمل على جميع الشرائط، وفاسد وهو بخلاف ذلك فالمنزوم هو الفاسد وأما الصحيح فلا منزمه فيه، بل هو مأمور به.

وقد ذكر الشافعى شرط من له أن يقيس فقال : يشرط أن يكون عالماً بالأحكام من كتاب الله تعالى وبناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ويستدل على ما احتمل التأويل بالسنة وبالإجماع فلن لم يكن بالقياس على ما في الكتاب فإن لم يكن بالقياس على ما في السنة فإن لم يكن بالقياس على ما اتفق عليه السلف وإجماع الناس ولم يعرف له مخالف، قال : ولا يجوز القول في شيء من العلم إلا من هذه الأوجه ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلاف العلماء ولسان العرب ويكون صحيح العقل ليفرق بين المشتبهات، ولا يجعل =

﴿أَفَرَبِّيْمَ مَا تَحْرُّوْنَ﴾ لزراعة الحب؛ معنى ﴿تَحْرُّوْنَ﴾ تبذرون حبه ﴿أَنْتُ﴾ تبنتونه وتجعلون له مادة من الشرب إلى أن يتهي إلى غايته.

﴿أَنْتُ تَزَرَّعُوْنَهُ أَمْ نَحْنُ الْتَّرَعُوْنَ﴾ ٦٤ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَّنَّا فَظَلَّمَتْ تَفَكَّهُوْنَ﴾ ٦٥ إِنَّا لِمَغْرُومُوْنَ  
 ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُوْنَ﴾ ٦٦ ﴿أَفَرَبِّيْمَ الْمَاءِ الَّذِي تَشَرِّبُوْنَ﴾ ٦٧ ﴿أَنْتُمْ أَنْتَمُوْمَةٌ مِّنَ الْمَرْنَ أَمْ نَحْنُ الْمَنْزِلُوْنَ﴾ ٦٨ لَوْ  
 نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشَكُّرُوْنَ﴾ ٦٩ ﴿أَفَرَبِّيْمَ الْأَنَارَ الَّتِي تُوْرُوْنَ﴾ ٧٠ ﴿أَنْتُمْ أَنْشَاتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ  
 الْمُنْشِئُوْنَ﴾ ٧١ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا اِنْذِكْرَةً وَمَتَّعًا لِلْمُمْقُوْنَ﴾ ٧٢

وعن رسول الله ﷺ : " لا يقولن أحدكم زرعت؛ فإن الله هو الزارع، ولكن يقول : حرثت " قال أبو هريرة : انظر إن شئت : ﴿أَفَرَبِّيْمَ مَا تَحْرُّوْنَ أَنْتُ تَزَرَّعُوْنَهُ أَمْ نَحْنُ الْتَّرَعُوْنَ﴾ (١) ﴿حُطَّنَّا﴾ كالفتات والجذاذ، أسماء لما اندهش وتفت.

﴿فَظَلَّمَتْ تَفَكَّهُوْنَ﴾ تعجبون. ﴿إِنَّا لِمَغْرُومُوْنَ﴾ أي : عدمنا وغرمنا النعم على هذا الزرع وحرمنا بركته. وقيل : المحروم : من زرع زرعا فلم ينجبه أو أنشأ بستانا فلم ينجبه؛ قال الله تعالى في قصة البستان : ﴿إِنَّا بَوْتَهُمْ كَابَلُوْنَا أَصْبَحَ لِلْجَنَّةِ﴾ إلى أن قال : ﴿إِنَّا ضَالُّوْنَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُوْنَ﴾ (٢)  
 أي : لسنا من أصحاب الحظ، ولو كنا منهم لأنجب زرعنا. وقيل : الغرام : الهالك، ومنه قوله : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ (٣)

﴿الْمَرْن﴾ السحاب، واحدته مزنة. وقيل : هو السحاب الأبيض، الأجاج : الشديد الملوجة؛ لا يقدر على شربه، وإنما دخلت اللام في قصة الزرع ولم تدخل في قصة المزن؛ لأن الجملة الثانية دخلت على جملتين إحداهما مرتبطة بالأخرى؛ فأأشبهرت الشرط فجعلت اللام في جواب " لو " علمًا على شبه الشرطية؛ فإذا استعملها صارت اللام المذوقة كالثابتة؛ قال الشاعر [ من الرجز ] :

= ويستمع من خالقه؛ ليتبه بذلك على غفلة إن كانت وأن يبلغ غاية جهده، وينصف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما قال " . انتهى ، من فتح الباري .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٥٢١٧) وضعفه، وزاد نسبة السيوطي في الدر المثور (٢٣/٨) للبزار وابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم، عن أبي هريرة.

(٢) سورة القلم، الآية (٦٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٥).

حتى إذا الكلابُ قال لها كاليلوم مطلوبًا ولا طالباً<sup>(١)</sup>

أي : لم أر كاليلوم ، وأيضاً فإن ثبات اللام في أحد الموضعين دليل على إثباته في الآخر  
 (٢) **﴿تُرُونَ﴾** تقدحون نارها ، والعرب تأخذ عودين فتحك أحدهما بالآخر فتقدح  
 ناراً ، وترى مع المسافرين منهم عودين برسم ذلك تقدح بهما النار .

**﴿لِمَفْعِينَ﴾** المسافر النازل في القواة ، وهي الأرض الحالية . **﴿تَخْنُ جَعْلَنَهَا﴾** يعني النار  
 المقتدحة بعيدان الشجر . **﴿تَذَكِّرَ﴾** تذكر بنار جهنم ، فعلنا ذلك ليتذكر العصاة بهذه النار ما  
 يعذبون به في الدار الآخرة . وفي الحديث : " ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار  
 جهنم ، قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ، قال : فإنها تفضل عليها بتسعه وستين  
 جزءاً " <sup>(٢)</sup> . وقيل : المقوى : هو الذي خلت أوعية زاده فلم يبق له زاد .

**﴿فَسَيِّحَ يَاسِرَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾** <sup>٧٦</sup> **﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجُجُورِ ﴾** <sup>٧٧</sup> **﴿وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْنَ**  
**﴿تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾** <sup>٧٨</sup> **﴿إِنَّهُ لَقَرْءَانَ كَرِيمٌ ﴾** <sup>٧٩</sup> **﴿فِي كَتَبٍ مَّكْتُونٍ ﴾** **﴿لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾**

**﴿فَسَيِّحَ يَاسِرَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾** أي : فأحدث التسبيح باسم ربك ، أو أراد : تذكر اسم ربك  
**رَبِّكَ الْعَظِيمِ** صفة للمضاف أو للمضاف إليه؛ أي : اذكر الإله الذي خلق من المني  
 بشرًا ، ومن الحب زرعاً ، ومن السحاب مطرًا ، ومن الشجر الأخضر ناراً . **﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾**  
 معناه : فلأننا أقسم و " لا " زائدة؛ كقوله : **﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾** <sup>(٣)</sup> وكقوله : **﴿إِنَّلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ**  
**الْكِتَبِ﴾** <sup>(٤)</sup> والتقدير : فلأننا أقسم ، ولا يجوز أن تكون اللام جواب القسم؛ لأن جواب  
 القسم بال مضارع يلزمه النون؛ تقول : حلفت لأفعلن ، ومحذفها قبيح في الكلام ، ولأن جواب  
 القسم يراد به الاستقبال ، وها هنا المراد به الحال . **﴿بِمَوْقِعِ الْجُجُورِ﴾** بمساقتها إذا رجم بها  
 الشياطين ، ويجوز أن تكون الملائكة ، ولأولياء الله في هذه الأوقات عبادات مخصوصة؛ ولأنه  
 وقت الاستغفار بالأسحار ونزول رحمة الرب سبحانه إلى سماء الدنيا قائلاً : " هل من داع

(١) ينظر البيت في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٦٥)، الكشاف للزمخشري (٢/٢٨٨).

(٢) رواه مسلم رقم (٥٧٧)، والترمذني رقم (٢٥١٤)، وابن ماجه رقم (٤٣٠٩).

(٣) سورة القيمة، الآية (١).

(٤) سورة الحديد، الآية (٢٩).

فاستجيب له، أو مستغفر فأغفر له، أو من تائب فأتوب عليه <sup>(١)</sup>. واستعظام القسم بها بقوله : ﴿وَإِنَّهُ لِقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ . واعلم أن في هذه الآية جملة معتبرة متعلقة بجملة أخرى معتبرة؛ فالجملة الأولى : " وإنه لقسم عظيم " والجملة الثانية : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ فإنه لو قال : وإنه لقسم لاستقام. وقيل : المراد بالنجوم : نزول القرآن على رسول الله ﷺ منجماً **﴿كَرِيم﴾** حسن مرضي في جنسه من الكتب، أو كثير النفع أو كريم على الله. المكنون : الكتابة في اللوح المحفوظ، مصون من غير المقربين من الملائكة. **﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾** من جميع الذنوب، ومن الناقصات والمعايب، وهم المطهرون (٢٨٩/ب) في قوله : **﴿لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾** إن جعلت الجملة الثانية صفة للكتاب، وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، ومن الناس من حمله على القراءة أيضاً. وعن ابن عمر أنه قال : أحب إلى ألا يقرأ إلا وهو ظاهر <sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس أنه أباح قراءة القرآن للجنب <sup>(٣)</sup>. ومنه قول رسول الله ﷺ : " المسلم أخوه المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه " <sup>(٤)</sup> أي : ينبغي أن يكون كذلك.

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند رقم (١٧٢٢٨)، ورواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٧٧)، ومسلم رقم (١٢٦١) بلفظ " ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفرني فأغفر له " . وهذا لفظ البخاري. وهذا الحديث معروف بمحدث التزول وهو من صفات الله تعالى التي أخبر عنها النبي ﷺ في هذا الحديث الثابت، وقد أشرنا من قبل إلى أن مثل هذه الصفات الثابتة لله - تعالى - يجب إثباتها كما أنت من غير تكيف ولا تشيل ومن غير تأويل ولا تعطيل، وهذه هي عقيدة السلف الصالح - رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٦٩/٤).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤٦٩/٤) قال العيني في عمدة القاري (٢٧٤/٣) : " ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا، هذا الأثر وصله ابن المنذر بلفظ أن ابن عباس كان يقرأ ورده وهو جنب وقال ابن أبي شيبة حدثنا الثقفي عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان لا يرى بأسا أن يقرأ الجنب الآية والأياتين، وكان أحد يرخص للجنب أن يقرأ الآية ونحوها، وبه قال مالك، وقد حكى عنه أنه قال : تقرأ الحائض ولا يقرأ الجنب؛ لأن الحائض إذا لم تقرأ نسيت القرآن؛ لأن أيام الحائض تتطاول ومدة الجنابة لا تطول، وأراد البخاري بإيراد هذا وبما ذكره في هذا الباب الاستدلال على جواز قراءة الجنب والحيض لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره وبه قال الطبراني وابن المنذر ودادود " .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٢٦٢)، ومسلم رقم (٤٦٧٧).

﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَهِنَا لَهُدَىٰ ثُمَّ مُذَهَّنُونَ ﴿٨١﴾ وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغْتُ الْمُلْفُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ نَظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَخَنَّ أَرْبَعَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكُنْ لَا يُبَصِّرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عِنْدَ مَدِينَنَ ﴿٨٦﴾ تَرْجُوْنَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَإِنَّمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفَرِّيْنَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرَحْمَانٌ وَحَتَّىٰ يَعِيْسَىٰ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَحْكَمِ الْآيِّمِينَ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَحْكَمِ الْآيِّمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الْأَضَالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَرِلٌ مِّنْ حَمِيرٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقٌّ الْيَقِيْنِ ﴿٩٥﴾ فَسَيِّدٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿تَنْزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن؛ أي : منزل من رب العالمين، أو وصف بالمصدر؛ لأنَّه منجم من بين سائر الكتب؛ فكانه في نفسه تزييل؛ وهذا قالوا : نطق به التنزيل، وجاء به التزييل. ﴿أَفَهِنَا لَهُدَىٰ ثُمَّ مُذَهَّنُونَ﴾ أي : متهاونون بالقرآن لا تعظمونه وواجب تعظيمه. ﴿وَجَعَلُونَ﴾ حظكم منه التكذيب، التقدير : وتجعلون بدل شكركم النعمة التكذيب بها. ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا، والمعنى : فهلا ترجونها إن كتم صادقين، وفصل بين ﴿فَلَوْلَا﴾ وما تعلقت به بالشرط. ﴿عِنْدَ مَدِينَنَ﴾ أي : غير مஜين، كما تدين تدان؛ أي : كما تفعل تحجزى.

\* \* \*

## تفسير سورة الحديد [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَيْرُ الْعَلِيمُ﴾ (١)

﴿سبَحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جاء في بعض الفواتح بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع، وكلا المعنين صحيح؛ أي : عادتهم التسبيح، وشأنهم أن يسبحوا له ويعظموه، وقد جاء تارة باللام، وتارة بغير لام؛ كقوله : « وَسَبَّاهُوهُ بَكْرَهُ وَأَصِيلًا »<sup>(١)</sup> ومعنى سبحة الله، أي : جعلت التسبيح خالصاً لوجهه. « مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » من يتأتي منه التسبيح.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحِبِّي وَيُبَيِّسُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيَّةٍ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْيَثُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعْلُومٌ أَيْنَ مَا كَسْتُمُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤْلِجُ النَّهَارَ فِي الْأَيَّلِ وَهُوَ عَلَيْهِ بِذَاتِ الصَّدْرِ وَرِبِّ الْأَنْفُسِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُشْتَكِلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَيْرٌ ﴿٥﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا لَكُمْ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرِبِّكُمْ وَقَدْ أَخْدَمْتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَبَدِّلُ لِتُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَهُ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَنَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيْرٌ ﴿٩﴾

قوله : « يُحِبِّي وَيُبَيِّسُ » يجوز إلا يكون له محل، وأن يكون مستانفاً وأن يكون مرفوعاً يخبر مبدأ مذوف، أي : هو يحب ويحب، وأن يكون منصوباً؛ حالاً من المجرور في « لَهُ » والجار عاماً فيها؛ ومعناه : يحب النطف والبيض والموتي.

« هُوَ الْأَوَّلُ » قبل كل شيء « وَالْآخِرُ » بعد كل شيء « وَالظَّاهِرُ » بالأدلة الدالة عليه « وَالْبَاطِنُ » لكونه غير مدرك بالحواس، ومعنى دخول الواو في قوله : « وَالْآخِرُ » أنه الجامع بين هاتين الصفتين، وأما الثالثة فدخلت الواو؛ لتدل على أنه جامع بين الصفتين الأخيرتين،

وأما الوسطى فدخلت لتدل على اجتماع الأول مع الثاني (٢٩٠/١) والثالث مع الرابع.

وقيل : الغالب؛ لقوله : **﴿فَاصْبِرُوا تَهْرِينَ﴾**<sup>(١)</sup> **﴿مُسْتَخْفِينَ فِيهِ﴾** ي يريد أن الأموال التي بأيديكم ملك الله وأنتم تتصرفون فيها بإذنه كالوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق منها؛ كما يهون على الرجل إذا أنفق من مال غيره، أو جعلكم مستخلفين عن كلامكم في المال الذي بأيديهم وأيديكم، فاعتبروا بحالهم؛ كيف انتقل منهم إليكم؟ وسينتقل منكم إلى غيركم ! ولا تبخلا، وارفعوا الإنفاق منها أنفسكم.

**﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾** حال من معنى الفعل في الحال وال مجرور، والواو في **﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾** واو الحال؛ فهما حالان متداخلتان، وقد مضى ذكر نظيره في أوائل **﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حَسَابُهُمْ﴾**<sup>(٢)</sup> أي : قد ركب فيكم العقول التي تؤديكم إلى العلم بصفاته وأنه يثبت على الإنفاق أضعافاً مضاعفة. **﴿أَلَا تُنْفِقُوا﴾** أي : أي شيء لكم في ترك النفقة ؟

**﴿وَلَهُمْ رِثَائِ الْمَمْوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** سينتقل من أبيديكم انتقال المال الموروث بعد هلاك صاحبه. **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾** أي : قبل فتح مكة، وكان الإسلام ضعيفاً، فالنفقة في ذلك الوقت أصابت محلاً قابلاً، أي : ومن أنفق بعد ذلك؛ أي : بعد ما عزَّ الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فحذف ذكر القسم الثاني؛ لوضوح دلالة الكلام عليه.

**﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾** أي : المثوبة الحسنة، وقرئ : "كل" بالرفع<sup>(٣)</sup> مع أن الفعل لم يستغل بضميره، وهو جائز؛ ولكنه قليل الاستعمال<sup>(٤)</sup>. وقيل : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله

(١) سورة الصاف، الآية (١٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١).

(٣) قرأ بالرفع ابن عامر وحده والباقيون بالنصب " وكلا ".

تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٧٤)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٢٥).

(٤) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية (١/١٤٧) : الجملة المخبر بها إن كانت نفس المبتدأ في المعنى فتحكمها في الاستثناء عن ذكر يرجع إلى المبتدأ حكم المفرد الجامد، ولأجل ذلك لم يفتقر ضمير الشأن إلى ما يرجع إليه من الجملة المخبر عنه بها. فإن لم تكن الجملة نفس المبتدأ في المعنى وجب اشتتمالها على ضمير يعود على المبتدأ، أو ما يقوم مقامه، وقد يحذف العائد إذا كان عند حذفه لا يجهل، فإن كان العائد مفعولاً وكان المبتدأ " كلام " أو شبهه جاز الحذف، وبقاء المبتدأ مبتدأ بلا خلاف، ومن ذلك قراءة ابن عامر " وكل وعد الله الحسنة " وكذا إذا كان المبتدأ شبيهاً بـ " كل " في العموم أو =

عنه - لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

﴿مَنْ ذَاذِي يُفْرِضُ اللَّهَ فَرِضاً حَسَنَا فِي ضَيْفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ شَرِيكُمُ الْيَوْمَ جَنَاحٌ تَجْعِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَئْمَنُ خَلِيلِهِنَّ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ ﴾١٢)

القرض الحسن : الإنفاق في سبيله؛ شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز؛ لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكانه أقرضه إياه. ﴿فِي ضَيْفَهُ لَهُ﴾ أي : يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً. ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي : ذلك الأجر المضاعف أجر عظيم قبل أن يتضاعف إليه المضاعفة. ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف والعامل فيه الاستقرار في قوله : ﴿وَلَهُ أَجْرٌ﴾ أو منصوب بضمير تقديره : يوم ترى يكون كيت وكيت. يؤتى السعداء صحائف أعمالهم من بين أيديهم وبأيامهم (٢٩٠/ب) ونور تلك الصحائف ينور لهم هاتين الجهتين، ويؤتى الأشقياء صحائفهم بشمائهم من وراء ظهورهم، وإذا تجاوز السعداء الصراط سعوا في أنوار أعمالهم وصحائفهم، ويكون ذلك شعاراً بفوزهم، وتقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم ﴿شَرِيكُمُ الْيَوْمَ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْتَقِيُونَ وَالْمُنْتَقَيَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظُرُونَا نَقْيَسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ أَرْجِحُوا وَرَاهُ كُمْ فَالَّتِي سُوَّانُورًا فَضَرِبَ بَيْنَهُمْ يَسُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِلَهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهِيرَهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾١٣) يَنَادُونَهُمْ أَلَّمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فَالْوَابَنَ وَلَنَكُنْكُمْ فَنَنَتْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَيَسْتُمْ وَأَرْتَبَتْمُ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فَدِيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُرْتَكُمْ أَنَّارَهُ مَوْلَانَكُمْ وَيَقِنَ الْمَصِيرُ ﴾١٥) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ قَطَالِ عَلَيْهِمُ الْآمَدُ فَقَسَتْ مُؤْمِنُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُوتَ ﴾١٦)

= الافتقار إلى متم المعني، وكذا المشبه " كلا " بالافتقار إلى متم دون عموم. فإن كان المبتدأ غير " كل " والعائد مفعول لم يجز عند الكوفيين حذفه وبقاء المبتدأ مبتدأ، بل يوجبون نصبه بمقتضى المفعولية إلا في ضرورة شعر، وخالفهم البصريون بإجازة رفع غير " كل " في الاختيار". قال السمين الحلبي في الدر المصنون (٦/٢٧٤) - بعد أن نقل عن ابن مالك إجماع البصريين والكوفيين على جواز ذلك إن كان المبتدأ " كلا " أو ما أشبهها في الافتقار والعموم - : " وهذا لم أره لغيره " .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٧٤).

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿أَنْظُرُونَا﴾ انتظرونا؛ لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركائب تسرع بهم، والأشقياء مشاة. وقيل : ﴿أَنْظُرُونَا﴾ انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، واستثارت الطريق للمنافقين، وجعل اتسادهم في المشي ليلحقهم المنافقون أنظاراً. ﴿تَقْبَسُ مِنْ تُوْكِنُ﴾ نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستضيئوا بهم. ﴿أَرْجِعُوكُمْ﴾ طرد لهم وتهكم بهم، أي : ارجعوا إلى الموقف حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسو نوراً بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وقد علموا أنه لا نور لهم؛ وإنما هو طرد وإفنا.

﴿فَضَرَبَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾ أي : بمحائل. قيل : ذلك السور: الأعراف، لذلك السور ﴿بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الْرَّحْمَةُ﴾ أي : ما يخص المؤمنين ﴿وَظَاهِرٌ﴾ ما بداراً للمنافقين ﴿وَنِقْبَلٌ﴾ أي : من جهته، وهو الظلمة ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون : ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَعَذَّبُوكُمْ﴾ في الدنيا في الجهاد والصلوات؟ فيقول المؤمنون : كنتم معنا ﴿وَلَكُمْ كُفَّاشُتُمْ أَفْسُكُمْ﴾ أوقعتموها في الفتنة ﴿وَرَضَّصْتُمْ﴾ بالموت الدوائر ﴿وَأَرْتَبَتُمْ﴾ شركتم في الدين الحق ﴿وَغَرَّتُكُمْ أَلَّا مَاتُي﴾ طول العمر والطعم ﴿حَقَّنَ جَاهَ أَمْرِ﴾ الموت و﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان. ﴿فِدَيْهُ﴾ ما يفتدى به ﴿مَوْلَانُكُمْ﴾ أي : أولى بكم، وحقيقة الكلام : النار هي أولى بكم أن تكونوا فيها، وهو كقولهم : مئنة.

وفي الحديث : " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه " <sup>(١)</sup>. أي : محل يقال فيه : إنه لفقير، ومنه قوله : ﴿يُغَاثُوا بِمَاعِ كَلْمَقِيلٍ﴾ <sup>(٢)</sup> فسماه إغاثة. وقيل : تتولاكم جهنم؛ كما توليتكم في الدنيا أعمال الفجور.

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يحن، يقال : ألم الشيء يأنى إناه؛ إذا جاء وقته. قيل : كانوا بمكة مجدين مضيقاً عليهم في ذات اليد، فلما هاجروا إلى المدينة اتسع لهم العيش ففتروا عما كانوا عليه؛

(١) رواه مسلم رقم (١٤٣٧)، وأحمد في المسند رقم (١٧٥٩٨) ومئنة : كقولك : مخلقة لذلك، ومجدرة لذلك وحراة ونحو ذلك. قال الأصمسي : قد سألي شعبة عن هذا، فقلت : هي علامة لذلك خلائق لذلك. قال أبو عبيد : يعني أن هذا مما يعرف به فقه الرجل ويستدل به عليه وكذلك كل شيء ذلك على شيء فهو مئنة له. ينظر : غريب الحديث لابن سلام (٤/٦١).

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

فترلت الآية<sup>(١)</sup> (٢٩١/١) وعن ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس : استبطأ الله قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن<sup>(٣)</sup>. وعن الحسن : أما والله لقد استبطأهم وهم يحفظون من القرآن أقل مما تحفظون، ويعملون من أعمال الخير أضعاف ما ت عملون، وحدث فيكم من الفسق ما لم يكن في الأولين<sup>(٤)</sup>.

وروي أن هذه الآية قرئت بين يدي أبي بكر الصديق، وعنه ناس من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديداً؛ فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب<sup>(٥)</sup>. وكانت بنو إسرائيل إذا سمعوا التوراة خشعوا الله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوه من التغيير والتبدل وغيره. ﴿لِذَكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحُقْقَى﴾ يجوز أن يراد بهما شيء واحد وقيل : ذكر الله أعم، وما نزل من الحق أخص، ويجوز أن يراد خصوصها لذكر الله؛ كقوله : ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> أراد بـ﴿الْأَمْدُ﴾ الأجل؛ ك قوله [ من البسيط ] :

ولا يمهل حي إذا انتهى أمده<sup>(٧)</sup>

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهَا فَقَدْ بَيَّنَا لَكُمْ أَلَيْكُمْ تَعْلَمُونَ ١٧ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ فَرِضًا حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ١٨﴾

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهَا﴾ تمثيل لإثراء الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. ﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾ هم المصدقون، وقرئ: "إن المصدقين" بالتحقيق<sup>(٨)</sup> وهم

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨/٥٨)، لابن المبارك وعبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش.

(٢) رواه مسلم رقم (٥٣/٥٢)، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٨/٥٨)، لابن المنذر وابن مردويه والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير عن ابن مسعود.

(٣) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨/٥٨)، لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٧٧).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٧٧).

(٦) سورة الأنفال، الآية (٢).

(٧) ينظر في : الكشاف للزمخشري (٤/٤٧٧).

(٨) قرأ ابن كثير وعاصر في روایة أبي بكر عنه "المصدقين والمصدقات" بتحقيق الصاد، وقرأ الباقيون وحفص عن عاصم "المصدقين والمصدقات" بتشديد الصاد.

تنظر في : الدر المصور للسميين الحلي (٦/٢٧٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٦٦).

الذين صدقوا الله ورسوله، والقراءة الأولى يعني إخراج الصدقة.

﴿وَأَفْرَضُوا﴾ معطوف على معنى المتصدقين؛ كأنه قيل : إن الذين تصدقا وأقرضا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرٌ هُنَّ وَارِثُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا إِنَّا أُولَئِكَ أَعْجَبُ الْجَحَّامِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بِتَنَكُّثِهِمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَأَلْأَوْلَادِ كَمِثْلُ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَالَهُمْ ثُمَّ يُؤْتَبِعُ فَتَرِهُمْ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَنَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا مَتْنَعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ وَجَاءُو عَرْضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لَكِنَّا لَنَا تَأسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا نَفْرَحُوا بِمَا أَتَيْتُكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتٍ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْفَتْيَةِ إِنَّ اللَّهَ فَوْزُ عَزِيزٍ ﴿٢٥﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْصَّادِقُونَ﴾ وهم الشهداء؛ أي : هم عند الله بمنزلة الشهداء، ويجوز أن تقف على قوله : «هُمُ الْصَّادِقُونَ» وتبتدىء «وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» به سبحانه وتعالى أن الدنيا إنما هي أمور محقرات من لعب وهو وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد ثم مثل حالها في سرعة زوالها بقوله : «كَمِثْلُ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ» أي : الزراع؛ لأن الزارع يستر الحب الذي يبذره، والكفر : الستر «ثُمَّ يُؤْتَبِعُ» ثم ييس، فترى ذلك الزرع الأخضر صار أصفر، ثم عن قليل يصير حطاماً.

وقيل : «الْكُفَّارُ» الجاحدون لنعم الله تعالى، وهم مثل أصحاب الجنة الذين ابتلاهم بإحاطة الله بزر عهم<sup>(١)</sup> وكما فعل بأصحاب الجنتين في سورة الكهف<sup>(٢)</sup>.

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا إلى أعمال الجنة سعي المسايق «عَرْضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»

(١) ورد ذكرهم في الآيات (١٧ - ٣٣) من سورة القلم.

(٢) ورد ذكرهم في الآيات (٣٢ - ٤٣).

(٢٩١/ب) أي : كعرض السماوات السبع والأرضين السبع، وذكر العرض دون الطول؛ لأن عرض كل شيء أقصر من طوله، ويجوز أن يراد بالعرض الكثرة؛ كقوله : «فَدُوْدُكَاءٌ عَرِيضٌ»<sup>(١)</sup>.

«مِنْ مُصَبِّبَةٍ فِي الْأَرْضِ» نحو الجدب وأفات الزرع. «وَلَا فِي أَقْسِكُمْ» بالأعلال والأمراض «مَنْ قَبْلَ أَنْ تَرَاهَا» أي : قبل أن تخلقها؛ فإن الله هو البارئ المصور، والضمير في «تَرَاهَا» يرجع إلى الأرض أو النفس أو المصيبة.

إن إثبات ذلك يسير على الله، يعني : إذا علمتم بأن كل شيء مكتوب عند الله خفت الهموم، وعلم أن كل ما قدر كائن. «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم عنده اختال وافتخر به وتكبر على الناس. فإن قلت : ما نرى أحداً يملك نفسه وينعها عن الفرح بما يتجدد من خير ولا يمنعها من التالم إذا ناله مايسوءه ؟

قلت : المراد ذم الفرح الذي يخرج إلى الفخر والخيلاء. «الَّذِينَ يَخْلُوتُ بَدْلَ مِنْ كُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا» يعني الملائكة إلى الأنبياء. «بِالْبَيْنَاتِ» أي : بالحجج والمعجزات. «وَأَنَّزَنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ» أي : الكتب؛ كقوله : «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَيَعْثَثُ اللَّهُ أَنَّيْسَنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنَّزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ»<sup>(٢)</sup> أي : الكتب.

وقيل : الكتاب. الخط بالقلم، تقول : كتبت كتاباً وكتابة. وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فأعطاه نوحًا، وقال له : مر قومك يزنوا به<sup>(٣)</sup>. «وَأَنَّزَلْنَا الْحَدِيدَ» قيل : نزل آدم ومعه خمسة أشياء من حديد : السندان، والكلبتان، والمطرقة، والإبرة<sup>(٤)</sup>. وقيل : «وَأَنَّزَنَا الْحَدِيدَ» خلقناه؛ كقوله : «وَأَنَّزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَمِ ثَمَنَيَةً أَرْوَحَ»<sup>(٥)</sup>.

«فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ» فالباس الشديد : القتال به، والمنافع ظاهرة. قيل : ما من عمل من الأعمال إلا وفيه آلة من الحديد. «وَجَعَلْنَا وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» أي : بإعداد آلة

(١) سورة فصلت، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٨٠).

(٤) رواه الطبرى في تفسيره (٢٧/٢٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سورة الزمر، الآية (٦).

الحرب من السيف والرمح وغيرها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي دُرْبِهِمَا أَثْبَوَةً وَالْكِتَابَ فِيهِمْ مُهَنْدِلٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ إِاثْرِهِمْ بِرْسُلَنَا وَقَفَّيْنَا يَعِيسَى أَبْنَ مَرِيَمَ وَمَاتَيْنَاهُ إِلَيْنَا حِيلٌ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَبْعَدُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَنْبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاهُمْ رِضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقٌّ رِعَايَتِهَا ﴿فَاتَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿فِيهِمْ﴾ أي : من الذرية . وقيل : من المرسل إليهم ، دل عليه ذكر الإرسال والمرسلين ،  
ونحو وصفهم بأن في قلوبهم الرأفة والرحمة قوله تعالى : ﴿أَيَذَا هُنَّ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةٌ يَبْتَهِمْ﴾ (١) .  
والرهبانية : ترهبُهم في الجبال فراراً من الفتنة . وروي أن الجبارية (٢/٢٩٢) ظهروا على  
أصحاب عيسى بعد أن رفعه الله إليه فقاتلواهم مراراً ، وقتل الكفار أكثر أصحاب عيسى ،  
وبقي منهم قليل فخافوا أن يفتنهم الكفار فاختاروا الترهب والانقطاع (٣) . وانتصابها بفعل  
مضمر يفسره "ابتدعواها" أي : أحدثوها من عند أنفسهم ، ولم يأتهم أمر من الله بذلك .

﴿مَا كَنْبَتْهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي : ما فرضناها عليهم ﴿إِلَآ أَبْتَغَاهُمْ﴾ استثناء منقطع ؛ أي :  
ولكنهم ابتدعواها ابتغاء رضوان الله . ﴿فَاتَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يزيد أهل الرأفة الذين اتبعوا  
عيسى .

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ لم يحافظوا على ما ابتدعوا من الرهبانية ، ويجوز أن تكون  
الراهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة ، و﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾ صفة لها في محل النصب ، أي :  
وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة وراهبانية مبتدعة من عندهم ، والمعنى : وفتقنهم للرحمة بينهم  
ولا بذلة الرهبانية واستحداثها ﴿فَاتَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم الذين حافظوا على ما ابتدعوا  
من الرهبانية . ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يحافظوا على ما التزموا من  
الراهبانية .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا آمَنُوا أَنَّقُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَمَا آمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كُفَّارِيْنَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ ثُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْرِيْكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ لِئَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِنْ

(١) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٨١) ، وروى الطبرى في تفسيره (٢٣٩/٢٧) نحوه عن ابن عباس  
رضي الله عنهما .

فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ يَبْدِي اللَّهُ مُؤْمِنِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦﴾

﴿يَكَانُوا الَّذِينَ أَسْتَوْا﴾ أي : بموسى وعيسى ﴿أَتَقْوَا اللَّهَ وَمَا إِنْ مُؤْمِنٌ﴾ بمحمد ﷺ .

﴿يُؤْتَكُمْ كُفَّلَيْنِ﴾ أي : نصيبين ؛ لإيمانكم به وبين قبليه ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمَسُّونَ بِهِ﴾ يوم القيمة بخلاف المنافقين الذين حرموا النور .

﴿إِلَّا يَعْلَمُ﴾ " لا " : زائدة ؛ أي : لأن يعلم ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾ " أن " مخففة من الثقلة أصله : أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله . ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ يَبْدِي اللَّهُ﴾ الآية ، وإن كان قوله : ﴿يَكَانُوا الَّذِينَ أَسْتَوْا أَتَقْوَا اللَّهَ وَمَا إِنْ مُؤْمِنٌ بِرَسُولِهِ﴾ خطاباً لغيرهم فمعناه : اتقوا الله وابتزوا على إيمانكم برسوله ﷺ ﴿يُؤْتَكُمْ﴾ ما وعد المؤمنين وهو الكفلان من رحمته .

روي أن رسول الله ﷺ بعث جعفرًا في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعا النجاشي فأجابه فقال جماعة من عظماء أهل اليمن للنجاشي : ائذن لنا أن نتوجه إلى محمد ﷺ وносاسيه بأموالنا فإذا ذهبنا، وقدم جعفر إلى النبي ﷺ ومعه أربعون رجلاً فواسوا المؤمنين بأموالهم ووسعوا عليهم، فنزلت الآية<sup>(١)</sup> والله أعلم (٢٩٢/ ب).

\* \* \*

(١) رواه الطبراني في تفسيره (٢٤٢/ ٢٧)، وذكره الزيلعي في تحرير الأحاديث والأثار التي في الكشاف (٤١٩/ ٣) وقال : وهذا مرسلاً.

## تفسير سورة المجادلة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُبَدِّلُكُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتِكِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوِرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾  
 ① ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنِ نَسَأَلَهُمْ مَا هُنَّ بِأَمْهَنَتِهِمْ إِنَّ أَمْهَنَتِهِمْ إِلَّا الْأَنْفُسُ وَلَذِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَغَافِرٌ غَفُورٌ﴾ ②

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كلمت المجادلة رسول الله ﷺ في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع، وسمع قوله " ① ". والمرأة خولة بنت ثعلبة، امرأة أوس بن الصامت، رآها وهي تصلي، وكانت حسنة الجسم، فلما سلمت راودها عن نفسها فأابت غضب، وكان به خفة ظاهر منها؛ وأتت رسول الله ﷺ فقالت : إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما أفني شبابي ونشرت أفلاذ كبدى جعلني عليه كأمه. وروي أنها قالت : إن لي صبية صغراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلى جاعوا؛ فقال ﷺ : " ما عندي في أمرك شيء " ② .

وروي أنه قال لها : حرمت عليه فقالت : أشكرو إلى الله فاقتي ووحدتي، كلما قال رسول الله ﷺ : حرمت عليه شكت. فنزلت : ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ في شأنه ③ . يسمع كل مسمع ويبصر كل مبصر. ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ﴾ في ﴿مِنْكُمْ﴾ توبیخ للعرب، وتهجین لعادتهم في الظهور. ﴿مَا هُنَّ بِأَمْهَنَتِهِمْ﴾ أي : ليسوا بأمهات لهم وقد جعلوها المظاهر أمة؛ فكان هذا القول ﴿مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ منكره الحقيقة، وتنكره الأحكام الشرعية، ﴿وَزُورًا﴾ كذباً باطلاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَغَافِرٌ غَفُورٌ﴾ لما سلف إذا تيب عنه

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنَ نَسَاءِهِمْ مُمْبَعِدُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحِيرُهُنَّ رَفِيقَةٌ مَنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَأُ ذَلِكُمْ ثُوعَظُونَ يَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ ④ فمن لم يجد فصياماً شهرين متتابعين من قبل أن يتماساً فمن لغيره يستطيع

(١) رواه أحمد رقم (٢٢٠٦٤)، والنسياني رقم (٣٤٠٦)، وابن ماجه رقم (١٨٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١٥٥).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٤٢٣/٣) وقال : رواه البيهقي والدارقطني في سننهما بروايات مختلفة وفي سنن أبي داود منه شيء يسير وكذلك الطبراني في معجمه.

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٤٢٣/٣).

فَإِطْعَامُ سَيِّئَاتٍ مَسْكِنًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَلَكَ حُدُودُ اللهِ وَالْكَافِرِينَ عَذَابُ الْأَلِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ  
الَّذِينَ يَحَادُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُثُرًا كَمَا كُثُرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْتُمْ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ  
﴿٢﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَتَّهِمُونَ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَنَهُ اللهُ وَسُوءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ  
الَّمَّ تَرَأَنَ اللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُبُ مِنْ فَخَوَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ وَلَا حَمْسَةٌ  
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْفَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْرَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا مِمَّا يَتَّهِمُونَ يَوْمَ الْقِيَمةِ إِنَّ  
اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ الَّمَّ تَرَى إِلَى الَّذِينَ هُمْ عَنِ النَّجْوَى مُمْبَدِونَ لَمَّا هُمْ عَنْهُ  
وَالْعَدُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَوْكَ بِمَا لَمْ يَعْتَدْكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يَعْذِبُنَا اللهُ  
بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُوْنَهَا فِيْنَ الْمَصِيرِ ﴿٤﴾

﴿مَمْ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ كانوا يظاهرون في الجاهلية؛ فلما جاء الإسلام تركوا ذلك، ثم عادوا  
بعد ذلك فظاهروا. وإذا ظاهر من أمراته لم يحل له وظيفتها حتى يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَخَرِّبُ  
رَبْبَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّمَاسَا﴾ والمعنى : أن تدارك هذا القول بالكافارة وإحسان الصحبة بعد ذلك،  
واللامسة : الجماع، وما يقرب منه من الاستمتاع، والظهور أن يشبهه أمراته بأمه، أو بعضو من  
أعضائها، أو بأخته، أو غيرها من المحارم، أو يشبهها بعضو من أعضاء الأُمّ غير الظهر، إلا أن  
أبا حنيفة يقول : إن شبهاها بعضو يسمى به الجسد كله؛ كالرأس والرقبة، وعنه أيضًا: إذا لم  
يُكُفِّر المظاهر فللمرأة مطالبته بالتكفير لتحمل، وعند الشافعي : إذا امتنع لا ترافعه المرأة ولا  
 تستحق عليه الوطء<sup>(١)</sup>. ﴿وَتَلَكَ حُدُودُ اللهِ﴾ التي لا يجوز تعديتها. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ (١/٢٩٣)  
الذي لم يقوموا بما يوجبه الظهار ﴿عَذَابُ الْأَلِيمِ﴾ ﴿يَحَادُونَ﴾ ﴿كُثُرًا﴾ أَخْزُوا. ﴿كَمَا كُثُرَ﴾  
من عادي الرسل قبلهم. قيل : أراد كبرتهم يوم الخندق. ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْتُمْ بَيِّنَاتٍ﴾ تدل على  
صحة الرسول وصحة ما جاء به ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ منصوب بـ " الكافرين " أو بـ " مهين " أو بإضمار اذكر؛ تعظيمًا  
لليوم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين؛ أي : كلهم، والمراد : اجتماعهم في مكان واحد في ذلك الوقت.

﴿فَيَتَّهِمُونَ بِمَا عَمِلُوا﴾ تمجيلاً لهم وتوبيخاً، يتمونون عنده المسارعة إلى النار لما يلحقهم  
من الحزى على رؤوس الأشهاد ﴿أَحْصَنَهُ اللهُ﴾ أحاط به عدداً. ﴿وَسُوءُ﴾ أنهم تهاونوا به.  
﴿مَا يَكْتُبُ﴾ أي : ما يوجد، وهي كان التامة، والنحوى تأثيرها غير حقيقي، وهي

(١) ينظر: بداية المبتدى للمرغيناني (١/٨١، ٨٢)، المبسوط للسرخسي (٦/٢٣٠).

التناجي. ﴿مِنْ تَجْوَى ثَلَاثَةً﴾ بإضافة ﴿تَجَوَّى﴾ إلى ﴿ثَلَاثَةً﴾ أو جعلهم نفس النجوى مبالغة، وقرأ ابن أبي عبلة: "ثلاثة" و "خمسة" بالنصب<sup>(١)</sup> على الحال، أو بإضمار "يتناجون" روي أن اليهود والمنافقين كانوا إذا رأوا المؤمنين تغامزوا وتضاحكوا وتناجوا فنهاهم رسول الله ﷺ فعلوا ثم عادوا، فنزلت ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيْوَكَ﴾<sup>(٢)</sup> أي : يقولون : السام عليك، والسام : الموت. والتناجي بالبر والتقوى : أن يقولوا يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولا يقولوا : السام عليك. ﴿وَلَا يَعْذِبَنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون : إن كان محمد نبيا؛ فلم لا يعذبنا الله بما نقول ؟ فقال الله : ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَشَجَّعُتِ الْأَيْمَنُ وَالْعُدُونَ وَمَعَصَيْتِ الرَّسُولَ وَتَنَجَّوُ بِالْأَيْمَنِ وَالنَّقْوَى وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْرَجُونَ ① إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحَرِّكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَسْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فِي أَنْتَوْكَ الْمُؤْمِنُونَ ② يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَlisِ فَاقْسِحُوهُا فَيَسْجَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَشْرُزُوهُا فَأَشْرُزُوهُا يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَمْأَلُهُمْ خَيْرٌ ③﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالستهم، ويجوز أن يكون للمؤمنين وللمنافقين، يعني: إذا تناجيتهم فلا تشبهوا بأولئك ﴿وَتَنَجَّوُ بِالْأَيْمَنِ وَالنَّقْوَى﴾

روي أن النبي ﷺ قال : " لا يتناج اثنان دون ثالث؛ فإن ذلك يحزنه "<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ اللام في " النجوى " إشارة إلى التناجي بالإثم والعدوان؛ بدليل قوله :

﴿لِيُحَرِّكَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليس الحزن بضار الدين آمنوا ﴿شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَlisِ﴾<sup>(٤)</sup> أي : توسعوا فيه، والمراد : مجلس رسول الله ﷺ كانوا يتضامنون فيه؛ تنافساً على القرب منه وسماع كلامه ﷺ . وقيل : هي مجالس القتال؛ كما سميت مقاعد في قوله:

(١) تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٨٧)، الكشاف للزخشي (٤/٤٨٩).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٨/١٤).

(٣) رواه البخارى رقم (٥٨١٤)، ومسلم رقم (٤٠٥٢).

(٤) قرأ " في المجلس " بالأفراد جمهور القراء ، وقرأ " في المجالس " عاصم وحده.

تنظر في : البحر الخيط لأبي حيان (٨/٢٣٦)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٨٩)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٢٨)، الكشاف للزخشي (٤/٤٩٢).

﴿مَقْتَدِعَ لِلْقَنَالِ﴾<sup>(١)</sup> (٢٩٣/ب) ﴿يَقْسِحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مطلق في كل ما يراد التوسيع فيه، وهو المجلس والقلب والرزرق وغير ذلك. ﴿أَشْرُوا﴾ ارتفعوا لتوسعوا على المقربين، أو ارتفعوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم بالنهوض عنه، أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تفترطوا. ﴿تَرْفَعُ اللَّهُ﴾ المؤمنين بامتثال أوامر رسوله والعلماء منهم خاصة. ﴿دَرَجَتِ﴾ بما تعلمون. عن ابن مسعود أنه كان إذا قرأها قال : يا أيها الناس : افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم<sup>(٢)</sup>.

وعن النبي ﷺ : " فضل العالى على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "<sup>(٣)</sup>. وعنده : " يشفع يوم القيمة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء "<sup>(٤)</sup>. فاعظم مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ وفي كلام بعض الحكماء : ليت شعري ، أي شيء فات من أدرك العلم ، ليت شعري ؟ أي شيء أدرك من فاته العلم ؟

﴿إِنَّا هُنَّ أَذَّلُّنَا مَا مَنَّا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِيمُوا بَيْنَ يَدَيْنِي بَغْوَنَكُو صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِنَّمَا يُهَدُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

﴿بَيْنَ يَدَيْنِي بَغْوَنَكُو صَدَقَةً﴾ استعارة من له يدان ، والمعنى : قبل خواكم . ﴿ذَلِكُم﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ﴾ لأن الصدقة طهرة. روي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله ﷺ حتى أملوه فأ يريد أن يكفوا عن ذلك فأمرموا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة ، قال علي : فدعاني رسول الله ﷺ لما نزلت ؟ فقال : ما تقول في دينار ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة ، قال : إنك لزهيد. فلما رأوا ذلك اشتد عليهم وكفوا ، أما الفقير فلعلسرته ، وأما الغني فلشحه<sup>(٦)</sup>. قيل : كان ذلك عشر ليال فنسخ وقيل : ما كان إلا ساعة

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٢١).

(٢) ذكره الرخشري في الكشاف (٤٩٢/٤) وذكر السيوطي في الدر المثور (٨/٨٣) ونسبة لابن المزار عن ابن مسعود قال : " ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية فضل الله الذين آمنوا وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم ".

(٣) رواه أحمد رقم (٢٠٧٣٣)، وأبو داود رقم (٣١٥٧)، والترمذى رقم (٢٦٠٦)، وابن ماجه رقم (٢١٩)، وصححه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٠٤) وقال الألبانى في ضعيف الجامع رقم (٢١٤٨) موضوع.

(٥) رواه الترمذى رقم (٣٢٢٢) وقال : حسن غريب ، وضعفه الألبانى في ضعيف الترمذى (٦٥٢).

من نهار<sup>(١)</sup>.

وعن علي : " إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ، ولا عمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته ، فكنت إذا ناجيته تصدق بدرهم "<sup>(٢)</sup> . وعن ابن عمر : " كانت لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منها كانت أحب إلى من حمر النعم : تزوجه فاطمة ، وإعطاؤه الرأبة يوم خير ، وأية النجوى "<sup>(٣)</sup> . وقال ابن عباس : " هي منسوخة بالأية التي بعدها . وقيل : هي منسوخة بالزكاة "<sup>(٤)</sup> .

**﴿مَا أَشَقَّنَا أَنْ تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ بَحْرَوْنَكُمْ صَدَقَتِي فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَمَا أُثْرَا  
الزَّكُورَةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾١٢ ﴿أَلَّا تَرَى إِلَيَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْنَا قَوْمًا عَظِيمًا مَا هُمْ  
مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَمَحَلُّوْنَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾١٣ ﴿أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴾١٤ ﴿أَخْذَدُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَاهْمَدُوا عَذَابًا ثَمَنِينَ ﴾١٥ ﴿لَنْ تُفْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ  
وَلَا أُولَدُهُمْ مِنْ الْأَوْلَادِ إِنَّهُمْ أَعْجَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾١٦ ﴿يَوْمَ يَعْثُومُ اللَّهُ جِيْعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ  
كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَفَاعَةٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾١٧ ﴿أَلَّا  
كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَفَاعَةٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾١٨ ﴾**

**﴿مَا أَشَقَّنَا﴾** أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الخوف من الفقر ؟ وأن الشيطان يعدكم الفقر . **﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾** ما أمرتم به **﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾** (١/٢٩٤) وعدركم ورخص لكم في لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكوة وسائر الطاعات .

كان المنافقون يقولون : اليهود هم الذين غضب الله عليهم في قوله : **«مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِيبَ  
عَنْهُ»** <sup>(٥)</sup> ونقل المنافقون إلى اليهود أخبار المؤمنين . **«مَا هُمْ مِنْكُمْ»** يا مسلمين **«وَلَا إِنَّهُمْ**

(١) نسبة السيوطي في الدر المثمر (٨/٨٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوه عن علي حَدَّثَنَا .

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٠/٢٨) ، والحاكم فى المستدرك (٥٢٤/٢) وصححه ، ونسبة السيوطي في الدر المثمر (٨/٨٤) لسعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوه والحاكم عن علي حَدَّثَنَا .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٩٥) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المثمر (٨/٨٤) ونسبة لأبي داود في ناسخه وابن المنذر من طريق عطاء الحراساني عن ابن عباس .

(٥) سورة المائدة ، الآية (٦٠) .

أي: من اليهود؛ كقوله : «مُدَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ» الآية (١) «وَخَلَقُونَ عَلَى الْكَذِبِ» أي : يقولون : والله إننا مسلمون «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أن المخلوف عليه كذب. وكان ابن نبتل يكثر مجالسة النبي ﷺ وينقل أخباره إلى اليهود، فقال رسول الله ﷺ : "يدخل عليكم إنسان وجهه وجه إنسان وقلبه قلب جبار، وينظر نظر شيطان، فدخل ابن نبتل؛ فقال له النبي ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله العظيم أنه لم يكن ذلك، فنزلت «وَخَلَقُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (٢).

«عَذَابًا شَدِيدًا» نوعاً من العذاب شديداً؛ نكره تعظيمها له. «سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» معنى: أنهم كانوا في الزمن الماضي على هذه الحال، أو هي حكاية ما يقال في الآخرة. «أَيْنَ هُمْ» وقرئ بكسر المهمزة (٣). جنة أي : وقاية. «فَصَدُّوا» فأعرضوا أي: صدوا الناس عن الدخول في الإيان. «مَنْ أَلَّهُ» من عذاب الله. «شَيْئًا» قليلاً من الإغفاء، روي أن رجلاً منهم قال : لننصرن يوم القيمة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا. «فَيَحْلِفُونَ لَهُ» أي : لله سبحانه على أنهم مسلمون. «كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» في الدنيا. «وَيَسْبِبُونَ أَهْمَمَهُمْ عَلَى شَيْءٍ» من النفع، وليس العجب من حلفهم في الدنيا؛ فإنها محل المغالبة والإنتقام، والخلف الكاذب والانتفاع بالكذب، ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

«أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ» هو حكاية عن استمرارهم على الضلال، حتى اتصل ذلك بالأخرة.

﴿أَسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمْ أَشَيْطَنَ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِرْبُ الشَّيْطَنِ إِلَّا إِنَّ حِرْبَ الشَّيْطَنِ هُمُ الْخَسِرُونَ ١٩ إِنَّ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِينَ ٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَمُ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوْمٌ عَزِيزٌ ٢١ لَا يَحْمُدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يُؤْمِنُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَنَّ ٢٢ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنَ

(١) سورة النساء، الآية (١٤٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٥٢٤/٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) قرأ بها الحسن. تنظر في : الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢٩٠).

وَأَيَّدُهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

كما قال : «أَسْتَحْوِدُ عَلَيْهِمُ الْشَّيْطَانُ» استولى عليهم واحتوى؛ من حاذ الحمار العانة<sup>(١)</sup> إذا جمعها، أي : ملكهم الشيطان حتى جعلهم رعيته وحزبه. «فَأَنْتُمْ» أن يذكروا الله لا بقلوبهم ولا بالستتهم. قال أبو عبيدة : حزب الشيطان جنده<sup>(٢)</sup>.

«فِي الْأَذَلِينَ» في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحداً أذل منهم (٢٩٤/ب) «كَتَبَ اللَّهُ» في اللوح المحفوظ «لَا غَيْرَكَ أَنَا وَرَسُولِي» بالحججة والسيف، أو بأحدهما. «لَا يَمْحُدُ قَوْمًا» من باب التخييل؛ أي : نبه أن من الممتنع أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين والغرض أن ذلك لا ينبغي أن يقع؛ وأن العهد بذلك لا يستقيم، وزاد ذلك توكيداً بقوله : «وَلَوْكَانُوا أَبَاءَهُمْ» وجعلهم حزب الشيطان، وقابله بقوله : «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ» فلا شيء أدخل في الإخلاص من موالية أولياء الله ومعاداة أعدائه. «كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ» أثبت فيها. «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ» بنور قذفه في قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان.

«بِرُوحٍ مِنْهُ» أي : من الإيمان؛ على أن الإيمان نفسه روح؛ إذ به تحيا القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح. قيل : كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان.

وعن النبي ﷺ أنه كان يقول : " اللهم لا تجعل لفاسق ولا لفاجر عندي نعمة؛ فإني وجدت فيما أوحيت إلي : «لَا يَمْحُدُ قَوْمًا»<sup>(٣)</sup>. وروي أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها؛ فقال له رسول الله ﷺ : " أو فعلته؟ ف قال : نعم. قال : فلا تعد؛ فقال : والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته "<sup>(٤)</sup>.

(١) العانة : القطيع من حمر الوحش. ينظر : لسان العرب (عون).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٩٦).

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس بتأثر الخطاب (١١/٤٩٣). عن معاذ بن جبل، بلفظ : " اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة .." وذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/٤٩٧) ونسبة الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/٤٣٢) لابن مردويه في تفسيره.

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/٤٣٢) وقال : غريب. ونقله الثعلبي عن ابن جرير قال : حدثت أن أبا قحافة إلى آخره. وزاد : فأنزل الله : «لَا يَمْحُدُ قَوْمًا» الآية. وكذلك ذكره الواحدى في أسباب النزول خوفه سواء. وذكره أبو جعفر الطبرى في الرياض النضرة (٢/١٠٢) ونسبة للواحدى وأبى الفرج.

## تفسير سورة العشر [مدنية]

سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَعْزَى الْحَكَمَ ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَسْرِ مَا طَنَنَتْ أَنْ يَخْرُجُوا وَطَمَّا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ أَلَّهُ مِنْ حَيْثُ لَرْ بِحَسِبَوْا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّغْبَةُ لِخَرْجِهِمْ بِيُوْهُمْ يَأْتِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْيَرُوْا يَأْتُؤُلِي الْأَبْصَرِ ②

صالح رسول الله بن النمير على إلا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا : هو النبي المذكور في التوراة فلا ترد له راية، فلما انهزم المسلمون يوم أحد شكوا وارتابوا فخرج كعب بن الأشرف وهو كبير اليهود فحالف على رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري أن يقتل كعبا فقتله، وكان محمد بن مسلمة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، ثم جاء النبي ﷺ على حمار خطامه من ليف، فامرهم أن يخرجوها من البلاد، فقالوا : الموت أهون من ذلك، فاستمهلوا رسول الله ﷺ عشرة أيام فأنهلمهم، ثم تنادوا بالحرب فدس المنافقون من يقول لليهود : إن أمركم محمد بالخروج من البلاد فلا تفعلوا، فإنما معكم نصركم ونعينكم عليه، ولئن خرجتم لنخرج من معكم، فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر (٢٩٥) المنافقين لهم طلبووا الصلح فأبى عليهم رسول الله ﷺ إلا أن يخرجوها من البلاد، وهو الجلاء، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات ما يحمل جمل، فجلعوا من البلاد إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام إلا بيتين وهما لأبي الحقيق وحيي بن أخطب؛ فإنهم لحقوا بخير، ولحقت طائفة من اليهود بالحيرة<sup>(١)</sup>.

واللام التي في قوله : **«لِأَوَّلِ الْحَسْرِ»** لام التأريخ<sup>(٢)</sup> كما في قوله : **«يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ**

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/٤٩٨)، وذكر نحوه السيوطي في الدر المثور (٨/٩٣) ونسبة لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وأبو داود وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) هكذا سماها الفيروزآبادي في القاموس المحيط (١/١٤٩٧) فقال : بمعنى عند كتبته لخمس حلون ، وتسمى لام التأريخ، وسمتها السمين الحلبي في الدر المصون (٦/٢٩٢) لام التوثيق.

﴿لِيَقُولُوا أَيْ : فِي زَمْنِ حَيَاةِي ، وَمِنْهُ قَوْلُكَ : جَئْتَكَ لِوقْتِ كَذَا ؛ أَيْ : أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْ أُولَى الْحَسَرِ وَكَانُوا مِنْ سَبْطِ لَمْ يَصْبِهِمْ جَلَاءُ قَطْ وَهُمْ أُولَى مِنْ أَخْرَجَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّامِ ، وَهُدَا أُولَى حَسَرِهِمْ ، وَالْحَسَرُ الثَّانِي إِجْلَاءُ عَمَرِ أَهْلِ خَيْرٍ . وَقَيْلٌ : آخِرُ حَسَرِهِمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؛ لَأَنَّ الْحَسَرَ يَكُونُ بِالشَّامِ .

وَعَنْ عَكْرَمَةَ : مِنْ شَكِّ أَنَّ الْحَسَرَ يَكُونُ بِالشَّامِ فَلِيَقُولُوا هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup> . وَقَيْلٌ : لِأُولَى حَسَرِ وَقْعِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقَاتِلُوا قَبْلَ ذَلِكَ . ﴿مَا أَظَنَنْتُمْ أَنَّ يَخْرُجُوا﴾ لِقُوَّةِ حَصُونَهُمْ وَكُثْرَةِ الْعَدْدِ وَالْآلاتِ عَنْهُمْ . ﴿وَظَلُّوا﴾ أَنْ حَصُونَهُمْ تَنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ . ﴿فَأَنَّهُمْ﴾ أَمْرٌ ﴿أَللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَرَبِّ يَحْسِبُوا وَنَدَفَ فِي قُلُوبِهِمْ أَرْغَبَ﴾ حَتَّى خَرَبُوا دِيَارَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صَالَحُوا عَلَى أَنْ يَحْمِلُ كُلَّ ثَلَاثَةِ أَبِيَّاتِ حَمْلِ جَمْلٍ ؛ فَكَانُوا يَجْدُونَ الْخَشِبَةَ الْحَسَنَةَ مَدْهُونَةً فَلَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ تَخلِيَّتِهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَجْدُونَ مَا يَحْمِلُونَهَا عَلَيْهِ ، فَيَكْسِرُهَا الْيَهُودِيُّ صَاحِبَهَا ؛ حَسَدًا لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْتَلُوهَا ، وَيَكْسِرُهَا الْمُسْلِمُ إِرْغَامًا لِلْكَافِرِ وَهِيَ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿يَخْرُجُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَوْلِهِ : ﴿مِنْ حَيْثُ لَرَبِّ يَحْسِبُوا﴾ هُوَ قَذْفُ قُلُوبِهِمْ ، وَتَمْكِينُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَدْمِ بُنَيَّاهُمْ ، وَأَوْقَفُ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ حَلَّفُوا لِلْيَهُودِ عَلَى نَصْرِهِمْ ؛ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمِ الْجِنِّ ؛ فَكَفَوْا عَنْ قَتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَنَصْرَةِ الْيَهُودِ ، وَهَذَا كُلُّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَسَابِهِمْ . وَقَوْلُهُ : ﴿وَظَلُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعَمَّهُمْ﴾ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَظَنُوا أَنَّ حَصُونَهُمْ غَنِمَّهُمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الظُّنُنُ يَضُعُفُ الْحَصُونَ عَنِ الْمَنْعِ ، وَالَّذِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُمْ ظَنَوْا فِي نُفُوسِهِمِ الْقَدْرَةَ وَالْقُوَّةَ عَلَى دُفْعِ الْمُسْلِمِينَ . وَ﴿أَرْغَبَ﴾ الْخُوفُ الَّذِي تَرَعَدَ مِنْهُ الْفَرَائِصُ . وَالْقَذْفُ : الْإِلْقَاءُ بِقُوَّةٍ ، وَمِنْ قَيْلٍ لِلْأَسْدِ إِنَّهُ مَقْذُفٌ ؛ أَيْ : قَذْفٌ بِاللَّحْمِ قَذْفًا ، لِتَدَخُلِ أَعْضَائِهِ . وَالتَّخْرِيبُ وَالْإِخْرَابُ : الْإِفْسَادُ بِالنَّقْضِ ، وَالْخَرْبَةُ : الْفَسَادُ كَانُوا يَخْرُبُونَ بِوَاطِنِهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ ظَواهِرُهَا ؛ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ (٢٩٥/ب) مِنْ اسْتِئْصالِ شَأْفَتِهِمْ ، وَأَلَا تَبْقَى فِي الْمَدِينَةِ لَهُمْ دَارٌ ، وَلَا يَوْجِدُ فِيهَا مِنْهُمْ دِيَارًا . وَقَيْلٌ : تَخْرِيبُ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا هُمُ السَّبِبُ ، وَالْفَعْلُ يَنْسَبُ إِلَيْهِ الْمُتَسَبِّبُ فِيهِ وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ ؛ كَقَوْلِكَ : ضَرْبُ الْأَمْرِ الْلَّصِ . ﴿فَاعْتَرِرُوا يَكُافِلُ الْأَبْصَرِ﴾ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَمْكِينِهِمْ مِنْ تَخْرِيبِ دِيَارِهِمْ . وَقَيْلٌ : وَعْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ يَلْكِهِمُ اللَّهُ بِلَادَ

(١) سورة الفجر، الآية (٢٤).

(٢) نسبة السيوطي في الدر المثور (٩٢/٨) لعبد بن حميد عن عكرمة، ونسبة في (٨٩/٨) للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الكافار وأموالهم وحصونهم وإراحة المسلمين من مجاورتهم.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَعَذَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَّابًا أَنَّارِ﴾ (٢) ذلك  
يأْنَهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٣) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِسَنَةِ أَوْ  
تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَإِذَا ذَهَبَ اللَّهُ وَلَيُخْزِيَ الْفَسِيقِينَ (٤)﴾

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وعوقبوا بالبعد عن ديارهم لما قفع لهم بالجلاء وكفى  
بالجلاء عن الأوطان عقوبة.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل؛ كما فعل بأخوائهم بني قريطة؛ يعني : إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ﴿مِنْ لِسَنَةِ﴾ بيان لـ ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ و محل ﴿مَا﴾ نصب بـ  
﴿قَطَعْتُمْ﴾ والتقدير: أي شيء قطعتم، وأنت الضمير العائد على ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لأنه في معنى اللينة، واللينة : النخلة، من الألوان التي هي ضروب النخل، ما خلا العجوة والبرنية، وهما من أجود التخليل، ويؤثرها منقلبة عن واو لاكسار ما قبلها؛  
كتياب ومياه. وقيل : اللينة : الكريمة؛ كأنهم اشتقوها من اللين وجمعها لين.

وقرئ ﴿أُصُولِهَا فَإِذَا ذَهَبَ اللَّهُ﴾ (١) أي : قطعوا بإذن الله ﴿وَلَيُخْزِيَ الْفَسِيقِينَ﴾ ليذرلم  
ويغيبهم؛ فإنهم قالوا : إن محمداً كان ينهانا عن الفساد في الأرض، فما بال التخليل تقطع  
وهي لم تذنب، فنزلت هذه الآية (٢). وفيها دليل على جواز الاجتهاد من رسول الله ﷺ  
فإنه نهاهم عن قطع التخليل، ثم أمر به وأذن فيه، واحتج به من يقول إن كل مجتهد  
مصيب (٣).

(١) قرأ بها عبد الله بن مسعود والأعمش وزيد بن علي.

تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٢٩٤)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٠١).

(٢) نسبة السيوطي في الدر المنشور (٨/٩٧) للبيهقي في الدلائل عن مقاتل بن حيان.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٤/١٢) : " اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم المصيب واحد وهو من وافق الحكم الذي عند الله تعالى والآخر خطئ لا إثم عليه لعذرها، والأصح عند الشافعي وأصحابه أن المصيب واحد، وقد احتجت الطافتان بهذا الحديث، وأما الأولون القائلون كل مجتهد مصيب فقالوا قد جعل للمجتهد أجر فلولا إصابة لم يكن له أجر. وأما الآخرون فقالوا : سماه خططاً ولو كان مصيبة لم يسمه خططاً وأما الأجر فإنه حصل له على تعبه في الاجتهاد. قال الأولون : إنما سماه خططاً لأنه محظوظ على من أخطأ النص أو اجتهد فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد كالجماع عليه وغيره =

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكابٍ وَلَا كَانَ اللَّهُ يُسْلِطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾٦ ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ فَلَلَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسِكِينِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ فَحَذُّرُوهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾٧ ﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّغَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَتَصَرَّفُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَئِكَ هُمُ الْأَصْدِيقُونَ ﴾٨ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْأَيْمَنَ مِنْ قِبْلَهُمْ يُجْهَنُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةٌ مِمَّا أُرْتَوْا وَيُؤْتَوْنَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾٩ ﴾

قوله تعالى : «**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ**» أي : جعله خاصة له فيئاً. وأوجفت الدواب إذا أسرعت في السير؛ لأن هذا الفيء ما عاد إليهم بقتال، بل حصل لل المسلمين بغير تعب؛ فهو لرسول الله ﷺ يصرفه كيف يشاء، وأتي بالواو في الأولى؛ لأنها عاطفة لها على جملة سابقة تماثلها، وأتي في الثانية بغير واو؛ لأنها كالتفسير والشرح.

الدُّولَةُ وَالدُّولَةُ بمعنى واحد. وقيل : بضم الدال للشيء الذي يتداول؛ كاللقطمة والغرفة. والدُّولَةُ بالفتح : المصدر، والممعن أن الله (١/٢٩٦) تعالى أمر أن يكون الفيء للمصالح، ولا يفعل فيه كما يفعل الظلمة في اختصاصهم بحال الفيء.

قوله تعالى : «**وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ**» أي : وما أعطاكم «**فَحَذُّرُوهُ وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنْهُ فَانْهَوْا**» وقيل : إن قوله : «**وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ**» عام في كل ما أمر به من القسمة وغيرها، وكذلك

= وهذا الاختلاف إنما هو في الاجتهاد في الفروع فاما أصول التوحيد فال المصيب فيها واحد بإجماع من يعتقد به ولم يخالف إلا عبد الله بن الحسن العنبرى و داود الظاهري فصوبرا المجهدين في ذلك أيضا، قال العلماء: الظاهر أنهما أراد المجهدين من المسلمين دون الكفار والله أعلم .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٠٩/٧) : " المشهور أن الجمhour ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد وخالف الجاحظ والعنبرى وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضا : المصيب واحد. وقد ذكر ذلك الشافعى وقرره ونقل عن الأشعري أن كل مجتهد مصيب، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد. وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية : هو مصيب باجتهاده وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو خطأ وله أجر واحد ."

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٥٤/٨) : والحق أن كل مجتهد مصيب من الصواب لا من الإصابة.

﴿وَمَا نَهَنَّكُمْ عَنِهِ﴾ وهذا القول أبجود؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله : ﴿لِلْفَقَرَاءِ﴾ بدل من قوله : ﴿وَلِذِي الْقُرْبَةِ﴾ والمعطوف عليه، والذى منع الإيدال من ﴿فَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ﴾ والمعطوف عليهم - وإن كان المعنى لرسول الله - أن الله أخرج رسوله من الفقراء في قوله : ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وأنه يرفع رسول الله صلوات الله عليه عن التسمية بالفقر، وأن الإيدال على ظاهر اللفظ خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل. قوله : ﴿وَلَلَّهِنَّ تَبَوَّءُ الدَّارَ﴾ يعني : الأنصار، والمعنى : تبوعوا الدار، وأخلصوا الله الإيمان؛ لأن الإيمان لا يتبوأ؛ وكقوله [ من الرجز ] :

علقتها علينا وماء بارداً<sup>(١)</sup>

وقوله [ من الوافر ] : وزجاجنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيْنَوْنَا<sup>(٢)</sup>

أي : وكحلن العيون. قوله : ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي : من قبل المهاجرين. وقيل : من قبل هجرتهم. قوله : ﴿وَلَا يَحْدُثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةٌ مَّا أُوتُوا﴾ أي : طلب يحتاج إليه ما استأثر به المهاجرون من الفيء وغيره. والخصاصة : الفقر وال الحاجة مأخذ من خصاص الباب، وهي شفقة، وكان رسول الله صلوات الله عليه قد قسم أموال بني النضير على المهاجرين. ولم يعط الأنصار شيئاً إلا ثلاثة نفر؛ صحابين : أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل، والحارث بن الصمة، وقال للأنصار : " إن شتم جمعنا أموالكم وهذه الغنيمة وخصصناها بينكم وبين المهاجرين، وإن شتم أبقينا أموالكم لكم، وخصصنا هذه الغنيمة بالمهاجرين. فقالت الأنصار : بل نقسم لهم أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بهذه الغنيمة فلا نشاركم فيها؛ فنزلت<sup>(٣)</sup>. والشح : اللوم، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع، كما قال [ من الطويل ] :

يَارَسُّ نَفْسًا بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَرَّةٌ إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ مَهْلًا<sup>(٤)</sup>

(١) تقدم تخرجه في تفسير سورة النزاريات.

(٢) عجز بيت وصدره : إذا ما الغانيات برزن يوما، ينظر في : تفسير الطبرى (١٧٦/٢٧)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٣٩٠)، غريب الحديث للخطابي (١/٣٣٠)، لسان العرب (زجمع).

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٤١/٢٨).

(٤) ينظر البيت في : الكشاف للزمشيري (٤/٥٠٥)، فيض القدير للمناوي (٥/٤٦٥) وهو في وصف رجل بخيل، وكزة : شحيبة منقبضة عن فعل الخير، إذا غلبتها وأراد المعرف دعته إلى البخل وحجبته عن البذر فكانها قالت له : أهل فيطاوتها.

وأضيف إلى النفس؛ لأنَّه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه، ومنه قوله تعالى : «وَأَخْبَرَتِ الْأَنْفُسُ أَشَحَّ» (١) (٢٩٦/ ب) «وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ» وَمَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ عَلَى هُوَا هَا فَلَمْ يَطْعَمْهَا فِي الْمَنْعِ فَذَلِكَ هُوَ الْمَفْلُحُ .

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَّا خَوْنَا الَّذِينَ سَبَقُوْنَا إِلَيْهِمْ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ مَأْمُوْرَا إِنَّكَ رَبُّ وَلَّا رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَيْ الَّذِينَ نَافَقُوْنَا يَقُولُوْنَ لِإِلَّا خَوْنَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتَنَا خُرْجَبَ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِي كُوْنَ أَهْدَأَ وَإِنْ قُوْلَتْنَا نَصْرَتْكُمْ وَاللَّهُ يَشَهِّدُ إِنَّهُمْ لَكَذِيْنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على المهاجرين، وهم الذين هاجروا من بعد المهاجرين الأولين قائلين : «رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا» الآية. وقيل : هم التابعون بإحسان. (غلا) الغل والغم والحد [معنى] (٢). «يَقُولُوْنَ لِإِلَّا خَوْنَهُمُ الَّذِينَ» حالفوهم على قتال المشركين معهم : «لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ» الآيات، وقد استبط من هذه الآية معنى حسن وهو أن من فعل فعلًا أو قال قولًا وهو يعتقد بطلانه فكان صحيحاً وانتفع به المسلمين يكون عاصيًا بذلك. وإن هؤلاء المنافقين وعدوا اليهود النصرة، وغشوهم في ذلك، فلما رأوا أنهم مغلوبون خذلوهم، وقصدوا بذلك الخذلان تخليصهم من عهدة اليمين، ولم يقصدوا نفع المسلمين فانتفع المسلمون بذلك الخذلان، وذم الله تعالى الكفار عليه. قوله : «وَلَا تُطِيعُ فِي كُوْنَ أَهْدَأَ» أي : في ترك نصرتكم، أو ترك خذلانهم. (أَهْدَأَ آهْدَأَ) الآيات.

﴿لَئِنْ أَخْرَجُوْ لَا يَخْرُجُوْنَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوْلُوْ لَا يَصْرُوْهُمْ وَلَئِنْ تَصْرُوْهُمْ لَيُوْرُبَ الْأَذْبَرَ شَرَّا لَا يُصْرُوْنَ ﴿١٢﴾ لَأَنَّهُمْ أَسْدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِهُوْنَ لَا يُقْدِلُوْنَكُمْ جَيْعاً إِلَّا فِي قُرْبَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاهُ جُدُرٌ بِأَسْهَمِهِمْ سَدِيْدٌ تَحْسِبُهُمْ جَيْعاً وَقُلُوبُهُمْ شَقَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُوْنَ ﴿١٣﴾ كَشَكَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَّا أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ كَمَلَ الشَّيْطَانُ إِذَا قَالَ لِلَّانْسِنَ أَكَفَرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بِرَبِّي مُهْتَدٌ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ ﴿١٥﴾ فَكَانَ عَيْتَهُمَا أَنْهَمَا فِي الْأَنَارِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَرُوا أَظْلَالِيْمِيْنَ ﴿١٦﴾﴾

(١) سورة النساء، الآية (١٢٨).

(٢) ما بين المعقوفين ليس بالأصل وأضيف لإتمام المعنى والسيقان. وقرئ "غمرا" بدل "غلا" كما في الكشاف للزمخشري (٥٠٦/ ٤).

قوله : **﴿وَلَئِنْ تَصْرُّوْهُمْ﴾** أي : على طريق الفرض والتقدير بعد قوله : **﴿لَئِنْ أَخْرِجُوا﴾** الآية - فيه دليل على أن الله تعالى يعلم ما لا يكون؛ أن لو كان كيف يكون. قوله : **﴿لَيُؤْلِّبَ الْأَذْبَارَ﴾** أي : المنافقون يولون مدبرين واليهود المحاربون أيضاً منهزمون. قوله : **﴿رَهْبَةً﴾** مصدر لل فعل المبني على ما لم يسم فاعله؛ كأنه قيل : لأنتم أشد مرهوبية. قوله : **﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾** تلويع ببناقتهم؛ لأنهم يظهرون أنهم يخافون الله، وأنتم في صدورهم أهيب من خوف الله. فإن قيل : فيه دليل على أنهم كانوا يخافون الله، ولكن خوفهم منكم أشد، فجوابه : أن الخوف الذي يظهرونه من الله أضعف من الخوف الذي يخافونه منكم. **﴿قَوْمٌ لَا يَقْعَدُونَ﴾** لا يعلمون قدرة الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته. **﴿لَا يُقْنَطُونَ كُمْ﴾** لا يقدرون على مقاتلتكم. **﴿جَمِيعًا﴾** مجتمعين يعني : اليهود والمنافقين، إلا كاثرين **﴿فِي قُرْبَىٰ مُحَسَّنَةٍ﴾** بالخنادق والdrobs **﴿بِأَسْهَمِ بَيْتِهِمْ﴾** يعني : إذا اقتل بعضهم مع بعض ظهرت الجلادة والقوة، فإذا قاتلوكم حصل الرعب في قلوبهم. **﴿وَقُلُوبُهُمْ شَقَّ﴾** متفرقة، يعني : أن بينهم إينا وعداؤنا فلا يتعاوضون حق (٢٩٧/أ) التعاضد، وهذا تشجيع لقلوب المؤمنين وحث على قتالهم.

**﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾** أن تشتيت القلوب يوقع الوهن وقلة الثبات. **﴿كَمَّلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فِرَبِّا﴾** أي : مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. فإن قلت : بم انتصب **﴿فِرَبِّا﴾** ؟ قلت : بـ **﴿كَمَّلَ﴾** على كوجود مثل أهل بدر. **﴿وَبَالْأَمْرِهِمْ﴾** سوء عاقبته، يعني : ذاقوا عذاب القتل في الدنيا **﴿وَلَمْ﴾** في الآخرة عذاب النار. مثـل المنافقين في إغرائهم اليهود وخذلانهم إياهم وقت الحاجة بحال الشيطان **﴿إِذَا قَالَ لِلنَّاسِ أَكْفُرْ﴾** ثم تبراً منه عند الحاجة، والمراد به قوله لقرىش يوم بدر : **﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ أَنَّاسِ﴾** الآية (١) وقرئ : "خالدان فيها" (٢) على أنه خبر إن.

كرر الأمر بالتقوى إما توكيداً، وإما لأن الأول في أداء الطاعات، والثاني في اجتناب المعاصي، والسياق يدل عليه.

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٨).

(٢)قرأ بها ابن مسعود والأعمش وزيد بن علي وابن أبي عبلة.

ينظر : الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٢٩٩)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٠٧).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ وَلَا تَنْظُرْ نَفْسٌ مَا فَدَمْ لِغَدِيرٍ وَأَنْقُوا إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾١٨٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾١٨١﴾  
 يَسْتَوِي أَخْبَثُ النَّارِ وَأَخْبَثُ الْجَنَّةَ أَصْبَحَ الْجَنَّةَ هُمُ الْفَاجِرُونَ ﴾١٨٢﴾ لَوْ أَنَّا هَذَا الْقَرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَلَكَ الْأَمْثَلُ نَصَرِّبَاهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾١٨٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَدَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾١٨٤﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمِّشُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾١٨٥﴾ شَبَّحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾١٨٦﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَيِّعُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١٨٧﴾

﴿لِغَدِير﴾ لأقرب الأيام إليك، ما زال يقرب أمر الساعة حتى جعلها غداً كأن الدنيا والآخرة يومان يوم وغد، وأما قوله : ﴿وَلَا تَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ نكرة، فقللة الناظرين فيما عملوه وقدموه للآخرة، وأما تنكير الغد فلتعظيم أمره، وأنه يوم لا يقدر قدره. وقيل : مكتوب على باب الجنة : وجدنا ما عملنا؛ ربحنا ما قدمنا، خسرنا ما خلفنا. ﴿فَأَنْسَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ فأهلوها إهمال الناس؛ فلا ينظرون فيما قدموه ليوم القيمة، أو رأوا من أهوال الساعة ما نسوا به أمر الدنيا، جعلهم كالناسين فلا يدركون الفرق بين أهل الجنة وأهل النار. وقد استدل أصحاب الشافعي على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار إذا غلبوا على أموال المسلمين لم يملكوها، والغرض تقييع الإنسان على قلة تحفظه، وقلة نظره لنفسه<sup>(١)</sup>. الغيب : المعدوم، والشهادة : الموجود المدرك؛ كأنه يشاهده. وقيل : ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل : السر والعلانية، القدوس : بالضم والفتح، وقد قرئ بهما<sup>(٢)</sup> البليغ في التزاهة عما يستتبعه. ونظيره : السبوج والسلام بمعنى السلامة، وبه سميت الجنة دار السلام؛ بليغ في السلامة من الظلم، أو : في كونه سليماً من النقصان، أو : في إعطاء السلامة، وقرئ: "المؤمن" بفتح الميم<sup>(٣)</sup>. بمعنى: المؤمن به على حذف الجار. والمهيمن : الرقيب على كل شيء الحافظ له،

(١) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٦/٢٥)، الوسيط لأبي حامد الغزالى (٦/٢٧٣)، روضة الطالبين للنووى (١٠/٢٩٣، ٢٩٤)، التبيه للشيرازى (ص: ٢٣٥).

(٢) قرأ بالفتح أبو ذر وأبو السمائل وقرأ الباقون بالضم.

تنظر في : الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٠٩).

(٣) قرأ بها أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين. وقيل : ابن القعقاع.

تنظر في : الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٠٩).

مفيعل من الأمن؛ إلا أن همزته قلبت هاء. والجبار : أجب خلقه على ما أراد.  
 والمتكبر : البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل : المتكبر عن ظلم العباد، والخالق : المقدر لما  
 يريده، والبارئ : المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة (٢٩٧/ب) والمصور: المثلث  
 الذي يخلق المصورات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه : سألت رسول الله صلوات الله عليه وسلام عن اسم الله الأعظم  
 فقال : " عليك بآخر سورة الحشر؛ فأعادت عليه فأعاد علىي، فأعادت عليه فأعاد" <sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) ذكره بهذا السياق الزيلعي في تحرير الأحاديث والأثار (٤٤٢/٣) وقال : رواه الثعلبي، وذكر خotope عن ابن عباس ونسبة للواحدي في تفسيره الوسيط، وهو ما ذكر السيوطي في الدر المشور (١٢٣/٨) ونسبة  
 للدبلمي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وسلام : " اسم الله الأعظم في ستة آيات من آخر سورة  
 الحشر".

## تفسير سورة المتحنة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا مَأْمُوا لَا تَنْجُدُوا عَذْوَى وَعَدُوكُمْ أُولَئِكَ نَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُرْمِنُوا إِلَيْهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرْجَتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَآبَيْنَاهُ مَرْضَافِ شُرُورُنَّ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّ سَوَاءَ السَّيِّلُ ﴾١﴾

روي: أن مولاً لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: ألمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهب الموالي؛ تعني: قتلوا يوم بدر، فاحتاجت حاجة شديدة؛ فتحت عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فأتتها حاطب بن أبي بلتعة فأعطها عشرة دنانير وكساها برداً واستحملها كتاباً إلى أهل مكة نسخته: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة: اعلموا أن رسول الله ﷺ يريدكم؛ فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل بالخبر؛ فبعث رسول الله ﷺ علينا وعماراً وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد، وكانوا فرسائنا، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها، فإن أبته فاضربوا عنقها، فأدركوها، فجحدت وحلفت وهموا بالرجوع؛ فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه، وقال: أخرجني الكتاب، أو فضعي رأسك؛ فأنخرجه من عقاص شعرها<sup>(١)</sup>.

وروي أن رسول الله ﷺ أمن يوم الفتح جميع الناس إلا أربعة هي أحدهم، فاحتضر رسول الله ﷺ حاطباً، وقال: "ما حملك على ذلك؟" فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت، وما غششتك منذ نصحتك، ولا أحببthem مذ فارقتهم، ولكني كنت امرءاً ملحاً في قريش، ورأوني غريباً، وعرفت أن كتابي لا يعني عنهم من الله شيئاً؛ فصدقه وقبل عذرها؛ فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: ما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عيناً عمر، وقال:

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٨٥)، ومسلم رقم (٤٥٥٠).

الله ورسوله أعلم، فنزلت<sup>(١)</sup>. والعدوُ : من عدا؛ كالغفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر؛ عمول معاملته وأوقع على الجمع إيقاعه على الواحد.

ويتعلق **﴿تَلْقَوْنَ﴾** بالضمير في **﴿لَا تَنْجُذُوا﴾** وكان القياس (٢٩٨/١) حيث رجع الضمير إلى غير من هو له أن يقال : [ تلقون إليهم أنتم ]<sup>(٢)</sup>، وذلك إنما اشترط في الأسماء دون الأفعال، ولو قلت : ملقين إليهم بالمودة. لما كان بد من الضمير البارز، قوله : **﴿بِالْمَوَدَةِ﴾** أصله : تلقون إليهم المودة، والباء زائدة؛ كما في قوله : **﴿وَلَا تُلْقِوْا بِأَيْدِيْكُوْنَ﴾**<sup>(٣)</sup> على أن مفعول **﴿تَلْقَوْنَ﴾** محنوف، والتقدير: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ بسبب المودة التي كانت بينكم؛ وكذلك قوله : **﴿شَرُّوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ﴾**. قوله : **﴿وَقَذَّكَرُوا﴾** متعلق إما بـ **﴿لَا تَنْجُذُوا﴾** أو بقوله : **﴿تَلْقَوْنَ﴾**. قوله : **﴿يُخْرِجُوْنَ أَرْسَوْلَ﴾** كالتفسير لکفرهم وعثوهم، أو حال من " کفروا " و**﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾** تعليل لـ **﴿يُخْرِجُوْنَ﴾** أي : يخرجونكم لإيمانكم، قوله : **﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جَهَنَّمَ﴾** تعليل لقوله : **﴿لَا تَنْجُذُوا﴾** وهو شرط وجوابه محنوف دل عليه ما سبق. **﴿وَمَنْ يَقْعُلُهُ﴾** ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب. وقرأ الجحدري **﴿بِمَا جَاءَكُمْ﴾** مخففاً<sup>(٤)</sup> أي : کفروا لأجل ما جاءكم؛ بمعنى : أن ما كان ينبغي أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سبباً لکفرهم.

**﴿إِنْ يَشْقُوْكُمْ يَكُوْنُوا لَكُمْ أَعْدَاءٍ وَيَسْطُوْا إِلَيْكُمْ أَنْذِهِمْ وَالسَّنَّهُمْ بِالسُّوءِ وَدَوْا لَوْتَ كُفَّارُوْنَ﴾**<sup>(٥)</sup>

**﴿إِنْ يَشْقُوْكُمْ﴾** إن يظفروا بكم، لا تحصل الصدقة ولا تفيض المودة القديمة، وجاء **﴿شَقْوَكُمْ﴾** بالفعل المضارع، وجاء بعده **﴿وَدَوْا﴾** ماضياً؛ لأن الماضي إذا وقع في الشرط صار مستقبلاً؛ كأنه قال : وودوا قبل كل شيء کفركم.

**﴿لَنْ تَنْفَعُكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**<sup>(٦)</sup> فَذَكَرَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَاتَلُوا لِغَنِمَةٍ إِنَّا بِرَءُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِمَا يَنْتَنِي بَيْنَكُمُ الْعَدُوُّ وَالْبَعْضُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لَأَيُّوْلَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٤) ، ومسلم رقم (٤٥٥٠).

(٢) غير واضح بالأصل والثبت من الكشاف للزنخشري (٥١٢/٤) وهو مناسب للسياق.

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٥).

(٤) هذه قراءة الجحدري. تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٣٠٢/٦)، الكشاف للزنخشري (٥١٢/٤).

وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَرَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْلِكَنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا يَقْعُدُنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَأَغْيَرَ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لِكُوْنِهِمْ أَسْوَأُ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرُ وَمَنْ يَنْوَلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

خطأ رأيهم في موالة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولاً، ثم ما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالة ثانياً؛ ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت إليه وجدهه باطلاً أي : كان فيهم مذهب حسن مرضي يتأسى به، ويتبع أثره، وهو قوله لهم لكفار قومهم ما قالوا؛ حيث كاشفوهم العداوة، وأظهروا البغضاء والمقت؛ حيث صرحو بأنه ما كان من العداوة والبغضاء ليس إلا لکفرهم، ومتى دام هذا السبب دامت العداوة، حتى إذا آمنوا بالله وحده انقلب العداوة مودة والبغضاء محبة، ولما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في العداوة آباءهم وأبنائهم وجميع أقاربهم من الكفار، وعلم الله منهم الجد والصبر على تلك المشقة؛ فوعدهم بتيسير أمر الحبة وزوال العداوة بقوله : «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ يَنْتَكُرُ» الآية. فلما فتح الله مكة أسلم خلق كثير من أهلها، وزالت الحقدود وتحابوا.

وقيل : هو تزويج رسول الله ﷺ (٢٩٨/ب) أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان، وكانت أم حبيبة قد أسلمت، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر وأرادها على النصرانية فأبالت وصبرت على دينها، ومات زوجها فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها وساق عنده إليها أربعين ألف دينار، وبلغ ذلك أباها أبي سفيان، فقال : ذلك الفحل لا يقدر أنفه<sup>(١)</sup>.

«عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ يَنْتَكُرُ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادُوكُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةٌ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْنِلُوكُمْ فِي الْأَيَّامِ وَلَمْ تُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيْرِكُمْ أَنْ تَبُرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

(١) قال الزيلعي في تحرير الأحاديث والآثار (٤٥٤/٣) : غريب بهذا اللفظ. وروى أبو داود والنسائي من حديث عروة بن الزبير عن أم حبيبة : أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة فزوجها النجاشي النبي ﷺ، وأمهراها عنه أربعة ألاف درهم، ويعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحيل بن حسنة . قلت : رواه أبو داود رقم (١٨٠٢)، والنسائي رقم (٣٢٩٨).

ولا يقدر أي : لا يرتدع، وفحل لا يقدر أي : لا يضرب أنفه، وذلك إذا كان كريباً. قال ابن الأثير : يقال : قدعت الفحل، وهو أن يكون غير كريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكف . ينظر : لسان العرب (قعد)، النهاية لابن الأثير (٤/٢٤).

﴿إِنَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ وَظَاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوْلُوْهُمْ وَمَن يَتُوْلُهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَتَتْهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ جُنُلُّ لَهُمْ وَلَا هُنَّ بَرُّ لَهُنَّ وَمَا تُوْلُهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُنْسِكُو أَعْصِمَ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقُتمُ وَلَيَسْتُوا مَا أَنفَقُوا أَذْلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بِيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيُّ حِكْمَةٍ ﴾٢﴾

و﴿عَسَى﴾ وُعد من الله على عادات الملوك؛ حيث يقولون في بعض الحوائج : عسى، ولعل، فلا يبقى عند الحاجة شبهة في ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين. ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليل القلوب وتغيير الأحوال. ﴿أَن تَبُرُّهُمْ﴾ و﴿أَن تَوْلُوْهُمْ﴾ بدل مما قبلهما.

﴿إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ سماهن مؤمنات لتصديقهن في الظاهر. ﴿فَأَتَتْهُنَّ﴾ وكان النبي ﷺ يقول للمتحنة : " بالله الذي لا إله إلا هو، ما خرجت من بعض زوج ؟ بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ؟ بالله ما خرجت التماس دنيا ؟ بالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله " <sup>(١)</sup> ! ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ فإن خبرتم أحواهن فلا تردوهن إلى الكفار؛ فإنه لا يحل للمرأة أن تبقى على نكاح كافر، ولا لكافر مشرك أن يُبقي مسلمة في عصمتها، وأراد بـ " علمتموهن " الخبرة بقدر الطاقة. ﴿وَمَا أَنفَقُوا﴾ وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهر، وذلك أن صلح الخديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد إليهم، ومن أتاهم منكم لم يرد إليكم، وكتبوا بذلك كتاباً وختموه؛ فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلامية مسلمة، والنبي ﷺ بالخديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي. وقيل : صيفي بن الراهن؛ فقال : يا محمد، اردد إلى امرأتي ؟ فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاكم منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف؛ فنزلت بيائياً لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء. وقيل : كان الشرط بين النبي ﷺ وبين المشركين عهد لا يأتيك منها امرأة ليست على دينك إلا ردتها إلينا؛ فإن دخلت في دينك وها زوج أن ترده على زوجها الذي أنفق عليها، والنبي ﷺ ينزل عليه من السماء مثل ذلك. وقيل : نسخ هذا الحكم، واستحلفها رسول الله ﷺ (٢/٢٩٩) أ

(١) رواه الترمذى رقم (٣٢٣٠)، والطبرى في تفسيره (٢٨/٦٧)، ونبه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٣٧) لابن أبيأسامة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوبه بسنده حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال الترمذى : غريب. وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الترمذى رقم (٨/٣٣٠).

بإعطاء زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر<sup>(١)</sup>. وأراد بالعلم في **﴿عَلِمْتُهُنَّ﴾** غلبة الظن بالقرائن والاختبار التام، ثم نفى الحرج في تزويع المهاجرات إذا آتوهن أجورهن بقوله: **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾** هذا مذهب الشافعي، وأنه لابد أن تعتد المرأة المهاجرة، وعند أبي حنيفة: أنه لا يجوز إخلاء النكاح عن الصداق، ولا عدة على مهاجرة<sup>(٢)</sup>. **﴿وَلَا تُشْكُوا إِعْصِيمَ الْكَوَافِرِ﴾** العصمة: ما يعتض به من عقد وسبب. وعن مجاهد: أمرهن بطلاق من بقي في دار الحرب منهم **﴿وَسَلَوْا مَا أَنْفَقُتُمْ﴾** من مهور أزواجكم اللاحقات بالكافار. **﴿وَلَسْتُمُوا مَا أَنْفَقُوا﴾** من مهور نسائهم المهاجرات. **﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾** يعني ما ذكره في الآية. **﴿يَحُكُمُّونَ يَنْتَكُمْ﴾** بكلام مستأنف، أو حال من **﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾** على حكم الضمير، أي : يحكمه الله، أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة.

**﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبُتُمْ فَتَأْتُوا أَرْوَاحُهُمْ ثُمَّ لَمَّا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهَ أَلَّا يَنْهَا أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾** ﴿يَأَيُّهَا النَّيَّارُ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَيِّنْنَكُمْ عَلَى أَنَّ لَا يُشَرِّكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُشَرِّقُنَّ وَلَا يُرِيْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِنَ بِهِنَّ يَقْرَبُنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكُمْ فِي مَعْرُوفٍ فَبِإِعْنَانِ وَاسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُنُوا لَا تَتَوَلَّوْنَ قَوْمًا عَيْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدِيسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُدُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحَبِّ الْقُبُورِ ﴾**

وروي: أنه لما نزلت أولى المؤمنون ما أمرروا به من أداء مهور المهاجرات المؤمنات إلى أزواجهن المشركين، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين؛ فنزل قوله تعالى: **﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ﴾** أي : وإن سبقكم شيءٌ وانفلت منكم زوج من أزواجكم، عبر عنه بالشيء، وعدل عن **﴿الْأَيْدِي﴾** لأن مراده أن يتراك شيءٌ من هذا الجنس، وهي الزوجة المرتدة. **﴿فَعَاقِبُتُمْ﴾** من العقبة، وهي النوبة. **﴿فَتَأْتُوا﴾** فأعطوا من ذهبت أمرأته

(١) ذكر ذلك كله الزمخشري في الكشاف (٤/٥٠٨)، وأما زواجها من عمر عليه السلام فيه نظر؛ فقد روى البخاري في صحيحه رقم (٣٦٩١)، ومسلم رقم (٢٧٢٨) أن سبعة بنت الحارث كانت تحت سعد بن خولة وهو من بيبي عامر بن لوي وكان من شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع .

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٤/١٩٣)، أحكام القرآن للإمام الشافعي (٢/٦٨، ٦٩)، بداية المبدي للمرغيني (١/٦٦)، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد (٤/٣٣٢، ٣٣٤).

(٣) رواه الطبراني في تفسيره (٢٨/٧٢)، ونبه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٣٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

مثل ما ساق إليها من المهر. قيل : جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست؛ فأعطي رسول الله ﷺ لأزواجهن مهورهن من العنائم.

﴿وَلَا يَقْتُلُنَّ أُولَادَهُنَّ﴾ يريدهن وأد البنات ﴿وَلَا يَأْبَيْنَ بِمُهَمَّتِنَ يَقْرَبُنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَنْجُلِهِنَّ﴾

كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها : هو ولدي منك فذلك هو البهتان؛ لأن بطنها الذي يحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد به بين رجليها.

﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ في الذي تأمر به من المحسنات وتنهي عنه من المقبحات، وقيل: كل ما وافق طاعة الله فهو معروف وإنما قال : ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ ومعلوم أنه ﷺ لا يأمر بالمنكر؛ ليدل على أنه لا طاعة للأمر بالعصيان، وروي أن رسول الله ﷺ لما فرغ (٢٩٩/ب) من مبادعة الرجال جلس على الصفا يباعي النساء، وعمر أسفل منه يبلغهن ما يقول رسول الله ﷺ فقال : "أبأيعنكم على ألا تشركن بالله شيئاً، فقالت هند - وكانت واقفة متذكرة؛ لأنها مثلت بعم رسول الله ﷺ حمزة يوم أحد - : ما قمنا في هذا المقام وفي أنفسنا أن نشرك بالله شيئاً. فقال : ولا تسرقن، فقالت : إن أبي سفيان رجل شحيح، وإنه لا يعطيني ما يكفيه ولدي، إلا ما آخذ منه سراً، فقال : خذي ما يكفيك ولدك بالمعروف، فقال : ولا تزنين، فقالت : أو تزني الحرثة؟! فقال : ولا تقتلن أولادكن، فقالت : ربناهم صغاراً فقتلتهم كباراً، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، وكانت هند قد آلت على نفسها لتمثيل بحمزة؛ فإنه قتل ولدتها حنظلة فشققت عن قلبها، وأخرجت كبده فمضغتها، وأرادت أن تبتلعها فلم تقدر؛ فلفظتها، وإنما قالت : ربناهم صغاراً فقتلتهم كباراً؛ لعلها أن رسول الله ﷺ متأن لما جرى على عمه من المثلة؛ فذكرته ﷺ بالسبب الذي حملها على ذلك، فسري عنه بعض التسرية، وتبسم واستغرب عمر في الضحك " (١). وقالت عائشة : "باعي النساء بلفظه، والله ما مست يده يد امرأة غير أزواجه فقط " (٢). وقيل : غسل يديه ووجهه في قعب<sup>(٣)</sup> ملوء ماء، وكل من باعى غمست يدها في ذلك

(١) رواه البخاري رقم (٢٢١١)، (٢٤٦٠)، (٥٣٥٩)، ومسلم رقم (١٧١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٩١)، ومسلم رقم (١٨٦٦).

(٣) القعب : القدح الصخدم الغليظ الحافي. وقيل: قدح من خشب مقعر. وقيل: هو قدح إلى الصغر يشبه به الحافر وهو يروي الرجل، والجمع القليل أقبع. ينظر : لسان العرب (قعب).

ماء<sup>(١)</sup>. وقيل : كان عمر يصافحهن عنه<sup>(٢)</sup>.

روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيروا من بعض ثمارهم فقيل لهم : ﴿لَا نَتَوَلَّنَا فَوْمَا عَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يُسَوِّمُنَّ الْآخِرَةَ﴾ أن يكون لهم حظ في الآخرة **﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾** من أن يبعثوا أحياء . وقيل : **﴿مِنْ أَمْحَقِ الْقُبُورِ﴾** بيان للكفار ، والتقدير : كما يئس الكفار الذين هم في القبور أن ينالهم خير .

\* \* \*

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٢١)، وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/٦٣٧) ونسبة لابن إسحاق في المغازى من رواية يونس بن بكير عنه عن أبيان بن صالح.

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/٥٢١) قال الزيلعي في تحرير الأحاديث والآثار (٣/٤٦٤) :

" رواه ابن حبان في صحيحه عن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عطية عن جدته أم عطية قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر نساء الأنصار فجمعن في بيت، ثم أرسل إليهن عمر، فجاء عمر فسلم علينا، فقال : أنا رسول الله إلى يكن. فقلن : مرحبا برسول الله ﷺ. فقال : أبأيعنكم على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن إلى آخر الآية. ثم مد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت، فقال : اللهم اشهد. فباعناه. انتهى . وكذلك رواه الطبراني في معجمه والبزار في مسنده والطبراني في تفسيره وابن مردويه وأبو يعلى الموصلي في مسنده والنمسائي في كتاب الكني ". ثم قال : وفي الصحيح ما يدفع هذه الروايات عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يباع النساء بالكلام بهذه الآية **﴿عَنْ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾**. قالت : وما مست يده يد امرأة قط إلا امرأة يملكتها ". قلت :

رواه البخاري رقم (٦٦٧٤)، ومسلم رقم (٣٤٧٠) .

## تفسير سورة الصاف [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَيِّدَنَا مُحَمَّدُ أَنْتَ أَكْبَرُ﴾  
 ﴿سَيِّدَنَا مُحَمَّدُ أَنْتَ أَكْبَرُ﴾  
 ﴿سَيِّدَنَا مُحَمَّدُ أَنْتَ أَكْبَرُ﴾  
 ﴿سَيِّدَنَا مُحَمَّدُ أَنْتَ أَكْبَرُ﴾

﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تسقط ألف ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر؛ طلبًا للحقيقة؛ نحو : فيم و بم ﴿لَمْ تُحِمِّمْ﴾<sup>(١)</sup> ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَمَّ خَلَقَ﴾<sup>(٣)</sup> ويوقف عليها بالهاء ويجوز أن يوقف عليها ساكنة. وقيل : إن المؤمنين طلبو أن يفترض عليهم القتال وقالوا : نبذل نفوسنا وأموالنا، فأوجب الله ذلك عليهم، ففرروا يوم أحد، فغيرهم الله. واللفظ عام في كل من أخلف بفعله قوله : (٣٠٠ / ١).

وقيل : أبلى رجل من المشركين في المسلمين فابتدره صهيب فقتله، وانتحل قتله رجل آخر، فقال عمر لصهيب : أنت الذي قتلتني. فحدث به النبي ﷺ، فقال له صهيب : إنما قتلتني الله ولرسوله؛ فقال عمر : يا رسول الله ما قتله إلا صهيب؟ فقال النبي ﷺ : "أ كذلك يا أبا يحيى؟ فنزلت في ذلك الرجل الذي ادعى قتيله"<sup>(٤)</sup>.

وقيل : كان الرجل يقول : قتلت وطعنت ولم يفعل، فنزلت. وقيل : نزلت في المنافقين وأما ندائهم بالإيان فهو استهزاء بهم وتهكم.

﴿كَبَرَ مَقْتاً﴾ هذا كلام فيه معنى التعجب، وليس من الفاظ التعجب في شيء؛ كقوله [ من الطويل ] :

وَجَارٌ جَسَاسٌ أَبَانَا بَنِيهَا  
كَلِيَّا غَلْتُ نَابُ كَلِيبٌ بَوَاؤُهَا<sup>(٥)</sup>

(١) سورة التحرير، الآية (١).

(٢) سورة النباء، الآية (١).

(٣) سورة الطارق، الآية (٥).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٩٢)، ونسبة الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٦٩) للثعلبي.

(٥) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢٦١)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٠٩)، الكشاف للزمخشري (٣/٢٧٣) وهو لرجل من بني بكر؛ قبيلة جساس، يفترخ على بني تغلب : قبيلة كليب بن

ومعنى هذا التعجب تعظيم الأمر في نفوس السامعين؛ لأن التعجب إنما يكون في شيء خارج عن أشكاله ونظائره، ونصب المقت على التمييز إشعار تعظيم شأن ذلك؛ لأن المقت أشد البعض وأبلغه، وقد وصفه مع ذلك بالكبر، وإذا كبر عند الله تم استحقاق العقوبة عليه. وذكر الحبة بعد ذكر المقت لأولئك كأنه جعلهم في طرف نقىض.

**﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفَا كَانُوا هُمْ بِنَيْنَ مَرْصُوصٌ ﴾** ٤ **وَإِذْ قَاتَلَ**  
**مُوسَى لِقَوْمِهِ، يَقُولُ لَمْ تُؤْذُنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَرَأَغَ اللَّهُ**  
**فُلُوْبِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾** ٥ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ تَبَّاعِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً**  
**لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النَّورَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْمَهُ أَعْذُّ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾** ٦  
**وَمَنْ أَطْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** ٧ **يُرِيدُونَ لِيُطْنِي**  
**نُورُ اللَّهِ يَأْفِوهُمْ وَاللَّهُ مِنْ نُورٍ وَلَوْ كَرِهَ الْكُفَّارُ ﴾** ٨

**﴿صَفَا﴾** صفو أنفسهم أو صفهم صاف حتى وقفوا بغير خلل ولا فرجة بينهم، ويجوز أن يراد أنهم تساوا في الصفة حتى كأنهم بنيان قد رصف بعضه إلى بعض؛ مثل لاتفاق ثباتهم في القتال. قالوا : وفيه دليل على استحباب القتال راجلاً؛ لأن ركبان الخيل لا يمكنهم أن يصطفوا كذلك. قوله : **﴿صَفَا﴾** كأنهم حالان متداخلتان.

= ربيعة أخي مهلل، وخال أمرى القيس، وجارة جساس : هي خالتة البسوس. وأبأنا - بالهمز - أي : قابلينا وساورينا كلبيا، بناتها : أي : بناقتها المسنة، فقتلناه فيها، ثم قال تعجبًا واستعظاماً : غلت، أي : ارتفعت وعظمت ناقة مسنة مهزولة بواؤها كلب المشهور، وبواه : كسواء وزناً ومعنى، أي : كفؤها ومساويها كلب بن ربيعة الشجاع المعروف. وقصة البيت : أن البسوس أنت مع رجل من جرم تزور أختها هيلة أم جساس بن مرة فخرجت ناقة الجرمي ترعى مع إبل بني بكر في أرض تغلب لما كان بينهما من المصاهرة ولدودة، فأنكر كلب الناقة وطنها أجنبية، فرمها بسهم فأصاب ضرعها فرجعت تشخب دما، ويركت بفناء جساس، فرأتها البسوس فاصاحت : واذاه، واغرتها ! فقال جساس : اهلي، والله لا يقرن فيها فحلا هو أعز على أهله منها، فظن كلب أنه يعني فحلا عنده اسمه عليان، فقال : دون عليان خرط القتاد، لكن جساساً كان يعني نفس كلب، فترقه يوماً ورماه برمحه فصرعه، وتبعه عمرو بن الحارث، فلما رأه كلب قال له : اسقني يا عمرو، فقال : تركت الماء وراءك، وأجهز عليه، فضرب به المثل المشهور :

المستجير بعمرو عند كريته      كالمستجير من الرمضاء بالنار

واشتغلت الحرب بين بكر وتغلب نحو ثلاثين سنة، وضرب المثل السائر : سد كلب في الناقة.

و﴿وَإِذ﴾ منصوب بإضمار اذكر، أو حينما قال لهم جرى كيت وكيت. كانوا يؤذون موسى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ أَذَّوْهُ مُوسَى﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَقْرَبَ﴾ وقد علمتم، أي : تؤذوني عالمن علمًا يقينيًا أن رسول الله إليكم، وذلك يقتضي تعظيمي وتقديرني؛ لأن من عظم رسول الله ﷺ فقد عظم الله، ومن آذاه كان الوعد لاحقًا به. ﴿فَلَمَّا زَأْعُوا﴾ عن الحق طبع الله على قلوبهم. روي أن الحواريين قالوا : يا روح الله، هل بعدهنا أمّة ؟ قال : نعم أمّة أحد؛ حكماء علماء كأنهم من الفقهاء يرضون من الله بالقليل من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل<sup>(٢)</sup>. وانتصب ﴿مُصَدِّقًا﴾ و﴿وَمُبَيِّنًا﴾ على الحال أي : بعثت إليكم في حال تصديقي وتبشيري. ولا يجوز أن يعمل شيئاً؛ لأن حروف الجر (٣٠٠/ب) لا تعمل بأنفسها، إنما تعمل بما تضمنته من العامل الذي فيه رائحة الفعل.

مثلت حالم بمجال من ينفح في ضوء الشمس ليطفئه ﴿وَأَلَّهُمْ تُورِّه﴾ أي : ينصر الحق ويبلغ بحرمه حدّها.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينَ الْحَقِّ لِتُظْهَرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ ۖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۚ ۱﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا  
هَلْ أَذْكُرُ عَلَىٰ بَحْرَقَ شُجِّيكُرْ مِنْ عَذَابِ الْمِنْ ۚ ۲﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهْدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُ الْكُفَّارَ وَأَفْسِكُمْ  
ذَلِكُرْ خَيْرٌ لَكُرْ إِنْ كُمْ تَعْلَمُونَ ۚ ۳﴾ يَقْفَرُ لَكُرْ ذُنُوبَكُرْ وَيَدْخُلُكُرْ جَنَّتَ تَحْرِيٍّ مِنْ تَحْمَنَهَا الْأَنْهَرُ وَسِكَنَ طَيْبَةَ فِي  
جَنَّتَ عَذَنِ ۔ ذَلِكَ الْقَرْزُ الْعَظِيمُ ە ۴﴾ وَأَخْرَىٰ تَحْبُبُهُنَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَنْحٌ فَرِيدٌ وَبَشَرُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ ۵﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ  
أَمْنَوْا كُفُورًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْنَ مِنْ أَنْصَارِيْ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيْنَ هَنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ  
فَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَيْتٍ إِسْرَائِيلَ وَفَرَّتْ طَائِفَةٌ فَإِنَّا لَذِينَ أَمْنَوْعَلَى عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ۖ ۶﴾

﴿لِتُظْهَرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ﴾ أي : بالحجّة. وقيل : هو إذا نزل عيسى حكم حكمًا عادلاً، ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. قوله : ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ استئناف؛ كأنهم قالوا : كيف نعمل ؟ قال : تؤمنون، وهو خبر معناه الأمر، وهذا أجيب بقوله : ﴿يَقْفَرُ لَكُرْ﴾ مجزومًا، وإنما جاء لفظة ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ على الخبر ولم يأت به على الأمر إعلامًا أن هذا الإيمان والجهاد طريق الوصول إلى الجنة قطعًا وكذلك قول الداعي : غفر الله لك؛ لأن الدعاء استجيب؛ فهو يخبر

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٢٥).

عن ذلك. وقال الفراء<sup>(١)</sup>: «يَقْرِئُكُمْ» مجازوم بجواب قوله : «هَلْ أَدْلُكُمْ» وهو بعيد؛ لأن " هل " حرف ليس فيه معنى الفعل، فلا جواب له وتأويله أنه دال على دلالته على الأمر بذلك<sup>(٢)</sup>.

وقوله : «إِنْ كُنْتُمْ تَقْرَأُونَ» تقديره : إن علمتم ذلك خير فإنكم إذا علمتم ذلك أحببتم الإيمان والجهاد أكثر مما تحبونه قبل ذلك. وفي قوله : «جُحْوَنَا» شيء من التوبيخ على محنة العاجل. قوله : «وَفَتحَ قَرْبَتِ» قيل : هو فتح مكة. وقيل : بلاد فارس والروم. «كُفَّارَ الْأَنْصَارَ اللَّهُ كَافَّالْعِيسَى أَبْنُ مَرْئِمَ لِلْحَوَارِينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْمَوَارِيُونَ هُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ» والمراد : كونوا أنصاراً لله كما كان الحواريون أنصار عيسى، متوجهًا إلى نصرة الله أو ذاهبًا إليها، ولا يجوز أن يكون : من أنصارى مع الله؛ لأنه لا يطابق كلام عيسى، والحراريون أصفاء عيسى وأول من آمن به<sup>(٣)</sup>.

«فَآتَيْنَا» مؤمنيهم على كفارهم «فَأَصْبَحُوا» غالبين.

\* \* \*

(١) معاني القرآن (١٥٤/٣)

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٤/٥٢٧) : " فإن قلت : هل لقول الفراء أنه جواب " هل أدلکم " وجه؟ قلت : وجهه : أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد، فكانه قيل : هل تتجررون بالإيمان والجهاد يغفر لكم ؟ ". وقال السمين الحلبي في الدر المصنون (٦/٣١٢) بعد أن نقل قول الفراء : " وخالف الناس في تصحيح هذا القول؛ فبعضهم غلطه، قال الزجاج : ليسوا إذا دفهم على ما ينفعهم يغفر لهم إذا آمنوا وواجهدوا، يعني : أنه ليس مرتبًا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة. وقال المهدوي : إنما يصح حلا على المعنى، وهو أن يكون " تؤمنون " و " تواجهدون " عطف بيان على قوله : " هل أدلکم " وكان التجارة لم يُدرَ ما هي، فيبيت بالإيمان والجهاد فهي هما في المعنى، فكانه قيل : هل تؤمنون وتواجهدون ؟ قال : فإن لم يقدر هذا التقدير لم يصح؛ لأنه يصير إن دللتكم يغفر لكم، والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة ".

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٢٨).

## تفسير سورة الجمعة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَيِّدُهُ مَا فِي أَسْمَوَاتٍ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْكَلِيلُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِ مِنْهُمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَشْأُلُوا عَنِيهِمْ إِيمَانَهُمْ وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي صَلَائِلِ مُتَّبِعِينَ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوهُمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلَاتِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

قرئت صفات الله - عز وجل - بالرفع <sup>(١)</sup> على المدح، أي : هو الملك القدس، ولو قرئ بالتصب لجاز <sup>(٢)</sup> كقول العرب : الحمد لله أهل الحمد. «وَيَعْلَمُهُمْ» يطهرهم من الشرك، ومن قبائح أفعال الجاهلية. و«الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» القرآن والسنة. وـ «إن» في قوله - تعالى - «وَإِنْ كَانُوا» هي المخففة من الثقلية، واللام في قوله " لفي " هي الفارقة بين النافية والمخففة. «وَآخَرِينَ مِنْهُمْ» معطوف على «الْأَمَمِينَ».

وسئل رسول الله ﷺ عن الذين يحيطون بهم فوضع يده على رأس سلمان وقال : " لو كان الدين في الثريا لثالثه رجال من هؤلاء " <sup>(٣)</sup>. ويجوز <sup>(٤)</sup> أن يتتصب «وَآخَرِينَ» عطفاً على المضر المنصوب في " وَيَعْلَمُهُمْ " أي : ويعلم آخرين. شبهت اليهود في ابتداء أخذهم للتوراة ثم لم يعملا بها فيها بالحمار الحامل لكتب لا يدرى ما فيها ولا يحسن إلا بثقل الحمل، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فالحمار مثله.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلُ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْفَوْزِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِعْبَادَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَكَانُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ

(١) قرأها أبو وائل وسلمة بن مخارب وروبة.

تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣١٥)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٢٩).

(٢) قال الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/٥٢٩) وزاد : كقول العرب : الحمد لله أهل الحمد.

(٣) رواه البخاري في الصحيح رقم (٤٨٩٧)، ومسلم رقم (٢٥٤٦)، وأحمد في المستند (٢/٤١٧)، والترمذني

رقم (١٩/٣٣٥) عن أبي هريرة رض. قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/٣٣٥) :

" وقد ظهر ذلك بالعيان؛ فإنهم ظهر فيهم الدين، وكثير فيهم العلماء، وكان وجودهم كذلك دليلاً من

أدلة صدقه رض .

أَرْبَيْكُمْ لَهُ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَسَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴿٦﴾ وَلَا يَنْتَهُنَّ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ  
وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيَكُمْ شَرَبْدُونَ إِلَى عَذَابِ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيَتَسْعَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَتَأْبِيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُوْكِدُ لِلصَّلَوةِ مِنْ يَوْمِ  
الْجَمْعَةِ فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

﴿يُنَس﴾ مثلاً «مَثَلُ الْقَوْمِ» ﴿كَذَبُوا يَأْتِيَنَّ اللَّهُ﴾ أي : بالأيات الدالة على نبوة محمد ﷺ.  
ومعنى «خَمِلُوا التَّوْرَةَ» كلفوا العلم بها والعمل «كُمْ لَمْ يَحْمِلُوهَا» ثم لم يعملا بها؛ فكأنهم لم  
يحملوها. و محل «يَحْمِلُ» نصب؛ أي : حملوها كالحمار حامل الأسفار، ويجوز أن يكون محله  
جرأ؛ نعتا للحمار؛ لأنه لم يقصد حماراً بعينه؛ إنما أراد هذا الجنس فهو نكرة؛ فكأنه قال :  
كمثل حمار حامل للأسفار. دخلت الفاء في قوله : «فَإِنَّهُ مُلْقِيَكُمْ» لأن الكلام فيه معنى  
الشرط، وهو كقوله : «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ» (١) .

حاصله : أن دخول "إن" لا يمنع من دخول الفاء في الخبر؛ بخلاف لست ولعل (٢) .

[ يوم الجمعة : يوم الفوج المجموع ] (٣) فإن الفعلة : الذي يفعل به الفعل؛ فإذا قلت :

(١) سورة البروج، الآية (١٠).

(٢) قال ابن مالك : " حق خبر المبتدأ إلا يدخل عليه فاء؛ لأن نسبته من المبتدأ نسبة الفعل من الفاعل،  
ونسبة الصفة من الموصوف، إلا أن بعض المبتدأت تشبه أدوات الشرط، فتقترن بالفاء جوازاً وذلك : إما  
موصول بفعل لا حرف شرط معه، أو بطرف، وإما موصوف بهما، وإما مضاد إلى أحدهما، وإما  
موصوف بالموصول المذكور بشرط قصد العموم، واستقبال معنى الصلة، أو الصفة؛ نحو : " الَّذِي يَأْتِيَنِي،  
أَوْ فِي الدَّارِ فَلَهُ درْهَمٌ " .

فلو عدم العموم لم تدخل الفاء؛ لانتفاء شبه الشرط، وكذلك لو عدم الاستقبال، أو وجد مع الصلة، أو الصفة  
حرف شرط. وربما دخلت في خبر موصول مع عدم العموم، والاستقبال كقوله - تعالى - : «وَمَا  
أَصَبَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا يُبَاهَنُوكُمْ» [آل عمران : ١٦٦]. وإذا دخل شيء من نواسخ الابتداء على المبتدأ  
الذى اقترن خبره بالفاء أزال الفاء، إن لم يكن (إن) أو (أن) أو " لكن" بياجع من المحققين. فإن كان  
الناسخ " إن" أو " أن" أو " لكن" جاز بقاء الفاء؛ نص على ذلك في " إن" و " أن" سيبويه وهو  
الصحيف الذى ورد نص القرآن المجيد به كقوله - تعالى - : «إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ أَنَّهُمْ أَسْتَقْبَلُوكُمْ فَلَا حَاجَةٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ» [الأحقاف : ١٣] . وقوله - تعالى - : «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ  
مُلْقِيَكُمْ» كما ذكر المصنف هنا. ينظر : سرح الكافية الشافية لابن مالك (١/ ١٦١)،  
الكتاب لسيبويه (٣٤٧/ ١)، همع المواضع للسيوطى (٣٤٧/ ٢)،

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل ومثبت من الكشاف ويه يستقيم الكلام.

رجل ضُحْكَةٌ؛ فهو يُضْحِكُ منه، وإذا قلتَ : لُعنةٌ فهو يُلعَنُ، وأما إذا قلتَ : ضُحْكَةٌ فهو يُضْحِكُ من غيره، وإذا قلتَ : لُعنةٌ فهو يلعَنُ غيره، ومثله الْهُمَرَةُ واللَّمْزَةُ. قوله: ﴿مِنْ يَوْمِ  
الْجَمْعَةِ﴾ تفسير لـ "إذا" والمراد الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وكان لرسول الله ﷺ  
مؤذن واحد وكان إذا جلس الرسول ﷺ على المنبر أذن المؤذن<sup>(١)</sup>.

وقيل : كذب الله اليهود في ثلاثة دعاوى : أحدها : قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه؛  
فكذبهم بقوله : ﴿فَنَمَتُوا الْأَوْتَانَ كُلُّمَا كَثُرَتْ صَدِيقِينَ وَلَا يَشْتَرِئُهُ أَبَدًا﴾ وافتخرُوا بأن لهم كتاباً؛ فنزلت  
﴿مَنِلَ الَّذِينَ حُجِّلُوا إِلَى التَّوْرَةِ﴾<sup>(٢)</sup> وافتخرُوا بيوم السبت؛ فقال النبي ﷺ : "خير يوم طلعت  
فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة" <sup>(٣)</sup>.

﴿فَأَسْعَوْا إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ أَيِّ﴾ أي : فامضوا، ليس المراد السعي على الأقدام، والمعنى: العمل  
ومنه قوله تعالى : ﴿فَمَمَّا يَلْعَبُ مَعَهُ السَّعْيَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَ﴾<sup>(٥)</sup> أراد النهي عن  
كل ما يشغل عن ذكر الله، لم يأمرهم بتجارة ولا كسب، وإنما أمرهم بالتوفر على العبادة  
وعيادة المرضى وزيارة أخ في الله وشبيهه. وقيل : طلب العلم.

وقيل : صلاة التطوع.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَةُ فَأَنْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْغَوُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِحْرَةً أَوْ هَنَاءً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ  
النَّاجِزَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾<sup>(٧)</sup>

روي أن أهل المدينة (١/٣٠) أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة

(١) ذكره بهذا السياق السيوطي في الدر المنثور (٦/٣٢٦)، ونسبة عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن السائب بن يزيد، وأصله في الصحيح عند البخاري رقم (٩١٣) عن السائب بن يزيد.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٣٢).

(٣) رواه أبُو حَمْدَةَ في المسند (٢/٤٨٦)، وأبُو داود رقم (١٠٤٦)، والترمذمي رقم (٤٩١)، والنَّسَائِيُّ (٣/١١٣)، والحاكم في المستدرك (١/٢٧٨) عن أبِي هُرَيْرَةَ رض. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٣٤).

(٤) سورة الصافات، الآية (١٠٢).

(٥) سورة النجم، الآية (٣٩).

الكليبي بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه، فما بقي معه إلا يسير. قيل : ثمانية، وأحد عشر، واثنا عشر، وأربعون؛ فقال عليه السلام : " والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً " <sup>(١)</sup>. وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق؛ فهو المراد باللهو. وعن قتادة : فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير <sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٤٩) رقم (٨٢٠) بغير إسناد، وذكره السيوطي في الدر المثور (٦ / ٣٣١) ونسبة لابن مردويه عن ابن عباس رض.

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٨ / ١٠٤)، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٨ / ١٦٧) لعبد بن حميد عن قتادة.

## تفسير سورة المنافقون [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّمَا الْمُنَافِقُينَ لَكَذِبُونَ ① إِنْهُدُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ذَلِكَ بِأَيْمَنِهِمْ إِمَّا مَنَّا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾

أرادوا بقولهم : ﴿نَشَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة واطأّت قلوبهم فيها ألسنتهم؛ فقال الله عز وجل : قالوا ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الأمر كما يدل عليه قوله : ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَشَهِدُ﴾ إنهم ﴿لَكَذِبُونَ﴾ في قوله ﴿نَشَهِدُ﴾ وادعائهم فيه المطاولة، وأنهم كاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المطاولة لم تكن شهادة في الحقيقة، فهم كاذبون في تسميته شهادة، أو أراد : والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن قوله : إنك لرسول الله كذب.

فإن قلت : أي فائدة في قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؟ قلت : لو قال : "نشهد إنك رسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون" لكان يوهم أن قوله هذا كذب، فوسط بينهما قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ليحيط هذا الإيهام. يجوز أن يكون قوله : ﴿إِنْهُدُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ قوله : ﴿نَشَهِدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فجعل هذا اللفظ يبينا، وقد اختلف في العلماء؛ فبعضهم يقول : هو يبين إذا نوحاها. وقيل : اخذدوا أيماهم في معاملاتهم وأحوالهم أن يخلفوا بالله كاذبين. وقوله : ﴿إِمَّا مَنَّا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ والمنافقون لم تكن لهم حالة إيمان قط - معناه : أنهم آمنوا، أي : نطقوا بالإيمان كما ينطق به المؤمنون المخلصون، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، وبالكفر عند الكافرين؛ استهزاء بالإسلام؛ كقوله : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا إِنَّا مُنْتَهِيُّونَ﴾<sup>(١)</sup> ويجوز أن يراد أهل الردة منهم. ﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْهُمْ تُعْجِزُكُمْ أَجْسَادُهُمْ﴾ كان عبد الله بن أبي بن سلول جميل الصورة ممتليع الجسم، فصريح اللسان، وكانوا يجلسون مع رسول الله ﷺ في المسجد مستندين. قيل : إن (٣٠٢/١) الخشب إنما يتفع به إذا كان مستندًا إلى شيء؛ لأن يكون سعفًا لجدران تحمله أو أبواب مغلقة، فما دام خاليًا كان مستندًا إلى الحائط؛

(١) سورة البقرة، الآية (١٤).

فسبه المنافقين في قلة نفعهم بالخشب المسند إلى الحائط؛ فإنه في الغالب لا ينفع به كذلك.

﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ تَعْجِبُكَ أَجْسَامَهُمْ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِفَوْلَهُمْ كَانُوهُمْ حُسْنٌ مُّسَدَّدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُوَ الْعَدُوُّ فَأَحَذَرُهُمْ فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفِكُونَ ﴾ (٤)

﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ تَعْجِبُكَ﴾ يا محمد وأصحابك. وقيل : كان من رآهم وأبصر حسن هيئةهم أعجبهم صورهم وهيئتهم. قوله : ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي : لجنبهم واستشعارهم الخوف ﴿يَحْذَرُ الْمُنَفِّقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ شُوَرَةً﴾ (١) وقد أخذ الأخطل (٢) هذا المعنى فقال [ من الكامل ] :

ما زلتُ تحسُّبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَرِجَالًا (٣)

فُيوقَفُ عَلَى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وَيُبَسِّدَهُ : ﴿هُوَ الْعَدُوُّ﴾ أي : الكاملون في العداوة؛ لأن أعدى الأعداء قد يحبك ويظهر لك الحبة.

ويجوز أن يكون : ﴿هُوَ الْعَدُوُّ﴾ المفعول الثاني؛ كما لو طرح الضمير فقال : يحسبون كل صيحة عليهم العدو. وروي أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد؛ أجير لعمر يقود فرسه، وستان الجنبي؛ حليف عبد الله بن أبي، فاقتلا فصرخ جهجاه : يا للهارجين وستان : يا للأنصار؛ فأعاد جهجاهًا جعال (٤)؛ من فقراء المهاجرين ولطم سنانًا؛ فقال عبد الله : أجعل وأنت

(١) سورة التوبة، الآية (٦٤).

(٢) هو غيث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الدبياجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبًا بأدبه، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق، وحياناً في الجزيرة، توفي سنة (٩٠ هـ) تنظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (٤٨/٤٠٥).

(٣) ينظر البيت في : تفسير القرطبي (١٨/١٢٥)، روح المعاني للألوسي (٢٨/١١١)، فتح القدير للشوكتاني (٤/٥)، الكشاف للزنخشري (٤/٥٤١).

(٤) هو جعال ويقال : جعيل بن سراقة الضمري أو الغفاري أو الشعلي، كان من فقراء المسلمين وكان رجلاً صالحًا دمياً قبّحه أسلم قدّعًا وشهد مع رسول الله ﷺ أحدًا. ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/٤٨١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٤٥).

هناك، وقال: ما صحبنا محمد إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سُمِّنْ كلبكَ يأكلُكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعزُّ منها الأذلُّ، يعني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أحللتموهن بلادكم وقاسمتموهن أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جمال وذويه فضل الطعام لم يركب رقابكم ولاوشكوا أن يتحولوا عنكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفروا من حول محمد؛ فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال: أنت والله الذليل المنقص في قومك، ومحمد في عز من الرحمن، وقوة من المسلمين؛ فقال لزيد بن أرقم: اسكت؛ فإنما كنتُ أعبُ. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال عمر: دعني أضرب عنقَ المنافق يا رسول الله؛ فقال: إذن تُرَعَدُ أتُوفُ كثيرةً بيشرب، قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري فمر أنصارياً؛ فقال: فكيف؟ إذن تحدث الناسُ أنَّ مُحَمَّداً يقتل أصحابه؛ وقال عليه السلام عبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب (٣٠٢/ب) ما قلت شيئاً من ذلك، وإن زيداً لكاذب، فهو قوله تعالى: ﴿أَنْجَدُوكُمْ مِّنْ حَيَاةٍ﴾ فقال الحاضرون: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام لعله قد وهم<sup>(١)</sup>. وروي أن رسول الله ﷺ قال له: "لعلك غضبت عليه". قال: لا. قال: لعله أخطأ سمعك. قال: لا. قال: فلعله شبه عليك. قال: لا. فلما نزلت لحق رسول الله ﷺ زيداً من خلفه فرك أذنه، وقال: وفت أذنك يا غلام، إن الله قد صدقك، وكذب المنافق. فلما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه خباب - وهو عبد الله بن عبد الله، غير رسول الله ﷺ اسمه، وقال: إن حباباً اسم شيطان، وكان مخلصاً - وقال: والله لا تدخلها حتى تقول: رسول الله الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيساً في يده حتى أمره رسول الله ﷺ بتحليصه<sup>(٢)</sup>.

وروي أنه قال: لمن لم تقر لرسول الله بالعزّة لأضرben عنفك؛ فقال: ويحك أفعال أنت؟ قال: نعم، فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله ﷺ لابنه: "جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً"<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ سَعَاؤًا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَرَوَاهُ وَرَأَيْتُمُوهُ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكِرُونَ﴾

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٠٣).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٠١)، ومسلم رقم (٢٧٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب التزول (ص: ٤٥٣) رقم (٨٢١).

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِيءُ لِلنَّاسِ ﴾  
 هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلَهُ خَرَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَا الْأَعْزَمُنَا الْأَذَلُّ وَلَهُ الْعَزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَكِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهِمَا الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا لَا تُلْهِمُكُمْ أَقْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَقْعُلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٩﴾ وَانْفَقُوا مِنْ مَآرِزَفَتِكُمْ مِّنْ قِبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ أَحَدُكُمْ أَمْوَالُهُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَتَنِي إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤْخِرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

فلما باع كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آية شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك؛ فلوى رأسه ثم قال: أمرتوني أن أؤمن فآمنت، وأمرتوني أن أزكي مالي فزكيت، وما بقي إلا أن أسجد لحمد. فنزلت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَاوَنُوا﴾ الآيات، ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكي ومات<sup>(١)</sup>. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لأنهم كفار فلا تقبل عبادتهم؛ لأن الله تعالى لا يتقبلها منهم. ﴿وَلَهُ خَرَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو يرزق من يشاء ما يشاء. ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قيل : الصلوات الخمس<sup>(٢)</sup>. وقيل : عن ذكر الله بالتسبيح والتقديس. وقيل : القرآن. وقيل : الجهاد في سبيل الله<sup>(٣)</sup>.

﴿مَآرِزَفَتِكُمْ﴾ للتبسيط.

\* \* \*

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (١٧٤/٨) لعبد بن حميد وابن المنذر من طريق الحكم عن عكرمة.

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (١١٧/٢٨)، ونسبة السيوطي في الدر المثور (١٨٠/٨) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الضحاك.

(٣) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٤/٥٤٤) ونسب القول الأخير للكلبي.

## تفسير سورة التفابن [مدنية]

سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَيِّدُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَإِنَّكُمْ كَافِرُونَ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنُونَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تَبْشِّرُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ وَاللَّهُ عَلِمُ إِذَا تَأْتِيَنَا أَصْدِرُورِ ﴿٤﴾ الْمَرْءَاتِ كَثُرُ بَنُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ فَذَاقُوا وَيَا لَأَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبِيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبْشِرْ يَهُدُونَا فَكَفَرُوا وَتَوَلُّوا وَأَسْتَعْنُ اللَّهَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَمْدٍ ﴿٦﴾ زَعَمُوا أَنَّهُ كَفَرُوا أَنَّهُ لَمْ يَبْغُوا قُلْ بَلْ وَرَبِّ الْجَنَّاتِ مُمْلِكُ الْجَنَّاتِ يَعْلَمُ مَا عَلِمْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَإِنَّمَا يُبَاهِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُهُمُ الْجَمْعُ ذَلِكَ يَوْمُ الْغَيْبَاتِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُكَفَّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخَلُهُ جَنَّتَ مُجْرِيِّي مِنْ تَحْنَبِّهَا الْأَنْهَارُ حَدَّلِيَّاتٍ فِيهَا أَبْدَأَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِيَبْيَانِنَا أَفْلَاتِكَ أَصْحَابُ الْنَّارِ حَذَلِيَّاتٍ فِيهَا وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا آصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا يَذَّاكِنُ اللَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ شَيْءًا عَلِيمًا ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ قدم المجرور ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله، والاختصاص حاصل؛ لأن جميع النعم منه، وهو الذي يعطي الملك من يشاء.

قوله: «فَإِنَّكُمْ» وقدم الكفر؛ لأنه الأغلب والأكثر «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ إِذَا رَأَوْهُ حَرَضَتْ بِمُؤْمِنِينَ» (١) (١/٣٠٣) «وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَكِيرِينَ» (٢) قوله: «بِالْحَقِّ» مصحوبة بالحق. أخبر بعلمه بجميع ما في السماوات والأرض ليزيد القلوب مهابة وتعظيمًا بخلافه فلا تقدم على معصيته. «أَمَّرَيْتُكُمْ» الخطاب للكفار مكة؛ لم يقنع بالجزاء في الدنيا وما ذاقواه من الويل حتى أضاف له العذاب في الآخرة. «بِأَنَّهُ» اهاء ضمير الشأن والقصة «أَبْشِرْ يَهُدُونَا» أنكروا أن يكون الرسول بشرًا وأجازوا أن يكون الإله حجرًا.

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧).

﴿وَأَسْعَى اللَّهُ﴾ أطلق ليتناول كل شيء. ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الزعم: نسبة القول إلى الشخص مع البراءة من عهده، ويتعذر إلى مفعولين، و﴿أَن﴾ مع ما في حيزها سدت مسد مفعول "زعم" و﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أهل مكة. ﴿لِمَ﴾ إثبات لما بعد "أن" وهو البعث. ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وعني بالرسول محمدًا ﷺ وبالنور القرآن، وانتصب اليوم إما بقوله: "لتبيؤن" أو بـ"خبرير" لما فيه من معنى الوعيد، أو بإضمار "اذكر". ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ل يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. ﴿الْتَّغَابْنُ﴾ مأخذ من مغابة المتعاملين؛ كل واحد منها يغبن صاحبه، ويوم القيمة يصير الغابن مغبوناً والمغبون غابناً، وفي الحديث: "ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو كان أساء ليزداد إيماناً، وما من عبد يدخل النار إلا يرى مقعده من الجنة لو كان أحسن ليزداد حسرة" (١). ﴿يَهِدِ فَلَبِدُ﴾ يشرح صدره للأعمال الصالحة. وقيل: هو قول الرجل عند المصيبة لا حول ولا قوة إلا بالله. وقيل: يهدي قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصييه.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلِسْتَ كَمَلَ الْمُؤْمِنُوكَ ﴿١٣﴾ يَكَانُوا إِنَّمَا يُنَزِّلُ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوَّكُمْ فَأَحَدُرُوهُمْ وَإِنْ تَعْقُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا آمَوَّلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْفَوْا اللَّهُ مَا مَا سُطِّعُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطْبَعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لَا نَفْسٍ كُمْ وَمَنْ يُوقَ شَحَ نَفْسِهِ فَأُنَزِّلَكَ هُمُ الْمُقْلُوبُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ قَرَضُوا اللَّهَ فَرِضًا حَسَنًا يُضْعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهِدَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

وتقدير المجرور في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ يدل على الاختصاص عند الزمخشري (٢) وعلى الاهتمام عند غيره. إن بعض الأزواج يعادين أزواجهن إما لقلة الإنفاق، أو لاختلاف التدبير والرأي وكذلك الأولاد والضمير في قوله: ﴿فَأَحَدُرُوهُمْ﴾ للأزواج والأولاد ﴿وَإِنْ تَعْقُوا﴾ عنهم إذا اطلعتم على عداوة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ يغفر لكم.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٤٨)، ونسبة الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف

(ص: ١٧٣) لأبي نعيم في الحلبة في ترجمة سفيان الثوري، وقال: لم أره مرفوعاً.

(٢) ينظر: الكشاف (٤/٦٦٢).

وقيل: إن ناساً أرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: تهاجرون وتضيغونا؟ فرقوا لهم ووقفوا؛ فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم (٣٠٣/ب) قد تفتقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا هم؛ فزین الله لهم العفو.

وقيل: كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا بهم بأذاهم؛ فنزلت<sup>(١)</sup>.

﴿فَتَنَّأَّ﴾ بلاء ومحنة؛ لأنهم يوقعون في الإثم ألا ترى أن قوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَعْجَرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الحديث: "يؤتى برجل يوم القيمة فيقال: أكل عياله حسناه"<sup>(٢)</sup>.

وعن بعض السلف: العيال سوس الطاعات. وقيل: إذا جاء وقت الجهاد والهجرة فلا يثبطكم الأولاد والأزواج عنه. ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ حقيقته أن ﴿مَا﴾ مصدرية، وإن سبكت وصارت مصدرًا أضمننا قبل المصدر ظرفًا أو حالاً.

﴿إِنْ تُفْرِصُوا اللَّهَ﴾ تلطف في استدعاء الصدقة يجعلها قرضاً ﴿يُضَعِّفُهُ لَكُمْ﴾ بالزيادة إلى ما يشاء. ﴿شَكُورُ﴾ يفعل ما يفعله المبالغ في الشكر من إجزال العطاء.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة.

\* \* \*

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١٢٥/٢٨)، وذكره السيوطي في الدر المثور (١٨١/٨).

(٢) ذكره الزيلعى في تحرير الأحاديث والأثار في الكشاف (٤/٤٢) وقال: غريب مرفوعاً، وهو في الحلية لأبي نعيم من قول سفيان الثورى رواه في ترجمته.

## تفسير سورة الطلاق [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ طَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ وَأَتَقْوِا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَعْدَ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ طَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحِيدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمْراً ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَسْكِوُهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهُدُوْا ذَوَّي عَدَلٍ مِنْكُمْ وَأَقِمُوْا أَشَهَدَةَ اللَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَقْنَطُ اللَّهُ يَعْلَمُ لَهُ الْخَرْجَ ﴿٢﴾﴾

أفرد النبي بالنداء ثم جمع الضمير في قوله: **﴿إِذَا طَلَقْتُمْ﴾** و **﴿وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ وَأَتَقْوِا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾** لأن الخطاب مع النبي خطاب مع أمته إظهاراً لتقديمه.

**﴿إِذَا طَلَقْتُمْ﴾** إذا أردتم طلاقهن؛ كقوله - عليه السلام - : " من قتل قليلاً فله سلبه " <sup>(١)</sup>. والقتيل لا يقتل؛ ومن ثم كان الماشي إلى الصلاة والمتنظر لها في حكم المصلى <sup>(٢)</sup>.

قوله: **﴿لِعَدَّتِهِنَّ﴾** أي: مستقبلات الاعتداد. وقرئ: " في قبل عدتهن " <sup>(٣)</sup> وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للحيض الأول فقد طلقت مستقبلة للعدة؛ فإن الأقراء عند أبي حنيفة الحيض؛ لقوله عليه السلام: " دعي الصلاة أيام أقرائك " <sup>(٤)</sup>. أي: أيام حيضك، وطلاق السنة: أن يطلق الرجل المرأة في زمن طهر لم يجامعها فيه.

**﴿وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ﴾** واضبطوها. **﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾** من مساكنهن التي وقعت فيها العدة، سواء كان المنزل مملوكاً للزوج أو مستأجرًا أو مستعاراً، لا تخرجوهن من بيوتهن مكرهات **﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾** طالعات. **﴿بِفَحْشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾** قيل: هي الزنى، يعني: إذا زنت

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢١)، ومسلم رقم (١٧٥١).

(٢) روى البخاري رقم (٦٤٧)، ومسلم رقم (٦٤٩) عن أبي هريرة رض عن النبي صل قال: " ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة " وهو جزء من حديث طويل.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصور للسمين الحلبي (٣٢٩ / ٦) قراءة رسول الله صل.

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٩٧)، والترمذني رقم (١٢٦)، وابن ماجه رقم (٦٢٥)، عن عدي بن ثابت عن أبيه عن جده. وفي سنته أبو اليقطان وأسمه عثمان بن عمير وهو ضعيف جداً، وبه ضعفه أبو داود، وفيه كذلك جهة جد عدي بن ثابت.

المعتدة جاز إخراجها من المنزل؛ لإقامة الحد عليها. وقيل: هو البداءة على أحماها، وروي: أن النبي ﷺ أخرج فاطمة بنت قيس من منزلها لبداءة كانت فيها على أحماها<sup>(١)</sup>. قوله: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ» مع الفعل (٣٠٤/أ) كالمصدر فيسكنه مصدرًا ثم يقدر قبله زماؤ أو حالاً فيصير التقدير إلا زمان إتيان فاحشة مبيبة.

قوله: «لَعَلَّ اللَّهَ يُحِدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» أي: رجعة وطيب قلوب من البعض إلى الخبر.

«فَإِذَا لَفَنَ أَجَهَنَّ» أي: انقضت عدتها، والأجل يطلق على آخر المدة، ويطلق على المدة بجملتها فتقول: آخر الأجل وضع الحمل، وتقول: مدة الأجل مدة الحمل، وهو أن لا يكون لهم غرض في الشهادة إلا إقامة الحد لا مراعاة أحد في الشهادة له أو الكتمان. قوله: «يَجْعَلُ لَهُ تَحْرِجاً» أي: من مضائق الفرقا فإنه يصحبها قاله واختلاف قول فيفرج عنه ذلك كله.

«وَرَزِقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ إِنَّ اللَّهَ بِلَعْ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ② وَالَّتِي يَسِّنُ مِنَ الْمَعِصِيَّةِ مِنْ نَسَابِكُمْ إِنَّ أَرْبَيْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنْ وَأَوْلَتُ الْأَحْمَالَ أَجَهَنَّ أَنْ يَضْعَنَ حَلَمَهُنَّ وَمَنْ يَتَقَوَّلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرِرُ ③ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْ لَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبَ اللَّهُ يُكَفِّرُ عَهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْطِيهِ لَهُ أَجْرًا ④ أَسْكَنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنُوا مِنْ وُجُودِكُمْ وَلَا نُصَارَوْهُنَّ لِتُصَبِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنْ أَوْلَتِ حَمْلٍ فَانْقُضُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضْعَنَ حَلَمَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعُنَّ لَكُمْ فَأَنُوْهُنَّ أَجْوَاهُنَّ وَأَتَرْوَا يَنْكُمْ يَعْرُوفُونَ وَإِنْ تَعَسَّرْتُمْ فَسَارِعُوهُنَّ أَخْرَى ⑤ ⑥»

«بَلِعُ أَمْرِهِ» أي: يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب. قوله: «إِنَّ أَرْتَتْهُ» في الدم الذي يحيي بعد الإياس فقدر الإياس بستين سنة أو بخمس وخمسين؛ فهذا حكمهن. «وَالَّتِي لَمْ يَحْضُنْ» عدتها ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة الكلام عليه. وعن ابن عباس: "من شاء لاعته أن سورة النساء القصري وهي سورة الطلاق نزلت بعد القي في البقرة"<sup>(٢)</sup>. وروي: أن سبعة الأساسية وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليل ف قال ﷺ: "قد حللت

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٤٧٤/٧).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (١٤٢/٢٨)، ونسبه السيوطي في الدر المثور (٢٠٣/٨) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وأبى داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود عليه السلام وليس عن ابن عباس عليه السلام كم ذكر المصنف هنا، فعلمه وهم أو سبق قلم من الناسخ.

فانكحي<sup>(١)</sup>. وقال بعض العلماء: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أقصى الأجلين: مدة الحمل أو أربعة أشهر وعشراً؛ أيهما كان أقصى اعتقدت به<sup>(٢)</sup>. من "في قوله: «من حيث سكتُ» هي للتبييض «من وجدهم» تقدير لقوله: «من حيث سكتُ» والوتجد: الوسع والطاقة، والنفقة عند أبي حنيفة واجبة للمطلقات كلهن، وعند الشافعي ومالك: ليس لهن إلا السكنى بلا نفقة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا نُضَارُ وَهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْنَ﴾ بأن يزاحما في المسكن، أو يمنعها من الحقوق الواجبة عليه أو يضاجرها لتفتدي من صداقها. فإن قلت: ما فائدة قوله: «وَإِن كُنَّ أُولَئِكَ حَلْ فَأَنْتِقُوا عَلَيْنَ حَقَّ يَضَعُنَ حَمَاهُنَّ» والنفقة واجبة عند أبي حنيفة سواء كانت حاملاً أو حائلاً. قلت: فائدته أن مدة الحمل إذا طالت قد يظن أنها تسقط فنفي ذلك الوهم بقوله: «حَقَّ يَضَعُنَ». فإن قلت: فالحامل المرضع إذا توفي عنها زوجها هل لها نفقة؟ قلت: قد اختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن أرضع هؤلاء المطلقات ولد المطلق أعطين (٤٠/٤) أجرهن، وكان حكمهن حكم الأجانب، أما ما دامت الزوجية باقية فلا يجوز إجارتها للزوج عند أبي حنيفة ويجوز عند الشافعي<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَتَرُوا يَتِيمَكُمْ مِعْرُوفِ﴾ أي: ليشر بعضكم على بعض بالمصلحة. «وَإِنْ قَاتَسْتُمْ» اختلافتم. «فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى» فسييسر الله - تعالى - لهذا الولد من يرضعه.

﴿لِيُنْفِقُ ذُو سَعْةٍ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَنْشَأَ اللَّهُ لَا يُكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَنْتَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عَسْرٍ سَرَّا ⑦ وَكَيْنَ مِنْ قَرِيبَةٍ عَنْ أُمِّ رَبِّهَا وَرِسْلِهِ فَحَاسِبُنَّهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبَنَّهَا عَذَابًا شَدِيدًا ⑧ فَذَاقَتْ وَبَالَ أُمِّهَا وَكَانَ عَيْنَهَا أَشَرَّهَا خَمْرًا ⑨ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَأَنْقُوا اللَّهُ يَكْأُلُ الْأَتْبَبِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذَكْرًا ⑩ رَسُولُكُمْ يَنْهَا عَلَيْكُمْ إِنَّ اللَّهَ مُبِينٌ لِمُتَّرْجِحَ

(١) رواه البخاري رقم (٥٣١٨)، ومسلم رقم (١٤٨٤).

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٨/٩٣)، الفواكه الدواني للنفراوي المالكي (٢/٥٧)، حاشية العدوبي (٢/١٥٦)، الأشباء والنظائر للسيوطى (١/٤٨٠).

(٣) ينظر: المداية شرح البداية (٢/٤٤، ٤٥)، الأم للإمام الشافعى (٥/٣٥ - ٤٠)، التمهيد لابن عبد البر (١٥/٤٣).

(٤) ينظر: المداية شرح البداية (٢/٤٤، ٤٥)، أحكام القرآن للجصاص (٢/١٠٤)، المهدى للشيرازى (٢/١٦٨)، مغني المحتاج للشرييني (٢/٣٤٥).

الَّذِينَ إِمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلُهُ جَنَّتَ بَغْرِي  
مِنْ تَحْكِيمِهِ الْأَنْتَرِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَخْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾

و القرئ: "لينفق" <sup>(١)</sup> أي: شرعاً ذلك لكي ينفق. قوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ سَرْكًا﴾ وعد بسعة الرزق على فقراء ذلك الزمان أو على الفقراء من المتزوجين إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا. قوله: ﴿وَكَيْنَ مِنْ قَرِيبٍ عَنْت﴾ أي: عنا أهلها.

وكذلك ﴿فَحَاسِبْنَهَا﴾ و﴿وَعَذِبْنَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فتبيّن المضرر المتقدم. ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالمناقشة والاستقصاء، والمراد: حساب الآخرة وعذابها؛ لأن المفترض من وعد الله ووعيده كائن لا محالة، وقوله: ﴿أَعْدَ اللَّهُ لَهُم﴾ تفسير للوعيد السابق، ويجوز أن يراد: أحصينا أعمالهم وكتبناها في كتب الحفظة.

﴿وَرَسُولِهِ﴾ جبريل، وإعرابه أنه بدل من قوله: ﴿ذَكْرًا﴾ وجاز بدل جبريل من الذكر؛ لأنّه النازل بالوحي مقترباً به، أو جعل جبريل ذكراً لكثره ذكره الله وعبادته؛ فكأنّه هو الذكر.

﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَمْرُ بِيَنْهُنَّ لَتَعْلَمُوْا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبره. وقيل: ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية <sup>(٢)</sup>. وقيل: بين كل سماءين خمسماة عام <sup>(٣)</sup>.

﴿يَنْزَلُ الْأَمْرُ بِيَنْهُنَّ﴾ أي: يجري حكم الله وقضاءه بينهن. وعن قتادة: في كل سماء من سماواته وأرض من أرضه بينهن كذلك <sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) قرأ بها معاذ القاري. تنظر في: الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٣١)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٦٠).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/٥٦١).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء والإلbas عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس (١/١٢٤) ونسبة

للحافظ ابن رجب في كتاب التخريف من النار بسنده عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبراني في تفسيره (٢٨/١٥٤).

## تفسير سورة التحرير [مدنية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي لَعَثَرْتُمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ تَبْتَغُونَ مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

روي أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمي وقد حرمت مارية على نفسي، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمري. فأخبرت به عائشة وكانتا متتصادقتين. وقيل: خلا بها في يوم حفصة فأرضها بذلك واستكتمتها فلم تكتم فطلقتها واعتزل نساءه، ومكثت تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية<sup>(١)</sup>. وروي أن عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك، فنزل جبريل وقال: راجعها؛ فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة<sup>(٢)</sup>. وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فواتطأت عائشة وحفصة فقالتا: إننا نشم منك (٣٥٠ / ٣٥) ريح المغافير، وكان رسول الله ﷺ يكره النتن فحرم العسل<sup>(٣)</sup>. فمعناه: ﴿لَعَثَرْتُمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من ملك اليمين أو من العسل. و﴿تَبْتَغُونَ﴾ إما تفسيراً لـ "تحرم" أو حال، أو استئناف، وكان هذا سهواً منه ﷺ فإنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله؛ لأن الله جل وعلا إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله؛ فإذا حرم ما أحل كان ذلك قلب المصلحة مفسدة. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قد غفر لك ما سهوت فيه **﴿رَّحِيمٌ﴾** قد رحمك فلم يؤخذك به.

(١) رواه البخاري رقم (٥٢٦٦)، ومسلم رقم (١٤٧٤).

(٢) نسبة السيوطي في الجامع الصغير للحاكم، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٠٧) وقال الشيخ الألباني: "فائدة: دل الحديث على جواز تطليق الرجل لزوجته ولو أنها كانت صوامة قوامة ولا يكون ذلك بطبيعة الحال إلا لعدم تمازجها وتطاوعها معه وقد يكون هناك أمور داخلية لا يمكن لغيرهما الاطلاع عليها ولذلك فإن ربط الطلاق بموافقة القاضي من أسوأ وأسخف ما يسمع به في هذا الزمان الذي يلهج به كثير من حكامه وقضائه وخطبائه بحديث "أبغض الحال إلى الله الطلاق" ، وهو حديث ضعيف كما قال الشيخ الألباني في إرثاء الغليل (٢٠٤٠).

(٣) بهذا اللفظ والزيادة في آخره " وكان يكره النتن فحرم العسل" ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والأثار في تخريج الكشاف (٤٦٢ / ٤) وبدل "النتن": "التفل". وأصل الحديث في الصحيحين دون هذه الزيادة؛ رواه البخاري رقم (٤٥٣١)، ومسلم رقم (٢٦٩٤)، وفي رواية للبخاري رقم (٦٤٥٧)، ومسلم رقم (٢٦٩٥) " وكان رسول الله ﷺ يشتغل عليه أن يوجد منه ريح".

﴿فَدَرْضَ اللَّهُ لَكُوكْ تَحْلَةَ أَيْمَنِكُمْ وَاللَّهُ مُوْلَكُكْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْعَكِيمُ ﴿١﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيِّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاهِهِ حَدَيْتَ فَلَمَّا نَبَاتَ بِهِ وَأَظَهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَغْرَى بَعْضَهُ فَلَمَّا بَيَّنَهَا يَدِهِ قَاتَ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ بَنَائِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٢﴾ إِنْ تُؤْمِنَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوْلَهُ وَجَنِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُلَكِيَّكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرُ ﴿٣﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَتِ مُؤْمِنَتِ قَيْنَتِ تَبَيْنَتِ عَيْدَاتِ سَيْحَتِ شَيْنَتِ وَأَنْكَارًا ﴿٤﴾ يَتَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَوَا أَفْسَكُوكَ وَأَهْلِكُوكَ نَارًا وَقُودُهَا أَنَاسٌ وَالْجَارَةُ عَلَيْهَا مَلِيَّكَهُ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ يَتَأْيَهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَنْعِذُرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُخْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا ثُوَبَا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصْوَحَا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيْنَاتِكُمْ وَيَدْخُلَكُمْ جَنَّتِ بَخْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَذْهَرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يُورَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَقْسِمُ لَنَا نُورَنَا وَأَعْنَزْنَا لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ يَتَأْيَهَا النَّبِيَّ جَهَدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَقْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

﴿فَدَرْضَ اللَّهُ لَكُوكْ تَحْلَةَ أَيْمَنِكُمْ﴾ فيه معينان؛ أحدهما: قد فرض الله لكم الاستثناء في أيديكم؛ من قولك: تحلى في يمينك: إذا استثنى فيها، ومنه: حلا أبیت اللعن، بمعنى: استثن في يمينك إذا طلتتها، وذلك أن تقول: إن شاء الله عقيبه؛ حتى لا تحدث. والثاني: قد فرض الله لكم تحليتها بالكافرة، ومنه قوله عليه السلام: "لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم" <sup>(١)</sup>.

فإن قلت: ما حكم تحريم الحلال؟ قلت: قد اختلف فيه؛ فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود من تلك العين؛ فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله، أو أمة فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاع منها إذا لم يكن له نية؛ في تفاصيل تذكر في كتب الفقهاء <sup>(٢)</sup> وقد أساء الزمخشري الأدب على رسول الله ﷺ المعموت رحمة للعالمين حيث قال: وكانت زلة من النبي ﷺ وإنما الزلة القبيحة من الزمخشري <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري رقم (١٢٥١)، ومسلم رقم (٢٦٣٢) عن أبي هريرة رض.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١٠٩/٤)، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢١٧/٤)، بدائع الصنائع للكاساني (١٦٨/٣)، التمهيد لابن عبد البر (٢٤٩/٢١)، كشف النقانع للبهوتى (٢٤٠/٦)، المبدع لابن مفلح الخبلي (٢٧٣/٩)، الهدایة شرح البداية للمرغبی (١٣/٢).

(٣) ينظر قوله في: الكشاف (٤/٥٦).

وقوله: **﴿فَلَمَّا بَاتَتِ يَوْمًا﴾** أي: حفصة وعائشة **﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾** أي: أطلعه عليه. **﴿عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضِهِ﴾** عتبها على أمر مارية وحرميها، ولم يذكر حديث خلافة الشيفيين<sup>(١)</sup>. وعن الحسن: ما استقصى كريم قط في العتاب؛ بل يترك بعض ما يعتب عليه؛ حتى يقول السامع: ما علم بذلك، وهو من أكمل محسن الأخلاق<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنما ترك حديث ولاية الشيفيين؛ لأنه خشي أن يكثر فيه القال والقول؛ فقطع الحديث كيلا يكثر. **﴿فَوَأَنْفَسُكُمْ وَأَهْبِكُمْ﴾** لا تعطف الكاف في "أهليكم" على الواو في "قوا"؛ لأن الواو في "روا" ضمير فاعل مرفوع، والكاف في "أهليكم" مجرور بإضافة الأهل إليها فهي في موضع جر، ولا يعطف المجرور على المرفوع. وتقدير هذا الكلام: قوا أنفسكم، وليق أهلوكم أنفسهم من النار<sup>(٣)</sup>. قوله: (٣٥/ ب) **﴿وَالْحِجَارَةُ﴾** قيل: إنها حجارة الكبريت؛ لشدة حرها واستعالها، والمشهور أنها هذه الحجارة المعروفة.

وقيل: الأصنام؛ لقوله تعالى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾**<sup>(٤)</sup> قوله: **﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ﴾** مثل قوله: **﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَوْمَئِذُونَ﴾** فما فائدة التكرار؟ قلت: الجملة الأولى تدل على أنهم يفعلون ما يأمرهم الله به، ويبادرون إلى قوله، ومعنى الثانية: حصول فعل ما أمروا به، فهما جملتان مختلفتان.

قوله: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** افتح الخطاب مع المؤمنين، ثم نقله إلى الكفار، وقد قال تعالى في سورة البقرة: **﴿وَقُودُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعْدَتْ لِكُفَّارِنَ﴾**<sup>(٥)</sup> فجعلها مخصوصة بهم، وفيه وجوه: أحدها: المراد من آمن بلسانه ولم يؤمّن قلبه.

والثاني: يحذر من الردة والعود إلى مساكنة الكفار. والثالث: أن دركات النار متفاوتة ويشمل الجميع اسم جهنم؛ فهم مساكنون للكفار وإن اختلفت طبقاتهم. قوله: **﴿لَا**

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٦/ ٣٧٠) ونسبة لأبي نعيم في فضائل الصحابة عن الصحاح ولابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨/ ٢١٩) لابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) قال الزخري في الكشاف (٤/ ٥٦٨): " وقرئ " وأهلوكم " ، عطفا على واو " قوا " وحسن العطف للفاصل فإن قلت: أليس التقدير: قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم ؟ قلت: لا، ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده، فكانه قيل: قوا أنت وأهلوكم أنفسكم " .

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

(٥) الآية (٢٤).

تَعْذِيرُوا» إما لأجل أنهم لا عذر لهم، أو لأنهم لا يقبل منهم الاعتذار. «تَوْبَةً نَصْوَحًا» هو من الإسناد المجازي، وإنما النصوح التائب يتصحّح نفسه بتبعة لا غش فيها، وعبر المقدّمون عن ذلك: ألا يعودوا إلى الذنب؛ كما لا يعود اللبن إلى الصرّع، وهذا مبالغة ومن تاب توبة مخلصة فقبلت منه، ثم وقع في الذنب مرة أخرى لم تبطل تلك التوبة، ويستأنف العمل في المستقبل.

«يَوْمَ لَا يُخْفِرُنِي اللَّهُ أَلَّا لَيَّ» ومن دخل النار فقد أخزى بنص القرآن «تُؤْهَمُ يَسْعَ» على الصراط. «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْمَ لَنَا تُورَنَا وَأَغْفِرْنَا» يقولونه وهو على الصراط، وقد شرح في سورة الحديد<sup>(١)</sup>. «جَهَدِ الْكُفَّارَ» بالسيف «وَالْمُنَافِقَينَ» بالحجّة، واستعمل العلامة والخشونة في الجهاد السيف والحجّة.

﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحَ وَأَمْرَاتٍ لُوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادَنَا صَلِيلَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَاهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقَبِيلَ أَذْخَلَاهُنَّا مَعَ الْذَّاهِلَيْنِ ١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَاتَلَ رَبَّ أُبَيْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةَ وَنَجَّيَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ١١ وَمَنْمَمَ أَبْنَتْ عِمَرَنَ الَّتِيْ أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخَكَافِيهِ مِنْ رُوْحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنِ ١٢ ﴾

شبه الكفار في انقطاع التواصل بينهم وبين المؤمنين بامرأة نوح وامرأة لوط؛ لم ينفعهما مواصلة رسول الله ﷺ وشبه انتفاع المؤمنين بوصلة الإيمان وإن كانوا متقطعين في الدنيا بامرأة فرعون لم يضرها طغيانه وكفره. وذكر امرأة لم يكن لها وصلة إلى مؤمن ولا كافر فعملت صالحة؛ فجوزيت عليه أحسن الجزاء بـ «وَمَنْمَمَ أَبْنَتْ عِمَرَنَ الَّتِيْ أَحْصَتْ فَرْجَهَا» فأمر الله جبريل ففخ فيها من روحه (٦/٣٠٦).

«وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِيْنِ» ولم يقل من القانتات؛ كقوله: «إِنَّكَ كُثُنَتْ مِنَ الْخَاطِئِيْنِ»<sup>(٢)</sup> أي: من القوم القانتين انقسموا إلى ذكور وإناث، وهذا التمثيل بامرأة نوح وامرأة لوط تعريض بما جرى من عائشة وحفصة في أمر العسل، أو في أمر مارية.

\* \* \*

(١) عند تفسير الآية (١٢).

(٢) سورة يوسف، الآية (٢٩).

## تفسير سورة الملك [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدِيهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① إِلَّا خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِتَبْلُغُكُمْ أَثْكَرُ أَحَسَنَ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ②﴾

﴿تَبَرَّكَ﴾ تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين. ﴿الَّذِي يَدِيهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَادِيرٌ﴾ من المكنات ﴿قَادِيرٌ﴾ وذكر اليد مجاز في الاستيلاء على الشيء والتصرف فيه. والمراد بـ﴿الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وجود ذلك منه، والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفوون ﴿لِتَبْلُغُكُمْ﴾ عاملكم معاملة المبتلى والمحترب ﴿أَثْكَرُ أَحَسَنَ عَمَلاً﴾ أخلصه وأصوبه؛ لأنه إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل، وإذا كان صواباً غير مخلص لم يقبل؛ يعني: أعطاكم الحياة التي تسلطون بها على العمل، وسلط عليكم الموت الذي بعده البعث والجزاء، وذلك هو الذي يوجب اختيار الأفعال الحسنة، واجتناب السيئة، وقدم الموت على الحياة؛ لأن أعبد العباد من نصب الموت بين عينيه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْغَافُورُ﴾ من تاب ولم يتب.

﴿إِلَّا خَلَقَ سَبَعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُتٍ فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هُلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ③ إِنْ أَنْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّيْنَ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④﴾

﴿طَبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض التفاوت: عدم التناوب. قوله: ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ من وضع الظاهر موضع المضرر، والمضرر: ما ترى في خلقه من تفاوت. والخطاب في ﴿مَا تَرَىٰ﴾ للرسول ﷺ أو لكل مخاطب ﴿فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ﴾ الفاء للسببية، والتقدير: لا تفاوت فيها وإذا ثبت ذلك فردد النظر مراراً لتسويق عدم التفاوت. ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ من صدوع وشقوق، مأخوذة من فطر ناب البعير: إذا شق. ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ أي: إذا رجع بعد التأمل والاجتهاد رجع خائباً لم يظفر بما طلب من الشق والعيب، ويقال خسأت الكلب: إذا طردته، ومنه: ﴿قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وحسن يحسن: إذا أعياناً، ومنه:

(١) سورة المؤمنون، الآية (١٠٨).

﴿لَا يَسْتَكِرُونَ عَنِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> لا يعيون، وليس المراد بالشنية في قوله ﴿كُثُرٌ﴾ حقيقةها، بل المراد مراراً كثيرة؛ كقوله: "لبيك وسعديك"<sup>(٢)</sup>. يريد تلبية كثيرة وإسعاداً كثيراً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَنِسْ الْمُصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أَلْقَوْفَهَا سَعِيْلَهَا شَيْقَا وَهِيَ تَقُورُ ﴿٧﴾ تَكَادَ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَيَ فِيهَا فَوْحَ سَالْمُ حَرَّنَهَا الْغَيْظُ كَمَنْزِيرٍ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَبَنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْكَانَسْعَمْ أَوْ تَقْعِيلُ مَا كَافَ أَصْحَبَ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَبِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عِلْمُ رِبِّنَاٰتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿الْدُّنْيَا﴾ (٦/٣٠) ب) ليس المراد منها التي في مقابلة الآخرة؛ بل المراد المكان القريب منكم؛ أي: السماء القريبة منكم؛ من دنا الشيء يدنو فهو دان، والمسابيع: السرج سميت بها الكواكب، والناس يزيتون مساجدهم ودورهم بالمسابيع. ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ مع كونها زينة ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ مانعة من استراقهم السمع. قال قتادة: خلق الله النجوم ثلاثة أمور: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٩).

(٢) رواه أبو داود رقم (٦٤٩) وصححه الشيخ الألباني في تخريج سنن أبي داود رقم (٧٦٠) في حديث طويل ولفظه: "كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر، ثم قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحبتي لله رب العالمين، لا شريك له وإن ذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله لي إلا أنت، أنت رب وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعتبرت بذنبي، فاغفر لي ذنبي جيعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تبارك وتعالى، أستغفك وأتوب إليك، وإذا رکع قال: اللهم لك رکعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصرى وخي وعظامي وعصي، وإذا رفع قال: سمع الله ملء حده، ربنا ولد الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، فأحسن صورته وشق سمعه وبصره، وتبارك الله أحسن الخالقين، وإذا سلم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به، مي أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت".

لا علم له به <sup>(١)</sup> والرجوم: جمع رجم، وهو ما يرجم به، وجعل الكواكب رجوماً؛ أي: ذات رجوم؛ فإن الناس اختلفوا؛ فقال أكثرهم: إن الكواكب لا يرجم بها، بل يخرج منها نار، وهي المسماة **﴿شَهَابًا﴾** يترجم بها الجن ويقى الكوكب في مكانه لا يتغير. وقال آخرون: يرجم بالكواكب، وهو ظاهر قوله: **﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾** **﴿وَأَعْنَدَنَا لَهُم﴾** للجن المسترق في الآخرة **﴿عَذَابَ السَّعِير﴾** **﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي: من الشياطين وغيرهم. **﴿سَيِّعُوا مَا شَهِيقًا﴾** ظاهر الآية أن الشهيف الذي يسمع هو من نفس جهنم. وقال آخرون: الشهيف لمن دخلها. قيل: وقت إلقاءهم؛ كقوله تعالى:

**﴿فَمَآءِ الَّذِينَ شَهَوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا رَفِيرٌ﴾** <sup>(٢)</sup> ووجه الجمع بين الآيتين حصول الأمرين معاً. **﴿تَغُورٌ﴾** تغلي الحب في القدر، وقوله: **﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾** شهادة تغطيتها عليهم وإرادتها الانتقام منهم الله. ويجوز أن يراد الزبانية وغيظهم على أهل النار؛ كقوله تعالى: **﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةِ عَنَتْ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿إِنَّ أَنْتَ مُدَلِّلٌ إِلَيْنَا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾** إما من كلام الله، أو من كلام الزبانية. وقيل: من كلام الكفار، وهو بعيد. **﴿فَسُحْقًا﴾** أي: بعدا لهم. **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** أي: بضمائرها.

**﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرٌ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَلَكُونُوا مِنْ رَزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْشُّورُ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿أَمْنِنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿أَمْنِنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿أَوْلَئِكَ يَرْوَأُونَ إِلَيَّ الْطَّيْرَ فَوَقْهُمْ صَنْفَتْ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾** <sup>(٩)</sup> **﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفَّارُونَ إِلَّا فِي عُرُورٍ﴾** <sup>(١٠)</sup> **﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجَأُوا فِي عُتُوقٍ وَنَقْوِرٍ﴾** <sup>(١١)</sup> **﴿أَفَنَ يَمْشِي مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَعْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** <sup>(١٢)</sup> **﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَشَاكَهُ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأُفْقَةَ فَلِيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾** <sup>(١٣)</sup> **﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشِرُونَ﴾** <sup>(١٤)</sup> **﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** <sup>(١٥)</sup> **﴿قُلْ هُوَ الَّذِي رَأَوْهُ رُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَعُونَ﴾** <sup>(١٦)</sup> **﴿قُلْ أَرَأَيْتَ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعَيْ أَوْ رَحَمَنَا فَمَنْ يُحِيدُ الْكُفَّارِ مِنْ مِنْ عَذَابِ الْيَسِيرِ﴾** <sup>(١٧)</sup> **﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ﴾** <sup>(١٨)</sup>

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١٤ / ٩١ - ٩٢) عن قتادة .

(٢) سورة هود، الآية (١٠٦).

(٣) سورة الطلاق، الآية (٨).

قوله: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» إنكار على من يزعم أنه لا يعلم الجزئيات، ويرد عليهم: «وَمَا يَعْرِبُ عَنْ رَيْكَ مِنْ مَثْقَالٍ ذَرَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» مفعول له؛ فلا يصح للاحتجاج كما ذكرت؟ قلنا: الخلق تفتقر إلى العلم؛ فإذا قال: ألا يعلم؟ صار التقدير: ألا يعلم من علم؟ والشيء لا يعلل بنفسه؛ فلابد أن تقدر مفعولاً: ألا يعلم الخالق ما خلقه؟

المشي في مناكبها مثل لفروط التذلل لا إذن في الاتتساب بالتجارة. «مَنْ فِي السَّمَاءِ» فيه وجهان: أحدهما: من في السماء سلطانه؛ لأنها منازل الملائكة المقربين.

والثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأن الله في السماء - تعالى عن ذلك - (١/٣٠٧) فخطبهم بما يعتقدون<sup>(٢)</sup>. «كَيْفَ تَنْذِيرٌ» أي: كيف باقية إنذاري. «مِنْ قَبْلِهِمْ» عاد وثمود وغيرهم. «صَنَفَتِ» بسطات أجنحتهن في الجو «وَيَقِضُّنَ» أي: يضممنها؛ فإن قيل: لم قال: «صَنَفَتِ وَيَقِضُّنَ» ولم يقل: قابضات؟ قلت: لأن البسط هو الأصل في الطيران والقبض طارئ عليه، وهو شبيه بالسابع؛ فإن الأصل فيه بسط أطرافه والقبض يظهر بعد. «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُوْنُ» يتولى مصالحكم ورزقكم فيكون عوناً لكم وجندًا. «مُكَبَّلَعَلَّ وَجْهَهُ» اسم فاعل من أكب، وهذا الفعل من عجائب الأفعال؛ فإنه إذا دخلته الهمزة صار غير متعد، وإذا حذفت تعدى<sup>(٣)</sup>. «فَلَمَّا زَوَّهُ» أي العذاب الذي وعدوا به «زُلْفَةً» أي: قريباً «سَيَّشَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أدركتها المساءة.

كان كفار مكة يدعون على النبي ﷺ وعلى أصحابه بالهلاك؛ فأمر أن يقول لهم: «أَرَأَيْتُ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيْ» فإذا نقلب في الجنة، وإن من الله علينا بالنصر عليكم شفي

(١) سورة يونس، الآية (٦٦).

(٢) هذه الآيات من آيات الصفات وقد تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/٥٨٢) ورد عليه أبو حيان في البحر المحيط (٨/٣٠٣) وأغلظ عليه في رد، وأنصفه السمين الحلبي منه في الدر المصنون (٦/٣٤٧) فليراجع ذلك في موضعه.

الغليل<sup>(١)</sup>. وقيل: إن أهلتنا الله في الدار الآخرة بذنبنا ونحن مسلمون «فَمَنْ يُحِبُّ الْكَفَرِينَ» وهم أولى بالهلاك.

﴿قُلْ أَرَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَا قُذِّغَوْرَا فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَا وَعَيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿غَوْرَا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض، و﴿غَوْرًا﴾ وصفاً بالمصدر مبالغة؛ كقوتهم: رجل عدل وصوم وفطر.

\* \* \*

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٥٨٣).

## تفسير سورة ن [القلم]

[ مكية ]

دِسْرِيَّةُ الْمُنْجَنِيَّةِ

﴿تَ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنَعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَيْرَ مَمْتُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّصْ وَبِصِّرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿تَ﴾ حرف من حروف المعجم. وقيل: هو الدواة، قال في الكشاف: <sup>(١)</sup> وأما قوله: إنه هو الدواة. فلا أدرى فهو وضع لغوي، أو شرعي؟! وإذا كان اسمًا للدواة؛ فإما أن يكون جنسًا، أو علمًا؛ فإن كان جنسًا فأين الإعراب والتنوين، وإن كان علمًا فأين الإعراب؟ وأيًا ما كان. فإن قلت: هو مقسم به وجب أن تجره وتنونه إن كان جنسًا، ويكون القسم بدواة منكرة مجهرة؛ كأنه قيل: دواة والقلم، وإن كان علمًا أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه؛ للعلمية والتأنيث.

وكذلك تفسيره بالحوت؛ إما أن يراد نون من عرض الحيتان أو علمًا للبهמות الذي زعموا أن الأرض فوقه. والتفسير باللوح من نور أو ذهب، ونهر في الجنة ونحو ذلك، وبالقلم لما فيه من المنافع وضبط العلوم وإتقانها للمتغرين.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يكتب من كتب. وقيل: ما يسطره الحفظة، و "ما" موصولة أو مصدرية، ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه؛ فيكون الضمير لهم، والمراد: أصحاب القلم ومسطوريهم <sup>(٦)</sup> / بـ (٣٠٧) أو سطوريهم، ويراد به: كل من يسطر أو يريد به الحفظة. والباء في قوله: **﴿بِنَعْمَةِ رَبِّكَ﴾** باء الحال، والتقدير: تبين بتقييده لو قلت: أنت بحمد الله موفق؛ فإذا قلت: ما أنت بحمد الله بمجنون كانت الباء كما هي في تقديرها فكانه قال: ما أنت مجنونًا بنعم الله؛ أعملها في النفي إعمالها في الإثبات؛ كما تقول: ما ضرب زيد عمرًا؛ فتنصبه كما تنصب: ضرب زيد عمرًا. **﴿وَإِنَّكَ﴾** على احتمال ذلك والصبر عليه **﴿لَأَجْرًا﴾** لثوابًا **﴿عَيْرَ مَمْتُونٍ﴾** غير مقطوع؛ كقوله: **﴿عَطَاهُ عَيْرَ مَمْدُونٍ﴾** <sup>(٢)</sup> أو غير ممنون به عليك. استعظام الله

(١) ينظر: الكشاف (٤/٥٨٤).

(٢) سورة هود، الآية (١٠٨).

خلقه لفوت احتماله ما يؤذى به وحسن مداراته لقومه، وعن عائشة أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: " كان خلقه القرآن، أقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

﴿يَا يَابْنَكُمُ الْمُقْتُونُ﴾<sup>(٦)</sup> إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ<sup>(٧)</sup> فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ<sup>(٨)</sup> وَدُولَأَنْتُهُنْ فِي دُهُونَ<sup>(٩)</sup> وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَافِ مَهِينَ<sup>(١٠)</sup> هَمَازِ مَشَاءِ نَمِيمِ<sup>(١١)</sup>﴾

﴿الْمُقْتُونُ﴾ الجنون؛ لأنَّه فتن، أي: امتحن بالجنون، والعرب تزعم أنَّ الصرع من تخيل الجن، والباء زائدة، و﴿الْمُقْتُونُ﴾ مصدر، كالمعقول والمجلود؛ أي: بأيكم الجنون، أي: بأي الفريقين يوصف بالفتنة: المؤمنون أو الكافرون، وهو تعريض بأبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة وأخواهما، وهو كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَدًا مِّنَ الْكَذَابِ الْأَثِيرِ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالجاني على الحقيقة وأعلم ﴿بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ أو يكون وعداً ووعيداً؛ وكانت الكفار قد دعوا إلى دين آبائهم؛ فنهي عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ وقوله: ﴿وَدُولَأَنْتُهُنْ﴾ لو تلين وتصانع ﴿فِي دُهُونَ﴾ . فإن قلت: لم رفع ﴿فِي دُهُونَ﴾ ولم ينصب بإضماره؟ لأنَّه جواب التمني الذي دل عليه "لو" ؟ قلت: تقديره: فهم يدهنون؛ كقوله: ﴿فَمَنْ يَوْمَنْ بِرَبِّهِ، فَلَا يَخَافُ﴾<sup>(٣)</sup> أي: ودوا إدهانك فهم الآن مدهنون أي: طامعون في حصول الإدهان منك. قال سيبويه: وزعم هارون أنها في بعض المصاحف " فيدهنوا " <sup>(٤)</sup>. ﴿حَلَافِ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به زجرًا من يكثر الحلف. ومثله: ﴿وَلَا جَمِلُوا عَرْضَةً لِيَنْتَهِكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>

وقوله: ﴿مَهِينِ﴾ من المهانة، وهي القلة في الرأي والتميز، أو أراد الكذاب؛ لأنَّه حقير بين الناس. ﴿هَمَازِ﴾ عيَّاب طعن. وعن الحسن: يلوي شدقه في أقوية الناس إذا ولوا<sup>(٦)</sup>. والنميم والنميمة: السعاية.

(١) سورة المؤمنون، الآية (١) والحديث رواه مسلم رقم (١٢٣٣)، وأحمد في المسند رقم (٢٣٤٦٠)، وأبو داود في سننه رقم (١١٤٤).

(٢) سورة القمر، الآية (٢٦).

(٣) سورة الجن، الآية (١٣).

(٤) الكتاب لسيبوه (٤٢٢/١).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٢٤).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٥٨٦/٤).

﴿مَنَعَ لِلْحَمِيرِ مُعْتَدِلَ أَشِيمٍ ﴿١﴾ عُتَّلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿٢﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ إِذَا تُتَلَّ عَلَيْهِ  
إِنَّنَا قَالَ أَسْطِرِ الْأَوْلَيْتَ ﴿٣﴾ سَيِّمَةُ عَلَى الْخَرْطُومِ ﴿٤﴾﴾

﴿مَنَعَ لِلْحَمِيرِ﴾ ي يريد به البخل ومنع الواجب من أهله. قيل: هو الوليد بن المغيرة؛ كان موسراً (٣٠٨ / ١) وله عشرة من البنين، وكان يقول لهم: من أسلم منكم منعته رفدي وقيل: هو أبو جهل. وقيل: الأسود بن عبد يغوث، وقيل: هو الأخنس بن شريق، أصله من ثقيف وعداده في زهرة؛ ولذلك قيل: «زنيم» قال الشاعر [من الطويل]

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع<sup>(١)</sup>

﴿مُعْتَدِلٌ﴾ مجاوز حده في الظلم. «أشيم» كثير الآلام. «عتل» غليظ جاف؛ من عتلته: إذا قاده بغلظة وعنف. «بعد ذلك» أي: بعد ما عدل له من المثالب والنقائص. «زنيم» دعي؛ وكان الوليد دعياً في قريش ليس من أصلهم، أدعاه أبوه بعد ثمانية عشرة من مولده. وقيل: يعنت أمه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية؛ جعل كونه دعياً أشد معابة؛ لأنه إذا جفا وغلوظ ساءت أخلاقه، والغالب أن النطفة إذا خبست خبت الناشئ منها، ومن ثم جاء في بعض الروايات: "لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده" (٢). قوله: «بعد ذلك» نظير «ثمة» في قوله: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ أَمْنَوْا» (٣) والزنة: تؤخذ من جلد الماعز وتحلّى مدللة على وجهها لا تقطع. قوله: «أَنْ كَانَ ذَا مَالِ» متعلق بقوله: «وَلَا تُطْعِنْ» أي: لا تطعنه؛ لأنه ذو مال مع هذه المثالب، ويجوز أن تتعلق بما بعد: أي: لا تطعنه لكونه ذا مال مستظهر بالبنين. «إذا تُتَلَّ عَلَيْهِ مَا إِنْتَنَا» كذب بها، وقال: هذا ما سطره الأولون، ولا يعمل فيه "قال" الذي هو جواب «إذا» لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله؛ ولكنه يعمل فيه ما دلت عليه الجملة من التكذيب. والوجه أكرم شيء في البدن، والأنف أكرم شيء في الوجه؛ ولذلك شقوا منه الأنف، وقالوا: الأنف في الأنف، وهي أنفه، وفلان شامخ العرين، وقالوا في الذليل: جُدِعَ أنفه، ورَغِمَ أنفه؛ فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال

(١) البيت لحسان بن ثابت، ينظر في: تفسير ابن كثير (٤ / ٤٠٥)، الدر المثور للسيوطى (٨ / ٢٤٦)، لسان العرب (زمن).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢ / ٣٠٨)، وذكره القاري في الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة رقم (١٠٦٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣ / ١١٠).

(٣) سورة البلد، الآية (١٧).

والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإهانة؛ فكيف بها على أكرم موضع فيه، ولقد وسم العباس أباعرة في وجوهها، فقال رسول الله ﷺ : "أكرموا الوجوه" <sup>(١)</sup>. فوسمها في جواهرها <sup>(٢)</sup> وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة.

وقيل معناه: سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفارة (٣٠٨ / ب) كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم. وقيل: سنشهره بهذه النسبة في الدارين جميعاً فلا يخفى كما لا تخفي السمة على الخرطوم. وعن النضر بن شمبل <sup>(٤)</sup>: أن الخرطوم: الخمر، وأن معناه: سنحلده على شربها، وهو تعسف، وقيل للخمر الخرطوم؛ كما قيل لها: السلافة، وهي ما سلف من عصير العنب، أي: لأنها تطير في الخياشيم <sup>(٥)</sup>.

**﴿ إِنَّا بِلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَحَبَّبَ الْجَنَّةَ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرُمُنَا مُصْبِحِينَ ١٧﴾** **﴿ فَطَافَ عَلَيْنَا طَائِفٌ مِّنْ رَّبِّكَ وَهُرُثَ نَاهِيُونَ ١٩﴾** **﴿ فَأَصَبَّحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠﴾** **﴿ فَنَادَوْنَا مُصْبِحِينَ ٢١﴾** **﴿ أَنْ أَغْدِرُوا عَلَى حَرَثِنَا كُنْتُمْ صَرِمِينَ ٢٢﴾** **﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُرُثَ يَنْخَفِنُونَ ٢٣﴾** **﴿ أَنْ لَا يَدْخُلُنَا الْيَوْمَ عَلَيْنَا مُسْكِنُنَ ٢٤﴾** **﴿ وَعَدْنَا عَلَى حَرَثِنَا قَدِيرِنَ ٢٥﴾** **﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُولُنَ ٢٦﴾** **﴿ بَلْ نَحْنُ مُحْرُمُونَ ٢٧﴾** **﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمُ الْأَزْأَلُ لَكُلُّنَا لَانْسِحَوْنَ ٢٨﴾**

**﴿ إِنَّا ۝ بَلَوْنَا أَهْلَ مَكَةَ بِالْقَحْطِ وَالْجَرْعَ بِدُعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ۝ عَلَيْهِمْ ۝ كَمَا بَلَوْنَا أَحَبَّبَ الْجَنَّةَ ۝** وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين؛ فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي، وكان يترك للمساكين ما أخطأ المجل، وما في أسفل

(١) ذكره الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف (٤ / ٧٧) وقال: غريب بهذا اللفظ، وقال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف (ص: ١٧٦): لم أره هكذا، ثم ساق نحوه عن ابن حبان.

(٢) الجواهر: جمع الجاعرة، والجاعرة: مثل الروث من الفرس. والجاعران: حرقا الوركين المشrafan على الفخذين . وقيل: هما ما اطمأن من الورك والفخذ في موضع المفصل. وقيل: هما رؤوس أعلى الفخذين . وقيل: هما مضرب الفرس ينبع على فخذيه. لسان العرب (جعر).

(٣) هو النضر بن شمبل بن خرشة بن زيد بن كلثوم بن زهير بن عترة بن عمرو بن حجر بن خزاعي بن مازن بن عمرو بن تميم، العلامة الإمام الحافظ أبو الحسن المازني البصري التحاوي نزيل مرو وعالها، كان النضر إماماً في العربية والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو وبجميع خراسان وكان أ Rossi الناس عن شعبة، وخرج كتاباً كثيرة لم يسبقه إليها أحد، ولـ قضاء مرو. ولد في حدود سنة اثنين وعشرين ومائة، ومات في أول سنة أربع ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٩ / ٣٢٨ - ٣٣١).

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب (خرطم): ومن أسماء الخمر الخرطوم. والخرطوم: الخمر السريعة الإسكار وقيل: هو أول ما يجري من العنب قبل أن يدايس.

الأكdas<sup>(١)</sup>، وما أخطأه القطاو من العنبر، وما بقي على البساط الذي ينبع تحت النخلة إذا صرمت؛ فكان يجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبوانا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال، فحلقوا **﴿يَصِرْمُتْهَا مُصِبِّرِينَ﴾** في السدق، والسدق: الظلمة المختلطة بالضياء؛ خفية عن المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، فأحرق الله جنتهم. وقيل: كانوا من بني إسرائيل. **﴿مُصِبِّرِينَ﴾** داخلين في الصباح مبكرين. **﴿وَلَا يَسْتَثُنُونَ﴾** ولا يقولون: إن شاء الله. فإن قلت: لم سمي استثناء وإنما هو شرط؟ قلت: لأنه يؤدي معنى الاستثناء من حيث إن معنى قوله: لأنخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد. **﴿قَطَافَ عَنِّيَا﴾** بلاء وهلاك **﴿كَاذِرِم﴾** كالمرور. وقيل: الصرىم: الليل؛ أي: احترقت واسودت. وقيل: صرىم النهار؛ أي: بيسط وذهبت خضرتها. **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾** حاصدين. فإن قلت: هلا قيل: أبدوا إلى حرثكم؟ وما معنى "على"؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه؛ كما يقال: يغدو عليه بجفنة ويراح بأخرى. **﴿يَنَحْقَنُونَ﴾** يتشاررون وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم، ومنه: الصوت الخفات. **﴿أَنْ لَا يَنْحَنِنَا﴾** أن: مفسرة، أي: أنهم عزموا أن يتنكروا على المساكين وهم قادرون على نفعهم؛ طلبوا حرمان المساكين فحرمهم الله الجميع. وقيل: وذهبوا، أي: حصلوا على الحرمان مكان الانتفاع، وقال الشاعر [من الرجز]:

**أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ يَجْرُدُ حَرَدَ الْجَنَّةِ الْمُغْلَةَ<sup>(٢)</sup>** (٣٠٩ / ١)

وقيل: الحرد: الإسراع، أي: ذهبوا إليها مسرعين **﴿قَدِيرِينَ﴾** عند أنفسهم على صرامها والاستقلال بغلتها. وقيل: كان اسم الجنة "حد".

قالوا في أول الأمر: **﴿إِنَّا صَانِلُونَ﴾** عن جنتنا؛ وذلك لما رأوا فيها من الفعل الشديد والهلاك، ثم استبصروا وتأملوا فعرفوا أنها جنتهم؛ فقالوا: **﴿بَلْ نَحْنُ مُخْرُومُونَ﴾** **﴿أَوْسَطُم﴾** أعدهم وخيرهم؛ قال الشاعر [من الطويل]:

(١) الكدس: العرمة من الطعام والتتمر والدرام ونحو ذلك، والجمع: أكداش وهو الكديس بمعانٍ. ينظر: لسان العرب (كدس).

(٢) ينظر في: تفسير الطبرى (٢٩ / ٣٣)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦ / ٣٥٧)، الكشاف للزمخشري (٤ / ٥٩١)، لسان العرب (حد) في وصف سيل، ويجرد: يسرع، والجنة المغلة: البستان كثیر الغلة والثمار.

هُمْ وَسَطٌ تَرْضَى الْأَنْامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى الْلَّيَالِي بِعَظَمَهِ<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿أَمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٢)</sup> أي: خياراً. ﴿لَوْلَا تَذَكَّرُونَ اللَّهُ وَتَتَبَوَّنَ إِلَيْهِ مِنْ خَبْثِ نِيَّتِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> عند ذلك: اذكروا الله وتوجهوا إليه توجهاً كلّياً؛ فلو كنتم عظمتم الله حق تعظيمه، ولم تنوروا حرمان المساكين لم يصبكم ما أصابكم. وزعم كثير من الناس أن الله أبد لهم جنة تسمى الحيوان يحمل البعير منها عنقوداً. وقيل: ﴿لَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ لولا تصلون ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْحِينَ﴾<sup>(٤)</sup> أي: المصلين.

﴿قَالُوا سَبَخْنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا طَالِمِينَ ٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ٣٠ ﴿قَالُوا يَوْمَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا غَبُوْنَ ٣٢﴾ كَذَلِكَ الْقَدَابُ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَقْبِلِينَ عِنْ دَرَرِهِمْ جَنَّاتٍ أَنْعَمٍ ٣٤﴾ أَفَنْجَعَلُ الْمُتَسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ٣٥﴾ مَا لِكُوْكِبَ تَحْكُمُونَ ٣٦﴾ أَمْ لَكُوْكِبَ فِيهِ تَدْرُسُونَ ٣٧﴾ إِنَّ لَكُوْكِبِهِ لَمَّا خَبَرُونَ ٣٨﴾ أَمْ لَكُوْكِبَنَّ عَلَيْنَا بَلْعَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُوْكِبَ تَحْكُمُونَ ٣٩﴾ فِيهِ تَدْرُسُونَ ٤٠﴾ إِنَّ لَكُوْكِبِهِ لَمَّا خَبَرُونَ ٤١﴾ أَمْ لَكُوْكِبَنَّ عَلَيْنَا بَلْعَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُوْكِبَ تَحْكُمُونَ ٤٢﴾ سَلَّمُهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ٤٣﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فَلَيَأْتُوا بِشُرَكَاهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤٤﴾ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَافِي وَيُدَعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيْعُونَ ٤٥﴾ خَشْعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهِقُهُمْ ذَلَّةٌ وَذَدُّ كَانُوا يُذْعَنُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ٤٦﴾ فَدَرَوْنَ وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدِرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧﴾ وَأَمْلَأْنَاهُمْ إِنْ كَيْدِي مَيْتَنَ ٤٨﴾ أَمْ تَشَأْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُشْفَلُونَ ٤٩﴾

كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بمحدث الآخرة وما وعد الله المسلمين من ثوابها قال فريق منهم بإنكار الآخرة والتکذیب وقال آخرون: إن كانت فسيكون لنا منها الحظ الأوفر كما هو لنا في الدنيا؛ فقال الله تعالى: أفحيف في الحكم فنجعل ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ المتصدقين الصابرين على أذى الكفار ﴿كَالْمُنْزَمِينَ﴾ ثم التفت فقال: ﴿مَا لِكُوْكِبَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج؛ لأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم، أو جاءكم من الله كتاب بأنكم تخربون في الآخرة في المنازل في قصور الجنة وثوابها.

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر في: البحر الخيط لأبي حيان (٤١٨/١)، تفسير الطبرى (٦/٢)، تفسير القرطبي (١٠٤/٢)، الدر المصور للسمين الحلى (١/٣٩٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٣) سورة الصافات، الآية (١٤٣).

قوله: «إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ» متعلق بقوله: «أَمْ لَكُرَأْتَنَّنِ عَيْنَنِ بَلَعْنَةً» أي: يستمر ذلك إلى يوم القيمة. «إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ» الحكم «رَعِيمُ» قائم به، كفيل بمحضه، قائم بالاحتجاج لنصرته. «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ» يقولون بقولهم ويدهبون إلى ما ذهبوا إليه.

الكشف عن الساق: مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الرُّوع والهزيمة، وكشف المخدرات عن أسوقتهم تجرداً للهرب؛ بمعنى: يوم يشتد الأمر ويتفاهم، ولا كشف ثم ولا ساق، وأما من شبه فهو جاهل بعلم البيان<sup>(١)</sup> (٣٠٩ ب).

وعن ابن مسعود: "يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخررون سجداً وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً؛ كلما أراد أحدهم أن يسجد انقلب على ظهره"<sup>(٢)</sup>. ونكر الساق تعظيمًا لذلك الأمر وتهويلاً؛ لقوله تعالى: «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَقِّ وَثْكَرٍ»<sup>(٣)</sup>.

وعن قتادة: خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان<sup>(٤)</sup>، والآخر نفَى حتى عطل وهو جهم بن صفوان<sup>(٥)</sup>.

(١) هذه الآية من آيات الصفات، وقد تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تضليل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: «لَيْسَ كَثِيرُهُ شَفَّٰ وَهُوَ أَسْوَيُّ الْبَصِيرِ».

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩١٩).

(٣) سورة القمر، الآية (٦).

(٤) هو كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلاخي، يروي على ضعفه البين عن مجاهد والضحاك وابن بريدة وعطاء وابن سيرين وعمرو بن شعيب وشريح بن مزيد وخلقًا آخرهم علي بن الجعد. قال ابن الصلت وبقية عبد الرزاق وحرمي بن عمارة والوليد بن مزيد وخلقًا آخرهم علي بن الجعد. قال ابن المبارك: وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، قيل: إن المنصور ألح عليه بباب، فطلب مقاتلًا، فسأله: لم خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبارين. قال ابن عينة: قلت لقاتل: زعموا أنك لم تسمع من الضحاك! قال: كان يغلق علي وعليه باب، فقلت في نفسي: أجل باب المدينة. قيل: إنه قال: سلوني عما دون العرش. فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت، وسألوه: لم حج آدم من حلق رأسه؟ فقال: لا أدرى. قال وكيع: كان كذاباً. وعن أبي حنيفة قال: أثنا من المشرق رأيان خيستان جهنم معطل وقاتل مشبه. مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة. قال البخاري: مقاتل لا شيء له.

ينظر: سير أعلام البلاط للذهبي (٢٠١/٧).

(٥) هو جهم بن صفوان أبو حرز السمرقندى، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً. ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (١٥٩/٢).

وتکلیفہم السجود فی الآخرة لیس لطلب ثواب ولا خوف عقاب، وإنما هو إظهار لما كانوا يفعلونه في الدنيا من السجود لغير الله تعالى، فمنعوا في الآخرة السجود لله؛ ولیوینحوا على ذلك. يقال: ذرني وفلائنا؟ أي: سلم أمره إلى فأنا أكفيك.

استدرجه: إذا كلفه الإيتان إليه درجة بعد درجة، والمراد هنا هنا بالاستدراج: الصحة والغنى، ويحسبون الإنعام عليهم إثارة لهم على المؤمنين.

**﴿أَنْعَمْنَا لَهُمُ الْغَيْبَ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾١٧﴾ فَاصْبِرْ لِمَكْرُ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْنَ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ  
﴿لَوْلَا أَنْ تَذَكَّرَ كُدُّ يَعْمَلُ مِنْ رَبِّهِ لَنِدَّ إِلَى الْعَرَاءِ وَهُوَ مَدْمُومٌ ﴾١٨﴾ فَاجْنَبْ رَبِّهِ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾١٩﴾**

قوله: أن **«الغَيْب»** أي: اللوح المحفوظ؛ فهم يكتبون منه ما يريدون، والمعنى: لا تكن مثل يونس بن متى حيث ذهب مغاضباً ولم يستاذن ربه فيما صنع. قيل: نزلت حين أراد النبي **ﷺ** أن يدعو على قومه في نوبة أحد. وقيل: في هزيمة المسلمين في نوبة هوازن

**﴿وَإِنْ يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْلُوْنَكَ بِأَنْصَرِهِمْ لَتَأْسِمُوا أَذْكُرْ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾٢٠﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ  
لِلْعَالَمِينَ ﴾٢١﴾**

**﴿يُرْلُوْنَكَ﴾** من شدة تحديهم إليك، ونظرهم شرراً نظر المتغيظ إذا رأى من عدوه استقامة أمره وحنكته، وهو كقول الشاعر [ من الكامل ]:

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يزيل مواطئ الأقدام <sup>(١)</sup>

قيل: كانت العين فيبني أسد. وقيل: كان الرجل منهم إذا رأى شيئاً يعجبه فقال: ما رأيت كال يوم قط. هلك ذلك المشار إليه؛ فأحضرروا رجلاً منبني أسد، فجاء إلى النبي **ﷺ**، فقال: ما رأيت كال يوم قوة وفصاحة. وأراد أن يصيب رسول الله **ﷺ** بالعين فرداً الله كيده وزنلت الآية **﴿وَإِنْ يَكُادُ﴾** <sup>(٢)</sup>.

**﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾** ختم السورة بما بدأ به أولاً: **﴿مَا أَنْتَ بِنَعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾**. **﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ﴾** أي: شرف. وقيل: موعدة.

\* \* \*

(١) ينظر البيت في: تأویل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/٣٤٢)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٩٧).

(٢) ذكره الواحدی في أسباب النزول (ص: ٤٦٣).

## تفسير سورة الحاقة [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَةُ ۚ مَا الْحَاقَةُ ۚ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَةُ ۚ ۲﴾ كَذَبَتْ نَعْوَدُ وَعَادٌ بِالْفَارِعَةِ ۳﴾

﴿الْحَاقَةُ﴾ الساعة القليلة الوقع الثابتة (٣١٠/١) المجيء، أو التي تتحقق فيها الأمور أي: تعرف على الحقيقة؛ تقول: لا أحق هذا الأمر؛ أي: لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها، وارتفاعها على الابتداء وخبرها ﴿مَا الْحَاقَةُ﴾ تفحيمًا لشأنها وتعظيمًا له ولها والأصل: وما أدرك ما هي؛ فأوقع الظاهر موقع المضمر؛ لأنَّه أهول لها؛ أي: وأي شيء أعلمك؛ يعني: إنك لا علم لك بهولها، فكيفما قدرت حاها فهي أعظم من ذلك، و "ما" رفع بالابتداء، و ﴿أَذْرَكَ﴾ معلق عنه؛ لأن الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله.

والقارعة: التي تقع الناس بالإفزع، وتقرع السماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانتشار، ولما فخم أمر الساعة وعظمه أتيَ ذكر ذلك ذكر من كذب بها تخويفًا لأهل مكة من عقوبة تكذيبهم.

﴿فَأَمَّا نَعْوَدُ فَأَهْلِكُوا بِالْطَّاغِيَةِ ۤ﴾ وَمَا عَادَ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرَصِّرِ عَاتِيَةِ ۬﴾ سَخْرَهَا عَلَيْهِمْ سَعَيَ لِيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعَنَ كَانِهِمْ أَعْجَازٌ تَخْلِ حَاوِيَةً ۷﴾

﴿بِالْطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة الحد في الشدة. وقيل: المراد بالطاغية: الصيحة. وقيل: الرجفة. وقيل: الصاعقة. قيل: هلكوا بصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وقيل: الطاغية: مصدر؛ كالعقوبة والعافية؛ أي بطغيانهم، وليس بالقوى؛ لعدم المطابقة بينها وبين قوله: ﴿بِرِيحِ صَرَصِّرِ﴾ الصرصرة: الصوت الشديد. وقيل: الباردة؛ من الصرّ وهو البرد؛ لأنها التي ضوَّعَتْ فيها البرد؛ فهي تحرق بشدة بردها. ﴿عَاتِيَةً﴾ شديدة العتو أي: عنت على عاد، فلم يقدروا على ردها بمحيلة من استثار بناء أو لياذ بجبل، واحتفاء في حفيرة، فإنها كانت تنزعهم من مكانهم. وقيل: عنت على خزانها؛ فخرجت بلا كيل ولا وزن.

وعن النبي ﷺ : " ما أرسل الله سفينته من ريح إلا بكميال إلا قوم عاد، وقوم نوح؛ لأن الماء يوم إهلاك قوم نوح طغى على الخزان، ثم قرأ: ﴿إِنَّا أَنْتَ طَاغٌ أَمَّا مَاءٌ حَمَنَّكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: في

السفينة " <sup>(١)</sup> وَمِنْ مَا يَنْهَا الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ " <sup>(٢)</sup> ويجوز أن يكون جمع حاسم؛ كشاهد وشهود، ويجوز أن يكون مصدرًا ك " الشكور " <sup>(٣)</sup> أو أَرَادَ شُوكَرًا <sup>(٤)</sup> فإن كان جمع حاسم فمعنى أنه حسمت عنهم كل خير، أو متابعة ما سكنت ساعة، وإن كان مصدرًا فالتقدير: حسمتهم حسوماً، أو تقديره: ذات حسوم، أو مفعولاً له؛ أي: سخرها عليهم للاستصال. وقرئ: " حَسُومًا " بفتح الحاء <sup>(٤)</sup> بمعنى اسم الفاعل وقيل: هي أيام العجوز، وذلك أن عجوزاً استترت في سرب فأخرجتها الريح <sup>(٥)</sup> (٣١٠/ب) في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجوز وهي عجز الشتاء؛ أي: آخره وأسماؤها: الصن، والصنبر. وقيل: مكفي الطعن <sup>(٥)</sup>. ومعنى سَحَرَهَا عَلَيْهِم سلطها عليهم، أي: في الليالي والأيام. <sup>(٦)</sup> أَعْجَازُ تَخْلٍ أي: صدورها.

**﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَّةٍ ٨﴾** وَجَاهَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤْتَفَكَثُ بِالْخَاطِنَةِ <sup>(٧)</sup> فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ  
**﴿فَلَخَذُوهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَّةً ٩﴾** إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَنَكُرُ فِي الْجَارِيَّةِ <sup>(٨)</sup> لِنَجْعَلَهَا لَكُنْدِرَكَةً وَقَبِيَّاً أَذْنَانَ وَعِيَّةً <sup>(٩)</sup>  
**﴿إِذَا قُنْعَنَ فِي الصُّورِ نَفَخَةً وَنَجَّدَةً ١٠﴾** وَحَمِلَتِ الْأَرْضَ وَلِلْجَافِ فَدُكَادَةً وَجَدَةً <sup>(١٠)</sup>

**﴿مِنْ بَاقِيَّةٍ ١١﴾** أي: من بقية، أو من نفس باقية، ومن بقاء، و **﴿إِلَطَّاغِيَّةٍ ١٢﴾** بمعنى الطغيان. **﴿وَمَنْ قَبْلَهُ ١٣﴾** أي: ومن تقدمه، وقرئ: " ومن قبْلَه " <sup>(١١)</sup> و يؤيدتها قراءة من قرأ ومن معه <sup>(١٢)</sup>. **﴿وَالْمُؤْتَفَكَثُ ١٤﴾** قرى قوم لوط **﴿بِالْخَاطِنَةِ ١٥﴾** أي: بالخطأ، أو الأفعال الخاطئة. **﴿رَابِيَّةً ١٦﴾**

(١) ذكره الزيلعي في تحرير الكشاف (٤/٨٣)، ونسبة لأبي نعيم في الخلية عن ابن عباس، ونسبة ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف (ص: ١٧٧) لابن مردويه والشعلي، ونسبة السيوطي في الدر المشور (٤٠٥/٦) لعبد بن حميد وابن جرير والفراءبي عن ابن عباس - رضي الله عنهم.

(٢) سورة الشورى، الآية (٣٢).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٢).

(٤) نسبة الزمخشري في الكشاف (٤/٥٩٩) للسدي.

(٥) الطعن: جمع طعينة وهي المودج. ينظر: لسان العرب (ظعن).

(٦) قرأ أبو عمرو والكسائي وعاصر في رواية أبان " قبْلَه " ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ومحنة وعاصر في غير رواية أبان. تنظر في: الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٣٦٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، الكشاف للزمخشري (٤/٦٠٠).

(٧) قرأ بها أبي وابن مسعود. تنظر في: الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٣٦٢)، الكشاف للزمخشري (٤/٥٩٩).

شديدة زائدة في الشدة؛ كما زادتا قبائحهم؛ ربا الشيء يربو: إذا زاد **فَلَا يُرِيُوا عِنْدَ اللَّهِ**<sup>(١)</sup> **حَمَلْتُكُمْ** حملنا آباءكم في السفينة **الْجَارِيَةِ** لأنهم إذا كان أجدادهم محولين في الجارية فقد حملوا فيها؛ لأن في ذلك إشارة إلى نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين **تَذَكَّرَةٌ** عظة وعبرة. **أَذْنُ** **وَعِيَةٌ** من شأنها أن تعي ما تسمع، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما جعلته في وعاء فقد أووعيته. فإن قيل: لم أفرد الأذن ونكرها؟ قلنا: للإشعار بقلة الوعاءين لما سمعوه، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي، وللإشعار بأن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت فهي في مقام السواد الأعظم، وأن ما سواها لا يعبأ به، وإن ملأ ما بين الخافقين والنفحات متعددة. ومعنى قوله: **وَحِدَّةٌ** أي: لا تثنى في وقتها، والمراد - هنا - النفحـة الأولى؛ لأن عندها فساد العالم، وفي رواية هي النفحـة الثانية. وأما قوله: **يَوْمَئِذٍ تُعَرَّضُونَ** مع أن العرض بعد النفحـة الثانية؛ فلأن جعل اليوم اسمـاً للحين الواسع الذي تقع فيه الفختان، والصعقة والنشور والوقف والحساب؛ فلذلك قيل: **يَوْمَئِذٍ تُعَرَّضُونَ** كما تقول: جئتـكـ في عام كذا، وإنـما جئتـ في وقتـ منـ أوقـاتهـ. **وَحُمِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجَبَلُ** أي: بريـعـ لهاـ منـ القـوةـ أنـ تحـملـ الأرضـ والـجبـالـ. وـقـيلـ: بلـ تـفعـلـ ذـلـكـ بـقـدرـ اللهـ تعـالـيـ. **فَدَكَّا** يعني حـلةـ الأرضـ وـحملـةـ الجـبالـ فـضرـبـ بـعـضـهاـ بـعـضـ؛ حتىـ تـندـقـ وـتـفـتـتـ، وـتـرـجـعـ كـثـيـراـ مـهـيـلاـ وـهـبـاءـ منـبـشاـ. وـقـيلـ: بـسـطـنـاـ بـسـطـةـ وـاحـدةـ فـصـارـتـ أـرـضاـ لـاـ تـرـىـ فـيـهاـ عـوـجاـ وـلـاـ أـمـتاـ.

**فِيَوْمِئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**<sup>(١٥)</sup> **وَانْشَقَتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**<sup>(١٦)</sup> **وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَنْجَائِهَاٌ وَيَحْمِلُ**  
**عَرْشَ رَبِّكُمْ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ**<sup>(١٧)</sup> **يَوْمَئِذٍ تُعَرَّضُونَ لَا تَقْنَعُ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**<sup>(١٨)</sup> **فَمَآمَا مَنْ أَوْتَ كِتَبَهُ**  
**سَيِّئَيْهِ، فَيَقُولُ هَاقُمُ أَفْرَمُوا كِتَبَيْهِ**<sup>(١٩)</sup> **إِنِّي طَنَّتُ أَنِّي مَلِيقٌ حَسَابِيَّةٌ**<sup>(٢٠)</sup> **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**<sup>(٢١)</sup> **فِي**  
**جَنَّةٍ كَعَالِكَتِي**<sup>(٢٢)</sup> **قُطْوَهَا دَائِيَةٌ**<sup>(٢٣)</sup> **كُلُوا وَاشْرِبُوا هَبِيَّاتِي مَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**<sup>(٢٤)</sup>

**فِيَوْمِئِذٍ وَقَعَتِ** جاءتـ الـقيـامـةـ **وَاهِيَةٌ** مستـرـخيـةـ سـاقـطـةـ الـقوـةـ بـعـدـماـ كـانـتـ (١/٣١١)  
 محـكـمةـ. قوله: **وَالْمَلَكُ** أي: الـخـلقـ الـذـيـ يـقـالـ لـهـ الـملـكـ، وـأـنـرـدـهـ وـلـمـ يـجـمـعـهـ. **عَلَىٰ أَنْجَائِهَاٌ**  
 علىـ نـواـحـيـهاـ؛ الـواـحـدـ: رـجـاـ مـقـصـورـ. **فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ** قـيلـ: هـمـ حـلةـ الـعـرـشـ؛ الـيـوـمـ أـرـبـعـةـ  
 وـيـوـمـ الـقـيـامـةـ يـصـيرـونـ ثـمـانـيـةـ. وـقـيلـ: الـثـمـانـيـ أـرـجـلـهـمـ فيـ تـخـومـ الـأـرـضـ السـلـفـيـ،  
 وـرـؤـوسـهـمـ تـحـتـ الـعـرـشـ وـهـمـ مـطـرـقـوـنـ مـسـبـحـوـنـ.

(١) سورة الروم، الآية (٣٩).

وقال الحسن: لا أدرى أهم ثمانية أملاك أم صفواف؟ وقيل: بعضهم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأخرون يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. ويحوز أن يكون الثمانية صفوافاً لا يعلم عددها إلا الله<sup>(١)</sup>. ويحوز أن يكون ذلك العدد من الروح وباقיהם من الملائكة. ﴿وَمَا يَلْعَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٢)</sup>

العرض: عبارة عن المحاسبة؛ شبه ذلك تشبيهاً بعرض السلطان الجندي، ليتعرف أحواهم **﴿خَافِيَةٌ﴾** كانت قد خفيت في الدنيا؛ لأن الله أراد سترها، أو كانت مما يجوز أن يخفى؛ لشدة حقارتها، أو حال كانت تستر في الدنيا بستر الله عليكم. هاء: لفظ يصوت به فيفهم منه خذ، أو حدث؛ فعمل فيه **﴿أَفْرَأَوْا﴾** لأنه أقرب العاملين، وأصله: هائم كتابي اقرءوا كتابي؛ قوله: **﴿إِنَّا لَوْنَيْنَ أَفْغَنَ عَلَيْهِ قِطْرَانًا﴾**<sup>(٣)</sup> ولو أعمل الأول لكان التقدير: آتونني قطراناً أفرغه عليه. والهاء في **﴿مَالِيَةٌ﴾** و**﴿سُلْطَنِيَةٌ﴾** هاء السكت، وحقها أن تسقط في الوصل، وتثبت في الوقف. والظن: ما يحصل من العلم.

**﴿رَازِيَةٌ﴾** منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل، والسبة تارة تكون بالحرف، وتارة تكون بالصيغة، أو جعل الفعل لها مجازاً ولصاحبها حقيقة.

**﴿عَالِكَةٌ﴾** في المكان أو في المعنى. **﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾** ينالها القاعد والقائم، يقال لهم: **﴿كُلُوا وَاشْرُوَا هَيْنَيَا﴾** أي: هنتم هنئنا على المصدر بما قدمتم من الأعمال الصالحة.

**﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾** الماضية من أيام الدنيا. وقيل: في أيام الصيام؛ خلو الجوف فيه.

**﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْنَةً، بِشَمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوْتَ كَيْنَيْهِ ﴾**<sup>(٤)</sup> **﴿وَلَمْ أَدِرِ مَا حِسَابِيَهِ ﴾**<sup>(٥)</sup> **﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ**  
**الْفَاضِيَّةَ ﴾**<sup>(٦)</sup> **﴿مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَةٌ ﴾**<sup>(٧)</sup> **﴿هَلَكَ عَنِ سُلْطَنِيَةٍ ﴾**<sup>(٨)</sup> **﴿خُدُودُ فَضْلُوهُ ﴾**<sup>(٩)</sup> **﴿غَرَّ الْجَحِيمَ صَلُوةٌ ﴾**<sup>(١٠)</sup> **﴿تُمَّ**  
**فِي سِلْسِلَةِ ذَرَعَهَا سَبَعُونَ ذَرَاعًا فَأَسْلُكُوهُ ﴾**<sup>(١١)</sup> **﴿إِنَّهُ، كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾**<sup>(١٢)</sup> **﴿وَلَا يَحْسُنُ عَلَى طَعَامِ**  
**الْمِسْكِينِ ﴾**<sup>(١٣)</sup> **﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَنْهَانِحِيمُ ﴾**<sup>(١٤)</sup> **﴿وَلَا طَعَامٌ لِأَمِنِ غِسلِينِ ﴾**<sup>(١٥)</sup> **﴿لَا يَأْكُلُهُ، إِلَّا لَخَطَطُونَ ﴾**<sup>(١٦)</sup> **﴿لَا يَأْكُلُهُ،**

(١) ذكره الزمخشري هكذا في الكشاف (٤/٦٠٢)، ورواه الطبراني في تفسيره (٢٩/٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن عكرمة.

(٢) سورة المدثر، الآية (٣١).

(٣) سورة الكهف، الآية (٩٦).

إِلَّا لَخْطُؤُنَ ﴿٢٧﴾ فَلَا أُقِيمُ بِمَا لَيَصْرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا يُتَصْرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَبِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ  
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا نَوْمُنَ ﴿٣١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ نَفَولَ عَلَيْنَا بَعْضَ  
 الْأَقَاوِيلِ ﴿٣٤﴾ لَا خَدَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنِ ﴿٣٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ عَنْهُ حَجِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُ  
 لَذَكَرٌ لِلْمَقْيَنِ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِنِ ﴿٤١﴾  
 فَسَيِّعٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾

الضمير في : " يا ليتها " للموتة؛ كأنه قال: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا لا حياة  
 بعدها **﴿كَانَتِ الْفَاضِيَّةُ﴾** لمقاطعة للعمر. **﴿صَلُوٰ﴾** أي: أدخلوه في النار؛ يقال: شاة مصلية؛ إذا  
 حفرت حفيرة وأوقد فيها النار الكثيرة، ثم أدخلت الشاة السميط فيها وأطبق عليها. سلكه  
 في السلسلة؛ أي: أدخله فيها.

وقوله (٣١١ / ب) **﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾** لا يريد السبعين؛ بل يريد الكثرة؛ قوله: **﴿إِنْ شَغَفَرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾** (١) ولما قدم المعمول من قوله: **﴿لَمَّا فِي سَلَيْلَةٍ﴾** دل على أنه أراد: لا  
 تسلكه إلا في هذه؛ وعلة ذلك **﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحْمُضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِنِ فَلَيْسَ لَهُ أَيُّومٌ**  
**هَنَّا حَمِيمٌ﴾** يدفع عنه.

والغسلين: ما يسيل من أبدان أهل النار وجراحاتهم وصدائهم، غسلين من غسل.

**﴿الْخَطِئُونَ﴾** الآثمون، وخطئ الرجل: إذا تعمد الذنب، وأخطأ فعله غير معتمد.

قوله: **﴿بِمَا لَيَصْرُونَ وَمَا لَا يُتَصْرُونَ﴾** قسم بالأشياء كلها؛ لأنها لا تخرج عن قسمين؛ مبصرة  
 وغير مبصرة. وقيل: الدنيا والآخرة. وقيل: الأجسام والأرواح. وقيل: الخلق والخلق.  
 وقيل: النعم الظاهرة والباطنة. إن هذا القرآن **﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَبِيرٍ﴾** أي يقوله ويتكلم به على  
 وجه الرسالة من عند الله تعالى. **﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ﴾** كما تدعون والقلة في معنى العدم؛ أي:  
 لا تذكرون قليلاً ولا كثيراً. **﴿تَنْزِيلٌ﴾** هو تنزيل عليه **﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**. وقيل: **﴿حَجِرِينَ﴾** في  
 وصف **﴿أَحَدٍ﴾** لأنه في معنى العموم، ومنه قوله تعالى: **﴿لَا تُنَفِّرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُشْلِوٍ﴾** (٢)  
 ينطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. **﴿وَإِنَّهُ﴾** الضمير للقرآن. ومعنى **﴿لَحَقُّ الْيَقِنِ﴾**  
 محض الحق. **﴿فَسَيِّعٌ﴾** الله بذكر اسمه **﴿الْعَظِيمِ﴾** من إيحائه إليك.

(١) سورة التوبه، الآية (٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

## تفسير سورة المعارج [مكية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكُفَّارِ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِنْكَ اللَّهُ ذِي الْمَعَاجِ ③ تَقْرُبُ  
الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَاصْبِرْ صَبْرًا حَمِيلًا ⑤**

ضمن **سَأَلَ** معنى دعا؛ فعدي تعديته؛ كأنه قال: دعا داع **بِعَذَابٍ** يقول: دعا بكذا؛ أي: استدعاه؛ ومنه قوله: **يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنِكَهَةٍ** <sup>(١)</sup> وقيل: هو النضر بن الحارث؛ حيث قال: **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ أَحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ** الآية <sup>(٢)</sup>. وقيل: هو رسول الله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** استعجل بعذاب الكافرين، وقرئ: "سال سائل" بغير همزة <sup>(٣)</sup> على وجهين أحدهما: أن يكون مخففاً من "سال" والثاني: أنه إخبار بأن وادياً من أودية جهنم - أعادنا الله منها بكرمه - فتح، فسأل منه صديد أهل النار؛ فسأل بالعذاب، والسائل في معنى السائل؛ كالغور في معنى الغائر، وسأل سائل عن عذاب الله بن ينزل، ومتى <sup>(٤)</sup> يقع؟ فنزلت. عنى فنزلت. واهتم.

فإن قلت: بم يتصل قوله: **مِنْكَ اللَّهُ** <sup>(٥)</sup>؟ قلت: متصل بـ "واقع" أي: واقع من عنده، أو بـ "دافع" أي: ليس له دافع من جهته إذا جاء، و**الْمَعَاجِ** المصاعد، ثم وصف المصاعد وبعد مداها بقوله: **تَقْرُبُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** إلى عرشه، وحيث تهبط منه أوامره **فِي يَوْمٍ** مضى ذكره في سورة السجدة <sup>(٦)</sup>، و**وَالرُّوحُ** جبريل. وقيل: خلق من خلق الله ليسوا بآنس ولا جن ولا ملائكة، وهم أكثر من الجميع **وَمَا يَلْكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** <sup>(٧)</sup> و "الروح" حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على بني آدم. وتعلق قوله: **فَاصْبِرْ**

(١) سورة الجاثية، الآية (٥٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٢).

(٣)قرأ به بغير همز "سال" نافع وابن عامر وأبو جعفر. وقرأ الباقيون: "سأَلَ" بالهمز.

وتنظر القراءاتان في: إتحاف فضلاء البشر للبنا (٢/٥٦٠)، الإمام للعكبري (٢/٢٦٨)، البحر المحيط

لأبي حيان (٨/٣٣٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٣٧٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٠).

(٤) عند تفسير الآية (٥).

(٥) سورة المدثر، الآية (٣١).

لأن سؤالم تعجّيل العذاب إنما كان استهزاء؛ فأمر بالصبر، وقد جعل قوله: «فَاصْرِفْ» من صلة «وَاقِرْ» أي: يقع «فِي تَوْرِ» طويلاً «مِقْدَارُهُ حَمِيمَ الْفَسْنَةِ» إما أن يكون استطاله له لشدة هوله على الكفار، أو هوحقيقة؛ لذلك قيل فيه: خمسون موطنًا، كل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، وتم الكلام في سورة السجدة.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ٦﴾ وَرَبَّهُ فَقِيرًا ٧ يوم تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعَهْنِ ٩  
وَلَا يَسْتَأْنِلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠ يَبْصُرُهُمْ يَوْدُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِمْ يَنْجِيهِ ١١ وَصَحِيفَةٍ  
وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَةٍ الَّتِي تُوَيِّبُهُ ١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيمًا ثُمَّ يَنْجِيهِ ١٤ كَلَّا إِنَّهَا لَطَنِي ١٥ نَزَاعَةٍ  
لِلشَّوَّى ١٦ تَدْعُ أَمَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّ ١٧ وَجْهٌ فَأَوْعَنَ ١٨﴾

الضمير في «يرأوه» عائد إلى العذاب، أو ل يوم القيمة؛ أي: يستبعدهونه على جهة الحال.  
«وربّه فقيرًا» أي: هو عندنا قريب، أي: من الإنسان، وكذا «بعيدًا».

نصب «يوم» بـ «فقيرًا» أي: يمكن ولا يتذر، ويجوز أن يتصل بـ «داعف» أو «يوم» أو «يوم تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ» يجري كيت وكيت، أو هو بدل عن «فِي يَوْمٍ» عند من علقه بـ «داعف».  
«كَالْمُهْلِ» كدردي الزيت. وقيل: كالفضة المذابة في تلوتها.

العهن: الصوف المصبوغ أو الرأي، لأن الجبال مختلفة الألوان؛ «وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ يُبَصِّرُونَ  
وَحُمَرٌ تُحْتَكِلُفُ الْوَهْنَا وَغَرَبِيَّثُ سُودٌ»<sup>(١)</sup> فإذا بست وطويت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح. «وَلَا يَسْتَأْنِلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» أي: لا يلتمس منه أن يخفف عنه من حمله. «لِكُلِّ أَمْرٍ يُرِي  
مِنْهُمْ يَوْمَئِمْ شَأْنَ يَغْنِيهِ»<sup>(٢)</sup>. «يَبْصُرُهُمْ» ينصر يومئذ الأعمى والأكمه، ولا يمنعه من الرؤية عدم الإبصار؛ بل هو يصره ويتحققه، وهو كلام مستأنف، وإنما جمع بضمير الفعل والمفعول؛ لأن المراد أن هذا الجنس يبصر كل واحد منهم بالأخر.

«وَفَصِيلَتِهِ» عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم، و«ثُمَّ» لاستبعاد الإناء، يعني: يود لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وحكمه، وبذلهم في فداء نفسه «ثُمَّ يَنْجِيهِ» ذلك، وهيات أن ينجيه. «كَلَّا» رد وجزر كلا لا ينجيه ذلك (٣١٢/ب) من العذاب، ثم قال: «إِنَّهَا لَطَنِي»

(١) سورة فاطر، الآية (٢٧).

(٢) سورة عبس، الآية (٣٧).

أي: النار؛ سميت به لتلظيها واتقادها، وهي مؤنثة. و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبر ثان، وقرئ: "نزاعَةً" <sup>(١)</sup> نصب على الحال. والشوى: الأطراف، أو جمع شواء؛ وهي جلد الرأس فتنزع عنها نزعاً فتبتكها <sup>(٢)</sup> ثم تعاد. وقيل: تناديهم تقول: إلى يا كافر يا منافق.

وقيل: تدعى المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلقطهم النقاط الطير الحب، فجائز أن يخلق الله فيها كلاماً كما يخلق في جلودهم وأرجلهم وأيديهم.

ويجوز أن يكون دعاء الزبانية. وقيل: تدعى: تهلك؟ من قول العرب: دعاك الله؛ أي: أهلكك؟ قال [من الوافر]:

دَعَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجْلٍ بِأَفْعَى <sup>(٣)</sup>

﴿مَنْ أَذَّبَ﴾ عن الحق <sup>(٤)</sup> ﴿وَتَوَلَّ﴾ عنه <sup>(٥)</sup> المال فجعله في وعاء؛ فكثره ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه، ويتشاغل به عن الدين، وزهق باقتناه وتكبر.

﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ سُلْطَنٌ هَلُوْعًا﴾ <sup>(٦)</sup> إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ حَرَوْعًا <sup>(٧)</sup> وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْزُعًا <sup>(٨)</sup> إِلَّا <sup>(٩)</sup>  
الْمُصَلَّيَنَ <sup>(١٠)</sup> <sup>(١١)</sup> إِذَا مَسَهُ الْمُصَلَّيَنَ <sup>(١٢)</sup> <sup>(١٣)</sup>

أريد بـ ﴿الْإِنْسَنَ﴾ الناس، فلذلك استثنى منه <sup>(١٤)</sup> **الْمُصَلَّيَنَ**. والمحلع: سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير؛ من قوله: ناقة هلوع: سريعة السير. وعن أحمد بن يحيى <sup>(١٥)</sup> قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر <sup>(١٦)</sup>: ما المحلع؟ فقلت: قد فسره الله ولا يكون

(١) قرأ بها حفص وأبو حبيوة والزغفراني واليزدي وابن مقصم، وقرأ الباقون بالرفع. تنظر في: الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٧٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٠)، الكشاف للزمخشري (٤/٦١٠).

(٢) البتك: قطع الشيء من أصله، بتكه ي بتكه و بتكه بتكا أي: قطعه، و بتكه فانت بتتك، و بتكه: القطعة منه و الجمجم بتتك. ينظر: لسان العرب (بتك).

(٣) هذا صدر بيت وعجزه:

..... ضئيل تنفت السم الزعافا

ينظر في: الكشاف للزمخشري (٤/٦١١)، لسان العرب (دعا) وفيه الشطر الثاني:

..... إذا نام العيون سرت عليكما

(٤) هو أحمد بن يحيى بن زهير التستري الحافظ الحجة العلامة الزاهد أبو جعفر أحد الأعلام حدث عنه ابن حبان والطبراني. مات سنة عشر وثلاثمائة. تنظر ترجمته في: طبقات الحفاظ للذهبي (١/٣٢١).

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن بن مصعب أبو العباس المخزاعي كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً وهو أمير ابن أمير ولد إمارة بغداد في أيام الموكلي، وكان مالفاً لأهل العلم والأدب. توفي سنة ثلث وخمسين ومائتين. ينظر: تاريخ بغداد (٥/٤١٨).

تفسيراً أبلغ من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس<sup>(١)</sup>. و﴿الْخَيْرُ﴾ الغنى والمال. و﴿النَّارُ﴾ الفقر، أو الصحة والمرض إذا صح الغنى منع المعروف وشح عاليه، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي، ومعنى ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ حُلْقٌ﴾ أي: لإيشاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه؛ كأنه مجبول عليهم مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله: ﴿حُلْقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَجَلٍ﴾<sup>(٢)</sup> لأنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع؛ ولأنه ذم، والله تعالى لا يذم فعله بدليل استثنائه المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم، وحملوها على المضارأة، وطلقوها من الشهوات حتى لا يكونوا جازعين ولا مانعين.

وعن النبي ﷺ: "شر ما أعطي ابن آدم شره مانع، وجبن خالع"<sup>(٣)</sup>.

وفي لفظ "الكشاف": شح هالع<sup>(٤)</sup>.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقُّ مَعْلُومٍ ﴿٢٣﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يُصْدِقُونَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّسْفِقُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُرُولُرُوجُهُمْ حَفِظُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلُومِينَ ﴿٢٩﴾ فَنَّ أَبْغَنَ وَرَأَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لَا مُنْتَهِيهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ شَهَادَتِهِمْ قَابِسُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ مُحَافِظُونَ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّتِ مُكَرَّمُونَ ﴿٣٤﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا بِقَلْكَ مُهَطِّعِينَ ﴿٣٥﴾ عَنِ الْأَيْمَنِ وَعَنِ الْشَّمَالِ عَزِيزٌ ﴿٣٦﴾ أَيْطَمَعُ كُلُّ أَنْرِي مَنْهُمْ أَنْ يُدْخِلَ جَنَّةَ نَعِيْرٍ ﴿٣٧﴾

فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ثم ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ مُحَافِظُونَ﴾؟ قلت: معنى دوامهم عليها: لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل؛ كما روي عن النبي ﷺ: "أفضل العمل أدومه وإن قل"<sup>(٥)</sup>. قوله: ﴿مُحَافِظُونَ﴾ أي: على أدائها في أوقاتها ومنه قول

(١) ذكره الزخيري في الكشاف (٤/٦١٢)، ونسبة السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٨٣) لابن المنذر عن الحسن أنه سئل عن قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ حُلْقٌ هَلُوعًا﴾ قال: اقرأ ما بعدها فقرأ: ﴿إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ جَرَوْعًا ﴿١﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْوِعًا ﴿٢﴾﴾ قال: هكذا خلق.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٧).

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٥١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ينظر: الكشاف للزخيري (٤/٦١٢).

(٥) رواه البخاري رقم (٥٨٦١)، ومسلم رقم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

عائشة - رضي الله عنها - : " كان عمل رسول الله ﷺ دعوة "(١). وحافظتهم عليها: أن يراغوا (١٣٣/٣) إسباغ الوضوء لها، والإيتان بستنها وأدابها؛ فالدوام راجع إلى نفس الصلاة والمحافظة على ستنها وأركانها. **﴿حَقٌّ مَّلُومٌ﴾** زكاة؛ لأنها معلومة النصب، ومعلوم المقدار الواجب منها، والسائل: الذي يسأل، والمحروم: الذي يتغافل عن السؤال فيحسب غنياً فيحرم. **﴿بُصَدِّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** يصدقونه بأعمالهم. قوله: **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ عَذَابٌ مَّأْمُونٌ﴾** جملة معترضة.

كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ حلقاً يستهزئون بقراءاته، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لنكون أحسن حالاً منهم فنزلت (٢). **﴿مُهَمَّطِينَ﴾** مسرعين نحوك **﴿عَزِيزَنَ﴾** جماعات متفرقات. و "عزيز" : جمع عزة، وأصلها: عزوة؛ كل واحد يعتزى إلى جهة وقيل: كان المستهزئون خمسة.

**﴿كَلَّا﴾** رد وجزر لهم عن طمعهم؛ كأنه قال: هؤلاء لا يصدقون بالجزاء، فكيف يطمعون في نعيم الآخرة؟

**﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾** (٢٦) **﴿فَلَا أَقِيمُ بَيْنَ الْمَسْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدْرُونَ ﴾** (٢٧) **﴿عَلَى أَنْ تُبَيَّنَ حَمْرًا**  
**﴿مِنْهُمْ وَمَا تَنْهَى يَمْسِبُوْنَ ﴾** (٢٨) **﴿فَذَرُوهُمْ يَخُوضُوا وَلَيَعْلُمُوا حَيَّ يَلْقَوْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوعَدُونَ ﴾** (٢٩) **﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجَدَاثِ**  
**﴿سِرَاعًا كَانُوكُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوْقِضُونَ ﴾** (٣٠) **﴿خَيْشَعَةً أَبْصَرُوهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْيَقِينُ كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾** (٣١)

قلت: ويدل على إنكارهم البعث قوله: **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾** و قوله: **﴿خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾** أي: من النطف. **﴿الْأَجَادَاثُ﴾** القبور. والنصب: كل ما نصب ليعبد من دون الله. **﴿يُوْقِضُونَ﴾** يسرعون.

\* \* \*

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٦٦)، ومسلم رقم (٧٨٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (٢٩/٨٥)

## تفسير سورة نوح [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُنْ نَذِيرٌ مُّنِينٌ (٢) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَقْوُهُ وَأَطِيعُونَ (٣) يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخِرُ لَوْكُثُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّي دَعَوْتُ فَوْمِي لَيَلَّا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْنِعَهُمْ فِي عَادَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْ شَيَاهُهُمْ وَأَصْرَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا أَنْتِي كَبَارًا﴾ (٧)

قوله: «أَنْ أَنذِرْ» أي: بأن أنذر؛ فحذف الجار ووصل. فإن قيل: كيف قال: «من قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مع قوله: «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخِرُ»؟

قلت: قدر الله - مثلا - أن قوم نوح إن آمنوا أمهلهم ألف سنة، وإن استمرروا على الكفر أخذهم على رأس التسعمائة فإذا جاءت الألف فلا تأخير لها، وإذا جاءت رأس التسعمائة وأمنوا أمهلوا لتأجيل الأجل الآخر. «ليلاً ونهاراً» دائياً من غير فتور مستغرقاً به الأوقات كلها. «فَلَمْ يَزِدْهُ دُعَاءِي» جعل دعاءه إليهم سبيلاً في زيادة طغيانهم؛ كقوله: «فَرَازَهُمْ إِيمَنَا» (١) و «فَرَازَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِ» (٢) ذكر كيفية إعراضهم لسد مسامعهم ليكون أقبح لإعراضهم عنه. «وَاسْتَعْشَوْ شَيَاهُهُمْ» واست فعل في قوله: «وَاسْتَعْشَوْ» يدل على أنهم استدعوا ذلك وطلبوه؛ كراهة النظر إلى وجهه من ينصحهم. وقيل: لتنا لا يعرفهم، ونظيره قوله تعالى: (٣١٣ / ب) «أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ شَيَاهُهُمْ» (٣). الإصرار: مأخذ من قولهم: صر الحمار على حمر الوحش: إذا قرن أذنيه وأقبل عليها يطلب أن يغشاها؛ لأنه في ذلك الوقت لا يرجع إذا صريح به. وذكر المصدر توكيداً ودلالة على فرط استكبارهم.

«ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَمُ لَهُمْ وَأَنْزَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقَلَّتْ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا غَفَارًا (١٠) يُرْسِلُ الْسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَذْرَارًا (١١)﴾

(١) سورة التوبه، الآية (١٢٤).

(٢) سورة التوبه، الآية (١٢٥).

(٣) سورة هود، الآية (٥).

أنذرهم سرًا فلم يطعوا، وأنذرهم جهارًا فلم يرجعوا، فجمع بين الأمرين بقوله: ﴿أَغْنَتُكُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ومعنى "شم" تنبية على تباعد الأحوال؛ ك قوله: ﴿شَّمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(١)</sup> وفيه ترقٌ لأن الإنذار خفية أخف، والإذنار جهارًا أقوى، والجمع بين الأمرين أتم.

و﴿جَهَارًا﴾ منصوب بـ ﴿دَعَوْتُهُم﴾ نصب المصدر؛ لأن الجهر أحد أنواع الدعاء؛ كقولهم قعد القرصاء. وقيل: أراد بـ ﴿دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ جاهرتهم جهارًا، ويجوز أن يكون صفة مصدر دعا، أي: دعوتهم دعاء مجاهراً به، أو مصدرًا في موضع الحال؛ أي: مجاهراً. أمرهم بالاستغفار يريد: التوبة عن الكفر والمعاصي، ورغبهم في الاستغفار والتوبة؛ فوعدهم بخير الدنيا وهو المطر والخصب وكثرة الأولاد كما قال: ﴿وَلَخَرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرَتِنَا اللَّهُ وَفَعَلَ فَرِيقٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَلَوْأَنَّ أَهْلَ الْقَرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا﴾ الآية<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَوْأَنْهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ الآية<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَوْأَسْتَقْدِمُوا عَلَى الظَّرِيقَةِ لَأَسْقَنَنَّهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقيل: لما كذبواه بعد طول المدة أمسك الله عنهم المطر، وأعمق أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب، ورفع عنهم ما كانوا فيه.

وروي: أن عمر خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار؛ فقيل له: إنك لم تستسق؛ فقال: لقد استسقيت بمجاديف السماء التي يستنزل بها الغيث، ثم قرأ ﴿أَسْتَغْفِرُ وَارِبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا﴾ الآيات<sup>(٦)</sup>. شبه الاستغفار بأنواع الصادقة.

(١) سورة البلد، الآية (١٧).

(٢) سورة الصاف، الآية (١٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

(٤) سورة المائدة، الآية (٦٦).

(٥) سورة الجن، الآية (١٦).

(٦) رواه الطبراني في تفسيره (٩٣/٢٩) ونسبة السيوطي في الدر المنشور (٤٤٢/٤) لابن سعد في الطبقات وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وأبن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في سنته. والمجاديف: واحدتها: مجده، وهو نجم من النجوم كانت العرب ترغم أنها تطرأ به كقولهم الأنواء وهو المجدح أيضاً. وقيل: هو الدبران؛ لأنه يطلع آخرًا ويسمى حادي النجوم. ينظر: لسان العرب (جده).

وروي: أن رجلاً شكا إلى الحسن قلة الرزق فأمره بالاستغفار، وشكا إليه آخر قلة النسل فأمره بالاستغفار، وشكا إليه آخر الفقر فأمره بالاستغفار؛ فقيل له: التمس قوم منك أموراً مختلفة فأجبتهم جواباً واحداً وهو الاستغفار، فتلا الحسن هذه الآية<sup>(١)</sup>.

والسماء: المُظِلَّةُ، لأن المطر ينزل منها إلى السحاب، ويجوز أن يريد بالسماء السحاب أو المطر؛ كقول الشاعر (٣١٤ / أ) [من الوافر]:

إذا نزل السماء بأرضِ قومٍ رعيناه وإن كانوا غضاباً<sup>(٢)</sup>

والمدرار: الكثير الدروع، شبه بما يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ تقول: امرأة معطار ومذكار وبمبيات.

﴿وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ الَّتِي تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبَعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الْأَسْمَسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾

﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين. ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تأملون له توقيراً أي: تعظيمًا، المعنى: ما لكم لا تكونون على حالة ترجون فيها الشواب، و﴿لِلَّهِ﴾ بيان للموقر. قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا﴾ في موضع الحال؛ أي: خلق أصلكم من تراب، ثم جعل نسله من النطف؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة، فمن آمن بهذا ألم بهدا الإيمان بقدرة الله على إحياء الموتى؛ أي: لا تخافون الله حلماً وترك معاجلة العقاب.

وقيل: لا تخافون الله عظمة؛ نبههم على النظر في أنفسهم أولاً؛ لأنها أقرب منظور فيه ثم على النظر في العالم وما خلق فيه من العجائب في السماوات والأرض والشمس والقمر. ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في السماوات، وهو في سماء الدنيا؛ لكن بين السماوات ملامسة فإنها طباق بعضها فوق بعض، والقمر وحده في السماء الأولى فجاز أن يقال: ﴿فِيهِنَّ﴾ وإن لم يكن في جميعهن؛ كما تقول: كنت في الدار، وإنما كنت في جزء منها.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٦١٧).

(٢) البيت لمعرفة الحكماء معاوية بن مالك، ينظر في: لسان العرب (سماء)، وللفرزدق في: تاج العروس (سماء)، وبلا نسبة في: ديوان الأدب (٤/٤٧)، والمخصص لابن سيده (٧/١٩٥)، مقاييس اللغة (٣/١٩٨).

وعن ابن عباس وابن عمر: إن الشمس والقمر ظهورهما إلينا ووجوههما إلى السماء<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلَ النَّسْمَسَ سِرَاجًا﴾ يبصر أهل الدنيا في ضوئها؛ كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج، والقمر نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس، والضياء أقوى من النور؛ لقوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّسْمَسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ ثُورًا»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا١٧ ثُمَّ يُعِدُّكُمْ فِيهَا وَتُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أَرْضٍ إِسَاطًا١٩ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا شُبُّلًا فِي جَاجًا٢٠ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَرِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا حَسَارًا٢١ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبَارًا٢٢﴾.

الإنبات: الإنشاء في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ والمعنى: فنبتم نباتا، أو نصب بـ "أنبتكم" لتضمنه معنى نبت.

﴿جَعَلَ لِكُلِّ أَرْضٍ إِسَاطًا﴾ تنقلبون عليها كتقلبكم على البساط ﴿فِي جَاجًا﴾ واسعة منفحة. واتبعوا المتقدمين في الدنيا من أصحاب الأموال. ﴿وَمَكَرُوا﴾ معطوف على قوله: «من لَرَبِّه» وجع الضمير وهو راجع إلى "من" لأنـه في معنى الجمع. والماكرون: الرؤساء، ومكرهم: احتيالـهم في الدس لنوح. وقوله: ﴿لَا نَذَرْنَّ إِلَيْهِنَّكُمْ﴾ إلى عبادة قوم نوح. ﴿مَكَرًا كَبَارًا﴾ الكبار: أكبر من الكبير، وأكبر من الكبار أيضا، ونحوه: طوال وطوال (٣١٤/ ب).

﴿وَقَالُوا لَا نَذَرْنَّ إِلَيْهِنَّكُمْ وَلَا نَذَرْنَّ وَدًا وَلَا سُواعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوَقَ وَنَشَرًا٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا٢٤ مِمَّا خَطَّبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا٢٥﴾.

كانت هذه الأصنام أكبر الآلهة عندهم، وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ودـ لـ "كلب" وسمـت العرب بعدـ وـدـ وـعـبدـ يـغـوثـ. وـقـيلـ: هي أسمـاء رـجـالـ صالحـينـ. وـقـيلـ: من أولـادـ آدمـ لـصلـبـهـ ماـتـواـ فـقاـلـ إـبـلـيـسـ لـمـنـ بـعـدـهـ: لـوـ صـورـتـ صـورـهـ صالحـينـ.

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٢٩٢/٨) لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه عن ابن عباس، ورواه الطبرى في تفسيره (٩٧/٢٩)، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٢٩١/٨) لعبد الرزاق - عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وليس عن ابن عمر كما ذكر المصنف هنا تبعاً للزمخشري في الكشاف (٦١٨/٤).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

فكتم تنظرن إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم. وقيل: كان ود على صورة رجل، وسوان على صورة امرأة، وغوث على صورةأسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر.

وقرئ "وَدَا" بضم الواو<sup>(١)</sup>. يجوز أن يريده بقوله: «أَضْلُلُوا» الأصنام؛ كقوله: «رَيْتَ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>. قوله: «وَلَا زَرِدُ» معطوف على قوله: «رَيْتَ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي» يحكي قوله؛ كقولك: نودي بالصلة فصلى في الجماعة، عطف أحد القولين على الآخر، وتقديمه المجرور في قوله: "ما خطايهم"<sup>(٣)</sup> يدل على الاختصاص، أي: لم يكن الباعث على إغراقهم إلا خطايهم. وعن الضحاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب<sup>(٤)</sup>. وتنكير قوله: «فَأَذْجَلُوا نَارًا» إما لتعظيمها، أو لأنها نار معينة أعدت لقوم نوح. «فَلَمْ يَجِدُوا هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا» بين أنهم يتسبوا من نصرة آهاتهم «وَأَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ»<sup>(٥)</sup>.

«وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَأَنْذِرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكُفَّارِ دِيَارًا»<sup>(٦)</sup> إِنَّكَ إِنْ تَنْهَرُهُمْ يُضْلُلُوكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا<sup>(٧)</sup> رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَلِوَلِدَيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْقَ مُؤْمِنًا وَلِمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدُ الظَّلَمِيْنَ إِلَّا نَبَارًا»<sup>(٨)</sup>

ديار: من الأسماء المستعملة في التبني العام، يقال: ما بالدار ديار وديور، كقيام وقيوم، ولو كان "فعلا" لكان دوارا، لكنه "فيعال" فعل به ما فعل بسيد وmitt. سبق إعلام الله - تعالى - لنوح أنه «كُنْ يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَنَ»<sup>(٩)</sup> فلذلك قال: «وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا

(١) قرأ بها نافع وأبو جعفر. وقراءة الباقيين بفتح الواو. تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (٣٤٢/٨)، الحجة ابن خالويه (ص: ٣٥٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٢٦)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٣٨٥/٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، الكشاف للزمخشري (٤/٦١٩)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٩١).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٦).

(٣) قرأ أبو عمرو البصري والحسن والأعرج وعيسى بن عمر "ما خطايهم" ، وقراءة الباقيين «وَمَنْ خَطَّبْتُهُمْ». تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (٣٤٣/٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (ص: ٣٥٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٢٦)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٨٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٦٢٠).

(٥) سورة الصافات، الآية (٧٤).

(٦) سورة هود، الآية (٣٦).

**كَفَّاراً** ﴿والتقدير: ألا يلدوا إلا من سيُجْرِي ويُكْفِرُ، فوصفهم بما يقول أمرهم إليه؛ كقوله: "من قتل قتيلاً فله سلبه"﴾<sup>(١)</sup>

**وَلِوَالدَّى** ﴿قيل: هما آدم وحواء. وقيل: ملك بن متولشح، وأمه: شمخا بنت أنوش وكانت مؤمنين. **بَيْتِي** ﴿منزلي . وقيل: مسجدي. وقيل: سفيني . خص أولاً من يتسبّب إليه؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه **وَأَنِذْرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾<sup>(٢)</sup>. **وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَأَنْذِرْ كُوْنَةَ**﴾<sup>(٣)</sup>.

**بَنَارًا** ﴿هلاكاً . وإنما غرق الله أطفال قوم نوح؛ لتألم قلوب آبائهم، ويتحسرون على ذلك ويكون ذلك زيادة في عقابهم. وقيل: يهلكون هلكا واحداً، ويخشرون على نياتهم.

وقيل: أعمق الله أرحام نسائهم أربعين سنة، فلم يكن معهم صبي وقت الغرق.

\* \* \*

(١) تقدم تحريره في تفسير سورة الطلاق.

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٣) سورة مرثيم، الآية (٥٥).

## تفسير سورة الجن [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَعِمْ نَفْرِمَ الْجِنِ فَقَالُوا إِنَا سَمِعْنَا فَرْأَةً أَنَا عَجِبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَتَأْمَنَّ بِهِ  
وَلَنْ تُشْرِكَ بِرِبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾

قرئ : أُحِي <sup>(١)</sup> وأصله " وُحِيَ " . يقال : أُوحى إليه وُحى إليه ، فقلبت الواو همزة ؛ كما يقال : أُعْدُ ، وَأَرْأَنُ " ، " وإذا الرسل وقت " <sup>(٢)</sup> .

وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضبوطة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً ك " إِشَاحْ وَإِسَادَةْ وَإِعَاءْ أَخِيهِ " <sup>(٣)</sup> . وقرأ ابن أبي عبلة : وُحى على الأصل <sup>(٤)</sup> .

﴿أَنَّهُ أَسْتَعِمْ﴾ بالفتح ؛ لأنَّه فاعل " أُوحى " . **﴿إِنَا سَمِعْنَا﴾** بالكسر مبتدأ محكي بعد القول ثم تُحمل عليه الباقي ، فما كان من الوحي فتح ، وما كان من قول الجن كسر ،

(١) هذه قراءة ابن أبي عبلة وأبي إياس والعتكي وعيسى بن عمر . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٤٦/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٣٨٨/٦) ، فتح القدير للشوكتاني (٥/٣٠٣) ، الكشاف للزخري (٤/٦٢٢) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية (١١) وهذه قراءة أبي عمرو البصري ، وقرأ أبو جعفر " وقت " بالخفيف ، وقرأ الباقون " أَقْتَتْ " بالهمزة . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٣٤٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٦٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٤٢) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٤٥٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٦) ، الكشاف للزخري (٤/٦٧٨) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٩٦ - ٣٩٧) .

(٣) ذكره الزخري في الكشاف (٤/٦٢٢) قال أبو حيان في البحر المحيط لأبي حيان (٨/٣٤٦) " وليس كما ذكر ، بل في ذلك تفصيل ؛ وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولاً أو حشاً أو آخرها ولكل منها حكم ، وفي بعض ذلك خلاف ، وتفصيل مذكور في كتب التحو " ثم قال أبو حيان معمقاً على قول المازني : " وهذا تكثير وتبجح " . ونقل السمين الحلبي في الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٨٨) قولين عن المازني في ذلك : أحدهما : القياس ، والثاني : قصر ذلك على السمع . ثم قال السمين معمقاً : " ولم يبرح العلماء يذكرون النظير مع نظيره ، ولما ذكر قلب الهمزة باطراد عند الجميع ، ذكر قلبهما بخلاف " .

(٤) وقرأ بها أيضاً أبو إياس والعتكي عن أبي عمرو . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٣٤٦) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٨٨) ، الكشاف للزخري (٤/٦٢٢) .

وكلاه من قوله إلا الشتتين الآخرين . «وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ» «وَأَنَّهُ مَلَاقَاهُ» ومن فتح كلهم<sup>(١)</sup> فعطفا على محل الجار والخبر في قوله : «فَأَمَّا يَهُ» فكأنه قيل : صدقناه وصدقنا أنه «قَنَاعٌ جَذْرَيْنَا» «وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَيِّئَهُنَا» وكذلك الباقي .

«فَقَرِئُونَ لِلْجِنَّ» جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقيل : كانوا من قبيلة من الجن من الشি�صبان<sup>(٢)</sup> وهم أكثر الجن عددا ، وعامة جنود إبليس منهم .

«فَقَالُوا إِنَّا سَعَنَا» أي : قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم ؛ كقوله : «فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُتَذَرِّبِينَ»<sup>(٣)</sup> . «إِنَّا سَعَنَا فَأَنَا عَجَبًا» بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمها وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز . و«عَجَبًا» مصدر يوضع موضع العجب وفيه مبالغة وهو ما خرج من حد أشكاله ونظائره . «يَهُدِي إِلَى الرُّشْدِ» يدعوا إلى الصواب . وقيل : إلى التوحيد والإيمان . الضمير في " به " للقرآن ، ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا : «وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا حَدًا»<sup>(٤)</sup> أي : ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله تعالى ؛ لأن قوله " بربنا " يفسره «جَذْرَيْنَا» عظمته ، من قوله : جد فلان في عيني ، أي : عظم .

﴿وَأَنَّهُ قَنَاعٌ جَذْرَيْنَا مَا أَنْخَذَ صَنِيعَةً وَلَا وَلَدًا﴾<sup>(٥)</sup>

وفي حديث عمر رضي الله عنه : " كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا " وروي : " في أعيننا " <sup>(٦)</sup>.

(١) قرأ ابن عامر وحمة والكسائي ومحض عن عاصم وخلف بفتح الهمزة في الموضع كلها ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسرها في الموضع كلها ، وفتحها أبو جعفر في ثلاثة مواضع " وأنه تعالى - وأنه كان يقول - وأنه كان رجال " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٤٧/٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٢٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٢) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٩١).

(٢) الشি�صبان : الذكر من النمل ويقال : هو جحر النمل ، وقيل : هو الشيطان الرجيم ، والشيشبان والبلáz والخلáz والجان والقاز والخيتور كلها من أسماء الشيطان . والشيشبان : أبو حي من الجن . لسان العرب (شعب).

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٢٩).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٣) وقال الزيلعبي في تخریج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/٥٦) غريب . وقال الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٨) لم أره عن عمر بل هو عن أنس .

أو ملكه أو سلطانه أو غناه أو من الجد الذي<sup>(١)</sup> هو الدولة والبحث ؛ لأن الملوك والأغنياء هم المحدودون ، المعنى : وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد وذلك لعظمته أو سلطانه أو ملكته أو لغناه<sup>(٢)</sup> .

وقوله : ﴿مَا أَخَذَ صَنْجَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لذلك . وقرئ " جَدُّ رِبِّنَا " بالكسر<sup>(٣)</sup> أي : صدق ربوبيته ، وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد (٣١٥ ب) والإيمان نبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفراً الجن من تشبيه الله بخلقه ، واتخاذه صاحبة وولداً فاستعظاموه ونزعوه عنه .

﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهِنَا عَلَى اللَّهِ شَطَاطًا ۝ وَإِنَّا طَنَنَا أَنَّ لَنْ نَقُولُ إِلَيْنُسُ وَلَجِنُ عَلَى اللَّهِ كَذِبَا ۝ وَإِنَّهُ كَانَ يَرْجَلُ مِنَ الْإِنْسِينَ يَعْدُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَلَوْا كَمَا طَنَنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَإِنَّا لَمَسَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَسَّةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهِيدًا ۝ وَإِنَّا كَانَ قَعْدَهُ مِنْهَا مَقْعُدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَّا يَحْمِدُهُ شَهِيدًا ۝ وَإِنَّا لَا نَدِرِي أَشَرَّ أُرْبَدٍ يَمْنَ في الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَهْقَهُ رَهْقَهَا ۝ وَإِنَّا مِنَ الْأَصْنَلِحُونَ وَمَنَادُونَ ذَلِكَ كَنَاطِرًا يَقْدَدَا ۝﴾

سفيههم : إبليس - لعنه الله - أو غيره من مردة الجن . والشطط : محاوزة الحد في الظلم وغيره . ومنه : أشط في السوم إذا بعد فيه أي : يقول قوله هو في نفسه شطط ؛ لفريط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله . وكان في ظننا أن أحداً من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه بما ليس بحق ، وكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم . و " كذباً " : قوله كذباً أي : مكذبوا فيه ، أو نصب نصب المصدر ؛ لأن الكذب نوع من القول . ومن قرأ : " أن لَنْ تَقُولَ " <sup>(٤)</sup> وضع " كذباً " موضع " تَقُولَ " ، ولم يجعله صفة ؛ لأن التقول لا يكون إلا كذباً .

(١) في الأصل : التي . والثبت هو الصواب وهو ما في الكشاف أيضاً .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٣).

(٣) قرأ بها عكرمة وأبو حبيبة ومحمد بن السميقي . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٣٤٨) ، تفسير القرطبي (١٩/٢٣) ، الدر المصنون للسميين الحلبي (٦/٣٩١) ، فتح القدير للشوکانی (٥/٣٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٣).

(٤) قرأ بها الحسن والجحدري ويعقوب . تنظر في : الدر المصنون للسميين الحلبي (٦/٣٩١) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٢٣).

الرهق : غشيان المحارم ، والمعنى : أن الإنسان باستعاظتهم بهم زادوهم كفرا وكبرا ، وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مساييه ، وخف على نفسه قال : أعود بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يريد الجن وكبيرهم ، فإذا سمعوا بذلك استكروا وقالوا : سدنا الجن والإنس ، فذلك رهقهم . أو : فزاد الجن الإنسان رهقا بإغواطهم وإضلalهم ؛ لاستعاظتهم بهم . «وَأَنْتُمْ» وأن الإنسان «ظَنَّوْكُمَا طَنَّتُمْ» هو من كلام الجن يقوله بعضهم البعض . وقيل : الاثنان من جملة الوحي ، والضمير في «وَأَنْتُمْ طَنَّوْ» للجن ، والخطاب في " ظنتكم " لکفار قريش .

اللمس : المس ، فاستعير للطلب ؛ لأن الماس طالب متعرف ، يقال : لسه والتمسه وتلمسه ، كطلبه واطلبه وتطلبه . «مِنَ الْأَصْلَحُونَ» الأبرار المتقوون . «وَمَنَا» قوم «دُونَ ذَلِكَ» مخدوف الموصوف ؛ قوله : «وَمَا إِنَّا إِلَّا هُنَّ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» <sup>(١)</sup>. «كُنَّا طَرَائِقَ قَدَّادًا» أي : ذوي مذاهب مختلفة . أو كنا في اختلاف أقوالنا مثل الطرائق المختلفة . والقدة : فعلة من قطع .

«وَأَنَا طَنَّتُمْ أَنَّ لَنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُعْجِزَهُ هَرَبًا» <sup>(١٢)</sup> «وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا أَهْدَى مَأْمَنَّا بِهِ» فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَانًا وَلَا رَهْقًا» <sup>(١٣)</sup> «وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَسِطُونَ فَمِنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحْرُرُوا رَسَداً» <sup>(١٤)</sup> «وَمَا الْقَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» <sup>(١٥)</sup> «وَأَنُّو أَسْتَقْمُو عَلَى الظَّرِيفَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءَ عَذَقًا» <sup>(١٦)</sup> «لَتَقْنِتُهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعِدًا» <sup>(١٧)</sup> «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ اللَّهُ فَلَمَّا تَدَعُوا مَعَ اللَّهِ أَهْدًا» <sup>(١٨)</sup>

«فِي الْأَرْضِ» و «هَرَبًا» حالان ، أي : لن نعجزه كائنين في الأرض وهاربين . «لَمَّا سَمِعْنَا أَهْدَى» القرآن فهو غير خائف ، ولو لا ذلك لقليل : فلا يخف ، وفائدة العدول عن : لا يخف أنه يصير بتقدير ما ذكرناه أخيراً أن من يؤمن بربه فهو لا يخف وهو حقيق بالأمن لا محالة . «بَحْسَانًا» أي : جزاء بحسن أو رفق ، ولا يخاف رهقا وفيه دليل على أن حق من آمن بالله <sup>(٢)</sup> / ٣١٦ ) أن يجتب المظلوم ، قال النبي ﷺ : " المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم " .

(١) سورة الصافات ، الآية (١٦٤).

(٢) رواه أحد في المسند (٣٧٩ / ٢) ، والترمذني رقم (٢٦٢٧) ، والنسائي (١٠٤ / ٨) ، وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٠) ، والحاكم في المستدرك (١٠ / ١) عن أبي هريرة رض .

ويجوز أن يراد : فلا يخاف أن يبخس ولا أن يرهق . **﴿الْكَافِرُونَ﴾** الكافرون الجائزون عن طريق الحق . **﴿وَأَلَّا يَسْتَقْمِمُوا﴾** أن " مخففة من الثقلة وهي داخلة في صلة ما أوحى إلى الجن . وأوحى إلى أن الشأن والطريق لو استقام أبو الجن على ما كان عليه من العبادة في السماء ولم يستنكف عن السجود لأدم لطروا وأخصبوا .

قال عمر بن الخطاب **حَفَظَنَا** : " حيث كان الماء كان المال ، وحيث كان المال كانت الفتنة " <sup>(١)</sup> . فذلك معنى قوله : **﴿لَا سَعَيْتَهُمْ تَأَمَّهُ عَذَّقًا﴾** فسيقهم الماء الغدق فتنة ولذلك قال - سبحانه - : **﴿لَقَنَّتْهُمْ فِيهِ﴾** فجعل بسط الرزق وكثرة الماء سبباً للفتنة .

**﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾** عن عبادته أو مواعظه أو وحيه . **﴿يَسْلُكُهُ﴾** ندخله **﴿عَذَابًا﴾** والأصل : نسلكه في عذاب ، تعدى إلى مفعولين إما بمحذف حرف الجر وإما على تعديه كما يعدى بالهمزة . الصعد : مصدر من صعد صعوداً وصعوداً . والصعود : بفتح الصاد : ما يصعد به ، وبضمها : المصدر . **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** من جملة ما أوحى ، أو بمحذف حرف الجر ، أي : ولأن المساجد لله فلا تجعل فيها إلا الذكر والعبادة ؛ لأنه بيت الله فينبغي أن يجرد للذكر والتوكيد ولذلك قال : **﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾**

وقيل : المراد : المسجد الحرام ؛ لأنه قبلة المساجد . قيل : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيدهم وكنائسهم أشركوا بالله ، فأمرنا إذا دخلنا أن نخلص الدعوة لله . وقيل : المساجد : الأعضاء السبعة المذكورة في قوله **﴿إِنَّمَا أَذْعُورَىٰ لِيَدَهُ﴾** : " أمرت أن أمسجد على سبعة آراب " <sup>(٢)</sup> . وهي الجبهة والركبتان والقدمان واليدان . وقيل : هو جمع مسجد وهو السجود .

**﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَهُ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿قُلْ إِنَّمَا أَذْعُورَىٰ لِيَدَهُ وَلَا أَشْرُكُ لِيَهُ أَحَدًا﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿قُلْ إِنَّمَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرَارًا وَلَا رَشْدًا﴾** <sup>(٥)</sup>

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١١٥/٢٩) ، وأبو بكر القرشى فى كتاب إصلاح المال (١/٣٠) رقم (٤٠).

(٢) رواه البخارى رقم (٨١٢) ، ومسلم رقم (٤٩٠) ، وأحمد (١/٢٢١) ، وأبو داود رقم (٨٨٩) ، والترمذى رقم (٢٧٣) ، والنمسانى (٢/٢٠٨) ، وأبن ماجه رقم (٨٨٤) ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

**لما قام عبد الله** يعني النبي ﷺ وإنما عدل عن قوله : رسول الله أو النبي إلى قوله : " عبد الله " ؛ لأن هذا المكان مكان تواضع ومذلة فكان الاسم الذي هو عبد الله الدال على العبودية أحق بهذا المقام ، أو لأن المعنى أن الجن لما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الصبح وركوعه وسجوده وأصحابه يركعون ببركته ويستجدون بسجوده عجبوا وابتسموا بحسن ما سمعوا وتزاحموا وتراكموا عليه معظمين ومتعجبين بحسن الوحي . وقيل : المراد الكفار لما رأوا استقامة أمر رسول الله ﷺ / ٣١٦ بـ ) وخالفوا كثيرا من العرب أن يكونوا معهم ليقاتلوا رسول الله كاد الكفار يزدحمون عليه ويقتلونه .

اللبد : جمع لبدة . وعن قتادة : تلبدت الإنس والجن على أن يطقوها هذا الأمر فأبى الله إلا أن ينصره <sup>(١)</sup> . ومن قرأ " وإنه " بالكسر <sup>(٢)</sup> . جعله من كلام الجن ، قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم . قال للمتظاهرين عليه : ﴿إِنَّمَا أَذْعُو بِرَبِّي﴾ ي يريد : ما أتيتكم بشيء بدع إنا أعبد ربنا <sup>(٣)</sup> ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ أو قال الجن ذلك لقومهم حكاية عن النبي - ﷺ . <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup> <sup>(١٠)</sup> ولا نفعاً أو أراد بالضر : الغي ، والمعنى : لا أستطيع لكم ضرا ولا نفعا فإن الله هو الفاعل لذلك . <sup>(١١)</sup> <sup>(١٢)</sup> استثناء منه أي : لا أملك إلا البلاغ .

**﴿فُلِّي لَنْ يُحِيرُنَّ﴾** الآيات بيان لكونه لا يملك جلب نفع ولا دفع ضر إلا أن يريد الله ذلك . **﴿مُتَحَدّاً﴾** ملادا يأوي إليه . والمتحد : الملاجأ . وقيل : بلاغا : بدل من ملتحدا **﴿وَرَسَائِلِهِ﴾** : عطف على "بلاغا" والمعنى : لا أملك إلا التبليغ والرسالات .

﴿قُلْ إِنَّمَا تُحِبُّونَ مِنْ أَنَّهُ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا ﴾٢٢ إِلَّا بِلِّغَانَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ يَعْصِ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ حَذَّلِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ  
أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَلَ عَدَدًا ﴾٢٤ قُلْ إِنَّ أَذْرِقَتْ أَقْرِبَتْ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّيْ أَمَدًا ﴾٢٥ عِلْمُ  
الْعَيْنِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِيْنِهِ أَحَدًا ﴾٢٦ إِلَّا مَنْ أَرْتَقَنِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ  
رَصْدًا ﴾٢٧ لَعْلَمَ أَنَّمَا تَدَبَّرُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَاحْاطَ بِهَا لَدَهُمْ وَاحْصَنَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾٢٨﴾

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٩/١١٨) ، ونسبة السيوطي في الدر المثوض (٨/٣٠٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قاتدة .

(٢) فرأ نافع وعاصم في رواية شعبة عنه " وإن لما قام بالكسر ، وقرأ الباقون بالفتح . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٥٢/٨) ، تفسير القرطبي (١٩/٢٣) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٣٨٩) ، السمعة لابن ماجه (ص : ٦٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٣٠) ، الشتر لابن الجوزي (٢/٣٩٢).

وقوله : ﴿مَنْ أَنَّ اللَّهُ﴾ ؛ كقوله : ﴿بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>. أي : براءة كائنة من الله ، ولا يمكن أن يكون متعلقة بـ " براءة من الله ورسوله " كذلك " إلا ببلاغا " كائنا من الله ، وتعلق " حتى " بقوله : ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَيْتَهِ لَدَّا﴾ . ﴿رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر أو من يوم القيمة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حيثند يوم القيمة أو يوم بدر ﴿مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَلَ عَدَّا﴾ .

﴿قُلْ إِنَّ أَذْرِى أَقْرِبَ مَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر يوم القيمة أو النصرة عليكم . أي : لا أعلم إلا ما علمني الله ، وهو غيب لا أطلع عليه . وإنني لا أدرى أقرب أمد الساعة أو بعده .

﴿أَمَّا﴾ غاية أي : هو عالم الغيب . ﴿فَلَا يُطْهِرُ﴾ فلا يطلع ، و﴿مَنْ رَسُولٌ﴾ تبين لمن ارتضى . قال الزمخشري : " وفيه دليل على إبطال الكرامات والكهانة والنجوم ، وادعى أن الله خص الأنبياء بالمعجزات ؛ ليدل على صدقهم ولم يجعل للأولياء شيئا ، وفساد هذا لا يخفى دليلا ومشاهدة "<sup>(٢)</sup>.

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ﴾ يدي من ارتضى للرسالة . ﴿وَمَنْ حَلَفَهُ رَصَدًا﴾ أي : حفظة . وعن الضحاك : ما بعث الله نبيا إلا معه جماعة من الملائكة يحفظونه من الشياطين <sup>(٣)</sup>.

﴿لَعَلَّمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسْلَتِ رَبِّهِمْ﴾ وحد أولا على اللفظ ، ثم جمع على المعنى .

(١) سورة التوبة ، الآية (١).

(٢) الكشاف للزمخشري (٦٣٢ / ٤) قال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد (٣٠٧ / ١) باب القول في كرامات الأولياء : " قال الله عز وجل في قصة مريم عليها السلام : ﴿كُلَّمَا دَعَلَ عَلَيْهَا كَيْتَى الْمُحَرَّابَ وَجَدَ عَنْهَا رِزْقًا فَأَلْتَهُمْ أَنَّ لَكُمْ هَذَا فَقَالَتْ هُنَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّمَا حِسَابُ﴾ وقال في قصة سليمان عليه السلام : ﴿قَالَ اللَّهُ أَنِّي عَنْهُ عَلَمُونَ الْكِتَبَ أَنَا مَإِلِيكَ بِهِ فَلَمَّا أَنْ يَرَنَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ﴾ وآصف لم يكن نبيا ، وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين فاما على الصادقين فإنه يجوز ويكون ذلك دليلا على صدق من صدقة من أنبياء الله عز وجل وقد حكى نبينا عليه السلام من الكرامات التي ظهرت على جريح الراهب والصبي الذي ترك السحر وتبع الراهب والنفر الذين آتوا إلى غار من بنى إسرائيل فاختلط عليهم الصخرة ، وغيرهم ما يدل على جواز ذلك . وقد ظهر على أصحابه في زمانه ، وبعد وفاته ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه وبإله التوفيق " . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧ / ٣٨٣) : " والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا ، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء " .

(٣) رواه ابن جرير الطبراني في تفسيره (٢٩ / ١٢٢).

﴿وَلَحَاطَ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرياع . ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ من القطر والرمل (٣١٧ / أ) وورق الأشجار وزبد البحر . و﴿عَدَدًا﴾ حال ، أي : وضبط كل شيء ، أو مصدر في معنى " أخصى " .

\* \* \*

## تفسير سورة المزمل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَوْمًا أَمْرَأْتُهُ ﴿١﴾ قُرِئَ الْأَلْيَلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَضْفَعُهُ أَوْ أَقْصُ مِنْهُ لَيْلًا ﴿٣﴾ أَرْزَدْ عَلَيْهِ وَرَثَى الْقَرْمَانَ  
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

كان رسول الله ﷺ قد تلحف في قطيفة له ، وهو المتزملا . وهو سبب لاستقال النوم ، فقيل له : إنك مأمور بدعاة الخلق وهذا النوم الذي غمته ليس بنوم من يهمه أمر ، فقم الليل وابذر الدعاء وأنشدوا [ من الكامل ] :

أُورَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ  
ما هَكَذَا ثُورَدٌ يَا سَعْدُ الْأَلْيَلِ<sup>(١)</sup>

وقال ذو الرمة : [ من الطويل ] :

وَدَاءٌ تَخْطَطْتُ نَاقِيٌّ مِنْ مَفَازَةٍ  
وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لِيلِهِ مُتَرَّمِلٌ<sup>(٢)</sup>

وأمر أن يختار على المجدود التهجيد ، وعلى التزملا التجرد ، ولا جرم أن الصحابة

(١) ينسب هذا البيت لعلي بن أبي طالب رض وله قصة. ينظر في : غريب الحديث لابن الجوزي (٥٢٩/١) ، غريب الحديث لابن سلام (٤٧٧/٣) ، لسان العرب (شرع) ، والقصة رواها البيهقي في السنن الكبرى (١٠٤/١٠) عن أبي عبيد بن سلام قال : سافر رجل مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا ، فاتهم أهله أصحابه ، فرفعوه إلى شريح ، فسألهم البيينة على قتلها ، فارتقاوا إلى علي رض وأخبروه بقول شريح فقال علي رض : "أوردتها سعد وسعد مشتمل يا سعد لا تروي بها ذاك الإبل" ، ثم قال : إن أهون السقى التشريع . قال : ثم فرق بينهم وسائلهم فاختلقو ثم أقرروا بقتله فأحسبه قال : قتلتهم به . قال أبو عبيد : حدثنيه رجل لا أحفظ اسمه عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن علي رض قال أبو عبيد : قوله أوردتها سعد وسعد مشتمل هذا مثل يقال إن أصله أن رجلاً أورد إبله ماء لا تصل إلى شريبه إلا بالاستقاء ثم اشتمل ونام وتركها يقول : فهذا الفعل لا تروي به الإبل . وقوله : إن أهون السقى التشريع هو مثل أيضاً يقول إن أيسر ما ينبغي أن يفعل بها أن يمكنها من الشريعة . أو الحوض يقول : إن أهون ما كان ينبغي لشريح أن يفعل أن يستقصي في المسألة والنظر والكشف عن خبر الرجل حتى يعذر في طلبه ولا يقتصر على طلب البيينة فقط .

(٢) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٥٨/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٠١/٦) ، ديوان ذي الرمة (ص : ٦٠٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٣٤) ويروى : وكائن تخطت ناقتي ...

اجتهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيما في وجوههم حتى رحهم الله وخفف عنهم قيام الليل كله . وقيل : كان متلففا في مطر خديجة تصلي فيه ، فهو على هذا ليس للتهجين بل هو ثناء عليه بالاجتهاد ، وأمر بأن يدوم على ذلك ، ويوازن عليه . وقد سئلت عائشة - رضي الله عنها - ما كان متزملأ به ؟ فقالت : " مطر طوله أربعة عشر ذراعا ، والله ما كان من خز ولا مَرْعَزِي<sup>(١)</sup> ولا صوف ، كان سُداه شعرا ولحمته وبيرا"<sup>(٢)</sup> . وقيل : دخل على خديجة أول ما نزل عليه جبريل فدخل يرجف ويوادره ترعد فقال : زملوني . فزملاه فنزلت ، فيينا هو على تلك الحال ناداه جبريل<sup>(٣)</sup> . وقيل : زمل أمرا عظيما ، أي : حُمَّله . والزمل : الحمل ، وازدمله : احتمله.

قوله : «**يَقْصُدُهُ**» بدل من الليل و«**اللَّاقِلِلَا**» استثناء من النصف ، خير بين أمرين : أحدهما : أن يقوم نصف الليل وأن يقوم أقل منه ، وإن شئت جعلته بدلًا من " قليلا " وكان خيرا بين ثلاثة أمور : أن يقوم نصف الليل بكماله ، أو ينتقص منه قليلا ، أو يزيد عليه قليلا ، ثم إن شئت جعلت الهاء في " نصفه " عائدة إلى النصف ، فيكون خيرا بين النصف والربع والزيادة على الربع ، ويجوز أن يجعل الزيادة تتمة الثالث ؛ لكونها مطلقة ويجوز أن يجعل الزيادة تتمة الثالث ، فيكون خيرا بين النصف والثالث والربع .

فإن قلت : أكان القيام فرضا أم لا ؟ قلت : عن عائشة - رضي الله عنها - : " إن الله جعله (٣١٧ / ب) تطوعا بعد أن كان فريضة "<sup>(٤)</sup> . وقيل : كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به . وعن الحسن : كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة<sup>(٥)</sup> . وقيل : كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ

(١) المرعى والمرعاء والمرعى والمرعاء : الذين من الصوف ، وحكى الأزهري المرعى : كالصوف يخلص من بين شعر العنز . ينظر : لسان العرب (رع).

(٢) نسبة الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤ / ١٠٧) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٨) للبيهقي في الدعوات . وقال الزيلعي : غريب .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٣٦) ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٤ / ١٠٨) : غريب .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٣٧) .

(٥) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨ / ٣٢٢) لعبد بن حميد عن الحسن رحمه الله .

بعد عشر سنين . وقيل : كان الرجل منهم يقوم الليل كله يقول : ما أدرى متى النصف أو الثالث . ومنهم من قال : كان نفلا ، لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَتَيْلِ فَتَهَجَّذِبَهُ، تَأْفِلَةً لَكَ﴾<sup>(١)</sup> . وأنه غير مقدر فهو دليل التطوع ، ولو كان فرضا لكان مقدارا كسائر الفروض .

ترتيب القرآن : قراءته على غير استعجال بتبيين الحروف ، وإشاع الحركات حتى يصير المتلو منه يشبه الثغر الرتل ، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان ، وألا يهذه هذَا<sup>(٢)</sup> ولا يسرده سردا كسرد الشعر . قال عمر خليفة : " شر السير الحقيقة ، وشر القراءة المذرمة "<sup>(٣)</sup> .

وستلت عائشة - رضي الله عنها - عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : " لا كسركم هذَا كهدّ الشّعر ، لو أراد السامع أن يعد حروفه لعذّها "<sup>(٤)</sup> .

﴿إِنَّا سَنَّلُقَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>

﴿قَوْلًا تَقِيلًا﴾ القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي والتکاليف كثيرة المشقة على المكلفين وهو بهذا الاعتراض ما كلفه من قيام الليل من جملة التکاليف الصعبة التي ورد فيها القرآن ؛ ولأن الليل وقت الراحة ، فلا بد لمن أحياه من السهر المضاد لطبيعته ، ومجاهدة نفسه . وقيل : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه ، وتربى له وجهه<sup>(٦)</sup> . وينزل عليه الوحي

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٩).

(٢) المذ والمذ : سرعة القطع وسرعة القراءة ، هذا القرآن بهذه هذا يقال : هو بهذه القرآن هذا وبهذه الحديث هذا أي يسرده . ينظر : لسان العرب (هذه).

(٣) نسبة الزبلي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/١٠٨) لابن عدي ، وقال الزبلي : غريب . والحقيقة : المتعب من السير . وقيل : هو أن تحمل الذابة على مالا تطيقه . وقال أبو عبيد بن سلام : للمجتهد في العبادة حتى يحس . والمذيمة : السرعة في الكلام والمشي ويقال للتخليط : هذمة ، والمذمرة : كثرة الكلام ورجل هذارمة كثير الكلام ، وهذرم الرجل في كلامه هذمة : إذا خلط فيه ، ويقال هو السرعة في القراءة والكلام والمشي . ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد (٤/٣٨٨) ، لسان العرب (هذرم) ، النهاية في غريب الأثر (١/٤١٢ ، ٥/٢٥٥) ، لسان العرب (هذرم) .

(٤) ذكره الزبلي في تحرير أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/١٠٨) وقال : غريب .

(٥) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨/٧٦) للطبراني عن ابن عباس . ونسبة الزبلي في تحرير الأحاديث والأثار (٤/١٠٩) لأبي داود الطيالسي في مسنده عن ابن عباس وفيه : كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي تربى له وجهه وجسله . ومن طريق الطيالسي رواه أبو نعيم في دلائل النبوة . وتربى : تغير واحمر .

في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه الوحي ، وإن جبئنه ليتفصد عرقا " (١) .

﴿ثِقَلًا﴾ أي : في التنزّل . وقيل : على المنافقين . وقيل : كلام له وزن ليس بالسفاسف (٢) .

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطَأَ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبَحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ بَتَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَسْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

﴿ناشئة الليل﴾ النفس التي تُنشئ القيام ، أو قيام الليل مشتق من نشا : إذا قام ؛ مصدر على فاعلة ؛ كالعاقبة والعافية . وفسرت عائشة الناشئة بالقيام من المضجع فلا تكون ناشئة الليل إلا من قام من فراشه إلى الصلاة . وقيل : هي ساعات الليل كلها . ومنهم من كان يقوم بين المغرب والعشاء ويقول : هي ناشئة الليل . ﴿هي أشد وطأ﴾ هي خاصة دون ناشئة النهار . ﴿أشد وطأ﴾ أشد موافقة لما يراد من قراءة أو ذكر . وقيل : أشد وطأ : أشد موافقة بين السر والعلانية ؛ لانقطاع رؤية الخلاق . والمعنى : أنها أشد ثباتا للقدم ، وأبعد من الزلل وأثقل على المكلفين من صلاة النهار ، قال النبي ﷺ : " اللهم اشدد وطأتك على مصر " (٣) . ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (٤) وأشد مقاما ، وأثبت قراءة هدوء الأصوات .

وقرأ أنس : " وأصوب قيلا " ، فقيل له : إنما هي : " وأقوم " ! فقال : إن " أقوم " وأصوب شيء واحد " (٤) . ﴿سَبَحًا﴾ تصرف وتكلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل

(١) رواه البخاري رقم (٢) ، ومسلم رقم (٢٣٣٣) ، وأحد في المستند (٥٨/٦) ، والترمذمي رقم (٣٦٣٤) ، والنسيائي (١٤٦/٢) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) الأصل في السفاسف : ما تهبا من غبار الدقيق إذا نخل ، يقال : سفست الدقيق : إذا تنخلته ثم شبه به الرديء من كل شيء يقال : رجل سفاسف وسفسيف : إذا وصفته برقة المروءة ، وكلام سفاسف وثوب سفاسف : إذا كان هلهل النسج وهو نعت مطرد في كل شيء لم يحكم صنعه . وسفاسف الشعر : رديء ، وشعر سفاسف : رديء ، وسفاسف الأخلاق : ردتها . ينظر : غريب الحديث للخطابي (٣٠٢/١) ، لسان العرب (سفف) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٥٩٠) ، ومسلم رقم (٢٧٥) عن أبي هريرة حَلِيلٌ .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/٦٣٩) ، والسمين الحلبي في الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٠٤/٦) .

فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل .

لما ذكر أن الليل أعنون على قيامه أمره بما يفعل فيه بقوله : «وَأَذْكُرْ أَنَّمَا زِيَّكَ» أي : بالتلاؤة والتسبيح والتقديس والحمد والتهليل والاستغفار دراسة العلم وكانت أوقات رسول الله - ﷺ - مستغرقة في ذلك . «وَبَيْتَنَّ إِلَيْهِ» انقطع إليه انتظاما . والقياس : تبتلا ، فنقل إلى تبتلا ؛ لمراعة الفواصل .

المجر الجميل : أن تفارقهم بالقلب والهوى وتخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة . وعن أبي الدرداء : " إننا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتقليلهم " <sup>(١)</sup> . وقيل : هو منسوخ بأية السيف <sup>(٢)</sup> .

**﴿وَدَرَنِي وَالْمَكَدِينَ أُولَى الْعَمَّةِ وَمَهَلَهُزْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَنِنَا أَنْكَالًا وَجَيْمَا ١٢ وَطَعَامًا دَاعِشَةً  
وَعَدَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا  
شَهِيدًا عَلَيْنَا كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فَرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَصَنَعَ فِرْعَوْنَ شَرًّا فَأَخْدَدَهُ أَخْذًا وَبِلًا ١٦ فَكَيْفَ  
تَنَقُّونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَلَدَنَ شَيْبًا ١٧﴾**

﴿وَدَرَنِي وَالْمَكَدِينَ﴾ إذا رأيت شخصا قد جنى عليك فقال من يريد نصرتك : ذرني وإياه ، فأنا أكفيكه معناه : لا تتعب أنت في دفعه ، فإنني أفعل كلما يدفعه عنك فلا يكون في التهديد أبلغ من ذلك . والنعمة بالفتح : التنعيم .

﴿إِنَّ لَدَنِنَا أَنْكَالًا﴾ إن عندنا **«أنكالاً»** قيودا ثقلا إذا رفعتهم النار بلهيبها جذبهم بثقلها إلى أسفل **«وَجَيْمَا»** ونارا مشتعلة . **﴿وَعَدَابًا أَلِيمًا﴾** من غير هذا الجنس لا يعلمه إلا الله .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بما في " لدينا " والرجفة : الزلزلة والزعزعة الشديدة . والكثيب من الرمل : المجتمع ، تقول : كثب الشيء : إذا جمعه ، وهو فعال بمعنى مفعول ، أي : مكتوب ، أي : كانت الجبال مثل الكثيب من الرمل أهيل هيلا ، أي : نثر وأسيل .

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقا قبل رقم (٦١٣١) عن أبي الدرداء ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٦٠ / ١٢) : وصله ابن أبي الدنيا . وإبراهيم الحربي في غريب الحديث والدينوري في أعماله ، ونسبة الزيلي في تحرير أحاديث الكشاف للزخري (٤ / ٤١) للبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) آية السيف هي الآية (٢٩) من سورة التوبية قال تعالى : «فَنَبَأُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِإِلَهٍ وَلَا يَأْلِمُونَ الْآخِرَةَ وَلَا يُعْرِمُونَ مَا حَكَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَقَّ بَعْطُوا الْجِزَاءَ عَنْ يَدِهِمْ صَغِرُونَ <sup>(١)</sup> » .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ الخطاب لأهل مكة . ﴿شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد عليكم يوم القيمة بکفرکم وتكذیبکم . فإن قلت : لم نکر الرسول ثم عرف ؟ قلت : لأنه أراد أرسالنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذکور بعينه . ﴿وَوَيْلًا﴾ ثقیلاً غلیظاً من قولهم : کلاً ویل : وخم لا يستمر لثقله . والویل : العصا الصخمة ومنه الوابل للمطر العظيم ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به ، أي : فكيف تقون أنفسکم يوم القيمة وھوله إن بقیتم على الكفر ولم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً . ويجوز أن يكون ظرفًا ، أي : فكيف لكم بالتقوی في يوم القيمة إن کفرتם في الدنيا . ويجوز أن يتصلب بـ " کفرتم " (٣١٨) على تأویل جحدهم ، أي : فكيف تقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيمة والجزاء ؛ لأن تقوی الله خوف عقابه

و﴿يَجْعَلُ الْوَلَدَنَ شَيْبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد : يوم تشیب نواصی الأطفال والأصل فيه أن الھوم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشیب .

قال أبو الطیب : وَالْهَمُ يَخْتِرُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً وَيُشَيِّبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرُمُ<sup>(١)</sup>

وقد روی في بعض الكتب : أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال : رأیت القيمة والجنة والنار في المنام ، ورأیت الناس يقادون في السلال إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون<sup>(٢)</sup> . ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أيام الشیوخة والشیب .

﴿السَّمَاءُ مُنَفَّطِرٌ يَهُ، كَانَ وَعْدُهُ مَقْعُولاً﴾ (١٦) ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخْذَ إِلَيْ رَبِّهِ سَيِّلًا﴾ (١٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنَى مِنْ ثُلُثِيَ الْأَيَّلِ وَنَصْفَهُ، وَطَالِبَةُ مَنْ أَذْنَى مَعَكَ وَاللهُ يَقْدِيرُ أَيْلَلَ وَأَنَّهَا رَأَى أَنَّ لَنْ تُخْصُصُهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنَ أَعْلَمُ أَنْ سَيَکُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَمَا حَرَّوْنَ يَسْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَمَا حَرَّوْنَ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَاقْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكُوةَ وَأَقْرِضُوا اللهَ فَرَضًا حَسَنًا وَمَا تُقْدِمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَمْدُودُهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمُ أَعْرَافًا وَأَسْغَفُرُوا اللهُ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨)

(١) ينظر في : الكشاف للزمخشري (٤/٦٤١) ، فيض القدير للمناوي (٤/١٦٨) ، بیتمة الدهر في شعراء أهل العصر لأبي منصور الثعالی (ص : ٤٢٦) .

(٢) ذکرها الزمخشري في الكشاف (٤/٦٤٢) .

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ يَهُ﴾ وصف اليوم بالشدة أيضا ، وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنك بغيرها من الخلاائق . قرئ " منفطر " و " متقطر " <sup>(١)</sup> والمعنى : ذات انفطار ، أو على تأويل السماء بالسقف ، والسماء شيء منفطر به مثلها في قولك : فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني : أنها تنفطر بشدة هول ذلك اليوم كما ينفطر الشيء بما ينفطر به ، ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إنقاولا يؤدي إلى انفطارها لعظمها عليها وخشيتها من وقوعه كقوله : ﴿تَلَقَّتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ <sup>(٢)</sup> . و﴿وَعَدْهُ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول ، والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل وهو الله - تعالى ولم يجر له ذكر ، لكونه معلوما <sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشديد **﴿تَذَكَّرَةٌ﴾** وموعظة **﴿فَمَنْ شَاءَ﴾** اتعظ بها ، واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل إليه : التقرب والتسلل بالطاعة . **﴿أَذْنَى مِنْ ثُلْثَى﴾** أقل منهما ، وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل ، لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعد كثر ذلك . وقرئ : " ونصفه وثلثه " بالنصب <sup>(٤)</sup> على أنك تقوم أقل من الثنين ، وتقوم النصف والثالث وهو مطابق لما في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه <sup>(٥)</sup> /٣١٩ وبيان قيام الناقص منه وهو الثالث ، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثنين . **﴿وَطَلَّقَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾** وذلك شاق عليكم . **﴿عَلَمَ﴾** استئناف على وجه النسخ . **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الزَّكُوْنَ﴾** يعني : المفروضات . وقيل : زكاة الفطر ؛ لأنه لم يكن بمكة زكوة . ومن جعلها زكوة مفروضة جعل آخر السورة مدانيا <sup>(٦)</sup> .

**﴿فَرِضَ حَسَنًا﴾** ي يريد أداء الصدقات المفروضة والتفل على أحسن الوجوه ، من أطيب المال وأحله ، ومراعاة النية وابتغاء وجه الله ، و اختيار الفقير الصالح المحتاج ، وزمان الحاجات ؛ الفاقة والقطح .

(١) تنظر في : الكشاف للزمخشري (٤/٦٤٢).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧٨).

(٣) قرأ بها عاصم وحزة والكسائي وابن كثير وخلف ، وقرأ الباقيون " ونصفه وثلثه " بالكسر .  
تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٨/٣٦٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٨) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٩٣).

(٤) نسب السيوطي في الدر المثور (٨/٣١١) لابن الضريس وابن مردوه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال نزلت : **﴿يَأَيُّهَا الْمُرْسَلُون﴾** بمكة . ونسب لابن مردوه عن ابن الزبير مثله ، وللنحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة المزمل بمكة إلا آيتين : **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنَقَ﴾**.

## تفسير سورة المدثر [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِرُ ﴿١﴾ قُرْفَانِدَرُ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكِيرُ ﴿٣﴾ وَثَابَكَ فَطَهَرُ ﴿٤﴾﴾

﴿المَّدَّثِرُ﴾ لابس الدثار ، وهو ما فوق الشعاع ، والشعار : الثوب الذي يلي الجسد ، وفي الحديث ، قال النبي ﷺ : الأنصار شعار ، والناس دثار " <sup>(١)</sup> . وأدغمت التاء في الدال في " المدثر " ؛ كما أدغمت التاء في الزاي في " المزمل " .

وقيل : هي أول سورة نزلت . وعن الزهرى : أول ما نزل ﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿مَا زَلَّ﴾ <sup>(٢)</sup> ثم انقطع الوحي ، فحزن رسول الله ﷺ وكان يصعد على رؤوس الجبال ، فيهم أن يلقى نفسه ، فيعترضه جبريل فيقول : لا تفعل ؛ فأنت رسول الله <sup>(٣)</sup> . وقيل : سمع من قريش ما يكرهه ، فاغتم فتدثر ، فنزلت ، فأمر ألا يدع إنذارهم . ﴿وَثَابَكَ فَطَهَرُ﴾ أي : من النجسات واجباً في الصلوات ، ومستحبها في غيرها . وقيل : وظهر ؛ أي : فقصر ، وكانت العرب يجرون ذيلهم وراءهم ، فنهوا عن ذلك . وقيل : أمر بتطهير النفس من سوء الأخلاق ، وجميع المكرهات ؛ لأن الثوب يلبس الإنسان ، ويشتمل عليه ، فيعبر عنه به ، ويبدل منه بدل الاستعمال ، فيقول : أعجبني زيد حسنه ، وأعجبني زيد عقله ، وأعجبني ثوبيه . ويقولون : المجد في ثوبيه ، والكرم تحت حلته ؛ وأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاء عني بتطهير الظاهر وتنقيته .

﴿وَالْمُرْجَزُ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْرِ ﴿٧﴾ إِذَا فَرَقَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ بِوَمِيزْدَ

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٠) ، ومسلم رقم (١٠٦١) ، عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه .

(٢) سورة العلق ، الآيات (١ - ٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٢٠٧/٢) : " قوله : إن أول ما نزل قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِرُ﴾ ضعيف بل باطل ، والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق ﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ كما صرخ به في حديث عائشة - رضي الله عنها - وأما ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِرُ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرخ به في رواية الزهرى عن أبي سلمة عن جابر والدلالة صريحة فيه ، ثم قال : فالصواب أن أول ما نزل " أقرأ " وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِرُ﴾ وأما قول من قال من المفسرين : أول ما نزل الفاتحة بطبلاته أظهر من أن يذكر والله أعلم " .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (١٤٣/٢٩) .

١٠) **وَالْيَرَى** **عَلَى الْكُفَّارِ عَنْ يَسِيرٍ** ذَرْفٌ وَمَنْ حَلَقَتْ وَجِيدًا ١١)

﴿وَالْيَرَى﴾ العذاب **عَذَابٌ مَنْ رَجَزَ أَلِيمٌ**<sup>(١)</sup> . والمعنى الثبات على هجره ؛ لأنَّه كان بريئاً منه . والرجس - بالسين - : الشيء المبعد **فَأَجْتَبَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَوَّلَيْنَ**<sup>(٢)</sup> **تَسْتَكْثِرُ**<sup>(٣)</sup> مرفوع ، منصوب المحل على الحال ؛ ولا تعط شيئاً ؛ لتأخذ أجود منه ، فيكون نهاياً لرسول الله ﷺ (٣١٩/ب) خاصةً أن يفعل ذلك ؛ لأنَّ الله اختار له أشرف الأخلاق والأداب ، أو يكون نهي تزييه لا تحريم . وقرئ " تستكثر " بالجزم <sup>(٤)</sup> وفيه وجوه : أحدها: أن يكون بدلاً من " تمن " ، وأن يشبه ثروه بعوض <sup>(٤)</sup> فيسكن تخفيفاً ، وأن يعتبر حال الوقف . **وَلِرَبِّكَ فَانْصِرْ**<sup>(٥)</sup> أي : اجعل الصبر لوجه الله ، ولا تكن كالذي قال [من الكامل[:

وَتَجْلُدِي لِلشَّامِتَيْنِ أَرِيهِمُ      أَنِي لِرِبِّ الدَّهْرِ لَا أَنْضَعْسَعْ

قيل : فاصبر على أذى الكفار . وقيل : في مواقف القتال . وبين يديهم يوم عظيم يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى فيه عاقبة صبرك والفاء في " فذلك " للجزاء ، فوقت النقر في الناقور يحيى يوم عسير شديد على الكافرين . والنقر في الناقور : النفحـة الأولى . وقيل : الثانية . ويجوز أن يكون " يومئذ " مبنياً مرفوع المحل بدل من " ذلك " . و﴿وَيَوْمَ عَسِيرٌ﴾ خبر ، كأنه قيل : في يوم النقر عسير . فإن قلت : ما فائدة قوله : **عَنْ يَسِيرٍ** وعسير معن عنه؟ قلت : لما قال : **عَلَى الْكُفَّارِ** فقصر العسر عليهم قال : **عَنْ يَسِيرٍ** ؛ ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً ليجمع بين وعد الكافرين وزيادة غيظهم وبشاشة المؤمنين وتسلية لهم . ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى يسره كما يرجى يسر كثير من العسر في الدنيا . **وَجِيدًا** حال من الله - تعالى - وفيه معنيان : أحدهما : ذريني وحدني معه فأنا

(١) سورة سباء ، الآية (٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠).

(٣) قرأها الحسن وابن أبي عبلة . ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٢/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤١٢/٦) ، فتح القدير للشوكاني (٣٢٥/٥) ، الكشاف للزمخشري (٦٤٦/٤) ، المحتسب لابن جني (٣٣٧/٢) ، معانٰ القرآن للفراء (٢٠١/٣) .

(٤) في الأصل : يشبه بعوض ، والمثبت كما في الكشاف للزمخشري (٦٤٦/٤) وأن يشبه ثروه بعوض .

(٥) تقدم تخرجه في تفسير سورة الطور .

أجزيه . والثاني : خلقته وحدي لم يشاركني في خلقي أحد . أو حال من المخلوق ، أي : خلقه وحيدا لا مال له ولا جاه ولا قدرة ؟ كقوله : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا حَلَقْتُكُمْ أَوْلَىٰ مَرْقَةٍ﴾<sup>(١)</sup> . وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان قومه يلقبونه بالوحيد ، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به قبل ، فهو تهكم به وبلقبه الذي كانوا يقصدون به تعظيمه ورياسته وتقديره في الدنيا ، فنقل إلى وجه الذم والعيب فإنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد .

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَنْدُودًا ﴿١١﴾ وَبَيْنَ شَهُودًا ﴿١٢﴾ وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا ﴿١٣﴾ ثُمَّ بَطَّمْتُ أَنَّ أَرْيَدَ كَلَّا ﴿١٤﴾ إِنَّهُ كَانَ لِإِيَّنَا عِنْدًا ﴿١٥﴾ سَأْرِفْقَهُ صَعُودًا ﴿١٦﴾ إِنَّهُ كَانَ لِإِيَّنَا عِنْدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿مَنْدُودًا﴾ ميسوطا كثيرا أو مدا بالنعماء ، من قوله : مد النهر وأمده نهر آخر وكان له الزرع والضرع والتجارة . وقيل : كان له ما بين مكة والطائف مختلف الأنواع . وقيل : كان بستانانا بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا ولا شتاء . وقيل : كان له عشرة آلاف مثقال . وقيل : ألف ألف .

﴿وَبَيْنَ شَهُودًا﴾ حضورا معه بكرة لا يفارقوه لسفر ولا تجارة (١) لأنهم كان لهم كفالة يقومون بمصالحهم . ويجوز أن يكون معناه : أن له بينين يشهدون معه المحافظ ويحضرون في معظم الأمور . وقيل : كان له عشرة أولاد ذكور . وقيل : ثلاثة عشر ذكورا خاصة ، فمنهم خالد بن الوليد وعمارة وهشام . ﴿وَمَهَدْتُ لَهُ﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة وأقمت عليه نعمتي بالجاه والمال والأولاد .

كان الوليد من أكابر قريش وكان يقال له الوحيد وريحانة قريش . ﴿ثُمَّ بَطَّمْتُ﴾ استبعد واستنكار لطعمه وحرصه . يعني : أنه لا مزيد له على ما أعطي . ونقولوا أنه لم يتجدد مال ولا ولد بعد هذه الآية ، وهي قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ بَطَّمْتُ أَنَّ أَرْيَدَ كَلَّا﴾ (وكان يقول : إن محمدا صادقا فما خلقت الجنة إلا لي . ﴿كَلَّا﴾ ردع لرجائه وطعمه . ﴿إِنَّهُ كَانَ لِإِيَّنَا عِنْدًا﴾ تعليل للردع على وجه الاستئناف لأن قائلها قال : لم لم يزد ؟ فقيل له : إنه معاند لآيات الله وغير شاكر لنعمه ، ومن فعل ذلك لم يستحق المزيد . ﴿سَأْرِفْقَهُ﴾ ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من أنواع العذاب . وعن النبي ﷺ : " يكلف أن يصعد عقبة في

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

النار كلما وضع يده عليها ذابت ، فإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت <sup>(١)</sup> . عنه : " الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه أبدا " <sup>(٢)</sup> .

﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ ﴾١٨﴾ فَقُلْ كَيْفَ قَدَرَ ﴿١٩﴾ تَمْ قُلْ كَيْفَ قَدَرَ ﴿٢٠﴾

﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ﴾ تعلييل للوعيد لأن الله عاجله بالفقر بعد الغنى في الدنيا ، وأعد له في الآخرة عذابا عظيما لطغيانه وتكذيبه وقوله في القرآن : «إِنْ هَذَا إِلَّا سُرُورٌ» ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة لقوله : «سَأْزِفُهُ صَعُودًا» ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له ، وإن خبرا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويكون قوله : «إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ» بدلا من قوله : «إِنَّهُ كَانَ لَا يَنْتَعِيْدًا» ومعناه : إنه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقول . «فَقُلْ كَيْفَ قَدَرَ» تعجب من تقديره وإصابته فيه المخزومية الغرض الذي كان تنتهي قريش ، أو ثناء عليه على سبيل الاستهزاء وهو حكاية لما كرره من قوله : «قُلْ كَيْفَ قَدَرَ» تهكمًا بهم وبإعجابهم بتقديره . ومعنى قول القائل : قاتل الله فلانا ما أشجعه . أنه وصل إلى حد يحق فيه أن يقال : قاتله الله .

روي أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد (٢٢٠ / ب) سمعت من محمد كلاما ما هو بشر ولا كهانة ولا من كلام الجن ولا الإنس ، وإن له حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلىه لثمر ، وإن أسفله لغدق ، وإن يعلو ولا يعلى عليه . فقالت قريش : صبا والله الوليد ، والله لتصبون قريش كلها ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه . فقدع إليه حزينا فقام فأتألم فقال : أتزعمون أن محمدا مجانون فهلرأيتموه يختنق ؟ وترعمون أنه شاعر فهلرأيتموه يتعاطى شعرا ؟ وترعمون أنه كذاب فهلرأيتموه عليه كذبا ؟ فأجابوه بقولهم : اللهم لا . في كل فعل ذكره ، ثم قالوا : فما تقول ؟ ففكير ثم قال : ما هو إلا سحر يؤثر ؟ أما رأيتموه يفرق بين المرء وزوجه وولده وأهله ؟ وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل ، فارتاج النادي فرحا ، وتفرقوا متعجبين من قوله <sup>(٣)</sup> .

(١) نسبة الزيلعي في تحرير الكشاف للزمخشي (٤ / ١٢٠) ، والحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف للزمخسي (ص : ١٧٩) للبزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في البعث والنشر والطبراني وابن أبي حاتم .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣ / ٧٥) ، والترمذى رقم (٢٥٧٦) ، والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٠٧) ، وقال الترمذى : غريب وفي سنته ابن هبعة ، وضعفه الشيخ الألبانى في ضعيف الترمذى رقم (٤٧٣) .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٠٦) ، والواحدى في أسباب النزول (ص : ٤٦٨) رقم (٨٤٢) ، =

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكَبَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِيرَ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُضْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرَ ﴿٢٧﴾ لَا تُقْبَى وَلَا تَنْذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاءُهُ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَيْنَاهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَنْحَبَ الْأَرْضَ إِلَّا مَلِئَكَهُ وَمَا جَعَلْنَا عَدَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُسْتَبِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزِرَادَ الَّذِينَ مَأْمُوا إِيمَانًا وَلَا يَرَبَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْكُفَّارُ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِنَا مُتَلِّا كَذَلِكَ يُهُضِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَهُدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَلْعَلُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ وجوه الناس ، ثم قطب وجهه ، ثم زحف مدبرا وتشاؤس مستكبرا لما خطرت بياله الكلمة الشنيعة . وقيل : قدر ما يقوله ، ثم نظر فيه ، ثم عبس لما ضاقت عليه الحبل وقيل : قطب في وجه رسول الله ﷺ ثم أذبر عن الحق واستكبر عنه ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ : عطف على ﴿فَكَرَ وَقَدَرَ﴾ والدعاء : اعتراض بينهما وهو ﴿فَقُتِلَ كَفَرَ قَدَرَ﴾ . فإن قلت : ما معنى دخول " ثم " في هذه الآيات ؟ قلت : لاستبعاد ما أتى به الوليذ فجعل بعده عن الحق منزلة بعد المسافة . ﴿سَأُضْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدل من قوله " سَأَرْهُقُهُ " ﴿لَا تُقْبَى﴾ شيئاً إلا أهلكته ﴿وَلَا تَنْذَرُ﴾ هالكا حتى يعاد . ﴿لَوَاءُهُ﴾ من لاحته الشمس تلوحه : إذا غيرته أي : مغيرة للخلق . ﴿عَيْنَاهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي : يلي أمرها تسع عشر ملائكة . وقيل : تسع عشر صفا . جعلهم ملائكة ولم يجعلهم من جنس غير الملائكة من الجن والإنس ؛ لأن النفس إلى الجنس أميل وإذا كان المعدبون ملائكة والمعدبون من غير جنسهم لم تأخذهم الرقة عليهم كما لو كانوا من جنس واحد ؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فدل على أنه ليس عندهم محاباة ولا خروج عن عقوبة تكذيبهم ، والملائكة تومن غاثتهم <sup>(١)</sup> في ذلك . وروي أنه لما نزلت ﴿عَيْنَاهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل : ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبيشة يخبر أن خزنة جهنم تسع عشر وأنتم الدهم <sup>(٢)</sup> أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا ب الرجل منهم . فقال الأسد بن أسيد - وكان شديد البأس - : أنا أكيفكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين <sup>(٣)</sup> فأنزل الله تعالى - :

= ونبه السيوطي في الدر المثور (٦/٢٨٢) للبيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) الغائلة : الحقد الباطن اسم كالوابلة وفلان قليل الغائلة والمغاللة ، أي : الشر والجمع : الغائل وهي الدواهي . والغيلة بالكسر : الخديعة والاغتيال ، وقتل فلان غيلة أي : خدعة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله . ينظر : لسان العرب (غول) .

(٢) الدهم : العدد الكثير ، وقد دهمنا أي : جاءونا بمرة جماعة ودهمهم أمر إذا غشיהם فاشيا .

ينظر : لسان العرب (دهم) ، النهاية في غريب الأثر (٢/١٤٥).

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحَدَبَ لَتَارِ إِلَّا مَتَّكَه﴾<sup>(١)</sup>. وذكر أصحاب الأخبار أن أبا الأشد هذا كان يقف على الأديم العكاظي<sup>(٢)</sup> ويأمر الناس وإن كثروا أن يجذبوا ذلك الأديم من تحت قدميه فلا يستطيعون ، وينقطع الأديم ورجله ثابتة عليه . فإن قلت : قوله : ﴿وَلِقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾<sup>(٣)</sup> وهم المنافقون ولا منافق عند نزول هذه السورة ؛ لأنها كلها مكية ، وإنما نجم النفاق وظهر بالمدينة ؟ ! قلت : معناه : ول يقول الذين في قلوبهم مرض في المستقبل من الزمان ؛ لأنه ذكره بلفظة المضارع وهو " يقول " ولو كان بفعل الماضي لعاد مستقبلا بلا م " كي " ؛ لأن النواصب تقلب الماضي مستقبلا .

قوله : ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا﴾<sup>(٤)</sup> مثلا : تميز لـ " هذا " أو حال منه ؛ ك قوله : ﴿هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> تشبيها بالأمثال المضروبة ؛ لأنهما يشتراكان في الأمور المستغيرة . ﴿كَذَلِكَ﴾<sup>(٦)</sup> موضع الكاف فيها نصب ، و " ذلك " إشارة إلى قوله ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا﴾<sup>(٧)</sup> ﴿يَمْلَأُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾<sup>(٨)</sup> واختصاص كل فرقة منهم بما اختصت به ، كمساواة عقود الأعداد أو التنصيص عنها أو الزيادة عليها . ﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني القيامة ﴿إِلَّا ذَكَرَى﴾<sup>(٩)</sup> وأعداد النصب والكافارات والصلوات . أو ﴿وَمَا يَقْلُبُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾<sup>(١٠)</sup> لعدم الإحاطة بها لكثرتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١١)</sup> قوله : ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذَكَرَى لِلْبَشَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> معرض وهو متصل بوصف سقر ، و " هي " ضمير سقر أي : ما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر أو ضمير لآيات التي ذكرت فيها .

﴿كَلَّا وَلَقَرْمٍ﴾<sup>(١٣)</sup> ﴿وَأَتَيْلِ إِذْ أَذْبَرَ﴾<sup>(١٤)</sup> ﴿وَالصَّبْعَ إِذَا أَسْفَرَ﴾<sup>(١٥)</sup> ﴿إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾<sup>(١٦)</sup> ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾<sup>(١٧)</sup>  
 ﴿كَلَّا﴾<sup>(١٨)</sup> منع لأن تكون ذكرى للكفار . ﴿وَأَتَيْلِ إِذْ أَذْبَرَ﴾<sup>(١٩)</sup> أو ﴿أَذْبَرَ﴾<sup>(٢٠)</sup> صار كأن

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٢٩/١٥٩).

(٢) نسبة إلى عكاظ وهو سوق للعرب ، وموسم من مواسم الجاهلية ، وكانت قبائل العرب تجتمع بها كل ستة ويتناخرون بها ويخضرها الشعراء فيتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون . قال : وهي بقرب مكة كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهرا يتبايعون ويتناخرون ويتناشدون فلما جاء الإسلام هدم ذلك لأن العرب كانت تجتمع فيها . ينظر : لسان العرب (عكاظ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٧٣).

(٤) قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية شعبة وأبو جعفر " دبر " وقرأ نافع وحزة وحفص عن عاصم والباقيون " أدبر " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٨/٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٣) ، الدر المصنون للمسنن الحلبي =

[الدابر]<sup>(١)</sup>. وقيل : هو من دبر الليل والنهار إذا خلفه . كما جمعت فعلة على " فعل " جمعت " فعلى " عليها . أي : لإحدى البلايا الكبر . و﴿نذيرًا﴾ تميز من " إحدى " على معنى : إنها لإحدى الأمور العظام ؛ كما تقول : هي إحدى النساء عفافا .

وقيل : " نذير " متصل بأول السورة في قوله : ﴿يَأْتِيهَا الْمُذَرِّقُ﴾ نذير ، وهو من بدع التفاسير . وقرئ " نذير " بالرفع<sup>(٢)</sup> خبر بعد خبر .

﴿لَمْ شَاءْ مِنْكُمْ أَنْ يَقْدِمَ أَوْ يَأْتِيَّنَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسِّبَتْ رَهِينَةً ٢٧ إِلَّا أَخْبَثَ أَيْمَنَ ٢٨ فِي جَنَّتِهِ ٢٩ يَسَّأَلُونَ ٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ ٤٢ فَأَلْوَأْتُكُمْ مِنَ الْمُصَلَّيَنَ ٤٣ وَلَرَنَكُمْ نُطْعَمُ ٤٤ الْمِسْكِينَ ٤٥ وَكُنْتُمْ تَخُوضُ مَعَ الْخَاضِينَ ٤٦ وَكَانَتْكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَمِنَ ٤٧ حَقَّ أَنَّنَا أَلْقَيْنَا ٤٨ فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّانِعِينَ ٤٩ فَمَا لَمْمَنْ عَنِ الْأَنْذِرَةِ مُعْرَضِينَ ٥٠ كَانُهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ٥١ فَرَأَتْ مِنْ قَسَوَةَ ٥٢ بَلْ يُرِيدُكُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُؤْقَ صُحْفًا مُشَنَّشَةً ٥٣﴾

﴿أَنْ يَقْدِمَ﴾ مرفوع بالابتداء . و﴿لم شاء﴾ خبر مقدم عليه ؛ كقولك لمن تو PSD أن يصلى . والمراد السبق إلى الخير والتأخر (٣٢١ / ب) عنه . ويجوز أن يكون ﴿لم شاء﴾ بدلا من ﴿لتسر﴾ .

وليست الرهينة تائيا لـ " رهين " ؛ لأن فعلاً يعني مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم للرهن ؛ كالشتمية بمعنى الشتم ؛ كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهن معناه ﴿إِلَّا أَخْبَثَ أَيْمَنَ﴾ فكوا رقاهم بعمل الطاعات واجتناب المعاصي . وقيل : المراد الأطفال ؛ لأنهم لا أعمال لهم يرت亨ون بها . وقيل : الملائكة ، وتنكير " جنات " لتهويل أمرها . والقياس : يتساءلون المجرمين : ما سلككم ، إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار ، ونظيره : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنْأَيْرُسُولُرِيَكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾<sup>(٣)</sup> . والواهب هو الله - تعالى - وإنما هو

= (٤١٩ / ٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٩) ، معاني القرآن للفراء (٢٠٤ / ٣) ، النشر لابن الجزري (٣٩٣ / ٢).

(١) زيادة من الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٥٣) غير واضحة بالأصل .

(٢)قرأ بها أبي بن كعب وابن أبي عبلة . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٧٩) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦ / ٤٢٠) ، فتح القدير (٥ / ٣٣١) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٥٣) ، معاني القرآن للفراء (٣ / ٢٠١).

(٣) سورة مريم ، الآية (١٩) .

حكاية قول الله - تعالى . الخوض : الشروع في الباطل وما لا ينبغي . فإن قلت : أتريدون أن كل واحد فعل الأمور الأربع ، أو هذا فعل بعضاً وذاك بعضاً ؟ قلت : تحتمل الأمرين جميعاً . واليدين : الموت ومقدماته لم نقبل ؛ لأن الشفاعة إنما تكون لمن ارتضى ، وهؤلاء مغضوب عليهم غير مرضيئين . **﴿عَنْ أَنْذِكُرُوهُ﴾** عن الموعظة ، يريده : القرآن وغيره من الموعظ . **﴿مُتَّفِرِضِينَ﴾** نصب على الحال . **﴿شَدِيدَةُ النَّفَار﴾** شديدة النفار ؛ كأنها تستدعي النفار من نفسها في جمعها له وحملها عليه . وقرئ بالفتح <sup>(١)</sup> وهي المنفرة المحمولة على النفار . والقصورة : جماعة الرماة الذين يتصدونها .

وقيل : الأسد ، يقال : ليوث قساور وهي فعولة من القسر والإجلاء .

و عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : القصورة ركز الناس وأصواتهم <sup>(٢)</sup> . وعن عكرمة : ظلمة الليل <sup>(٣)</sup> . وتشبيههم بالحمر تهجين لحاهم ؛ كما في قوله تعالى : **﴿كَمَثَلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْقَارًا﴾** <sup>(٤)</sup> وشهادة عليهم بالبله . ولا ترى مثل نفار حمار الوحش وأكثر ما يشبه العرب إبلهم في سرعة سيرها بحمار الوحش . **﴿صُحْفًا مُّثَرَّةً﴾** أي : نزلت من السماء ببلغ الكفار ما يتمنون من النجاة ، وذلك أنهم قالوا : **﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُؤْبِكَ حَقَّ تَنَزُّلِنَا كِتَابًا نَّقَرَرُهُ﴾** <sup>(٥)</sup> فيه اسم كل واحد منها .

**﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾** <sup>٥٣</sup> **﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴾** <sup>٥٤</sup> **﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾** <sup>٥٥</sup> **﴿وَمَا يَذَكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْأَنْتَقَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ﴾** <sup>٥٦</sup>

**﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾** فلذلك أعرضوا عن التذكرة . قيل : إن القرآن تذكرة بلية لا

(١) قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر ، وقرأ الباقيون **“مستفيرة”** بالكسر .

تنظر القراءات في : البحر الحبيط لأبي حيان (٨/٣٨٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٥)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٤٢٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٦٠)، الكشاف للزمخشري (٤/٦٥٦)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٩٣).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٢٩/٢٩٠)، ونسبة السيوطى في الدر المثور (٨/٣٣٩) لسفيان بن عيينة في تفسيره وعبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٦٥٦).

(٤) سورة الجمعة ، الآية (٥).

(٥) سورة الإسراء ، الآية (٩٣).

تقدر قدرها . ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ وإنَّه يرجع إلى قوله : ﴿إِنَّمَا أَنْشَأَهُ لِأَنَّهُ مَرَادٌ بِالْمَذْكُورَةِ : الْذِكْرِ . وَمَا يَذَكُرُونَ إِلَّا أَنَّ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَنْ يَتَذَكَّرُوا (١) / ٣٢٢ ) ﴿هُوَ أَهْلُ الْكَوْنَى﴾ أَهْلُ أَنْ يَتَقَى ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أَنْ يَغْفَرَ لِمَنْ يَتَقَى .

\* \* \*

## تفسير سورة القيامة [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ (١)

إدخال " لا " النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم ؛ قال امرؤ القيس [ من المقارب ] :

لا وأبيك ابنة العameri لا يدعى القوم أني أفز<sup>(١)</sup>

وقال غوية بن سلمي [ من الوافر ] :

ألا نادت أمامة باحتمالي لتحزني فلا بك ما أبالى<sup>(٢)</sup>

وفادتها : توكيـد القسم . وقيل : هي زائدة ؛ كما في قوله : ﴿ثَلَاثَةِ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup> .

وفي قوله [ من الرجز ] :

في بئر لا حور سرى وما شعر .....<sup>(٤)</sup>

واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله . وأجابوا : بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض ، والاعتراض صحيح ؛ لأنها لم تقع زائدة ، والجواب غير سليم ، ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيـته . والمعنى : أن الشيء لا يقسم عليه إلا إعظاما له ، يدل عليه قوله : ﴿فَلَا أَقِيمُ يَوْمَ الْجُمُرَةِ وَلَئِنْ لَّكُسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> كأنه يقول : إعظامي لهذا القسم كلا إعظام ، يعني : أنه يستحق فوق ذلك .

(١) ينظر البيت في : خزانة الأدب للبغدادي ( ٤٨٩ / ٤ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٤٢٤ / ٦ ) ، ديوان امرئ القيس ( ص : ٦٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٥٨ / ٤ ) ، المختسب لابن جنى ( ٢٧٣ / ٢ ) ، معنى الليب لابن هشام ( ٤١٤ / ١ ) .

(٢) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣٨٤ / ٨ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٤٢٤ / ٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٥٨ / ٤ ) ، لسان العرب ( أهل ) .

(٣) سورة الحديد ، الآية ( ٢٩ ) .

(٤) صدر بيت للعجاج وعجزه : يافكه حتى رأى الصبح حشر . ينظر في : تفسير ابن كثير ( ٣٠ / ١ ) تفسير ابن حجر الطبرى ( ٨١ / ٨ ) ، الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٤٢٤ / ٦ ) ، ديوان العجاج ( ص : ١٦ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ١٩٦ / ٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٥٨ / ٤ ) ، لسان العرب ( حور ) .

(٥) سورة الواقعة ، الآية ( ٧٥ - ٧٦ ) .

وقيل : إن " لا " رد لأمر سبق لأنهم أنكروا البعث فقيل لهم : لا وجه لإنكاركم إيه ثم قيل : أقسم بيوم القيمة .

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ ﴾١﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنَّ جَمِيعَ عَظَمَةَ ﴾٢﴾

فإن قلت : فقوله - تعالى - : ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> . والأبيات التي أنسدتها المقسم عليه فيها منفي ، فهلا زعمت أن " لا " التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له ، وقدرت المقسم عليه المذوف عليه ها هنا منفيا كقولك : لا أقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى ؟ قلت : لو قصرت الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول وجه ، ولكنه لم يقصر إلا ترى كيف لقى ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدَ﴾ بقوله : ﴿لَنَدْخَلَنَا إِلَيْنَاهُ فِي كَبِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup> . وكذلك قوله : ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ الْجُحُورِ﴾ أجيب بقوله : ﴿إِنَّهُ لَقُرْبَةٌ كَيْمٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقرئ : " لأقسم " <sup>(٤)</sup> . على أنه جعل اللام لام الابتداء ، و " أقسم " خبر مبتدأ مذوف معناه : لأننا أقسم . قالوا : ويعضده أنه في الإمام بغير ألف .

﴿بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ﴾ هي النفس المتيبة التي تلوم نفسها على التقصير أي : في القيمة . وعن الحسن : إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه (٣٢٢ / ب) وإن الكافر يمضي فيما هو عليه لا يعاتب نفسه <sup>(٥)</sup> . وقيل : هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها . وجواب القسم : ما دل عليه وهو قوله : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنَّ جَمِيعَ عَظَمَةَ﴾ وهو لبعشن .

وروي أن الأحسن بن شريق قال للنبي ﷺ : " أخبرني عن القيمة كيف هي ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك فقال : لو شاهدت ذلك بعيني لما صدقتك أو يجمع الله العظم الرميم ؟

(١) سورة النساء ، الآية (٦٥) .

(٢) سورة البلد ، الآيات (١ - ٤) .

(٣) سورة الواقعة ، الآيات (٧٥ - ٧٧) .

(٤) قرأ بها ابن كثير في رواية قبل عنه . تنظر في : الإملاء للعكبري (٢ / ٢٧٤) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٢١٣) ، تفسير للقرطبي (١٧ / ١٢٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٥) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦ / ٢٦٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦١) ، الكشاف للزمخشري (٤ / ٦٥٩) ، المحتسب لابن جنی (٢ / ٣٤١) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٨٢) .

(٥) رواه الطبرى في تفسيره (٢٩ / ١٧٤) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور (٨٠ / ٣٤٣) لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس عن الحسن رحمه الله .

فترلت<sup>(١)</sup>. التقدير: بلى نجمتها .

﴿بَلْ فَقِيرِينَ عَلَى أَن تُشْوِيَ بَنَاهُ، ٤٠ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَقْجُرَ أَمَامَهُ، ٥٠ يَسْتَأْلِ آيَاتَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ٦٠ فَإِذَا بَرَقَ ٧٠ الْبَصَرُ ٨٠ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٩٠ وَجَمِيعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ١٠ يَقُولُ إِنَّ إِنَّ الْمَفَرُ ١١ كَلَّا لَا وَرَدَ ١٢٠ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسْتَغْرِفُ ١٣٠ يَبْتَوِي إِنَّ إِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَمَ وَآخَرَ ١٤٠ بَلْ إِنَّ إِنَّ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٥٠﴾

﴿قدِيرِينَ﴾ حال من الضمير في "نجم" أي: نجمتها قادرین .

﴿عَلَى أَن تُشْوِيَ بَنَاهُ﴾ أي: أصابعه أو على أن نسوی بناته ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها ببعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان . وقيل: بل نحن قادرون على أن نجمع عظام يديه ورجليه ، ونجعلها عظماً واحداً فلا يتأنى به القبض والبساط . وقرئ "قادرون"<sup>(٢)</sup> . أي: نحن قادرون .

﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على "أيمحسب" ﴿لِيَقْجُرَ أَمَامَهُ﴾ لي-dom على ما هو عليه من الفجور فيما يستقبله من الزمان . وعن سعيد بن جبير : يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول : سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله<sup>(٣)</sup> .

﴿يَسْتَأْلِ﴾ سؤال متعنت ﴿آيَاتَ﴾ بمعنى: متى ، أي: يسأل متى يوم القيمة استهزاء وتعنا . ﴿بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ تغير وأصله: من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذهب ضوء أو ذهب بنفسه . ﴿وَجَمِيعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ يجمعهما الله - تعالى - يوم القيمة ويطلعهما من المغرب . وقيل: وجمعوا في ذهاب الضوء . وقيل: يجمعان أسودين مكورين لأنهما ثوران عقيران في النار . وقيل: يجمعان ثم يقذفان في البحر فتكون نار الله الكبرى .

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٦٩) رقم (٨٤٣) ، نسبة الحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف (ص: ١٨٠) للتعليق والبغوي والواحدي .

(٢) قرأ بها ابن أبي عبلة وابن السميق . تنظر في: الإمام للعكبري (٢/٢٧٤) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨/٢١٣) ، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٤٢٦) ، فتح القدير للشوكتاني (٥/٣٣٦) ، الكشاف للزخري (٤/٦٦٠) ، مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/٢١٧) .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٢٩/١٧٧) ، وذكر السيوطي في الدر المثور (٨/٣٤٤) نحوه ونسبة للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

﴿الْقَرْ﴾ موضع الفرار . ﴿لَا وَرَدَ﴾ لا ملجاً . وكل ما التجأت إليه من جبل أو حصن فهو وزرك . ﴿إِلَيْ رِبِّكَ﴾ خاصة لتقديم المجرور .

﴿تَوَمِّدُ الْسَّقَرَ﴾ أي : يرجع كل أحد إلى ما استقر عليه حكم الله .

﴿بِمَا قَدَمَ وَلَنَزَ﴾ من عمل عمله وبما أخر فلم يعمله . وقيل : بما قدم من ماله فتصدق به أو أخره منه فورث عينه . وقيل : ما قدم من عمل الخير والشر .

﴿بَصِيرَةُ﴾ حجة بينة وصفت بالبصرة مجازاً ؛ كقوله : ﴿وَإِنَّا شَوَدَ النَّافَّةَ بَصِيرَةً﴾<sup>(١)</sup> أو عين بصيرة . والمعنى : أنه ينشأ بأعماله وإن لم ينشأ في فيه ما يجزئ عن الإناء ؛ لأن نفسه شاهدة عليه بما عملت ؛ لأن جوارحه تشهد عليه . ﴿يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمُ الْأَيْمَنُهُمْ وَالْأَيْمَنُهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ﴾ الآية<sup>(٢)</sup> (١ / ٣٢٣) .

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً، ١٥ لَا تُحْرِكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمَعَهُ، وَقُرْنَةَ أَنَّهُ، ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَأَلْقَى قُرْنَاهُ، ١٨ تَمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، ١٩ كَلَّابٌ تُجْهَنَّمُ الْعَاجِلَةَ ٢٠ وَذَرُونَ الْآخِرَةَ ٢١ وَجُوهٌ تَوَمِّدُ نَاضِرَةً ٢٢ إِلَى رَهَنَانَاطِرَةً ٢٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِنَ بَاسِرَةً ٢٤ فَلَمَّا أَنْ يَفْعَلَهَا فَاقِرَةً ٢٥﴾

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً﴾ ولو أكثر من الجدال والمحاجة لم يفعله ذلك . وقيل : المعاذير : الستور ، واحدتها : معدار ؛ لأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع العذر عقوبة المعذر . فإن قلت : القياس أن يجمع معدار على معاذر ؟

قلت : ليست المعاذير جمع معدار ولكنها اسم جمع ، ونحوه : المناكير في المنكر . والضمير في " به " للقرآن . وكان رسول الله ﷺ إذا لقى الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً أن يتفلت منه فأمر بأن يصغي إليه منصتاً مقبلاً بقلبه ووعده أن يثبته في صدره فلا ينساه<sup>(٣)</sup> .

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ جعل القراءة جبريل القراءة . القرآن : القراءة . ﴿فَأَلْقَى قُرْنَاهُ﴾ فكن متبعاً له منه ولا تراسله وطامن نفسك لا يبقى غير محفوظ ؛ فإن الله - تعالى - قد تكفل بحفظه

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٩) .

(٢) سورة النور ، الآية (٢٤) .

(٣) رواه الطبراني في تفسيره (٢٩ / ٨٨ - ٨٩) .

وحفظه . ﴿تَمِّمْ إِنْ عَيْتَنَا بِإِنَّهُ﴾ إذا أشكل عليك فهم معناه كأنه كان يستعجل في القراءة يراسل جبريل ، ويسأله جبريل عن معانيه كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضِيَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾<sup>(١)</sup> كله نهي لرسول الله ﷺ عن العجلة وحثه على الثاني فإذا فرغ جبريل من قراءته فاقرأه حيئذ .

الوجه عبارة عن الجملة . والناشرة : من نصرة النعيم . ﴿إِنَّ رَبَّهَا تَاطِرٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لتقديم المجرور . والباسر : السبع الخلق الشديد العبوس . والباسل أشد منه لكنه غالب استعماله في الشجاع إذا اشتد كلوحه . ﴿فَاقْرِئْ﴾ داهية تقصص فقار الظهر كما توقعت الوجهة الناضرة أن يفعل معها كل خير .

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مِنْ رَاقِ ﴿٢٧﴾ وَطَنَ أَنَّهُ التَّرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَلَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَيْكَ يَوْمِيَذِيَّ  
 أَلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، سَمَطَنِي  
 ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٣﴾ أَيْخَسَبَ إِلَيْنَنْ أَنْ يَدْرَكَ سُنَّى ﴿٣٤﴾ التَّرَاقُ طُفَّةٌ مِنْ مَيِّيْمَنِي  
 ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَطَلَقَ فَسَوَىَ  
 بَقِيلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ الدَّكَرُ وَالْأَنْقَى ﴿٣٥﴾ أَتَيْسَ دَلِيكَ يَقْدِيرُ عَلَى أَنْ يَخْسِيَ الْمَوْتَ ﴿٣٦﴾  
 بَقِيلَ ﴿٣٧﴾

﴿كَلَّا﴾ رد عن إيثار الدنيا على الآخرة الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة وإن لم يجر لها ذكر ؛ دلالة الكلام عليها ما قال حاتم [ من الطويل ] :

أَمَوِيُّ مَا يَعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتْيِيْ إِذَا حَشِرْجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدَرُ<sup>(٢)</sup>

تقول العرب : أرسلت . تريد المطر ، ولا تكاد تسمعهم يقولون : أرسلت السماء مطرها

﴿الْتَّرَاقِ﴾ العظام المكتنفة لغرة النحر عن يمين وشمال . ﴿وَقِيلَ مِنْ رَاقِ﴾ من يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول منازل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي وقد دنا زهوتها . وقال أصحاب المختصر : ﴿مِنْ رَاقِ﴾ أيكم يرقى بما

بـ .

وقيل : هو قول (٣٢٣ / ب ) الملائكة بعضهم لبعض : أيكم يرقى بروحه ، أملائكة

(١) سورة طه ، الآية (١١٤) .

(٢) ينظر في : تفسير الطبرى (٣٠ / ١٣) ، غريب الحديث لابن سلام (٨٠ / ٣) ، غريب الحديث للخطابي (٢٣٢ / ٢) ، الكشاف للزمخشري (٦٦٣ / ٤) ، لسان العرب (قرن) .

الرحمة أم ملائكة العذاب . ﴿وَالْفَتَنَ﴾ ساقه بساقه ، والتوت عليها عند قلق الموت . وعن قنادة : ماتت رجلاه فلا تحملانه ، وقد كان عليهما جوالا<sup>(١)</sup> . وقيل : لشدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة . وقيل : هما ساقاه إذا لفا في أكفانه ﴿الْمَسَاق﴾ أي : يساق إلى الله وإلى حكمه . ﴿فَلَا صَنْفَ لِأَصْنَافٍ﴾ يريد الإنسان الذي قال فيه : ﴿أَيْخَسَّا لِإِنْسَنٍ أَنْ يُتَرَكَ سُدًّي﴾ مهملاً بغير راع يراعيه .

﴿يَتَعَظَّم﴾ يتباخر . وأصله يتمطط ، فقلبت لاجتماع المثلين أي : يتمدد ؛ لأن المتباخر يمد خطاه . وقيل : هو من المطا وهو الظهر . وفي الحديث : " إذا مشت أمري المطيطاء وخدمهم فارس والروم فقد جعل بأسمهم بينهم " <sup>(٢)</sup> . يعني : كذب رسول الله ﷺ وتولى عنه متباخراً يفتخر بذلك . ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ بمعنى : ويل لك ، دعاء عليه بأن يليه ما يكره . ﴿فَخَلَقَ﴾ فقدر ﴿فَسَوَى﴾ فعلد . ﴿مِنْ﴾ من الإنسان .

﴿الرَّوَجَيْنَ﴾ الصنفين . ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بِقَدِيرٍ﴾ على الإعادة .

\* \* \*

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (١٩٨/٢٩).

(٢) رواه الترمذى رقم (٢٢٦١) ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦/٥٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهم . وقال الترمذى : غريب . وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٨٠١) .

## تفسير سورة الإنسان [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿ هَلْ أَقَدَ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذَكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَنْشَأْنَا بَنَتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَغَصَّنَا لِلْكَفَّارِ بِكَلَامِنَا سَلَسِلًا وَأَغْلَلَاهُ وَسَعَيْرًا ﴿٤﴾ ﴾

﴿ هَلْ ﴾ يعني : قد في الاستفهام خاصة . والأصل : أهل ؛ بدليل قوله [ من البسيط ] :

..... أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم<sup>(١)</sup>

المعنى : قد أتي ، على التقدير والتقريب جيما . « لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذَكُورًا » أي : بل كان شيئا منسيا . والمراد بالإنسان : الجنس ؛ لقوله : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ » ، قوله : « لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذَكُورًا » موضعه نصب على الحال ، كأنه قيل : أتي عليه حين من الدهر غير مذكور ، أو الرفع على الوصف لـ " حين " ؛ كقوله : « وَاحْشُوا يَوْمًا لَا يَجِزُونَ وَالْدُّعَنَ وَلَدِيهِ »<sup>(٢)</sup> . وقرئت عند إنسان فقال : ليتها تمت ، أي : ليتها بقيت على تلك الحال منسية . قوله : « مِنْ نُطْفَةٍ أَنْشَاجَ » كقوله : برماء أعشار ، وبرد أخلاق ، ومشحة ومزجة بمعنى ، معناه : أنه قد خلق من نطفة امترج فيها الماءان ماء الرجل وماء المرأة .

وعن ابن مسعود : هي عروق النطفة<sup>(٣)</sup> . وقيل : ألوان وأطوار : نطفة ثم علقة ثم مضغة **« بَنَتَلِيهِ »** في موضع الحال أي : خلقناه مبتلين له أي : مقدرين له الابتلاء كقولك : مررت برجل معه صقر (٣٢٤ / ١) صائدا به غدا . أو يريد : ناقلين له من حال إلى حال . وقيل : فيه تقديم وتأخير ، تقديره : فجعلناه سميعا بصيرا ببناتلاته وهو من التعسف<sup>(٤)</sup> . وشاكرا وكفورا : حالان من اهاء في " هديناه " . ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي :

(١) عجز بيت وصدره : سائل فوارس يربو حلقه ..... ينظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٣٦ / ٦) ، الكشاف للزمخشري (٣٤٢ / ٣) وبروى الشطر الثاني : أهل رأونا بوادي النت ذي الأكم.

(٢) سورة لقمان ، الآية (٣٣).

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٢٠٥ / ٢٩).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٦٦٦ / ٤) وقال السمين الحلبي في الدر المصنون (٤٣٨ / ٦) : وهذا لا حاجة إليه .

عرفناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً؛ كقوله : ﴿وَهَدَيْتَهُ أَلْجَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز . ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعد والوعيد .

﴿سَلَسِلًا﴾ قرئ بالتنوين<sup>(٢)</sup> وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون التنوين بدل حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف . والثاني : أن يكون صاحب الرواية من ضرى برواية الشعر وفيه صرف ما لا ينصرف<sup>(٣)</sup> .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشَرِّبُونَ مِنْ كَأْنِ كَانَ مِرَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشَرِّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُمْجَرُونَهَا تَفَحِّيرًا ﴿٦﴾ يُؤْفَنُ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الظَّعَامَ عَلَى حُمَّىٰ وَسَكِّينًا وَيَتَمَّا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿الْأَبْرَار﴾ جمع بر أو بار وهم الذين لا يؤذون النزء<sup>(٤)</sup> . الكأس : الزجاجة إذا كان فيها خمر ، وتسمى الخمر نفسها كأسا . ﴿كَافُورًا﴾ اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده .

وقيل : يمزح لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك . وقيل : يخلق فيها رائحة الكافور وبرده فكأنها مزجت به . و﴿عَيْنًا﴾ على هذا القول بدل من محل ﴿مِنْ كَأْنِ﴾ على تقدير حذف مضاف ، كأنه قيل : يشربون خمر عين أو نصب على الاختصاص . وأتى في الأول بـ "من" ؛ لأن الكأس أول شربهم ، فلذلك قيل : ﴿يَشَرِّبُونَ مِنْ كَأْنِ﴾ وعداها بالباء في الثاني ﴿يَشَرِّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ فمعنى ذلك : يشربون الخمر بالماء كقولك : "شربت الماء بالعسل" .

(١) سورة البلد ، الآية (١٠) .

(٢) قرأ بالتنوين نافع والكسائي وهشام وشعبة وأبو جعفر وصلا ، وبإداله ألفا وفقا . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣٩٤ / ٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٧) ، الدر المصور للسميين الحلبي (٤٣٩ / ٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٦٦٧ / ٤) ، النشر لابن الجوزي (٣٩٤ / ٢) .

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٦٦٧ / ٤) وقال السمين الحلبي في الدر المصور للسميين الحلبي (٤٣٩ / ٦) معقبا : وفي هذه العبارة فظاظة وغلوطة لا سيما على مشيخة الإسلام وأئمة العلماء الأعلام وقرئ بها أيضا ، ووقف هؤلاء بالألف ظاهر .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٤٦ / ٣) ، ونسبه له السيوطي في الدر المثور (٤١٥ / ٢) عن الحسن رحمه الله .

﴿فَمُجْرِّبُونَهَا﴾ يخرجونها من منازلهم حيث شاءوا . قوله : ﴿يُوْفُونَ بِالنَّذْر﴾ جواب لمن سألهم : فيمَ حصل لهم ذلك ؟ فقال : يوفون بالنذر ، مدحهم على الوفاء به ، ولم يمدحهم على أصل النذر ؛ لأنَّ أصل النذر ليس بمحظٍ ؛ لأنَّ به يستخرج مال البخيل<sup>(١)</sup> ﴿مُسْتَطِلِّرًا﴾ فاشيا منتشرًا بالغاً أقصى الانتشار . ﴿عَلَى حِمْدِهِ﴾ على حب الطعام أو حب الإطعام أو حب الله تعالى - وكان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيقول لآخره : أحسن إليه ، فيؤثره على نفسه<sup>(٢)</sup> . وعند عامة العلماء : يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا يصرف إليهم الواجبات . وقيل : كان الأسير في ذلك الوقت المشرك فأحوك المسلم أحق منه فأحسن إليه . وقيل : هو الملوك والمسجون وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " غريبك أسيرك فأحسن إلى أسيرك " <sup>(٣)</sup> .

﴿إِنَّمَا تُطْعِمُكُمُ الْوَقِيدَهُ اللَّهُ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَرَاهُهُ وَلَا شُكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَاطِرِيْرًا ﴿٢﴾ فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَئِنْهُمْ نَصَرَهُ وَسُرُورًا ﴿٣﴾ وَجَزِّهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّهُ وَحَرِيرًا ﴿٤﴾ مُشَكِّنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَابِيْكَ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَسَّاً وَلَا زَمَهِرِيْرًا ﴿٥﴾

﴿إِنَّمَا تُطْعِمُكُمُ﴾ على إرادة القول ، ويجوز أن يكون قوله باللسان أو بلسان الحال وكانت عائشة - رضي الله عنها - إذا بعثت إلى أهل بيته شيئاً (٣٤ / ب) قالت للرسول : " احفظ ما يقولون ؛ فإن ذكر دعاء أو ثناء أنت عليهم بمثله ، ودعت لهم بما مثله حتى يسلم لها ما أعطته من غير مكافأة " <sup>(٤)</sup> . ويجوز أن يكون ذلك بياناً لصحة اعتقادهم . وقيل : أما إنهم لم يتتكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم . والشكور والكفور : مصدران كالشكر والكفر . ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ يحمل أن يراد ليس إحساناً إليكم لطلب مجازة ، بل لطلب رضا الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : " إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر وإنما يستخرج به من البخيل " وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٨٠).

(١) روى أحمد والحاكم كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير رقم (٣٧٤٣) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : " إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر وإنما يستخرج به من البخيل " وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٨٠).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٣٣ / ٤) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص : ١٨٠) ولم يعلقا عليه .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٦٦٨ / ٤) وقال المناوي في الفتح السماوي تخريج أحاديث البيضاوي (١٠٧٠ / ٣) : قال الولي العراقي : لم أقف عليه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٦٦٨ / ٤) .

وخفقا من عقابه . ووصف اليوم بالعبوس مجازا ما وصف بصفة أهلها ؛ كقولك : نهارك صائم وليلك قائم . أو أن يشبه في عبوسه بالأسد العبوس . والقمطري : الشديد العبوس ، فيقال : اقطرت الناقة : إذا رفعت ذنبها وجمعت قطرتها ورمت بأنفسها فاشتبه من القطر وجعل الميم مزيدة . وأعطاهم بدل عبوس اليوم **﴿نَضَرَةً وَسُرُورًا﴾** نضرة في الوجه وسرورا في القلب . **﴿وَجَرَّهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾** وروي : أن الحسن والحسين مرضا ، فقال النبي ﷺ لعلى : لو نذرت نذرا لولدك . فنذر علي وفاطمة وفضة خادمتهم نذرا لذلك ، فلما شفاهما الله تعالى - لم يكن عند علي شيء ، فاقترض من يهودي ثلاثة آصع من شعر فصنعتها فاطمة خمسة أقران ، فلما قدموها للإفطار وقف مسكين على باب دارهم وقال : يا أمة محمد مسكين من مساكين أمة محمد جائع أطعمونا أطعمونا أطعمكم الله من ثمار الجنة ، فأثروه بالكل فلما أصبحوا في اليوم الثاني فعلوا كالامس فجاء وقت الإفطار يتيم وذكر حاجته وفقره فأثروه بالجميع . وفي اليوم الثالث فعل علي كما فعل بالأمس فجاء أسير جائع فأنزل الله تعالى : **﴿وَيُطْعِمُونَ الظَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِنًا وَيَمِّنَ أَسِيرًا﴾**<sup>(١)</sup> . والزمهري قال الشاعر [ من الكامل ] :

وليلة ظلامها قد اعتكرْ  
قطعتها والزمهريرُ ما زهر<sup>(٢)</sup>

وقيل : الزمهرير : شدة البرد .

**﴿وَدَائِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظَلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا لَذِلِّلًا ١٦﴾** **﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ يَانِيَةً مِنْ فَضَّةٍ وَأَكَابِرٌ كَانَتْ قَوَابِرًا ١٧﴾**  
**﴿قَوَابِرًا مِنْ فَضَّةٍ قَدَرُوهَا لَقَبِيرًا ١٨﴾** **﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِنْ أَجْهَمَ زَنجِيلًا ١٩﴾**

(١) ذكره الزيلعي في تحرير الأحاديث والأثار التي في الكشاف ( ٤ / ١٣٣ - ١٣٤ ) ، والحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف ( ص : ١٨٠ ) ، ونسبة للشعبي في تفسيره عن ابن عباس . وذكره الواحدى مختصرًا في أسباب النزول ( ص : ٤٧٠ ) رقم ( ٨٤٤ ) ، ونسبة السيوطي في الدر المثور ( ٦ / ٢٩٩ )

لابن مردوح ، ونقل الحافظ ابن حجر عن الحكيم الترمذى قوله : ' ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب إلا على أحق جاهل . وقال الحافظ ابن حجر كذلك : ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندى عن محمد بن كثير عن الأصبغ بن نباتة وقال ابن الجوزي : وهذا لا تشک في وضعه .

(٢) ينظر البيت في : البحر الخيط لأبي حيان ( ٨ / ٣٩٦ ) ، الدر المصور للسمين الحلبي ( ٦ / ٤٤٣ ) ، الكشاف للزمھری ( ٤ / ٦٧٠ ) ، ختار الصلاح ( زمهر ) .

ودخلت الواو في قوله : «**وَدَانِيَةٌ**» ليلعلم باجتماع الأمراء وقرئ : «**وَدَانِيَةٌ**» بالرفع<sup>(١)</sup> على أن «**ظَلَالُهَا**» مبتدأ و «**دَانِيَةٌ**» خبر . والجملة في موضع الحال . «**مُتَكَبِّنَةٌ**» «**وَدَانِيَةٌ**» و «**لَا يَرَوْنَ**» كلها صفات للجنة . ويجوز أن يكون قوله : «**وَدَانِيَةٌ**» عطفا على «**جَنَّةٌ**» الأولى ، أي : وجنة أخرى غير تلك الأولى دانية ظلالها ومعنى تذليل القطوف : أنها بحيث لا تنبع من يريد(٣٢٥ / ١) قطافها .

«**فَوَارِيرًا فَوَارِيرًا**» قرئا بغير تنوين وبثنوين الأولى منها وتثنينهما<sup>(٢)</sup> «**كَانَتْ فَوَارِيرًا**» أي : تكونت قوارير بإذن الله . وقوله : «**كَانَتْ فَرَاجِهَا**» أي : وجد . «**فَدَرُوهَا**» أي : في أنفسهم فكانت على حسب اختيارهم للطائفين بها . ودل قوله : «**وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ**» على أنهم قدروا شرابها على قدر الري . وهو أذن للشارب لكونه على قدر حاجته ، سميت الكأس زنجيلا ؛ لأن فيها طعم الزنجيل وكانت العرب تحب الزنجيل<sup>(٣)</sup> .

«**عَيْنَاهَا شَسَّنَ سَنَسِيلًا**» **١٨** «**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنْ مُحَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْهُمْ حَسِبُهُمْ لُؤْلُؤًا مَسْنُورًا**» **١٩** «**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ نَعِيًّا وَمُلْكًا كَيْرًا**» **٢٠** «**عَلَيْهِمْ شَابٌ سُدُّسٌ حُضُرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ**» **٢١** «**وَحَلُوًا أَسَاوَرٌ مِنْ فَصَصَةٍ وَسَقَاهُمْ رَهْبَمْ شَرَابًا طَهُورًا**» **٢٢** «**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَرَاءٌ وَكَانَ سَعِيْكُمْ مَشْكُورًا**» **٢٣** «**إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا**» **٢٤** «**فَاصْبِرْ لِحَكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطْعِنْ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْكَدُوْرًا**» **٢٥**

و «**سَنَسِيلًا**» أي : سهلة النفوذ في الحلق يقال : شراب سلسل وسلسال وسلسيل ، قيل : معناه : أسأل سبيلا ، وأنشدوا [ من الخفيف ] :

(١)قرأ بها أبو حية . تنظر في : البحر (٣٩٦/٨) ، تفسير القرطبي (١٣٩/١٩) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٤٣/٦) ، فتح القدير للشوکانی (٣٤٩/٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٧١) .

(٢)قرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر «**فَوَارِيرًا فَوَارِيرًا**» وقرأ ابن كثير وخلف «**فَوَارِيرًا فَوَارِيرًا**» . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٣٩٧/٨) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٣٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٤٤/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٧١) ، النشر لابن الجزر (٣٩٥/٢٠) .

(٣)الزنجبيل : مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان ، وهو عروق تسرى في الأرض ، وليس منه شيء بريا وليس بشجر يأكل رطا كما يؤكل البقل ، ويستعمل يابسا ، وأجوده ما يؤتى به من الزنجبيل وبالطيب وهو مستطاب وقيل : الزنجبيل العود الحريف الذي يحيى اللسان ، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جدا . ينظر : لسان العرب (زنجبيل) .

سلٌ سبيلاً فيها إلى جنة الخلد لئسني شرابها سلسيلاً<sup>(١)</sup>

و«عَنَّا» بدل من "زنجبيلاً" وقيل: يمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه . وقيل: يخلق الله فيه طعم الزنجبيل . و"عيناً" على هذا القول مبدلة من "كأساً" كأنه قيل: ويسبقون فيها كأساً كأس عين . شبهوا في حسنهم وصفاء لوانهم بلوؤ حالة إخراجه من صدفه وهو أحسن حالاته وأجودها . وقوله: «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ لَيْسَ لَهُ مَفْعُولٌ ظَاهِرٌ وَلَا مَقْدُرٌ ، وَمَعْنَاهُ: أَنْ بَصَرَ الرَّائِي كَيْفَمَا تَوَجَّهَ لَا يَدْرِكُ إِلَّا نَعِيْمًا وَمُلْكَكِيرًا»<sup>(٢)</sup> واسعاً . يروى أن أدنى أهل الجنة متزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام فيرى أقصاه كما يرى أدناه . وقيل: إذا رأى شيئاً كان . وقيل: تسلم عليهم الملائكة وتستاذن عليهم . وقرئ "عَالِيهِمْ" بسكن الاء ، على أنه مبتدأ ، خبره: ثياب سندس ، أي: مما يعلوهم ، وعاليهم بالنصب<sup>(٣)</sup> على أنه حال من الضمير في «وَيَطْوُفُ عَلَيْهِمْ» أو في «حَيْثُمْ» أي: يطوف عليهم ولدان مخلدون عالياً للمطوف عليهم ثياب سندس «خَضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ» بالرفع؛ حملاً على الثياب وبالجر؛ حملاً على السندس ، وقرئ "إِسْتَبْرَقٌ" ناصباً<sup>(٤)</sup> في موضع الجر على منع الصرف؛ لأنَّه أعجمي وهو غلط؛ لأنَّه يدخله حرف التعريف<sup>(٥)</sup> «سَرَابًا طَهُورًا» «إِنَّ هَذَا» الذي تقدم ذكره «كَانَ لَكُمْ جَزَاءٌ وَكَانَ سَعِيْكُمْ» عملكم «مَشْكُورًا» عند الله يجازي عليه أحسن الجزاء وقد أكد خبر "إن" بقوله: «تَخْنُ». «فَأَصْبِرْ لِحَمْرَ رَبِّكَ» أي: قضائه بتأخير القتال إلى أن يقوى الإسلام ويكثر أهله ، وحيثند يأمرك بالقتال . فإن قلت: لم قال «أَوْكَوْرَا» ولم يقل: "وكفوراً"؟ قلت: لو قال "وكفوراً" جاز طاعة أحدهما فإذا نها عن كل واحد امتنع

(١) ينظر في: الدر المصنون للسمين الحلي (٤٤٦/٦) ، والكشف (٤/٦٧٢) ويروى في الدر: سل سبيلاً فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسيل

(٢) قرأ نافع وحزة وأبو جعفر "عَالِيهِمْ" وقرأ الآباء "عَالِيهِمْ".

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٣٩٩) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٣٩) ، الدر المصنون للسمين الحلي (٦٤٧/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٦٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٧٣) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٩٦).

(٣) قرأ نافع وحفص عن عاصم "خَضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ" ، وقرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم "خَضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ" ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب "خَضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ" ، وقرأ حزة والكسائي وخلف "خَضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ" . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٣٩٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٤٠) ، الدر المصنون للسمين الحلي (٦٤٨/٤٤٩ - ٤٤٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٦٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٧٣) ، معاني القرآن للفراء (٣/٢١٩) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٩٦) .

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف (٤/٦٧٣) .

الجمع من باب الأولى (٣٢٥ ب).

﴿وَذَكِّرْ أَسْمَ رَبِّكَ شُكْرَهُ وَأَصْبِلَهُ ﴾١٥﴿ وَمِنْ أَيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَيِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾١٦  
 هَلْوَاهُ يُجِئُونَ الْعَاجِلَهُ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾١٧﴿ تَحْنُ خَلْفَتَهُمْ وَشَدَّدَنَا أَشْرَهُمْ وَإِذَا شَنَّا  
 بَدَلَنَا أَمْنَهُمْ بَدَلِيلًا ﴾١٨﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَهُ فَنَ شَاءَ أَخْنَدَ إِلَى رَبِّهِ سَيِّلًا ﴾١٩﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ  
 يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا ﴾٢٠﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، وَالظَّالِمِينَ أَعْدَدْ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾٢١﴾

﴿وَذَكِّرْ أَسْمَ رَبِّكَ شُكْرَهُ وَأَصْبِلَهُ﴾ ودم على صلاة الفجر والعصر. «وَمِنْ أَيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ» وبعض الليل فصل له ، يعني : صلاة المغرب والعشاء وأدخل " من " على الظرف للتبييض ؛ كما دخل على المفعول في قوله : «لِيَغْفِرَ لَكُمْ مَنْ ذُنُوبُكُمْ »<sup>(١)</sup>. «وَرَاءَهُمْ» أمامهم أو خلفهم وهو هوله . «يَوْمًا ثَقِيلًا» استير الثقل لشدته وهو له من الشيء الثقيل الباهظ حامله ونحوه : «تَثْلُثَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>. الأسر : الربط والتوثيق ومنه : أسر الرجل : إذا أوثق في القيد . «وَإِذَا شَنَّا» أهلناهم وأتينا بقوم آخرين . أو يستبدل بهم قوماً أطوع الله منهم . «هَذِهِ» إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة منها . «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ» هم المؤمنون ونصب «وَالظَّالِمِينَ» بفعل مضمر يفسره «أَعْدَدْ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

\* \* \*

(١) سورة الأحقاف ، الآية (٣١).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٨٧).

## تفسير سورة المرسلات [مكة]

**سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿وَالْمَرْسَلَتِ عَرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّثَرَتِ نَثَرًا ﴿٣﴾ فَالْمَنْقَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُعْيَنَتِ ذَكْرًا  
عَذْرًا أَوْنَدَرًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوْقَعًا ﴿٦﴾ ﴿٧﴾

أقسم الله - سبحانه - بطرائف الملائكة ، أرسلهن بأوامره ، فعصفن في ماضيهن ، كما تعصف الرياح ، وطواائف منهم نشرت أجنحتها في الجو عند اخطاطهن بالوحى ، أو نشرت الشرائع ، أو نشرت النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ، ففرقن بين الحق والباطل ، فالقلين ذكرا ؛ عذرا للمحقين أو إنذارا للمبطلين . أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن ، فنشرت السحاب في الجو ، ففرقن بينه ؛ لقوله : ﴿وَبِجَهْلِهِ كِسَفًا﴾<sup>(١)</sup> .

أو بسحاب نشنن الموات ، ففرقن بين من يشكر أو يكفر ، فالقلين ذكرا إما عذرا للمحقين وإما إنذارا للذين أغفلوا الشكر ، وينسبون ذلك إلى الأنواء ، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله . وقوله : ﴿عَرْفًا﴾ أي : متتابعة كشعر العرف ، يقال : جاءوا عرفا واحدا ، أو يكون معنى العرف الذي هو نقىض النكر . وانتصابه على أنه مفعول له أي : أرسلن للإحسان ، والأول على الحال ، وإنما جعل إرسال الملائكة إحسانا ومعروفا لكونه إحسانا للأنبياء وللمؤمنين الذين بين ظهرانيهم والعذر والنذر : مصدران ويجوز أن يكون عذرا جمع عذير كالنذر في جمع نذير ، أو معنى العاذر والمذمر وانتصابهما على البدل من " ذكرا " أو على المفعول له ، أو على الحال .

إن الذي توعدونه من بغي يوم القيمة لكائن واقع لا ريب فيه . وعن بعضهم : أنه مجرور بإضمار رب .

﴿فَإِذَا أَنْجُومُ طَيْسَتِ ﴿٨﴾ وَإِذَا أَسْمَاءُ فُرِجَتِ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ شَفَتِ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّشْلُ أَقْتَتِ ﴿١١﴾ لَأَيِّ  
يَوْمٍ أَجْلَتِ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدَرَنِكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَلِلْيَوْمِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ أَلَئِنْ تَهْلِكَ  
الْأَوَّلَيْنَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ تُتَعَمِّمُ الْآخِرَيْنَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفَعُلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَلِلْيَوْمِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَزَّ  
نَخْلُقُكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينَ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدْرَنَا فِيْعَمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَلِلْيَوْمِ

(١) سورة الروم ، الآية (٤٨) .

يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَرْجَعْتَ الْأَرْضَ كَفَانَا ﴿٢٥﴾

﴿طَمِسَت﴾ محققت . وقيل : ذهب بنورها موافقا (١) لقوله : «أَنْتَرَت»<sup>(١)</sup> . و«أَنْكَدَرَت»<sup>(٢)</sup> . ويحوز أن يمحق نورها ثم تتناثر مسلوبة النور «وَلَا الْمَسَاءُ فُجِّحَت» كقوله : «فَكَانَتْ أَبُوَابًا»<sup>(٣)</sup> . قوله الشاعر :

..... الفارجي باب الأمير المهم<sup>(٤)</sup>

﴿ثُيَّقَت﴾ كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه : «وَيُسَيَّتِ الْجِبَالُ بَسًا»<sup>(٥)</sup> .

وقيل : أخذت بسرعة من أماكنها . قوله : «أَفْتَنَت»<sup>(٦)</sup> الأصل الواو والهمزة بدل منها . ومعنى توقيت الرسل : تبيان الوقت الذي يحضر فيه الأنبياء للشهادة على الأمم . «لَأَتَيْتُ يَوْمَ أَجْلَتْ» تعظيم لليوم وتعجب من هوله . «يَوْمُ الْفَصْلِ» الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يراد بقوله : «وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» الوقت الذي عين لحضورهم .

﴿تُنْعِمُهُمْ» بالرفع<sup>(٧)</sup> على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة ، يريد : ثم تفعل بالأخرين كما فعلنا بالأولين . «كَذَلِكَ نَفْعَلُ» مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وهو تحذير من عاقبة الظلم وسوء أثره . «إِنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِمْ» إلى مقدار من الوقت قد علمه الله وحكم به . «فَقَدَرَنَا فِيمَعَ الْقَدِيرُونَ» له نحن . أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه والأول أولى ؛ كقوله : «مِنْ طَفْلَةٍ خَلَقَهُ، فَقَدَرَهُ»<sup>(٨)</sup> .

﴿أَخِيَّاءً وَأَمْوَاتًا﴾<sup>(٩)</sup> وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَسَ شَيْخَاتٍ وَأَشْقَانَكُمْ تَاهٌ فُرَاتًا<sup>(١٠)</sup> وَيَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

(١) سورة الانفطار ، الآية (٢) .

(٢) سورة التكوير ، الآية (٢) .

(٣) سورة النبا ، الآية (١٩) .

(٤) ينظر البيت في : روح المعاني للألوسي (١٧٢/٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٦٧٨/٤) .

(٥) سورة الواقعة ، الآية (٥) .

(٦) تقدم تحرير القراءة في سورة الجن .

(٧) هذه قراءة العامة من القراء ، وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو بتسمك العين .

تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٥٦/٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٧٩) .

(٨) سورة عبس ، الآية (١٩) .

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُ بِهِ تَكَذِّبُونَ (٢١) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظَلِيلٍ ذِي ثَلَاثٍ شَعْبٍ (٢٢) لَا ظَلِيلٌ وَلَا يَعْقِي مِنَ الْلَّهِ  
 إِنَّهَا تَرْمِي إِشْكَرَ كَالْقَصْرِ (٢٣) كَانَهُ جِهَنَّمَ صُفْرٌ (٢٤) وَلَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) هَذَا يَوْمٌ لَا  
 يَنْطَقُونَ (٢٥) .

الكافات : من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم لما يجمع ويضم ; كقوله الضمام والجماع وبه انتصب **﴿أَخْيَاهُ وَأَمْوَاتَهُ﴾** كأنه قال : كفاتها لهم أحياه وأمواتا . والمعنى : تكتفهم أحياه على ظهرها ، وأمواتا في بطنهما . وإنما نكر أحياه وأمواتا ؛ تفخيما لأمرهم وتعظيمها لشأنهم . ويجوز أن يكون المعنى : يكتفكم أحياه وأمواتا فinctibala على الحال من الضمير ؛ لأنه قد علم أنها كفاته للأنس ، والتنكير في **﴿رَوَسَى شَيْخَتِهِ﴾** و**﴿مَاءَ فَرَاتَةَ﴾** للتبعيض لأن في السماء مياها قال الله : **﴿وَيَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَيَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَّ﴾**<sup>(١)</sup> . **﴿أَنْطَلِقُوا﴾** على إرادة القول أي : يقال لهم : **﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾** من العذاب . وانطلقوا الثانية تكرير . **﴿إِلَى ظَلِيلٍ**  
**ذِي ثَلَاثٍ شَعْبٍ﴾** أي : دخان حميم وهكذا الدخان العظيم يتفرق ذواب . وقيل : يخرج لسان من النار أي : يحيط بالكافار كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب إلى حيث يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش . **﴿لَا ظَلِيلٌ﴾** تهكم بهم **﴿وَلَا يَعْقِي﴾** في محل الجر . **﴿إِشْكَرَ﴾** أي : على شره كالقصر . وقيل : هو الغليظة من الشجر . وقرئ : " كالقصر " بفتحتين ، وهي أعناق الإبل وأعناق النخل . وقرئ " كالقصر " بضمتين<sup>(٢)</sup> جمع " قصر " ؛ كرهن ورهن . و**﴿جِهَنَّمَ﴾** جمع " جهال " أو (٣٢٦ / ب ) جمع جهالة . وقيل : صفر سود . قال عمران بن خطان الخارججي<sup>(٣)</sup> :

دَعْتُهُمْ بِأَعْلَى صُوْتِهَا وَرَمَّتُهُمْ بِمِثْلِ الْجَبَالِ الصَّفَرِ نَزَاعَةً الشَّوَّى<sup>(٤)</sup>

(١) سورة النور ، الآية (٤٣) .

(٢) قرأ " كالقصر " ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي والحسن ، وقرأ ابن مسعود " كالقصر " .

تنظر في : البحر المحيط (٤٠٧/٨) ، تفسير القرطبي (١٩/١٦٤) ، الدر المصنون للسمين الحلبي

(٤٥٨/٦) ، فتح القدير للشوکانی (٣٥٩/٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٨٠) .

(٣) هو عمران بن خطان بن ظبيان بن لوذان بن الحارث بن سدوس السدوسي ، ويقال : الذهلي . يكنى أبا شهاب ، تابعي مشهور وكان من رؤوس الخوارج ، مات سنة أربع وثمانين من الهجرة .

تنظر ترجمته في : الإصابة في تميز الصحابة (٥/٣٠٣ - ٣٠٥) .

(٤) ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٠٧) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦، ٤٥٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٨١) .

قرئ بمنصب " يوم " ونصبه الأعمش<sup>(١)</sup>. أي : هذا الذي قص عليكم واقع . **﴿يَوْمًا لَا يَنْطِقُونَ﴾** لا يستطيعون النطق ، أو يقدرون عليه وصدتهم كثرة الهمول .

**﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَقْتَدِرُونَ﴾** **﴿٢٦﴾** **﴿وَلِلْيَوْمِ لِلْمَكْذِبِينَ﴾** **﴿٢٧﴾** **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَعَنْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾** **﴿٢٨﴾** **﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كِيدَ فِي كِيدُونَ﴾** **﴿٢٩﴾** **﴿وَلِلْيَوْمِ لِلْمَكْذِبِينَ﴾** **﴿٣٠﴾** **﴿إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي ظَلَلٍ وَغَيْوَنَ﴾** **﴿٣١﴾** **﴿وَفِوْكَهِ مَاهِيَّشَهُونَ**

**﴿كُلُوا وَاشرِبُوا هَيْسَعًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** **﴿٣٢﴾** **﴿إِنَّا كَذَلِكَ بَجَرِي الْحُسْنَى﴾** **﴿٣٣﴾** **﴿وَلِلْيَوْمِ لِلْمَكْذِبِينَ﴾** **﴿٣٤﴾**

**﴿كُلُوا وَتَمْنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ بَجَرِي مُونَ﴾** **﴿٣٥﴾** **﴿وَلِلْيَوْمِ لِلْمَكْذِبِينَ﴾** **﴿٣٦﴾** **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾** **﴿٣٧﴾**

**﴿وَلِلْيَوْمِ لِلْمَكْذِبِينَ﴾** **﴿٣٨﴾** **﴿فِيَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يَوْمُنُوتَ﴾** **﴿٣٩﴾**

**﴿فَيَقْتَدِرُونَ﴾** عطف على **﴿وَلَا يُؤْذَنُ﴾** ولو جعل الاعتذار مسببا عن الإذن لمنصب . **﴿جَعَنْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾** موضع لقوله : **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** **﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كِيدَ فِي كِيدُونَ﴾** تقرير لهم على كيدهم لدين الله ، وتسجيل عليهم بالعجز .

**﴿كُلُوا وَاشرِبُوا﴾** في موضع الحال من ضمير " المتquin " أي : هم مستقرون في ظلال مقولا لهم : كلوا واسربوا . و **﴿كُلُوا وَتَمْنَعُوا﴾** حال من المكذبين أي : الويل ثابت لهم في حال يقال لهم : كلوا وتنعوا ، وعلل ذلك بأنهم مجرمون دلالة على أن كل مجرم يستحق هذا العقاب ، ثم البقاء في الهلاك أبدا ، ويجوز أن يكون **﴿كُلُوا وَتَمْنَعُوا﴾** خطابا للمكذبين في الدنيا . **﴿أَرْكَعُوا﴾** تواضعوا لله واطرحو الاستكبار ، وقيل : ما كان على العرب أضر من الرکوع والسجود . وقيل : نزلت في تقيف ، لما أمروا بالصلوة ، ورأوا فيها الرکوع والسجود قالوا : نحب ألا نتحني ، فإنها سبة علينا فقال **ﷺ** : لا خير في دين ليس فيه رکوع ولا سجود<sup>(٢)</sup> . **﴿بَعْدَهُ﴾** بعد القرآن .

\* \* \*

(١) قرأ بها زيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حمزة وعاصم في رواية عنه . تنظر في : البحر الجھط لأبي حيان (٤٠٧/٨) ، تفسير القرطبي (١٦٦/١٩) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٥٩/٦) ، فتح القدیر للشوکانی (٣٦٠/٥) ، الكشف للزمخشري (٤/٦٨١).

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٦) عن عثمان بن أبي العاص . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٤٧١١).

### تفسير سورة النبأ [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ ﴿١﴾ أَعْنَ الْنَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُرِفَ فِي مُخْنَقُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله : عما . وجاء ثبوت الألف كقول حسان بن ثابت :

على ما قام يشتمني لثيم كخنزير ترعرع في رماد (١)

والاستعمال الكبير حذف الألف وكأنه أشكل عليه حال هذا المتكلم لما رأى من اختلاف حاله ، فشرع عن جنسه ما هو ، والله لا يخفى عليه شيء من ذلك . ثم كثر استعماله فاستعمل في التعظيم والتفحيم ، والضمير لأهل مكة ، كانوا يتساءلون فيما بينهم عنبعث ويسألون غيرهم عنه على وجه الاستهزاء وإذا وقفت على " عم " قلت : " عم " فثبتت هاء السكت . ومنهم من أثبتها في الوصل وأجراه مجرى الوقف (٢) . وقيل : الضمير للكفار وحدهم . وقيل : للMuslimين والكافرين ؛ أما المسلم فليزداد (١/٣٢٧) تحشية وأما الكافر فليزداد استهزاء . والمتسائل عنده القرآن والبعث والنبوة .

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ نُؤْكِلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَرْ تَجْعَلُ الْأَرْضَ مِهْدَدًا ﴿٦﴾ وَالْجَبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَانًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلَنْ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَيَّنْنَا فَوَّقَكُمْ سَبَعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجَا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصَرَاتِ مَاءً مَجَاجًا ﴿١٤﴾ لِتُنْزَحَ بِهِ حَبَّا وَبَيَّنَنَا ﴿١٥﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ رد للسائلين هزءاً و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم وتكثير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك . ومعنى " ثم " الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول ، واتصل قوله : ﴿أَلَرْ تَجْعَلُ الْأَرْضَ مِهْدَدًا﴾ بما قبله ؛ لأنكارهم البعث وأنهم لما أنكروا البعث قيل لهم : أنتم معتبرون بأن الله خالق السموات والأرض كما قال : ﴿لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الْأَنْسَابِ﴾ (٣) فإذا اعترفتم بقدرته على الأقوى كانت قدرته على الأضعف من باب الأولى .

(١) تقدم تخریجه في تفسیر سورة يس .

(٢) قرأ " عَمَّة " البزبي عن ابن كثير . تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٦١/٦) ، فتح القدير للشوکاني (٣٦٢/٥) ، الكشاف للزخشري (٦٨٤/٤) ، النشر لابن الجوزي (١٣٤/٢) .

(٣) سورة غافر ، الآية (٥٧) .

﴿يَهْنَدًا﴾ فراشا . ﴿وَلِبَالْ أَوْنَادًا﴾ أي : أرسينا بها الأرض كما يرسى البيت بالأوتاد . ﴿شَبَانًا﴾ موتا . والمبوبت : الميت . ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي : وقت معاش . وقيل : السبات : الراحة . ﴿لَيَسًا﴾ يستركم عن العيون من أرادكم بسوء أو تريده أنت ، أو يستر من أحواله مما لا يريد أن يطلع عليه غيره . ﴿سَيْعًا﴾ سبع سماءات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديد أي : محكمة قوية ، لا يؤثر فيها مرور الزمان ﴿سِرَاجًا وَهَاجَارًا﴾ متلائتا وهو الشمس . ﴿الْمُعْصَرَتِ﴾ السحب ، وامرأة معصر : دنا حاضرها .

وقيل : المعصرات : الرياح ذوات الأعاصير . فإن قلت : ما وجه من فسر المعصرات بالرياح ، والرياح ذوات الأعاصير ، والمطر لا ينزل من الرياح ؟ قلت : الرياح هي التي تنشئ السحاب ، وتدر المطر ، فيصح جعله مبدأ للإنزال ، وقد جاء في بعض الروايات : إن الله يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب ، ثم من السحاب ينزل إلى الأرض <sup>(١)</sup> . فإن صح هذا فالإنزال منه ظاهر . ﴿جَنَاجًا﴾ : منصبا بكثرة . والشج : الصب ؛ "أفضل الحج العجُّ والشجُّ" <sup>(٢)</sup> فالعجُّ : رفع الصوت بالتليلة ، والشجُّ : كثرة صب دماء المدى . ﴿جَنَّا﴾ أقوات بني آدم وبعض الحيوانات . ﴿وَبَنَانًا﴾ ما تعتلبه الدواب من الزرع والتين ، كما قال : ﴿مَنْعَالَكُورَ لَأَنْفِنَكُور﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿وَجَنَّتِ الْفَافَا﴾ <sup>(٤)</sup> إِنَّ يَوْمَ الْفَضْلِ كَانَ مِيقَنَا <sup>(٥)</sup> يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأَوْنَ أَفَوَاجَا <sup>(٦)</sup>  
وَفُتُحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبُوبَا <sup>(٧)</sup> وَشَرِيكَتِ الْبَالْ فَكَانَتْ سَرَابًا <sup>(٨)</sup> إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرَصَادًا <sup>(٩)</sup>  
لِلظَّفَنِينَ مَتَابًا <sup>(١٠)</sup> لَيَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا <sup>(١١)</sup> لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرَدًا وَلَا شَرَابًا <sup>(١٢)</sup> إِلَّا حَيَّمًا وَغَسَاقًا <sup>(١٣)</sup>  
جَرَاءً وَفَافَا <sup>(١٤)</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا <sup>(١٥)</sup> وَكَذَبُوا بِعَيْنِنَا كِذَابًا <sup>(١٦)</sup> وَكُلَّ شَيْءٍ  
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا <sup>(١٧)</sup> فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا <sup>(١٨)</sup> ﴿

﴿وَجَنَّتِ﴾ بساتين . ﴿الْفَافَا﴾ ملتفة الأغصان ، لا واحد له ، وقيل : واحده : لف . قال الشاعر : جنة لف وعيش مدقق وندامي كلهم بيض زهر <sup>(٤)</sup> (٣٢٧ / ب) .

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٤٩٩ / ٦) ، والزنخشري في الكشاف (٦٨٦ / ٤) .

(٢) رواه الترمذى رقم (٨٢٧) ، وابن ماجة رقم (٢٩٢٤) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٦٣١) ، والحاكم في المستدرك (٤٥١ / ١) وحسنه الألبانى في صحيح الجامع الصغير رقم (١١٠١) .

(٣) سورة النازعات ، الآية (٢٣) .

(٤) أنسدہ ابن علي الطوسي ، ينظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٤١٢ / ٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي

(٤٦٣ / ٦) ، الكشاف للزنخشري (٦٨٧ / ٤) .

﴿كَانَ مِيقَنَتَا﴾ كان في علم الله وحكمه أن يجعله وقتا للحساب أو حدا للخلائق يتهمون إليه ﴿يَوْمَ يُفْعَلُ﴾ بدل من قوله : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَحْلِ﴾ أو عطف بيان . ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من القبور إلى الموقف ﴿أَفَوْجَاجًا﴾ أما . ﴿فَكَاتَتْ أَبْوَابًا﴾ أي : طرقا . ﴿فَكَاتَتْ سَرَابًا﴾ كقوله : ﴿فَكَاتَتْ هَبَاءً مُّبْنَىً﴾ <sup>(١)</sup>. يعني : أنها تصير شيئا كلا شيء ؛ لتفرق أجزائها .

المرصاد : الحد الذي يكون فيه الرصد ، والمعنى : أن جهنم حد الطاغين الذين يرصدون فيه العذاب . وقيل : كانت مرصادا : طريقا لأهل الجنة . **﴿أَحَقَابًا﴾** كلما مضى حقب تبعهم حقب . ولا يكاد يستعمل الحقب إلا حيث تتبع الأزمنة . ويجوز أن يكون قوله : **﴿لَا يَدْرُوْنَ﴾** متعلقا بـ "لابثين" . التقدير : الابثين **﴿لَا يَدْرُوْنَ فِيهَا بَرَدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَافًا﴾** يعذبون بهما ، ثم بعد ذلك يعذبون بأنواع أخرى من التعذيب .

قوله : **﴿إِلَّا حَيْسًا﴾** استثناء من غير الجنس ؛ لأن المراد بالبرد : ما ينفس عنهم حر النار ، وليس في النار ما يخفف ولا يسكن ولا يخفف عنهم **﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾** <sup>(٢)</sup> .

**﴿جَرَاءً وَفَاقًا﴾** أي : ذا وفاق . **﴿كَذَابًا﴾** تكذيبا . وقرئ : "وكُلُّ شيء" بالرفع على الابتداء <sup>(٣)</sup> . **﴿كَتَبًا﴾** مصدر في موضع "إحصاء" أو " أحصينا" في موضع "كتابا" أو يكون حالا في معنى مكتوبها في اللوح . قوله : **﴿فَذُوقُوا﴾** مسبب عن كفرهم بالحساب ويidel عليه قوله : **﴿فَلَنْ تَرِيدُّكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾** على أن الزيادة كالمستحيل ؛ لأن "لن" عند الزمخشري إنما يؤتى بها في نفي المستحيل أو ما يقرب من المستحيل <sup>(٤)</sup> . واحتج بقوله : **﴿أَنْ تَرَدِنِي﴾** <sup>(٥)</sup> وروي عن النبي ﷺ أنه قال : " هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار " <sup>(٦)</sup> .

(١) سورة الواقعة ، الآية (٦) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٧٥) .

(٣) قرأ بها أبو السمال . تنظر في : البحر الحيط لأبي حيان (٤١٥/٨) ، الدر المصنون للسمين الحلبي

(٤٦٦/٦) ، فتح القدير للشوكتاني (٣٦٧/٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/٦٩٠) .

(٤) ينظر : الكشاف (١٠١/١ ، ١٥٤/٢) وفيه أن "لن" للتفني في المستقبل ، وهي تفيد التأكيد والتشديد .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (١٤٧) .

(٦) نسبة الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف (٤/١٤٥) للشعلي في تفسيره ، وزاد نسبته السيوطي في الدر

المثور (٦/٥٠٣) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَقِينَ مَفَارِأً ﴾٢١﴿ حَدَائِقَ وَأَعْنَبَا ﴾٢٢﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابَا ﴾٢٣﴿ وَكَاسَادِهَاقَا ﴾٢٤﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا  
كَذَّبَا ﴾٢٥﴿ جَرَاءَ مِنْ رَيْكَ عَطَاءَ حَسَابَا ﴾٢٦﴿ رَيْتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَنْكِلُونَ مِنْهُ خَطَابًا  
لِيَوْمٍ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾٢٧﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ  
الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ أَخْذَ إِلَى رَيْهِ مَتَابَا ﴾٢٨﴾

﴿مَفَارِأً﴾ فوزاً أو موضع فوز . وقيل : نجاة مما فيه الكفار . أو موضع نجاة وفسر المفاز بما  
بعده . والخدائق : البساتين الكثيرة الشمار . والكواكب : اللاتي كعب ثديهن .

وأترايا : الذين ولدوا في زمن ولادتك ، سموا أترايا ، لأن الأرض مستئتم في زمن  
واحد والدهاقي : الملآن المترع . ﴿جَرَاءَ﴾ منصوب بقوله : ﴿إِنَّ لِلْمُتَقِينَ مَفَارِأً﴾ و﴿عَطَاءَ﴾  
منصوب بـ " جراء " نصب المفعول به . و﴿حَسَابَا﴾ صفة ، أي : كافيا .

قرئ: " ربُّ السماوات والأرض " بالرفع على : هو رب السماوات ، أو رب  
السماءات : مبتدأ ، و " الرحمن " صفتة ، و﴿لَا يَنْكِلُونَ﴾ الخبر ، أو هما خبران ( ٣٢٨ / ١ ).  
وبالجر على البدل من " ربك " ، وبجر الأول ، ورفع الثاني ( ١ ) على أنه مبتدأ ، خبره :  
﴿لَا يَنْكِلُونَ﴾ أو هو الرحمن لا يملكون . والضمير في ﴿لَا يَنْكِلُونَ﴾ لأهل السماوات  
والأرض ، أي : ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ، ويأمر به خطاب واحد يتصرفون فيه  
تصرف الملائكة أو لا يملكون أن يخاطبوا بشيء من نقص العذاب وزيادة الشواب .

﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ متعلق بـ ﴿لَا يَنْكِلُونَ﴾ أو بـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ . و﴿الرُّوحُ﴾ مخلوق أشرف من  
بني آدم ومن الملائكة . وقيل : هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه .  
وقيل : ليسوا بملائكة وهم يأكلون . وقيل : جبريل .

الشفاعة في يوم القيمة بشرطين : أحدهما : أن يكون المشفوع فيه مرتضى ﴿وَلَا  
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾ ( ٢ ) . والثاني : أن يكون بإذن الله في الكلام للشافع ؛ بقوله : ﴿لَا  
يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾

( ١ ) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح " رب " و " الرحمن " ، وقرأ ابن عامر وعاصم بغيرهما ، وقرأ  
جمزة والكسائي بغير " رب " ورفع " الرحمن " . تنظر في : الدر المصنون للسمين الحلبي ( ٤٦٨ / ٦ ) ،  
السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٦٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٦٩١ ) .

( ٢ ) سورة الأنبياء ، الآية ( ٢٨ ) .

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاهُمْ عَدَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُونَ كُنْتُ تُرَبَّاً﴾

﴿الْمُرْءُ﴾ هو الكافر ، لقوله : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاهُمْ﴾ و﴿الْكَافِرُ﴾ ظاهر وضع موضع المضمر ، لزيادة الضم يعني : ما قدمت يداه من الشر . و﴿مَا قَدَّمَتْ﴾ يجوز أن تكون " ما " مصدرية ويجوز أن تكون موصولة ، والراجع من الصلة مذوف . وقيل : المرء عام وخصص منه الكافر . ﴿كُنْتُ تُرَبَّاً﴾ في الدنيا ، فلم أخلق ولم أخلف ، أو ليتني ترابا فلم أحشر في هذا اليوم . وقيل : يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتصر للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر أن حاله كذلك <sup>(١)</sup> .

وقيل : الكافر : إيليس يرى آدم وولده وثوابهم ، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال : ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ﴾ <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) روى الطبرى في تفسيره (٢٦/٣٠) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٦١٩/٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيمة مدت الأرض مد الأديم وحضر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحش ، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدوab ، حتى يقتصر الشاة الجماء من القرناء بخطتها ، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدوab ، قال لها : كوني ترابا . فتكون ترابا ، فيراها الكافر فيقول : يا ليتني كنت ترابا . وقال الحاكم : رواه عن آخرهم ثقات غير أن أبا المغيرة مجہول ، وتفسير الصحابي مسنن ، وروى الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٩٤٢٨) عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ : إنه ليبلغ من عدل الله يوم القيمة حتى يقتصر للجماء من ذات القرن . ونسبه له الهيثمي في جمجم الزوائد (٣٥٣/١٠) وقال : وفيه من لم أعرفهم وعطاء بن السائب اختلط .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٢) .

## تفسير سورة النازعات [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّئَرِ عَنْتَ غَرَقًا ﴿١﴾ وَالنَّيْشَطَتِ نَشَطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيْحَتِ سَبَحًا ﴿٣﴾ فَالسَّيْقَتِ سَبَحَا ﴿٤﴾  
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾

أقسم - سبحانه - بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي : تخرجها من نشط الدلو : إذا أخرجها ، وبالطوائف التي تسحب في مضيها أو تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . «غرقا» إغراقا في النزع أي : تنزعها من أقصى الجسد من أناملها وأنظفاتها . أو أقسم بخييل الغزاة التي تنزع في أعتها تفرق فيه الأعنة لطول اعتاقها لأنها عرب والي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب ، من قوله : ثورنا نشط : إذا خرج من بلد إلى بلد ، والتي تسحب في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر ، وإنسان التدبر إليها ؛ لأنها من أسبابه . أو أقسم ( ٣٢٨ / ب ) بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع : أنقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى المغرب ، والتي تخرج من برج إلى برج ، والتي تسحب في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب . وقيل : النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي بإغراق السهام والتي تنشط الأوهاق<sup>(١)</sup> . والمقسم عليه محذوف وهو " لبعن " ؟ لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

﴿رَوَمَ تَرْجَفُ الْرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَبْعُثُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبُ يَوْمَيْنِ وَاحِدَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصِرُهَا خَشِعَةً ﴿٩﴾  
يَقُولُونَ أَئِنَّا لَرَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ إِنَّا كُنَّا عَظِلَّمَانِ بَخِرَةً ﴿١١﴾﴾

و « يوم ترجمت » منصوب بهذا المضر . و « الراجفة » الواقعه التي ترجمف عندها الأرض والجبال وهي النفحه الأولى ، وصفت بما يحدث بمحدوتها . و « الرادفة » النفحه الثانية . ويجوز أن تكون الرادفة من قوله - تعالى - : « قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدَفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي شَسَعَ جَلَوْكَ »<sup>(٢)</sup> . أي : القيامة التي يستعجلها الكفرا استهزاء ، وهي رادفة لهم لقربها .

(١) رواه الطبرى في تفسيره ( ٣٠ / ٢٩ ) والأوهاق : جمع ورق بالتحريك ، وقد يسكن وهو حبل كالطبل تشد به الإبل والخيل لثلا تند . ينظر : لسان العرب ( ورق ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٧٢ ) .

وَقِيلَ : ﴿الرَّاجِفَةُ﴾ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ لِقَوْلِهِ : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ﴾<sup>(١)</sup> . وَ﴿الرَّادِفَةُ﴾ السَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ ؛ لَأَنَّهَا تَنْشُقُ وَتَتَسَرُّ كَوَاكِبُهَا عَلَى أَثْرِ ذَلِكَ . فَإِنْ قَلَتْ : مَا مَحْلُ "تَبَعُّهَا" ؟ قَلَتِ الْحَالُ : أَيِّ : تَرْجُفُ تَابِعَتْهَا الرَّادِفَةُ .

فَإِنْ قَلَتْ : كَيْفَ جَعَلَ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظَرْفًا لِلْمُضْمِرِ الَّذِي هُوَ "تَبَعُّشُنَّ" وَلَا يَعْثُونَ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى ؟ قَلَتْ : مَعْنَاهُ : لَتَبَعُّشُنَّ فِي الْوَقْتِ الْوَاسِعِ وَهُوَ وَقْتُ النَّفْخَةِ الْأُولَى ؛ لَأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿تَبَعُّهَا﴾ جَعَلَ حَالًا عَنِ الرَّاجِفَةِ . وَيُحَقِّرُ أَنْ يَتَصَبَّ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ﴿قُلُوبُ يَوْمَيْرَاجِفَةٍ﴾ أَيِّ : يَوْمَ تَرْجُفُ وَجْهَتِ الْقُلُوبُ . ﴿رَاجِفَةُ﴾ شَدِيدَةُ الاضطِرَابِ . وَالْوَجِيبُ وَالْوَجِيفُ أَخْوَانُ . ﴿خَشِعَةُ﴾ ذَلِيلَةُ . فَإِنْ قَلَتْ : كَيْفَ أَضَيَّفَتِ الْأَبْصَارَ إِلَى الْقُلُوبِ ؟ قَلَتْ : مَعْنَاهُ : أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : ﴿يَقُولُونَ﴾ .

﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى يَعْنُونُ : الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْكَلْمَةِ أَنَّهُ يَقَالُ : رَجَعَ فَلَانُ فِي حَافِرَتِهِ أَيِّ : فِي طَرِيقَتِهِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا فَحَفِرَ فِيهَا : أَثْرُ فِيهَا بَمْشِيهِ ، جَعَلَ أَثْرَ قَدْمِيهِ حَفِرًا ، كَمَا قِيلَ : حَفَرَتْ أَسْنَانَهُ حَفِرًا : إِذَا أَثْرَ الْأَكَالِ فِي أَسْنَانِهَا ، وَالْخُطُّ الْمَحْفُورُ فِي الصَّخْرِ . وَقِيلَ : حَافِرَةُ ؛ كَوْلُهُ : ﴿عِيشَكُو رَاضِيَّةً﴾<sup>(٢)</sup> . أَيِّ : مَرْضِيَّةُ .

وَمَحْفُورَةُ ؛ كَوْلُهُ : " نَهَارُكَ صَائِمٌ وَلَيْلُكَ قَائِمٌ " يَرِيدُ أَرْجُو عَا إِلَى حَافِرَةَ ؟

وَقِيلَ : النَّقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ ، يَرِيدُونَ : عَلَى الْحَالَةِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ وَقْتُ الْعَدْدِ . يَقَالُ : نَخْرُ الْعَظَمِ فَهُوَ نَخْرٌ وَنَاخِرٌ ؛ كَوْلُكَ : طَمْعٌ فَهُوَ طَمْعٌ وَطَامِعٌ ، وَفَعْلٌ أَبْلَغُ مِنْ فَاعِلٍ . وَهُوَ الْبَالِي الْأَجْوَفُ الَّذِي تَمْزِقُهُ الرِّيحُ ، فَيُسَمِّعُ لَهُ نَخِيرٌ (٣٢٩ / ١) .

﴿فَالْأُولَئِكَ إِذَا كَرَهُ حَائِسَةً﴾<sup>(١)</sup> فَإِنَّمَا هِيَ زَجَرَةُ وَجْهَةُ<sup>(٢)</sup> ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾<sup>(٣)</sup> هَلْ أَنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى<sup>(٤)</sup> إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمَقْدَسِ طَوَّى<sup>(٥)</sup> اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى<sup>(٦)</sup> فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَيَّ أَنْ تَرْكَ<sup>(٧)</sup> وَاهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخَشَى<sup>(٨)</sup> فَأَرَدَهُ الْآيَةُ الْكَبُرَى<sup>(٩)</sup> فَكَذَّبَ وَعَصَى<sup>(١٠)</sup>﴾

وَ﴿إِذَا﴾ مَنْصُوبٌ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرِهِ : إِذَا كَانَ عَظَاماً نَرْدَ وَنَبْعَثُ ﴿كَرَهَ حَائِسَةً﴾ مَنْسُوبَةً إِلَى

(١) سورة المزمل ، الآية (١٤).

(٢) سورة الحاقة ، الآية (٢١).

الخسران ، أو خاسر أصحابها . **﴿زَحْرَةٌ﴾** من قولهم : زجر البعير : إذا صاح عليه .

والساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك ؛ لأن السراب يجري فيها ، من قولهم : عين ساهرة ، أي : جارية ، وفي صدتها : عين نائمة ، قال الأشعث بن قيس :

وساهرة يُضحي السرابُ بِمَلَأِ لِأَقْطَارِهَا قَدْ جُبِّثَهَا مُتَلَّمِّا<sup>(١)</sup>

وقيل : ساهرة : جهنم . «أذهب» على إرادة القول . «هل لك» في كذا ، وهل لك إلى كذا ، أي : هل ترغب فيه . «إلى أن تزگ» إلى أن تظهر من الشرك .

«وَأَدْبِيَكَ» إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكَ فَتَخَشَّاهُ، وَالْخَشْيَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْمَعْرِفَةِ «إِنَّمَا يَخْسِيُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَتُونَ»<sup>(٢)</sup> وَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : " مِنْ خَافَ أَدْلِجَ وَمِنْ أَدْلِجَ بَلَغَ الْمَنْزَلَ " <sup>(٣)</sup>.

بدأ في كلامه بالاستفهام كحال من يعرض على زيد النزول عنده ، فيقول له : هل لك  
أن تنزل عننا ، ثم عقبه بالكلام اللين ؛ ليستنزله بالمداراة كما أمر بقوله : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا  
لِّئَنَ﴾ (٤). ﴿الْكَبِيرَ﴾ قلب العصا حية ؛ لأنها كانت أول ما أرأه الله من المعجزات ، وكان  
يُتَبَّعُها بيده ، فقيل له : ﴿وَأَذْخُلْ يَدَكَ فِي جَبَيكَ تَمْرُجْ يَضْعَاهُ﴾ (٥) أو أرادهما جميعا ، إلا أنه  
جعلهما آية واحدة ؛ لأن الثانية تابعة ، سماها سحرا بعد علمه بصحة النبوة .

٢٢) **شِمْ أَبْرِيسْتَعِي فَحَسَرَ فَنَادَى** ﴿٢٣﴾ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴿٢٤﴾ **فَأَخْدُهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى** ﴿٢٥﴾  
 في ذلك لعنة لمن يختئ **أَنْتُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمْ أَسْمَاءَ بَنَهَا** ﴿٢٦﴾ **رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّهَا** ﴿٢٧﴾ **وَاغْطَشَ لَيْلَهَا**  
**وَأَخْرَجَ صُحْنَهَا** ﴿٢٨﴾ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَنَهَا** ﴿٢٩﴾ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَّعَهَا** ﴿٣٠﴾ **وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا** ﴿٣١﴾  
**مَنْعَالًا لَكُوْرَ وَلَأَنْتَمْ كُوْرُ** ﴿٣٢﴾ **فَإِذَا جَاءَتِ الْطَّامِةُ الْكَبْرَى** ﴿٣٣﴾

﴿أَذْرَ﴾ فرعاً من الشعبان ، وهو معنى قوله : ﴿أَذْرِيَّ﴾ يفر منه .

(١) ينظر في : الدر المصور للسمين الحلبي (٤٧٣/٦) ، الكشاف للزنخشري (٦٩٥/٤) .

(٢) سودة فاطر ، الآية (٢٨).

(٣) رواه الترمذى ، رقم ( ٢٤٥٠ ) ، والحاكم فى المستدرك ( ٤ / ٣٠٧ ) من حديث أبي هريرة رض .

<sup>٣٥٤</sup> صحيحه الشیخ الألبانی، فی صحيح الترمذی رقم ( ٩٥٤ ) .

(٤) الآية، طه، سورة (٤٤)

(٥) سودة النما ، الآلة (١٢).

كان فرعون رجلاً خفيفاً فاستفزه الشعبان على السرعة وحمله على الهرب ، أو أراد به "أدب" "أقبل" ؛ كقولك : قلت له كذا فاقبل يحدثني . «فَحَسِرَ» فجمع ؛ كقوله : «فَأَرْسَلَ فَرَعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرِينَ» <sup>(١)</sup> . «فَنَادَى» بنفسه أو أمر منادياً فنادي بذلك . وقيل : قام فيهم خطيباً فقال تلك العظيمة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كلمته الأولى «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي» <sup>(٢)</sup> . والآخرة : «إِنَّا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» <sup>(٣)</sup> .

«فَأَخَذَهُ اللَّهُ» مُؤْلِلُ اللَّهِ بِهِ . «نَكَالٌ» مصدر مؤكد ؛ كقوله : «وَعَدَ اللَّهُ» <sup>(٤)</sup> . و«صِنْغَةُ اللَّهِ» <sup>(٥)</sup> . كأنه قيل : نكل الله به نكال الآخرة والأولى . والنkal يعني التنكيل ؛ كالسلام يعني التسليم ، يعني : الإغراب في الدنيا والإحرار في الآخرة . وقيل : نكال كلمته الأولى وكلمة الآخرة . الخطاب لمنكري البعث يعني : «إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقَنَا» وإنشاء «أَوْ أَنْمَاءَ» ، ثم بين البناء فقال : (٣٢٩ / ب) «رَفِعَ سَنَكَاهَا» أي : جعل مقدار ذهابها في العلو مديداً مسيرة خمسمائه عام . «فَسَوَّهَا» فعدل خلقها مستويًا لا عوج فيه ولا فطور ملساء . وأصله : سوى فلان أمر فلان ، أي : دبره .

غطش الليل وأعطشه الله . ويقال : أغطش الليل يعني أظلم «وَأَخْرَجَ مُهْنَمَاهَا» وأبرز ضوء شمسها ، وأضيق الليل والشمس إلى السماء ؛ لأن الليل ظلها ، والشمس هي السراج الوهاج . «مَاهَا» عيونها المتفجرة بالماء . «وَمَرَعَهَا» موضع رعيها والمراد هنا : العشب الذي أنبتته العيون . ونصب "الأرض والجبال" بإضمار "دحا" و"أرسى" «مَتَّعَا» مفعول من أجله أي : تمتيعاً . «الطَّائِمَةُ» الداهية التي تطم على الدواهي ، أي : تعلو وتغلب . قيل : النفحـة الثانية . وقيل : الساعة التي يساق فيها أهل الجنة والنار إلى منازلهم .

«يَوْمَ يَنْذَكِرُ الْإِنْسَنُ مَا سَعَى <sup>(٦)</sup> وَبِرِزَتِ الْجِيَمُ لِمَنْ يَرَى <sup>(٧)</sup> فَمَمَّا مَنْ طَغَى <sup>(٨)</sup> وَإِنَّ لِجَهَنَّمَ الدُّنْيَا <sup>(٩)</sup> فَإِنَّ الْجَيَمَ هِيَ الْمَأْوَى <sup>(١٠)</sup> وَلَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسُ عَنِ الْمَوْى <sup>(١١)</sup> فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ <sup>(١٢)</sup>

(١) سورة الشعرا ، الآية (٥٣) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٣٨) .

(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٤١ / ٣٠) .

(٤) سورة الروم ، الآية (٦) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .

**الْمَأْوَى** ﴿١﴾ يَسْتَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا ﴿٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٣﴾ إِلَى رَيْكَ مُنْتَهَهَا ﴿٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَنَهَا ﴿٥﴾ كَانُوهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَيْشَةً أَوْ صُحْنَهَا ﴿٦﴾

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من ﴿فَإِذَا جَاءَتِ﴾ يعني : إذا رأى أعماله مدونة في كتابه ساءه ذلك ، وتدذر ما كان قد نسيه من أعماله ﴿أَحَصَّهُ اللَّهُ وَسُوْدَهُ﴾ <sup>(١)</sup>.

و " ما " في ﴿تَاسِعَنَ﴾ موصولة أو مصدرية . ﴿وَبِرِزَتِ﴾ وأظهرت ﴿لِمَنْ يَرَى﴾ للرائيين جميعا فإذا جاءت الطامة كان كيت وكيت .

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي : مأواه . ﴿وَنَهَى النَّفَسَ﴾ الأمارة بالسوء عن اتباع الهوى ﴿أَيَّانَ مُرْسَهَا﴾ متى إرساؤها . ﴿فِيمَ أَنْتَ﴾ في أي شيء أنت من أمر الساعة وإخبارهم بوقتها . وقيل : الوقف على قوله : ﴿فِيمَ﴾ ثم يتبدئ ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ <sup>(٢)</sup> أي : من أشراطها . وكان بعث رسول الله ﷺ من أشرطة الساعة <sup>(٣)</sup> .

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ بوقت مجئها ﴿مَنْ يَخْشَنَهَا﴾ . ﴿لَمْ يَلْبِسُوا﴾ في القبور أو في الدنيا ﴿إِلَّا عَيْشَةً أَوْ صُحْنَهَا﴾ فإن قلت : كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية ؟ قلت : لما بينهما من الملابسة ؟ لا جتماعهما في يوم واحد . فإن قلت : فهلا قيل : "عشية أو ضحى" وما فائدة الإضافة ؟ قلت : الدلالة على أن مدة لبيتهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ، ولكن ساعة من عشيته أو ضحاه ، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته ، فهو كقوله : ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ الْأَنَارِ﴾ <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) سورة المجادلة ، الآية (٦) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٦٩٩) .

(٣) روى البخاري رقم (٦٠٢٣) ، ومسلم رقم (٥٢٤٥) ، والترمذمي رقم (٢١٤٠) عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : " بعثت أنا والساعة كهاتين " .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥) .

## تفسير سورة عبس [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبْسٌ وَتُولٌ ﴾ ١ أَن جَاءَهُ الْأَخْمَى ٢ وَمَا يُدْرِكُ لَعْلَهُ يَرَى ٣ أَوْ يَدْكُرْ فَنْفَعَهُ الْذِكْرُ ٤ أَمَانٌ ٥ أَسْتَغْفِي ٦ فَإِنَّ لَهُ تَصَدِّي ٧ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرَى ٨ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَ ٩ وَهُوَ يَخْشَى ١٠ فَإِنَّ عَنَّهُ ١١ لَهُنَّ ١٢

أتى رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم . وأم مكتوم : أم أبيه ، واسمها : عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة ( ٣٣٠ / ١ ) الفهري من بني عامر بن لؤي ، وعنده صناديد قريش ؛ عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ، يدعوهם إلى الإسلام ؛ رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ، فقال : يا رسول الله أقرئني وعلمني ما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم ، فكره رسول الله ﷺ قطعاً لكلامه ( ١ ) .

وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه : " مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ، ويقول : هل لك حاجة " ( ٢ ) . واستخلفه على المدينة مرتين ( ٣ ) . وقال أنس : رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء ( ٤ ) .

﴿ أَن جَاءَهُ ﴾ لأن جاءه وهو متعلق بـ " تول " أو بـ " عبس " على اختلاف المذهبين ( ٥ ) .

(١) رواه الطبرى في تفسيره ( ٣٠ / ٥١ ).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره ( ٣٠ / ٥١ ) ونسبه له الزيلعى في تخريج أحاديث الكشاف ( ٤ / ١٥٥ ) ولابن مردوح .

(٣) رواه أبو داود في سنته رقم ( ٥٠٣ ) ، وذكره عمر بن علي الأندلسى في تحفة الحاج ( ٤ / ٤٥٢ ) عن أنس حفظه " أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يوم الناس وهو أعمى " وقال : رواه أبو داود ولم يضعفه ، وفي رواية أخرى له : " أنه استخلفه على المدينة مرتين " زاد أحمد في مسنده " يصلى بهم " وفي إسنادهما عمران بن داور بالراء في آخرهقطان ضعفه يحيى والنمساني وحدث عنه عفان ، ووثقه وقال أحد : أرجو أن يكون صالح الحديث واستشهد به .

(٤) رواه أحمد في المسند ( ١١٨٩٤ ).

(٥) هذه المسألة تعرف بمسألة التنازع ومعناه : أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر كما في هذه الآية ، حيث أن " شيئاً " تقدمه عاملان وهما " يعلم وعلم " ، وقد اختلف النحاة =

وروي: أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط<sup>(١)</sup>.

﴿تَصَدَّى﴾ في الأخبار والانتقال من الغيبة إلى الخطاب دليل على إنكار ما وقع . وفي ذكر الأعمى خو من ذلك . وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا ؛ لأنّه مصاب بنظريه ، وتأدب الناس بهذا الأدب ، فروي أنّ الفقراء كانوا في مجلس سفيان الشوري أمراء<sup>(٢)</sup>. ﴿وَمَا يَدْرِبَكَ﴾ ما يؤول إليه حال هذا الأعمى عند التزكية والطهارة . ﴿أَوْ يَذَكَّرُ﴾ أو يتعظ . قوله: ﴿فَتَنَعَّمَ﴾ بفتح العين<sup>(٣)</sup> بالنصب في جواب الترجي . وقيل : هو الكافر أي: أنك طمعت في أن يتظاهر بالإسلام أو يذَكَّر فقربه الذكرى . ﴿لَهُ﴾ تتشاغل . قوله: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَهُ﴾ فيه إشارة إلى الاختصاص ، أي: أنت مع جلالة قدرك وشرفك بالنبوة حقيق بـألا تفعل ذلك وإن فعله غيرك .

﴿كَلَّا إِنَّهَاذِكْرَهُ﴾ <sup>١١</sup> ﴿فَنَشَاءُ ذَكْرُهُ﴾ <sup>١٢</sup> ﴿فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ <sup>١٣</sup> ﴿مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ <sup>١٤</sup> ﴿بِأَيْدِي سَرَّفَ﴾ <sup>١٥</sup> كِرَامٌ  
 بِرَوْفٍ <sup>١٦</sup> ﴿فُتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ <sup>١٧</sup>

﴿كَلَّا﴾ رد للمزجور . ﴿إِنَّهَا﴾ إن آيات القرآن وهذه السورة ﴿ذِكْرُهُ﴾ <sup>١١</sup> ﴿فَنَشَاءُ ذَكْرُهُ﴾ أي: كان حافظا له غير ناس ، وذكر الضمير ؛ لأن التذكرة في معنى التذكير . ﴿فِي صُحْفٍ﴾ صفة لـ

= في أي العاملين منهما يعمل في المعمول ، الأول أم الثاني ؟ فذهب البصريون إلى أن العامل هو الثاني ؛ لقربه من المعمول . وذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الأول ؛ لسبقه . ولا يقع التنازع إلا بين فعليين متصرفين أو اسمين يشبهانهما ، أو فعل متصرف باسم يشبهه ، ولا يقع بين حرفين ولا بين حرف وغيره ولا بين جامدين ولا بين جامد وغيره . وإذا جاء الفعل الثاني مجرد التقوية والتأكيد ، فلا عمل له وإنما يكون العمل للأول ولا يكون حيشهن من باب التنازع . فعلى رأي البصريين يكون العامل في ﴿أَنْجَاهُ﴾ في هذه الآية : ﴿وَبَوْلَهُ﴾ . وعلى مذهب الكوفيين يكون العامل فيه ﴿عَبَّسَ﴾ . واختار السمين الحلي رأي البصريين ورد رأي الكوفيين وذكر علة ذلك فقال في الدر المصنون (٦ / ٤٧٨): "المختار مذهب البصريين ؛ لعدم الإضمار في الثاني" . وتنظر المسألة في: الإنصاف لابن الأباري (١ / ٨٧ ، المسألة ١٣) ، أوضح المسالك لابن هشام (٣ / ١٨٦) . شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢ / ١٧٥) ، همع الموامع للسيوطى (٣ / ٩٤).

(١) ذكره الزخشي في الكشاف (٤ / ٧٠١).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨ / ٣٤٩) ، وذكره الزخشي في الكشاف (٤ / ٧٠١).

(٣)قرأ بها عاصم ، وقرأ الباقيون . فتفنَّعه بالرفع . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٤٢٧) ، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٣) ، الدر المصنون للسمين الحلي (٦ / ٤٧٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٢) ، الكشاف للزخشي (٤ / ٧٠١).

" تذكرة " أي : هي في أيدي الملائكة متسخة من اللوح المحفوظ . **﴿مَكْرَمَة﴾** عند الله . **﴿مَرْءُوقَة﴾** في السماء ، أو مرفوعة المدار . **﴿مُطَهَّرَة﴾** متنزهة عن أيدي الشياطين ، ولا يمسها إلا أيدي الملائكة مطهرين **﴿كَرَامَة﴾** على الله أبرار . وقيل : هي صحف الأنبياء ؛ قوله : **﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الْشَّجْفِ الْأُولَى﴾** <sup>(١)</sup> .

وقيل : السفرة : القراء . وقيل : أصحاب رسول الله **ﷺ** . **﴿قُتِلَ الْإِنْسَنُ﴾** دعاء عليه . والقتل : أشد أنواع العذاب . **﴿مَا الْكُفَّارُ﴾** تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوبا (٣٣٠ / ب) أغلظ منه ؛ لأن الله لا يعجب وإذا عجب من أمر فهو غاية العجب <sup>(٢)</sup> .

ثم أخذ في وصف حاله ، وفي وصف نشاته إلى أن انتهى .

**﴿مَنْ أَيَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** <sup>(١)</sup> **﴿مِنْ ثُقْفَةٍ حَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿ثُمَّ أَسْبَلَ يَسَرَّهُ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿ثُمَّ أَمَاهَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾** <sup>(٤)</sup> **﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَشَرَهُ﴾** <sup>(٥)</sup> **﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِي مَا أَرَهُ﴾** <sup>(٦)</sup> **﴿فَلَيَسْتُرِ الْإِنْسَنُ إِنَّ طَعَامَهُ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿أَنَا صَبَّيْنَا اللَّهَ صَبَّا﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّا﴾** <sup>(٩)</sup> **﴿فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبَّا﴾** <sup>(١٠)</sup> **﴿وَعَنْبَابًا وَقَضَبًا﴾** <sup>(١١)</sup> **﴿وَرَبَّتُنَا وَنَخَلًا﴾** <sup>(١٢)</sup> **﴿وَمَدَّأَبَقَ عَلَبًا﴾** <sup>(١٣)</sup> **﴿وَفَدَكَمَهُ وَبَابًا﴾** <sup>(١٤)</sup> **﴿مَنْتَعَالُكُوكَلْ وَلَا تَغْنِيْكُوكَلْ﴾** <sup>(١٥)</sup> **﴿فَإِذَا جَاءَتِ الْأَصْحَاحَةُ﴾** <sup>(١٦)</sup>

قوله : **﴿مِنْ أَيَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** حقيقة ؛ مهمن خلقه ، ثم بين ذلك الشيء بقوله : **﴿مِنْ ثُقْفَةٍ حَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾** سبيل الثواب ، يسر دخوله فيه وخروجه منه عند تكميل الخلق **﴿ثُمَّ أَمَاهَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾** يجعل له قبرا يصون جيافته من السباع وهوام الطير . فلما فرغ من وصف الآدمي ونشاته شرع فيما خلقه مادة لبقائه ، وهو إنبات الحب والعنب والقضب <sup>(٣)</sup> والزيتون والنخل والحدائق الغلب ؛ كما قال : **﴿مَنْتَعَالُكُوكَلْ وَلَا تَغْنِيْكُوكَلْ﴾**

**﴿أَنَا صَبَّيْنَا اللَّهَ﴾** أضاف الصب إلى نفسه ؛ لأنه بأمره ، ويجوز أن يكون من شقها بالحرث . والأب : المعنى ؛ لأنه يؤب ، أي : يوم ينتجو . والأب والأم أخوان ، قال الشاعر :

جَدُّنَا قِيسٌ وَنَجْدٌ دَارُنَا      ولَنَا الأَبُ بِهِ وَالْمَكْرَعُ <sup>(٤)</sup>

(١) سورة الأعلى ، الآية (١٨) .

(٢) تقدم توضيح ذلك في تفسير سورة الصافات .

(٣) القصب : الرطبة ، وأهل مكة يسمون القت القصب ، والقضب من الشجر : كل شجر سبط أغصانه وطال .

والقضب : ما أكل من النبات المقتضب عضا . ينظر : لسان العرب ( قضب ) .

(٤) ينظر في : تفسير القرطبي ( ١٤٥ / ١٩ ) ، الدر المصور للسمين الحلبي ( ٤٨٢ / ٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٧٠٤ / ٤ ) ، لسان العرب ( أب ) .

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن الأب ، فقال : " أي سماء تظلني أو أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به " <sup>(١)</sup> . وعن عمر رضي الله عنه أنهقرأ هذه الآية فقال : كل هذا قد عرفنا ، فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت في يده ، وقال : هذا لعمر الله التكليف وما عليك يابن أم عمر ألا تدرى ما الأب ؟ ثم قال : " اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدّعوه " <sup>(٢)</sup> .

فإن قلت : قول عمر يشبه النهي عن تبع المشكلات والسؤال عنها ؟

قلت : كان أهم أمر الصحابة تعلم العلم الذي يقتضي العمل ، فأما ما سوى ذلك فكان من النادر أن يتعرضوا له . وقد فهم من سياق هذه الآية أن الأب نبت أطلقه الله لمصالح هذه الآية ، ولعله دوابهم .

يقال : صخ حدديث مثل أصاخ ، فوصف النفسة بالصاختة مجازا ؛ لأن الناس يصيخون لها .

**﴿يَوْمَ يَغْرِيُ الْمُرْثَةَ مِنْ أَخْيَهُ ٢٤ وَأُمَّهُ، وَأَبِيهِ ٢٥ وَصَاحِبَتِهِ، وَبَنِيهِ ٢٦﴾** **﴿لِكُلِّ أَمْرٍ يُمْنَمُ بِهِ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ٢٧﴾**  
**﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ٢٨ صَاحِكَةٌ مُّسْبَشِرَةٌ ٢٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَنِّيْهَا عَبْرَةٌ ٣٠ تَرْهُقُهَا قَنْزَةٌ ٣١﴾**  
**﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ الْمُجْرِمُونَ ٣٢﴾**

**﴿يَغْرِي﴾** منه لاشغاله بما هو أهتم ، وما هو مدفوع إليه من الحساب والعرض ، ولعلمه أنهم لا يغدون عنه شيئا . وقيل : يغرر منهم ؛ حذرا من أن يطالبوه بالتبعات ، فيطلب القريب ما توجبه صلة الرحم ، وكذلك الأب والأم والصاحبة بحقوقها وكذلك البنون . **﴿لِكُلِّ أَمْرٍ يُمْنَمُ بِهِ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** ( ٣٣١ / ١ ) من خطايا محمولة على ظهره ، وسائل يسوقه إلى الموقف بالغلطة وحيائهم من الله في إقادتهم على معصيته . **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾** مضيئة نيرة ، يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء . وأسفرت المرأة : كشفت نقابها ، وسمى السفر ؛ لأنه يكشف عن أخلاق المرأة .

**﴿عَبْرَةٌ﴾** غبار يعلوها . **﴿تَرْهُقُهَا قَنْزَةٌ﴾** أي : سواد . ولا ترى أقبح من اجتماع الغبرة والدخان كما ترى في وجوه الزوج إذا اغترت .

(١) ذكره الزيلعي في تحرير أحاديث الكشاف ( ٤/١٥٨ ) ونسبة لابن أبي شيبة في فضائل القرآن وعبد بن حميد في تفسيره .

(٢) نسبة الحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف ( ص : ١٨٢ ) للطبراني والطبراني في مسنـد الشاميين ، والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

## تفسير سورة التكوير [مكية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

﴿إِذَا أَشَّمَسْ كُورَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا أَلْثَجُومْ أَنْكَدَرَتْ ﴾

في التكوير وجهان : أحدهما : هو من كور العمامه : إذا لفها ، أي : يلف ضوؤها لفا ، فيذهب انبساطه وانتشاره في الأفق ، أو يكون لفها عبارة عن رفعها ، أو يكون من طعنه فكوره فالقاء على الأرض ، فيكون المعنى أنها تلقى . قوله : ﴿كُورَتْ﴾ مرفوع بكونه مفعولا لم يسم فاعله ؛ لأن التقدير : إذا كورت الشمس ؛ لأن الشرط يتطلب الفعل <sup>(١)</sup>. ﴿أَنْكَدَرَتْ﴾ انقضت . قال [من الكامل] :

أَبْصَرَ خَرْبَانَ فَضَاءً فَانْكَدَرْ ..... (٢)

ويروى : أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ؛ ليراهما من عبدها كما قال : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ كَمِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

(١) ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع بعد إن الشرطية نحو قوله إن زيد أتاني آته فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل والتقدير فيه إن أتاني زيد والفعل المظہر تفسير لذلك الفعل المقدر . وحكى عن أبي الحسن الأخفش أنه يرتفع بالابتداء . وأما ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش من أنه يرتفع بالابتداء ف fasid وذلك لأن حرف الشرط يقتضي الفعل ويختص به دون غيره وهذا كان عاما فيه وإذا كان مقتضايا لل فعل ولا بد له منه بطل تقدير الابتداء لأن الابتداء إنما يرتفع به الاسم في موضع لا يجب فيه تقدير الفعل لأن حقيقة الابتداء هو التعرى من العوامل اللغوية المظہرة أو المقدرة وإذا وجَّب تقدير الفعل استحال وجود الابتداء الذي يرفع الاسم وبهذا يبطل قول من ذهب من الكوفيين وغيرهم إلى أن الاسم بعد إذا مرفوع لأنه مبتدأ إما بالترفع أو بالابتداء في نحو قوله تعالى : ﴿إِذَا أَشَّمَاءَ أَشَقَّتْ﴾ لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل فلا يجوز أن يحمل على غيره والله أعلم . الإنصال لابن الأنباري (١٣٤/٢) ، شرح المفصل لابن يعيش (٩/٩) ، المغني لابن هشام (١٢٧/١) .

(٢) صدر بيت للعجاج يصف صقرا ، وعجزه :

..... دانى جناحه من الطود فمر

ينظر في : تفسير الطبرى (٦٥/٣٠) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٨٤/٦) وفيه : أبصر خربان الفلاة ، الكشاف للزمخشري (٧٠٧/٤) ، لسان العرب (ظفر) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨) .

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُرِّيَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطْلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِّرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبَحَارُ سُرِّيَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْدَدَةُ سُلِّيَتْ ﴿٨﴾ يَا إِنَّ ذَئْبَ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾

﴿سُرِّيَتْ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت . أو سيرت في الفضاء والجو . و﴿الْعِشَارُ﴾ جمع عشراء ، وهي الناقة الحامل التي لها عشرة أشهر وهو من أنفس أموالهم وكانوا يطرحون عليها العود . ﴿عُطْلَتْ﴾ يوم القيمة ، ولم يفكر فيها صاحبها ﴿حُشِّرَتْ﴾ جمعت من كل ناحية ، قيل : يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص . وقيل : إذا قضي بينها ردت ترابا ، فيقول الكافر وهو إبليس : ﴿بِيَاتِيَ كُنْتُ تُرْبَابًا﴾<sup>(١)</sup> . ﴿سُرِّيَتْ﴾ أو قدمت أو ملئت . ﴿زُوِّجَتْ﴾ قرنت كل نفس لشكلها . وقيل : قرنت الأزواج بالأحاد . وقيل : قرنت نفوس المسلمين بالحور ، والكافرين بالشياطين .

﴿وَإِذَا الْمَوْدَدَةُ﴾ وأد يهد مقلوب من آد يؤود إذا أثقله الحمل . قال الله - تعالى - : ﴿وَلَا يُؤْدُهُ حَفَظُهُمَا﴾<sup>(٢)</sup> . وكانت العرب إذا ولدت لهم بنت فإن أرادوا بقاءها ألبسوها ثوبا من شعر وجعلوها ترعى الإبل في الباية ، وإن أرادوا قتلها صبر أبوها حتى تصير خاسية ثم يقول لأمها : طيبها لأذهب بها (٣٣١ / ب) إلى أحماها ، وقد حفر لها حفيرة في تربة ، ف يأتي بها إليها ، ويلقيها في الحفرة ، ويلقي عليها التراب حتى تموت .

وقيل : كانت المرأة تتخض<sup>(٣)</sup> على طرف الحفرة ، فإن وضعت بيتها ألقتها في الحفرة ، وإن وضعت ذكراً أبنته ، وحملهم على ذلك إما خوف لحوق العار ، وإما خشية الإملأاق ؛ لقوله : ﴿وَلَا نَقْنُولُ أَوْلَادَكُمْ خَفْيَةً إِمْلَاقًا﴾<sup>(٤)</sup> . فإن قلت : لم سبت الموعودة عن سبب قتلها ، ولا علم لها بذلك ، والقياس : ذم الوائد الذي وأدها ! قلت : سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها ، كالتبكيت في قوله لعيسي : ﴿مَأَنَّتْ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْخُذُونِي وَأَنِّي إِلَهَيْنِ﴾<sup>(٥)</sup> . وقرئ :

(١) سورة النبأ ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .

(٣) تتخض : من المخاض وهو وجع الولادة وكل حامل ضربها الطلاق فهي ماخض ، وقد خضت تمخض خاضا وإنها لتخض بولدها وهو أن يضرب الولد في بطنهما حتى تنبع فتمخض .

ينظر : لسان العرب (مخض) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٣١) .

(٥) سورة المائدة ، الآية (١١٦) .

"سألت " (١) أي : خاصلت عن نفسها . أو سألت الله أو قاتلها .

﴿وَإِذَا الْحَجَّفُ تُثَرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَهَنَّمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْبِلُ بِالْخَسْ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكَسْ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿وَإِذَا الْحَجَّفُ﴾ صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر يوم القيمة .

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ كشفت . والكشط والقشط لغتان ، فأزيلت كما يكشف الإهاب عن الذبيحة . يقال : ليقت الشريد وليركته ، والكفور والغفور .

﴿وَإِذَا الْجَهَنَّمُ سُعِرَتْ﴾ وتسعر النار على حسب عصيان العصاة في كثرته وقلته .

﴿أُرْفَتْ﴾ أدنيت من المتقين . قيل : هذه ثنتا عشرة خصلة ، ستة في الدنيا وستة في الآخرة . و﴿عَلِمَتْ﴾ هو العامل في ﴿وَإِذَا الْمَئِشُ كُوْرَتْ﴾ وفيما عطف عليه . فإن قلت : قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل أحد يوم القيمة يعلم ما أحضره ؛ كقوله - تعالى - : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَوْلَمَتْ مِنْ خَيْرٍ شُفَقَرًا﴾ (١) فما وجه قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ ؟ قلت : هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به عكس ظاهره ؛ كقوله : ﴿رَبِّيْمَا يَوْدُ الدَّيْنَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِيْنَ﴾ (٢) كلهم يتمنى ذلك ويوده .

وكقول الشاعر :

قد أتركُ الْقَرْنَ مصفرًا أنا ملُهُ (٤) .

أراد كثرة ذلك .

وقرئت هذه الآية في مجلس فيه ابن مسعود فقال : " وانقطاع ظهرياه " (٥) .

﴿يَأَنْفُسُ﴾ الرواجع ، فإن هذه الكواكب الخمسة وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ترجع في سيرها ؛ لأن لها فلكًا يدور غير الفلك الحامل ، فهي تدور في الفلك

(١) قرأ بها علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والضحاك . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٤٣٣/٨) ، تفسير القرطبي (٢٣٣/١٩) ، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٨٦/٦) ، فتح القيدير للشوكياني (٣٨٩/٥) ، الكشاف للزمخشري (٧٠٨/٤) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣٠) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٢) .

(٤) تقدم تخرجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٧١٠/٤) .

الحامد . وهذه البروج مخصوصة بالرجوع لا يرجع من الكواكب سواها . **(أنجوار)** السيارة . **(الكتن)** الداللات في كناسهن ، والكتاس : بيت الظبي . وقيل : هي الكواكب كلها ؛ لأنها تخس بالنهار ، وتظهر بالليل .

**﴿وَإِلَيْلٍ إِذَا عَسَسَ ﴾١٧﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ ﴾١٨﴾ إِنَّهُ لَقُولٌ رَسُولٌ كَفِيرٌ ﴾١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ  
**﴿مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ ﴾٢٠﴾ وَمَا صَاحِبُكَ بِمَجُونٍ ﴾٢١﴾ وَلَقَدْ رَاهَ إِلَّا فِي الْمُبْيَنِ ﴾٢٢﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَيْنٍ  
**﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَيْطَنٍ رَجِيمٍ ﴾٢٣﴾ فَإِنَّهُ تَذَهَّبُونَ ﴾٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَامِينَ ﴾٢٥﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ  
**﴿يَسْتَقِيمَ ﴾٢٦﴾********

**﴿عَسَسَ﴾** أقبل . وقيل : أدب وقيل : هو الصبح (١ / ٣٣٢) **﴿إِذَا نَفَسَ﴾** جعل له تنفسا؛ فإنه إذا طلع الفجر استيقظ أكثر الحيوانات ، وطلب الخروج من وكره ، فجعل ذلك كالتنفس . **﴿رَسُولٌ كَفِيرٌ﴾** جبريل - صلوات الله عليه . **﴿ذِي قُوَّةٍ﴾** قوله : **﴿عَمَّهُ سَدِيدُ الْقُوَّى ذُو  
 مِرْقَةٍ﴾** (١) . قوله : **﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾** تبين لمكانة جبريل ، وأنه لو كان ثم مكان جبريل عند الله . **﴿مُطَاعٌ ثُمَّ﴾** تعظيم لأمر الأمانة وأنه أجل أوصاف جبريل . قوله : **﴿وَمَا صَاحِبُكَ  
 بِمَجُونٍ﴾** يعني : رسول الله **ﷺ** . كما اتهمه الكفرة **﴿وَلَقَدْ رَاهَ﴾** أي : لقد رأى رسول الله  
 جبريل **﴿إِلَّا فِي الْمُبْيَنِ وَمَا هُوَ﴾** يعني : وما محمد فيما يخبر به من الغيب **﴿بِضَيْنٍ﴾** بمعهم من  
 الظنة وهي التهمة وقرئ **﴿بِضَيْنٍ﴾** (٢) بالضاد الساقطة من الضن ، وهو البخل . فإن قلت :  
 فلو وضع القارئ الظاء موضع الضاد بما حكمها ؟ قلت : هو كوضع الدال موضع الجيم  
 والناء مكان السين وهو غير جائز .

**﴿وَمَا هُوَ﴾** وما القرآن . **﴿بِقَوْلٍ شَيْطَنٍ رَجِيمٍ﴾** أي : تلقيه بعض المسترقية للسمع على قلب  
 محمد . **﴿فَإِنَّهُ تَذَهَّبُونَ﴾** يعني : سلکتم في الظن بالنبي **ﷺ** طرقا مختلفة بعيدة عن الصواب كما

(١) سورة النجم ، الآية (٥ - ٦).

(٢) قرأ " بطنين " ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ، وقرأ " بضئن " نافع وعاصم وابن عامر وحزة .  
 وتنظر القراءتان في : الإتحاف للبنا (٥٩٢/٢) ، البحر الحيط لأبي حيان (٤٣٥/٨) ، والحججة لابن  
 خالويه (ص : ٣٦٤) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٣٨٠/٦) ، الدر المصور للسمين الحلبي  
 (٤٨٧/٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٢٣) ، النشر لابن الجزري  
 (٣٩٨/٢) .

تقول لمن أبعد في البرية<sup>(١)</sup> وهو تائه فإنك تقول له : أين تذهب ، مع أنه ليس له مقصد صحيح حتى تسأله عنه . لكن يصير تقدير كلامك : لا مذهب لك فتقصده . هذا معنى قوله : «فَإِنَّ تَذَهَّبُونَ إِنَّ هُوَ» القرآن **﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾** شرف أو موعدة .

**﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾** **٢٩**

قوله : «لَمْ يَشَأْ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»

قال فخر الدين بن خطيب الري<sup>(٢)</sup> حضرت في مجلس فيه جماعة من المعتزلة ، فقال قائل منهم : كيف تصنع بقوله تعالى : «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلَيَؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلَيَكْفُرْ»<sup>(٣)</sup> فقد فوض المشيئة في الإيمان والكفر إلى العبد ؟ قلت : هذه الآية حجة لي على مذهبي فإني أعتقد أن الله - تعالى - يشاء أن يشاء العبد فيشاء العبد فيفعل ، ويبدل على ذلك قوله في هذه السورة : «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٤)</sup> فيكون الفعل موقعا على مشيئة العبد ، ومشيئة العبد موقوفة على مشيئة الله ؛ لقوله : «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ» وقال في آخر "هل أتى" : «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهَا حِكْمَةً»<sup>(٥)</sup> **٢٣٢** / ب ) .

\* \* \*

(١) البرية : الصحراء والجمع البراري . مختار الصحاح (١٩/١).

(٢) ينظر كلامه في : تفسيره مفاتيح الغيب (٢١/١٢٠) وهو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفارغ الرازبي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير كان فريد عصره ومتكلما زمانه رزق المخطوة في تصانيفه التي بلغت نحوها من مائتي مصنف منها تفسير كبير ، سماه مفاتيح الغيب والمصطلح والمنتخب وتأسيس التقديس وغيرها . توفي سنة ٦٠٦ هـ . تنظر ترجمته في : البداية والنهاية (١٣/٥٥) ، شذرات الذهب (٣/٢١) ، طبقات الشافعية (٨/٨).

(٣) سورة الكهف ، الآية (٢٩).

(٤) سورة الإنسان ، الآية (٣٠).

## تفسير سورة الانفطرة [الانفطر]

### [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿إِذَا أَلْسَمَهُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَافِكَ أَنْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبَحَارُ فَجَرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بَعَرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ ﴿٥﴾ يَتَأْمَلُهَا إِلَيْنَسْنَ مَاغَرَكَ بِرِبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾**

«أنفطرت» انشقت. «فجرت» فتح بعضها إلى بعض، فصارت بحراً واحداً. وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار<sup>(١)</sup>. «بعرت» بعشر وبعشر بمعنى، وهو مركبان من البئر والبحث، مع راء مضمرة إليها، والمعنى: بحث وأخرج موتاها. وقيل لـ «براءة»: المبعثرة؛ لأنها بعثرت أسرار المنافقين<sup>(٢)</sup>. وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. فإن قلت: كيف طابق قوله: «ما غرَكَ» قوله: «الْكَرِيمِ»؟

قلت: معناه: أنه لا ينبغي لأحد أن يغتر بكرم الله عليه، والتوسعة عليه، بل ينبغي أن يكون على حذر من الكريم، فاللتقم الجبار أولى أن يحذر منه.

وقال الحسن: غره شيطانه الخبيث، أي: زين له المعاصي، قال له: افعل ما شئت فربك الكريم الذي عودك من إنعامه ما لا يخصى ولا يجد فهو يغفر لك<sup>(٣)</sup>.

وقيل للفضل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيمة فقال: ما غرك بربك الكريم، ماذا تقول؟ قال: أقول: غرني ستورك المرخاة<sup>(٤)</sup>. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ وليس باعتذار كما يظنه الطماع، ويظن به قصاص الشوية<sup>(٥)</sup> ويقولون: إنما قال الكريم ليلقنه

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٦٨/٣٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٤٢٧) بنحوه.

(٢) وهي سورة التوبه ومن أسمائها أيضاً: الفاضحة والبحوث؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين. وتقدم التعليق على ذلك في أول تفسيرها. وينظر: تفسير القرطبي (٨/٤٠).

(٣) ذكره الرمخشى في الكشاف (٤/٧١٥) عن الحسن، ورواوه الطبرى في تفسيره (٣٠/٨٧) عن قتادة «ما غرك بربك الكريم شيء ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان».

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٨٢).

(٥) الشوية - بسكون الشين وفتحها: - هم قوم تسکعوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة قال السبكى في شرح أصول ابن الحاجب: الشوية: طائفة ضلوا عن سوء السبيل يجررون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاماً فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين. وقيل: سموا بذلك لأن منهم الجسمة أو هم هم، والجسم حشو، فعلى هذا: القياس فيه: الحشوية - بسكون

الحجـة، فيـقـول: غـرـني كـرـمـ الـكـرـيمـ، وأـغـرـهـ غـيرـهـ: جـعـلـهـ غـارـاـ.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَدِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَتَهْفِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامَاتِكُنَّ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نُعْيَمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حَيْمَرٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا يَغَافِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَسَوَّنَكَ﴾ فـخـلـقـكـ سـوـيـاـ سـالـمـ الـأـعـضـاءـ. " فـعـدـلـكـ " فـصـيـرـكـ مـعـتـدـلـاـ مـنـتـابـنـ الـخـلـقـ غـيرـ مـتـفـاـوـتـ فـيـهـ، فـلـمـ يـجـعـلـ إـحـدـىـ الـيـدـيـنـ أـطـوـلـ، وـلـاـ إـحـدـىـ الـعـيـنـيـنـ أـوـسـعـ، وـلـاـ بـعـضـ الـأـعـضـاءـ أـبـيـضـ وـيـعـضـهاـ أـسـوـدـ، وـلـاـ بـعـضـ الـشـعـرـ فـاحـمـاـ وـبـعـضـهـ أـشـفـرـ، وـجـعـلـكـ قـائـمـاـ مـنـتـصـبـاـ تـمـشـيـ عـلـىـ رـجـلـيـنـ لـاـ كـالـبـهـائـ. وـقـرـئـ: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بـالـتـحـفـيـفـ<sup>(١)</sup> وـفـيـهـ وـجـهـانـ: أـحـدـهـماـ: أـنـ يـرـادـ بـالـتـحـفـيـفـ مـعـنـىـ التـشـدـيدـ. وـالـثـانـيـ: فـعـدـلـكـ: فـصـرـفـكـ عـنـ خـلـقـ غـيرـكـ، وـخـلـقـكـ خـلـقـ حـسـنـةـ مـفـارـقـةـ لـسـائـرـ الـخـلـقـ، أـوـ: فـعـدـلـكـ إـلـىـ بـعـضـ الـأـشـكـالـ وـالـهـيـئـاتـ.

وـ "ـ ماـ "ـ فـيـ ﴿مَآشَةً﴾ـ مـزـيـدـةـ فـيـ الـحـسـنـ وـالـقـبـحـ، وـالـطـوـلـ وـالـقـصـرـ، وـالـذـكـورـةـ وـالـأـنـوـثـةـ، وـالـشـبـهـ بـيـعـضـ الـأـقـارـبـ، وـخـلـافـ الشـبـهـ. فـإـنـ قـلـتـ: هـلـاـ عـطـفـ هـذـهـ الـجـمـلـةـ كـمـاـ عـطـفـ ماـ قـبـلـهـاـ؟ـ قـلـتـ: لـأـنـهـاـ بـيـانـ لـ "ـ عـدـلـكـ"ـ.ـ فـإـنـ قـلـتـ: بـمـ يـتـعـلـقـ الـجـارـ؟ـ قـلـتـ: يـجـوزـ أـنـ يـتـعـلـقـ بـ "ـ رـكـبـكـ"ـ وـالـمـعـنـىـ: أـنـ صـورـكـ فـيـ أـيـ الصـورـ شـاءـ، وـيـجـوزـ أـنـ يـتـعـلـقـ بـمـحـذـوفـ حـاـصـلـاـ فـيـ بـعـضـ الـصـورـ، وـمـحـلـهـ النـصـبـ عـلـىـ الـحـالـ (٣٣٣/١)ـ إـذـاـ عـلـقـ بـمـحـذـوفـ.ـ وـيـجـوزـ أـنـ يـتـعـلـقـ بـ "ـ عـدـلـكـ"ـ وـيـكـوـنـ فـيـ "ـ أـيـ"ـ مـعـنـىـ التـعـجـبـ أـيـ: فـعـدـلـكـ فـيـ صـورـةـ عـجـيـبـةـ.ـ ثـمـ قـالـ: ﴿مَآشَةً﴾ـ رـكـبـكـ"ـ وـالـمـعـنـىـ: مـاـ شـاءـ مـنـ التـرـكـيـبـ أـيـ: تـرـكـيـباـ حـسـنـاـ.ـ (كـلـاـ)ـ رـدـعـ عـنـ التـعـلـقـ بـكـرـمـ اللـهـ، وـالـطـمـعـ فـيـ الـغـفـرـانـ مـنـ غـيرـ تـوـبـةـ.ـ (بـالـلـيـنـ)ـ بـالـجـزـاءـ، أـوـ بـدـيـنـ الـإـسـلـامـ.ـ (وـإـنـ عـلـيـكـمـ لـتـهـفـظـيـنـ)ـ

= الشـيـنـ - نـسـبـةـ إـلـىـ الـحـشـوـ.ـ وـقـبـلـ: الـمـرـادـ بـالـحـشـوـيـةـ طـائـفـةـ لـاـ يـرـوـنـ الـبـحـثـ فـيـ آـيـاتـ الـصـفـاتـ الـقـيـ يـتـعـذرـ إـجـراـؤـهـاـ عـلـىـ ظـاهـرـهـاـ بـلـ يـؤـمـنـونـ بـاـ أـرـادـ اللـهـ مـعـ جـزـمـهـمـ بـاـنـ الـظـاهـرـ غـيرـ مـرـادـ وـيـفـوـضـونـ التـأـوـيلـ إـلـىـ اللـهـ، وـعـلـىـ هـذـاـ إـطـلاـقـ الـحـشـوـيـةـ عـلـيـهـمـ غـيرـ مـسـتـحـسـنـ لـأـنـهـ مـذـهـبـ السـلـفـ.ـ اـهـ مـنـ كـشـافـ اـصـطـلـاحـاتـ الـفـنـونـ لـلـهـانـوـيـ الـحـفـيـ (٥٤٣/١).

(١) قـرـأـ عـاصـمـ وـحـزـةـ وـالـكـسـائـيـ وـخـلـفـ "ـ فـعـدـلـكـ"ـ بـالـتـحـفـيـفـ، وـقـرـاـ الـبـاقـونـ "ـ فـعـدـلـكـ"ـ بـالـتـشـدـيدـ.ـ تـنـظـرـ فـيـ: الـبـحـرـ الـمـحـيطـ لـأـبـيـ حـيـانـ (٤٣٧/٨)، الـحـجـةـ لـابـنـ خـالـوـيـهـ (صـ: ٣٦٤)، الـحـجـةـ لـأـبـيـ زـرـعـةـ (صـ: ٧٥٣)، الـدـرـ المـصـونـ لـلـسـمـيـنـ الـخـلـيـ (٤٨٨/٦)، السـبـعـةـ لـابـنـ مجـاهـدـ (صـ: ٦٧٤)، الـكـشـافـ لـلـزـخـشـريـ (٧١٦/٤)، النـشـرـ لـابـنـ الـجـزـريـ (٣٩٩/٢).

أي: عليكم ملائكة يكتبون أعمالكم، ومنها: إنكار البعث، وتعظيم الحفظة والثناء عليهم تهويل لأمر المجازاة، وأنها كانت لا محالة. وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ما أشدك من آية على المنافقين <sup>(١)</sup>. **﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَافِلِينَ﴾** قوله: **﴿وَمَا هُمْ مَنْهَا يُمْحَرِّجُونَ﴾** <sup>(٢)</sup>.

وقيل: يصلونها يوم الدين وما غابوا عنها قبل ذلك؛ لأنهم كانوا يعذبون في القبور. وقيل: بين الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاثة أحوال: أحدها: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله. وحالته الآخرة وهي دار المجازاة. وحال البرزخ من الموت إلى البعث، يعرض عليه كل يوم مقعده من الجنة أو النار. ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله.

**﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الْدِينِ ﴾** <sup>(٧)</sup> **﴿ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الْدِينِ ﴾** <sup>(٨)</sup> **﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾**  
**﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾** <sup>(٩)</sup>

ولهذا كرر الله: **﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الْدِينِ﴾**

**﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾** لا تدفع عنها ضررا ولا تجلب لها فعلا. **﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ**  
**لِلَّهِ﴾** وحده **﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكُلُّ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** <sup>(٣)</sup>.

من رفع " يوم لا تملك " فهو بدل من **﴿يَوْمُ الْدِينِ﴾** والفتح بإضمار: اذكروا <sup>(٤)</sup>.

ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن، وهو في محل الرفع <sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧١٦) وفيه: الغافلين، بدل المنافقين.

(٢) سورة الحجر، الآية (٤٨).

(٣) سورة هود، الآية (١٠٦).

(٤) تقدم تحرير القراءة آخر سورة المائدة.

(٥) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/٧١٧).

## تفسير سورة المطففين [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَوَلِلَّٰهِ الْحُجَّةُ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَشْتَوِّفُونَ ﴾

التطفيف: البخس في الكيل والوزن؛ لأن ما يبخس شيء طفيف حقير. روي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخسر الناس كيلا، فنزلت فأحسنوا الكيل<sup>(١)</sup>. وقيل: قدم وفيها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالأخر<sup>(٢)</sup>. وقيل: كان أهل المدينة تجارا يطففون وكان من بياعاتهم المناذلة<sup>(٣)</sup> والملامسة<sup>(٤)</sup> والمخاضرة<sup>(٥)</sup> فنزلت، فخرج رسول الله ﷺ وقرأ عليهم وقال: "خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس. قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالستين، ولا منعوا الزكاة<sup>(٦)</sup> / بـ (٣٣٣) إلا حبس عنهم القطر<sup>(٧)</sup>."

وروي: أن علياً مر برجل يزن زعفرانا فأرجح فقال له: "أقم الوزن بالقسط، ثم زد بعد ذلك ما شئت"<sup>(٨)</sup>. أمره أولاً بالمساواة؛ ليعتاد ذلك أو ليفصل الواجب من التفل.

(١) رواه النسائي في تفسيره (٢٢٢٣) / رقم (٥٠٠)، وابن ماجه رقم (٦٧٢)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٩١٩)، والحاكم في المستدرك (٣٣) / رقم (٢)، والواحدي في أسباب التزول (ص: ٤٧٤)، رقم (٨٤٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٨) / رقم (٢)، وابن حبان في صحيحه رقم (٧١٥٦) عن أبي هريرة قال: "قدمت المدينة والنبي ﷺ مخبير، ورجل من بنى غفار يؤمهم في الصبح فقرأ في الأولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين، وكان عندنا رجل له مكيالان مكيال كبير ومكيال صغير يعطي بهدا ويأخذ بهذا فقلت: ويل لفلان".

(٣) المناذلة: أن ينبد الرجل ثوبه، وينبذ الآخر ثوبه، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا فحص ولا تقليل.

(٤) الملامسة: لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو النهار ولا يقلبه. وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٢٠٠٢)، ومسلم رقم (٢٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة والمناقبة".

(٥) المخاضرة: مفاعة من الخضرة والمراد بيع الشمار والمحبوب قبل أن يدو صلاحها. فتح الباري (٤/٤٤٠).

(٦) نسبة السيوطي في الجامع الصغير رقم (٥٥١) للطبراني، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٤٠).

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧١٨) عن علي، ورواه الطبراني في تفسيره (٢٧/١١٨)، وذكره السيوطي في الدر المثور (٧/٦٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾①)

والضمير في «**كَالُوهُمْ أَوْ وَزَوْهُمْ**» منصوب راجع إلى الناس. وفيه وجهان: أن يراد كالوا  
هم، أو وزنوا لهم، فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال [من الكامل]:

ولقد جئيتكَ أكمّاً وعساقاً ولقد نهيتَكَ عن بناتِ الأوبر<sup>(١)</sup>

يعني: جئت لك. أو يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف  
هو المكيل والوزنون. ولا يصح أن يكون ضميراً مرفوعاً راجعاً للمطففين؛ لأن الكلام يخرج  
به إلى نظم فاسد، والمعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل والوزن هم على  
الخصوص أخسروا، وهو كلام متنافر؛ لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر، والتعلق في  
إبطاله بخط المصحف؛ لأن الواو التي تكتب بعد واو الجماعة غير ثابتة فيه ركيك؛ لأن خط  
المصحف لم تر في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط. قال الزمخشري<sup>(٢)</sup>: على أنني  
رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقدمين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في  
اللفظ والخط جميعاً؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع، وإنما كتبت هذه الألف؛ تفرقة  
بين واو الجمع وغيرها في نحو قوله: "هم لم يدعوا ولم يدعوا" فمن لم يثبتها قال: المعنى  
كاف في التفرقة بينهما ووقف عيسى بن عمر<sup>(٣)</sup> على الواوين وقفه يسيرة؛ ليفرق بينهما وبين  
ما لا يستحق الألف فلن قلت: هلا قيل: أو ازنوا، كما قيل: أو وزنوه؟ قلت: كان  
المطففين لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالماكيل دون الموازين؛ لتمكنهم بالاكتيال من  
الاستفباء والسرقة؛ لأنهم يحتالون، وإذا أعطوا كالوا وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين  
جimعاً<sup>(٤)</sup>.

﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينتصرون. يقال: خسر الميزان وأخسره.

﴿أَلَا يَأْتِنَ أُولَئِكَ أَهْمَمُهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾٤) لِيَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٥) كَلَّا إِنَّ كَتَبَ

(١) ينظر البيت في: الإنصاف لابن الأباري (١/٢٩٧)، جمهرة اللغة (ص: ٣٣١)، الخصائص لابن جيني (٣/٥٨)، شرح التصريح (١/١٥١)، شرح شواهد المعنى (١/١٦٦)، لسان العرب (جوت، حجر)، المعنى لابن هشام (١/٥٢)، المقاصد النحوية (١/٤٩٨)، المقتضب للمربد (٤/٤٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/٧٢٠).

(٣) في الكشاف (٤/٧٢٠) عيسى بن عمر وحمزة.

(٤) ينظر: السابق.

الْفَجَارِ لَهُ سِجِنٌ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِنٌ ٨ كِتَبَ مَرْقُومٌ ٩ وَلِيَوْمِدِ الْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٍ ١٢ إِذَا نَلَى عَلَيْهِ، ائْتَنَا قَالَ أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِدِ لَحْبَجُوْنَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَعِيمِ ١٦ ثُمَّ هَالُ هَذَا الَّذِي كَثُمَ بِهِ رَكَبُهُونَ ١٧

﴿الْأَيْنُ﴾ إنكار وتعجب عظيم من حالم في الاجراء على التطفيض كأنهم لا يخطر بالهم، ولا يخمنون تخمينا. ﴿أَتَهُمْ مَبْغُوثُونَ﴾ ومحاسبون (١/٣٣٤) على مقدار الذرة. وعن قنادة: "أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك" (١). وفي هذا الإنكار والتعجب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه خاضعين لله - تعالى - ووصف ذاته برب العالمين بيان لتعظيم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيض، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، وحث على العمل على السوية والعدل في كلأخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل.

وقيل: الظن يعني اليقين. والوجه ما سبق. ونصب "يوم" بـ "مبعوثون" وقرئ بالجر (٢) بدلا من "يوم عظيم". وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنهقرأ هذه الآية فبكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (٣).

﴿كَلَّا﴾ رد لهم بما كانوا عليه من التطفيض والغفلة. ﴿إِنَّ كِتَبَ الْفَجَارِ﴾ ما يكتب من أعمالهم، وجعل كتاب الفجار في سجين ومعناه: أنه كتاب جامع للمعاصي التي فعلوها، وهو كتاب مرقوم بين الكتابة، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، وسمي ذلك الديوان سجيننا، مأخوذه من السجن والضيق؛ لأنه سبب الحبس والتضييق أو لأنه مطروح، - كما روي - تحت الأرض السابعة في مكان موحش مظلم وهو بيت لإبليس وشهده الشياطين كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون والسجين: اسم علم منقول عن الصفة كـ "حاتم" وهو مصروف؛ لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف (٤).

(١) رواه الطبرى في تفسيره (١١٨/٢٧)، وذكره السيوطي في الدر المشور (٧/٦٩٢) ونسبه لابن جرير وابن المنذر عن قنادة حديث.

(٢) حكاى أبو معاذ القارئ. تنظر في: البحر المحيط (٨/٤٤٠)، الدر المصور (٦/٤٩١)، الكشاف (٤/٧٢٠)، مفاتيح الغيب (٣١/٩٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٢٠).

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/٧٢١).

﴿كَلَّا إِنْ كَتَبَ الْأَبْرَارُ لَفِي عَلَيْتَنِ ﴾١٨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْتُونَ ﴾١٩ كَتَبَ تَمَرُّوْمٌ ﴾٢٠ يَسْهُدُهُ الْمُقْرِبُوْنَ  
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي تَعْيِمٍ ﴾٢١ عَلَى الْأَرَائِكِ يَبْطُرُوْنَ ﴾٢٢ تَعْرُفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَصَرَةُ الْتَّعْيِمِ ﴾٢٣ يُسْقَوْنَ مِنْ  
رَحِيقِ مَحْشُومٍ ﴾٢٤ حَتَّمَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَا فِي الْمُنْتَفِقُوْنَ ﴾٢٥ وَمِنْ أَجْهُهُ مِنْ سَنِيْمٍ ﴾٢٦ عَيْنَاهَا  
يَسْرُبُ بَهَا الْمُقْرِبُوْنَ ﴾٢٧﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن التكذيب. و﴿كِتَبَ الْأَبْرَار﴾ ما كتب من أعمالهم. و﴿عِلَيْهِنَ﴾ علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع "عليّ" على فعال، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى الدرجات العليّ، وإما (٣٣٤ / ب) لأنّه مرفوع إلى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون<sup>(١)</sup> تكريما له وتعظيمها. روي "أن الملائكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى الله إليهم: إنكم استقللتم عمل عبدي، وأنا أعلم بنطيته فاكتبوه في عليين؛ فقد غفرت له، وإنها تصعد بعمل عبد فيزكونه، فإذا انتهوا إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيب على قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين".<sup>(٢)</sup>

﴿الْأَرَابِكُ﴾ الأسرة في المجال<sup>(٣)</sup>. ﴿يُنْظَرُونَ﴾ إلى ما شاءوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة، وإلى ما أولاهم من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار، وما يحجب حجاب أبصارهم عن الإدراك. ﴿فَتَرَى الْأَنْعَيمَ﴾ بهجة النعيم، كما ترى في وجوه الأغنياء. الرحيق: الشراب الخالص الذي لا غش فيه. ﴿مَخْتُومٌ﴾ ختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة. وقيل: ختامه: مقطوعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور، وينختم بالمسك. ﴿فَلَيَتَّسَّعَ الْمُنَّكِفُونَ﴾ فليرغب الراغبون.

﴿تَسْنِيمٌ﴾ علم لعين بعينها مأخوذ من سنه إذا رفعه؛ إما لأنها أرفع شراب الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوقهم. وروي أنها تجري في الهواء، فتصب حيث شاءوا، و﴿عَيْنًا﴾ نصب

(١) **الكروبيون**: سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل هم المقربون، والملائكة الكروبيون: أقرب الملائكة إلى حلة العرش.. ينظر: لسان العرب (كب).

(٢) نسیه الحافظ ابن حجر في تخيير أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لайн المبارك في الزهد.

(٣) المحجال: جمع: المحجلة وهي مثل القبة، ومحجلة العروس معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. والمحجلة بالتحريك: بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبيرة، والجمع محجل ومحجال. ينظر: لسان العرب (محجل).

على المدح. وقيل: على الحال. وقيل: هي للمقربين يشربونها صيرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ إِمَّا مَنْتَوْيَا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَنْغَامِزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا  
أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسَلُوا عَلَيْهِمْ  
حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ إِمَّا مَنْتَوْيَا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْتَرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ  
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ مشركون أهل مكة؛ أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم من فقراء المؤمنين. وقيل: مر بهم عليٌّ ومعه جماعة من فقراء المهاجرين فتضاحكوا منه وقالوا: ملكهم الأجلح فنزلت<sup>(١)</sup>. ﴿فَكِهِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ملتفدين بالسخرية منهم.

﴿عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْتَرُونَ﴾ حال من "يضحكون" منهم ناظرين إليهم، وإلى ما هم عليه من الهوان بعد العزة والكبر، ومن ألوان العذاب بعد النعيم.

وقيل: يفتح للكافار باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها. فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مراراً، فيضحكون منهم المؤمنون<sup>(٣)</sup>.

﴿هَلْ ثُوبَ﴾ هل جوزي (٣٣٥ / ١) الكفار بما كانوا يفعلون.

ثوابه وأثابه يعني إذا جازاه.

\* \* \*

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٧٢٤ / ٤).

(٢) قرأ جهور القراء "فاكهين" ، وقرأ حفص عن عاصم وأبو جعفر "فكهين" . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٤٣ / ٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٦)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٥)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٩٥ / ٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، النشر لابن الجوزي (٣٥٤ / ٢ - ٣٥٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٧٢٤ / ٤).

## تفسير سورة "انشققت" [الانشقاق]

[ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا أَلْسَمَهُ أَشْقَتَ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرِبَّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرِبَّهَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْلِمُ إِلَيْهَا إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَحًا فَمُلْقِيْهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوقَى كِتَبَهُ بِسَمِيْنِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

حذف جواب "إذا" ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفى بما علم في مثلها من سورة التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دل عليه ﴿فَمُلْقِيْهِ﴾ أي: إذا انشقت السماء لاقت الإنسان كدحه. ومعناه: تشقق بالغمام؛ لقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمْمِ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه: تشقق من الجرة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَذْنَتْ﴾ استمعت له، ومنه قول النبي ﷺ: "ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن"<sup>(٣)</sup>. المعنى: أنها فعلت حين امتناع أمر الله ما يفعله المجتهد في الطاعة من بذل الجهد. ﴿وَحَقَّتْ﴾ من قوله: هو محقوق بكذا وحقيقة به، وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تقنع. والقصد: أن كل من عمت قدرته دخل فيها كل مقدور.

﴿مُدَّتْ﴾ من مد الشيء فامتد، وهو أن تدك جبالها وآكامها. وقيل: مدت مد الأديم العكاظي، لأن الأديم إذا مد زال كل اثناء فيه واستوى. أو من مده يعني أ美的ه، أي: زيدت سعة وبسطه. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ مما دفن في بطونها من الموتى والكتوز.

﴿وَخَلَّتْ﴾ وخلت غاية الخلو فكانها تكلفت أقصى الجهد في الخلو كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم، إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة، وتتكلفا فوق ما في طبعهما ﴿وَأَذْنَتْ لِرِبَّهَا﴾ في إلقاء ما في بطونها. الكدح: جهد النفس في العمل، والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلدته: إذا خدشه، ومعنى ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ جاهد إلى اللقاء وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء. ﴿فَمُلْقِيْهِ﴾ فملائق له لا محالة، لا مفر لك منه.

(١) سورة الفرقان، الآية (٢٥).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٧٢٥).

(٣) رواه البخاري رقم (٢٥٤٤)، ومسلم رقم (٧٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: الضمير في " ملاقيه " للكدح. **(بَيْرَكًا)** سهلا هينا، لا ينافق فيه، ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما ينافق أصحاب الشمال. وعن عائشة - رضي الله عنها -: " هو أن يعرف ذنبه ثم يتجاوز عنه " <sup>(١)</sup>. وعن النبي ﷺ أنه قال: " من يحاسب يعذب " فقيل: يا رسول الله **(فَسَوْفَ يُحَاسِّبُ حَسَابًا بَيْرَكًا)** فقال: " ذلكم العرض، من نوqش العذاب عذب " <sup>(٢)</sup>.

**﴿وَتَنْقِلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١١ وَأَمَّا مَنْ أُولَئِكَ بَرَاءَ ظَهَرُهُ ١٢ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُورًا ١٣ وَيَصِلُّ**  
**سَعِيرًا ١٤ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٥ إِنَّهُ دُنَانٌ أَنَّ لَنْ يَحُورُ ١٦ بَلْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٧ فَلَا أُقْسِمُ**  
**بِالشَّفَقِ ١٨ وَالْأَيْلَ ١٩ وَمَا وَسَقَ ٢٠ وَالْقَمَرِ إِذَا أَسْقَ ٢١ الْتَّرْكَبَنَ طَبَقَانِ ٢٢ فَمَا لَهُمْ لَا**  
**يُؤْمِنُونَ ٢٣ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ٢٤ ٢٥﴾**

**﴿إِنَّ أَهْلِهِمْ** إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين. أو إلى أهله من الجنة من الحور العين.

**﴿وَرَاءَهُمْ ظَهَرُهُ** قيل: تغل ينادى إلى عنقه، ويعطى كتابه بشماله من وراء ظهره.

وقيل: تخلع (٣٣٥ / ب) يده اليسرى من وراء ظهره.

**﴿يَدْعُوا بُورًا** يقول: واثبوراه. والثبور: الهالاك. **﴿فِي أَهْلِهِ** فيما كان فيه من الدنيا

**﴿مَسْرُورًا** متراً متنعماً كعاده الفجار الذين لا يهمهم أمر آخرتهم.

**﴿أَنَّ لَنْ يَحُورُ** أن لن يرجع تكذيباً بالمعاد، لا يحور ولا يحول أي: لا يرجع ولا يتغير.  
**﴿بَلْ** إذا بلى بعد الموت أي: بل ليحورن. **﴿بِالشَّفَقِ** الحمرة التي ترى في المغرب بين المغرب والعشاء، ويسقطه خرج وقت المغرب. وروي عن أبي حنيفة قول: إن الشفق على البياض. وروي أنه رجع عن هذه المقالة. وأكثر العلماء على أن الشفق: الحمرة <sup>(٣)</sup>. **﴿وَمَا**  
**وَسَقَ** وما جمع. **﴿أَسْقَ** واستوست: إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. **﴿طَبَقَانِ** طبقاً عن طبق **﴿وَالْطَّبَقِ**: ما طابق غيره، أي: حالاً بعد حال، كل واحدة مطابقة لصاحبها في الشدة والهول.  
 وموضع " عن طبق " الصفة، أي: طبعاً مجاوزاً عن طبق. وعن مسروق: " في كل عشرين

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٤٥٧/٨) لابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٣٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٧٦).

(٣) ينظر: حاشية ابن عابدين (١/٣٦١)، الحجة للإمام محمد بن الحسن الشيباني (٨/١)، المبدع لابن

ملحق (١/٣٤٤)، المجموع للنووي (٣/٤٤)، الموطأ للإمام مالك (١٢/١).

عاماً يجدون أمراً لم يكونوا عليه <sup>(١)</sup>. ﴿لَا يسجدُونَ﴾ لا يخضعون. وقيل: قرأ رسول الله ﷺ يوماً ﴿وَاسْجُدْ وَاقِبَ﴾ <sup>(٢)</sup> فسجد هو ومن معه، وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فترلت <sup>(٣)</sup>. وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة <sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس: "ليس في المفصل سجدة <sup>(٥)</sup>". وعن أبي هريرة: "أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ - سجد فيها" <sup>(٦)</sup>.

**﴿كُلُّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ ﴿٢٢﴾ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾**

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إلى المذكورين. ﴿بِمَا يُوَعِّدُونَ﴾ بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد. أو ما يجمعون في صحفهم من أعمالسوء. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء منقطع.

\* \* \*

(١) نسبة السيوطي في الدر المثور (٤٦٠/٨) لابن أبي حاتم وابن المنذر عن مكحول.

(٢) سورة العلق، الآية (١٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٢٨)، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/١٧٨)، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) وقال: لم أجده.

(٤) ينظر: نصب الرأية للزيلعي (٢/١٨٢)، التتف في الفتاوى لأبي الحسن السغدي (١/٤٠، ٣٩)، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢/١٣٨).

(٥) روى البيهقي في السنن الكبرى (٢/٣١٣) عن عاصم الأحوص عن العريان أو أبي العريان قال: قال ابن عباس: "ليس في المفصل سجدة". قال: فلقيت أبا عبيدة فذكرت له ما قال ابن عباس، قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود - سجد رسول الله ﷺ والمؤمنون والمشركون في النجم فلم نزل سجد بعد " وروى الترمذى سنن الترمذى رقم (٥٢٤) عن عكرمة عن ابن عباس قال: "سجد رسول الله ﷺ فيها يعني النجم والمسلمون والمشركون والجن والأنس". قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون السجدة في سورة النجم. وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: ليس في المفصل سجدة. وهو قول مالك بن أنس، والقول الأول أصح، وبه يقول الثوري وابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق.

(٦) رواه البخارى رقم (١٠٧٤)، ومسلم رقم (١٢٩٩)، عن أبي هريرة رض.

## تفسير سورة البروج [مكة]

دِسْرِيْرَةِ الرَّحْمَنِ الرَّجِيمِ

﴿وَالْمُتَّمَاءِ ذَاتِ الْبَرُّوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ فُلَّ أَنْجَبَ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾

﴿وَالْمُتَّمَاءِ ذَاتِ الْبَرُّوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر. وقيل: قصور السماء على التشبيه. وقيل: البروج: النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب، سميت بروجا لعظمها. **﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾** يوم القيمة. **﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾** فيه، والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلاق عليهم، والمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائب. وتنكيرها على ما قدمته في قوله: **﴿عَمَّتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾**<sup>(١)</sup> وقد اضطربت أقوال المفسرين فيها؛ فقيل: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيمة. وقيل: **﴿أَيْنَ جَوَابُ الْقَسْمِ﴾** قلت: أين جواب القسم؟ قلت: مخدوف يدل عليه قوله: **﴿فُلَّ أَنْجَبَ الْأَخْدُودِ﴾**. وكأنه قيل: أقسم بهذه الأقسام ليعدبن الله من كذبك، وذلك أن السورة نزلت في ثبات المؤمنين وصبرهم على أذى الكفار، وتذكيرهم بما جرى على غيرهم من المعذبين. قتلت قريش كما **﴿فُلَّ أَنْجَبَ الْأَخْدُودِ﴾** والأخدود: الشق في الأرض.

روي أنه كان بعض الملوك ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاما ليعمله السحر، وكان في طريق الغلام راهب يسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبس الناس، فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلاه. فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمه والأبرص، وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأل الملك: من رد عليك بصرك؟ فقال: ربى. فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمشار، وأتي بالغلام فذهب به إلى جبل ليلقى من ذروته فدعاه فرجف بالقوم فهلكوا ونجا الغلام، فذهب به إلى قرقور<sup>(٢)</sup> فلجموا به<sup>(٣)</sup> ليغرقوه فدعاه فانكشفت بهم

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) قرقور: هو السفينة العظيمة وجمعها قرقير. ينظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤٨/٤).

(٣) يقال: ألح القوم و لمجوا: ركبوا اللغة. والتتج الموج: عظم. و لمج القوم: إذا وقعوا في اللغة. ولمجت السفينة أي: خاضت اللغة. والتتج البحر التجاجا والتتجت الأرض بالسراب: صار فيها منه كاللتج والتتج الظلام: التبس و اختلط. واللغة: الصوت. ينظر: لسان العرب (لمج).

السفينة ونجا الغلام، فقال للملك: لست بقاتلٍ حتى تجتمع الناس في صعيد واحد وتصليني على جذع وتأخذ سهما من كتاني وتقول: بسم الله رب الغلام. ثم ترمي بي، فرماه فوقع في صدره فوضع يده عليه ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: نزل بك ما كنت تخذل. فأمر بأخذٍ في أفواه السكك فأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرح فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أماه أصبري فإنك على الحق. فاقتحمت. وقيل: قال لها: قعي ولا تنافي. وقيل: ما هي إلا غمية فصبرت<sup>(١)</sup>.

وعن علي: أنهم حين اختلفوا في أحكام المجروس قال: هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكون بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولوها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخيه، فلما صحا ندم، وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أنك تحطب الناس وتقول: أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات. ثم تحطبهم بعد ذلك: إن الله حرمه. فخطبهم فلم يقبلوا منه، فأمر بالأخذاد، وإيقاد النار، وطرح من أتى فيها، فهم الذين أرادهم الله بقوله: «فَيُنَاهِيَ الْأَخْدُودُ»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: وقع إلى نجران رجلٌ من كان على (٣٣٦ / ب) دين عيسى فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير، فخربهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم إثني عشر ألفاً في الأخداد<sup>(٣)</sup>. وقيل: سبعين ألفاً. وقيل: إن طول الأخدود أربعون ذراعاً، وعرضه:اثنا عشر ذراعاً. وعن النبي - ﷺ - " أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء " <sup>(٤)</sup>.

**«أَنَّارَذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شَهُودٌ ⑦ وَمَا نَقْوَمُ أَنْتُمْ ⑧ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**

(١) رواه مسلم رقم (٣٠٠٥)، وأحمد في المسند (٦/١٦)، والترمذى رقم (٣٣٤٠)، من حديث صحيب الرومي.

(٢) نسبة ابن حجر في تخریجه لأحادیث الكشاف (ص: ١٨٣) لأحمد والبزار والطبری وأبی یعلیٰ إسحاق بن راهویه. ونسبة السیوطی في الدر المشور (٤/١٦٩) لعبد الرزاق في المصنف عن علی بن ابی طالب حذفه.

(٣) نسبة ابن حجر في تخریجه لأحادیث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن إسحاق في السیرة.

(٤) نسبة ابن حجر في تخریجه لأحادیث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن أبي شیة عن الحسن.

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُنْ عَذَابٌ أَلْحَقِي  
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَاحَتْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ  
 إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ  
 إِنَّهُ هُوَ بَرِيءٌ وَمُعِيدٌ  
 وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ  
 ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ  
 فَمَالِ لِمَا يُرِيدُ  
 أَنْكَ حَدِيثُ الْجَنُودِ  
 فِرْعَوْنَ وَهَامُودَ  
 بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ  
 وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ شَمِيطٌ  
 هُوَ قَرْءَانٌ مَجِيدٌ  
 فِي لَوْجٍ مَخْفُوظٌ

﴿أَنَّا رَ﴾ بدل اشتغال من الأخدود. ﴿ذَاتُ الْوَقُود﴾ وصف لها بالعظم لها ما يرتفع به لها من الخطب الكثير وهو الوقود وأبدان الناس. ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ "قتل" ؟ أي: لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: متولين أمرها؛ كقولك: هو على البصرة؛ أي متوليهما يؤدون بالشهادة يوم القيمة بما فعله الكفار.

﴿وَمَا نَقْمَدُ﴾ وما عابوا إلا إيمانهم بالله كقول الشاعر [ من الطويل ]:

ولا عيب فيهم غير أن سيفهم بهنَّ فلونَّ من قراع الكثائب<sup>(١)</sup>

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة، فقد تضاعف وتفاقم.

﴿بَرِيءٌ وَمُعِيدٌ﴾ يعني: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. ﴿فَمَالِ﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله المحب في غاية الكثرة.

﴿فِرْعَوْنَ وَهَامُودَ﴾ بدل من ﴿الْجَنُودِ﴾، وأراد بـ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ إيه وآلها؛ كما في قوله: ﴿وَمَلَأْنِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> والمعنى: قد عرفت تكذيب الجنود الرسل، وما نزل بهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك. ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ واستيصال للعذاب. ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ شَمِيطٌ﴾ عالم بأحوالهم، مقتدر على الانتقام منهم. بل ﴿هُوَ قَرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾ شريف عظيم. ﴿فِي لَوْجٍ مَخْفُوظٌ﴾ بالحر نعتا للوح، وبالرفع: نعت للقرآن<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تعریجه في تفسیر سورة النمل.

(٢) سورة يونس، الآية (٨٣).

(٣)قرأ نافع "محفوظ" ، وقرأ بقية العشرة "محفوظ". تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (٤٥٣/٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٧)، الدر المصنون للسمين (٥٠٥/٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، الكشاف للزنخشري (٤/٧٣٣)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٩٩).

## تفسير سورة الطارق [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءُ وَالظَّارِقُ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الظَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه، فينفذ فيه كما قيل: دُرّي؛ لأنّه يدراً الظلمة، أي: يدفعها وهو صفة للظارق؛ لأنّه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلاً: طارق. أو لأنّه يطرق الجني أي: يصكه، والمراد: جنس النجوم، أو الشهب التي يرجم بها. وأقسم الله - تعالى - بالنجم الثاقب؛ تعظيمًا له، فأراد أن ينبه على ذلك، فجاء بصفة مشتركة وهو كونه طارقاً. وجواب القسم قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ من قرأ: "لَمَّا" مخففه من الثقيلة (أ) واللام هي الفارقة<sup>(١)</sup> و "ما" : زائدة، ومن قرأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد<sup>(٢)</sup> فالمعنى: وما كل نفس إلا عليها حافظ رقيب، ووجه الربط بين قوله: ﴿فَلَيَنْظُرْ إِلَيْ إِنْسَنٍ﴾ وبين قوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ أنه لما ذكر الحافظ وأنه يخصي عملك أتبعه ما يجب اهتمام المرء به لما خلق له من العبادة والطاعة وليرعلم قدرة الله في خلقه الآدمي وإنشائه من نطفة، ونقله في الأطوار حتى تكامل إنساناً كثير الجدال؛ كقوله: ﴿أَوَلَزِيرَ إِلَيْ إِنْسَنٍ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿فَلَيَنْظُرْ إِلَيْ إِنْسَنٍ مِّمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَلْوَ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَمْجُحُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالرَّأْبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْحِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ بُثَّ الْأَشْرَابِ ﴿٩﴾ فَأَلَمْ مِنْ ثُوَّةٍ وَلَا نَاصِيَرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءُ دَاتُ الرَّتْبَعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضُ دَاتُ الصَّنْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصَلٌّ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْمُرْزِلِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿وَمِمَّ خُلِقَ﴾ دخل حرف الخبر على الاستفهامية، فحذفت ألفها. ﴿دَافِقٍ﴾ ذي دفق، أو الدفق لصاحبها، ولم يقل: من مائين؛ لامتزاجهما واختلاطهما في الرحم. ﴿مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ﴾ من

(١) قال ابن هشام في شرح قطر الندى (ص: ١٦٤): سميت فارقة؛ لأنّها فرقـت بين النفي والإثبات.

(٢) قرأ ابن عامر وحزة وأبو جعفر "لما" بالتشديد، وقرأ بقية العشرة "لما" بالتحفيف.

تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (٨/ ٤٤٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٨)، الدر المصور للسميين (٥٠٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، الكشاف للزمخشري (٧٣٤).

(٣) النشر لابن الجوزي (٢/ ٣٩١).

سورة يس، الآية (٧٧).

الرجل ﴿وَالثَّرَابُ﴾ من المرأة. وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.  
 (إله) الضمير للخالق؛ دلالة ﴿عُلَقَ﴾ عليه. إن ذلك الذي قدر على خلقه ابتداء ﴿عَلَىٰ رَجْبِهِ﴾ وبعثه. ﴿لَقَادِرُوم﴾ ظرف منصوب بـ ﴿رَجْبِهِ﴾. ومن جعل الضمير ﴿رَجْبِهِ﴾ للماء، وفسره برجمعه إلى الصلب والترايب أو إلى الإحليل<sup>(١)</sup>، أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بضمير. ﴿الشَّرَابُ﴾ ما أسر في القلوب من العقائد، وما أخفى من الأعمال. وسمع الحسن رجلاً ينشد: [من الطويل]

سيقى لها في مضرِّ القلبِ والحسنا سريرةً وَدِيَمَ ثُبَّلَ السَّرَّائِرُ<sup>(٢)</sup>

قال: ما أغفله عما في ﴿وَالسَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿فَا﴾ للإنسان: ﴿نِنْ قُوَّة﴾. ﴿ذَاتُ أَرْتَعَ﴾ سمي المطر رجعاً، كما سمي أوباً، وذلك أن العرب كانوا يعتقدون أن السحاب يصعد بالمطر من الأرض، ثم يرجع فيصبه فيه. وقيل: تفاولاً برجوع المطر و﴿الصَّنْع﴾ ما تتصدع منه الأرض من النبات.

﴿إله﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَصُل﴾ فاصل بين الحق والباطل، ومن حقه لما وصف بذلك أن يكون معظمها في الصدور من سامعه وقارئه ولا يلمان بهزل، وأن يصور في نفسه أن الجبار خالق السماء والأرض يخاطبه ويأمره وينهاه.

﴿إِنَّهُ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَأَكِيدُكَيْدًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿فَهَلِ الْكَفَّرُونَ أَمْهَلُهُمْ رُؤْبًا﴾<sup>(٦)</sup>

﴿إِنَّهُ﴾ أي: أهل مكة يعملون المكاييف في إبطال أمر الله. ﴿وَأَكِيدُكَيْدًا﴾ أستدرجهم بتعميرهم وسعة الأرزاق. ﴿فَهَلِ الْكَفَّرُونَ﴾ لا تدع بهلاكهم. ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْبًا﴾ أي: إمهالاً (٣٣٧ / ب) وكرر الإمهال وغير اللفظ دلالة على الاهتمام بهذا الأمر وتفخيمه.

\* \* \*

(١) رواه الطبراني في تفسيره (٣٠/١٢٥)، والإحليل: مخرج البول من الإنسان وخرج اللبن من الثدي والضرع. وإحليل الذكر: ثقبه الذي يخرج منه البول وجمعه الأحاليل. ينظر: لسان العرب (حلل).

(٢) ينظر البيت للأحوص في: تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (٣٢/٢١٨)، ولجنون ليلي في الكشاف (٤/٧٣٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٣٦).

## تفسير سورة "سبع" [الأعلى]

[ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى ② وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④  
 فَجَعَلَهُ دُرْغَةً أَحْوَى ⑤﴾

تسبيح اسمه - عز وجل - : تنزيهه عما لا يليق به وصونه عن أن يذكر بغير تعظيم ولا توقير، ويجوز أن يكون "الأعلى" صفة للحديث، وفي الحديث: "أنه لما نزل قوله: «فَسَبِّحْ يَا سَمِّ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» ① قال ﷺ: "اجعلوها في رکوعكم" فلما نزل ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: "اجعلوها في سجودكم" ②.

﴿خَلَقَ فَسَوَى﴾ أي: خلق كل شيء فسوى خلقه، ولم يأت به متفاوتاً غير ملائم؛ دلالة على أنه صدر عن عالم حكيم. ﴿قَدَرَ﴾ أي: قدر لكل حيوان ما يصلحه، وهذا إله.

يمکي: أن الأفعى إذا مر عليها ألف سنة عميت، فربما كانت في برية وفي مكان بعيد عن بنيات الشمر فتسافر المسافة البعيدة حتى تقع على زراعة الرازبانج، فتحلك بها عينها، فيعود إليها بصرها، وهذا نوع عظيم من الصالح<sup>(١)</sup>. وكذلك هداية الله للإنسان وسائر الحيوان إلى مصالحها. ﴿أَحْوَى﴾ صفة لـ ﴿غُثَاءً﴾ أي: أخرج المرعى أبنته فجعله بعد خضرته ورفيفه<sup>(٢)</sup>. ﴿غُثَاءً أَحْوَى﴾ درينا<sup>(٣)</sup> أسود. ويجوز أن يكون أحوى حالاً من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَشْنَعَ ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَنِسِيرُكَ لِلْتِسْرَى ⑧ فَذَكَرَ إِنْ تَفَعَّتِ الْأَذْكَرَى ⑨ سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشِي ⑩ وَيَنْجَبَهَا الْأَشْقَى ⑪ الَّذِي يَصْلِي أَنَارَ الْكُبْرَى ⑫﴾

(١) سورة الواقعه، الآية (٩٦).

(٢) رواه أحد في المسند (٤/ ١٥٥)، وأبو داود رقم (٨٦٩)، والحاکم في المستدرک (١/ ٢٢٥) وصححه.

(٣) ذکرہ الزمخشري في الكثاف (٤/ ٧٣٨).

(٤) يقال: شجر رفيف: إذا تندى، ويرف رفيفاً: يقطر نداه. يقال للشيء إذا كثر ماؤه من النعمه والغضاضه حتى يکاد يهتز رف يرفينا. ينظر: لسان العرب (رفف).

(٥) الدرین: حطام المرعى إذا قدم وهو ما بلي من الحشيش، وقلما تتسع به الإبل، وأدرنت الإبل: رعت الدرین وذلك في الجدب وحطب مدرن: يابس. ينظر: لسان العرب (درن).

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ بشره الله بإعطائه آية بينة وهي أن جبريل يقرأ عليه الوحي فلا ينسى مما يقرأ عليه شيئاً. ﴿إِلَمْ أَمَاكَةَ اللَّهُ﴾ فذهب به عن حفظه برفع حكمه أو تلاوته؛ كقوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾<sup>(١)</sup>. وقيل: كان يعجل بالقراءة فقيل له: لا تعجل؛ فإن جبريل إذا قرأ فهو مأمور بأن يكرره عليك إلى أن تحفظه فلا تنساه إلا ما شاء الله للقلة والندرة. وقيل: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ نهي، والألف مزيدة؛ كقوله: ﴿السَّيِّلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْبَهْرَ﴾ قراءتك مع جبريل خيفة السَّلَب. ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ من ذلك أو يعلم جميع الظاهر والخفى من الأقوال والأفعال. ﴿وَبِئْرَكَ لِلْيُسْرَى﴾ معطوف على "ستقرؤك" وقوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَرَ وَمَا يَخْفَى﴾ اعتراف أي: معناه: ونونفلك للطريقة التي هي أيسر. وقيل: الشريعة السمحنة. فإن قلت: كان رسول الله ﷺ مأموراً بالذكرة نفعت أو لم تنفع، فما وجه اشتراط النفع؟ قلت: وجهان: أحدهما: أن يكون الرسول قد استفرغ جهده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على الذكرة إلا عتوا. وكان النبي ﷺ حريصاً على أن يطيعوا، فقيل له: ﴿وَمَا أَنَّ عَنْهُمْ يَبَأِرُ﴾<sup>(٣)</sup> (٢٣٨). ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾<sup>(٤)</sup>. ﴿فَذَكَرَ إِنْ تَفَعَّتِ الْذِكْرَ﴾ وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكرة. والثاني: أن يكون ظاهره شرطاً وباطنه ذماً للمذكرين، واستبعاداً لتاثير الذكر فيهم؛ كما تقول للواعظ: عظ المكاسين<sup>(٥)</sup> إن نفعت الموعظة، استبعاداً لأن يكون ذلك.

﴿سَيَدِّكُ﴾ سينتفع بالذكرة ﴿مَنْ يَخْشَى﴾ الله وسوء العاقبة. ويتجنب الذكرة ﴿الْأَشَقَ﴾ الكافر؛ لأنَّه أشقاً من الفاسق. ﴿الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ السفلى من أطباق النار. وقيل: الكبرى: نار جهنم، والصغرى: نار الدنيا.

﴿لَمْ يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾<sup>(٦)</sup> ﴿قَدْ أَلْقَحَ مَنْ تَرَكَ﴾<sup>(٧)</sup> وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ، فَصَلَّى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ﴾

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦٧).

(٣) سورة ق، الآية (٤٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٨٩).

(٥) المكاسن: جمع الماكس وهو العشار، ويقال للعشار صاحب مكس، والمكس: ما يأخذ العشار يقال: مكس فهو ماكس: إذا أخذ، والمكس: درهم كان يأخذ المصدق بعد فراغه، والمكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجبایة. ينظر: لسان العرب (مكس).

الدُّنْيَا ١٦ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٧

وقوله: «لَمْ لَا يَمُوتُ» لأن التردد بين الموت والحياة أشد وأعظم من التعذيب بغير ذلك  
«تَرَكَ» تطهر من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلوة أو تزكي تفعل من الزكاة.

«فَصَلَّى» الصلوات الخمس، نحو قوله: «وَاقِمَ الصَّلَاةَ وَمَاقِي الزَّكُوَةَ» <sup>(١)</sup>.

وقيل: هي صدقة الفطر. وقال [علي]: <sup>(٢)</sup> لا أبالي ألا أجده في كتابي غيرها؛ لقوله:  
«فَدَأْلَحَ مَنْ تَرَكَ» فأعطي زكاة الفطر، وصلى صلاة العيد <sup>(٣)</sup>.

وقيل: «وَذَكَرَ أَسْدَ رَبِّهِ» فكبير تكبير الافتتاح، وبه احتاج على وجوب تكبيرة الإحرام  
وعلى أنها ليست من الصلاة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه - تعالى <sup>(٤)</sup>. وعن  
ابن عباس: " ذكره معاده وموقه بين يديه، فصلى له " <sup>(٥)</sup>. وعن الضحاك: " فذكر اسم  
ربه في طريق المصلى " <sup>(٦)</sup>. «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» فلا تفعلون ما تفلحون به. وقرئ " <sup>(٧)</sup>  
يؤثرون " على الغيبة، ويعضد الأول قراءة ابن مسعود: " بل أنتم تؤثرون " <sup>(٨)</sup>.

«خَيْرٌ وَأَبْقَى» أفضل في نفسها وأنعم وأدوم. وعن عمر <sup>(٩)</sup>: " ما الدنيا في الآخرة إلا  
كنفجة أرنب " <sup>(٩)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧)

(٢) ما بين المعقودين ساقط من الأصل ومثبت من الكشاف.

(٣) ذكره الرمخشري في الكشاف (٤ / ٧٤٠) عن علي <sup>(١٠)</sup>، ذكره السيوطي في الدر المتشور (٨ / ٤٨٥ -

٤٨٦) عن بعض الصحابة.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٥ / ٣٧٢)، التمهيد لابن عبد البر (٩ / ١٨٢، ١٨٥)، المغني لابن قدامة (١ / ٢٧٥، ٢٧٦)، نيل الأوطار للشوكتاني (٢ / ٢٧٧، ٢٧٨).

(٥) ذكره الرمخشري في الكشاف (٤ / ٧٤٠).

(٦) ذكره الرمخشري في الكشاف (٤ / ٧٤٠).

(٧) قرأ بها أبو عمرو. وقرأ الباقيون " تؤثرون ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٤٦٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٩)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦ / ٥١١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، الكشاف للرمخشري (٤ / ٧٤١)، النشر لابن الجزرى (٢ / ٤٠٠).

(٨) ذكرها الرمخشري في الكشاف (٤ / ٧٤١).

(٩) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٩٧)، وابن السري في كتاب الزهد (١ / ٣١٨) عن مسروق قال: خرج عمر ذات يوم وعليه حلة قطن، فنظر إليه الناس نظرا شديدا فقال: " لاشيء مما يرى تبقى بشاشته إلا الإله ويودي المال والولد ، وما الدنيا في الآخرة إلا كنجحة أرنب ". وكنجحة أرنب أي: كوثبته من =

﴿إِنَّ هَذَا لِفَيْ الْصُّحْفِ الْأَوَّلِ ﴾١٨﴿ مُحَمَّدٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾١٩﴾

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفَلَّ﴾ إلى ﴿وَأَبَقَ﴾ يعني: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل: إن ما في السورة كلها.

روي عن أبي ذر رض: أنه سأله رسول الله صل: كم أنزل الله من كتاب؟ فقال: "مائة وأربعة كتب؛ منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ - هو إدريس - ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان".<sup>(١)</sup>

وقيل: إن في صحف إبراهيم: "ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه".<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

= مجده، يريد تقليل مدتها، يقال: نفح الأرنب: إذا ثار، وأنفجها الصائد: أثارها من مجده.  
ينظر: لسان العرب (نفح).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٦١) في حديث طويل عن أبي ذر رض، واستناده ضعيف؛ فيه

إبراهيم بن هشام بن يحيى العماني، وهو كذاب كما في الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازى (١٤٢/٢).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٤١)، والمزي في تهذيب الكمال (٦/٢٤١).

## تفسير سورة الفاشية [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٣٨) ب

﴿هَلْ أَتَكُمْ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾١﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ خَلِيلَةٌ ﴾٢﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾٣﴿ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةٌ ﴾٤﴾

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ الداهية التي تخشى الناس بشدائدها، وتلبسهم أهواها، يعني: القيامة، من قوله: «يَوْمَ يَعْشَشُهُمُ الْعَذَابُ»<sup>(١)</sup> وقيل: النار، من قوله: «وَتَقْشَنَ وُجُوهُهُمُ النَّارَ»<sup>(٢)</sup> «وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاثِشُ»<sup>(٣)</sup>. «يَوْمَئِذٍ» يوم إذ غشيت. «خَلِيلَةٌ»: ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تعمل في النار عملاً تتعب فيه، وهو جرها السلاسل والأغلال، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاها دائبة في صعود من نار وعبوطها في حدود منها. وقيل: عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله: «وَقَدْ مَنَّا لَكُمْ مَا عَيْلَوْمِنْ عَمَلِ»<sup>(٤)</sup> «وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَخْسِبُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِيَمِنَ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ، فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ»<sup>(٥)</sup> وقيل: هم أصحاب الصوامع. ومعناه: أنها خشت لله، وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب، والتهجد الواصب. وقرئ: عاملة ناصبة<sup>(٦)</sup> على الشتم. وقرئ: «تَصْلَى» - بفتح التاء، وـ«تُصْلَى» بضمها - وتصلى بالتشديد<sup>(٧)</sup>. وقيل:

(١) سورة العنكبوت، الآية (٥٥).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٥٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٤١).

(٤) سورة الفرقان، الآية (٤٣).

(٥) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

(٦) قرأها ابن حميسن وعيسى بن عمر وحيد وابن كثير في رواية عنه. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٢/٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥١٢/٦)، فتح القدير للشوكتاني (٤٢٨/٥ - ٤٢٩)، الكشاف للزمخري (٧٤٢/٤)، الحتسبي لابن جني (٣٥٦/٢)، مفاتيح الغيب للرازي (١٥١/٣١).

(٧) قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية شعبة عنه ويعقوب "تَصْلَى" وقرأ أبو رجاء "تُصْلَى" ، وقرأ الباقيون "تَصْلَى". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٦٢/٨)، تفسير القرطبي (٢٨/٢٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٩)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥١٢/٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، الكشاف للزمخري (٧٤٢/٤)، النشر لابن الجوزي (٤٠٠/٢).

المصلى عند العرب: أن يخفروا حفيرا، فيجمعوا فيه جمرا كثيرا، ثم يعمدوه إلى شاة، فيدسوها في وسطه، فاما ما شوي فوق الجمر، أو على المقلن، أو في التنور فلا يسمى مصليا.

﴿شَقَىٰ مِنْ عَيْنَ مَارِبَةِ ⑤ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ⑥ لَا يُسِّينُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦ وُجُوهٌ<sup>(١)</sup>  
يُوَمِّلُ نَاعِمَةً ⑧ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً ⑨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغْيَةً ⑪ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ فِيهَا  
شَرُورٌ مَرْفُوعَةٌ ⑬ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑭ وَغَارِقٌ مَصْفُونَةٌ ⑮﴾

﴿إِيَّاهُ﴾ متناهية في الحر؛ كقوله: ﴿وَيَنْ حَمِيمٌ مَانٌ﴾<sup>(١)</sup>

الضرير: ييس الشرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا، فإذا يبس تحامته، وهو سم قاتل. فإن قلت: كيف قيل: ﴿لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾. وفي الحالة: ﴿إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>؟

قلت: العذاب ألوان ، والمعدبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين،  
ومنهم أكلة الضرير ﴿لِكُلِّ بَأْبِ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿لَا يُسِّينُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ مرفوع الحال أو مجروره على وصف طعام أو ضرير يعني: أن طعامهم من شيء وليس من مطاعم الإنسان، وإنما هو شوك، والشوك مما ترعاه الإبل، وتتولع به. قلت: كونه وصفا للطعام لا يصح؛ إذ يصير المعنى: ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا الضرير، ومفهومه: أن لهم طعاما غيره والغذاء فيه منفعتان: إدھاب الجوع، وإمداد القوى. أو يراد: لا طعام لهم أصلا؛ لأن الضرير ليس بطعم للبهائم، فضلا عن الإنسان، كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس يريده: نفي الظل. وقيل: قالت كفار قريش: إن الضرير لتسمن عليه إبلنا، فنزلت<sup>(٤)</sup>.

﴿نَاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة وحسن؛ كقوله: ﴿تَغْرِي فِي وُجُوهِهِمْ نَصْرَةَ الْغَيْرِ﴾<sup>(٥)</sup> (١/٢٣٩)

(١) سورة الرحمن، الآية (٤٤).

(٢) الآية (٤٦).

(٣) سورة الحجر، الآية (٤٤).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٤٣).

(٥) سورة المطففين، الآية (٢٤).

﴿لِسَعْيَهَا رَاضِيَةً﴾ رضيت بعملها لما رأت ما أداها إليه من الكراهة والثواب. ﴿عَالِيَّةً﴾ من علو المكان أو المقدار. ﴿لَا سَمِعُ﴾ يا مخاطب، أو الوجه. ﴿لِفَيَّةً﴾ لغواً مصدر على فاعلة كالعقوبة. ﴿فِيهَا عِينٌ جَارِيَّةٌ﴾ ي يريد: عيونا في غاية الكثرة؛ كقوله: ﴿عَيْمَتْ نَفْسٌ﴾<sup>(١)</sup> ﴿مَرْفُوعَةً﴾ من رفعة المقدار أو المكان أو السمك ليرى المؤمن عند جلوسه عليها جميع ما خوله الله من النعم. وقيل: مرفوعة مخبوعة لهم من رفع الشيء؛ إذا خباء ﴿تَوْضُوَّةً﴾؛ كلما أرادوها وجدوها عتيدة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يستدعوها، أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب. ويريد: أنها موضوعة عن حد الكبر إلى حد التوسط. ومساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة<sup>(٢)</sup>، واستند إلى أخرى.

﴿وَرَزَقَنِي مَبْتُوْثَةً﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ حُلِقَتْ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَإِلَى الْمَلَائِكَةِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾<sup>(٥)</sup>  
 ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾<sup>(٦)</sup> ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿فَذَكَرَ إِنَّمَا أَنَّ مَذْكُورَ﴾<sup>(٨)</sup> لَسَّتَ  
 عَلَيْهِمْ يُمْصَيْطِرَ<sup>(٩)</sup> ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿فَعَذَّبَهُ اللَّهُ الْعَذَابُ أَلَّا كَبَرَ﴾<sup>(١١)</sup> ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِلَيْهِمْ

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾<sup>(١٢)</sup>

﴿وَرَزَقَنِي﴾ بسط عراض فاخرة. وقيل: هي الطنافس<sup>(١٣)</sup> التي لها حمل رقيق جمع زربية. ﴿مَبْتُوْثَةً﴾ مبوسطة، أو مفرقة في المجالس. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ﴾ نظر اعتبار. ﴿كَيْفَ حُلِقَتْ﴾ على أكمل الأحوال التي يتتفع بها فيها، حيث تنهض بالحمل الثقيل من البروك إلى القيام. ﴿وَإِلَى الْمَلَائِكَةِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ وما فيها من البروج والمنازل ودورانها في الفلك. ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وأرست الأرض بها ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ فصارت مهادا للخلق. ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّ﴾ استثناء منقطع.

وأن إياهم ليس إلا إلى الجبار، ولا حسابهم إلا عليه.

\* \* \*

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) المسورة: متكونا من أدم وجمعها المساور. ينظر: لسان العرب (سور).

(٣) الطنفسة والطنفسة بضم الفاء الأخيرة: النمرة فوق الرحل، وجمعها طنافس. وقيل: هي البساط الذي له

حمل رقيق. ينظر: لسان العرب (طنفس).

## تفسير سورة الفجر [مكة]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿وَالْفَجْرِ ﴾ وَلِيَالٍ عَشْرِ ﴿٢﴾ وَالشُّفْعِ وَالوَتْرِ ﴿٣﴾ وَأَتَيْلِ إِذَا يَسَرَّ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾**

أقسم بالفجر كأقسامه بالصبح إذا أسف، وقيل: بصلة الفجر، وأراد بالعشر: عشر ذي الحجة. فإن قلت: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به؟ قلت: لأنها ليالي مخصوصة من بين جنس الليالي، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإن قلت: هل عرفت بلام العهد؛ لأنها ليالي معلومة معهودة؟ قلت: لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التسنيك؛ لأن الأحسن في الآيات أن تكون متاجنة لثلا يقى الكلام كاللغز، وبالشفع والوتر: إما الأشياء كلها شفعها ووترها وإما شفع هذه الليالي ووترها، وقد أثثروا في الشفع والوتر. حتى كادوا يستوعبون جميع ما يقع عليه شفع ووتر (٣٩/ب).

وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم. **﴿إِذَا يَسَرَّ ﴾** إذا يمضي وباء **﴿يَسَرٍ﴾** تسقط في الدرج، اكتفاء عنها بالكسرة، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة. وقيل: معنى يسري: يُسْرَى فيه. **﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾** الذي ذكرته من الآيات محل قسم لذى عقل.

**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾** **﴿إِنَّمَا دَاتَ الْعَمَادِ ﴾** **﴾٧﴾**

والقسم عليه مذوف وهو: ليغذبن، يدل عليه قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾** إلى قوله: **﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾**.

قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد. كما يقال لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى. وإن تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم عاد الأخير، فإرم في قوله: **﴿بِعَادٍ ﴾** **﴿إِنَّمَا﴾** عطف بيان لعاد. وإيدان بأنهم عاد الأولى القدية.

وقيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها، ويدل عليه قراءة ابن الزبيري: "بعاد إرم" على الإضافة، وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله: **﴿وَسَعَلَ الْقَرِيَةَ﴾**<sup>(١)</sup> ولم ينصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعریف والتائیث. وقرأ الحسن: "بعاد إرم" مفتوحتين، وقرئ: "بعاد إرم"

(١) سورة يوسف، الآية (٨٢).

بسكون الراء على التحقيق، كما قرئ **بُوْرِقْكُمْ**<sup>(١)</sup>. وقرئ: "بعاد إرم ذات العماد"<sup>(٢)</sup> على الإضافة إلى **ذاتَ الْعِمَادَ**<sup>(٣)</sup> أي: جعل الله ذات العماد رميما، بدلا من " فعل ربك " ذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة، فالمعنى أنهم كانوا بدوين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدوتهم بالأعمدة، ذات البناء الرفيع، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطير.

وروي أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد، فملكا وقهرها، ثم مات شديد، وخلص الأمر لشداد، فملك الدنيا، ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبني مثلها. فبني إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثة سنتين، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها<sup>(٤)</sup> من الزيرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء، فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة: " أنه خرج في طلب إيل له، فوقع عليها فحمل منها ما قدر عليه، فبلغ خبره معاوية فاستحضره، فقص عليه وبعث إلى كعب فسألة، فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير، على حاجبيه خال<sup>(٥)</sup>، وعلى عقبه خال يخرج في (٣٤٠ / ١) طلب إيل له، ثم التفت فأبصر ابن قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل<sup>(٦)</sup>.

**﴿أَلَّى لَمْ يَخْلُقْ مِنْهَا فِي الْلَّيْلَدِ ﴿٨﴾ وَتَمُودُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَقَرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ أَلَّذِينَ طَعَوْا فِي الْلَّيْلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطًا عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ**

(١) سورة الكهف، الآية (١٩) وقرأ بها أبو عمرو وجمزة وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون **بُورِقْكُمْ** . تنظر في: الدر المصنون للسمين الحلبي (٤٤٣ / ٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٨٩).

(٢) قرأ الحسن وأبو العالية " بعاد إرم " على الإضافة وفتح الراء، وقرأ معاذ القارئ " بعاد إرم " بالإضافة وسكون الراء، وقرأ جمهور القراء " بعاد إرم ". تنظر في: البحر الحيط لأبي حيان (٤٦٩ / ٨)، تفسير القرطي (٤٤ / ٢٠)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦ / ٥١٨) فتح القدير للشوكتاني (٤٣٤ / ٥)، الكشاف للزمخشري (٧٤٧ / ٤).

(٣) أساطين: جمع أسطوانة، وهي السارية، وعمود المنزل. ينظر: لسان العرب (سلطان).

(٤) الحال: شامة سوداء في البدن. وقيل: نكتة سوداء فيه والجمع خيلان. ينظر: لسان العرب (خول).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٧٤٨ / ٤).

**لِيَالِيَّ الْمُرْصَادِ** ﴿١﴾ فَأَمَّا إِلَيْنَا إِذَا مَا أَبْتَلَهُ رُثْبَهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّنَا أَكْرَمَنَا ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّنَا أَهْتَنَ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا شُكْرُونَ أَتَيْسِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا مُخْتَصُوتَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَنَأْكُلُونَ الْتِرَاثَ أَكَلَ لَمَّا ﴿١٩﴾ وَنَجْبُونَ الْمَالَ حَاجَ جَمَّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا ذَكَرَ الْأَرْضَ دَكَّا دَكَّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا ﴿٢٢﴾ وَجَاءَهُ يَوْمَئِمَ بِحَهْشَهَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكِرُ إِلَيْنَا وَأَنَّ لَهُ الْذِكْرَ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِيَابَانِي ﴿٢٤﴾

﴿يَمْلُهُمَا﴾ مثل عاد **«في المِلَكِ»** عظم إجرام وقوه، وكان طول الرجل منهم أربعينات ذراع، وكان يأتي الصخرة العظيمة، فيقلبها على الحبي في هلكهم، أو لم يخلق مثل مدينة شداد في بلاد الدنيا. **﴿جَابُوا﴾**: قطعوا، نحتوا الجبال، واتخذوا فيها بيوتا.

وقيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة. وقيل لفرعون: **﴿وَيَأْوَانَا﴾**؛ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد، كما فعل بعاصطة بنته وباسية.

**﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾** في محل نصب على الذم، أو مرفوعا على هم الذين طغوا، أو مجروراً رداً على قوله بعد وثמוד وفرعون، وذكر السوط ليدل على أن ما يعذب به في الدنيا نسبته إلى عذاب الآخرة كنسبة السوط إلى آلات العقوبة.

وكان الحسن إذا قرأها يقول: إن عند الله أسواطاً كثيرة فأخذهم بسوط منها <sup>(١)</sup>.

المرصاد: المكان الذي يترقب فيه من يمر أو يأتي، وقيل لبعض العرب: أين ربك؟ قال: بالمرصاد. وقرأ عمر بن هبيرة هذه السورة على أبي جعفر المنصور، فلما وصل إلى هنا قال: إن ربك بالمرصاد يا أبا جعفر. يعني: إنك من قوم يندرؤن بذلك.

قوله: **﴿فَأَمَّا إِلَيْنَا إِذَا مَتَّصِلُ بِقُولِهِ﴾** فاما الإنسان فلا يهمه إلا العاجلة، وجعل كثرة الرزق ابتلاءً وكذلك جعل ضيقه وتقديره ابتلاءً؛ لأن الله تعالى يتلقي العبد بالنعمه ليظهر كيف يشكّره عليه، ويتلّيه بالشدة؛ ليظهر صبره عليها.

**﴿جَمَّا﴾** كثيراً شديداً. **﴿دَكَّا﴾** بعد ذلك. قوله: **﴿وَجَاءَ رَبِّكَ﴾** أي: جاء سلطانه، ونفوذه **﴿أَحْكَامَهُ وَأَوْامِرِهِ﴾** **﴿صَفَّا صَفَّا﴾** تنزل ملائكة كل سماء، فيصطفون صفا بعد صفا.

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٤٨).

(٢) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات =

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام. أي: يتذكر ما فرط فيه الإنسان.  
قيل: المراد به أبي بن خلف.

﴿فَوَمَيْذَلَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٩) ﴿وَلَا يُؤْتَنُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ (٣٠) **﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطَمَّنَةُ** (٣١) **﴿أَرْجِعِي إِلَى رِبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً** (٣٢) **﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾** (٣٣) **﴿وَادْخُلِي حَنَّيَ﴾** (٣٤)﴾

﴿لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ أي: لا يعذب كعذاب الله أحد.

﴿وَلَا يُؤْتَنُ﴾ مثل وثاقه أحد. وقيل: لا يحمل أحد عن أحد عذابا، ولا تزر وزرة وزر أخرى. **﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطَمَّنَةُ** (٣١) إما أن يكلمها الله؛ إكراما لها (٣٤٠ / ب) أو على لسان ملك. و**﴿الْمُطَمَّنَةُ﴾** التي لا يستقر لها خوف، والمطمئنة إلى الحق المعتقد له. قيل: يقال لها ذلك عند الموت. وقيل: وقت البعث. وقيل: عند دخول الجنة.

﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت. **﴿مَرْضِيَةً﴾** عند الله. **﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾** (٣٢) أي: انتظمي في سلك عبادي الصالحين. **﴿وَادْخُلِي حَنَّيَ﴾** معهم. وقيل: النفس: الروح. ومعناه ادخلي في أجسام عبادي. قيل: الخطاب بـ **﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ﴾** لحمزة بن عبد المطلب (١). وقيل: خبيب الذي صلبه المشركون (٢).

\* \* \*

= الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَكْبَرٌ﴾**.

(١) نسبة السيوطي في الدر المشور (٥١٤ / ٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن بريدة حَلَّيَتْ.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٧٥٣ / ٤).

تفسير سورة البلد [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدَةِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلْدَةِ ﴿٢﴾ وَوَالْبَرِّ وَمَا لَدَكَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْسَنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْخَسَبَ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لَبِدًا ﴿٦﴾ أَيْخَسَبَ أَنْ لَمْ يَرِهِ أَحَدٌ ﴿٧﴾ الْمَرْجَعُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَقَتِينَ ﴿٩﴾ وَهَدَيْتَهُ النَّاجِدِينَ ﴿١٠﴾﴾

أقسم سبحانه - بالبلد الحرام، وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق، واعتراض بين القسم والمقسم عليه بقوله: «وَأَنْتَ حِلٌّ لِبَهْذَا الْبَلَدِ» يعني: ومن المكابدة: أن مثلك على عظيم حُرْمَتْكَ تُسْتَحْلِ بِهَذَا الْبَلَدِ الحرام، كما يستحل الصيد في غير الحرم والإحرام، ويستحلون إخراجك وقتلك.

وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من الكفار، أو: سلاة بالقسم بيده أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائيد. واعتراض بأن وعده فتح مكة تeminما لللتسلية قوله: «وَأَنَّ حِلًّا هَذَا الْيَوْمُ» يعني: في المستقبل؛ وذلك لأن الله لما فتح عليه مكة أحلها له يفعل فيها ما شاء، فقتل ابن خطل، وقيس بن صبابة، وحرم دار أبي سفيان، وقال: "إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، لا يختلي خلامها، ولا يعهد شجرها". فقال العباس: يا رسول الله: إلا الإذخر؛ فإنه لقيوننا<sup>(١)</sup> وقبورنا وبيوتنا، فقال عليه السلام: "إلا الإذخر"<sup>(٢)</sup> والsurة مكية: فأين فتح مكة منها؟<sup>(٣)</sup>

﴿وَالِّي﴾ هو رسول الله: ﴿وَمَا لَدَ﴾ ذريته، وتنكير ﴿وَالِّي وَلَدَ﴾ للتفخيم.

وقوله: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ سأي: هو مولود عظيم الشأن؛ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: بأى شيء وضعت. وقيل: هما لآدم وولده. وقيل: ووالد وولد.

(١) القوئن: جمع قبن وهو الحداد والصائغ . ينظر : النهاية في غريب الأثر (٤/١٣٥).

(٢) رواه البخاري، رقم (١٥٨٧)، رواه مسلم رقم (٤٤٥)، والترمذى رقم (٨٠٩).

(٣) قال الرمخشري في الكشاف (٧٥٤ / ٤) نحو هذا الكلام، وقال: ومثله واسع في كلام العباد، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقلة عنده كالحاضرة المشاهدة.

(٤) سودة آل عمران، الآية (٣٦).

كبد الرجل كبدا: إذا وضع كبده، قال لبيد [من المنسرح]:

يَا عَيْنَ هَلَا بَكِيْتَ أَرِيدَ إِذْ فُمْنَا وَقَامَ الْخَصْوُمُ فِي كَبْدٍ<sup>(١)</sup>

أيحسب أن لا بعث، ولا مجازاة، فيسلم من العقاب في ظنه.

﴿مَا لَأَبْدَأَ﴾ يفتخر (٣٤١/أ) بكثرة ما أنفق في الأمور التي كان يعدها أهل الجاهلية مكارم. ﴿وَهَدَيْتَهُ التَّجَدِيْنَ﴾ أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الثديين.

﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾<sup>(١)</sup> وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعَقَبَةُ<sup>(١١)</sup> فَكُرْبَةٌ<sup>(١٢)</sup> أَوْ إِطْعَنَةٌ فِي يَوْمَ ذِي مَسْغَبَةٍ<sup>(١٤)</sup> يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ<sup>(١٥)</sup> أَوْ مُسْكِنًا ذَا مَتْرَبَةٍ<sup>(١٦)</sup> شَرَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ<sup>(١٧)</sup> أُولَئِكَ أَصْحَبُ الْمَيْتَةَ<sup>(١٨)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا لَهُمْ أَصْحَبُ الْمَشَمَةَ<sup>(١٩)</sup> عَنْهُمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ<sup>(٢٠)</sup>

﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾ أي: فلم يشكر تلك النعم، والمعنى: أن إطعام اليتيم والمسkin، أو فك رقبة من الأسر أو الملك بالعتق، ووقدت "لا" غير مكررة مع الفعل الماضي، وليس بدعاً، وذلك لا يقع إلا قليلاً.

ووجهه أنها متكررة في المعنى والتقدير: فلا اقتحم العقبة، ولا أطعم مسكيينا، ولا فك رقبة، ألا ترى المعنى: فلا اقتحم العقبة، ولا آمن. والاقتحام: الدخول في الشيء بعنف. قال الحسن: عقبة والله شديدة؛ مجاهدة الإنسان نفسه وشيطانه وهواء وعدوه<sup>(٢)</sup>.

وروي: أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ دلني على عمل يدخلني الجنة قال: "تعنق النسمة وتفك الرقبة. قال أليس سوء؟ قال: لا، إعترافها: أن تنفرد بعنتها، وفكها: أن تعين في تخلصها من قود أو غرم."<sup>(٣)</sup>

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَنَكَ مَا الْعَقَبَةَ﴾ اعتراف. ومعناه: لم تذر كنه صعوبتها على النفس، وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة والمقربة والمتربة: مفعولات من سغب وقرب وتراب.

وترب الرجل: إذا افترق، كأنه لصق بالتراب من العدم. ﴿ذَا مَتْرَبَةً﴾ مأواه المزابل، وأتى

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط (٤/٤٧٣)، الدر المثور للسيوطى (٨/٥٢٠)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٥٢٥)، الكشف للزمخشري (٤/٧٠٤)، لسان العرب (عدل).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٥٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/٢٩٩)، وابن حبان رقم (٣٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢١٧/٢).

بلغة **﴿ثُمَّ﴾** لتبيّن فضيلة الإيمان على كل هذه الأفعال كأنه لا يصح شيء من الأعمال إلا به.

والمرحمة: الرحمة. أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات، أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يتلى بها المؤمن، وبأن يكونوا مترافقين متعاطفين، أو بها يؤدي إلى رحمة الله.

الميمنة والشأمة: اليمين والشمال، أو اليمين والشئم، أي: الميمين على أنفسهم، والمشائم عليهم. قرئ: "موصدة" <sup>(١)</sup> – بالواو والهمزة – من أوصدت الباب، وأصدرته إذا أطبقته وأغلقته . وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهمز **﴿مُؤْصَدَة﴾** فأشتاهي أن أسد سمعي إذا سمعته <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية شعبة عنه والكسائي وأبو جعفر. وقرأ أبو عمرو وجزة وحفص عن عاصم ويعقوب وخلف "مؤصدة". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٤٧٧/٨)، تفسير القرطبي (٧٢/٢٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٧٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٦٦)، الدر المصور للسمين الحلبي (٦/٥٢٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، الكشاف للزمخشري (٤/٧٥٧)، النشر لابن الجوزي (٢/٣٩٠).

(٢) ذكره السمين الحلبي في الدر المصور (٦/٥٣٦ - ٥٣٧)، والزمخشري في الكشاف (٤/٧٥٧).

## تفسير سورة الشمس [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّفَّىٰ وَضَحَّىٰ ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اكْلَمَهَا ﴿٢﴾ وَالنَّارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَأَلَّىٰ إِذَا يَعْشَنَهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءٍ وَمَا  
بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَنَهَا ﴿٦﴾ وَنَفَّىٰ وَمَا سَوَّنَهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا غُبُورًا وَنَقْوَنَهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ  
زَكَّنَهَا ﴿٩﴾﴾

﴿وَضَحَّىٰ﴾ ضوءها إذا أشرقت وقام سلطانها، ولذلك قيل: وقت الضحى، وكأن وجهه شمس الضحى. وقيل: وقت الضحوة: ارتفاع النهار. (٣٤١/ ب) والضحى فوق ذلك. والضحى - بالفتح والمد - : إذا امتد النهار. ﴿إِذَا أَكَلَهَا﴾ طالعا عند غروبها، آخذًا من نورها، وذلك في النصف الأول من الشهر. وقيل: إذا استدار، فتلاها في النور والضياء. ﴿إِذَا جَلَّهَا﴾ وذلك عند ارتفاع النهار. وقيل: الضمير للدنيا أو للظلمة أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر. تقول العرب: أصبحت باردة، يريدون الغداة، وأرسلت: يريدون السماء. ﴿إِذَا يَعْشَنَهَا﴾ فتغيب وتظلم. فإن جعلت الواو عاطفة فقد وقعت في العطف على عاملين، وإن جعلتها أقساما وقعت فيما أنكره الخليل وسيبوه<sup>(١)</sup>; لأن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا، ولا يكون من العطف على عاملين فكانت الواو قائمة مقام الفعل، والباء سادة مسدهما معا، والواو العواطف نائبة عن هذه الواو، فحقهن أن يكن عوامل عمل الفعل والجار جيئا؛ كما تقول: ضرب زيد عمراً وبكرًا خالداً، فترفع بالواو، وتنصب؛ لقيامها مقام ضرب، الذي هو عاملها<sup>(٢)</sup>. جعلت "ما" مصدرية في قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾، ﴿وَمَا طَحَنَهَا﴾، ﴿وَمَا سَوَّنَهَا﴾ وليس بالوجه؛ لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ وما يؤدي إليه من فساد النظم. والوجه أن تكون موصولة، وإنما أثرت على ﴿مَن﴾؛ لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها، والحكيم الباهر الحكمة الذي سوهاها، ونُكِرَت النفس إما لأنه أراد بها نفسها بعينها، وهي نفس آدم، أو أراد كل نفس، ونُكِرَ للتکثیر؛ كقوله:

(١) ينظر: الكتاب لسيبوه (٣١/ ١).

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٨ - ٧٥٩)، واعتراضه أبو حيان في البحر المحيط في بعض ما ذهب إليه، ورد السمين الحلبي بعض ما اعتراضه شيخه أبو حيان على الزمخشري. ينظر تفصيل ذلك في: البحر المحيط (٨/ ٤٨٠)، الدر المصنون (٦/ ٥٢٩ - ٥٣٠).

﴿عَلِمْتَ قَسْنٌ﴾<sup>(١)</sup> ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما واعتقادهما.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ كَذَبَتْ ثَمُودٌ بِطَغْوَنَهَا ﴿١١﴾ إِذْ أَبْعَثْتَ أَشْقَنَهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةً لَّهُ وَسُقِينَهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبِّهِمْ بِذَنِبِهِمْ فَسَوَّنَهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عَقْبَهَا ﴿١٥﴾﴾

وأصل «دَسَّهَا» دسّها، كما قيل في تقصص: تقصي. وجواب القسم محدوف أي: ليدمدوّن الله عليهم، ودل عليه قوله: «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ». الباء في «بِطَغْوَنَهَا» للاستعانة، نحو: كتب بالقلم. وقيل: كذبوا تعذيبهم بالطاغية فعنّدوا بها «فَأَتَأْثُرُوا فَأُهْلِكُوا بِالظَّاغِنَةِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «إِذْ أَبْعَثْتَ» منصوب بالتكذيب، أو بالطغوی [و«أَشْقَنَهَا» قدار بن سالف، ويجوز أن يكونوا جماعة، والتوكيد لتسويتك]<sup>(٣)</sup> بين الواحد والجمع والمؤنث والمذكر؛ لأن من تولى العقر بنفسه كانت شقاوته أتم.

و«نَاقَةً لَّهُ» منصوب على التحذير؛ كقولك: الأسد الأسد. بإضمار: احذروا.

﴿فَكَذَبُوهُ﴾ بما حذرهم منه من العذاب «بِذَنِبِهِمْ» بعصيتهم (١/٣٤٢) «فَسَوَّنَهَا» يعني الدمدمة لم يفلت منها صغير ولا كبير.

﴿وَلَا يَخَافُ عَقْبَهَا﴾ أي: عاقبتها وتبعتها، كما يخاف ذلك العاقب من الملك، فيبقى بعض الإبقاء، ويجوز أن يكون الضمير لشmod، أي: فسوها بالأرض.

\* \* \*

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) سورة الحاقة، الآية (٥).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل والسياق يتطلبه وهو من الكشاف للزمخشري (٤/٧٦٠).

## تفسير سورة الليل [مكة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّلَّهُ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا بَعْلَى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرُ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَفَقٌ ﴿٤﴾ فَمَآ مَنْ أَعْطَى  
 وَلَنَفَقَ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسْنَى ﴿٦﴾ فَسَتَيْرٌ مُّؤْمِنٌ لِّلْيَسَرِي ﴿٧﴾ وَأَنَا مَنْ يَجْعَلُ وَأَسْتَغْفِرُ ﴿٨﴾ وَكَذَبَ بِالْمُحْسِنِي  
 فَسَتَيْرٌ مُّؤْمِنٌ لِّلْعَسْرَى ﴿٩﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١٠﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدَىٰ ﴿١١﴾ وَلَنَّ لَنَا لِلآخرةِ وَالْأُولَى ﴿١٢﴾  
 فَانذَرْنَاهُمْ كُمَّا نَارًا تَلَظُّى ﴿١٣﴾ لَا يَصْلَهُمَا إِلَّا أَشْقَى ﴿١٤﴾ الَّذِي كَذَبَ وَنَوَىٰ ﴿١٥﴾ وَسِيَجِنْهُمَا الْأَنْقَى ﴿١٦﴾ الَّذِي  
 يُؤْقِنُ مَالَهُ بِرَزْنَىٰ ﴿١٧﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْهُ مِنْ يَعْصِيَ تُجْزَىٰ ﴿١٨﴾ إِلَّا آثِيَاهُ وَجْهَ رَبِّهِ أَعْلَىٰ ﴿١٩﴾ وَسَوْفَ يَرَضِىٰ ﴿٢٠﴾

المغشى إما الشمس، من قوله: **﴿وَالَّلَّهُ إِذَا يَغْشَى هُنَّا﴾**<sup>(١)</sup> أو النهار من قوله: **﴿يَعْشِي الَّلَّهُرَاء﴾**<sup>(٢)</sup> **﴿بَعْلَى﴾** ظهر بزوالي ظلمة الليل، أو تبيين وانكشف بطلوع الشمس.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأئمّة من ماء واحد. وقيل: هما آدم وحواء. وقيل: إن الله لم يخلق نوعاً ثالثاً غير الذكر والأئمّة. والخشى وإن أشكل حاله فهو عند الله معلوم، ولو حلف أنه ما رأى ذكراً ولا إماماً، وكان قد رأى خشى حتى؛ لأنّه لم يتتجاوز النوعين. **﴿لَشَفَقٌ﴾** جمع شتىّت، أي: مساعدكم أشتات مختلفة، وبيان تفصيلها ما ذكر عقبها. **﴿فَمَآ مَنْ أَعْلَى﴾** أعطى حقوق ماله **﴿وَلَنَفَقَ﴾** الله في ترك العصيان. **﴿فَسَتَيْرٌ﴾** لطريق اليسر، وهي الطريق التي هي أيسّر وأسهّل؛ كقوله: **﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يُشَحِّ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَمِ﴾**<sup>(٣)</sup> **﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾** وزهد فيما عند الله، كأنه مستغن عنّه، فلم يتقدّم، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة؛ لأنّه في مقابلة **﴿وَلَنَفَقَ﴾** **﴿فَسَتَيْرٌ مُّؤْمِنٌ لِّلْعَسْرَى وَمَا يَعْنِي** **عَنْهُ﴾** يجوز أن تكون نافية، ويجوز أن تكون استفهاماً بمعنى الإنكار. **﴿تَرَدَّى﴾** هلك، وأصله: السقوط من جبل، أو موضع عال. أو تردى في اللحد: إذا قبر، أو تردى في قعر جهنم. **﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدَىٰ﴾** بيان طريق الحق **﴿وَلَنَّ لَنَا لِلآخرةِ وَالْأُولَى﴾** فمعطى منهما من نشاء ما نشاء.

فإن قلت: لا يصلّها إلا الأشقي ويسجنّها الإمام و قد علم أن كل شقي يصلّها، وكل تقى يحبّها، لا يختص بالصلّى أشقي الإمام ولا بالنجاة الإمام، فقد علم أن أفسق

(١) سورة الشمس، الآية (٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٢٥).

ال المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقي منهم خاصة !

قلت: الآية واردة في صفة الشخصين؛ أحدهما أشقي، والآخر في مقابلته أتقى، وقد علم منزل الشقي والتقي.

﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَمَهْرَبِهِ الْأَعْلَى﴾ مفعول من أجله ﴿الْأَعْلَى﴾ مستثنى من غير جنسه، وهو المنعم، أي: ما لأحد عنده من نعمة، كقولك: ما في الدار أحد (٣٤٢ / ب) إلا فرساً ويجوز أن يكون ﴿ابنَاءَ وَجْهِهِ﴾ مفعولاً له على المعنى؛ لأن المعنى: لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه.

\* \* \*

## تفسير سورة الضحى [ مكية ]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿وَالضَّحَىٰ ۚ وَاللَّيلُ إِذَا سَجَىٰ ۚ ﴾** ① **﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَىٰ ۚ ﴾** ② **﴿وَلَآخِرَةٌ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۚ ﴾** ③  
**﴿وَلَسَوْفَ يُعَطِّيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۚ ﴾** ④ **﴿إِنَّمَا يَحِدُّكَ بِتِسْمَافَائِوَىٰ ۚ ﴾** ⑤

المراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وتلقى شعاعها.  
وقيل: إنما خص وقت الضحى؛ لأن الوقت الذي كلام الله فيه موسى، وألقى فيه السحرة سجداً لقوله: **﴿وَأَنْ يُحْشِرَ النَّاسُ ضَحَىٰ﴾** <sup>(١)</sup>.

وقيل: الضحى: النهار كله؛ لقوله - تعالى - **﴿أَنَّا مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ أَنْ يَأْتِيهِمْ بِأَشْتَابِيَّتَاهُمْ تَأْمِونُ﴾** <sup>(٢)</sup> وقال في مقابلته: **﴿ضَحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾** <sup>(٣)</sup>.

**﴿سَجَىٰ﴾** سكن، وركد ظلامه. ويقال: ليلة ساجية ليس فيها برد ولا حر، فهي ساكنة الريح. **﴿مَا وَدَعَكَ﴾** ما قطعك قطع الموعد.

قيل: الوحي انقطع عن رسول الله ﷺ أياماً، فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلبه، فنزلت <sup>(٤)</sup>. وقيل: إن أم جحيل امرأة أبي هب قالت للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزلت <sup>(٥)</sup>. حذف الضمير من **﴿فَلَىٰ﴾** ما حذف في قوله: **﴿وَالَّذِكَرِيَّتِ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِكَرَاتِ﴾** <sup>(٦)</sup> أصله: والذاكرته.

**﴿فَفَأَوَىٰ فَهَدَىٰ فَأَغْنَىٰ﴾**: اختصار لفظي؛ لأن الضمير مراد، والتقدير لفظي؛ لظهور المذوق. فإن قلت: كيف اتصل قوله: **﴿وَلَآخِرَةٌ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾** بما قبله؟ قلت: لما كان في ضمن نفي التوديع أنك عند الله بالمكان الرفيع، وأنه موافقك بالوحي إليك وأنك حبيب

(١) سورة طه، الآية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٩٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٨).

(٤) رواه الترمذى رقم (٣٣٤٥) وقال: حسن صحيح.

(٥) رواه البخارى رقم (٤٩٥٢، ٢٨٠٢)، ومسلم رقم (١٧٩٦).

(٦) سورة الأحزاب ، الآية (٣٥).

الله، والمصطفى من العالم كله، ولا منزلة أعلى من ذلك، أعلمه أن منزلته في الآخرة أعظم.  
 ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ألم يعلمك، متعديا إلى مفعولين، والمعنى: ألم تكن يتيمما؛ فإن النبي ﷺ توفي أبوه وهو جنين قد مضى عليه ستة أشهر، وماتت أمه وهو ابن ثمانين سنين، فكفله عمه أبو طالب، ومن بدع التفاسير: أنه من قوله: درة يتيمة. وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير، فآواك، أي: فضلك إلى عمق أبي طالب<sup>(١)</sup>.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًاً فَهَدَىٰ﴾ <sup>(٧)</sup> ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ <sup>(٨)</sup> فَإِنَّمَا الْيَسِيرَ فَلَا نَفَرَهُ <sup>(٩)</sup> وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا  
نَهَرَ <sup>(١٠)</sup> وَأَمَّا يَنْعَمُ بِرِّيكَ فَحَدَّثَ <sup>(١١)</sup>

﴿ضَالًاً﴾ أي غير عالم بالشرياع فهداك للعلم بها. وقيل: ضل في صباح ببعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب. وقيل: أضلته حليمة حين فطمته، وجاءت به لترده على عبد المطلب، فأضلته عند باب مكة. وقيل: ضل في طريق الشام حين خرج مع عمه أبي طالب، فهداك: فعرفك القرآن والشرياع. ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة. فإن أراد (٤٣/٣) بذلك خلو قومه عن معرفة الشرياع فصحيح، وإن أراد أنه على دينهم وكفرهم فمعاذ الله. وهذا كفر يقتل قائله بالسيف، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الصغار، فكيف من الكبائر؟! ﴿عَابِلًا﴾ فقيرا، فأغناك بمال خديجة، وبما أفاء الله عليك من الغنائم. عنه عليه السلام أنه قال: "جعل رزقي تحت ظل رحمي".<sup>(٢)</sup>

وقيل: قنعتك، وأغنى قلبك. ﴿فَلَا نَفَرَهُ﴾ فلا تغلبه على ماله؛ لضعفه.

﴿السَّائِلُ﴾ ليس هو الطالب المستجدي، بل هو طالب العلم مُتلقى بالرحب. ﴿وَأَمَّا يَنْعَمُ  
بِرِّيكَ فَحَدَّثَ التحدث بنعم الله: شكرها وإذاعتها.

\* \* \*

(١) ذكره الرمخشري في الكشاف (٤/٧٦٨).

(٢) رواه أحد في المسند (٢/٥٠)، وأبو داود رقم (٤٠٣١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

## تفسير سورة آل نصر [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَّا نَشَرِّحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعَنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّتِي أَنْقَضَ ظَهِيرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِرَّكَ ﴿٤﴾﴾

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك، ولذلك عطف عليه «وَوَضَعَنَا» اعتباراً بالوضع، ومعنى شرح الصدر: أنه وسعه لاحتمال الأذى، أو فسحناه بما أوعدناه من العلوم والحكم. والوزر الذي أنقض ظهره حمله على التقىض، وهو صوت الانتفاض والانفكاك لشقيقه، مثلما كان يشقى على رسول الله ﷺ ويغمه من فرطاته قبل النبوة، أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه، ووضعه: أن غفر له ما تقدم، أو علم الشرائع أو مهد له عذرها بعد ما بلغ وبالغ. ورفع ذكره: أن قرن اسمه باسمه في الأذان والإقامة والتشهد والإسلام والخطب. وفي غير موضع من القرآن: «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ»<sup>(١)</sup>. «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٢)</sup> «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ»<sup>(٣)</sup>. وفي تسميته رسول الله، ونبي الله، ومن ذلك: ذكره في كتب الأولين، والأخذ على الأنبياء وأئمهم أن يؤمنوا به.

فإن قلت: أي وجه في زيادة ﴿لَكَ﴾ والمعنى مستقلٌ بدونه؟ قلت: ما في الإبهام والإيضاح كأنه لما قال: «أَلَّا نَشَرِّحَ» سأله سائل فقال: ليس طريقه محل الشرح، فقال ﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ فيبين موضع الانشراح.

﴿فَإِنَّمَا مَعَ الْعُسْرِ مُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا مَعَ الْعُسْرِ مُسْرًا ﴿٦﴾﴾

فإن قلت: كيف يتعلق قوله: «فَإِنَّمَا مَعَ الْعُسْرِ مُسْرًا»؟ قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى فهمه أنهم قد رغبوا عن الإسلام؛ لافتقار أهله واحتقارهم، فذكره نعمته عليه، ثم قال: «فَإِنَّمَا مَعَ الْعُسْرِ مُسْرًا» (٣٤٣/ب) أي: إن مع العسر في

(١) سورة التوبه، الآية (٦٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٢).

الدنيا يسراً في الدنيا ويسراً في الآخرة.

فإن قلت: لفظة " مع " تقتضي المعية، فما معنى قوله ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ سُرْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وكيف يجتمع العسر واليسير ؟ قلت: أراد أن الله تعالى يوسع عليهم بعد مدة قريبة، فالغافل في تقريبها حتى جعلها معية. فإن قلت: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود: " لن يغلب عسر يسرين " . وروي مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: " لن يغلب عسر يسرين " <sup>(١)</sup>: قلت: هذا عمل على الظاهر، وبناءً على قوة الرجاء، وأن وعد الله لا تتحمل إلا على أقصى ما يحتمله اللطف. والقول فيه: أن يحتمل أن تكون الثانية تكريراً للأول كـ **﴿وَتِلْكُلُّ وَهُدُولُ الشَّكَرَيْنَ﴾**<sup>(٢)</sup> مكرراً وأن يكون الأول عدة بـأن العسر مردوف بـيسير لا محالة. والثانية عدة مستأنفة بـأن العسر متبع بـيسير، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان اليسر متكرراً، ولم يكن العسر مكرراً؛ لأن الألف واللام التي في العسر إما أن تكون للعهد، فيكون العسر واحداً، والعسر خلوه عن اللام مكرراً. وإنما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد، فهو هو أيضاً. وأما اليسر فمتكرر متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرر، فقد تناول بعضاً غير البعض الأول بلا إشكال. فإن قلت: ما المراد بـاليسرين ؟ قلت: يجوز أن يراد ما فتح الله لرسوله ﷺ، ولأصحابه من بعده، وما يدّخر لهم في الآخرة. ويجوز أن يكون ما ذكر لهم في الآخرة هو يسر الآخرة، وما فتح عليهم في الدنيا هو يسر الدنيا، فيكونان يسررين، وأن يكون أحد اليسرتين في الدنيا، والآخر في الآخرة، ومعنى التنكير في **﴿يُسْرًا﴾** التغrixim، كأنه قيل: إن مع العسر في الدنيا يسراً عظيماً في الدنيا، ويسراً عظيماً في الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ٧ وَإِلَى رَيْكَ فَارْغَبْ﴾

**﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾** من عبادة ربك **﴿فَأَنْصَبْ﴾** في الدعاء. وقيل: فاجتهد في العبادة. ومن بدع

(١) نسبة الزيلعي في تغريب أحاديث الكشاف (٤/٢٣٥) لعبد الرزاق، وزاد نسبته السيوطي في الدر المثور (٦/٢١٧) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن مسعود، ورواه الإمام مالك في الموطأ رقم (٨٥٤) موقفاً على عمر بن الخطاب رض ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٥٧٥) عن عمر وعلي بن أبي طالب رض وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٤٣٤٢).

(٢) سورة المسالات، الآية (١٥).

التفاصيل: فإذا فرغت من صلاتك فانصب علياً للإمامية<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَرْغَب﴾: فاجعل رغبتك إليه خصوصا دون من سواه، وأخذ هذا الحصر من تقديم المجرور في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ فَأَرْغَب﴾.

\* \* \*

(١) ذكره الرمخشري في الكشاف (٤/٧٧٢) ثم قال بعده: ولو صح هذا للرافضي لصح للناصي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداؤته.

## تفسير سورة والتين [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴾١﴿ وَطُورِسِينَ ﴾٢﴾

أقسم بالتين والزيتون؛ لأنهما عجبيان من بين سائر الشمار؛ روي أن النبي ﷺ (٣٤٤) أكل تينا، ثم قال لأصحابه: " كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس " <sup>(١)</sup>.

ومرّ معاذ بن حبل بشجرة زيتون فأخذ منها غصناً: فاستاك به، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، تطيب الفم وتذهب بالحفر " <sup>(٢)</sup> وسمعته يقول: " هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي " <sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس: هو تينكم هذا، وزيتونكم <sup>(٤)</sup> وقيل: هما جبلان بالأرض المقدسة، يقال لهم بالسريانية طور تينا <sup>(٥)</sup>، وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون <sup>(٦)</sup>.

(١) نسبة الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/٢٤١) لأبي نعيم في "الطب"، وذكره الدليلي في مسنده الفردوس بتأثر الخطاب (٣/٢٤٣) والنقرس - بكسر التون والراء - ضر معروف وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إيهامها أكثر، ولا يجتمع مدة ولا ينضج لأنه في عضو غير لحمي.  
ينظر: التعريف للمناوي (١/٧٠٩).

(٢) رواه الدارقطني في سنته (١/٥٨)، ونسبة السيوطي في الدر المشور (١/٢٧٧) لابن عدي والبيهقي في شعب الإيان وضعفه، عن ابن عباس. وقال الدارقطني: معلى بن ميمون - أحد رواته - ضعيف متوك.

والحفر: صفة تعلو الأسنان، وهو ما يلزق بالأسنان من ظاهر وباطن. ينظر: لسان العرب (حفر).

(٣) نسبة الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/٢٤٢) للطبراني في مسنده الشاميين وفي المعجم الأوسط.

(٤) رواه الطبرى في تفسيره (٣٠/٢٣٩) عن أكثر من واحد، وليس عن ابن عباس، وإنما ذكره عن ابن عباس الزمخشري في الكشاف (٤/٧٧٣).

(٥) في الأصل: سيناء، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٤/٧٧٣).

(٦) قال ابن جرير الطبرى في تفسيره (٣٠/٢٤٠): " والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يسمى تينا ولا جبل يقال له زيتون إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبًا، وإن لم يكن على =

﴿وَهَذَا الْبَلْدِ الْأَمِينُ ﴿٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَّا إِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٤﴾ إِلَّا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مُنْتَهٍ ﴿٥﴾ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ إِلَّا إِنْسَنٌ ﴿٦﴾ أَتَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ  
الْحَكْمَيْنِ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾﴾

والبلد: مكة حرسها الله تعالى.

والآمين: من أمن الرجل: صار ذا أمن، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الآمين ما سُلم إليه. ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول، من أمنه؛ لأنَّه مأمون. ومعنى القسم بهذه الأشياء: الإبانة عن شرف هذه البقاع. والطور: الجبل الذي نودي عليه موسى.﴿في أحسن تقويم﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته ثم كان عاقبة كونه لم يشكر هذه النعمة، وهو تسوية الخلق، أن رده أسفلاً سافلين، وأصبح صورة، وهم أصحاب النار.

وقيل: هو الكبر والهرم، ويتوسُّط ظهره بعد استقامته، وثقل قوة السمع والبصر، والوطء والبطش، فيرد إلى أضداد ذلك. قوله: ﴿إِلَّا إِنْسَنٌ ءَامَنُوا﴾ استثناء متصل على القول، ومنقطع على الثاني، تقديره: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا ينقص من وظائفهم التي كانوا يفعلونها في الصحة بل يكتب لهم ثواب تلك الأوراد والأعمال كاملة، وإن لم يفعلوا شيئاً منها؛ لأنَّه إنما عاقهم الكبر والهرم، وهو ليس من فعلهم.

قوله: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ خطاب للإنسان على صورة الالتفات أي: مما يجعلك كاذباً بسبب الدين، والباء في ﴿إِلَّا إِنْسَنٌ ءَامَنُوا﴾ مثلها في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>. أي: مما يكذبك يا إنسان بعد ظهور الدليل على البعث أن تكذب به حتى يجعلك التكذيب من أهل النار. ﴿أَتَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَكْمَيْنِ﴾ يعذب المسيء ويحسن للمحسن.

\* \* \*

= صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه لأن دمشق بها منابتتين وبيت المقدس منابت الزيتون .

(١) سورة النحل، الآية (١٠٠) .

## تفسير سورة العلق [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَا بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١)

عن ابن عباس ومجاهد أن سورة القلم أول سورة نزلت، ويدل عليه حديث الصحيحين: أن رسول الله ﷺ (٣٤٤ / ب) " جاءه جبريل في جبل حراء، فقرأ عليه ﴿أَقْرَا بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا تَرَيْتَ﴾ والخبر مشهور <sup>(١)</sup>.

وقيل: أول ما نزل سورة الفاتحة. وزعم الزمخشري أنه القول الأصح <sup>(٢)</sup> والمشهور هو القول الذي سبق. وقيل: أول ما نزل: ﴿بِنَاتِهَا الْمُدْرَجَة﴾ <sup>(٣)</sup>

﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (١) ﴿أَقْرَا بِإِسْمِ رَبِّكَ الْأَكْرَمِ﴾ (٢) ﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْفَلَمِ﴾ (٣) ﴿عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٤) كَلَّا  
 إِنَّ الْإِنْسَنَ لَيَطْغَى﴾ (٥) ﴿أَنَّ رَءَاهُ أَسْتَغْفِرَ﴾ (٦) ﴿إِنَّ إِلَيْ رَبِّكَ الْأَرْجُحَ﴾ (٧) ﴿أَرَدْيَتَ الَّذِي يَنْهَا﴾ (٨) ﴿عَدَّا إِذَا صَلَحَ﴾ (٩)  
 أَرَدْيَتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُهُدَى﴾ (١٠) ﴿أَوْ أَمْرَ بِالنَّقْوَى﴾ (١١) ﴿أَرَدْيَتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ﴾ (١٢)

محل ﴿بِإِسْمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال؛ أي: اقرأ متبركا باسم ربك؛ أي: قل بسم الله، ثم اقرأ: ﴿أَقْرَا بِإِسْمِ رَبِّكَ﴾ يتحمل أن يكون ﴿أَقْرَا﴾ لا يضم له مفعول أي: كن فارئا أو يكون ﴿بِإِسْمِ رَبِّكَ﴾ معهولاً لـ "اقرأ" ، أي: اقرأ باسم هذا الذي كون الأشياء وأوجدها. وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ﴾ تخصيص له دون سائر المخلوقات لأنه أشرفها، والوحى إنما ينزل إليه، وهو المقصود بالخطاب، ويجوز أن يكون المراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْفَرْمَةَ أَنَّ خَلَقَ الْإِنْسَنَ﴾ <sup>(٤)</sup> تفخيما لخلق الإنسان دلالة على فطرته، فإن قلت: لم قال ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ ، ولم يقل " من علقة " ؟ قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع. ﴿الْأَكْرَمُ﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تختصى.

﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْفَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ لأنه لم يضبط أصاصيص الأولين، وشرائع الأنبياء

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٥٦)، ورواه مسلم رقم (٢٥٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/٧٧٥).

(٣) تقدم الحديث عن ذلك في تفسير سورة المدثر.

(٤) سورة الرحمن، الآيات (١-٣).

المقدمين إلا الكتابة بالقلم. ﴿كَلَّا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه. ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَيَطْغَى إِنْ رَأَهُ أَنْتَقْ﴾ أي: لأن رأى نفسه، وأفعال الشك واليقين يتحد فاعلها ومفعولها؛ تقول: لورأي شيء وعلمته ولا يجوز ذلك في غيرها<sup>(١)</sup> ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لاقتصرت على مفعول واحد. ﴿كَلَّا إِلَّا رَبَكَ﴾ التفات أيضًا عن الحديث عن الإنسان. و﴿الْأَرْجُنَ﴾ مصدر؛ كالبشرى. وقيل: نزلت في أبي جهل، قال للنبي ﷺ: أتزعم أن من استغنى طفلي، فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطفي فندع ديننا، وتتبع دينك، فنزل جبريل، وقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء؛ إبقاء عليهم<sup>(٢)</sup>. ﴿أَرَيْتَ الَّذِي يَنْهَا﴾ بعض عباد الله عن طاعة الله والركوع والسجود. أو ينهى عبداً أمر بالتقوى، فيما يأمر به من عبادة الأوثان.

﴿أَتَرَأَلَمْ يَأْنَ اللَّهَ بِرَىٰ ١٦﴾ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَفَيْنَتِهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٧﴾ ﴿نَاصِيَةً كَذِبَةً خَاطِئَةً ١٨﴾ ﴿فَلَيَدْعُ نَادِيَهُ ١٩﴾  
 سَدَعَ الْرَّبَانِيَةَ ٢٠﴾ ﴿كَلَّا لَا ظُلْمَةٌ وَاسْجُدْ وَاقْرِبْ ٢١﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ بِرَىٰ﴾ مشاهد له على أعماله، ومطلع على نياته، فهو يجازيه بحسب ذلك . قوله: ﴿الَّذِي يَنْهَا﴾ مع (٣٤٥ / ١) الجملة الشرطية وهو في موضع المفعولين. فإن قلت: فأين جواب الشرط؟ قلت: تقديره: إن كان على المدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى؟ حذف لدلالة الكلام عليه. فإن قلت: فما ﴿أَرَيْتَ﴾ الثانية وتوسطها بين مفعولي "رأيت"؟ قلت: هي زائدة مكررة؛ للتوكيد. وقيل: هو أمية بن خلف، كان ينهى سلمان عن الصلاة. ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل، وزجر له عن نهيه عن عبادة الله. ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لأنأخذن بناصيته، ولنسحبته بها إلى النار. والسفع: القبض على الشيء، وجذبه، واكتفى بلام العهد عن الإضافة، والتقدير: لنسفعه بناصيته.

﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ بدل من الناصية، وجاز بدلها من المعرفة، وهي نكرة؛ لأنها وصفت فتخصصت. قلت: هذا مما لا حاجة إليه؛ فإنه يجوز بدل المعرفة من النكرة، والنكرة من

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/٢٥١)، همع الهوامع للسيوطى (١/٤٩٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٧٧) وقال الحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف (ص: ١٨٦) لم أجده.

المعرفة<sup>(١)</sup>. والزبانية: ملائكة العذاب. ﴿وَاسْجُدْ وَاقْرِبْ﴾ وفي الحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" <sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج (٤٦/٢)، همع الهوامع للسيوطى (٣/١٥٠).

(٢) رواه مسلم رقم (١٠٨٣)، وأبو داود رقم (٨٧٨) عن أبي هريرة حَفَظَهُ اللَّهُ.

## تفسير سورة القدر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١)

عظم القرآن من ثلاثة أوجه، أحدها: أن أنسد إنزاله إليه بقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ». والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالشاهد، والاستغناء عن التنبية عليه. والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي ابتدئ التزول فيه. وروي أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وأملأه جبريل على السفرة، ثم كان ينزل على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة.

وأكثر العلماء على أن ليلة القدر في شهر رمضان، ولعل الداعي إلى إخفائها أن يجتهد من يقوم الليل لطلبها الشهر كله أو السنة كلها؛ ليظفر بها.

﴿وَمَا أَدْرِيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (١) ليلة القدر خيرٌ من ألف شهرٍ (٢) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا  
يَوْمَنَ رَبِيعٍ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٣) سَلَّمُهُ حَتَّىٰ مَطَّلَعَ الْفَجْرِ (٤)﴾

«ليلة القدر» ليلة تقدير الأمور «فَهَا يُقْرَأُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» (١) وشرفها علىسائر الليالي و«ما أدرِيكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» يعني: ولم يبلغ درايتك فضلها ثم بين ذلك بقوله: «خَيْرٌ مِّنْ أَلْفٍ شَهْرٍ» فضلها إلى هذه الغاية؛ لما يكتب فيها، وينزل من الملائكة والروح والرحمة، وروي: أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: "إن رجلاً من بنى إسرائيل حمل السلاح ألف شهر في سبيل الله فسمع (٣٤٥ / بـ) أصحاب رسول الله ﷺ، فتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطي الله هذه الأمة هذه الليلة؛ لتقوم مقام الألف الشهر التي حمل فيها ذلك الإسرائيلي السلاح" (٢).

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إلى سماء الدنيا وقيل: إلى الأرض، أي: تنزل بكل مرضاته الله في تلك السنة إلى قابل. وقيل: «تَنَزَّلُ كُلُّ أَمْرٍ» أي: من أجل كل إنسان.

﴿سَلَّمُهُ﴾ لكترة من يسلم من الملائكة على بنى آدم.

(١) سورة الدخان، الآية (٤).

(٢) نسبة الحافظ ابن حجر في تحرير أحاديث الكشاف (ص: ١٨٦) لابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن خالد عن أبي نعيم عن مجاهد مرسلاً دون قوله: "فتقاربت إليهم أعمالهم".

## تفسير سورة لم يكن [البينة]

[ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَقَّ تَائِبِهِمُ الْبَيْنَةُ ﴾١﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَنْهَا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴾٢﴿فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ ﴾٣﴿وَمَا نَفَرَقَ اللَّهُ بِأُولُوا الْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيْنَةُ ﴾٤﴿وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَؤْتُوا الزَّكُورَةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴾٥﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْأَرْبَيْةِ ﴾٦﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْأَرْبَيْةِ ﴾٧﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدِنٍ تَبَرِّي مِنْ تَحْنَاهَا الْأَنْتَرُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِنَ رِبَّهُمْ ﴾٨﴾

كان المشركون من أهل الكتاب، وبعدة الأوثان يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا نفك عن ديننا حتى مبعث النبي الموعود بذكره في التوراة والإنجيل. فبحكم الله ما كانوا يقولونه ثم قال: «وَمَا نَفَرَقَ اللَّهُ بِأُولُوا الْكِتَابِ» يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق، وأنه متى بعث النبي صدقوه وأمنوا به، و«رَسُولٌ» بدل من البينة، و«الْبَيْنَةُ» الحجة. «صُحُفًا» قراطيس مطهرة من الباطل.

«فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ» مكتوبات قيمة بمصالح العباد في الدنيا والآخرة. فإن قلت: لم جمع أهل الكتاب والمشركون أولاً، ثم قال: «وَمَا نَفَرَقَ اللَّهُ بِأُولُوا الْكِتَابِ»، فأفردهم؟

قلت: أهل الكتاب كانوا عالمين بأن النبي المعمود آخر الزمان آت لا محالة، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف.

«وَمَا أَمْرَوْا» في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنفي، ولكنهم حرفوا وبدلوا.

«وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ» أي: دين الله القيمة، ومعنى «إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ» أي: وما أمروا بالعبادة والطاعة إلا ليعبدوا الله. «الْأَرْبَيْةِ» بالتشديد من غير همز<sup>(١)</sup>. قيل: لأنهم خلقوا من

(١) قرأ نافع وابن عامر من روایة ابن ذکوان: "شر البریة" و "خير البریة" مهموزتين، وقرأ الباقيون "البریة" بلا همز مع تشديد الياءين. تنظر في: الدر المصنون للسمین الحلبي (٦/٥٥٢)، السبعۃ لابن مجاهد (ص: ٦٩٣)، الكشاف للرخشنري (٤/٧٨٢ - ٧٨٣).

التراب. والبراء: هو التراب. وقيل: إنه مخفف من البريئة المهموز، وهو معنى الخلقة ومن أسمائه - تعالى - البارئ المصور.

\* \* \*

### تفسير سورة الزلزلة [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَلَهَا ﴾① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾② وَقَالَ إِلَيْنَاهُ مَا لَهَا ﴾③﴾**

﴿زُلْزَلَهَا﴾ أي: زلزاها اللاقى بها، ونظيره: قوله: أكرم التقى كرامته، وأهن الفاسق إهانته، أي ما يليق بكل واحد منهم. الأثقال: جمع ثقل، **﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَيْكُمْ﴾**<sup>(١)</sup>

﴿وَقَالَ إِلَيْنَاهُ مَا لَهَا﴾ (٣٤٦ / أ) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل، وتلفظ أمواتها أحياء، فيقولون ذلك لما يبهرون من الأمر الفظيع.

**﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا ﴾④ يَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَافًا ﴾⑥ لِيَرَوُا أَعْمَالَهُمْ ﴾⑦ فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾⑧ وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾⑨﴾**

فإن قلت: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء إليها؟ قلت: هو مجاز عما يحدث الله فيها من الأحوال مما يقوم مقام حديث اللسان.

وقيل: ينطلقها الله على الحقيقة، فتححدث بما عمل عليها من خير وشر، فإن قلت: **﴿إِذَا يَوْمَئِذٍ﴾** ما ناصبهما؟ قلت: **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** بدل من **﴿إِذَا﴾** ، وناصبهما **﴿تُحَدَّثُ﴾** ، ويجوز أن تتصب **﴿إِذَا﴾** بضمها، و**﴿يَوْمَئِذٍ﴾** بـ **﴿تُحَدَّثُ﴾**.

والباء في قوله: **﴿يَأَنَّ رَبَّكَ﴾** متعلقة بـ **﴿تُحَدَّثُ﴾** والمعنى: أن ما حدثت بما جرى على ظهرها، بسبب أن الله أوحى لها بذلك. قال **﴿أَوْحَى لَهَا﴾** القرار فاستقرت.

**﴿أَشْنَافًا﴾** جماعات متفرقين بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فرعون، أو يصدرون عن الموقف أشتابا. **﴿لِيَرَوُا أَعْمَالَهُمْ﴾** ليروا جزاء أعمالهم.

الذرة: النملة الصغيرة. وقيل: الذرة: ما يُرى في شعاع الشمس.

(١) سورة النحل، الآية (٧).

## تفسير سورة العاديات [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيَّتْ صَبَّحَا ﴿١﴾ فَالْمُورِبَتْ قَدْحَا ﴿٢﴾ فَالْمُغَيْرَتْ صَبَّحَا ﴿٣﴾ فَأَثْرَنَ بِهِ نَقْعَا ﴿٤﴾ فَوَسْطَنَ بِهِ جَمْعَا ﴿٥﴾﴾

أقسم بخيل الغرفة تعدو، فتضبح. والضبع: صوت أنفاسها قال عنترة [من الكامل]:

والخيل تکدح حين تضبع في حياض الموت ضبعاً<sup>(١)</sup>

وانتصاب **﴿صَبَّحَا﴾** على الحال؛ أي: تعدو ضاحكات أو بالعاديات. **﴿فَالْمُورِبَتْ﴾** توري ناراً، تقدح بقدح حواوفها الحجارة. وانتصب **﴿قَدْحَا﴾** بما انتصب به ضبعاً.

**﴿فَالْمُغَيْرَتْ﴾** تغير على العدو **﴿صَبَّحَا فَأَثْرَنَ بِهِ نَقْعَا﴾** فهيهجن بذلك العدو غباراً، والنفع: غبار الحرب. **﴿فَوَسْطَنَ بِهِ﴾** أي: بذلك الوقت. **﴿جَمْعَا﴾** من العدو، أو: فوسطين بالغبار الجموع، أو: وسطن يعني: توطن، ويجوز أن يراد بالنفع: الصياح وقيل: أثرن: مقلوب، وعن علي: إن الله أقسم بالإبل التي يحج علىها<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ الْإِنْسَكَنَ لِرَبِّهِ، لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بَعَثَرَ مَا فِي الْقُبُوْرِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الْعُصُدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ يَهُمْ بِوَمَيْزَ لَخَيْرٍ ﴿١١﴾﴾

**﴿فَالْمُورِبَتْ قَدْحَا﴾** تقدح الحجارة. **﴿فَالْمُغَيْرَتْ صَبَّحَا﴾** من قوله عليه السلام: " أشرق ثير كما نغير ". وقيل: الضبع لا يكون إلا للفرس والكلب والعلب. وجمع: اسم المذلفة،

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٥٠٣/٨)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٥٥٧/٦)، الكشاف للزمخشري (٤/٤)، لسان العرب (ضبع).

(٢) رواه الطبرى في تفسيره (٣٠/٢٧٣).

(٣) رواه البخارى رقم (١٧٨٤)، والترمذى رقم (٨٩٦)، عن عمر بن الخطاب رض أنه صلى بـ " جمع " الصبع ثم وقف فقال: " إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون " أشرق ثير " وإن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس ". وهذا لفظ البخارى. وظاهر من هذه الرواية أن هذا من قول المشركين، وليس من كلام النبي ﷺ كما قد توهم عبارة المصنف - رحمه الله. وقد تقدم هذا القول ونسبة المصنف إلى كلام العرب في تفسير سورة ص.

وعطف **﴿فَأَثْرَنَ﴾** على الفعل الذي دل عليه **﴿وَالْعَدِيَّت﴾** <sup>(١)</sup>.

الكنود: الجحود، وبه سمي كندة؛ لأنَّه أنكر أباه، وجحده. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان مصر وريعة: (٣٤٦/ب) الكفور <sup>(٢)</sup> إنه لنعمة ربه لشديد الكفران. **﴿وَإِنَّهُ﴾** وإن الإنسان **﴿عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ﴾** يشهد على نفسه بالكنود. وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد، وهو تهديد. **﴿الْخَيْر﴾** المال؛ قوله: **﴿إِنْ تَرَكْ خَيْرًا﴾** <sup>(٣)</sup>.

والشديد: البخيل، وإن لأجل حبِّ المال، أي: لأنَّ إيثار الدنيا عنده، وطلبها قوي، أو أراد به: لفعل الخيرات غير منشرح، وأما حبه الدنيا وإيثارها على الآخرة فهو فيه شديد وقوله: **﴿وَحُصِّلَ﴾** جمع في الصحف محصلاً، ومعنى علمه بهم: أنه يجازيهم يوم القيمة. وقرئ بفتح "أن" <sup>(٤)</sup> وحذف اللام من خبره.

\* \* \*

(١) هذه مسألة خلافية حيث أجاز بعض النحاة عطف الاسم على الفعل إذا اتحد المعطوف والمعطوف عليه بالتأويل بأنَّ كان الاسم يشبه الفعل، وهو رأي ابن مالك، واختاره السيوطي في المجمع وقال: يجوز في الأصح. ومنع المازني والمبرد والزجاج عطف الاسم على الفعل عكسه؛ لأنَّ العطف أخو التثنية فكما لا يتضمن فيها فعل إلى اسم، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر. وقال السهيلي: يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه؛ لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده على ما قبله فأشبه الفعل، وفي الثانية لا يعمل قتمحض فيه معنى الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه ولا فعلين اختلافاً في الزمان. ونرى أنَّ الراجح هو رأي القائلين بالجواز؛ لما عللته السهيلي.

وينظر تفصيل ذلك في: الإملاء للعكبري (٢٥٦/٢)، البيان لابن الأنباري (٤٢٢/٢)، شرح التسهيل لابن مالك (٣٨٣/٣)، همع الموامع للسيوطى (٣/١٩١ - ١٩٢).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٨٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٠).

(٤) قرأ بها أبو السمال والحجاج. تنظر في: البحر المحيط (٨/٥٠٥)، تفسير القرطبي (٢٠/١٦٣)، الدر المصنون للسمين الحلبي (٦/٥٦١)، فتح القدير للشوكاني (٥/٤٨٤)، الكشاف للزمخشري (٤/٧٨٩).

## تفسير سورة القارعة [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَائِشِ  
الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَكَوْنُ الْجِبَالُ كَالْمِهِنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَلَمَّا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ  
فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيَةُ  
نَارٍ حَامِيَةٍ ﴿١٠﴾ نَارٍ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

الظرف في قوله: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ» متعلق بما دلت عليه القارعة أي: تقع القلوب  
يوم يكون الناس.

شَبَّهَهُمْ بِالْفَرَاشِ فِي الْكُثْرَةِ وَالْإِنْتَشَارِ، وَسُمِيَ فِرَاشًا؛ لِانْتَشارِهِ، وَشَبَهَ الْجِبَالَ بِالْعَهْنِ،  
وَهُوَ الصُّوفُ؛ لِأَنَّهَا أَلْوَانٌ، وَبِالْمَنْفُوشِ مِنْهُ؛ لِتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا.

المواظين: جمع ميزان، والميزان يُثقله ثقل ما فيه.

«فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ» أي هلكت أمه وجداً عليه، لما ترى من شدة الخطب عليه.  
وقيل: الهاوية: من أسماء النار، وجعلت أمّا له؛ لأنّه يأوي إليها. وقيل: «فَأَمَّهُ» أي  
فَأَمَّهَ: الهاوية: الهاء للسكت فيها، وإذا وصل القارئ حذفها، وإذا وقف  
أثبّتها، وثبتتها في المصحف دليل على أنها أجريت مجرى الوقف، وأثبتت فيه.

\* \* \*

## تفسير سورة التكاثر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَهُمُ الْتَّكَاثُرُ ۖ ۚ حَتَّىٰ زُرْمُ الْمَقَابِرِ ۖ ۚ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۚ﴾

﴿أَلَهُمُ الْتَّكَاثُرُ﴾ ألهاء عن كذا: إذا شغله. و﴿الْتَّكَاثُرُ﴾ التباكي؛ قوله: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾<sup>(١)</sup>. وروي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بعدهم، فكثرت بنو عبد مناف بني سهم، فقالت بنو سهم: إنما أهلكتنا الحروب ونحن أكثر منهم، فهلم فلنعد الأحياء والأموات<sup>(٢)</sup>. وقيل: ﴿أَلَهُمُ الْتَّكَاثُرُ﴾، وهو لا يغنى عنكم من الله شيئاً، ولا يغنيكم منه أمر. وقيل: ﴿أَلَهُمُ الْتَّكَاثُرُ﴾ بالأموال والأولاد، حتى متم وصرتم إلى القبور. قال الشاعر [من المقارب] :

زار القبور أبو مالكٍ فأصبحَ الأمْ رُواهِها<sup>(٣)</sup>

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ۚ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۖ ۚ لَرَوْزَتِ الْحَجِيمَ ۖ ۚ ثُمَّ لَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۖ ۚ ثُمَّ لَتَشْتَلَنَّ يَوْمَيْذِيْعَنَ الْعَيْمِ ۖ ۚ﴾

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد، وتكراره ثانياً؛ زيادة في التوكيد، والدليل عليه: أنه أتى (أ) بـ "ثم" ؛ لتبعاد ما بين التهديد الأول والثاني، ثم كرر ذلك محفوظ الجنواب. والوقف على قوله: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ومعناه: لو علمتم علم اليقين لما شغلكم التكاثر، ولا يجوز أن يكون الظاهر جواباً. قوله: ﴿ثُمَّ لَتَشْتَلَنَّ﴾ زيادة للتوكيد والتفحيم ويidel على أن المراد بقوله: ﴿لَتَشْتَلَنَّ﴾ أمر عظيم أشد من التهديد. تسوف عن اليقين؛ أي: لترونها رؤية هي عن اليقين وخالصته.

﴿عَنِ النَّيْمِ﴾ عن اللهو والتلذذ الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين. وقيل: أراد بالنعم: التنعم والتفرغ للالتذاذ في الدنيا على ما يزيد في رتبة الدين.

\* \* \*

(١) سورة الحديد، الآية (٢٠).

(٢) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/٧٩١)، ورواه الطبراني في تفسيره (٣٠/٢٨٣) بعنووه.

(٣) ينظر البيت في: الكشاف للزمخشري (٤/٧٩٢)، لسان العرب (كثير).

## تفسير سورة والعصر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُثْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ ﴿٣﴾﴾

أقسم بصلة العصر؛ لفضلها، وهي الصلاة الوسطى، ولأنها مؤقتة بوقت هو وقت الاستغلال بالمتاجر والمعايش، فالمواظبة عليها أشق. وأقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما جيعا من دلائل القدرة. أو أقسم بالزمان؛ لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس. والخسر: الخسران؛ كما قيل الكفر في القرآن. والمعنى: إن الناس في خسر من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم؛ لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فرجحوا وسعدوا ومن عدتهم تجردوا خلاف تجاراتهم، فوقعوا في الخسارة. «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله. والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة. «وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ» عن المعاصي، وعلى الطاعات، وعلى ما ييلو الله به عباده.

\* \* \*

## تفسير سورة الهمزة [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَوْمَ لَكُلُّ هُنْزِرٍ لَّمَزَةٌ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدًا، ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ  
كَلَّا لِيَبْدَأَ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٤﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُؤْفَدَةُ ﴿٥﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى  
الْأَفْعَادِ ﴿٦﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٧﴾ فِي عَدَلٍ مُّعَدَّدَةٍ ﴿٨﴾

الهمز: الكسر، كاهزم، واللمز: الطعن. يقال: لمزه وهزه: طعنه، والمراد: الكسر من أعراض الناس، والغض منهم، واغتيابهم، والطعن فيهم، وبناء ( فعلة) يدل على أن ذلك عادة منهم، وقد ضرر بها، ونحوهما: الضحكة واللعنة. قال الشاعر [من بسيط]:

..... وإنْ أُغَيِّبْ فَأَنْتَ الْهَامِزُ الْمُزَّةُ<sup>(١)</sup>

وقرئ: ويل لكل همزة لُزَة، بسكون الميم <sup>(٢)</sup> وهو المسخرة الذي <sup>(٣)</sup> يأتي بالأوابد والأضاحيك فيصحرك منه ويشتم. وقيل: نزلت في الأحنف بن شريق، وكانت عادته الغيبة والحقيقة <sup>(٤)</sup>. وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة، واغتيابه لرسول الله ﷺ <sup>(٥)</sup> وغضبه منه <sup>(٦)</sup>. ويجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً؛ ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، ولি�كون جارياً مجرى التعرض بالوارد فيه. «كَلَّا» رد له عن حسابه. «يَبْدَأُ فِي الْحُطْمَةِ» الحطمة: من أسماء جهنم، تحطم ما وقع فيها، ويقال للرجل الأكول حطمة. وقيل: خص الفؤاد؛ لأنَّه محل الكفر والعقائد الفاسدة. «مُؤَصَّدَةً» مطبقة، والمعنى: إنه يؤكِّد يأسهم من الخروج منها وتيقنهم بحبس الأبد، فتوصد عليهم الأبواب، ويُمدد على الأبواب العمدة.

(١) هذا عجز بيت لزياد العجمي وصدره:

..... تدلی، یودی إذا لاقتني، كذبا

ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥١)، تفسير الطبرى (٣٠/٢٩١)، الدر المصور للسمين الحلبي (٤/٦٥٦)، الكشاف للمخشى، (٤/٧٩٥).

(٢) قرأ بها الأعرج والباقر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/٥١٠)، تفسير القرطبي (٢٠/١٨٢)، الدر المصور للسمين الحلمي، (٦/٥٦٨)، فتح القدير للشوكاني، (٥/٤٩٣)، الكثاف للدمشقي، (٤/٧٩٥).

(٣) في الأصل؛ التي، والصواب ما أثبتناه. كما في الكشاف للزمخشري، (٤/٧٩٥).

(٤) نسبة السبعة طبع في الدر المنشور (٦٢٣/٨) لابن أبي حاتم عن السدي.

<sup>(٥)</sup> ذكره المخنثي، في الكشاف (٤/٧٩٥).

## تفسير سورة الفيل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَّا تَرَكَفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحْمَابِ الْفَيْلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة<sup>(١)</sup> النجاشي بني كنيسة بصنعاء اليمن، وسمّاها "القليس" وأراد أن يصرف إليها حج العرب، فخرج رجل من كانة، فقعد فيها ليلاً، فأغضب به ذلك، وقيل: أجبت رفقة من اليمن ناراً، فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة فخرج بالجيش، ومعه فيل له اسمه: محمود وكان قوياً عظيماً، وأثنا عشر فيلاً. وقيل: ثمانية، وقيل ألف فيل. وقيل: لم يكن معه غير محمود، فلما بلغ المغمس<sup>(٢)</sup> خرج إليه عبد المطلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة؟ ليرجع فأبي، وعباً جيشه، وقدم الفيل، وكانتوا كلما وجهوه برؤك وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هرول، فأرسل الله طيراً سوداً، وقيل: خضراء، وقيل: بيضاءً مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة، وأصغر من الحمصة. وعن ابن عباس أنه رأى منها عند أم هانى نحو قفيز مخططة بمحمرة، كالجزع الظفارى<sup>(٣)</sup> فكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره، ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل. وأما أبرهة فتساقطت أنامله، وما مات حتى اندفع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكشوم، وطار يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقصص عليه، فلما فرغ من القصة ألقى الطائر عليه الحجر فهلك بين يدي النجاشي<sup>(٤)</sup>.

(١) في الأصل: أصحمة، والصواب ما أثبتنا.

(٢) المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف مات فيه أبو رغال وقره يرجم؛ لأنَّه كان دليلاً صاحب الفيل فمات هناك. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/١٦١).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٩٧)، والجزع: ضرب من الخرز. وقيل: هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسوداد تشبه به الأعين، والجزع: الصبغ الأصفر. والظفارى: نسبة إلى ظفار: مدينة باليمن. والجزع الظفارى: منسوب إلى هذا البلد. ينظر: لسان العرب (جزع)، معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري الأندلسي (٣/٩٠٤).

(٤) نسبة السيوطي في الدر المثور (٨/٦٢٧) لابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل.

وقيل: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ بأربعين سنة. وعن عائشة قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان<sup>(١)</sup>. وقيل: إن أبرهة أخذ عبد المطلب مائتي بعير (٣٤٨ / ١) ف جاء عبد المطلب إلى أبرهة وكان عبد المطلب رجلاً وسيماً جسماً، فقيل لأبرهة: هذا سيد قريش يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فقال له أبرهة: ما حاجتك؟ قال: إيل لي أحذها جندك. فقال له أبرهة: نقصت من عيني، جنت لأهدم ما فيه شرفك وشرف أسلافك، فلم تكلمني فيه، وكلمتني في إيل يسيرة! فقال: أنا رب الإبل، وهذا البيت رب يمنعه منك. فقال: ما كان ليمنعه مني. ثم رجع عبد المطلب، وضرب حلقة الباب وقال:

لَا هُمْ إِنَّ الْعَبْدَ يَنْعِنْ رَحْلَةً فَامْنَعْ حَلَّكَ  
لَا يَغْلِبَنَّ صَلَبِهِمْ وَمَحَالُهُمْ عَذْوَانَ حَمَالَكَ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَعْبَتَنَا فَأَمْرُّ مَا بِدَالَكَ  
يَا رَبُّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سَوَاكَا      يَا رَبُّ فَامْنَعْ مِنْهُمْ حَمَاكَا  
إِنْ عَدُوَ الْبَيْتِ مِنْ عَادَاكَا.

في بينما هو يدعوا إذ جاءت الطير من قبل اليمن. وفي القصة: أن أبرهة احتاط على أموال أهل مكة، وجمع عبد المطلب من أموالهم شيئاً كثيراً، فكان سبب يساره<sup>(٢)</sup>.

والمعنى بقوله: «اللَّتَّرَ»؛ لأنك رأيت بعض آثار رحمة الله وسمعت الأخبار فيه متواترة، فقامت لك مقام الرؤية. و«كَيْفَ» في موضع نصب بـ«فَعَلَ رَبُّكَ» ولا يجوز أن يعمل فيه «اللَّتَّرَ»؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله. «فِي تَضَلِيلٍ» كقوله: «وَمَا كَيْدُ الْكَفَّارُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ»<sup>(٣)</sup> وقيل لامرئ القيس: الملك الضليل؛ لأنه ضلل ملك

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣ / ٢٨٥) وقال: رواه البزار ورجاه ثقات.

(٢) روى هذه القصة الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٣٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (١ / ١١٥ - ١٢٥)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص: ١٠٨ - ١٠٠)، وذكرها ابن هشام في السيرة النبوية (١ / ٤٩ - ٥١)، وأبن كثير في البداية والنهاية (٢ / ١٧٠ - ١٧٦)، والبيت الأخير من الشعر تكلمه عند البيهقي في الدلائل:

إِنْ عَدُوَ الْبَيْتِ مِنْ عَادَاكَا      إِنَّهُمْ لَنْ يَقْهِرُوا قَوَاكَا

(٣) سورة غافر، الآية (٥٠).

أبيه<sup>(١)</sup>، يعني: أنهم كادوا البيت أولاً ببناء كنيستهم "القليس" ، وأرادوا أن ينسخوا حاله بصرف الحج إلى كنيستهم، فرد الله كيدهم وأهلتهم، وأرادوا ثانياً أن يهدموا الكعبة.

**﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ تَرْمِيمِهِمْ بِحَجَارَةٍ مِّنْ سِجِيلٍ ﴿٣﴾ فَعَلَّمُهُمْ كَعَصْفِ مَأْكُولٍ ﴿٤﴾﴾**

**﴿أَبَابِيلَ﴾** جمادات متفرقة الواحدة: إبالة، ومنه المثل: إنها لضفت على إبالة<sup>(٢)</sup>.

و**﴿سِجِيل﴾** علم الديوان أعمال الكفار، كأنه قال: بحجارة من جملة العذاب الذي قدر وقوعه. والعذاب يوصف بالإرسال؛ **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحْمًا وَخْنُودًا﴾**<sup>(٣)</sup> وأرسل عليهم طيراً أبابيل. **﴿مَأْكُولٍ﴾** (٣٤٨ / ب) أكلته الدود، أو تن أكلته الدواب وراثته ولكن جاء على ما عليه آداب القرآن؛ كقوله: **﴿وَأَمْثُمْ صِرْيَقَةٌ كَيْنَا يَأْكُلُونَ أَطْعَامًا﴾**<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٧٩٩) وقال: أي: ضيعه.

(٢) ينظر في: القاموس المحيط (ضفت)، لسان العرب (أبل) ومعنى المثل: أي بلية على أخرى كانت قبلها. والضفت: ملء اليد من الحشيش المختلط. وقيل: الخرمة منه وما أشبهه من البقول، والإبالة: البلية. وهو مثل يضرب للأمر يتبع الأمر. ينظر للسان: (ضفت - أبل).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٩).

(٤) سورة المائدة، الآية (٥٧).

## تفسير سورة قريش [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾** ① **إِلَّا لِنَفْتَمْ رِحْلَةَ السِّنَاءِ وَالصَّيفِ ﴾** ② **فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾** ③

قوله: **﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾** متعلق بقوله: **﴿فَلَيَعْبُدُوا﴾** أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، ودخلت الفاء في قوله: **﴿فَلَيَعْبُدُوا﴾** لما في الكلام من معنى الشرط.

المعنى: أن نعم الله عليهم كثيرة جداً، فلا يمحضونها، فإذا لم يعبدوه لنعم كثيرة، فليعبدوه لأجل هذه النعمة. وقيل: المعنى: اعجبا لإيلاف قريش.

وقيل: هو متعلق بما قبله، بقوله: **﴿فَعَلَّمُهُمْ كَعَصْفِ مَأْكُولٍ﴾**<sup>(١)</sup> وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعليقا لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبي سورة واحدة. وروي: أن عمر قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى بالتين والزيتون<sup>(٢)</sup>. والمعنى: إنه أهلك الحبشة الذين قصدوا هدم كعبتهم حتى انتظم لهم الأمر في رحلتهم، وكانت قريش يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون؛ لأن مكة واد غير ذي زرع، كان أهل مكة آمنين في رحلتهم لا يعارضهم أحد **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا إِمَانًا وَيُنْخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾**<sup>(٣)</sup>. و**﴿قُرَيْشٌ﴾** ولد النضر بن كنانة سموا باسم القرش، وهي دابة عظيمة من البحر تبعث بالسفن. وعن ابن عباس: أنه سئل: لم سميت قريش؟ قال: بدبابة في البحر تأكل، ولا تؤكل، وتعلو، ولا تعلق وأشد [ من الخفيف ].

و<sup>قريش</sup> هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذى المخالف ريشا

(١) سورة الفيل، الآية (٥).

(٢) نسبة السيوطى فى الدر المثور (٨/٥٥٦) عبد بن حميد وابن الأبارى فى المصاحف عن عمرو بن ميمون قال: صليت خلف عمر بن الخطاب المغرب... ذكره.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٧).

هكذا في الكتاب حيٌّ قريشٌ  
 يأكلون البلاد أكلًا كميشا  
 وهم آخر الزمان نبيٌّ  
 يكثرُ القتلَ فيهم والحموشان<sup>(١)</sup>  
 ﴿الَّذِي أطعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُم مِّنْ حَوْفٍ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿وَأَمْنَهُم مِّنْ حَوْفٍ﴾ الجذام فلا يصيبهم بيلدهم، ومن بدع التفاسير: آمنهم من أن تكون  
 الخلافة في غيرهم<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) رواه الطبرى في تفسيره (٣٠٦/٣٠)، ونسبة السبويطي في الدر المثور (٦٣٨/٨) للبيهقي في دلائل  
 النبوة، وذكره أبو حيان في البحر الحيط (٥١٣/٨)، والسمين الحلبي في الدر المصنون (٥٧٣/٦) وفيه:  
 آخر البيت الثاني:

..... الذي جناحين ريشا.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده (١٢٩/٣)، وأبي حاتم في المستدرك (٧٥/٤)، والنمساني في السنن  
 الكبرى كما في تحفة الأشراف للزمي (١٠٢/١) عن علي بن أبي طالب رض قال: إن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال:  
 الأئمة من قريش.

## تفسير سورة أرأيت [ الماعون ]

[ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١ / ٣٤٩)

**﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّهِينَ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ ② وَلَا يَحْصُنْ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيَّنَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤﴾**

﴿فَذَلِكَ الَّذِي﴾ يكذب بالجزاء إن تعرفه فهو الذي يدعُ اليتيم يدفعه دفعاً يوم يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّا﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَا يَحْصُنْ﴾ ولا يبعث أهله على إطعام المسكين، يعني: إنه لو آمن بالجزاء إيماناً يقيناً، لما دعَ اليتيم، ولحثَ على إطعام المسكين.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيَّنَ﴾ الذين يسهوون عن الصلاة تهاونا بها، حتى يخرج وقتها، والفرق بين قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ والمراد: الإعراض عنها وبشأنها، وبين قوله: هو في صلاته ساو، أن السهو يجبر في الصلاة، فتكمل والتي سها عنها حتى خرج وقتها لا يخلص من ذلك إلا بالتوبة. وقوله:

﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦﴾

﴿يَرَاءُونَ﴾ من باب المفاعة؛ لأن المawai يري الناس أنه عمل الله، والناس يرونـه الثناء عليه، واستحسانـ ما يفعلـ.

﴿الْمَاعُونَ﴾ الزكاة. وقيل: الماعون: ما يعين الناس به بعضـهم بعضاً بالعـارـية، وهي الـقدر والـدلـو والـمـقدـحة وـغـيرـهـاـ. وـقـيلـ: المـاءـ وـالـنـارـ وـالـمـلـحـ.

\* \* \*

## تفسير سورة الكوثر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ﴾

الكوثر: فوعل من الكثرة قال [ من الطويل ]:

وأنت كثير يا بن مروان طيب وكان أبوك ابن الأكارم كوثرا<sup>(١)</sup>

وقيل: الكوثر: نهر في الجنة. وقيل: ماوئه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حافاته الزبرجد وأوانيه من فضة، عدد نجوم السماء، لا يظماً من شرب منه أبداً، أول وارد عليه فقراء المهاجرين الذين لا يزوجون المنعمات، ولا تفتح لهم السدد<sup>(٢)</sup> يموت أحدهم و حاجته تتجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره<sup>(٣)</sup>. وقال ابن الزبير لابن عباس: إن ناسا يقولون: هو نهر في الجنة فقال: " الذي في الجنة من ذلك الخير "<sup>(٤)</sup> وقيل: هي جنس الصلاة. والنحر: وضع اليمني على الشمال. **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾** في الدنيا خيراً كثيراً، فجعلناك تابعاً هداية ملك الملوك. **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾** فإن الصلاة عماد الدين<sup>(٥)</sup>.

**﴿وَأَنْحِرْ﴾** بدنك لله خالصاً مخالفًا لما كانت العرب ينحرن للطواقيت وأن من يبغضك

(١) البيت للكميـت بن زيد، ينظر في: البحر الحـيط لأبي حـيان (٨/٥٢٠)، الدر المـصون للسمـين الحلـيـ (٦/٥٧٧)، ديوـان الكـميـت (١/٢٧٩)، الكـشـاف للزمـشـري (٤/٨٠٦)، لسان العـرب (كـثـر)، وفي الدر: ..... وكان أبوك ابن العـقـائل كـوثـرا.

(٢) السـدـدـ: الـبـيـوتـ والـدـورـ.

(٣) رواه أـمـدـ في المسـنـدـ رقمـ (٢١٣٣٣ـ)، والـترـمـذـيـ رقمـ (٢٣٨٦ـ) عن ثـوبـانـ عنـ النـبـيـ ﷺـ قالـ: " حـوضـيـ منـ عـدـنـ إـلـىـ عـمـانـ الـبـلـقـاءـ مـاـوـئـهـ أـشـدـ بـيـاضـاـ مـنـ لـبـنـ وـأـحـلـىـ مـنـ عـسـلـ وـأـكـاوـيـهـ عـدـدـ نـجـومـ السـمـاءـ شـرـبـ مـنـهـ شـرـبةـ لـمـ يـظـماـ بـعـدـهـ أـبـداـ أـوـلـ النـاسـ وـرـوـدـاـ عـلـيـهـ فـقـرـاءـ الـمـهـاجـرـ الـشـعـثـ رـعـوسـ الدـنـسـ ثـيـابـ الـذـيـنـ لـاـ يـنـكـحـونـ الـمـتـعـمـاتـ وـلـاـ تـفـتـحـ لـهـ أـبـوـابـ السـدـدـ ". وـصـحـحـهـ الشـيـخـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ صـحـيـحـ الـجـامـعـ رقمـ (٢٠٦٠ـ).

(٤) رواه البخارـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ رقمـ (٦٠٩٢ـ).

(٥) روـيـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ حـدـيـثـ نـبـهـ السـيـوطـيـ فـيـ الـجـامـعـ الصـغـيرـ لـلـبـيـهـقـيـ فـيـ شـعـبـ الإـيمـانـ عـنـ عـمـرـ بـنـ الـخطـابـ يـرـفـعـهـ بـلـفـظـ: " الـصـلاـةـ عـمـادـ الدـيـنـ ". وـضـعـفـهـ الشـيـخـ الـأـلـبـانـيـ فـيـ ضـعـيفـ الـجـامـعـ رقمـ (٣٥٦٦ـ).

ويشنؤك هو دونك.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ أَلَّا يَتَرَدَّ﴾<sup>(٢)</sup>

وروي أن العاص بن وائل قال: إن مهداً لا عقب له، فسيموت ويحمد ذكره، فإنه أبتر  
فأنزل الله - تعالى - : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ أَلَّا يَتَرَدَّ﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٤ - ٤٩٥، ٨٧٣، ٨٧٢) رقم .

## تفسير سورة الكافرون (٤٩/ ب)

[ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ ۝ وَلَا أَنْتُ عَنِّيْدُوْنَ مَا أَعْبُدُ ۝ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَنِّيْدُوْنَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيْ دِيْنِ ۝ ۚ ۱﴾

قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي أن رهطا من قريش قالوا: يا محمد هل مفatum  
ديننا، وتتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونبعد إلهك سنة. فقال: "معاذ الله أن أشرك بالله غيره" ،  
قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك، ونبعد إلهك، فنزلت<sup>(١)</sup> فغدا إلى المسجد الحرام، وفيه  
الملأ من قريش فقام على رؤوسهم، فقرأها عليهم، فأيسوا منه. ﴿ لَا أَعْبُدُ ﴾ في المستقبل.  
﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ في الماضي ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَنِّيْدُوْنَ مَا أَعْبُدُ ﴾ في الماضي. وقيل: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا  
تَعْبُدُوْنَ ﴾ لا ينبغي أن أعبد ما تعبدون، ولا يتأنى لكم أن تعبدوا ما عبد. ﴿ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيْ دِيْنِ ﴾  
لهم شرككم، ولني توحيدني.

\* \* \*

(١) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (ص: ٤٩٦) رقم (٨٧٤).

### تفسير سورة النصر [مدنية]

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**﴿إِذَا جَاءَ نَصْرًا لِلَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾** ① **وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَوَاجًا ②**  
**فَسَيِّعٌ بِمَحَمِّدٍ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِلَيْهِ كَانَ تَوَابًا ③﴾**

﴿إِذَا﴾ منصوب بـ " سبع " وهو لما يستقبل من الزمان والإعلام بذلك قبل حضور وقته من أعلام النبوة، وروي: أنها نزلت في أيام التشريق في " منى " في حجة الوداع<sup>(١)</sup>.

النصر: الإغاثة والإعانة على العدو، وأما الفتح: فهو الاستيلاء على الأماكن التي كانت خارجة عن اليد. وكان فتح مكة لعشر ماضين من رمضان سنة ثمانٍ ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، ثم خرج إلى هوازن.

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: إلى ملة الإسلام. **﴿أَفَوَاجًا ④﴾** جماعات كثيفة، كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً بعد واحد، فإن قلت: ما محل **﴿يَدْخُلُونَ ⑤﴾**؟

قلت: النصب إما على الحال، إن جعلت الرؤية رؤية عين، أو على أنه مفعول ثانٍ لرأيت. **﴿فَسَيِّعٌ بِمَحَمِّدٍ رَبِّكَ ⑥﴾** فقل سبحانه الله، حامداً له. **﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ ⑦﴾** واطلب منه المغفرة. **﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا ⑧﴾** وعن ابن عباس: كان عمر يقدمه ويأذن له مع أهل بدر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتأذن لهذا الفتى ولنا أبناء مثله. فقال: إنه من قد علمتم. ودعاني يوماً، وسائلهم عن قوله: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرًا لِلَّهِ ⑨﴾**، ولا أراه سأله إلا من أجلي، فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه مكة (٣٥٠ / ٣٥) أن يستغفره، ويتوب إليه. قلت: ليس كذلك، ولكن نعيت إليه نفسه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما يعلمه، ثم قال: كيف تلوموني بعد ما ترون<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن مسعود: " إن هذه السورة تسمى سورة التوديع " <sup>(٣)</sup>.

**﴿كَانَ تَوَابًا ⑩﴾** أي: كان في الأزل الذي لا أول له توبة.

(١) ذكره السيوطي في الدر المثور (٦٥٩ / ٨) ونسبة لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: " هذه السورة نزلت على النبي ﷺ أوسط أيام التشريق يعني وهو في حجة الوداع " .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٧٠)، والترمذني رقم (٣٣٦٢) وأحمد في المسند (١ / ٣٣٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٨١٢).

## تفسير سورة تبت [المسد]

## [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿تَبَّتْ يَدَآيِ لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ② سَيِّصَلَ نَارًا  
ذَاتَ هَبٍ ③ وَأَمْرَأَتُهُ، حَمَالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَجَلٌ مِنْ مَسَدٍ ⑤﴾**

المراد بقوله: «تَبَّتْ يَدَآيِ لَهَبٍ» هلاك جملته. روي أنه لما نزل «وَانْدَرَ عَشِيرَةَ الْأَقْرَبَاتِ»<sup>(١)</sup> صعد النبي ﷺ الصفا. فقال: يا أصحابه. فاجتمع عليه الملا من قريش، فقال لهم: «رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقين؟» قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو هب: تبا لك، أهذا جمعتنا؟ فنزلت: «تَبَّتْ يَدَآيِ لَهَبٍ»<sup>(٢)</sup>.

وإنما كناه، والكتابية تكرمة، إما أن يكون مشهراً بالكتيبة دون الاسم، وإما لأن اسمه كان عبد العزى، فعدل عن هذا الاسم القبيح، إلى أبي هب، وإنما لأنه كان ذا مال، وما له إلى نار ذات هب، فوافقت حاله كنيته.

وقيل: كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقبهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكمها به، وبافتخاره بذلك. «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ» الذي كسبه وما ورثه من أبيه. «سَيِّصَلَ» تحقيقاً للوعيد، وأنه كائن لا محالة، وإن تراخي وقته.

«وَأَمْرَأَتُهُ» هي أم جليل بنت حرب، أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك، فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ والمؤمنين. وقيل: كانت تمشي بالنمية، وقد توسل إلى رسول الله بجميل من أحب شتم أم جليل. الجيد: العنق. المسد: الذي قتل من الحبال فتلا شديداً، من ليف أو جلد أو غيرهما، ويحتمل أن يكون حالها في جهنم كحالها في الدنيا، بجموع إليها حزمة من حطب متقدة ناراً عليها؛ لجرأتها بفعلها.

\* \* \*

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٢٥، ١٣٩٤)، ومسلم رقم (٣٥٥، ٣٥٦).

تفسير سورة الإخلاص [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۚ ۱﴾ ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ ۖ ۲﴾ لَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُواً أَحَدٌ ۚ ۳﴾

**«هُوَ»** ضمير الشأن، و**«الله أَحَدٌ»** هو الشأن. وقيل: إن قريشاً قالت للنبي ﷺ: صف ربك الذي تأمننا بعبادته؛ فمن ذهب هو أم من حديد؟ (٣٥٠/ب) فنزلت (١) يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله أحد.

﴿اللَّهُ﴾ بدل من أحد ﴿الْمَكْسُدُ﴾ المقصود، منْ صمد إِلَيْهِ: إِذَا قصده، والمعنى: هو الله الذي تقرون بأنه خالق السماوات والأرض. ﴿لَمْ يَكُلِدْ﴾ لأنَّه ليس بجنس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتهاوَدَ، كقوله: ﴿أَنْ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَّمَا تَكُونُ لَهُ صَنْجَةٌ﴾ (٢).

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدث، وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده، ليس بجسم، ولم يكافنه أحد، أي: لا يماثله ولا يشاكله، ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح؛ نفيا للصاحبة سأله أن يصفه لهم، فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته، فقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء. فإن قلت: الكلام الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو، ويقدم الاسم، ويؤخر الخبر؟ قلت: هذا الكلام إنما سبق لنفي المكافأة عن ذات الباري، وهذا المعنى مصيء ومركيزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناء وأحقه بالتقديم وأحراء. وتسمى سورة الأساس؛ لاشتمالها على أصول الدين.

\* \* \*

(١) رواه أحمد في مسنده (١٣٤ / ٥)، والترمذى رقم (٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، والواحدى فى أسباب النزول (ص: ٥٠٠)، قه (٨٨٠)، سبده ضعف؛ فيه أنه سعد الصاغانى، واسمها: محمد بن ميس، ضعفة المحافظ

<sup>١٠</sup> ابن حجر في تقبیب التهدیب (٢١٢/٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠١).

## تفسير سورة الفلق [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿فَلَمَّا أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾** ① **﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾** ② **﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾** ③ **﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾** ④ **﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾** ⑤

﴿الفلق﴾ هو الصبح، ومنه «فأله الإبل بالصبح»<sup>(١)</sup> لأن الليل ينفلق عن الصبح، ولذلك كل شيء انفلق كالحب والنوى، وكالأرض بالنبات، والجبال عن العيون، والسحب عن المطر. والأرحام عن الأولاد. وقيل: هو واد، أو جب في جهنم لقوفهم فيما اطمان من الأرض: الفلق، والجمع: فلقان. «من شر مَا خَلَقَ» من شر خلقه ومضاراة بعضهم بعض؛ كالضرب والشتم، والغصب والسرقة، وما يفعله غير المكلفين من الأكل والنهش واللدغ والعض؛ كالسباع والاحشرات وما وضعه في الحشرات من أنواع الضرر كالإحراق للنار، والقتل في السم. و«غَاسِقٌ» الليل إذا اعتكر ظلامه، من قوله - تعالى: «إِلَى غَسَقِ آئِلِّ»<sup>(٢)</sup> وقوله: دخول ظلامه في كل شيء. ويقال: وقبت الشمس: إذا غابت، والتعمود بالليل؛ لأن الانبات فيه أكثر، والتحذر منه أصعب، وأسند الشر إلى الليل؛ لحدوثه فيه. «النَّفَّاثَاتِ» النساء السواحر، أو النفوس، أو الجماعات السواحر، وأنكر الخفية تأثير السحر، وقالوا: هو تخيل؛ (١ / ٣٥١) لقوله - تعالى: «فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصَيْتُمُوهُ يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ سُحْرَهُمْ أَنَّهَا شَفَعَتْ»<sup>(٣)</sup>. واحتاج الشافعي على تأثير السحر، بقوله: «إِنَّ اللَّهَ سَيَبْلُلُهُ»<sup>(٤)</sup> فجعل إبطاله مستقبلاً، فدل على تحققه قبل الإبطال<sup>(٥)</sup>: وبأن النبي ﷺ سحر، كما جاء في الحديث الصحيح<sup>(٦)</sup>. «إِذَا حَسَدَ» إذا حصل حسد، وعمل بمقتضاه.

والحسد إذا ظهر أثر حسده من شتم وسب أو أذى يؤمله فيائمه؛ لأنه استعان بالله على

(١) سورة الأنعام، الآية (٩٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٨).

(٣) سورة طه، الآية (٦٦).

(٤) سورة يونس، الآية (٨١).

(٥) ينظر: الأم للإمام الشافعي (١/٢٥٦، ٢٥٧)، حاشية البجيري (٤/١٩٧).

(٦) تقدم تخرجه في سورة يونس، الآية (٨١).

أذى غيره، فأما إذا لم يظهر حسده أثر، فلا إثم عليه.

وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ يعم جميع ما استعاد منه، ومعنى ذكر الغاسق والخاسد، فشخص من بينها الغاسق والخاسد والساحر؛ لخلفاء أمره، وأنه يلحق الإisan من حيث لا يشعر. فإن قلتَ: لم عرف بعض المستعاد منه دون بعضه؟

قلتُ: لأن كل نفاث في العقد آثم، لأنه فعل السحر وهو معصية، وليس الغاسق كذلك، بخلاف الخاسد، قلتُ: قد يحسد ولا يعصي إذا لم يظهر حسده أثر.

\* \* \*

## تفسير سورة الناس [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَالِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسَّاِسِ  
الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾**

فإن قلت: لم قيل **﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾** مضافا إليهم خاصة؟ قلت: لأن الاستعاذه وقعت من شر الوسواس في صدور الناس، فكانه قيل: أعوذ من شر الوسواس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمرهم، وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغث بعض الموالي إذا دهمه خطب بيده. فإن قلت: ما موقع **﴿مَالِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾**? قلت: هو عطف بيان لرب الناس كقولك: اذكر عمر أبا حفص الفاروق.

بين بـ "ملك الناس" ثم زيد بيانا بـ "إله الناس"؛ لأنه قد يقال لغير رب الناس؛ كقوله: **«أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَنَتِهِمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»**<sup>(١)</sup> وقد يقال: ملك الناس، فقد يطلق على الأدميين، وأما إله الناس، فلا ينطلق إلى على الله وحده. وإنما كرر الناس مع أن الفهم كاف بإثباته في الأول، فلو قال أعوذ برب الناس ملكهم لهم. وإنما جاء مكررا؛ لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار.

**﴿الْوَسَّاِسِ﴾** اسم يعني الوسوسة؛ كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فهو سوس (٣٥١) بـ بالكسر - كز لزال، والمراد به: الشيطان، سمي بالمصدر، لأنه وسوسة في نفسه الخفي، ومنه: وسواس الخل.

**﴿الْخَنَّاسِ﴾** الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخناس إذا ذكر الإنسان ربه خنس؛ أي: تأثر، وإذا غفل وسوس. **﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ﴾** يجوز في محله الحركات الثلاث، فاجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس<sup>(٢)</sup> على أن الشيطان ضربان: إنسني وجني.

وقيل: **﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾** بيان والناس ينطلق على الإنسني والجنبي. وقيل: الذي

(١) سورة التوبه، الآية (٣١).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/٨٣٤).

يُوسوس نارة يكون إنسيناً، وتارة يكون جنباً، كما قال - تعالى -: «شَيَّطِينَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّةَ يُوَسِّي بَعْضُهُمْ لِكَمَّ يَعْصِي رُتْبَتَهُ الْأَقْوَلَ غُرُورًا»<sup>(١)</sup> ولو كان اسم الناس ينطلق على القبيليتين وصح ذلك، وثبت لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن، وبعده عن التصنّع، ثم بين بقوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَالْكَافِرِ» أنهما الثقلان المخصوصان بالتكليف دون سائر المخلوقات ول يكن آخر الكلام: الحمد لله رب العالمين، والصلوة على أشرف السابقين والمصلين، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين (٣٥٢/١).

\* \* \*

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

## الفهارس العامة

أولاً : فهرس القراءات.

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار.

ثالثاً : فهرس الأشعار.

رابعاً : فهرس الأعلام.

خامساً : فهرس الأمثال.

سادساً : فهرس الأماكن والبلدان.

سابعاً : فهرس محتويات الجزء الثاني.

\* \* \*

## أولاً : فهرس القراءات

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٥١/١	الفاتحة: ٣	﴿تَبَّاكِ يَعْوِزُ الظَّرِيفُ﴾
٦٦/١	البقرة: ٥١	﴿وَإِذَا وَعَدْنَا مُوسَى﴾
٧٨/١	البقرة: ٩٦	﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَىٰ حَيَوَانَ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
٨١/١	البقرة: ١٠٦	﴿مَا نَسْخَنَّ مِنْ آيَةٍ أَوْ تُنسِهَا﴾
٨٤/١	البقرة: ١١٩	﴿وَلَا تُشْعِلُ عَنْ أَحَبَّبِ الْجَحَّمِ﴾
٣٥٠/١	البقرة: ١٩١	﴿وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قُتْلَوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾
٤٥٣/١	البقرة: ٢١٩	﴿مَاذَا يُفْغِفُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾
٣١٨/٢	البقرة: ٢٥٩	﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا﴾
١٢٢/١	البقرة: ٢٥٩	﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَئٍ قَدِيرٌ﴾
١٢٥/١	البقرة: ٢٧١	﴿وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾
١٢٩/١	البقرة: ٢٨٥	﴿وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ ءاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
١٣٣/١	آل عمران: ١٢	﴿قُلْ لِلَّاهِيْنِ كَفَرُوا﴾
١٣٦/١	آل عمران: ٣٠	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْصَرًا﴾
١٣٧/١	آل عمران: ٣٦	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾
١٣٨/١	آل عمران: ٣٧	﴿فَنَقْبَلَهَا رَبُّهَا يَبْقُولُ حَسِينٍ﴾
١٣٩/١	آل عمران: ٣٩	﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ﴾
١٤٤/١	آل عمران: ٧٩	﴿إِنَّمَا كُنْشَرُ تَعْلِمُونَ الْكِتَابَ﴾
٣٥٠/١	آل عمران: ١٩٥	﴿وَأُودُوا فِي سَكِيلٍ وَقُتْلُوا وَقُتْلُوا﴾
١٥٦/١	آل عمران: ١٤٦	﴿وَكَائِنٌ مِنْ تَجْيِيْقَتَلَ مَعْهُ﴾
١٥٦/١	آل عمران: ١٥٤	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْفَتْرَةِ أَمْنَةً شَاعِسًا يَغْشَى طَالِبَكَةَ مِنْكُمْ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
١٥٦/١	آل عمران: ١٦١	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَقُولَ وَمَنْ﴾
١٦٥/١	النساء: ١	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَسَأَلَنَّ بِهِ وَالْأَرْجَامَ﴾
١٧٦/١	النساء: ٢٩	﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِحْكَمَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾
١٧٨/١	النساء: ٣٣	﴿وَالَّذِينَ عَقدَتْ أَيْمَانَكُمْ﴾
١٧٧/١	النساء: ٣٣	﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيٍّ وَمَا تَرَكَ الْوَلَدَانِ وَالْأُقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقدَتْ أَيْمَانَكُمْ﴾
١٨٠/١	النساء: ٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا﴾
١٨١/١	النساء: ٤٣	﴿أَوْ جَاءَهُ أَحَدٌ مِنْ أَغْرَيْطِ أوْ لَمَسْمُمَ الْيَسَاءَ﴾
٢٠٣/١	النساء: ١٣٥	﴿وَإِنْ تَلُوْهُ أَوْ تُعْرِضُوهَا﴾
٢١٧/١	المائدة: ٦	﴿وَامْسَحُوهُ بِرُمْبَوْسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾
٦٧٠/١	المائدة: ٣٨	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقةُ﴾
٢٢٧/١	المائدة: ٥٧	﴿وَالْكُفَّارُ أَزْلَمُهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
٢٢٩/١	المائدة: ٦٠	﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾
٢٣١/١	المائدة: ٧١	﴿وَحَسِبُوهُ أَلَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾
٢٤/١	المائدة: ١١٢	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾
٢٥٩/١	الأنعام: ١٠٩	﴿وَمَا يُشَرِّكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٢٦٠/١	الأنعام: ١١١	﴿وَحَسَرَنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾
٢٦١/١	الأنعام: ١١٥	﴿وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾
٢٨٠/٢	الأنعام: ١٣٧	﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتْلَ أَوْ لَدِهِمْ﴾
٢٧٠/١	الأنعام: ١٥٤	﴿شُرَفَاءَتَنَا مُوسَى الْكَتَبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ﴾
٢٧٢/١	الأنعام: ١٦١	﴿قَمَلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾
٢٧٢/١	الأعراف: ٢٦	﴿وَلِيَامَ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾
٢٨٤/١	الأعراف: ٥٤	﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالثُّجُومُ مَسَحَّرَاتٍ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٢٨٤/١	الأعراف: ٥٧	﴿وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ أَرْيَانَهُ بُشَرًا﴾
٢٩٠/١	الأعراف: ١٠٥	﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾
٢٩٣/١	الأعراف: ١١١	﴿قَالُوا أَنْجِه وَأَخْاهُ وَأَرْسِلْ﴾
٢٩٣/١	الأعراف: ١٢٧	﴿لِيَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذْرُكُ وَإِلَيْهِنَّكُ﴾
٢٩٦/١	الأعراف: ١٤٣	﴿فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّ﴾
٢٩٨/١	الأعراف: ١٤٥	﴿سَأُورِيكُوكُ دَارَ الْفَنِيسِينَ﴾
٢٩٩/١	الأعراف: ١٤٨	﴿وَأَنْخَذَ قَوْمًا مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلَيْهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوار﴾
٣٠٠/١	الأعراف: ١٥٦	﴿قَالَ عَذَابٍ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءُ﴾
٣٠٢/١	الأعراف: ١٦٤	﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُوكُ﴾
٣٠٨، ١٢٥/١	الأعراف: ١٨٦	﴿مَنْ يُفْسِلِ اللَّهُ فَكَلَّ هَادِيَ لَهُ وَيَذْرُهُمْ فِي طُغْيَتِهِمْ يَعْمَلُونَ﴾
٣٠٨/١	الأعراف: ٢٠٢	﴿وَلِحَوَانُهُمْ يَمْدُو نَهْمَ فِي﴾
٣١٣/١	الأنفال: ١٨	﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُؤْنَهُ كَيْدُ الْكُفَّارِينَ﴾
٣١٩/١	الأنفال: ٥٩	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبُّوا إِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ﴾
٣٢٦/١	التوبه: ٣	﴿وَأَذَانٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
٣٢٩/١	التوبه: ١٢	﴿فَقَاتَلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا يَمِنُ لَهُمْ لِعَلَهُمْ يَنْتَهُونَ﴾
٣٣٣/١	التوبه: ٣٠	﴿وَقَاتَلَتِ الْيَهُودُ عَزْرَى بْنَ اللَّهِ﴾
٣٣٤/١	التوبه: ٣٠	﴿يُضْكِلُهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ﴾
٣٤٠/١	التوبه: ٦١	﴿قُلْ أَذْنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾
٣٥٠/١	التوبه: ١١١	﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾
٣٥١/١	التوبه: ١١٤	﴿وَمَا كَانَ أَسْتَغْفِرُ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَهُ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾
٣٥٨/١	يونس: ١٦	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوَّثُ مَعَكُمْ وَلَا أَذْرِكُمْ بِهِ﴾
٣٦٠/١	يونس: ٢٢	﴿هُوَ الَّذِي يَسِيرُكُوكُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٣٦١/١	يونس: ٢٧	﴿كَانَّا أَغْشَيْتُ وُجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنْ أَيْلَلٍ﴾
٣٦٢/١	يونس: ٣٠	﴿هُنَالِكَ تَبْلُوُ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾
٣٦٣/١	يونس: ٣٣	﴿أَتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٣٦٣/١	يونس: ٣٥	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شَرِّ كَبُرٍ﴾
٣٦٧/١	يونس: ٥٨	﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَبِّهِتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا﴾
٣٦٩/١	يونس: ٦١	﴿وَمَا يَعْزِزُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مُشْقَالٍ ذَرَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
٣٦٨/١	يونس: ٦٥	﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾
٣٧٠/١	يونس: ٧١	﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَسُرْكَأْكُمْ﴾
٣٧١/١	يونس: ٨١	﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ أَسْتَحْرِرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطَلُهُمْ﴾
٣٨٠/١	هود: ٢٧	﴿وَمَا نَرَكَ أَبْعَكَ إِلَّا أَلْدَيْكَ هُنْ أَرَادُنَا بِأَدَى الرَّأْيِ﴾
٣٨٤/١	هود: ٤٨	﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْيَطُ إِسْلَمٌ مِنَ وَرَبِّكَتِ عَيْنَكَ وَعَلَى أُمُرِّ مِنَ مَعْكَ﴾
٣٨٥/١	هود: ٥٠	﴿فَالْيَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
٣٩٠/١	هود: ٨١	﴿وَلَا يَلْنُفْتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنْرَأَنَّكَ﴾
٣٩٤/١	هود: ١٠٨	﴿وَأَنَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ﴾
٣٩٧/١	هود: ١٢٣	﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾
٣٩٩/١	يوسف: ١٢	﴿أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَاعِدًا يَرْتَعَ وَيَلْعَبَ﴾
٤٠١/١	يوسف: ١٩	﴿فَالْيَنْشُرَى هَذَا غَلَمْ﴾
٤٠٣/١	يوسف: ٢٤	﴿إِنَّهُ مِنْ عَبْدَنَا الْمُخَلَّصِينَ﴾
٤١٤/١	يوسف: ٩٠	﴿إِنَّهُ مَنْ يَسْتَقِ وَيَصْرِ﴾
٤١٤/١	يوسف: ٩٢	﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ أَيْمَمٌ يَعْقِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾
٤١٧/١	الرعد: ٣	﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيًّا وَأَنْبَرًا﴾
٤١٧/١	الرعد: ٤	﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَغْشَبِ وَزَرْعٍ وَنَجِيلٍ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٤٢٠/١	الرعد: ٥	﴿أَءَذَا كَانَ تُرِدُّ أَئْنَا لَقِيَ خَلْقَ جَدِيدٍ﴾
٤٢٣/١	الرعد: ١٧	﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَثْنَاءَ﴾
٤٢٦/١	الرعد: ٣٣	﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾
٤٢٨/١	الرعد: ٤٣	﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَبِ﴾
٤٢٩/١	إبراهيم: ٢	﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
٤٣٢/١	إبراهيم: ٢٢	﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخٍ كُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخٍ خَنْ﴾
٤٣٤/١	إبراهيم: ٣٤	﴿وَأَنْتُمْ كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَتْمُوهُ﴾
٤٣٧/١	إبراهيم: ٤٦	﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَرْزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾
٤٥٩/١	النحل: ٦١	﴿لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْقَدُونَ﴾
٤٥٩/١	النحل: ٦٢	﴿وَنَصِفُ أَسْبَاطَهُمُ الْكَذَبَ﴾
٤٦٠/١	النحل: ٦٢	﴿لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ أَنَّا رَ وَأَنَّهُمْ مُفْرُطُونَ﴾
٤٦٠/١	النحل: ٦٦	﴿شَفِيكُمْ مَمَّا فِي بُطُونِيهِ﴾
٤٧٢/١	الإسراء: ١٢	﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ الْتِينَ وَالْحَسَابَ﴾
٤٧٢/١	الإسراء: ١٦	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُنْتَهِهِا﴾
٤٣٧/١	الإسراء: ٨٣	﴿وَإِذَا أَقْعَدْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأْمَانِي﴾
٤٨٣/١	الإسراء: ١٠٢	﴿فَالَّتَّقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَذُولَةً إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
٤٨٥/١	الكهف: ١	﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَانًا﴾
٦١٠/١	الكهف: ١٩	﴿وَوَرَقُكُمْ هَذِهِ﴾
٤٩٤/١	الكهف: ٤٤	﴿هُنَالِكَ الْوَلَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِيقَ﴾
٤٩٨/١	الكهف: ٧٧	﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَحْذَنْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾
٥٠١/١	الكهف: ٨٦	﴿وَجَدَهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمَّةٍ﴾
٥٠٢/١	الكهف: ٩٨	﴿فَإِذَا جَاءَهُ وَعَذَرَيْ جَعَلَهُ دَكَانًا﴾
٥٠٣/١	الكهف: ٩٩	﴿وَيُفْخَى فِي الْأَصْوَرِ بِمِعْنَتِهِمْ جَمِيعًا﴾
٥٠٤/١	الكهف: ١٠٩	﴿أَنْهَدَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَمْتَ رَبِّي﴾
٥٠٥/١	مريم: ٦	﴿بِرِيشِي وَيَرِثُ مِنْ إِلَيْ يَعْقُوبَ﴾

الآية	السورة	الجزء والصفحة
﴿لَا هَبَّ لَكِ عَلَمًا زَكِيًّا﴾	مريم: ١٩	٥٠٩/١
﴿فَنَادَنَهَا مِنْ تَعْنِيهَا﴾	مريم: ٢٤	٥١١/١
﴿وَهُرِيَ إِلَيْكِ بِحِجَّعِ النَّحْلَةِ شَقَقَ عَلَيْكِ رُطْبًا﴾	مريم: ٢٥	٥١٢/١
﴿قَوْكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْرُونَ﴾	مريم: ٣٤	٥١٤/١
﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	مريم: ٣٥	٥١٤/١
﴿وَلَذِنَ اللَّهَ رِيفٌ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾	مريم: ٣٦	٥١٥/١
﴿إِنَّهُ كَانَ مُحْلَصًا﴾	مريم: ٥١	١١٨/١
﴿هَلْ تُحْشِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾	مريم: ٩٨	٥٢٦/١
﴿إِنَّ السَّاعَةَ إِلَيْهَا أَكَدُ أَخْفِيَها﴾	طه: ١٥	٥٣٠/١
﴿أَشَدُّ بَهْرَةً أَزْرِي﴾	طه: ٣١	٥٣٤/١
﴿وَأَضَلَّهُمُ الْسَّارِيُّ﴾	طه: ٨٥	٥٣٩/١
﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾	طه: ٨٦	٥٤٠/١
﴿لَتَحْرِفُنَّهُ ثُمَّ لَتَنْسَفَنَّهُ﴾	طه: ٩٧	٥٤٢/١
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الظَّلَاحِدِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾	طه: ١١٢	٥٤٥/١
﴿وَمِنْ مَا نَأَيْ إِلَيْنِي فَسَيْحٌ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ لَعَلَكَ تَرَضَنِ﴾	طه: ١٣٠	٥٤٨/١
﴿مَنَعَنَا بِهِ أَرْوَبَاهُ مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	طه: ١٣١	٥٤٩/١
﴿فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِيرُ عَلَيْهِ فَكَادَ﴾	الأنياء: ٨٧	٥٦٣/١
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ حَصْبٌ جَهَنَّمَ﴾	الأنياء: ٩٨	٥٦٦/١
﴿قَلَّ رَبٌ أَحْكَمَ بِالْحَقِّ﴾	الأنياء: ١١٢	٥٦٨/١
﴿فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَ﴾	الحج: ٣٦	٥٧٨/١
﴿وَالَّذِينَ سَعَوا فِي مَا يَنْتَنَا مُعَذِّبِينَ﴾	الحج: ٥١	٥٨/١
﴿تَبَثُّ بِالْدُّهُنِ﴾	المؤمنون: ٢٠	٣٨٥/٢
﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارِكًا﴾	المؤمنون: ٢٩	٥٩٠/١
﴿مُسْتَكْبِرِينَ يَهُ سَمِّرَاتَهُمْ جُرُونَ﴾	المؤمنون: ٧٢	٥٩٤/١
﴿فَأَخْذَنَنَّهُمْ سَخِيرًا حَقَّ أَنْسُوكُمْ﴾	المؤمنون: ١١٠	٥٩٦/١

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٦٧٠، ٥٩٧/١	النور: ١	﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَا وَرَضِّنَا﴾
٦٠١/١	النور: ١١	﴿وَالَّذِي قَوَّى كَرَمَهُ مِنْهُمْ﴾
٦٠٣/١	النور: ١٥	﴿إِذْ تَلْقَوْنَاهُ يَأْتِكُمْ﴾
٦٠٣/١	النور: ٢٢	﴿وَلَا يَأْتِي أُولُوا الْفَضْلِ﴾
٦٠٧/١	النور: ٣١	﴿وَلِيَصْرِقُنَّ بَحْرُرُهُنَّ عَلَى جِيُونُهُنَّ﴾
٦٠٨/١	النور: ٣١	﴿أَوِ التَّبِعِينَ غَيْرُ أُولَى الْإِرَادَةِ﴾
٦٠٩/١	النور: ٣١	﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٦١١/١	النور: ٣٤	﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مَا يَدْعُونَ مُبِينَ﴾
٦١٢/١	النور: ٣٥	﴿الْيَصِّاحُ فِي نُجَاجَةٍ﴾
٦١٢/١	النور: ٣٥	﴿كَانَهَا كَوْكِبُ دُرْيٍ﴾
٦١٣، ٦١٢/١	النور: ٣٦	﴿يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُوْرِ وَالْأَصَالِ﴾
٦١٣/١	النور: ٣٩	﴿أَعْمَلُهُمْ كُلَّبٌ بِقِيَّعَةٍ﴾
٦١٤/١	النور: ٤٠	﴿ظَلَمْتُمْ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾
٦١٦/١	النور: ٥١	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٦١٦/١	النور: ٥٢	﴿وَيَخْشَى اللَّهُ وَيَتَّقَهُ﴾
٦١٨/١	النور: ٥٣	﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾
٦١٨/١	النور: ٥٧	﴿لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾
٦٢٠/١	النور: ٥٨	﴿فَلَمَّا ثُغَرَتِ الْكُمَّ﴾
٦١٩/١	النور: ٥٩	﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمُ﴾
٦٢٥/١	الفرقان: ١	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ﴾
٦٢٦/١	الفرقان: ٥	﴿وَقَالُوا أَسْطَرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْهَا﴾
٦٢٨/١	الفرقان: ١٠	﴿وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾
٦٢٩/١	الفرقان: ١٧	﴿وَتَوَمَّ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
٦٣٠/١	الفرقان: ١٨	﴿فَالْأُولُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِي لَهَا أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلَيَّةً﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٦٣٠/١	الفرقان: ١٩	﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا نَوَّلْتُكُمْ فَمَا تَسْتَطِعُونَكُمْ صَرْفًا﴾
٦٣١/١	الفرقان: ٢٠	﴿وَرَيْسُنُوكُمْ فِي الْأَسْوَاقِ﴾
٦٣٢/١	الفرقان: ٢٥	﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ الْمَمَّا بِالْغَنَمِ﴾
٦٣٦/١	الفرقان: ٣٨	﴿وَعَادَا وَثَمُودًا وَأَمْحَى بَلْرَمَ﴾
٦٣٨/١	الفرقان: ٤٩	﴿لَتُخْعِيَ بِهِ يَلْدَةً مِنْنَا وَشَقِيقَةً مِنْنَا﴾
٦٤٠/١	الفرقان: ٥٩	﴿الرَّحْمَنُ فَسَلِّمْ بِهِ خَيْرًا﴾
٦٤١/١	الفرقان: ٦٠	﴿أَسْجُدُ لِمَا أَمْرَنَا﴾
٦٤١/١	الفرقان: ٦١	﴿وَجَعَلَ فِيهَا سَرَجًا وَقَمَرًا﴾
٦٤٢/١	الفرقان: ٦٣	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَسْتَوْنَ﴾
٦٤٤/١	الفرقان: ٦٩	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْقَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا﴾
٦٤٤/١	الفرقان: ٦٧	﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾
٦٤٥/١	الفرقان: ٦٨	﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَأْتِي أَثَاماً﴾
٦٤٦/١	الفرقان: ٦٩	﴿وَيَحْلِدُ فِيهِ مَهَاجَانًا﴾
٦٤٦/١	الفرقان: ٧٤	﴿هَتَ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّنَا قُرَّةً أَعْيُنَ﴾
٦٤٧/١	الفرقان: ٧٥	﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا أَصْيَاهَ وَسَلَامًا﴾
٦٤٨/١	الفرقان: ٧٧	﴿فَقَدْ كَذَّبُتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَزَاماً﴾
٦٤٩/١	الشعراء: ٣	﴿لَعْلَكَ بَنْتَعْ فَقْسَكَ﴾
٦٤٩/١	الشعراء: ٤	﴿فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَمَّا خَضَعُوهُنَّ﴾
٦٥١/١	الشعراء: ١١	﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ أَلَا يَنْقُونَ﴾
٦٥٢/١	الشعراء: ١٣	﴿وَيَضْبِقُ صَدَرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾
٦٥٤/١	الشعراء: ١٨	﴿وَلَيَشَتَّ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾
٦٥٥/١	الشعراء: ٢٠	﴿فَالْفَعَلَنَهَا إِذَا وَأْنَا مِنَ الْضَّالِّينَ﴾
٦٥٨/١	الشعراء: ٥١	﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٦٥٩/١	الشعراء: ٦١	﴿فَلَمَّا تَرَكَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْبَحْتُ مُوَجَّهًا إِلَيْكُوكَنَّ﴾
٦٥٩/١	الشعراء: ٦٣	﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوِيدِ الْعَظِيمِ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٦٥٩/١	الشعراء: ٦٤	﴿وَأَرْلَمْنَا لَمَّا الْأَخْرَيْنَ﴾
٦٦٠/١	الشعراء: ٧٢	﴿فَالَّذِي هُنَّ مُسْمَعُونَ كُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾
٦٦٣/١	الشعراء: ١١١	﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَأَتَبْعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾
٦٦٤/١	الشعراء: ١٢٨	﴿أَتَبْتُوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ مَّا يَأْتِي﴾
٦٦٥/١	الشعراء: ١٢٩	﴿وَتَسْجِدُونَ مَصْبَاحَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾
٦٦٥/١	الشعراء: ٣٧	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾
٦٦٧/١	الشعراء: ١٦٦	﴿وَتَذَرُّونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ أَرْوَاهُكُمْ﴾
٦٦٨/١	الشعراء: ١٩٧	﴿أَوَزَرِيْكُمْ لَمَّا مَاتَتْ﴾
٦٦٩/١	الشعراء: ٢٠٨	﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا هُمْ مُنْذَرُونَ﴾
٦٧٠/١	الشعراء: ٢٢٤	﴿وَالشَّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الظَّافَوْنَ﴾
٥/٢	النمل: ٧	﴿أَفَعَانَكُمْ شَهَابٌ فَبِسٌ﴾
١٠/٢	النمل: ١٨	﴿حَقٌّ إِذَا أَنْتُ عَلَى وَادِ النَّمَلِ﴾
١٣/٢	النمل: ٢٥	﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّةَ﴾
١٤/٢	النمل: ٣١	﴿أَلَا تَعْلُوْنَ عَلَى﴾
١٦/٢	النمل: ٤١	﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾
١٦/٢	النمل: ٤٣	﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَفِيرِينَ﴾
١٨/٢	النمل: ٤٩	﴿قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ مَا نَبْيَثُ﴾
١٩/٢	النمل: ٤٩	﴿مَا شَيَّهْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾
١٩/٢	النمل: ٥١	﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾
٢٠/٢	النمل: ٥٦	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾
٢٢/٢	النمل: ٦١، ٦٢، ٦٣	﴿أَإِنَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾
٢٣/٢	النمل: ٦٥	﴿وَمَا يَشْرُونَ إِيَّانَ مَيْغَرُونَ﴾
٢٦/٢	النمل: ٨٢	﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ شَكِّلْمُهْنَ﴾
٢٩/٢	النمل: ٨٩	﴿وَهُمْ مِنْ فَرَعَ يَوْمَيْنِ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٣٠ / ٢	النمل: ٩١	﴿رَبِّ هَذِهِ الْأَرْضَ الَّذِي حَرَمَهَا﴾
٣٢ / ٢	القصص: ٨	﴿لَيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا﴾
٣٣ / ٢	القصص: ١١	﴿فَبَصَرَتِ يَهُودَةً عَنْ جُنُبٍ﴾
٥٠٦ / ١	القصص: ٣٤	﴿فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رَدَمًا يُصَدِّقُ فِي﴾
٣٨ / ٢	القصص: ٣٩	﴿وَظَاهِرُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرِجُّونَ﴾
٤٥ / ٢	القصص: ٧٧	﴿وَابْتَغُ فِيمَا آتَانَا﴾
٤٦ / ٢	القصص: ٧٢	﴿لَوْلَا أَنَّمَّا اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسْفَ بِنَا﴾
٤٩ / ٢	العنكبوت: ٣	﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَفُوا﴾
٥٣ / ٢	العنكبوت: ٢٤	﴿فَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ﴾
٥٣ / ٢	العنكبوت: ٢٥	﴿مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الَّذِيَا﴾
٦٠ / ٢	العنكبوت: ٥٨	﴿لَتُبَوْتَهُمْ مِنْ أَجْنَبَةٍ عَرَفًا﴾
٦٢ / ٢	الروم: ٢	﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾
٦٣ / ٢	الروم: ٤	﴿إِلَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ﴾
٦٦ / ٢	الروم: ١٧	﴿فَسَبَّحَنَ اللَّهُ حِينَ تَسْوُرَتْ وَحْيَنَ تُصْبِحُونَ﴾
٦٨ / ٢	الروم: ٢٢	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْنَ لِلْعَلَمِيْنَ﴾
٦٩ / ٢	الروم: ٢٥	﴿إِذَا أَشْرَقَ نَهْرُجُونَ﴾
٧١ / ٢	الروم: ٣٢	﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِيْنَهُمْ﴾
٧٦ / ٢	لقمان: ٣	﴿هُدَى وَرَحْمَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ لِيُضْلَلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٧٨ / ٢	لقمان: ٦	﴿لِيُضْلَلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٨٠ / ٢	لقمان: ١٦	﴿يَكْبِقُ إِلَيْهَا إِنْ تَكُ مُشَقَّالَ حَبَّةً﴾
٨١ / ٢	لقمان: ١٨	﴿وَلَا تَصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ﴾
٨٣ / ٢	لقمان: ٢٠	﴿وَأَسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً﴾
٨٤ / ٢	لقمان: ٢٢	﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾
٨٥ / ٢	لقمان: ٢٧	﴿وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾
٨٦ / ٢	لقمان: ٣١	﴿الْأَمْرُ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٨٧/٢	لهمان: ٣٣	﴿وَلَا يُغْرِيَنَّكُم بِاللهِ الْفَرُورُ﴾
٩١/٢	السجدة: ٧	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾
٩٢/٢	السجدة: ١٠	﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾
٩٤/٢	السجدة: ١٧	﴿مَا أَخْفَى لَهُم مِّنْ فُرَّةٍ﴾
٣٨٩/١	الأحزاب: ٦	﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ﴾
٤٤٥/١	الأحزاب: ٦	﴿وَأَرْوَحَهُ أُمَّهَنُّم﴾
١٠٣/٢	الأحزاب: ١٠	﴿وَنَطَّنُونَ بِاللهِ الظُّنُنَ﴾
١٠٤/٢	الأحزاب: ١٤	﴿تُمْ سُلِّمُوا الْفِتْنَةَ لَآنَوْهَا﴾
١٠٨/٢	الأحزاب: ٢٦	﴿وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِم الرُّغْبَ﴾
١١١/٢	الأحزاب: ٢٨	﴿فَنَعَالِيَنَ امْتَعْكِنَ وَاسْرِيَكِنَ﴾
١١٣/٢	الأحزاب: ٣٣	﴿وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَ﴾
١١٦/٢	الأحزاب: ٣٦	﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمْ لَحْيَةٌ﴾
١١٩/٢	الأحزاب: ٤٠	﴿وَلَنَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾
١٢٢/٢	الأحزاب: ٤٩	﴿فَمَا كُلُّمْ عَيْنِهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْنَدُونَهَا﴾
١٢٤/٢	الأحزاب: ٥٠	﴿وَأَمْرَأَةٌ مُّؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾
١٢٦/٢	الأحزاب: ٥٣	﴿وَاللهُ لَا يَسْتَعِي، مِنَ الْحَقِّ﴾
١٣٦/٢	سبأ: ٣	﴿وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبُرُ﴾
١٣٧/٢	سبأ: ١٢	﴿وَإِلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوهاً شَهْرٌ﴾
١٣٩/٢	سبأ: ١٤	﴿مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِيهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾
١٤١/٢	سبأ: ١٧	﴿وَهَلْ بُحْرَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾
١٤٤/٢	سبأ: ٢٣	﴿فَأُلُو الْحَقِّ وَهُوَ أَعْلَمُ الْكَبِيرِ﴾
١٤٥/٢	سبأ: ٣٠	﴿قُلْ لَكُمْ مِّيعَادٌ يَوْمٌ﴾
١٥٢/٢	سبأ: ٤٨	﴿عَلَمَ الْغَيُوبِ﴾
١٥٩/٢	فاطر: ١٠	﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بَرْفَعَهُ﴾
١٦٥/٢	فاطر: ٣٥	﴿وَلَا يَمْسَنَا فِيهَا لَغُوبٌ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
١٦٦/٢	فاطر: ٣٦	﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾
١٧٠/٢	يس: ١	﴿يُس﴾
١٧٠/٢	يس: ٥	﴿تَزِيلُ الْعَرَبَيْنَ أَرَجَمِ﴾
١٧٢/٢	يس: ٩	﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَانًا وَمَنْ خَلَفَهُمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾
١٧٦/٢	يس: ٢٩	﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَحْدَةً﴾
١٧٧/٢	يس: ٣٢	﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَنِيَا﴾
١٧٨/٢	يس: ٣٨	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا﴾
١٧٨/٢، ١٤٢/١	يس: ٣٩	﴿وَالْقَمَرُ قَدَرَنَاهُ مَنَارِلَ﴾
٣٣٤/١	يس: ٤٠	﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾
١٨١/٢	يس: ٥١	﴿وَيُفْخَنُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْمَادِ إِلَى رَبِّهِمْ يَرْسَلُونَ﴾
١٨١/١	يس: ٥٢	﴿فَأُولَئِنَّا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾
١٨٢/٢	يس: ٥٣	﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَحْدَةً﴾
١٨٣/٢	يس: ٥٥	﴿فِي شَعْلٍ فَكَهُونَ﴾
١٨٤/٢	يس: ٦٢	﴿وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ حِلَالًا كَثِيرًا﴾
١٩٠/٢	الصفات: ٦	﴿بِرِبِّةِ الْكَوَافِكِ﴾
١٩٢/٢، ٤١٩/١	الصفات: ١٢	﴿بِكُلِّ عَجَبٍ وَسَرَّحُونَ﴾
١٩٣/٢	الصفات: ١٧	﴿أَوْ إِبَابُونَا الْأَرْلُونَ﴾
١٩٥/٢	الصفات: ٤٧	﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنَزَّفُونَ﴾
١٩٦/٢	الصفات: ٥٢	﴿أَئْنَكُمْ لَيْلَ الْمَصَيْقِنَ﴾
٢٠٥/٢	الصفات: ١٢٣	﴿وَإِنَّ إِلَيْكَ لَيْلَ الْمُرْسَلِينَ﴾
٢٠٥/٢	الصفات: ١٣٠	﴿سَلَّمْ عَلَيْكَ إِلَى يَاسِينَ﴾
٢٠٨/٢	الصفات: ١٦٣	﴿وَلَا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَعْمِ﴾
٢١١/٢	ص: ١	﴿صٌ وَالْقُرْمَانِ ذِي الْذِكْرِ﴾
٢١١/٢	ص: ٢	﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عَرَقٍ وَشَقَاقٍ﴾
٢١٣/٢	ص: ٥	﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ بَعْجَابٌ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٢١٥ / ٢	ص: ١٥	﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾
٢٣٠ / ٢	ص: ٢٣	﴿قَالَ فَلَمَّا وَلَحِقَ أَقُولٌ﴾
٢٢٠ / ٢	ص: ٣٣	﴿مَسْحًا بِالشَّوْقِ وَالْأَغْنَاقِ﴾
٢٢٤ / ٢	ص: ٤١	﴿يُنْصِبُ وَعَذَابٍ﴾
٢٢٧ / ٢	ص: ٥٨	﴿وَمَا حَرَّ منْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾
٢٣١ / ٢	الزمر: ١	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُ﴾
٢٣١ / ٢	الزمر: ٢	﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُنِصَّا لَهُ الْتَّيْمِ﴾
٢٣٥ / ٢	الزمر: ٨	﴿لَيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ﴾
٢٣٥ / ٢	الزمر: ٩	﴿أَمْنٌ هُوَ قَنْتٌ﴾
٢٣٥ / ٢	الزمر: ٩	﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾
٢٤٠ / ٢	الزمر: ٣٣	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْعِدْقِ وَصَدَقَ بِهِ﴾
٢٤١ / ٢	الزمر: ٣٦	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ﴾
٢٤١ / ٢	الزمر: ٣٨	﴿هَلْ هُرِبَ مُؤْسَكُتُ رَحْمَتِهِ﴾
٢٤١ / ٢	الزمر: ٣٨	﴿هَلْ هُنَّ كَيْشَفَتُ صُرُورَهُ﴾
٢٤٤ / ٢	الزمر: ٥٣	﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الْذُنُوبَ جَيْعًا﴾
٢٤٧ / ٢	الزمر: ٦٧	﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِينَتُ بِسَمِينَهُ﴾
٢٤٧ / ٢	الزمر: ٦٨	﴿قِيَامٌ يَظْرُونَ﴾
٢٥٦ / ٢	غافر: ٢٨	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾
٤٢٦ / ١	غافر: ٣٧	﴿وَصَدَّ عَنِ السَّيِّلِ﴾
٢٥٩ / ٢	غافر: ٤٨	﴿وَرَأَنَا كُلُّ فِيهَا﴾
٢٦٤ / ٢	غافر: ٧١	﴿إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْتَقَهُمْ﴾
٢٦٨ / ٢	فصلت: ٤	﴿بَشِّرُوا وَنَذِرُوا فَأَعْرَضُوا﴾
٢٦٨ / ٢	فصلت: ٥	﴿وَفِي إِذَا دَانَاهَا وَقَرُّ﴾
٢٧٨ / ٢	فصلت: ٦	﴿فَلَمَّا آتَاهَا بَشَّرُوا﴾
٢٧٢ / ٢	فصلت: ١٦	﴿أَنْذِيَهُمْ عَذَابَ الْحَزِيرِ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٢٧٩/٢	فصلت: ٥١	﴿أَغْرَضَ وَنَّا بِحَانِسِهِ﴾
٢٨١/٢	الشوري: ٥	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَقْطَرُنَ﴾
٢٨٢/٢	الشوري: ٧	﴿وَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾
٢٩٠/٢	الشوري: ٣٥	﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يَجْدِلُونَ﴾
٣٠٦/٢	الزخرف: ٥	﴿أَنْ كَثُرْتُمْ فَوْمَا مُشْرِفُونَ﴾
٢٩٩/٢	الزخرف: ١٧	﴿ظَلَّ وَجْهُهُمْ، مُسَوَّدًا﴾
٣٠٢/٢	الزخرف: ٣٥	﴿وَإِنْ كُثُرْتُمْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعْ﴾
٣٠٣/٢	الزخرف: ٣٦	﴿وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾
٣٠٣/٢	الزخرف: ٣٨	﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ﴾
٣٠٦/٢	الزخرف: ٥٣	﴿فَلَوْلَا أَتَيْتُهُ أَسْوَرَةً مِنْ ذَهَبٍ﴾
٣٠٧/٢	الزخرف: ٥٧	﴿إِذَا قَوْمٌكَ مِنْهُ يَصْدِرُونَ﴾
٣٠٨/٢	الزخرف: ٦١	﴿وَإِنَّهُ لِعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾
٣١١/٢	الزخرف: ٨٨	﴿وَقَبِيلِهِ، يَتَرَبَّتِ﴾
٣١٩/٢	الدخان: ٥٤	﴿وَذَوَاجْتَهُمْ حُمُورٌ عَيْنٌ﴾
٣٢٠/٢	الدخان: ٥٧	﴿فَضَلَّمِنْ رَبِّكَ﴾
٣٢١/٢	الجائحة: ٤	﴿مَا يَدْلِي لِقَوْمٍ بِوْقَنُونَ﴾
٣٢٢/٢	الجائحة: ١٣	﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾
٣٢٥/٢	الجائحة: ٢٠	﴿هَذَا بَصَرٌ لِلنَّاسِ﴾
٣٢٥/٢	الجائحة: ٢١	﴿سَوَاءٌ تَحْيَا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾
٣٢٦/٢	الجائحة: ٢٣	﴿أَفَرَمَيْتَ مَنْ أَخْنَدَ إِلَهَهَهُ﴾
٣٢٧/٢	الجائحة: ٢٤	﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾
٣٢٨/٢	الجائحة: ٣٢	﴿وَالسَّاعَةُ﴾
٣٢٩/٢	الأحقاف: ٤	﴿أَنْرَقَ مِنْ عَلِيهِ﴾
٣٣٠/٢	الأحقاف: ٥	﴿مَنْ لَا يَسْتَحِبُّ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾
٣٥٣/٢	الأحقاف: ٩	﴿فُلْ مَا كُنْتُ يَدْعَأَ مِنَ الرُّسْلِ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٣٣٨/٢	الأحقاف: ٢٨	﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾
٣٥٣/٢	الفتح: ٩	﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾
٣٥٧/٢	الفتح: ٢٥	﴿وَالْمُذَى مَعْكُوفًا أَن يَلْعَنْ مَحْمَدًا﴾
٣٥٩/٢	الفتح: ٢٩	﴿شَهَادَ رَسُولُ اللَّهِ﴾
٣٦١/٢	الحجرات: ١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُنَقِّمُوا﴾
٣٧٠/٢	ق: ٣	﴿أَوَذَا مِنَنَا وَكُنَّا زَانِي﴾
٣٧١/٢	ق: ٥	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَاجَاهُمْ﴾
٣٧١/٢	ق: ١٠	﴿وَالنَّحْلَ بِاسْقَتِي﴾
٣٧٣/٢	ق: ٢٢	﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾
٣٧٤/٢	ق: ٢٢	﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غَطَاءَكَ﴾
٣٧٥/٢	ق: ٢٤	﴿أَلْقَيْنَا فِي جَهَنَّمْ﴾
٣٧٧/٢	ق: ٣٦	﴿فَنَبَّوْا فِي الْلَّدِيدِ﴾
٣٧٨/٢	ق: ٣٨	﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبِ﴾
٣٧٨/٢	ق: ٤٠	﴿وَأَذْبَرَ الشَّجُورِ﴾
٣٨٤/٢	الذاريات: ٢٣	﴿تَثْلِيلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطَلِلُونَ﴾
٣٨٨/٢	الذاريات: ٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
٣٩٤/٢	الطور: ٣٤	﴿فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُّتَلِّهٍ﴾
٣٩٨/٢	النجم: ١٢	﴿أَفَتَسْتَرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾
٣٩٩/٢	النجم: ١٩	﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْكَلَتَ وَالْعَزَى﴾
٣٩٩/٢	النجم: ٢٠	﴿وَمِنْوَةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى﴾
٤٠٠/٢	النجم: ٢٢	﴿إِنَّكَ إِذَا قَسْمَهُ ضَيْرَى﴾
٤٠٢/٢	النجم: ٣٧	﴿وَأَنْزَرَهُمَ الَّذِي وَقَاتَ﴾
٤٠٤/٢	النجم: ٤٢	﴿وَأَنَّ إِلَيْكَ رَبِيعَ النَّشَئِ﴾
٤٠٥/٢	القمر: ١	﴿وَأَنْشَقَ الْقَمَرَ﴾
٤٠٨/٢	القمر: ١٤	﴿جَرَاهَ لِمَنْ كَانَ كُفَّارَ﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٤٠٩/٢	القمر: ٢٤	﴿أَشْرَكُ مِنَا وَجْهًا﴾
٤١٠/٢	القمر: ٢٦	﴿سَيَعْمَلُونَ غَدًا﴾
٤٢٠/٢	الرحمن: ٧٠	﴿فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَانٌ﴾
٤٢٠/٢	الرحمن: ٧٦	﴿وَرَفِيْ حُضْرٍ وَعَبْرَيْ حَسَانٍ﴾
٤٢١/٢	الرحمن: ٧٨	﴿تَبَرَّكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْحَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾
٤٢٣/٢	الواقعة: ٢٢	﴿وَحُورٌ عَنِ﴾
٤٢٥/٢	الواقعة: ٢٩	﴿وَطَلْحَ مَضُورٌ﴾
٤٢٦/٢	الواقعة: ٣٢	﴿وَنَكِهَةٌ كَثِيرٌ﴾
٤٣٤/٢	الحديد: ١٠	﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْكِنَ﴾
٤٤٤/٢	المجادلة: ٧	﴿كَلَّا إِلَّا هُوَ رَاعِيْهِمْ وَلَا حَسَنَةٌ﴾
٤٤٤/٢	المجادلة: ١١	﴿فَسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾
٤٤٧/٢	المجادلة: ١٦	﴿أَنْذَدُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً﴾
٤٥١/٢	الحشر: ٥	﴿فَآيْمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فِي أَذْنِ اللَّهِ﴾
٤٥٥/٢	الحشر: ١٧	﴿خَلِدَيْنِ فِيهَا﴾
٤٥٦/٢	الحشر: ٢٣	﴿الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ﴾
٤٥٦/٢	الحشر: ٢٣	﴿الْمَلِكُ الْقَدُوسُ﴾
٤٥٩/٢	المتحتون: ١	﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾
٤٦٩/٢	الجمعة: ١	﴿الْمَلِكُ الْقَدُوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٤٨٠/٢	الطلاق: ١	﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾
٤٨٢/٢	الطلاق: ٧	﴿لِسْقِقَ دُوْسَعَةَ مِنْ سَعَيْدَةِ﴾
٤٨٦/٢	التحرير: ٦	﴿فَوْأَنْفَسَكُوْ وَأَهْلِيْكُوْ﴾
٥٠٢/٢	الحقة: ٧	﴿وَنَمِنْيَةَ أَيْمَ حُشُومَا﴾
٥٠٢/٢	الحقة: ٩	﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنَ وَمِنْ قَبْلَهُ﴾
٥٠٦/٢	المعارج: ١	﴿سَأَلَ سَأِيلٌ﴾
٥٠٨/٢	المعارج: ١٦	﴿نَزَاعَةَ لِشَوَى﴾

الجزء والصفحة	السورة	الآية
٥١٤/٢	نوح: ٢٢	﴿وَلَا نَذِرْنَ وَدًا وَلَا سُواعًا﴾
٥١٥/٢	نوح: ٢٥	﴿سَمَّا خَطِيَّتْهُمْ أَغْرِقُوا﴾
٥١٧/٢	الجن: ١	﴿فَلَأُوحِيَ إِلَيَّ﴾
٥١٩، ٥١٨/٢	الجن: ٣	﴿وَإِنَّهُ تَعْلَمُ بَعْدَ رِبَّنَا﴾
٥١٨/٢	الجن: ٤	﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَقِيهِنَا﴾
٥١٩/٢	الجن: ٥	﴿أَنَّ لَنْ تَقُولَ﴾
٥١٨/٢	الجن: ٦	﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَجَالُ مِنَ الْأَنْوَافِ﴾
٥٢٢/٢	الجن: ١٩	﴿وَإِنَّهُ مَلَكًا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾
٥٢٨/٢	المزمول: ٦	﴿وَأَقْوَمُ قِيلَّا﴾
٥٣١/٢	المزمول: ١٨	﴿السَّمَاءَ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾
٥٣١/٢	المزمول: ٢٠	﴿وَنَصْفَهُ، وَثُلُثَهُ،﴾
٥٣٣/٢	المدثر: ٦	﴿وَلَا تَمْنَنْ شَسْكِنْدَرُ﴾
٥٣٧/٢	المدثر: ٣٣	﴿وَأَتَيْلِ إِذْ أَذْبَرَ﴾
٥٣٨/٢	المدثر: ٣٦	﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾
٥٣٩/٢	المدثر: ٥٠	﴿حُمْرٌ مُّسْتَفِرَةٌ﴾
٥٤٢/٢	القيامة: ٢	﴿وَلَا أُقْسِمُ﴾
٥٤٣/٢	القيامة: ٤	﴿بِكَ قَدِيرِينَ﴾
٥٤٨/٢	الإنسان: ٤	﴿سَلَسَلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾
٥٥١/٢	الإنسان: ١٤	﴿وَدَائِيَةً عَنْهُمْ طَلَلُهَا﴾
٥٥١/٢	الإنسان: ١٦، ١٥	﴿فَوَارِرًا * فَوَارِرًا﴾
٥٥٢/٢، ٤٢٢/١	الإنسان: ٢١	﴿عَلَيْهِمْ شَابُ سُنْدِينْ حُمْرٌ وَاسْتَرْقُ﴾
٥٥٥/٢، ٥١٧/٢	المرسلات: ١١	﴿وَلِإِذَا الرُّشْدُ أَفْتَ﴾
٥٥٥/٢	المرسلات: ١٧	﴿تَنْبِيَهُمُ الْأَخْرَيْنَ﴾
٥٥٦/٢	المرسلات: ٣٢	﴿بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ﴾

الآية	السورة	الجزء والصفحة
﴿عَمَّ يَنْسَاءُ لَوْنَ﴾	النبا: ١	٥٥٨/٢
﴿وَكُلَّ شَقِّ أَحْصَيْتَهُ﴾	النبا: ٢٩	٥٦٠/٢
﴿رَبِّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾	النبا: ٣٧	٥٦١/٢
﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذَرَرَهَا﴾	النازعات: ٤٣	٥٦٧/٢
﴿فَنَفَعَهُ الْذِكْرُ﴾	عبس: ٤	٥٦٩/٢
﴿وَإِذَا الْمَوْهَدَةُ سُلِّتُ﴾	التكوير: ٨	٥٧٤/٢
﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْقَيْبِ بِضَيْنِ﴾	التكوير: ٢٤	٥٧٥/٢
﴿فَسَوْنَكَ فَعَدَلَكَ﴾	الانفطار: ٧	٥٧٨/٢
﴿شَمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الْزِيْرِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾	الانفطار: ١٩، ١٨	٥٧٩/٢، ٢٤٢/١
﴿أَنَّهُمْ مَبْغُوثُونَ﴾	المطففين: ٤	٥٨٢/٢
﴿أَنْقَلَبُوا فَكِهِنَ﴾	المطففين: ٣١	٥٨٤/٢
﴿فِي لَوْجٍ مَخْوُظٍ﴾	البروج: ٢٢	٥٩٠/٢
﴿لَمَّا عَانَهَا حَافِظٌ﴾	الطارق: ٤	٥٩١/٢
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	الأعلى: ١٦	٥٩٥/٢
﴿عَالِمَةٌ نَاصِبةٌ﴾	الغاشية: ٣	٥٩٧/٢
﴿تَصْلِي نَارًا حَامِيَةً﴾	الغاشية: ٤	٥٩٧/٢
﴿بِسَادٍ * إِرَمَ دَاتَ الْمَادَ﴾	الفجر: ٧، ٦	٦٠٠/٢
﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾	البلد: ٢٠	٦٠٦/٢
﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾	البينة: ٦	٦٢٢/٢
﴿إِنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَ يَوْمِنِ﴾	العاديات: ١١	٦٢٦/٢
﴿وَنَلْ لِكُلِّ هُمَزَقْ لُمَزَقَ﴾	الهمزة: ١	٦٣٠/٢
﴿وَأَمْرَأَهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾	المسد: ٤	٦٧٠/١
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص: ١	٣٣٤/١

## ثانياً : فهرس الأحاديث والأثار

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٩٨ / ١		آتنا غدائنا
٣٦٦ / ٢		آخر وطنة وطنها الله
٢٨٩ / ٢	عمر	الآن تمطرون
٥٩٠ / ١		الآن حين هي الوطيس
٤٦٣ / ٢		أبىعك على ألا تشركن بالله
٥٢٠ / ١		أبطأت على
١٧٣ / ٢	جابر	أبق على مسكنك
٣٢٢ / ١	عمر	أبكى لما عرض علي من عذاب قومك
٤٣٦ / ١		ابن آدم عندك ما يكفيك
١٠ / ١	علي بن أبي طالب	ابن عباس كانها ينظر إلى الغيب
٥٧١ / ٢	عمر	اتبعوا ما تبين لكم
٦٥٥ / ١		أتحب أن تراها عريانة
١١٧ / ٢	ابن عباس	أختارني أم اختار أباك
١٤٩ / ١		أندعون بدعوى الجاهلية
٣٤٥ / ١		أتصلي عليه وقد قال يوم كذا
٢٥٦ / ٢	عمرو بن العاص	أقتلون رجلاً أن يقول رب الله
٣٩٠ / ٢	جبير بن مطعم	أيت النبي ﷺ أكلمه
١٥٧ / ١	ابن عباس	اثبت بنا يا رسول الله في منازلنا
٥٩١ / ٢		اجعلوها في ركوعكم
٥٩١ / ٢		اجعلوها في سجودكم
٣٣٩ / ٢		اجلس هاهنا
٤٣١ / ٢	ابن عمر	أحب إلى ألا يقرأ إلا وهو ظاهر
٦٤٢ / ١	أبو هريرة	أحبب حبيبك هوئا ما
٩ / ١	مجاهد	أحب الخلق إلى الله أعلمهم
٦٠٧ / ١		احتاجنا
٢٣٧ / ١	ابن عباس	أحتجنا هذا لاعمنا هذا أم للأبد
١٦٧ / ٢	المقداد بن الأسود	إحدى سوءاتك يا مقداد
٢٢٣ / ٢	الحجاج	أحسد مني من قال
٥٤٩ / ٢	عائشة	احفظ ما يقولون
٣١٥ / ١		أهل لنا ميتان
٣٧٤ / ٢	الحسين بن عبد الله	أخالفها، هو لكل بر وفاجر
٥٤٠ / ٢	الأخنس بن شريق	أخبرني عن القيامة

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٥٨/٢	علي	أخرج الكتاب
٣٠٠/٢	عمر	اخشو شنوا
٩٤/٢	الحسن	أخفى القوم أعمالهم في الدنيا
٢٧٥/٢	عثمان	أخلصوا العمل
٢٨٨/٢	أبو سعيد الخدري	أخوف ما أخاف على أمتي
١٢٦/٢	أنس	ادعوا الناس
٢٧٥/٢	علي	أدوا الفرائض
٤٥٠، ٢٨٨/١		إذا استأثر الله بشيء
٢٢٢-٢٢١/١	أبو موسى الأشعري	إذا التقى المسلمان بسيفيهما
١٣٩/٢	سلیمان عليه السلام	إذا أمرت بي فأعلمني
٤٤٣/٢	الشافعی	إذا امتنع لاترافعه المرأة
٥٩٩/١	مالك والشافعی والجمهور	إذا تاب القاذف قبلت شهادته
٤٢٠/٢	أبو حنيفة	إذا حلف لا يأكل فاكهة
٤١٧/٢	ابن عباس	إذا خرجوا من قبورهم
٦٢٢/١	ابن عباس	إذا دخلت المسجد فقل
٦٠٨/١	عائشة	إذا دفتني وتركتني في القبر
١٢٠/١	أبو هريرة	إذا ذهبت إلى فراشك فاقرأ
٥٢٣/١	أبو مسعود الأنصاري	إذا لم تستح فاصنع
٤٤٣/٢	أبو حنيفة	إذا لم يكفر المظاهر
٥٤٦/٢	ابن عمر	إذا مشت أمتى الطيطاء
٥٧٥/٢		إذن ترعد أنوف كثيرة
٣١٠/١	سعد بن أبي وقاص	اذهب فاطرحة في القبض
٣١١/١	سعد بن أبي وقاص	اذهب فخذ السيف
٣٤٥/١		أراد النبي أن يصلى على عبد الله
٢١٣/٢		رأيتم إن أعطيتكم ما سألتم
٦٤١/٢		رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً
٥٤٣/١	كعب	الأرض كلها هي الصور
١٢٦/٢	أنس	ارفعوا طعامكم
٦٠٥/١	أبو موسى الأشعري	الاستذان ثلاث
١٠٦/١		استأذن ابن سلام أن يقرأ
٦٠٥/١	عمرو بن سعيد الثقفي	استأذن رجل على النبي ﷺ
٤٣٧/٢	ابن عباس	استبطأ الله قلوب المؤمنين
٢٧٥/٢	عمر	استقاموا على الطريقة
٥٦٥/١	أم سلمة	استيقظ رسول الله ﷺ من نومه

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
١٨٧/١	عبد الله بن الزبير	اسق يا زير ثم احبس الماء
١٨٧/٢	عبد الله بن الزبير	اسق يا زير ثم أرسل الماء
٣٦٢/٢	مسروق	اسقيه عسلا
١٠٩/٢		أسلم في منازلكم
٩٥/٢	علي	اسكت فإنك فاسق
٦٢٥/٢	عمر	أشرق ثير
١٢٨/١	ابن عباس	أشهد أن السلم أحله الله
١١٧/٢	ابن عباس	اشهدوا أن هذا ابني
١٧٢/١	عمربن الخطاب	أصابت امرأة وأخطأ عمر
٣٦٣/٢		اصرخ بالناس
٣١٠/١	سعد بن أبي وقاص	اطرحو في القبض
٣٥٧/٢	ابن عباس	أظهر الله المسلمين عليهم
١٧٨/٢، ٩٤/٢	أبو هريرة	أعددت لعبادى الصالحين
٦٠٤/١	عائشة	أعطيت تسعًا ما أعطيتهن امرأة
٢٦٢/٢	كعب	أعطى الله هذه الأمة ثلاثاً
٢٣٧/١	سعد بن أبي وقاص	أعظم الناس جرمًا من سأل
١٦٤/٢	صالح أبي الخليل	أعلمكم بالله أشدكم خشية
٢٦٢/٢	الحسن	اعملوا وأبشروا
٢٥٣/١	جابر بن عبد الله	أعوذ بوجهك
٣٢٢/١	العباس	افد نفسك وافد عقلاً
٥٥٩/٢		أفضل الحج العج
٢٣٥/٢	جابر	أفضل الصلاة طول
٢٨/٢	عبد الله بن عمرو	أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبل
٥٠٩/٢	عائشة	أفضل العمل أدومه
٦٠٧/١		أفعماوا ان أنتها
٥٢٧/١	عائشة	أفلا أكون عبدًا شكورًا
٤٥٨/٢		أفهمهاجرة أنت
٣٨٥/٢	الحسن	أقبلت إلى بيتها
٦٢٠/٢	أبو هريرة	أقرب ما يكون العبد
١٨/٢		أقرروا الطير في وكتانتها
٥٨٠/٢	علي	أقم الوزن بالقسط
٣٥٨/٢		اكتب باسم الله
٣٥٨/٢		اكتب ما يريدون
٤٩٣/٢		اكتمي وقد حرمك مارية
٤٦٥/٢		أكذلك يا أبا يحيى

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٩٦/٢		أكرموا الوجوه
٢١٢/٢		ألا أخبركم لما سمي الله إلا الإذخر
٦٠٤/٢		
٤٠٦/٢	حذيفة	ألا إن الساعة قد اقتربت
٣٢٠/١	عقبة بن عامر	ألا إن القوة الرمي
٣٣٢/١	علي	ألا لا يمحن بعد العام مشرك
٢٧٠/١	أبو هريرة	ألا هلم ألا هلم
٢٧١/٢	جابر	التبس علينا أمر محمد فلو وجدنا اللختها في طرف الكتف
١٩٧/١	زيد بن ثابت	الذي في الجنة من ذلك
٦٤٦/٢	ابن عباس	الذى لا يجد
٣٨٣/٢	أبو هريرة	الستم تعلمون أن عيسى ألطوا يا ذا الجلال والإكرام
١٣١/١	أنس	أنقى إبراهيم في النار وعمره الله أكبر خربت خير
٤١٦/٢	عمر	الله ورسوله أعلم
٥٥٩/١		اللهم اشدد وطأتك على مصر
٢١٠/٢	أبو هريرة	اللهم أنت الحق ووعدك الحق
٤٦٠/٢	ابن عباس	اللهم أنج الوليد بن الوليد
٥٢٨/٢، ١٥٢/١	أبو هريرة	اللهم إن إبراهيم حرم مكة
٤٢٤/١	ابن عباس	اللهم إننا نستعينك
١٥٢/١	أبو هريرة	اللهم إنيأشهدك
٤٣٥/١	أبو سعيد الخدري	اللهم زدنا ولا تقضنا
٤٠٠/١	عمر بن الخطاب	اللهم سلط عليه كلبا
٥٢٤/١		اللهم صل على آل أبي أوفى
٥٨٧/١	عمر	اللهم عم على الجن موقي
٣٩٦/٢	أبو عقرب	الله فقهه في الدين
١٢٨/٢	عبد الله بن أبي أوفي	اللهم لا تجعل لفاسق
١٣٩/٢	سلیمان عليه السلام	ألم ترى إلى مجزع المدجحي نظر
١٠٦/١	ابن عباس	الأنصار شعار
٤٤٨/٢	معاذ بن جبل	إلهي دلني على أخفى نعمة
٢٩١/١	عائشة	أليس أعمى لا يصرنا
٥٣٢/٢	عبد الله بن زيد	أليساوا يحملون لكم الشيء
٨٣/٢	موسى عليه السلام	أليما أنا فأصوم ولا أنفطر
٦٠٧/١		
٣٣٥/١		
٥١٦/١		
٢٣٤/١	أنس	

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٣٤١ / ١		أما أنت يا فلان فقلت كذا
٢٥١ / ٢	ابن عباس و أبو ذر	الإمامتين والإحياءين
٣٢٢ / ١	العباس	أما في الظاهر فقد كنت علينا
٢٣٤ / ١	أنس	أما إني لأنقاكم الله
٤٣٧ / ٢	الحسن	أما والله لقد استبطأهم
٥٢١ / ٢	ابن عباس	أمرت أنا أنسجد
١١٠ / ٢	الحسن وقتادة والزهري	أمرها يدها
١١٧ / ٢		أمسك عليك زوجك
٤٥٨ / ٢		أمسلمة جئت؟
١٠١ / ١		أنا أحسن ...
٨٧ / ١		أنا دعوة إبراهيم
٩ / ٢	أبو سعيد الخدري	أنا سيد ولد آدم
٥٨ / ٢		أناجيل أمتي في صدورهم
٤٧٣ / ٢		أنت صاحب الكلام الذي
٤٦٥ / ٢	عمر	أنت الذي قتلته
٤٧٥ / ٢	زيد بن أرقم	أنت والله الذليل
٣٣١ / ١		أنتم الطلقاء
٣٣٦ / ٢		أنتم اليوم خير أم يوم
٣٥٦ / ٢		أنتم اليوم خير أهل الأرض
٢٢٥ / ١	عمر	انتهينا يا رسول الله
١٥٦ / ١		أنسيتم وصية رسول الله ﷺ
٤٥٨ / ٢		انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
١٢٩ / ١		أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا
٥١ / ٢		أن أبي جعفر المنصور طلب
٤٦٣ / ٢	هند بنت عتبة	إن أبي سفيان رجل شحيح
٥٧٤ / ١	ابن عباس	أن إبراهيم صعد جبل أبي قيس
٥٥٩ / ١		إن إبراهيم لما أوثق
١٦٧ / ٢	ابن مسعود	إن ابن عباس لقي رجلاً أخبره
٣٦٥ / ١	ابن عمر	إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده
١١٠ / ٢	علي	إن اختارت زوجها
١١٠ / ٢	علي	إن اختارت نفسها
١٩٧ / ١		إن الأرض لتقبل من هو شر منه
١٤٠ / ٢		أن أفریدون جاء ليصعد كرسيه
٥٧٧ / ٢	الفضل بن عياض	إن أقامك الله
٥٢٥ / ١	أبو هريرة	إن الله إذا أحب عبداً

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٦٢٥/٢	علي	إن الله أقسم بالإبل
٥٢٦/٢	عائشة	إن الله جعله تطوعاً
٦٠٤/٢		إن الله حرم مكة
٦٠٢/٢	الحسن	إن الله عنده أسواط كثيرة
١٩٢/٢	شريح	إن الله لا يعجب من شيء
١١٩/١	أبو موسى الأشعري	إن الله لا ينام
٣٠٣/١		إن الله تعالى لما خلق آدم استخرج
٨١/٢	ابن عباس	إن الله يحب أن تؤتني رخصه
٣١٣/٢	عائشة	إن الله يرحم من أمتي
٣١٢/٢		إن الله يغفر لجميع المسلمين
١٧٢/١	ابن عمر	إن الله يقبل توبة عبده
٦٠٥/١		إن أمي ليس لها خادم غيري
٤٠٦/٢	أنس	إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ
١٤٣/٢		أن بعض أهل اللغة سقط
٣١٨/١		إن بني هاشم وبني المطلب ما افترقا
٣٦٨/٢	أبو هريرة	أن تذكر أخاك بما يكره
٢٩٨/٢	الحسين	أن تذكروا نعمة ربكم
٢٦٢/٢	الغوري	إن ترك الذنوب هو الدعاء
١٠٨/٢		إن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ
٤٢٦/٢		إن الجنة لا يدخلها العجائز
٥٢١/١	يعلي بن منه	إن جهنم تنادي المؤمن
١٥٣/٢	ابن عباس	إن جيشاً يغزوون الكعبة
٤٧٥/٢		إن حُباباً اسم شيطان
٥٥٠/٢	ابن عباس	إن الحسن والحسين مرضياً
٢٩٨/٢		أن الحسين بن علي رأى رجلاً ركب دابة
١٤٠/٢		أن داود عليه السلام أحسن بناء بيت المقدس
٦١/٢		إن الذي يشاهد فينا
١٥٦/١		إن رأيتمونا تخطفنا الطير
١٥٦/١		إن رأيتمونا قد هز مناهم
٦٠٢/٢	عمر بن هبيرة	إن ربك لبامر صاد
٥٠٠/١	سليبان بن سليم	إن الرجل الصالح
٤٧/٢	علي	إن الرجل ليحب أن يكون شراك
٥٣٠/٢		أن رجالاً أمسى فاحم الشعر
١٥٨، ٦٥/٢		أن رجالاً سأله النبي ﷺ
٥١٣/٢		أن رجالاً شكوا إلى الحسن

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٦٠٥/٢		إن رجلا قال: يا رسول الله دلني
٥٧/٢	أبو هريرة	أن رجلا كان يصلّي
٦٢١/٢	مجاهد	إن رجلا من بنى إسرائيل
٢٧٣/١	أبو هريرة	إن رحمةي غلت غضبي
٤٥٨/٢		أن رسول الله ﷺ أمن يوم الفتح
١٢٦/٢	أنس	أن رسول الله ﷺ أولم
٤٤١/٢		أن رسول الله ﷺ بعث جعفرا
٤١١/٢		أن رسول الله فرح يوم بدر
١٥٥/٢		أن رسول الله رأى جبريل
٥٨٠/٢		أن رسول الله قدم المدينة
١٢٦/٢	ابن عباس - عائشة	أن رسول الله ﷺ كان يأكل مترًا
٢١٨/٢	أبو حنيفة	إن الركوع في سجود التلاوة
١٦٩/١		أن زوجة سعد جاءت ومعها ابنتان
٢٩٣/٢	عائشة	أن زينب أسمعت عائشة كلاماً
٢٣٥/١		أن سائلًا سأله عمر بن الخطاب
٤٨١/٢		إن سبعة الإسلامية وضعت
٢٨٨/٢	علي	إن سرعتك بالتوبة
٣٦٨/٢		أن سليمان كان يخدم رجلين
٤٧٤/١		أن سهيل بن عمرو كان بباب عمر
٦١٨/٢	ابن عباس ومجاهد	أن سورة القلم أول
٤٤٣/٢	أبو حنيفة	إن شبهها بعضو
٥١٤/٢	ابن عباس - ابن عمر	إن الشمس والقمر ظهوره
٤٥٣/٢		إن شتم جمعنا أموالكم
٣٤٨/١		إن الصدقة تقع بيد الرب
٦٦/٢	الحسن	إن الصلوات الخمس فرضت بالمدينة
١٩٩/١		أن طعمة بن الأبيرق سرق درعا
٤٣٦/٢		إن طول صلاة الرجل
٥٤٤/١	هناد	أن العذاب يرفع عنهم
٥٠٠/١	عطاء	إن علمت من الغلام ما علمه الخضر
٢٢٧/١	علي بن أبي طالب	أن علياً تصدق في الصلاة
٥٨٠/٢	علي	أن علياً مرّ برجل يزن زعفراناً
٥٢١/١	عمر	أن عمر خرج يستسقي
٦٥٤/٢	عمر بن ميمون	أن عمر قرأها في الركعة الثانية
١٢٦/٢	ابن عباس	أن عمر كان حريصاً
١٨٨/٢	ابن عباس	إن العناب لا يقدح من شجرة

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٣٩٣ / ٢	قتادة	إن فضل المخدوم على الخادم
٤٤٢ / ٢	ابن عباس	إن في بدن الإنسان روحًا
٤٢٥ / ١	أنس	إن في الجنة لشجرة
٤٤٦ / ٢	علي	إن في كتاب الله آية
١٩٦ / ١		إن القاتل لفظته الأرض
١٠ / ٢	قتادة	أن قتادة لما دخل الكوفة
١٨٤ / ٢	أنس	إن الكافر يقول: إني لا أجيئ إلا شاهدًا
٣٣٠ / ١	ابن عباس	إنا لننسقي الحاج، ونطعم الجائع
٥٢٩ / ٢	أبو الدرداء	إن لنكشر في وجوه
٥٢٨ / ١		إن الله تعالى تسعه وتسعين اسمًا
٤٠٢ / ٢	ابن عباس	إن لي ذنبًا وخطايا
٧٩ / ٢	أبو حنيفة	أن مدة الرضاعة ثلاثة شهرين
٤٨٨ / ١		أن معاوية بعث قوما
٦٠٨ / ١		أن معاوية دخل على زوجته
١١١ / ١		أن معقل بن يسار زوج أخته
٣٧٢ / ٢	علي بن أبي طالب	إن مقعد ملكيك على ثيتك
٥٨٣ / ٢		أن الملائكة تصعد بعمل
٥٢٢ / ١	أبو مسعود الأنصاري	أن مما أدرك الناس
٥٦٣ / ٢		إن مما ينبت الربيع
٩٣ / ٢	ربيعة الجرشى	أن مناديا ينادي يوم القيمة
٨٧ / ٢		أن المنصور أهمه معرفة ما بقى
٤٩٨ / ١		أن موسى عليه السلام خطب الناس
٤٥٨ / ٢		أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي
٥٤٠ / ٢	الحسن	إن المؤمن لا تراه إلا لأنها
٥٩ / ٢	يجيبي بن جعده	أن ناسا أتوا رسول الله ﷺ بكتف
٤٨١ / ٢		أن النبي ﷺ أخرج فاطمة
٦٠٦ / ١		أن النبي ﷺ دخل عليه ابن أم مكتوم
٤٨٢ / ١	صفوان بن عسال	إن النبي ﷺ سأله اليهود
٢١٥ / ٢	أم هانئ	أن النبي ﷺ صلى في بيتها
٤٩٦ / ١		أن النبي ﷺ طرق على فاطمة
٢٩٧ / ٢		أن النبي ﷺ كان إذا وضع رجله
٢١٨ / ١	جابر بن عبد الله	أن النبي ﷺ نزل متزلا
٣٦٩ / ٢	ابن عباس	أن نفرا من بني أسد قدموها
٨٨ / ٢	أبو حنيفة	إن هذه الخمس استأثر الله بعلمها
٦٤٠ / ٢	ابن مسعود	إن هذه السورة تسمى

الالجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٦٠٤/١	أبو أيوب	أن يتكلم بكلمة
١٤٧/١	قتادة	أن يعقوب عليه السلام أصابه عرق النساء
٤٧٩/١	ابن مسعود	أن اليهود قالوا للنبي ﷺ إن الأنبياء أن يهودياً قال بحضور النبي ﷺ
٢٤٦/٢	أبو هريرة	إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم
٤٨٥/١	سعد بن أبي وقاص	إنك سألتني السيف وليس إليَّ
٣١١/١	ابن عمرو	إنك لا تظلم
٢٧٥/١	الزجاج	إنك لزهيد
٤٤٥/٢	صهيب	إنكما اغتنتماه
٣٦٩/٢	ابن عباس	إنها ألقى موسى في اليم إنها جعلت هذه طعمة
٦٥٥/١	عمر	إنما قاتله الله
١٠٩/٢	عبد الله بن قلابة	أنه أباح قراءة
٤٦٥/٢	الحسن	أنه أتي برجل كان يبعث
٤٣١/٢	ابن عباس	أنه بلغ قريشاً أن أهل الكتاب كذبوا
٢٢٥/٢	الحسن	أنه حين سافر إلى الشام
١٦٧/٢	ابن عباس	أنه خرج في طلب إبل
٣٨/٢	أبوزر	أنه دخل داره فوجد جماعة
٦١٠/١	أبو بكر	أنه رأى منها عند أم هانئ
٦٢٢/١	الحسن	أنه سأله رسول الله ﷺ كم أنزل
٦٣١/٢	ابن عباس	أنه سئل عن الآية
٥٩٦/٢	الحسن	أنه سئل عن الرجل يتهدى
٥٨٠/١	ابن عباس	أنه سئل عن هذه الآية
٢٣٦/٢	أبوزر	أنه سئل لم سميت قريش
٢٦٢/٢	الحسن	أنه ضحك ﷺ حتى بدت
٦٣٤/٢	ابن عباس	أنه قام في الليل يصلِي
١١/٢	أبوزر	أنه قرأ هذه الآية
٣٢٦/٢	الحسن	أنه قرأ هذه الآية فبكى
٥٧١/٢	مسروق	أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود
٥٨٢/٢	عمر	أنه كان إذا رأى السحاب
٥٨٩/٢	ابن عمر	أنه كان لبعض الملوك ساحر
٢٨٤/٢	الحسن	إنه كان حريراً على قتل صاحبه
٢٢٢/١	أبو موسى الأشعري	أنه كان يرددتها ويقول ليت
٥٨٨/٢	صهيب الرومي	أنه كان يعرف تفسير
٣٢٦/٢	الفضل	أنه كان يقرئ رجالاً
٩/١		
٣١٩/٢	أبو الدرداء	

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٦/٢	عمر بن عبد العزيز	أنه كان يكرر هذه الآية
٤٠٥/٢	ابن عباس	أنه لم يُر ضاحكا
١١٤/٢	أم عطية	أنه لمانزل في نساء النبي مانزل
٥٩١/٢		أنه لمانزل قوله {فسبع باسم ربكم العظيم}
٥٨٩/١	ابن عباس	أنه لما نزلت هذه الآية
٥١٩/١	أبو هريرة	أنه لن يدخل أحد النار حتى
٦٤٠/٢	عمر	إنه من قد علمتم
٤٦٩/١	سعيد بن زيد	أنه يبعث يوم القيمة أمة
١١٦/١		إنها تقع في يد الرب
١٩٢/١	ابن مسعود	أنهاركس
٤٩٣/٢	عائشة	أنها سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ
٥٩٠/٢	علي	أنهم حين اختلفوا
١٩١/٢	ابن عباس	إنهم يتسمعون
٤١٩/٢	محمد بن الحفيفية	إنها للبر والفاجر
٥٧١/١		إنهم يكثرون اللعن
٣٣٧/٢		إني أخاف أن يكون كما قال قوم عاد
٣٥٥/٢	عمر	إني أخافهم على نفسي
١٦٢/٢	عائشة	إني أرجو أن أكون أناقاكم
١٤٦/١	أبو طلحة الأنصاري	إني أرى أن تجعلها في الأقربين
٣٣٨/٢		إني أمرت أن أتلوا على الجن
٧٣/١	جابر بن سمرة	إني لأعرف حجرًا
١١٣/٢		إني لم أشك
٤٩٨/١		أني بارضك السلام
١٠٧/٢	الزبير بن العوام	أوجب طلحة
٦٢٢/١	أنس	أوصاني رسول الله ﷺ بثلاث
٥٨٢/٢	قتادة	أوف يا ابن آدم
٤٤٨/٢	أبوبكر	أوفعلته
٣٢٤/١	حنيدة	أول الآيات الدخان
٣٥٢/٢	ابن عباس	أول ما أوجب الله التوحيد
٥٣٢/٢	الزهري	أول ما نزل: اقرأ
٤٢٤/٢	أنس	أولاد الكفار خدام
٩/١	الحسن	أهل كتهم العجمة
٤٢٥/٢	علي	آي القرآن لا تهاج
٥٧١/٢	أبوبكر	أي سوء تظنلي
٨٧/٢	ابن عباس	إياك والكهانة

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٨٣ / ٢		أيسر ما يعذب به أهل النار
٤٢٠، ٤٤٢ / ٢	أنس	إليهان نصفان
٣٩٠ / ٢	علي	أين تجد موضع النار
٢٣٠ / ١		أيها الحارس اذهب فقد عصمني الله
٩٥ / ١		أيها الناس اسعوا ..
٢١٩ / ٢	عمر بن عبد العزيز	أيهما أعظم
٤٦٣ / ٢	عائشة	بائع النساء بلفظه
٣٦٢ / ٢	جابر	بايعنا رسول الله على الموت
٤٦١ / ٢	ابن عباس	بإله الذي لا إله إلا هو ما خرجت
٤٦١ / ٢	ابن عباس	بإله ما خرجت إلا حبّاً
١٤٦ / ١	أبو طلحة الأنصاري	بخ بخ، ذلك مال رابع
٦٣٤ / ٢	ابن عباس	بداية في البحر تأكل
٢٦٦ / ٢	علي	بعث الله نبياً أسود
٥٣٥ / ١	ابن عطية	بعث موسى إلى فرعون في أمرین
٥٨٥ / ١	أبو أمامة	بعثت بالخنفية السمحنة
٥٠٤ / ٢	ابن عباس	بعضهم يقول سبحانك اللهم
١٧١ / ١	عبادة بن الصامت	البكر بالبكر جلد مائة
٢١ / ٢	قتادة	بل الله خير وأبقى
٢٣٧ / ١	ابن عباس	بل للأبد
٣٣٦ / ٢		بل هذا خير
٥٥٩ / ١	الكلبي	بنواله أتونا
٣٥١ / ٢	الشعبي	بويع له بيعة الرضوان
٢١٦ / ٢	شريح	البيعة على المدعى
٢٣ / ٢	عدي بن حاتم	بس خطيب القوم أنت
٩٤ / ١	عائشة	بس ما قلت يا ابن أخي
١٧٦ / ٢	ابن عباس	بس القوم نحن، نكحنا نساءه
٨٧ / ٢	ابن نيار	تجزى عنك
١٤٤ / ١	الأشعث بن قيس	تختلف
٣٣٠ / ١	ابن عباس	تذكرون مساوئنا وتركون محاسننا
١٠ / ٢	سلیمان عليه السلام	لتسييحة واحدة بقبيلها
٦٢ / ٢		تصدق به
٦٠٥ / ٢		تعنق النسمة
٤٣٠ / ١		تعلموا الفرائض
٦٠٠ / ١	الشعبي	تقبل توبته
٥٩٩ / ١	النخعي	تقبل شهادته

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٥٢٢/٢	قتادة	تلبدت الإنس والجن
٣٩٩/٢		تلك العزى
١٠٨/٢		تنزلون على حكمي
٤٤٨/١	أبو هريرة	تنزهوا من البول
٥٨٥/٢	علي	تنشف من المرة
٦٢٠/١	ابن عباس	ثلاث آيات جحدهن الناس
٣٦١/١	مكحول	ثلاث من كن فيه كن عليه
٤٢٤/٢		الثثان جيعا من أمتي
٢٧٥/٢	أبو بكر	ثم استقاموا فعلا
١٥٢/٢	ابن مسعود	جاء الحق
١٢٣/١	أبو مسعود الأنصاري	جاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة
٥٩/٢	الزخري	جربنا وجرب والأولون منا فلم نر
٤٧٥/٢		جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين
١٠١/١	ابن عباس	جعل ذلك ميقاتا لدليون الناس
٦٢/٢	ابن عمر	جعل رزقي تحت ظل رحي
٦٦/١		جعلت قرة عيني من الصلاة
٦٠٠	هلال بن أمية	جئت أهلي فوجدت مع امرأتي رجلا
٤٤٢/٢		حرمت عليه
٤٤٨/٢	أبو عبيدة	حزب الشيطان جنده
٥٧٦/٢	فخر الدين بن خطيب	حضرت في مجلس فيه جماعة
	الري	الحكم الفهم
٩/١	أبو العالية	حكمت بقتل مقاتلتهم
١٠٨/٢	سعد بن معاذ	الحكمة القرآن
٩/١	قتادة	حمار رسول الله ﷺ وأفضل منك
٣٨٦/٢	عبد الله بن رواحة	الحمد الذي وسع سمعه الأصوات
٤٤٢/٢	عائشة	الحمد لله على كل حال
٢٩٨/٢		حملتم الأمر على أشدك
٢٧٥/٢	أبو بكر	الحمى حظ المؤمن
٥٢١/١	عثمان بن عفان	الحمى من فيح جهنم
٥٢١/١	ابن عمر	الحور وخزنة النار
٢٧/٢	عكرمة	حيث كان الماء كان المال
٥٢١/٢	عمر	خذ
٣٢٢/١	أنس	خذ حوتا في مكتل
٤٩٨/١		خذوا عنني
١٧١/١	عبادة بن الصامت	

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
١٨٣ / ١	كعب الأحبار	خشيت أن يجول وجهي إلى قفayı
١٢٣ / ٢	أم هانئ بنت أبي طالب	خطبني رسول الله ﷺ
٤٥٢ / ١	قادة	خلق الله الكواكب ليهتدى بها
٥٨٠ / ٢	ابن عباس	خمس بخمس
٣١٥ / ٢	ابن مسعود	خمس قد مضين
٨٨ / ٢		خمس لا يعلمها إلا الله
٤٧٣ / ١		خير المال سكة مأبورة
٤٧١ / ٢	أبو هريرة	خير يوم طلعت فيه الشمس
١١٠ / ٢	عائشة	خيرنا رسول الله ﷺ
٢٢٠ / ٢		الخيل معقود في نواحيها الخير
١٥٢ / ٢	ابن مسعود	دخل النبي ﷺ مكة عام الفتح
٣٢٢ / ١	عمر	دخلت على رسول الله ﷺ وأبي بكر
٣٦٢ / ٢	مسروق	دخلت على عائشة
٢٦٢ / ٢	-	الدعاء هو العبادة
٤٧٥ / ٢	عمر	دعني أضرب عنق المنافق
٤٥٨ / ٢	عمر	دعني يا رسول الله أضرب عنقه
٤٧٤ / ١		دُعوا و دُعينا فاجابوا وأبطأنا
٤٨٠ / ٢		دعي الصلاة أيام أقراتك
٤١٦ / ٢	ابن عباس	الدهر كله عند الله يومن
٢١٤	أبو سعيد الخدري	ذكارة الجنين ذكارة أمّه
١٢٠ / ٢	أبو هريرة	ذكر الله على فم كل مسلم
٥٩٥ / ٢	ابن عباس	ذكره معاده
٤٦٠ / ٢	أبو سفيان	ذلك الفحل لا يقدع أنهه
٥٨٦ / ٢		ذلكم العرض
٣١٨ / ٢	عائشة	ذم الله قومه
١٩٢ / ١	ابن مسعود	ذهب رسول الله ﷺ لقضاء حاجته
٥٤٠ / ١	ابن عباس	ذهب من التوارة ستة أسباعها
١٥٥ / ٢	الرمخري	رأيت في بعض الكتب أن بعض الملائكة
٦٣٢ / ٢	عائشة	رأيت قائد الفيل وسائسه
٥٣٠ / ٢		رأيت القيمة والجنة والنار
٥٦٨ / ٢	أنس	رأيت يوم القادسية
٤٦٣ / ٢	هند بنت عتبة	ربناهم صغاراً فقتلتهم وهم
٩ / ١		رحل مسروق إلى البصرة
١٨٩ / ٢	ابن عمر	رحم الله المخلقين فالقتصرين
٦٠٧ / ١	عائشة	رحم الله نساء الأنصار

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
١٣١ / ٢	ابن عباس	الرداء الذي يستر من أعلى البدن
٢٢٠ / ٢	بلال	رسول الله ﷺ
٣٧٨ / ٢	علي بن أبي طالب	الركعتان بعد المغرب
٣٥١ / ٢	ابن عباس	رموا المشركين
٢٣٨ / ١		روي أن غبيها وعدي بن بدّا سافرا
٤٠٦ / ١	أنس	الرؤيا لأول عابر
٦٢ / ٢	أبو بكر	زد في الرهن
٥٢٦ / ٢		زمّوني
٨٤ / ١	ابن عباس	سؤال رسول الله ﷺ
٥٢ / ١		سؤال عمر بن الخطاب كعب عن التقوى
١٢٠ / ١	أبي بن كعب	سؤال النبي ﷺ وأبي بن كعب عن أعظم آية
٤٩١ / ١	ابن عباس	سائلين كم غداً
١٥٦ / ٢		سبحان الله، ما كنت أظن أن خلقاً يكون كذا
٢١ / ٢، ٥٤٣ / ١	كعب	سبحان ربنا العظيم وبحمده
٥٣ / ١	أم هانئ بنت أبي طالب	سبحة الضحى
١٣٠ / ٢	فتادة	سبني ابن آدم
٥٧ / ٢	أبو هريرة	ستتهاو صلاته
٣٨٩ / ٢	فتادة	سجلاً من عذاب الله
١٤١ / ٢	الحسن	الدر
١٠ / ٢	أبو حنيفة	سلوه عن نملة سليمان
٤٨٤ / ١	ابن عباس	سمع أبو جهل النبي ﷺ
٣٣١ / ١		شاهد الوجوه
٥٢٧ / ٢	عمر	شر السير المحققة
٥٠٩ / ٢	أبو هريرة	شر ما أعطي ابن آدم
٢٠١ / ٢	علي	شكرت الواهب
١٩٨ / ١	عمرو بن أمية الضمري	صدقة تصدق بها الله عليكم
٦٦٩ / ١		صعد النبي ﷺ الصفا
٥٣٥ / ٢		الصعود جبل من نار
١٦٣ / ١	عمران بن حصين	صل قائمها فإن لم تستطع
٥٤٢ / ١	الحسن	الصور جمع
١٤٦ / ١	أبو طلحة الأنصاري	ضعها يا رسول الله حيث شئت
١٢٨ / ١	ابن عباس	ضعوها على رأس ثمانين ومائتين
٢٤٧ / ٢		الظلم ظلمات
٥٤٨ / ٢	عكرمة	ظلمة الليل
٣٣٥، ٣٣٤ / ٢	عائشة	عبد الرحمن رجل صالح

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
١٩٢/٢		عجب ربكم من إلّكم وقتوطكم
٩٤/١		عجب لمن ابلي بأربع
٥٠٠/١	الحسن	عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن
١٩٨/١	عمر	عجبت لما عجبت منه
٥٤/٢، ٥٧٦/١		عدلت شهادة الزور الإشراك
٧٣/٢	عكرمة	العرب تسمى المدينة بحراً
٨١/٢		عزمه من عزمات ربنا
٣٩٢/٢	الحسن	عقلها والله
٢٣٠/٢		علمات المتكلف ثلاث
٥٠٠/١	عطاء	علم منه أنه يكفر
٢٨٦/٢	ابن عباس	علي وفاطمة وابنها
٤٥٧/٢	أبو هريرة	عليك بأخر سورة الحشر
١٠٨/٢		على حكم سعد بن معاذ
٤٩٦/١		على مكانكما
٥٧٧/٢	الحسن	غرّ شيطانه الخبيث
٥٤٩/٢		غريملك أسيرك
٤٤١/١	عمرو بن العاص	فإذا أنا مت فسنوا علي التراب
٦٠٥/١		فأستاذن
١٦٩/١		فأعطي الرسول ﷺ البتين والثلثين
٣٧٩/١	ميمون بن مهران	فاما الكافر فيطعم بجزاء ما عمل
٢٢٣/١	أنس	فأمر النبي ﷺ بطلبهم
٢٢٥/١	أبو هريرة	فأمر النبي باليهودي واليهودية فرجا
٤٧٥/٢	عمر	فإن كرهت أن يقتله مهاجري
٤٣٠/٢		فإنها تفضل عليها بتسعة وستين
٦٤١/٢		فإنني نذير لكم
٣٢٢/١	العباس	فأين الذهبية التي أعطيتها لأم الفضل
٦٧/٢، ٥٨٩/١	ابن عباس	فنبارك الله أحسن الخالقين
٥٦٥/١	أم سلمة	فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج
٥١٦/١		فتلك عبادتهم
٤٤٥/٢	علي	فدعاني رسول الله ﷺ
٢٠٣/٢	الحسن	فدي بوعل أهبط عليه
٥٩٥/٢	الضحاك	فذكر اسم ربه
٦٦/٢	عائشة	فرضت الصلاة ركعتين
٤٤٥/٢		فضل العالم على العابد
٤٧٢/٢	قنادة	فعلوا ذلك ثلاث مرات

الحادي	فكيف إذا تحدث الناس	الرواي	الجزء والصفحة
فلا تعد	٤٧٥/٢	أبو بكر	٤٤٨/٢
فلعله شبه عليك	٤٧٥/٢	أنس	٢٢٣/١
فليما جيء بهم إلى النبي ﷺ قطع أيديهم	٢٢٣/١	أنس	٢٢٣/١
فيما قام رسول الله ﷺ مقاماً إلا ونبي	٤٥/١	أنس	٥٨٧/٢
في سائمة النعم الزكاة	٥٨٧/٢	مسروق	٢٨٩/٢
في كل عشرين عاماً	٢٨٩/٢	خباب بن الأرت	١٥٢/١
فينا أنزلت	١٥٢/١	جابر بن عبد الله	٢٢١/٢
فينا نزلت عشرة الأنصار	٢٢١/٢	جعفر الصادق	٢٥٦/٢
قال سليمان عليه السلام لأطوفون	٢٥٦/٢	بن عمرو مجاهد و ابن	٥٥٩/١
قاله أبو بكر جهراً	٥٥٩/١	جريج	٣١٠/١
القاتل كان كريدياً	٣١٠/١	سعد بن أبي وقاص	٤١٦/٢
قتل أخي يوم بدر فقلت قاتله	٤١٦/٢	عويم العجلاني	٦٠٠/١
قد استجيب لك	٦٠٠/١	الشعبي	٤٠٠/١
قد أنزل الله عز وجل فيك وفي صاحبتك	٤٠٠/١	عبادة بن الصامت	١٧١/١
قد جاء إخوة يوسف عشاء	١٧١/١	أحمد بن يحيى	٤٨١/٢
قد جعل الله لهن سبيلاً	٤٨١/٢	عائشة	٣٦٢/٢
قد حللت فانكحني	٣٦٢/٢	أنس	٢٢٣/١
قد فسره الله	٢٢٣/١	عمر بن الخطاب	٣٢١/١
قد قبلت	٣٢١/١	ابن عباس	٥٨٧/٢
قد نهى الله عن صوم هذا اليوم	٥٨٧/٢	أبو أمامة	٥٣٩/٢
قدم المدينة نفر من عكل	٥٣٩/٢	أبو الدرداء	٣١٩/٢
قد مهمن فاضرب أعناقهم	٣١٩/٢	ابن المقفع	١٥٩/٢
قرأ رسول الله ﷺ يوماً: (واسجد)	١٥٩/٢	عروة	٩٤/١
القصورة رکز الناس	٩٤/١	عمرو بن سعيد الثقفي	٣٧٤/١
قليل يكفيك خير من كثير	٣٧٤/١	عائشة	٢١٣/٢
قل آمنت بالله ثم استقم	٢١٣/٢		٦٠٥/١
قل: طعام الفاجر	٦٠٥/١		٨٢/٢
قول بلا عمل كربلا بلا دسم	٨٢/٢		
قوله تعالى: فمن حج البيت			
قولوا بأجمعكم: يا حي حين لا حي			
قولوا: لا إله إلا الله			
قومي إلى هذا فلعله كيف يستاذن			
كان إذا مشى أسع			

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
١٨٢/٢	ابن عباس	كان بالمدينة زنادقة
٥٩١/١	الحسن	كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون
٤٩٤/٢	عائشة	كان خلقه القرآن
٥١٨/٢	عمر	كان الرجل منا إذا قرأ البقرة
٦٥/١		كان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر
٧٣/٢	قادة	كان ذلك قبلبعث
٥٢٧/٢	عائشة	كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي
١٥٨/١	الحسن	كان رسول الله عن مشاورتهم غنياً
٣٨٥/٢	قادة	كان عامة مال إبراهيم
٧٩/١	عمر بن الخطاب	كان عمر مجلس لليهود
٦٤٠/٢	ابن عباس	كان عمر يقدمه
٥٠٩/٢	عائشة	كان عمل رسول الله ﷺ ديمة
٢٥٠/١		كان الفقراء من المؤمنين أكثر مجالسة
٥٢٦/٥	الحسن	كان قيام ثلث الليل فريضة
١٣٩/٢		كان من عادة سليمان
٩٣/٢		كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون
٥٨٧/١	عمر	كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي
٥١١/١	الحسن	كان والله عيسى سرّاً
١٨١/١	علي بن أبي طالب	كانت الخمرة مباحة في أول الإسلام
٥٥٩/١	ابن عمر	كانت كلمة إبراهيم حيثـ
٤٤٦/٢	ابن عمر	كانت لعلي ثلاث
١٤٠/٢	ابن عباس	كانت من أخصب الأرض
١٠٨/١		كانت اليهود إذا حاضرت المرأة
٤١١/١	مجاهد	كانوا حميراً
٥٤/٢	عائشة	كانوا يتضارطون
٥٢٤/٢	الضحاك	كانوا يغرقون من جانب
٣٢٦،٣٨/٢	أبو هريرة	الكبارياء ردائي
٢٢٥/١	أنس	كتاب الله القصاص
٣٤٥/٢	الكلبي	كثرة المال، وشهادة الزور
١٦٧/٢	ابن عباس	كذب
٣٣٠/١	ابن عباس	كذبتم الرسول وقاتلتم المؤمنين
٥٢/١	كعب الأحبار	كذلك التقوى
٣٩٦/١	جابر بن عبد الله	كذلك الصلوات الخمس
١٣/٢	ابن عباس	كرم الكتاب ختمه
٢٠٩/٢	ابن عباس	كل تسييج في القرآن

الالجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٧٨/١		كل راكب وماش في معصية الله
٣٣٦/١	ابن عمر	كل مال لا تؤدي زكاته
٧٠/٢	أبو هريرة	كل مولود يولد على الفطرة
٨/٢، ١٧٢/١ ١٣٨	عمر بن الخطاب	كل الناس أفقه من عمر
١٤١/٢	الزجاج	كل بنت أخذ طعماً من مرارة
٩٩/٢	مجاحد	كلنبي أبو أمته
٥٧١/٢	عمر	كل هذا قد عرفنا
٢٠٠/٢	أم حبيبة	كلام ابن آدم كله عليه لا له
٦١٦/٢		كلوا ، فلو قلت فاكهة
١٢٥/٢	أبو حنيفة	كن عرمات عليه إلى حين وفاته
٣٤٧/١	محمد بن كعب	كنت أظن أنها: والأنصار
٧٣/١	ابن مسعود	كنا نسمع تسبيح الطعام
١٥٦/١		كونوا من وراثنا
٢٣٥/١		كيف ياخوننا الذين ماتوا
١١٩/٢	أبو هريرة	كيف بكم إذا نزل عيسى
٦٤٠/٢	عمر	كيف تلوموني
٤٩٩/١	عطاء	كيف جاز للخضر قتل الغلام
٢٤٠/٢	ابن عمر	كيف نختصم ونبينا واحد
٥٩/٢	بيهقي بن جعده	كفى بقوم حافة
٦٤٤/١	عمر	كفى سرقاً لا يشتتهي
٥٩٣/٢	علي	لا أبابلي إلا أجد في كتابي
٥٠٤/٢	الحسن	لا أدرى أهم ثانية أملأك
٦٣٣/١	ابن عباس	لأقلّاك خارجاً
٥٦٥/١	أم سلمة	لا إله إلا الله
٣٩٥/١	ابن عباس	لاتذهبنا
٦٢٨/١	جرير بن عبد الله	لاتراءي ناراً هما
٣١٨/٢		لاتسبوا تبعاً
٣٢٧/٢	أبو هريرة	لاتسبوا الدهر
٥٩٩/١		لاتقبل شهادته أبداً
٥٥٧/٢	عثيان بن أبي العاص	لا خير في دين ليس فيه
٨١/٢	حفصة	لا صيام لمن لم يعزم الصيام
٥٢٧/٢	عائشة	لا كسر دكم
٣٢٦/١	مروان بن الحكم	لانصرت إن لم أنصركم
١٠٠/٢	أبو أمامة	لا وصية لوارث

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٣٤١/١		لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل
٥١٠/١	أنس	لا يتمتنن أحدكم الموت
٤٤٤/٢		لا يتناج اثنان دون الثالث
٣٤٨/٢	ابن عباس	لا يتوفى أحد على معصية
٤٦٢/٢	أبو حنيفة	لا يجوز إخلاء النكاح عن الصداق
١٦٩/١	الحسن البصري	لا يحجب الأم من الثالث إلى السادس إلا ذكره
١٦٩/١	ابن عباس	لا يحجب إلا ثلاثة إخوة
٦٠٨/١	ابن عباس	لا يحل لامرأة مسلمة أن تكشف
١٣٠/٢	الفضل	لا يحل لك أن تؤذني كلبًا
١٦٠/١		لا يخرجن معنا إلا من كان شهد الواقعة
٤٩٥/٢		لا يدخل الجنة ولد الزنا
١٣١/١	سعيد بن المسيب	لا يغلق الرهن
٦١١، ٤١٠/١	أبو هريرة	لا يقل أحدكم عبدي
٤٢٩/٢	أبو هريرة	لا يقولن أحدكم زرعت
٦١٨/١	أبو عالية	لا يمضي عليكم إلا زمان قليل
٤٨٥/٢	أبو هريرة	لا يموت لرجل ثلاثة أولاد
٢٣٦/٢	ابن عباس	لا يهندى إليه حساب
١٣٩/٢	سلیمان عليه السلام	لأي شيء نبت
٣٦٧/١		لتأخذوا مصادفكم
١٨٠/٢	أبو هريرة	لتقومن الساعة وقد رفع
٩٩/٢	عائشة	لسنا أمهات النساء
٤٧٥/٢		لعلك غضبت عليه
٥٥٣/١	ابن بحر	لعلمكم تسألون عمما كتم
٤٧٥/٢		لعله أحطأ سمعك
١٧٧/١	أنس	لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة
٣٩٨/٢		لقب قوس أحدكم في الجنة
٥١٢/٢	عمر	لقد استيقنت بمجادلهم
٥٨٧/١	عمر	لقد أنزل على عشر آيات
١٠٨/٢		لقد حكمت فيهم بحكم الله
١٥٧/١	أبو طلحة	لقد سقط سيفي من يدي
٢٧١/٢	جابر	لقد علمتم صدق محمد
٢٤٠/٢	ابن عمر	لقد مر علينا زمان
١٢٣/١	أبو مسعود الأنصاري	لك بها يوم القيمة سبعين آية
١١٠/٢	الحسن	لكل مطلقة متنة
١٩٥/١		لم قتلتة بعد أن قال: لا إله إلا الله

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٠٤/١	أبو هريرة	لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة
٢٧٥/٢	أبو بكر	لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان
٣٣٩/٢	سعيد بن جبير	لم يقرأ رسول الله على الجن
٧١/١	عبيدة	لم يبورث قاتل
٣٦٢/٢	الحسن	ما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة
٢٠٩/٢	أنس	ما جاء النبي ﷺ إلى خير
٤٤٨/١	ابن عباس	ما نزل ﴿أَتَيْ أَمْرَ اللَّهِ﴾
٦١٢/٢	ابن عباس، ابن مسعود، عمر، علي	لن يغلب عسر يسر
٦٠٦/٢	أبو بكر بن عياش	لنا إمام يهمز
٣٤٧/٢	قتادة	لو تدبروه لوجدوا فيه شفاء
٣٣٥/٢	عمر	لو شئت لكتت أحسنكم
١١٩/٢		لو عاش لكان نبياً
٢٢١/١	الحسن البصري	لو علمت أن الله قبل مني ذرة
٤٦٩/٢	أبو هريرة	لو كان الدين في الثريا
٤٨٢/٢	عمر	لو كان في آل الخطاب خير
٣٨٤/٢	قتادة	لو كان فيها أكثر لنجوا
١٨٨/١	عمر بن الخطاب	لو كلفت أن أقتل نفسي لفعلت
٥٦٠/١	أبو العالية	لو لم يقل سلام
٥٥٠/٢	ابن عباس	لو ندرت نذراً
٣٢٢/١		لو نزل من السماء عذاب
٣٠٣/٢		لو وزنت الدنيا عند الله جناح
٦١٩/١	عمر	لوددت أن الله عز وجل نبي آباءنا
٢٣٠/١		ليت خادماً يحرسني
٣٢٤/٢	عمر	ليجزي عمر بما صنع
٢٧٠/١	أبو هريرة	ليزادن أقوام عن حوضي
١٦٥/٢	ابن عمر	ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة
٥٨٧/٢	ابن عباس	ليس في المفصل سجدة
٦٤٠/٢	ابن عباس	ليس كذلك
٣٥١/٢		ليس الكلام هكذا
٣٨٣/٢	أبو هريرة	ليس المس肯 الذي ترده اللقمة
٩٣/٢	ربيعة الجرشي	ليقم الذين كانت تتجاذب
١٢٠/١	أبي بن كعب	ليهمنك العلم يا أبا المنذر
٤٦٩/١	أبو هريرة	لئن ظفرني الله بهم لأمثلن
٤٧٥/٢	عبد الله بن أبي	لئن لم تقر لرسول الله بالعزة

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
١٠ / ١	ابن عباس	ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي
٥٨٥ / ٢	أبو هريرة	ما أذن الله لشيء كإذنه
٣٩٠ / ٢	علي	ما أرأه إلا صادقاً
٥٠١ / ٢	ابن عباس	ما أرسل الله سفينته من الريح
٤٨٦ / ٢	الحسن	ما استقصى كريم
٤٧٩ / ٢	الفضيل	ما أشدك من آية
٣١٠ / ٢	ابن عباس	ما أشغل أهل النار عن الترحم
٦٤٠ / ٢	عمر	ما أعلم منها إلا مثل
٦١٢ / ١	الحسن	ما أمر الله أن ترفع بالبناء
٤٠٢ / ٢	الحسن	ما أمره الله بشيء إلا وفي
١٠١ / ١	معاذ بن جبل	ما بال أهلال يكون صغيراً
١٩٨ / ١	عمرو بن أمية الضمري	ما بابنا ناصر وقد أمنا
٥٢٣ / ٢	الضحاك	ما بعث نبياً إلا معه
٤١٦ / ١	الحسن	ما بعث نبياً من البدية
١٠٥ / ٢	أبو هريرة	ما ترددت في شيء تردد
٤٤٥ / ٢	علي	ما تقول في دينار؟
٧٦ / ١	عثمان بن عفان	ما تمنيت منذ أسلمت
٤٨٠ / ١	قتادة	ما جالس أحداً هذا القرآن إلا
٥٨ / ٢		ما حذركم به أهل الكتاب
٤٥٨ / ٢		ما حملك على ذلك
٣٤٨ / ٢	أنس	ما خفي على رسول الله
٢٥٠ / ٢		ما خلق الله خلقاً أعظم من إسرافيل
٥٩٥ / ٢	عمر	ما الدنيا في الآخرة إلا
٢٢٥ / ١	أبو هريرة	ما عندكم في التوراة من ذلك؟
٤٤٢ / ٢		ما عندي في أمرك شيء
٣٨ / ٢	عمر	ما علمت أن أحداً بني
١٣٩ / ٢	سليبان عليه السلام	ما كان الله ليخربه وأنا حي
٤٣٧ / ٢	ابن مسعود	ما كان بين إسلامنا وبين
٩ / ١	عائشة	ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر
١٥٧ / ١	ابن عباس	ما كان لنبي أن يتزع لأمهه
٢٤٢ / ٢	ابن عباس	ما كنت أدرى ما فاطر
٣٥٥ / ٢	عثمان	ما كنت لأطوف به قبل رسول الله
١٤٣ / ٢	عيسى بن عمر	ما لكم تكأكم على
٢١٥ / ٢	ابن عباس	ما لها من رجوع
١٢٥ / ٢	الشافعي	مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٩/١		ما من شيء إلا وعلمه في القرآن
٦٣٨/١	ابن عباس	ما من عام أقل مطرًا من عام
١٦١/١	أبو هريرة	ما من صحب مال لا يؤدي زكاته
٤٧٨/٢	سفيان الثوري	ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى
١٣٨/١		ما من مولود يولد إلا ويسمه
٩٩/٢	أبو هريرة	ما من مؤمن إلا وأنا أولي به
٣١٧/٢		ما من مؤمن يموت في غربة
٥٨٧/١	أبو هريرة	ما منكم إلا من له متلان
٥٨٠/٢	ابن عباس	ما نقض قوم العهد
١٠٨/٢		ما هذا يا جبريل؟
٥٠٨/٢	محمد بن طاهر	ما الملح؟
٣٢٢/١	عمر	ما يكينك؟
٤٥٨/٢		ما يدريك يا عمر
٥٤٦/٢	فتادة	ماتت رجلاته
٢١٣/٢		ماذا يسألونني؟
٣٦٩/٢		ما لي أرى خضرة اللحم
٥٩٦/٢	أبوزذر	مائة وأربعة كتب
٦١٢/١	أبي بن كعب	مثل نور من آمن به
٢٠٥/١	ابن عمر	مثل المنافق كمثل الشاه
٩/١	إياس بن معاوية	مثل الذين يقرؤون
٣٩٦/١	جابر	مثل الصلوات الخمس
٤١٦/٢		مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برج بطي
١٤٩/١		مر شام بن قيس على ملا
٥٦٩/٢		مر حجا بمن عاتبني فيه
٥٣٥/١	عائشة	مرط طوله أربعة عشر ذراعاً
٤٣١/٢		المسلم أنحو المسلم
٦٣٩/٢		معاذ الله أن أشرك
٢٨٨/٢	علي	معنى يشمل أموراً ستة
٢٦/٢		معها خاتم سليمان وعصا موسى
٢١٠/٢	علي بن أبي طالب	من أحب أن يكتال
١٠٧/٢		من أحب أن ينظر إلى شهيد
٦٠٩/١	عبيد بن سعد	من أحبني فليستن بستي
٣١٠/٢	يجي من معاذ	من أخفى عن الناس ذنبه
٨٧/٢	ابن عباس	من ادعى معرفة هذه الخمس
١١٥/٢		من استيقظ من نومه

الالجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٤٢١/١	أبو الدرداء	من أصبح معافاً في بدنه
٢٢٢/١	عثمان بن عفان	من ألقى السلاح فهو
٤٥٥/١	ابن عباس	من حلف بالله فقد أقسم
٥٦٥/٢	أبو هريرة	من خاف أدلج
١٢٧/٢		من ذكرت عنده
٩٣/١		من ذكرني في ملأ
٢٨٦/٢	ابن عباس	من ذوو قرابتك؟
٦٦/٢	أنس	من سره أن يكال له
٢٨٦/٢	ابن مسعود	من شاء لاعنته أن سورة النساء
٢٦٢/٢		من شغله ذكري
٤٥٠/٢	عكرمة	من شك أن المحشر
٣٧٨/٢	أنس/عائشة	من صلبي بعد المغرب
٢٨٩/٢	علي	من عفوا الله عنه
٣١٥/٢	ابن مسعود	من علم شيئاً فليقل
٤٣٥، ١٣٧/١	أبو هريرة	من غشناً فليس منا
٣٤٩/٢		من فاتته صلاة العصر
٢٦٤/٢	الحسن	من فربدينه من أرض
٥١٦٠٤٨٠/٢		من قال لا إله إلا الله
٣٩٨/٢	عائشة	من قتل قييلاً
١٢٩/٢		من قرأ بها فأجنه الله
٢٣٠/١		من كان يؤمّن بالله
٦٠٣/١	ابن مسعود	من هذا؟
٥٨٦/٢		من يتآل على الله يكتبه
٢١٩/١	جابر بن عبد الله	من يحاسب يعذب
٢٧/٢	جابر	من يمنعك مني؟
٦٧/٢	الحسن	منهم موسى
٥٢٠/٢	أبو هريرة	المودة كنایة عن الجماع
٤٢٠/٢، ٦٤٢/١	ابن عمر	المؤمن من أمنه
٤٣٠/٢		المؤمنون هينون
٣٤٩/١	ابن عباس	ناركم هذه جزء
٥٠٦/١	سعيد بن المسيب	نتفع بالحجارة الماء
٤١٣/٢	مجاهد	نحن معاشر الأنبياء
٣٩٥/١	ابن عباس	نجوم النساء
٢٠٢/١	عائشة	نزلت في نهان التهار
		نزلت في اليتيمة

الآحاديث	الراوي	الجزء والصفحة
نزلت فينا أهل بدر	عبدة بن الصامت	٣١٠/١
نزلت هذه الآية في قتل بدر	قتادة	٥٩٣/١
نزلت هذه الآية فيينا	ابن عباس	٦٥٠/١
نشدتك الله، هل كنت تعرف	عمر بن الخطاب	٩٢/١
نشر الله فيها الحق	علي	٦١٢/١
نصرت بالصبا	ابن عباس	١٠١/٢
نعم إن في الجنة		٦٥/٢
نعم ترجان القرآن	ابن مسعود	١٠/١
نعم السواك الزيتون	ابن عباس	٦١٦/٢
نعم وتلا هذه الآية		٦٥/٢
نعم يا أمير المؤمنين	عبد الله بن سلام	٩٢/١
نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل	ابن عمر	١٧٩/٢
هذا		٢٧٥/٢
هذا تمني	الحسن	٢٢٧/٢
هذا الغلام وافق	ابن عباس	١١٧/٢
هذا لعم الله التكلف	عمر	٥٧١/٢
هذا وقومه	----	٣٥٠/٢
هذه الآية أشد	عبد الله بن عمرو	٥٦٠/٢
هذه الآية حجة	فخر الدين بن خطيب	٥٧٦/٢
	الري	
هذه أرجى آية	علي	٢٨٩/٢
هذه أهون	جابر بن عبد الله	٢٥٣/١
هذه الحيبة		١٤٤/٢
هذه سنون لا أدرى ما هي		٩٠/٢
هكذا أحکم	ابن عباس	١٨٦/١
هكذا كنا	أبو بكر	٤٣٧/٢
هكذا أو جدناهم	الحسن	٦٢٢/١
هل تجد في القرآن	أبو رزين	٦٥/٢
هل مررت بواد		١٥٨/٢
هل من داع		٤٣٠/٢
هلا شققت عن قلبه		١٩٥/١
هم سبعة وثامنهم	ابن عباس	٤٨٩/١
هم الشهداء	سعید بن جبیر	٢٧/٢
هم عثمان وطلحة والزبير	علي بن أبي طالب	٥٦٧/١
هم عيسى والعزير	مجاحد وأبو صالح	٥٦٧/١

الالجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٣٠٥/٢	الأنبارية	هم كالحلقة
٣٤١/٢	ابن عباس	هم المطعمون يوم بدر
٣٠١/٢	ابن عباس ومجاهد	هما عتبة بن ربيعة وكتانة
١١٠/٢	الزهري	هم متعتان
٢٠/٢	ابن عباس	هو استهزاء
٥٨٦/٢	عائشة	هو أن يعرف ذنبه
٦١٦/٢	ابن عباس	هو تينكم هذا
٣٧٤/٢	زيد بن أسلم	هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٥٦/٢	الحسن	هو فتح هجر
١٢٠/٢	قتادة	هو قول الرجل سبحانه الله
١٥٩/٢	ابن مسعود	هو قولك سبحانه الله
٣٤٨/٢	ابن عباس	هو قوله مالنا إن أطعنا
٢٠٣/٢	ابن عباس	هو الكبش الذي قربه
١٤١/٢	أبو عبيدة	هو كل شجر ذي شوك
٤٨٢/١	صفوان بن عمال	هي ألاتنلوا
٤٤٦/١	أبي بن كعب	هي السبع المثاني
٦١٦/٢		هي سواكي
٥٤٧/٢	ابن مسعود	هي عروق النطفة
٢٤٥/٢		هي لا إله إلا الله
٤٤٦/٢	ابن عباس	هي منسخة
٣٢١/١	عمر بن الخطاب	هؤلا رأس الضلالة
٢٣٤/١	أنس	وآتى النساء
٢٣٤/١	أنس	وأكل اللحم
٥٣٠/١		وأقم الصلاة
٦٣٠/١	أبوبكر	والله إني أحب
٥٢٣/١		والله لا لأعطيك
٥٢٣/١		والله لا أكفر
٣٦١/٢	أبوبكر	والله لا أكلمك
٣٥١/١		والله لا تستغرن
٦٢/٢	أبوبكر	والله لتغلبن الروم
٣٢٢/١	العباس	والله لقد آتاني الله
٥٣٥/٢	ابن عباس	والله لقد سمعت من محمد
٤٤٨/٢	أبوبكر	والله لو كان السيف
٧٩/١	عمر بن الخطاب	والله ما أجلس فيكم
٤٧١/١	علي بن أبي طالب	والله ما أحسنت

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٩/١	الحسن	والله ما أنزل الله آية إلا
٥٨٧/٢	أبو هريرة	والله ما سجدت فيها إلا
٤٥٨/٢	علي بن أبي طالب	والله ما كذبنا ولا كذب
٤٦١/١		وإليك نسعي
٢٢٠/٢	بلال	وأنا أردت الخير
١٤٦/١	أبو طلحة الأنصاري	وإن أحاب أموالى إلى
١٤٦/١	أبو طلحة الأنصاري	وإنها صدقة لله
١٧١/١	عبدة بن الصامت	والشيب بالثيب
٦٥/١	-	وجعلت قرة عيني
٨٦/١		وجعلت لي الأرض مسجداً
٤٩٨/١		ودددنا لو أن موسى سكت
٤٧٢/٢	ابن عباس	والذي نفس محمد بيده
٢٢١/٢		والذى نفسي بيده لو قال
٤٧٥/٢		وفت أذناك
٩٣/١	عمر بن الخطاب	وقتكم الله يا ابن سلام
٤٠٣/٢	أبو أمامة	وفي عمله كل يوم
٧٤/١	أبو ذر	وقد سبح الحصى
٢٠٣/١	الحسن بن علي	وعبد الله الغنى في
٥٠٠/١	الحسن	وعجبت لمن أيقن بالموت كيف
٥٠٠/١	الحسن	وعجبت لمن رأى تقلب
٣٢٤/٢	عمر	وعزة ربي لا
١٥٢/١	أبو هريرة	وكان رسول الله يفتت
٢١٩/٢	عمر بن عبد العزيز	ولا تتبع الموى
٥٨٠/٢	ابن عباس	ولا طفقو المكيال
٥٨٠/٢	ابن عباس	ولا منعوا الزكاة إلا
٣٣٢/١	علي	ولا يطوف بالبيت عريان
٥٧/٢	ابن عباس	ولذكر الله إياكم
٣٣٠/١	ابن عباس	ولما أسر العباس
٥٨٠/٢	ابن عباس	وما حكموا بغير ما أنزل
٥٨٠/٢	ابن عباس	وما ظهرت فيهم الفاحشة
٢٤٣/١	أنس	ومن رغب عن سنتي
٦١٧/١	ابن عباس	ومن يطع الله
٣٣٥/١		ويحرمون الشيء مما حرمه الله
٥٦٥/١	أم سلمة	ويل للعرب من شر
٣٧٣/١	ابن عمر	يا ابن آدم عندك ما يكفيك

الالجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٢٣١/١	ابن عباس	يا أصحاب البقرة
٢٣١/١	الفرزدق	يا أصحاب السمرة
٢٣١/١	عمر بن عبيد	يا أصحاب الشجرة
٤٨٤/١	ابن عباس	يا الله يا رحمن
٦٧١/١	الفرزدق	يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى
٥١/٢	عمر بن عبيد	يا أمير المؤمنين لا تفتر
٤٤٥/٢	ابن مسعود	يا أيها الناس افهموا
٥٧٤/١	ابن عباس	يا أيها الناس إن الله قد بني بيته
١٧٢/١	عمر بن الخطاب	يا أيها الناس لا تغالوا
٥٤٣/١	كعب	يا أيتها العظام البالية
١٠٦/٢	ابن عباس	يأتيكم الأحزاب
٤٩٨/١		يا رب كيف السبيل
٣١٨/١		يا رسول الله أرأيت إخواننا
٣٢٢/١	أنس	يا رسول الله أعطني
١٥٧/١	ابن عباس	يا رسول الله افعل ما بدا لك
٥٦٨/٢	ابن أم مكتوم	يا رسول الله أقرئني
١٠٨/٢		يا رسول الله إن الملائكة لم تضع
٤٩٦/١		يا رسول الله إنما أنفسنا
١٤٤/١	الأشعث بن قيس	يا رسول الله إنه فاجر
١٤٦/١	أبو طلحة الأنصاري	يا رسول الله إني سمعت الله يقول
١١٤/٢	ابن عباس	يا رسول الله ذكر الله الرجال
٦٠٠/١	عويمر العجلاني	يا رسول الله رجل وجد مع امرأته
٣٣٩/١	جابر بن عبد الله	يا رسول الله قد علمت قريش
٢٨٧/٢	ابن عباس	يا رسول الله قد هدانا الله بك
٤٦٤، ١٦٤/١	أم سلمة	يا رسول الله لو كان في النساء خير
١٢١/٢	أبو بكر	يا رسول الله ما خصك الله بشرف إلا
٤٧٨/٢	حاطب	يا رسول الله ما كفرت
٣٢٣/١	أنس	يا رسول الله من بعضهم يحمله
١٦٩/١		يا رسول الله هاتان ابنتان سعد
١٠٧/١	عبد الله بن جحش	يا رسول الله هل تعذد لنا
٣٢٢/١	العباس	يا رسول الله والله ما اطلع على هذا
٦٤١/٢		يا صبحاه
٢٣٦/١	عمر	يا عدو نفسه
٤٩٦/١		يا علي وفاطمة
٤١/٢		يا عمّ قل لا إله إلا الله

الجزء والصفحة	الراوي	الأحاديث
٣٣٠ / ٢	أبو هريرة	يا فاطمة بنت محمد
٣٤٣ / ١	أبو أمامة	يا ويح ثعلبة
٣٤٢ / ٢	الشافعي	يتخير الإمام
٩٨ / ٢	بعض أصحاب الشافعى	يموز له عليه السلام أن يأخذ
٥٩٢ / ١	عائشة	يغافون ألا يتقبل عملهم
٤٦٧ / ١	ابن عباس	يختص يوم القيمة الروح
٥٣٩ / ١		يدبح الموت
٤٤٢ / ٢		يدخل أهل الجنة
٣٩٠ / ٢	أنس	يدخل كل يوم سبعون
٣٨٩ / ١	أبو هريرة	يرحم الله لوطاً
١٥٧ / ٢	ابن عباس	يريد يا أهل مكة
٤٤٥ / ٢		يشفع يوم القيمة
٤١٦ / ٢		يغفر ذنبًا ويفرج
٤٩٩ / ٢	ابن مسعود	يكشف الرحمن عن ساقه
٥٣٤ / ٢		يكلف أن يصعد عقبة
٤٩٤ / ٢	الحسن	يلوبي شدقىه
٢٩٢ / ٢	أنس	ينادي مناد يوم القيمة
٣٠٩ / ٢		ينزل عيسى على عقبة
٢٨٨ / ٢	قتادة	ينسىك القرآن
٤٠٢ / ٢	ابن عباس	يوشك ألا يبقى لك
٢٣٦ / ٢		يؤتى بأهل الصلاة
٤٧٩ / ٢، ١٧٥ / ١	ابن عمرو، الثوري	يؤتى برجل يوم القيمة
٥٠٣ / ١	عبيد بن عمير	يؤتى بالرجل البدن

\* \* \*

### ثالثاً: فهرس الأشعار

#### قافية المهمزة

الجزء والصفحة	البحر	القائل	الشعر
١٤٤/٢	الوافر	حسان بن ثابت	أَتَهُجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لَخِيرُكُمَا الْفِدَاءِ
٣٩٦/٢	السريع		إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ عَشَاءَ ... اشترى الراعي كِسَاءَ
١١٢/٢	الخفيف	أبو زيد الطابني	طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانِ ... فَاجْبَنَا أَنَّ لَاتَ حَيْنُ بَقاءَ
٤٣٦/١		حسان بن ثابت	أَلَا أَبْلَغُ أبا سفيانَ عَنِي ... فَانْتَ مَجْوَفٌ تَخْبُثُ هَوَاءَ
٥٢/٢، ٤٢١/١		حسان بن ثابت	أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدُحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءَ

#### قافية الباء

٥١٣/٢	الوافر	معاوية بن مالك	إِذَا نَزَلَ السَّيَاهُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
٤٣٠/٢	الرجز		حَتَّى إِذَا الْكَلَابُ قَالَ لَهَا كَالِيمٌ مَطْلُوبًا وَلَا طَالِبًا
٢٢٠/٢	الرجز	أبو محمد الفقعي	حَلَتْ عَلَيْهِ بِالْقَفْلِ ضَرَبَاهَا ضَرَبَ بَعِيرَ السَّوَاءِ إِذْ أَحْبَاهَا
١٠٧/١ ٣٠٨	الطوبل	أساء بن خارجة	خُذِي الْعَفْوَ مِنِي تَسْتَدِيمِي مُودَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ
٤٣٢/١ ٢٢٣/٢	الوافر	هدبة بن الحشرون	عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرْجٌ قَرِيبٌ
١٠٣/٢	الوافر	جرير	أَقْلَى اللَّوْمَ عَادِلٌ وَالْعَيْتابَا. وَقُلْ لِي إِنْ أَصَبَّتُ لَقَدْ أَصَابَا
٥٩٧/١	الطوبل	التابعة الذبياني	أَلْمَتَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً .. تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُوَّنَاهَا يَتَنَبَّذُ
٤٥٦/١	البسيط	عمرو بن معدى	أَمْرُكَ التَّقِيرَ فَاقْعُلْ مَا أَمْرَتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالِ وَذَا شَبِ
٣٣١/١ ١٨٥/٢	رسول الله صلى الله عليه وسلم		أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذَبٌ أَنَا بْنُ عبدِ الْمَطْلُوبِ
١٦٥/١ ٤٤١	البسيط		فَالِيَوْمِ قَرِبَتْ تَهْجِيْـونَا وَتَشْتَمَـنا فَاذْهَبْ فِيْـا يَكَـ وَالْأَيَامِ مِنْ عَجَـ

٤٠٩/٢	الطویل		كأنَّ بها سعراً إذا الريح هزَّها ذمِيلٌ وإرخاءٌ من السير مُتَبَعٌ
٣١٩/٢	البسيط		كم أمرئ كان ذا خفْضٍ وذا دُعَةٍ صُبَّتْ عليه صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ
٢٧٦/١	الكامل	لساعدة بن جوية الهلبي	لذُنْ هَرَّ الْكَفَّ يَعِسْلُ مَتَنَّهُ فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ التَّعَلُّبُ
٣٨٩/٢	الرجز		لنا ذَنْبٌ ولَكُمْ ذَنْبُ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلْبُ
١٣١/٢	الوافر	أبو زيد	مُجَلِّبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيلِ جَلْبَابًا
٣٧٩/١ ٤٠/٢	الطویل الغنوی	كعب بن سعد	وَدَاعَ دُعا يَا مَنْ يُبَيِّبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عَنْدَ ذَلِكَ مُجَبِّبُ
٢٣٩/٢	البسيط		وَقَدْ أَنْتَكَ يَقِينُ غَيْرِنِي عَوْجٍ مِنَ الْإِلَهِ وَقَوْلُ غَيْرٍ مَكْذُوبٍ
٥٢٢/١	البسيط		وَكُمْ دُعَانِي مُسْتَنْجِ فَحَادَثِي. . وَمَا أَخْلَّ وَلَا أَخْلَلْتُ بِالْأَدِبِ
٢٣، ٢٢٨/١ ، ٢٩٤ ٥٩٠/٢	الطویل	التابعة الذبيانی	وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُّوهُمْ يَهِنُّ فُولُونْ مِنْ قِرَاعِ الْكَّتَائِبِ
٢٧/١	البسيط		وليلة من جمادى ذات أندية لا يصر العبد في ظلمائها الطبا لا ينبع الكلب فيها غير واحدة تى يلف على خرطوه الذنبـا
١٨٩/٢	السريع	ابن زَيَّادة	يَا وَيْحَ زَيَّاً لِلْحَارِثِ الصَّالِحُ فَالْغَانِمُ فَالْأَيْبِ
٣٣٨/٢	الوافر	الأخفش	يَرْجِيَ الْمَرْءُ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ وَتَعْرُضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخَطُوبُ

قافية الناء

١٨٥/٢	النبي صلى الله عليه وسلم	هل أنت إلا إصبع دميـت وفي سـبيل الله ما لـقيـت
٤٣٩/١	المديـد	رُبَّـما أـشرفتُ فـي عـلـمٍ تـرـفـعـنـ ثـوـبـيـ شـهـالـاتـ

## قافية الجيم

٢٣٣ / ٢	البسيط	ذو الرمة	تلوي الثناء بأحقيها حواشيه لِيَ الْمُلَاء بِأَبْوَابِ الْفَهَارِيجِ
٥٧٣ / ١	الرجز	التابعة الجعدي	نَحْنُ بْنُ جَعْدَةَ أَصْحَابِ الْفَلَجِ نَصْرَبُ بِالسَّيْفِ وَتَرْجُونَا بِالْفَرَجِ

## قافية الحاء

٢٩٠ / ٢	الوافر	المغيرة بن حبناه	سَأَتَرَكُ مَتَزَلِّي بَكَيْ تَمِيمٌ وَأَخْتَى بِالْمَحْجَازِ فَأَسْتَرِيْحاً
١٣٠ / ١	الوافر	توبية بن الحمير	كَانَ الْقَلْبُ لِيَلَةَ قَبْلَ يُغْدِيَ بِلْلِي الْعَامِرِيَةَ أَوْ يَرَاحُ قَطَّاً عَرَّهَا شَرْكُ فَيَاتَتْ تَجَاهِيَّهُ وَقَدْ عَلَقَ الْجَنَاحُ فِلَّا فِي الْلَّيلِ نَالَتْ مَا تُرْجِيَ وَلَا فِي الصَّبَحِ كَانَ لَهَا بَرَاحٌ
٦٠ / ١	الطوبل	حسان بن ثابت	لَقَدْ دَأَقَ حَسَانُ الدَّنْيَيْ كَانَ أَهْلَهُ وَخَنَّهُ إِذْ قَالَ مَهْجِيرًا وَمَسْطَحُ
٥٣ / ١ ٥٨٦	الكامل	لبيد	لَوْ كَانَ حُّى مَدْرَكَ الْفَلَاحِ أَدْرَكَهُ مَلَاعِبُ الرَّمَاحِ
٣٦٩ / ١	مجزوء الكامل	سعد بن مالك	مِنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيسٍ لَا بَرَاحُ
١١٢ / ٢	الوافر	أبو ذؤيب المهذلي	مِنْ تَهْبِيْكَ عَنْ طَلَابِكَ أَمَّا عَنْهُو بِعَافِيَةٍ وَأَنَّ إِذْ صَحِيْحُ
٣١٣ / ١	الوافر	عمرو بن الإطنابة	إِقْحَامِيْ على الْمَكْرُوهِ نَفْسِيْ وَضَرِيْ وَأَخْضِرُ هَسَامَةَ الْبَلْ طَلِّ الْمُشَيْحِ
٦٢٥ / ٢	الكامل	عنترة	وَالْخَلِيلِ تَكَدُّحُ حِينَ تَضَبِّحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ضَبْحًا
٣٩٢ / ١	الطوبل		يَقُولُونَ لَا تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفَنُونَهُ وَمَا الْبَعْدُ إِلَّا مَا تَحْنُنُ الصَّفَائِحُ

## قافية الدال

٣٠٣ / ٢	الطوبل	زاد بن صعصعة	إِذَا مَا انتَسَبْنَا لِمَ تَلْدُنِي لَثِيمَةُ وَلَمْ تَجْدِي مِنْ أَنْ تَقْرِيْ بِهِ بَدَا
١٢٤ / ١	الطوبل	طرفة	أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَمُ الْكَرِيمَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ
٥٦ / ١	الطوبل	الفرزدق	أَعْدَنَظَرَا يَا عَبْدَ شَمْسِ فَرِيْداً أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الْحَمَارُ الْمَقِيدَا
١٥٢ / ٢	الرجز	عبيد بن الأبرص	مِنْ أَفَقَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُنْدِي وَلَا يُعِيدُ

٢٤٦/٢	الطوبل	طرفة بن العبد	ألا أيها الزاجري أحضر الوغى أن أَشَهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي
٣٢٦/١	الرجز	قوم من خزاعة	إِنْ قَرِيسًا إِخْلَفُوكَ الْمُوعِدَا وَنَقْضُوا مِثَاقَكَ الْمُؤْكَدا هُمْ يَبْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدا وَقُتْلُونَا رُكَّعاً وَسُجْدا
٢٣٨/٢	البسيط		شمر وKen في أمور الدين مجتهدا ولَا تكن مثلَ عِيْرَ قِيدَ فانقادا
٥٦٧/١	الوافر	حسان بن ثابت	عَلَى مَا قَامَ يَشْتَمِنِي لَئِمَّ كَخْتَرِيزٍ تَرَغَّبَ فِي رِمَادٍ
١٧٥/٢			فَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دَمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ
٣٤٢/١	الطوبل	الأشهب بن رميلة	فَإِنَّكَ لَوْ شَهَدْتَ بَكَاءَ هَنِيدٍ وَرَمْلَةَ إِذْ يَصْكَانُ الْخَدُودَا إِذْ لَشَهَدَتْ مَعْلَةَ تَكُولَا أَبَاحَ الدَّهْرُ وَاحْدَهَا الْفَقِيدَا رَمِيَ الْحَدَثَانُ نُسْوَةَ آلِ حَرِبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنَ لَهُ سُمُودَا فَرَدَّ شَعْرَهُنَّ السُّودَ بِيَضَا وَرَدَّ وَجْهُنَّ الْبَيْضَنَ سُودَا
٤٠٥/٢	الوافر		قُدْ أَتْرُكُ الْقَرْنَ مُصْفَرًا أَنَامِلُهُ كَانَ أَثْوَابِهِ مجْتَبِر صَادِ
٩١/١	البسيط	عبد بن الأبرص	
٢٤٤/٢			
٥٧٤			
٣٧٢/٢	السريع	ذو الرمة	هُلْ أَغْدُونَ فِي عِيشَةِ رَغِيدٍ وَالْمَوْتُ أَدْنَى لِي مِنَ الْوَرِيدِ
٤٢٣/٢	الطوبل		وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ ثَلَةُ خَنْدِيفَةٍ تَحْيِسُ كَتِيَارَ مِنَ السَّيلِ مَزِيدٌ
٢١٥/١	الطوبل	الأعشى	وَذَا النُّصُبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَعْبُدُهُ وَلَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبِدَا
٢٢٤/٢	الطوبل	المتنبي	وَقَيَدَتْ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ محْبَةٍ وَمِنْ وَحْدِ الْإِحْسَانِ قَدَا تَقْدِي

٢١٤/٢	الكامل	الأسود بن يعفر	ولقد غنوها فيها بأفضل عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
٦٤٩/١	البسيط	أم قيس الضبية	ومشهد قد كفيت الناطقة——ين به في محفل من نواصي الناس مشهود
٦٥٥/٢	المسرح	لبيد	يا عين هلا بكية أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كيد
<b>قافية الراء</b>			
١٨٦/٢	المسرح	الريبع بن منيع	أصبحت لا أحمل السلاح ولا .
		الفزارى	أملك رأس البعير إن فرا
٣٠٣/٢	الكامل	حاتم الطائي	اعشوا إذا ما حارق بمراث حتى يُواري حارق الخدر
٢٩٠/٢	البسيط	الختناء	أغر أبلج تأتم الهدأة به .. كأنه عَلِمَ في رئيسه ناز
٦٥٣/١	المقارب	أبو ذؤيب الهذلي	إِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُوْلِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْحَبْرِ
٥٣٢/١	المقارب	ابن داود	تقولُ بِئْنَيْنَ لَمَّا رأَتْ قُنُوعًا من الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ
		الأصفهانى	
٥٨١/١	الطويل	كعب بن مالك	تَكَبَّرَ كِتَابُ الله أَوْلَى لِيَلَةٍ وَآخِرَهَا لَا قَى جَامِ المَقَادِيرِ
١٨٢/١	الرجز		جَادَتْ بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى السَّرِ
٥٨٨/١	الكامل	أميمة بن الصلت	خَلَقَ الْبَرِيَّةَ مِنْ سَلَالَةِ مُنْتَنِ وَإِلَى السَّلَالَةِ كُلُّهَا سَتَعُودُ
٥٩٠/٢	الطويل	الأحوص	سيقَى هَا في مضمِّنِ القلبِ والخشَا سريرةً وَدِيَوْمَ تُبَلِّ التَّسَرَّأَتُ
١٦٢/١	الطويل	امرؤ القيس	عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهِنَّدِي بِمَنَارِهِ . إِذَا سَافَهَ الْعَوْدُ الدَّيَانِيُّ جَرْجَراً
١٣٨/٢	الطويل	الأعشى	تَرُوحُ عَلَى الْمُحَلَّقِ جَفْنَةً كَجَابِيَّةُ الشِّيخِ الْعَرَاقِيِّ تَفَهَّقَ
٣٦٦/٢	الرجز	رؤبة	فَوَاسِقًا عن قصيدها جَوَائِرًا
٦٣٢/١	الراجز		قالْتُ وفيها حَيْنَةً وَدُعْرُ عَوْذُ بِرِبِّي مِنْكُمْ وَحُجْرُ
١٢٦/١	السريع	ابن أحمر	لَا تُقْنِعُ الْأَرْبَابَ أَمْوَالَهَا وَلَا تُرِي الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِ

٥١٧/١	البسيط	عامر بن الحارث	لقد أتني لساناً لا أُسِرُّ بها من علو لا عجب منها ولا سخر
١٨٤/٢	الطويل	ابن الدمية	لَيْنَ كَانَ يُهَدَى بَرْدُ أَنِيَّا بَهَا الْعَلَا لَا فَقَرَ مِنِّي إِنِّي لَفَقَرَيْرُ
٢٠٩/١	الكامل	الخريق بنت بدر	النازلينَ بِكُلِّ مُتَرَكِّ وَالظِّيَّوَنَ مَعَا قَدَّ الْأَزَرِ
٢٩٨/٢	الطويل	ابن هرمة	وَأَفْرَنْتُ مَا حَمَّتِي وَلَقَلَّمَا يُطَافُ إِنْهَمَّ الْصَّدَّيَا دَعْدُوا هَمْجُرُ
٢٦٨/١	الوافر	عروة بن الورد	وَقَالُوا مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ أَلْهُو إِلَى الْأَصْبَاحِ آثَرَ ذِي أَثِيرٍ
١٦٠/٢	الخفيف	ابن الزبوري	يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِنَ مَا فَقَثَتْ إِذَا بُوْرُ
١٤٧/٢	الرجز		يَا سَارِقَ الْيَلَةَ أَهْلَ الدَّارِ
١٨٠/١	البسيط	عثير بن ليد	يَبْكِي الغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرُفُهُ
		العذري	وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
٥٧٢/٢	الكامل	العجاج	أَبْصَرَ خَرْبَانَ فَضَاءَ فَانْكَدَرَ دَانِي جَنَاحِيهِ مِنَ الطَّوْدِ فَمَرَ
٥٤٥/٢	الطويل	ابن سلام	أَمَوِيُّ مَا يَعْنِي الشَّرَاءُ عَنِ الْفَتِي إِذَا حَشَرْجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
٣٦٤/٢	الرجز	الحرمازي	أَنْتَ هَلْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ دَاهِيَةُ الدَّهْرِ وَصَهَاءُ الْغَبْرِ
٥٥٩/٢		ابن علي الطوسي	جَنَّةُ لِفَّ وَعِيشُ مَغْدِقُ وَنَدَامِي كُلُّهُمْ بِيَضْ زُهْرِ
٥٤١/٢	الرجز	العجاج	فِي بَثِ لَاهُورُ سَرِي وَمَا شَعَرَ بِأَفْكَهِ حَتَّى رَأَى الصَّبِحَ حَشَرَ
٦٣٧/٢	الطويل	الكميت بن زيد	وَأَنْتَ كَمِيرُّ يَا بْنَ مَرْوَانَ طَيْبُّ وَكَانَ أَبُوكَ أَبْنُ الْأَكَارِمِ كَوْثَرَا
٥٨١/٢	الكامل		وَلَقَدْ نَهِيْتُكَ أَكْمَوْا وَعَسَاقِلَا وَلَقَدْ نَهِيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبِرِ
٥٥٠/٢	الكامل		وَلِيلَةُ ظَلَامُهَا قَدْ اعْتَكَرَ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيُّ مَا زَهْرِ
٤١٨/٢	الطويل		وَمِنْ كُلِّ أَفْنَانِ اللَّنَادِذَةِ وَالصَّبِيَا لَهُوتُ بِهِ وَالْعِيشُ أَخْضُرُ نَاضِرُ
٥٤١/٢	المتقارب	امرؤ القيس	لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ لَا يَدْعُعِي الْقَوْمَ أَنِّي أَفْرَ

## الفهارس العامة

٢٠٩/١	الكامل	الخرنق بنت بدر بن هفّان	<b>لَا يَعْدُنْ قومِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفْلَأُ الْجَزْرِ</b> <b>قافية السين</b>
٢٦٢/١	الطويل	عباس بن مرداش	أَكْرُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ . وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسِّيَوفِ الْقَوَائِسَ
٣٣٨/١	البسيط	الخطيئة	دُعَ الْمَكَارَمَ لَا تَلْمِ بِسَاحِتِهَا وَاجْلَسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعُمُ الْكَاسِي
٤٣٣/١	الوافر	صدر بيت للأعشى	مُحَمَّدٌ تَفَدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ
٢٣/٢	الرجز	جران العود	وَبَلَدَةَ كَيْسٍ إِلَيْهَا أَئِيسٌ إِلَى الْيَعَافِرِ وَإِلَى الْعَيْسِ
٣٥/٢	الخفيف	أبو تمام	وَثَنَيَاكَ إِنَّهَا إِغْرِيْضُ وَلَا كَلْ قَوْمٌ وَفَرْقٌ وَمِيسَ
٣٠٣/٢	الوافر	الخنساء	وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَاشَةَ لَى إِحْرَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَعْزَّيِ النَّفْسَ عَنْهُ بِالْتَّأْسِي
<b>قافية الشين</b>			
٦٤، ٦٣/٢	الخفيف	ابن عباس	وَقَرِيشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ بِهَا سَمِيتَ قَرِيشَ قَرِيشَا تَأْكِلُ الْعَثَّ وَالسَّمِينَ وَلَا تَتَرَكُ فِيهِ لَذِي الْمَخَالِبِ رِيشَا هَكَذَا فِي الْكِتَابِ حَيُّ قَرِيشٌ يَأْكُلُونَ الْبَلَادَ أَكْلًا كَمِيشَا وَلَهُمْ آخِرُ الزَّمَانِ نَبِيٌّ يَكْثُرُ الْقَتْلُ فِيهِمْ وَالْحَمُوشَا
<b>قافية الضاد</b>			
٤١١/٢	الوافر		كُلُّوا فِي بَعْضٍ بَطِنُكُمْ تَعْفُوا فَإِنْ زَمَانَكُمْ زَمْنٌ خَمِيصٌ
٣٩٨/١	الطويل		مُضِي اللَّيلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمْضِي وَرُؤْيَاكَ أَحَلَّ فِي فَوَادِي مِنَ الْعُمْضِ
<b>قافية العين</b>			
٥٥/١	الرمل	سويد بن أبي كاهل	أَبْيَضُ الْلَّوْنُ لِذِيْدٍ طَعْمَهُ طَيْبُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدْعَ

٧٦/٢	أوس بن حجر	المنسرح	الملعى الذي يربك من الأمـ(ر) كان قد رأى وقد سمعا
٢٤٥/٢	جحيل بشنة	الطوويل	أما تنتقين الله في جنبِ وامقِ له كبدُ حرّي عليكِ تقطَّعُ
٣٤٣/٢	الأعشى	البسيط	بذات لوث عفراناً إذا عثرت فالتعسُ أوى بها منْ أنْ أقولَ لعاً
٤٢/٢	المتنبي	الكامل	تَخَلَّفُ الْأَكَارُ عنْ أَصْحَاهَا حِينَا وَيَدْرُكُهَا الْفَنَاءُ فَسُتْبَعُ
٤٣٧/١		الطوويل	ترى النورَ فيها مُدْخِلَ الظَّلَّ رَأْسَه وَسَائِرُهُ بَادِي إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ
٤٠٧/٢		الطوويل	تَعَبَّدَنِي نَمْرُونْ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى وَنَمْرُونْ بْنُ سَعْدٍ لِي مَطْبِعٌ وَمَهْطِعٌ
٤٧٠/٢			جَدْنَا قَيْسُ وَنَجْدُ دَارُنَا وَلَنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرُعُ
٤٩٥/٢	حسان بن ثابت	الطوويل	زَيْنِمْ تَدَاعِيَ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زَيَدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ
٤٠٨/٢		الأعرج	فَقَمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مِسْرَأً كَذَلِكَ يَجِزِينِي الَّذِي كَنْتُ أَصْنَعُ
٣١٠/٢	أبو قيس بن الأسلت	السريع	قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فِيمَا أَطْعَمْتُ نُومًا غَيْرَ تَهْجَاجَ
٣٩٧/٢	حسان بن ثابت	السريع	مِنْ يَرْجُعُ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ فَلَا أَكِيلُ السَّعِيَ بِالرَّاجِعِ
٤٢٤/١	أبو ذؤيب المهنلي	الكامل	وَتَجْلُدي لِلشَّامِتَيْنِ أَرْبِيْمُ أَنِي لِصَرْفِ الدَّهْرِ لَا أَنْسَفُصُ
٥٣٣/٢			وَخَلِيلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بَخِيلٌ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجَيْعٌ
٦٦٢/١	عمرو بن معدى كرب	الوافر	

قافية الغزن

قافية الفاء

يَا مَنْهَةَ اللَّهِ كَفَّيْ  
إِنْ لَمْ تَكْفِي فَخَفَّيْ  
أَمَا آنَّ تَرْحِيمَتَ  
مِنْ طَوْلِ هَذَا التَّشْفِي

ذهبت أطلب بختي  
فقيل لي: قد توفي  
كم من عالم في الشريا  
وعالم متخفّي  
الحمد لله شكرنا  
على تقاؤه حرفني  
داعكَ اللهُ منْ رجل بأفعى  
ضليل تفت السُّمُّ الذعافا

٥٠٨/٢	الوافر			كانت هي الوَسْطُ المَخْمُى فاكتنفت بها الحوادثُ حتَّى أصبحَت طَرْفَا
١١٤/١	البسيط	أبو ثَمَام		قافية القاف
٤٠٤/١	الطول	المتنبي		خَفِيَ اللَّهُ وَاسْتَرَ ذَا الجَهَانَ بِرُقْعَ فَإِنْ لُحْتَ حاضِتْ فِي الْخَلْدُورِ الْعَوَاطِقُ
٢٥/٢	الطول			فَلِمَا رَدَنَا مِنْ عَمِيرٍ وَصَحِيبٍ تَوَلَّا سِرَاعًا وَالْمَنِيَّةُ تُعِينُ
١٧٧/٢	الرجز	رؤبة		فِيهَا خَطْوَطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلْقٍ كَانَهُ فِي الْوَجْهِ تَوْلِيْعُ الْبَهْقُ
٦١٧/١	الرجز			قَالْتُ سُلَيْمَانِي اشْتَرَ لَنَا سَوِيقَا وَهَاتِ خَبِيزَ الْبَرِّ أَوْ دَقِيقَا
٢٨٢/١ ٣٥٥	الرجز	الأخطل		قَدْ اسْتَوَى بَشَرٌ عَلَى الْعَرَاقِ مِنْ غَيْرِ قَهْرٍ وَدِمْ مَهْرَاقِ
٤١٨/١	البسيط	زهير		كَانَ عَيْنَيَ فِي عَرَبَيَّ مُتَنَّةً مِنَ النَّوَاضِحِ شَقِيقِي جَنَّةَ سُحْقا
٢٣١/١	الوافر	بشر بن أبي خازم		وَلَا فَاعْلَمُوا إِنَّا وَأَنْتُمْ بَغَاءُ مَا بَقَيْنَا فِي شَقَاقِ

قافية الكاف

٦٣٢/٢	عبد المطلب			اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حَلَالَكَ لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبَهُمْ وَمَحَالُهُمْ عَذْنَأُ عَمَالَكَ إِنْ كُنْتَ تَأْرِكَهُمْ وَكَمْبَتَنَا فَأَمْرُّ مَا بَدَلَكَ يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سَوَاكَا يَا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمْ حَمَاكَا إِنْ عَدُوَ الْبَيْتِ مِنْ عَادَاكَا.
-------	------------	--	--	---

٢٤١/٢ ٣٩٩	الرجز	خالد بن الوليد	يا عُزَّى كفراً نِكْ لَا سُبْحَانَكِ إِنِّي رأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ
قافية اللام			
٣٥٧/١	الطوبل	أبو ذؤيب المذلي	إِذَا لَسْعَتَهُ الدَّبَرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبِ عَوَاسِلِ
٤٤/٢	الوافر	المتبني	أَشَدُّ الْعَمَّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَزْتَحَالَأَ
٦٢٧/١	المسرح	حضرمي بن عامر	أَفْرَحُ أَنْ أُزَرَّ الْكِرَامَ وَأَنْ رَزَقَ دُودًا شَصَانِصًا تَبَلَّا
١١٣/١	الطوبل	امرأة القيس	أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةِ الْقَوْمِ أَنِّي كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحِسِّنَ السَّرَّ أَمْثَلِي
٥٤١/٢	الوافر	غوية بن سلمي	أَلَا نَادَتْ أَمَامَةُ بِاحْتِمَالِ لَتَحْزُنْتِي فَلَا بِكَ مَا أُبَالِي
٣١٠/١	الرمل	لبيد بن ربيعة	إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّنِي وَالْعَجَلِ
٥٢٥/٢	الكامل	علي بن أبي طالب	أُورِدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَوِّلٌ مَا هَكُذَا تُورِدُ يَا سَعْدُ الْأَبِلِ
١١٦/٢		والد زيد بن حارثة	فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ أَغَالَكَ بَعْدِي السَّهَلَ أَمْ غَالَكَ الْجَلِ فِي الْلِّيْلِ شِعْرِي هَلْ إِلَى الدَّهْرِ أُوْيَةٌ حَسْبِيْ مِنَ الدُّنْيَا رَجُوعِكَ لِيْ أَمْلِ
			تَذَكِّرْنِي الشَّمْسُ عِنْدَ طَلْوَعِهَا وَتَعْرُضُ ذَكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفْلَ وَإِنْ هَبَطَتِ الْأَرْوَاحُ هِيجَنَ ذَكْرَهُ فِي طَوْلِ مَا حَزَنَتِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
			أَعْمَلْ نَصَّ الْعِيشِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسْأَمُ التَّنْطُوفَ أَوْ تَسَامُ الْأَبِلِ
			حَيَايِي أَوْ تَأْيِي عَلَيَّ مِنْيَتِي فَكُلْ امْرَئٌ فَانِ وَإِنْ غَرَهُ أَمْلِ
٢٩٩/٢	البسيط	أبو حنيفة	رُوَجْنُتُهَا مِنْ بَنَاتِ الْأَوْسِ مُجْزَنَةً لِلْمَوْسِجِ الْلَّدُنِ فِي أَبِيَّهَا زَجْلِ
٥٥٢/٢	الخفيف		سُلْ سِبِيلًا فِيهَا إِلَى جَنَّةِ الْخَلِيلِ لَتُسْقِي شَرَابَهَا سُلْ سِبِيلًا
٢٧٩/١	الوافر	الأصمسي	شَرَبَتِ الْإِثْمَ حَتَّىْ ضَلَّ عَقْلِي كَذَلِكَ الْإِثْمُ تَذَهَّبُ بِالْعُقُولِ

٢٠٢/١	الخفيف	بشار	قد تخللت مسلك الرُّوحِ وَنِي وَبِهَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا
٩١/١	الأعشى		قد نخصبُ العسرَ من مكون قائله وقد يشطُّ على أرماجنا البطلُ
٩١/١	القطامي		قد يدركُ المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستجلِّ الزللُ
١٦٠/١			كادت تهدُّ من الأصواتِ راحلتي إذا سالت الأرضَ بـجُردِ الأبايلِ
٢٢٨/٢	الكامل	الأخطل	كذبتُكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطِ غلسَ الظلامِ من الربابِ خيلاً
٦٥٣/١	الطويل	كثير عزة	لقد كذبَ الواشونَ ما فهُتَّ عندهم بِزُورٍ ولا أَرْسَلْتُهُم بِرسولٍ
٦٤٥/١	البسيط	أبو قيس بن الأسلت	لم يمنع الشُّرُبَ منها غَيْرَ أن تَفَقَّطَ حَامَةً في غصونِ ذاتِ أو قالِ
٥٥٧/١	البسيط		النَّبْعُ في الصخرةِ الصماءِ مُنْتَهٌ والنَّخلُ تبَتُّ بينَ الماءِ والمعجلِ
٤٧٤/٢	الكامل	الأخطل	ما زلتُ تحسُّبُ كُلَّ شيءٍ بعدهُمْ خَيْلاً تَكُرُّ عليهمُ ورجالاً
٣٧٧/٢	الخفيف	عدي بن زيد	نَقَبَا في الْبَلَادِ من حذرِ المَوْتِ وَجَالَا في الْأَرْضِ كُلَّ مَجَالِ
٣٣٤/٢	الطويل		وَإِنْ تَعْتَدْ فَالْأَحْلَلُ مِنْ ذِي صُرُوعَهَا إِلَى الضَّيْفِ يَجْرُّ في عَرَاقِيهَا نَضِلِّي
٥٢٥/٢	الطويل	ذو الرمة	وَدَاءٌ تَعْطَطُ ناقتي منْ مَفازَةٍ وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لِيلِها مُتَرَّمِلٍ
٩١/١	الطويل	امرأة القيس	وقد أغتندي والطيرُ في وُكَاتِها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
٨٠/٢			وَلِحُسْنِي في اللهوِ أَلَا أَحْبُّهُ وَلِللهِ دَاعٌ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلٍ
٥٥٣/١	الطويل	الأحوص	يُسْتَوْنَ مِنْ وِزْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَفِّقُ بالرَّحِيقِ السَّلَسِلِ
٦٤١/١	الكامل	حسان	يَهَارُسْ نَفْسًا بَيْنَ جنبيهِ كَرَّةً إِذَا هَمَّ بِالْمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ مَهْلًا
٤٥٣/٢	الطويل		

## قافية الميم

٤٩٣/١	البسيط		إن الخليفة إن الله سرّي سرّي بالعزيز تُرجى الخواتيم
١٠٩/١	الطويل	أبو تمام	دعوني أتح و جداً كنوح الحمام فلا تجعلني عرضة للوائم
١٩٣/٢ ٣٦٣	المسرح	التابعة الجعدي	زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم
٥٤٧/٢	البسيط		سائل فوارس يربو على لحلته أهل رأوا بسفح القاع ذي الأكم
٤٠١/١ ٤٧٥	الكامل	عنترة	عهدي به شد التهار كان خصبة البنان ورأسه بالعظيم
٢٠٨/٢	الوافر	الوليد بن عقبة بن أبي عقبة	فإنك والكتاب إلى عيٰ كذابي وقد حلم الأديم
٦٧١/١	الوافر	الفرزدق	فيتن بجانبي مضر عاتٍ وبث أفض أغلاق الختام
٥٧/١	الكامل	عنترة	فتركته جر السبع يُشنّه يقضين حسن بنائه والعصم
١٤٤/٢	الطويل	دو الرمة	فيما ظبية الوعباء بين جلاجل ويدين النّقا أنت أم أم سالم
٢٤/١	السريع	السخاوي	قالوا : غداً نأتي ديار الحمى وكل من كان مطينا لهم قلت : فلي ذنب فما حيلتي ؟ قالوا : أليس العفو من شأنهم ؟
٤٩٨/٢	الطويل	زهير بن أبي سلمى	بأي وجو أتقاهم لا سيماعمن ترجماتهم هم وسط ترضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم
٥٦٥/٢		الأشعث بن قيس	واساهرة يُضحي السراب مجللا لأقطارها قد جُبِّتها مثلثا
١١٩/١	الكامل	عدي بن الرفاع	وَسُنَانُ أَرْصَدَهُ الْعَنَاسُ فَرَنَقَتْ فِي عَيْنِهِ سَيْنَهُ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ
١٩١/١	الوافر	المتنبي	وَكُمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَقَهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

٤٦/٢	الكامل	عنترة	ولَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأْ سُقْمَهَا قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيُكَ عَنْتَ أَقْدِمْ
١٧٩/٢	الوافر	المتنبي	وَمَأْسِنَمْ لَكَيْ أَبْقَى وَلَكُنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحَمَّامِ إِلَى الْحَمَّامِ
٥٣٠/٢		أبو الطيب	وَاللَّهُمْ يَخْتَرُّ الْجَسِيمَ نُحَافَةً وَيُشَبِّثُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرُمْ
٣٢٢/٢	الطويل	علباء بن أرقم	وَيَوْمًا تَوَافَّنَا بِوْجَهِ مَقْسُمٍ كَأَنْ ظِيَّةً تَعْطُو إِلَى قَاصِيِّ السَّلَمِ
١٨٧/١	البسيط	أعرابي	يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظَمُهُ فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعَ وَالْأَكْمُ نَفْسِي الْفِدَاءِ لِقَبِيرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَقَافُ وَفِيهِ الْجَوْدُ وَالْكَرْمُ
٥٠٠/٢	الكامل		يَتَقَارَضُونَ إِذَا التَّقَوَا فِي مَوْطِنٍ نَظَرًا يُرِلُّ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ

## قافية النون

٤٥٣/٢	الوافر		إِذَا مَا غَانِيَاتِ بِرْزَنْ يَوْمَا وَزَجَّيْنَ الْمَوَاجِبَ وَالْعَيْوَنَا
٢٩٧/١	الوافر	عمرو بن كلثوم	إِذَا مَا مَلَكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا أَيْنَا أَنْ تُنَرِّي الْحَسْفَ فِينَا
٣١٩/١	الوافر		إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَيْمَهَا فَإِنَّ لَكُلَّ حَافِقَةً سَكُونً
١٧١/١ ، ٤٦٩	الوافر	عمرو بن كلثوم	أَلَا لَا يَجِهَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجَهَ فَوْقَ جَهَلِ الْجَاهِلِيَا
٦٤٣			
١٣٤/٢			امْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلَأَ رُوَيْدَا قَدْ مَلَأْتَ بَطْنِي
٧٨/١ ، ١٨٣	الوافر	سحيم بن وثيل	أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاعُ النَّنَيَا مَتَّ أَضْعَعُ الْعِيَامَةَ تَعْرُفُونِي
٢٩٨/٢	البسيط		إِنْ أَجْزَأْتُ حُرْرَةً يَوْمًا فَلَا عَجَبْ قَدْ تُمْبَرِي الْحَرَرَةَ الْمَذَكَارَ أَحْيَا
٥٢٧/١	البسيط		إِنَّ السَّفَاهَةَ طَةٌ مِنْ خَلِيقَتِكُمْ لَا قَدْسَ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْمَلَائِكَةِ
١٥٨/٢ ، ٣٨٤	الوافر	تأبط شرًا	يَا أَنِّي قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَسْعَى بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ أَضْرَبَهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ صَرِيعًا لِلْيَدِينَ وَلِلْجَرَانِ

٤٥٦/١	البسيط	زهير	تحْوَفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَحْوَفَ عُودَ النَّبَقِ السَّفَنَ
٤١٨/٢	الوافر	الشيخ بن ضرار	ذُعِرتُ بِالقطا ونَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّئْبِ لِلرَّجُلِ الْلَّعِينِ
١٢٨/١	الرجز		رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَارَنَا إِنَّا لِقَنِينَارِ جَلَّا عَرِيَانَا
٣٧٣/٢	الطوويل	ابن أحمر	رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالَّدِي بِرِيَا وَمِنْ جُولَ الطَّوَيِّ رَمَانِي
١٣٧/١ ٤٣٥	الوافر		فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْيَ
٢٢٠/١ ٢٧١	البسيط الأحتف	العباس بن الأنصف	قَالُوا خُرَاسَانَ أَقْصَى مَا يُرَاذُ بِنَا ثُمَّ الْقَفُولَ فَقَدْ حِنْتَنَا خُرَاسَانَا
٢٩٠/١	الرجز	لفرزدق	كَيْفَ تَرَانِي قَالَابَا مَجْنِي أَقْلَبُ أَمْرِي ظَهَرَهُ لِلْبَطْنِ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِي
٢٩٩/٢	الرجز		مَالَ أَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِينَا يَظَّلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا غَضِبَانَ أَلَا نَلِدَ الْبَيْنَانَ لَيْسَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا شِينَا وَلَيْسَنَا خُدُّدًا مَا أَعْطَينَا
٢٩٠/١ ٣٢٩	الطوويل		وَإِنْ حَلَقْتَ لَا تَنْقُضُ الدَّهْرَ عَهْدَهَا فَلِيَسَ لِمَخْصُوبِ الْبَيْانِ يَمِينُ
٢٤٧/١	الكامل	أبو طالب	وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينًا لَوْلَا الْمَلَائِمَةُ أَوْ حَدَازُ مَسَيَّةٍ لَوْجَدْتُنِي سَمْحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

## قافية الهماء

٦٣١/١	الطوويل		إِذَا لَسَعَتَهُ الدَّبَرُ لَمْ يَرْجِعْ لَسْعَهَا
١٦٥/١	البسيط	العباس بن مردارس	أَكْرُ على الْكَتْبَيَّةِ لَا أَبَالِي أَخْتَنَى كَانَ فِيهَا أَمْ سِواهَا
٥٥٧/١	المنسرح	ابن هرمة	إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُوْهَا ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا
٨٠/٢ ٨٥	الطوويل	الأعشى	تَشَرَّقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي أَذْعَنَهُ وَقَدْ أَغْنَدَيِي وَالْطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهِ
٤٥٨/١	الكامل	لبيد	حَتَّى إِذَا أَلْقَتُ يَدَأِ فِي كَافِرٍ وَأَجْنَ عُورَاتِ التَّغْوِيرِ ظَلَامُهَا

٦٢٨/٢	المقارب		زار القبور أبو مالك فأصبح الأم زوارها
٦١٥/١	الرجز		عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا
٣٦١/٢			
٣٨٦/٢	الرجز		علقتها تبنّاً وماء بارداً حتى شتت همالة عيناها
٤٦٥/٢	الطويل	رجل من بنى بكر	وَجَارَةُ جَسَاسٍ أَبَانَا بَنَاهَا كُلِّيَاً غَلْتُ نَابُ كَلِيبَ بَوَافُهَا
٥١١/١	الكامل	لبيد بن ربيعة	فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرَّيِ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قُلَامُهَا
٤٠٨/١	الطويل	حيد بن ثور	فَحَضَّحَصَ فِي صُمُّ الصَّفَا فَنَنَتِه وَنَاءَ بِسَلْمِي نَوَأَ ثُمَّ صَمَهَا
٦٢٣/١	البسيط		قَدْ أَكْرَكَ الْقِرْنَ مُصْفَرًا أَنَمِلُهُ
١٤٨/١	البسيط	جرير	كَانَتْ حَنِيفَةُ أَثْلَاثًا فَلَلُهُمْ مِنَ الْعَيْدِ وَلَلَّثُثُ مِنْ مَوَالِيهَا
٣٥٦/١	المقارب		كَانَ الْحَمِيمَ عَلَى مَتَّهَا إِذَا اغْرَقَهُ بِأَطْسَاسِهَا جُهَانٌ يَجْوِلُ عَلَى فِضَّةِ جَلَّهُ حَدَادُ دُوَائِهَا
٥٧٢			
٣٢٣/٢	الخفيف	الطرماح	كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمَلٌ مَدَّ الْعَمَدِ رِوَمَدِ إِذَا انتَهَى أَجْلُهُ
٢٦٥/٢	الطويل	الأحوص	مَشَائِيمَ لِيسُوا مَصْلِحَينَ عَشِيرَةً
		الرياحي	وَلَا نَاعِبٌ إِلَّا بَيْنَ غَرَابِهَا
٣٥٥/١	الكامل	الأعمش	وَقَصِيدَةٌ تَأْيِي الْمَلُوكَ حَكِيمَةٌ قَدْ قَلَّتْهَا لِيُقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا
٦٤٢			
٦٥٠/١	المسرح	رجل من حمير	وَلَا يَنْبِيمُ اللَّقاءُ فَارْسَهُمْ حَتَّى يَشَقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرْمَةِ
٣٦٦/١	الطويل	جعفر بن علبة	وَلَا يَكْشِفُ الْعَمَاءُ إِلَّا بَنْ حُرَّةٍ بَرَى عَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ بِزُورِهَا
٤٤٧			
٣٢٢/٢	البسيط		وَلَا يَمْهُلُ حَيٌّ إِذَا انتَهَى أَمْدُهُ
٤٣٧/٢			
١٢٣/٢	الطويل	رجل من بنى عامر	وَبِيَوْمٍ شَهَدَنَا سَلِيلًا وَعَامِرًا قَلِيلٌ سُوَى الطَّعْنِ النَّهَالِ نَوَافِلِهِ
١٢٢/٢	الرجز		يَا عَارِضًا يَخْتَالُ فِي أَنْوَابِهِ أَسْنَمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ

## قافية النساء المربوطة

٤٩٧/٢	الرجز	أقبل سيل جاء من عند الله يجرد حرد الجنة المغلة
٦٣٠/٢	البسيط	تدلي بودي إذا لاقيني كذبا وإن أغيب فأنت الهمام الملمزة

## قافية الواو

٥٧/١	الكامل	خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا مَكْرُمةٌ فَكَانُوهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحٌ يَدٌ فَكَانُوهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا
------	--------	---

## قافية الياء

٥٢٨/١	الأشعري الجعفي	فِي رُوكَّ ما كَانَ عِنْدَ امْرِي وَسِرُّ التَّلَاثَةِ غَيْرُ الْحَقِيقِيِّ
٥٥٦/٢	عمران بن حطان	دَعْتُهُمْ بِأَعْلَى صُوتِهَا وَرَمَتُهُمْ بِمِثْلِ الْجِبَالِ الصَّفِيرِ نِزَاعَةُ الشَّوَّى

\* \* \*

## رابعاً : فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم
٥٩٩/١	إبراهيم بن يزيد التخمي
٥٥٣/١	ابن بحر
٥٥٤/١	ابن جرير
٨٧/١	ابن السراج
١٦/١	ابن طبرزد
٥٧٨/١	ابن شجرة
٣٩١/٢	ابن فارس
١٧/١	ابن مالك
١٢٤/٢	أبو إسحاق إبراهيم بن علي
٣٤٧/١	أبو بكر بن الباقلاني
١٨/١	أبو حفص عمر بن أبي بكر
١٩٢/٢	أبو الأشد بن كلدة
٣٨/١	أبو الحكم بن برجان
٤٩٠/١	أبو الجود
١٦/١	أبو الجود اللخمي
١٥/١	أبو الجيوش عساكر بن علي
١٩٤/١	أبو الدرداء
٦١/٢	أبو سليمان الداراني
١٧/١	أبو شامة
١٥/١	أبو الطاهر بن عوف
١٥/١	أبو الطاهر السلفي
١٤٦/١	أبو طلحة الأنصاري
٥٧٥/١	أبو الطيب بن سلمة
٣١٧/١	أبو العالية الرياحي
٦٠٠/١	أبو عمرو عامر بن شراحيل
١٧/١	أبو الفتح محمد بن علي

الصفحة	الاسم
١٧/١	أبو الفداء إسماعيل بن عثمان
١٦/١	أبوالقاسم البوصيري
٢٤٩/١	أبو محمد بن عطية الأندلسي
١٧/١	أبو محمد القاسم
٢٩١/١	أبو المعالي
١٧/١	أبواليمين الكندي
٥٠٨/٢	أحمد بن محبى
١٩٦/١	الأخطل
١٩٦/١	أسامة بن زيد
١٤٤/١	الأشعث بن قيس
٣٥٥/١	الأعشى
٦٢٠/١	الأعمش
٢٣٨/١	غبيم بن أوس
٤٧٤/٢	جعل
١٧/١	جمال الدين أحمد بن عبيد الله
٤٩٩/٢	جهنم بن صفوان
٢٢٣/٢	الحجاج بن يوسف
٢٠٣/١	الحسن بن علي
٤١٩/١	حزة بن حبيب
١٥/١	حنبل بن عبد الله
٥٢٣/١	خباب بن الأرت
٣١٧/١	رفيع بن مهران
٢٥/١	الزنجاني
٣١٩/١	سرقة بن مالك
٦٢٠/١	سليبان بن مهران
١٥/١	الشاطبي

الصفحة	الاسم
٤٠٠ / ١	شريح القاضي
٦٠٠ / ١	الشعبي
١٦ / ١	الشهاب الغزنوي
١٦ / ١	صدر الدين أحمد
١٩٩ / ١	طعمة بن الأبيرق
١٩٦ / ١	عامر بن الأضبيط
٥٥٤ / ١	عبد الملك بن عبد العزيز
٢٩١ / ١	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوني
١٥٥ / ١	عبد الله بن أبي بن سلول
١٥٦ / ١	عبد الله بن جبير
١٥٩ / ٢	عبد الله بن الزيعري
٥٨٠ / ١	عبد الله بن زائدة
٥٠٣ / ١	عبيد بن عمير
١٨٥ / ١	عثمان بن أبي شيبة
٢٣٨ / ١	عدي بن بدأء
٣٣٤ / ١	عدي بن حاتم
٣٠٢ / ١	عكرمة بن عبد الله البريري
٢٩٢ / ١	علي بن حمزة الكسائي
٢٤٥ / ١	علي بن عيسى الرمانى
١٩٤ / ١	علي بن محمد الماوردي
١٦٣ / ١	عمران بن حصين
٥٥٦ / ٢	عمران بن حطان
١٩٨ / ١	عمرو بن أمية الضمري
٥١ / ٢	عمرو بن عبيد
١٩٤ / ١	عياش بن أبي ربيعة
٦٧٠ / ١	عيسى بن عمر
١٧ / ١	غياث بن فارس
٤٨١ / ٢	

الصفحة	الاسم
٥٧٦/٢	فخر الدين بن خطيب الري
٤٩٠/١	القاضي الفاضل
١٨٤/١	كعب بن الأشرف
١٩٦/١	المقداد بن الأسود
١٩٦/١	محلم بن جثامة
٢٦٣/١	محمد بن سيرين
٥٠٨/٢	محمد بن عبد الله بن طاهر
١٨/١	محمد بن يوسف بن علي
١٩٤/١	مسروق
١٠٢/٢	معتب بن قشير
٤٩٩/٢	مقاتل بن سليمان
١٩٥/١	مقيس بن صبابة
٤٩٩/١	نافع الأزرق
٥٠٠/١	نجدة الحروري
٤٩٦/٢	النصر بن شميل
١٦٠/١	نعميم بن مسعود
٨٧/٢	هانئ بن نيار
١٦٤/١	هند بنت أبي أمية (أم المؤمنين أم سلمة)
٣١٠/٢	يجيبي بن معاذ
٨/٢	يعقوب بن إسحاق

\* \* \*

## خامساً: فهرس الأمثال

الصفحة	المثل
٥٥/٢	أجور من قاضي سدوم.
٢١٥/٢	أشرق ثير كبياً نغير.
٦٩/٢	إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.
٦٤٣/١	إذا عزّ أخوك فهن.
٨٦/٢	إنك لا تقد لنا شبراً من غدر إلا مددنا لك باعاً من ختر.
٦٣٣/٢	إنها لضغث على إبالة.
٩٨/٢	تسمع بالمعيدي لا أن تراه.
٤٨٣/٢	سمّن كلبك يأكلك.
١٠٧/٢، ١٨١/١	صادقني في سن بكره.
١٨٨/٢	في كل شجرة نار واستمجد المرخ العفار
٢٧٠/٢	قال الجدار للوتد: لما شفقتني؟ قال: سل من يدقني.
١٩٩/٢	كفى السلامه داء.
٩٨/٢، ١٣١/١	من عزّ بزّ
٣٩٧/٢	هو كالقرآن، إن رأى خيراً تدلّ، وإن لم ير شيئاً تعلّ.
٤٠٩/١	يستدل على الرجل بكلامه وشعره.

\* \* \*

### سادساً : فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	المكان أو البلد
٢٣٥، ٦٩/١	أيلة
٣٧٨/٢	بئر سُمَيْحة
٣٣٢/١	جرش
٢٢٠/١	خراسان
٥٥/٢	سدوم
١٧/٢	سيلحون
٣٣٦/٢	الشحر
١١٤/١	عمورية
١٢١/١	العنب
٣٣٣/١	مرؤ
٣٥٧/٢	وج

\* \* \*

## سابعاً : فهرس محتويات الجزء الثاني

الصفحة	الموضوع
٥ .....	سورة النمل
٣١ .....	سورة القصص
٤٩ .....	سورة العنكبوت
٦٢ .....	سورة الروم
٧٦ .....	سورة لقمان
٨٩ .....	سورة السجدة
٩٧ .....	سورة الأحزاب
١٣٥ .....	سورة سباء
١٥٥ .....	سورة فاطر
١٧٠ .....	سورة يس
١٨٩ .....	سورة الصافات
٢١١ .....	سورة ص
٢٣١ .....	سورة الزمر
٢٤٩ .....	سورة غافر
٢٦٨ .....	سورة فصلت
٢٨٠ .....	سورة الشورى
٢٩٦ .....	سورة الزخرف
٣١٣ .....	سورة الدخان
٣٢١ .....	سورة الجاثية
٣٢٩ .....	سورة الأحقاف

الموضوع	الصفحة
سورة محمد	٣٤١
سورة الفتح	٣٥١
سورة الحجرات	٣٦١
سورة ق	٣٧٠
سورة الذاريات	٣٨١
سورة الطور	٣٩٠
سورة النجم	٣٩٦
سورة القمر	٤٠٦
سورة الرحمن	٤١٣
سورة الواقعة	٤٢٢
سورة الحديد	٤٣٣
سورة المجادلة	٤٤٢
سورة الحشر	٤٤٩
سورة المتكحة	٤٥٨
سورة الصاف	٤٦٥
سورة الجمعة	٤٦٩
سورة المنافقون	٤٧٣
سورة التغابن	٤٧٧
سورة الطلاق	٤٨٠
سورة التحرير	٤٨٤
سورة الملك	٤٨٨
سورة القلم	٥٩٣

الصفحة	الموضوع
٥٠١ .....	سورة الحاقة
٥٠٦ .....	سورة المعارج
٥١١ .....	سورة نوح
٥١٧ .....	سورة الجن
٥٢٥ .....	سورة المزمل
٥٣٢ .....	سورة المدثر
٥٤١ .....	سورة القيامة
٥٤٧ .....	سورة الإنسان
٥٥٤ .....	سورة المرسلات
٥٥٨ .....	سورة النبأ
٥٦٣ .....	سورة النازعات
٥٦٨ .....	سورة عبس
٥٧٢ .....	سورة التكوير
٥٧٧ .....	سورة الانفطار
٥٨٠ .....	سورة المطففين
٥٨٥ .....	سورة الانشقاق
٥٨٨ .....	سورة البروج
٥٩١ .....	سورة الطارق
٥٩٣ .....	سورة الأعلى
٥٩٧ .....	سورة الغاشية
٦٠٠ .....	سورة الفجر
٦٠٤ .....	سورة البلد

الموضوع	الصفحة
سورة الشمس .....	٦٠٧
سورة الليل .....	٦٠٩
سورة الضحى .....	٦١١
سورة الشرح .....	٦١٣
سورة التين .....	٦١٦
سورة العلق .....	٦١٨
سورة القدر .....	٦٢١
سورة البينة .....	٦٢٢
سورة الزلزلة .....	٦٢٤
سورة العاديات .....	٦٢٥
سورة القارعة .....	٦٢٧
سورة التكاثر .....	٦٢٨
سورة العصر .....	٦٢٩
سورة الهمزة .....	٦٣٠
سورة الفيل .....	٦٣١
سورة قريش .....	٦٣٤
سورة الماعون .....	٦٣٦
سورة الكوثر .....	٦٣٧
سورة الكافرون .....	٦٣٩
سورة النصر .....	٦٤٠
سورة المسد .....	٦٤١
سورة الإخلاص .....	٦٤٢

**الصفحة****الموضوع**

٦٤٣ .....	سورة الفلق
٦٤٥ .....	سورة الناس
٦٤٧ .....	الفهارس العامة
٦٤٨ .....	أولاً : فهرس القراءات
٦٦٦ .....	ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار
٦٩٤ .....	ثالثاً : فهرس الأشعار
٧١٠ .....	رابعاً: فهرس الأخبار
٧١٤ .....	خامساً: فهرس الأمثال
٧١٥ .....	سادساً: فهرس الأماكن والبلدان
٧١٦ .....	سابعاً: فهرس محتويات الجزء الثاني

\* \* \*